

في الوثائق البريطانية

(نجد والحجاز)

المجلد الثالث

١٩١٧ - ١٩١٨

اختيار وترجمة وتحرير
نجدة فتحي صفوة




الجزيرة العربية
في الوثائق البريطانية
المجلد الثالث

الطبعة الأولى ١٩٩٨

ISBN 1 85516 573 2

دار الساقي

بناية تابت، شارع أمين منيمنة (نزلة السارولا)، الحمراء، ص.ب: ١١٣/٥٣٤٢ بيروت، لبنان

هاتف: ٣٤٧٤٤٢ (٠١)، فاكس: ٦٠٢٣١٥ (٠١)

DAR AL SAQI

London Office: 26 Westbourne Grove, London W2 5RH

Tel: 0171-221 9347, Fax: 0171-229 7492

المحتويات

مقدمة

يختص الجزء الثالث من «موسوعة الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية» بوثائق سنتي ١٩١٧ و١٩١٨، وكان الجزء الأول يحتوي على وثائق سنتي ١٩١٤ ـ ١٩١٥ والجزء الثاني خاصاً بوثائق سنة ١٩١٦. وكان تخصيص جزء كامل لوثائق سنة واحدة يعود إلى ضخامة عدد الوثائق الخاصة بتلك السنة بسبب قيام الثورة العربية فيها وكثرة المراسلات والتقارير التي تبودلت بسببها.

وقد شهدت السنتان ١٩١٧ و١٩١٨ أحداثاً على جانب عظيم من الأهمية أيضاً، على الصعيدين العالمي والعربي على حد سواء.

العالم في سنة ١٩١٧

وفي بداية سنة ١٩١٧، كانت الحرب العالمية الأولى لا تزال في أوج استعارها، وفي هذه السنة لم تعد أوروبا وحدها ساحة الحرب، بل أصبح العالم بأجمعه مسرحاً لعملياتها.

وفي روسيا اضطر القيصر، إزاء الاضطرابات المدنية والعسكرية التي سادت بلاده، أن يرضخ للضغوط التي تركزت عليه، ويتنازل عن العرش. وأسست حكومة موقتة برئاسة جيورجي لفوف في ١٥ آذار/مارس سنة ١٩١٧، وبعد حوالى أربعة أشهر، وعلى أثر مظاهرات يسارية واسعة النطاق (في ٢٠ تموز/يوليو) من السنة نفسها، استقال لفوف، وخلفه في رئاسة الحكومة ألكساندر كيرينسكي الذي تعهّد بمواصلة الحرب. ثم عاد لينين من المنفى والتحق بستالين وتروتسكي، وفي تموز/يوليو نجحت حكومة كيرينسكي في القضاء على انتفاضة بلشفية، وهرب لينين مرة أخرى. واستمرت الحرب في الشرق، وكان ذلك بطبيعة الحال مدعاة ارتياح كبير للحلفاء. وجاءت القشة الأخيرة في شهر أيلول/سبتمبر حين أصيب الجيش الروسي المرهق والمنهارة معنوياته بهزيمة منكرة في «ريغا» وبذلك

فتح أمام الألمان الطريق إلى العاصمة الروسية «بتروغراد». وفي أوائل تشرين الثاني/ نوفمبر قامت انتفاضة بلشفية ثانية كانت أكثر نجاحاً، فسقطت «بتروغراد» بعد الهجوم على «القصر الشتوي» وأطيح بكيرينسكي وحكومته، وأعلنت الجمهورية في روسيا، وتم الاتفاق على هدنة منفردة مع ألمانية والنمسا، ثم جاءت مفاوضات السلام.

كان لهذا الحدث آثاره وردود فعله المهمة في الغرب، وكذلك في البلاد العربية. وكانت ردود الفعل في الغرب مختلفة، فقد اتخذت الحكومة البريطانية من الحكومة البلشفية موقفاً متصلباً، ورفضت أن تكون لها أية صلة بها. وأصبح بإمكان ألمانية نقل قواتها الموجودة في الميدان الشرقي إلى الغرب، بعد أن تحللت من واجباتها هناك. مما حقق لها الهيمنة على الوضع ولو إلى حين، إذ عاد ميزان القوى فأصبح في صالح الحلفاء مرة أخرى بدخول الولايات المتحدة الحرب في نيسان/ أبريل، وهو حدث فجّره إلى حد كبير استمرار الغواصات الألمانية في إغراق البواخر الأميركية، وكذلك مهاجمة الألمان للسفن الأميركية التي كانت مستشفيات عائمة، واحتجازهم جميع الرعايا الأميركيين الموجودين في ألمانية كرهائن. وجاءت الحلقة الأخيرة في سلسلة الاستفزازات الألمانية في شباط/ فبراير مع برقية أرسلها وزير خارجية ألمانية «زيمرمان» إلى الرئيس المكسيكي «كارانزا» يحثه فيها على أن تعلن المكسيك الحرب على الولايات المتحدة وتعيد احتلال الأراضي التي أخذت منها في تكساس ونيومكسيكو وأريزونا. وكان زيمرمان يتوقع أن تقوم الولايات المتحدة بعمليات انتقامية ضد إغراق سفنها، ففكر أن إعلان المكسيك الحرب عليها سيشغلها عن ذلك. ولكن استخبارات البحرية البريطانية التقطت هذه البرقية، وتمكنت من فك رموزها. ونشرها الرئيس الأميركي وودرو ويلسن في ١ آذار/ مارس سنة ١٩١٧، قبل إعلان الولايات المتحدة الحرب بخمسة أسابيع. وصادرت الحكومة الأميركية ٩١ سفينة ألمانية كانت راسية في ميناء نيويورك، وبدأت بتسليح أسطولها التجاري، وفي شهر أيار/ مايو وافق الكونغرس على قانون خاص بالخدمة العسكرية وأمكن بموجبه تجنيد ١٠ ملايين جندي أميركي.

اتفاقية سايكس ـ بيكو

أما في البلاد العربية فقد كان أثر سقوط النظام القيصري واستيلاء البلاشفة على الحكم في روسية ناجماً عن اشتراك روسية القيصرية في اتفاقية سرية بين روسية

وبريطانية وفرنسة بشأن مستقبل الأقطار العربية التابعة للدولة العثمانية، وكيفية اقتسامها بعد الحرب. وقد أدّى استيلاء البلاشفة على الحكم إلى تغييرات كثيرة في سياسة روسيا الخارجية، وكان من المبادىء الرئيسية التي تبنتها الحكومة الجديدة في روسيا نبذ المعاهدات السرية بين الدول، وعملاً بهذا المبدأ نشرت الحكومة البلشفية في ٨ تشرين الثاني/نوفمبر سنة ١٩١٧ نصوص عدد من الاتفاقيات السرية التي كانت الحكومة القيصرية طرفاً فيها، وكان بينها الاتفاقية الخاصة باقتسام مناطق النفوذ في الأقطار العربية بعد الحرب، وهي الاتفاقية التي اشتهرت فيما بعد ـ وبعد خروج روسيا منها ـ باسم اتفاقية سايكس ـ بيكو.

كان السير مارك سايكس والمسيو جورج بيكو قد ذهبا إلى روسيا في آذار/مارس من السنة السابقة (١٩١٦) للتفاوض مع الحكومة القيصرية بشأن المناطق التي كانت تهم كلاً من الدول الثلاث من أراضي الإمبراطورية العثمانية. وكانت النتيجة وضع اتفاقية شاملة اعترفت فيها كل دولة من تلك الدول الثلاث بالمناطق التي ستخضع للدولتين الأخريين. وفي أوائل سنة ١٩١٧ كانت العمليات الحربية تتطور لمصلحة بريطانية وفرنسة، وبدا أن الجيش البريطاني قد يتمكن من اختراق خطوط الأتراك في غزة وبير السبع مما يؤدي إلى انسحاب الأتراك من سورية كلها. ولذلك قررت الحكومتان البريطانية والفرنسية إرسال بعثتين سياسيتين، إحداهما بريطانية برئاسة السير مارك سايكس، والأخرى فرنسية برئاسة المسيو جورج بيكو، للالتحاق بقيادة الجيش البريطاني لإجراء الاتصالات مع سكان البلاد، وتقريب وجهات النظر، وإعداد الأذهان لتطبيق اتفاقية سايكس ـ بيكو. وكان من جملة برنامج البعثتين زيارة الحجاز ومقابلة الملك حسين. ورحب الملك حسين بقدوم البعثتين.

سافر السير مارك سايكس إلى جدة بمفرده أولاً، فاجتمع بالأمير فيصل في الوجه، ثم اجتمع بالملك حسين، ونقل إليه رسالة ودية من الملك جورج الخامس، وبحث معه موضوع استقلال العرب، ومستقبل سورية. ثم عاد سايكس إلى جدة مرة أخرى ومعه «بيكو» في هذه المرة، فاستقبل الملك حسين المندوبين استقبالاً حسناً، وقال لهما إنه يقدّر أهمية اتحاد فرنسة وبريطانية وضرورة تعاونهما الوثيق لتحقيق المطامح العربية، وعدم قدرة العرب على القيام بشيء إلاّ بمعونتهما متكاتفتين. وفي نهاية الاجتماع أبلغهما الأمير فيصل رسالة من الملك حسين جاء فيها:

«إننا مستعدون للتعاون مع فرنسة في سورية إلى أبعد مدى ومع انكلترة في العراق، ولكن نطلب المساعدة من انكلترة مع الأدريسي وابن سعود دون المساس باستقلالهما بأية صورة كانت، ونرجو أن تحاول بريطانية العظمى أن تحملهما على الاعتراف بمركز الملك كزعيم للنهضة العربية» (الوثيقة تسلسل ٣٨).

مبادرات جمال باشا

ولما نشرت الحكومة البلشفية نصوص الاتفاقية المعقودة بين روسية القيصرية وبريطانية وفرنسة، واطلعت عليها الحكومة العثمانية، بادرت إلى اغتنام الفرصة ونقل النبأ إلى العرب وحثهم على الرجوع عن الثورة وعقد صلح منفرد معها. وقد جاء ذلك في ثلاث رسائل بعث بها جمال باشا، القائد العام في سورية، إلى الأمير فيصل وجعفر العسكري والأمير عبد الله (الوثائق تسلسل ١٠٥ و١٠٦ و١١٠) إلى جانب تصريح بهذا المعنى أدلى به ضمن خطاب ألقاه في بيروت. وعلى أثر تسلم فيصل كتاب جمال باشا أبرق بمضمونه إلى الملك حسين، فبادر الملك حسين، كما يفعل الحليف المخلص، بإبلاغ مضمون الكتاب وعروض جمال باشا، إلى المندوب السامي البريطاني في القاهرة طالباً تفسيراً للموضوع. وأمر فيصل وجعفر العسكري بعدم إرسال أي جواب لجمال.

ولم يكن جمال باشا قد أوضح في رسالته تفاصيل اتفاقية سايكس ـ بيكو التي فضحها البلاشفة. ولما كان فيصل والملك حسين والزعماء العرب الآخرون لا يعلمون عنها شيئاً، فقد انصرفت أذهانهم لدى تسلم كتاب جمال أنه كان مبادرة منه يعرض فيها الصلح على العرب، ولذلك رفضوها. وبعث «وينغيت» (المندوب السامي) رسائل يعرب فيها عن شكر الحكومة البريطانية وامتنانها «للسرعة والصراحة اللتين أرسل بهما سيادته إلى المندوب السامي رسالة القائد التركي في سورية الموجهة إلى الأمير فيصل وجعفر باشا».

وبقي الملك حسين جاهلاً تفاصيل اتفاقية سايكس ـ بيكو إلى أن وصلت إليه نسخة من جريدة (المستقبل) التي تصدر في باريس (العدد ١٠١ الصادر بتاريخ ٢ رمضان سنة ١٣٣٦، ١١ حزيران/يونيو ١٩١٨) وكان منشوراً فيها نص الخطاب الذي ألقاه جمال باشا في بيروت، وبيّن فيه تفاصيل الاتفاقية، فاضطرب الملك حسين اضطراباً شديداً وأدرك أن المسألة أخطر كثيراً مما وصل إلى علمه أو قدّره في السابق، وأبرق إلى معتمده في مصر برقية شديدة يأمره فيها بالحصول على

إيضاحات من المندوب السامي حول الاتفاقية وأبعادها. فأبرق المندوب السامي إلى وزير الخارجية (بلفور) في ١٦ حزيران/يونيو عن استيضاح الملك حسين وذكّره بأن الملك حسين لم يبلّغ رسمياً باتفاقية سايكس ـ بيكو، وأبدى أنه نصح معتمد الشريف بأن يردّ على استيضاحاته بأن «البلاشفة لم يجدوا في وزارة الخارجية في بتروغراد معاهدة معقودة، بل محادثات قديمة، وتفاهماً موقتاً، في أوائل الحرب لمنع المصاعب بين الدول أثناء تنفيذ العمليات الحربية مع تركية، وأن جمال، إما جهلاً منه أو خبثاً، قد شوّه غرضها الأصلي وحذف شروطها المتعلقة بموافقة السكان المحليين وحماية مصالحهم، وتجاهل أن ما أعقب ذلك من قيام الثورة العربية ونجاحها، وانسحاب روسية، قد أوجد منذ مدة طويلة وضعاً مختلفاً تماماً» (الوثيقة تسلسل ١٢٢)، وبذلك حاول تهدئة مخاوفه وشكوكه.

إزاء هذه الخلفية من الوضع الدولي تعرض الوثائق البريطانية التي يتضمنها هذا الجزء من الموسوعة تسلسل الأحداث في الحجاز ونجد خلال سنتي ١٩١٧ و١٩١٨، من زاوية بريطانية بطبيعة الحال.

لما حلت سنة ١٩١٧ كانت الثورة العربية قد مرّت عليها سبعة أشهر، وكانت معالمها قد اتضحت، وأهدافها قد تحددت، ولكنها مع ذلك لم تكن قد انتهت. وشهدت بداية سنة ١٩١٧ انتقال زمام المبادرة في القتال من أيدي الأتراك إلى أيدي العرب. فقد عبر الأمير عبد الله خط سكة الحديد إلى شمال المدينة، وتمركز في وادي العيص، وقام الأمير علي من رابغ نحو مواقع الأتراك في معابر الجبال فاستطاع أن يخرجهم منها وأجبرهم على التراجع إلى خط دفاعي قريب من المدينة. أما الأمير فيصل فقد أتاحت له عمليات شقيقيه أن يخرج بقواته إلى ما وراء جبهة المدينة فيستولي على الوجه، وبذلك أصبح ساحل الحجاز بأكمله في يد العرب. وزال الخطر الذي كان يهدد رابغ، ثم جاءت معركة بئر درويش، وهي من أهم المعارك في تاريخ الثورة، إذ استطاعت القوات العربية أن تستولي لأول مرة على موقع تركي حصين. وكان احتلال العقبة في تموز/يوليو ١٩١٧ نقطة تحول أخرى في الموقف، إذ تحولت الثورة العربية إلى حرب متحركة هدفها أن تستولي على دمشق التي تبعد ٦٠٠ ميل شمالاً، وأصبحت الثورة بذلك جزءاً من الحرب العالمية الأولى، إذ كونت الجناح الأيمن للقوات البريطانية الزاحفة على فلسطين، وتوجهت بعثة إلى سورية، بقيادة الشريف ناصر ونسيب البكري، تدعو للثورة وتضع أسس العمل المشترك، ورافق هذه البعثة الكابتن لورنس.

وعهد الجنرال اللنبي إلى القوات العربية بمهمة قطع المواصلات بين دمشق والجنوب باحتلال درعا، المنطقة الحيوية للمواصلات، وذلك بقصد حماية الجناح الأيمن للقوات البريطانية ومشاغلة القوات التركية في شرق الأردن ومنعها من إرسال الإمدادات إلى فلسطين. وبعد احتلال درعا بدأ تراجع الجيش التركي تتعقبه القوات النظامية العربية ورجال القبائل، وانهارت الجبهة التركية في نهاية أيلول/ سبتمبر ولم يتمكن الأتراك من تأليف جبهة حربية في حوران، كما لم يتمكنوا فيما بعد من تأليف جبهة جديدة في دمشق، وأخذت القوات البريطانية القادمة من جبال الجليل، والقوات العربية إلى الشرق منها، تزحفان في خطين متوازيين في عملية سباق غايتها النهائية دمشق.

تصريح بلفور

شهدت نهاية عام ١٩١٧ ضربة أخرى وجهتها بريطانية إلى حليفها المخلص الملك حسين، وإلى العرب جميعاً، جاءت بعد فضيحة اتفاقية سايكس ـ بيكو. إذ أصدرت الحكومة البريطانية في ٢ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩١٧ تصريحاً كان له أثر أكبر من أثر أية وثيقة أخرى في تاريخ الشرق الأوسط الحديث، وما زال ذلك الأثر مستمراً إلى يومنا هذا، وهو تصريح بلفور حول تأسيس وطن قومي لليهود في فلسطين. وقد وعدت فيه بريطانية ببذل جهودها لتسهيل تحقيقه. ودهش الملك حسين والعرب مرة أخرى. وعلى جاري عادته في التعامل الصريح والمستقيم مع حليفته، استفهم الملك حسين منها عن صحة ما جاء في التصريح، ومعنى الوعد الذي تضمنه ومداه، بعد أن كانت لديه كل الأسباب التي تجعله يعتقد أن تعهدات بريطانية بضمان استقلال البلاد العربية تشمل فلسطين أيضاً، ولذلك خاطر بكل أسهمه إلى جانب العرب.

وبادرت الحكومة البريطانية إلى إيفاد «الكوماندر هوغارث»، أحد رؤساء المكتب العربي في القاهرة، فوصل إلى جدة في الأسبوع الأول من كانون الثاني/يناير سنة ١٩١٨ وعقد عدة اجتماعات مع الملك حسين وأبلغه رسالة من حكومته كانت ذات أثر في تهدئة خواطره وطمأنته، إذ إنها كانت تأكيداً صريحاً من الحكومة البريطانية بأنها مصممة على أن لا تدع شعباً يخضع لآخر، وأن «الاستيطان اليهودي في فلسطين لن يكون مسموحاً به إلاً بقدر ما يتفق مع حرية السكان العرب من الناحيتين الاقتصادية والسياسية» ولكن نظراً لوجود أماكن مقدسة تهم أحد الأديان

الثلاثة أو اثنين منها أو كلها، فلا بد أن يكون هنالك لإدارة أمور هذه الأماكن نظام حكم يوافق عليه العالم. وعلى أثر ذلك، أبرق الملك حسين إلى ابنه فيصل قائلاً:

«الحلفاء أجلّ وأكبر من أن يخلّوا بحرف من مقرراتنا معهم، وهم أحرص الناس على ملاحظة مثل هذه الدقائق، فلا تفتكروا في ذلك واطمئن واعلم أنه لا حَكَم بيننا وبين الترك إلاّ السيف...».

وثائق سنة ١٩١٧

وتبدأ وثائق هذه المجموعة لسنة ١٩١٧ بتقرير أعده هوغارث عن الشخصيات الحجازية المهمة، وقد أعد هذا التقرير لاستعمال المكتب العربي، وقد أدرجناه نظراً للمعلومات الدقيقة والأوصاف التفصيلية التي يتضمنها لبعض الشخصيات الرئيسية في الحجاز، على الرغم من وجود عدد من الأخطاء فيه أيضاً.

أما الأحداث التي تتناولها وثائق هذا الجزء فتبدأ بقضية إنزال قوات أجنبية في الحجاز لمساعدة الجيوش العربية، وطلب الملك حسين إرسال هذه القوات في بداية الثورة ثم عدوله عن ذلك بسبب تخوفه من الاستياء الذي قد يحدثه ذلك في العالم الإسلامي. وتليها قضية تشكيل وحدة عسكرية عربية (السريّة العربية) من أسرى الحرب العرب الموجودين في معسكرات الأسرى في الهند. ومجموعة من الوثائق عن المحاولات الفرنسية للتدخل في شؤون الحجاز، وموقف بريطانية، من هذه المحاولات، وهنالك عدة تقارير مهمة عن الحجاز كتبها الكابتن جورج لويد (اللورد لويد فيما بعد) وتقارير عن الشعور السائد والرأي العام في مصر تجاه الثورة العربية.

وتحتوي هذه المجموعة أيضاً على مبادرات جمال باشا ورسائله إلى الأمير فيصل وجعفر العسكري ثم إلى الأمير عبد الله. وبذلك تنتهي وثائق سنة ١٩١٧.

العالم في سنة ١٩١٨

أما سنة ١٩١٨ التي تحتوي هذه المجموعة على أهم وثائقها أيضاً، فإن الوضع العالمي خلالها كان كما يأتي:

بقيت أحداث روسية طاغية على غيرها من الأحداث العالمية، فقد تداعت

سريعاً الهدنة القلقة التي تم التوصل إليها بين الحكومة البلشفية وألمانية، ودخلت الجيوش الألمانية الأراضي الروسية، وصارت تهدد العاصمة بتروغراد لأجل إجبار البلاشفة على قبول شروط المعاهدة. وقد تمكن الألمان أخيراً من تحقيق هذا، ووقعت معاهدة برست ـ ليتوفسك «التأديبية» في آذار/مارس سنة ١٩١٨، وفي هذه السنة أيضاً نقلت العاصمة الروسية من بتروغراد إلى موسكو، ولكن السلم ظل بعيد المنال صعب التحقيق، إذ أصبحت روسية مهددة بالحرب الأهلية، وكان الجيش الأحمر الجديد تتحداه الجيوش «البيضاء» بقيادة كبار الضباط القيصريين السابقين. وكانت هذه الجيوش تحصل على مساعدات كبيرة من الخارج. ونزلت في «فلاديفوستوك» قوة بريطانية وأميركية ويابانية مشتركة في نيسان/إبريل، وفي شهر حزيران/يونيو استولت القوات البحرية البريطانية على ميناء «مورمانسك» للحيولة دون سقوطه بيد الألمان. ولأجل الغاية نفسها، أنزلت في ميناء آرخانكيل في شهر آب/أغسطس قوة أكبر من الأولى مؤلفة من قطعات بريطانية وفرنسية وأميركية، وفي تموز/يوليو من سنة ١٩١٨ قتل القيصر الروسي وأسرته، وسادت الفوضى في جميع أنحاء روسية.

وفي الولايات المتحدة بدأت سنة ١٩١٨ بإعلان خطة السلام المؤلفة من النقاط الأربع عشرة الشهيرة التي أعلنها الرئيس وودرو ويلسن مستهدفاً أن تجعل تلك النقاط الشعب الألماني ينقلب على حكومته. وكان هذا الأمل يقوم إلى حدٍ ما استناداً إلى موجة الإضرابات والاضطرابات التي اجتاحت ألمانية والنمسا. ومع ذلك فإن الجيوش الألمانية في فرنسة، التي عززتها القوات التي جاءت من الجبهة الشرقية، اتخذت موقف الهجوم، وشنت حملة كبيرة على امتداد الحدود في آذار/مارس وخرقت خطوط الحلفاء في عدة أماكن، وتقدم الألمان بسرعة، وأخذوا ألوف الأسرى. ولما تداعت مواقع الحلفاء الدفاعية وأصبح الألمان على بعد ٤٥ ميلاً فقط من باريس، تولى الماريشال (فوش) القيادة العامة لقوات الحلفاء، وأخيراً أمكن صد التقدم الألماني، وبدأت الهجمات المضادة من جانب الحلفاء.

البلاد العربية في سنة ١٩١٨

ففي المنطقة العربية استمرت عمليات الثورة في ميادينها الشمالية والشرقية والجنوبية، وكانت جيوش ألمانية وحليفتها تركية قد أخذت تتراجع في شتى ميادين القتال خطوة بعد خطوة، وفي شهر أيلول/سبتمبر قام الجيش البريطاني بقيادة

الجنرال اللنبي بهجوم واسع النطاق على الجيوش العثمانية المواجهة له. وقد سبق له في خريف سنة ١٩١٧ أن استولى على معظم أراضي فلسطين. وفي الوقت نفسه قام (الجيش الشمالي) بقيادة الأمير فيصل بهجوم مماثل في جبهته، وسبق الجيش البريطاني في عملياته ببضعة أيام، وتراجعت الجيوش العثمانية عن فلسطين وشرق الأردن على غير انتظام، ودخل العرب درعا ثم دخلوا دمشق يوم ١ تشرين الأول/أكتوبر ورفعوا العلم العربي فيها. وواصلت وحدات الجيش الشمالي تقدمها في سورية حتى دخلت حلب.

وجاءت نهاية الحرب العظمى بصورة سريعة ومفاجئة، ففي البلقان كانت بلغارية قد استسلمت في نهاية أيلول/سبتمبر ١٩١٨، وبعدها بشهر واحد جاء استسلام القوات التركية التي كانت على شفا الانهيار، وفي ٣٠ تشرين الأول/أكتوبر تقدمت ألمانية بطلب هدنة، وبدأت محادثات السلام، وفي اليوم نفسه استسلمت الدولة العثمانية، وبعد ثلاثة أيام وقعت النمسة على اتفاقية الهدنة، وفي ٩ تشرين الثاني/نوفمبر تنازل القيصر الألماني عن العرش، وأعلنت الجمهورية في ألمانية، وبعد يومين تسلم الماريشال فوش وثائق استسلام ألمانية، وفي الساعة الحادية عشرة من صباح ١١ تشرين الثاني/نوفمبر انقطعت أصوات المدافع في جميع أنحاء أوروبا، وانتهت الحرب العالمية الأولى بعد أن كبدت البشرية عشرة ملايين قتيل، وانتهت معها الثورة العربية.

ولما عقدت الهدنة العامة بين الحلفاء وألمانية، وبدأت الاستعدادات لعقد مؤتمر الصلح في باريس، استفسرت وزارة الخارجية البريطانية من اللنبي في دمشق، ووينغيت في القاهرة، عن رأيهما في توجيه الدعوة إلى الملك حسين، ملك الحجاز، للمشاركة في مؤتمر الصلح، باعتباره مساهماً في المجهود الحربي للحلفاء، على أن يمثله ابنه الأمير فيصل، فلما أيدا الفكرة أبرق الملك حسين إلى فيصل طالباً إليه السفر إلى المؤتمر مندوباً عنه، فتوجه فيصل إلى فرنسة في يوم ٢٢ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩١٨ على ظهر الطّراد «غلوستر» قاصداً فرنسة، ورافقه نوري السعيد ورستم حيدر والدكتور أحمد قدري، وفائز الغصين[1].

---

(١) انظر تفاصيل زيارة فيصل إلى باريس ولندن في سنة ١٩١٨ في «مذكرات رستم حيدر» تحقيق نجدة فتحي صفوة، بيروت، ١٩٨٨.

وقد وصل الطراد إلى مارسيليا في يوم ٢٦ تشرين الثاني/نوفمبر، وكان في استقبال فيصل «لورنس» موفداً من الحكومة البريطانية، والمسيو برتران عن الحكومة الفرنسية. ولما وصل فيصل إلى مدينة ليون أبلغه الكرنل بريمون ـ المندوب الفرنسي الثاني ـ أنه ليست لدى فرنسة أية معلومات عن المهمة الرسمية التي أنيطت بفيصل في فرساي «ولذلك فليس من المرغوب فيه أن تواصل سفرك إلى باريس»[١]، وكان ذلك صدمة كبيرة لفيصل.

وبعد أن قضى فيصل في فرنسة عشرة أيام، زار خلالها بعض المدن الفرنسية، وميادين الحرب، وجهت إليه الدعوة أخيراً لزيارة باريس بنتيجة ضغط شديد من بريطانية، فسافر إليها، واستقبله رئيس الجمهورية بوانكاريه، وفي مساء يوم ٩ كانون الأول/ديسمبر ١٩١٨ غادر فيصل وحاشيته فرنسة إلى انكلترة، فوصل لندن في اليوم التالي. وعاد فيصل إلى باريس في ٧ كانون الثاني/يناير ١٩١٩ لحضور مؤتمر الصلح مندوباً عن الحجاز. ويحتوي الجزء الرابع (المتضمن وثائق سنة ١٩١٩ على تفاصيل اجتماعات فيصل في باريس ولندن، والمذكرات التي قدمها إلى مؤتمر الصلح، ومقابلاته مع الشخصيات الفرنسية والبريطانية).

* * *

لقد أعادت الحرب العالمية رسم خارطة أوروبا. فقد انقسمت امبراطورية هابسبورغ السابقة إلى أربع دول جديدة هي: النمسا، وتشيكوسلوفاكية، وهنغارية، ومجموعة سلافية تتزعمها صربية. وقامت دول جديدة هي: بولونية، وفنلنده، وأوكرانية، وعادت الألزاس واللورين فأصبحتا جزءاً من فرنسة مرة أخرى، وأسست «عصبة الأمم» وكان من الغريب أن الولايات المتحدة، وهي صاحبة فكرة تأسيس «عصبة الأمم» بقيت خارجها ولم تنتم إليها لعدم موافقة الكونغرس على معاهدة فرساي التي كان تأسيس «عصبة الأمم» أحد بنودها وجزءاً لا يتجزأ منها.

---

(١) من تصريح نقلته عن الملك فيصل الأول المسز أرسكين في كتابها عن سيرته:
Mrs. Stuart Erskine, *King Faisal of 'Iarq: An Authorised and Authentic Study*, Hutchinson & Co., London, 1933, p.97.

المذكرات والتقارير

ويحتوي هذا الجزء، شأن الأجزاء السابقة، على الكتب والبرقيات المتبادلة بين الجهات البريطانية المعنية في جدة والقاهرة والبصرة وبغداد ولندن والهند وعدن حول شؤون المنطقة، وتطورات العمليات العسكرية للثورة، وكذلك على مراسلات الملك حسين وأولاده مع المسؤولين البريطانيين، وأحياناً مع بعضهم، وكذلك على مراسلات الأمير عبد العزيز بن سعود مع الممثلين البريطانيين في المنطقة ومع الملك حسين وحكام المنطقة الآخرين.

وإضافة إلى المراسلات بين الجهات المختلفة، فإن من أهم محتويات الوثائق البريطانية التقارير المفصلة والدراسات التي كانت تعد في الدوائر المختلفة عن الشؤون العربية مثل وزارة الخارجية والبحرية والهند والمكتب العربي في القاهرة ودوائر الاستخبارات العسكرية والمدنية. وتأتي بعض هذه التقارير مفصلة جداً، وتستغرق عشرات الصفحات التي تحفل بكثير من المعلومات المفيدة عن السياسة البريطانية وعملية صنع القرارات. منها على سبيل المثال وليس الحصر، مذكرة للكابتن براي بعنوان «القضية الإسلامية» تبحث في تأثيرها في الحوادث في الهند وفي بلاد العرب ومستقبل الإسلام حين لا تعود تركية دولة يعلق العالم الإسلامي آماله عليها. ومنها تقرير مهم للجنرال وينغيت إلى وزير الحرب عن سير الحركات العسكرية خلال عام، منذ تسلمه إدارتها. ومذكرتان للكابتن جورج لويد (اللورد لويد فيما بعد) عن وضع الحجاز كما هو موضح في الاتفاقات الحديثة، ومذكرة لهوغارث عن الاتفاقية البريطانية ـ الفرنسية ـ الروسية وخلفيتها، ومذكرات للورنس عن مقابلاته مع الشريف حسين وموقفه العقائدي ورأيه في العقائد الإسلامية «للمذهب الوهابي»[1]، ومذكرة أعدت في (المكتب العربي) بالقاهرة

---

(١) نشير بهذه المناسبة إلى ما ورد في بعض الوثائق الأخرى أيضاً من ذكر لما وصف بـ«المذهب الوهابي»، فالوهابية كما هو معروف ليست مذهباً فقهياً خاصاً، وعقيدة الذين يصفهم البعض بالوهابية هي عقيدة السلف التي جاءت في كتاب الله وسنة رسوله، وإنما هو وصف استخدمه خصومهم. قال الأستاذ حمد الجاسر: «يلاحظ أن هذا اللقب كان يطلق ـ في أول الأمر ـ على أتباع الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله ـ وعلى مناصري دعوته، من قبيل التنفير عن اعتناق تلك الدعوة السلفية، إلاّ أنه في ما بعد أصبح كغيره من الألقاب» (مقالة في جريدة «الحياة» الصادرة في لندن بتاريخ ٢٥/١٢/١٩٩٦).
وقد ترددنا في إثبات هذا اللقب حيثما ورد في الوثائق البريطانية، أو حذفه وتصحيحه، وقررنا أخيراً إبقاءه كما ورد في الأصل التزاماً بأمانة النقل ودقته، ليطلع القارىء على ما كتبه الغربيون بحذافيره. (ن.ف.ص).

بعنوان «مصر والحركة العربية» ومذكرة عن مباحثات أجراها الكرنل ويلسن والميجر كورنواليس مع الأمير عبد الله، ومذكرة «الزعماء السوريين السبعة» إلى الحكومة البريطانية عن مستقبل البلاد العربية بعد الحرب، ورد الحكومة البريطانية عليها الذي سلم إلى اثنين منهم بواسطة الكوماندر هوغارث، وتقارير مفصلة للمعتمد البريطاني في جدة إلى وينغيت عن ثلاث محادثات مطولة أجراها مع الملك حسين، ومذكرة للجنرال كلايتن عن الحالة الذهنية للملك حسين بسبب عدم اطمئنانه لسياسة الحكومة البريطانية إزاءه. ثم خلاصة مهمة وتفصيلية عن «ثورة الحجاز» أعدت في رئاسة الأركان العامة. ومذكرة تفصيلية عن (التزامات بريطانية للملك حسين) وأخرى عن (التزامات بريطانية للأمير عبد العزيز بن سعود).

الوثائق عن نجد

ويختص (القسم الثاني) من المجموعة بالوثائق البريطانية المتعلقة بأمير نجد عبد العزيز بن سعود والمراسلات معه ومع الجهات المعنية حول علاقاته بابن رشيد وبالملك حسين. وهو يحتوي أيضاً على تقرير مفصل من الكرنل هاملتن، المعتمد السياسي في الكويت عن محادثات أجراها في الرياض مع الأمير عبد العزيز آل سعود، كما يحتوي على مجموعة من الرسائل المتبادلة بين الأمير عبد العزيز آل سعود والملك حسين. ومن أهم محتويات هذا القسم أيضاً مذكرة مفصلة للسير برسي كوكس عن «علاقات بريطانية مع ابن سعود» (تسلسل ١٩٧) وتقرير مفصل كتبه فيلبي عن البعثة التي ترأسها إلى الرياض واستغرقت سنة كاملة للتعامل مع (الإمام) عبد العزيز آل سعود في أمور معينة ذات أهمية متبادلة، مع ملاحق عديدة تحتوي على وثائق مهمة تتعلق بالموضوع.

* * *

أما الأسلوب الذي اتبع في نقل هذه الوثائق وترجمتها، فهو كما ذكرنا في الأجزاء السابقة، يتوخى الدقة التامة، دون أي حذف أو تعديل في الوثيقة أو تصرف في ترجمتها. وذلك هو المبدأ الذي التزمنا به في هذه الموسوعة على الدوام.

وتحتوي المجموعة، شأن المجموعات السابقة أيضاً، على فهرس تحليلي مفصل يتضمن خلاصات لكل وثيقة من الوثائق المدرجة في المجموعة، وذلك تسهيلاً لمراجعتها، كما تحتوي على نبذة عن أهم الشخصيات التي ورد ذكرها في الوثائق أو أسهمت في إعدادها.

وأكرر بهذه المناسبة شكري الفائق للأستاذ سليمان موسى الذي تفضل بقراءة الكتاب وأبدى عليه ملاحظات وتصحيحات قيمة، كما سمح بنقل الأصل العربي لخمس عشرة وثيقة سبق له أن نشرها نقلاً عن أوراق الأمير زيد، وبذلك أعفانا من إعادة ترجمتها إلى العربية نقلاً عن الترجمة الإنكليزية.

أما ما تبقى في الكتاب من أخطاء ونواقص فتقع تبعتها على كاتب هذه السطور وحده.

ويلي هذا الجزء الثالث، الجزء الرابع الذي سيختص بالوثائق البريطانية عن الجزيرة العربية لسنة ١٩١٩، والله ولي التوفيق.

نجدة فتحي صفوة

فهرس تحليلي
للوثائق البريطانية عن الجزيرة العربية
نجد ـ الحجاز

القسم الأول: الحجاز ١٩١٧ ـ ١٩١٨

التسلسل	تاريخ الوثيقة	الموضـــوع	الصفحة
		في ابن سعود والإدريسي	٢٦٢
		مرفقات الكتاب أعلاه:	
٧٠	١٩١٧/٤/١٧	(١) كتاب من الملك حسين إلى وينغيت حول أوضاع الدولة وتأسيس وعمل مرافقها المختلفة	٢٦٣
٧١	١٩١٧/٤/١٩	(٢) كتاب من وينغيت إلى الملك حسين جواباً عن كتابه أعلاه وفيه إشارة إلى سفر الملك حسين إلى جدة وعن احترام الحكومة البريطانية للمعاهدات وأنها الحليفة الوفية التي لا تخون	٢٦٤
٧٢	١٩١٧/٤/٢٤	(كتاب) من نائب المعتمد البريطاني في جدة إلى نائب وزير خارجية الحجاز حول مسألة الحصر البحري، والاثنتي عشرة قافلة التي قيل إنها خرجت من نجد إلى حائل، ومسألة المطبوعات الألمانية وأخبار كسر الضبارية وبني سالم لابن الرشيد	٢٦٦
٧٣	١٩١٧/٤/٢٨	(برقية) من وينغيت (القاهرة) إلى وزارة الخارجية (رقم ٤٦٩) حول استعراض قضية البعثة الفرنسية وتوضيح موقف بريطانية إزاء حاكم الحجاز وسائر الزعماء في المناطق العربية المستقلة	٢٧٠
٧٤	١٩١٧/٤/٢٨	(برقية) من وينغيت إلى وزارة الخارجية (رقم ٤٧٢) حول التعليمات التي سيصدرها إلى مارك سايكس بشأن توضيح الوضع للملك حسين وطمأنته بشأن الفرنسيين وبيان أن الحلفاء وإن كانوا مقررين دعم مطامح العرب	

التسلسل	تاريخ الوثيقة	الموضـــوع	الصفحة
		إلى الملك حسين يبلغه نص برقية وصلت من وزارة الخارجية. تشكره فيها على سرعة إيصال مبادرات جمال باشا إلى فيصل وجعفر مما يدل على صداقته وإخلاصه وتؤكد دعمها للعرب في كفاحهم لأجل استقلالهم	٣٣٢
١١٠	١٩١٨/٢/١٠	(كتاب) من جمال باشا إلى الشريف عبد الله يطلب إليه التفكير في موضوع الخطاب الذي أرسله إلى والده	٣٣٣
١١١	١٩١٨/٢/٢٣	(كتاب) من وزارة الخارجية إلى وزارة الهند يتضمن نص بيان تطلب إبراقه إلى بغداد للنشر مع صورة كتاب الحكومة البريطانية إلى الملك حسين (الوثيقة رقم ١٠٩ أعلاه)	٣٣٤
١١٢	١٩١٨/٢/٢٣	(برقية) من وينغيت إلى وزارة الخارجية (رقم ٥٤١) يبدي فيها أنه علم أن فيصل أرسل رسالة خطية إلى جمال باشا جاء فيها أنه بشرط قبول الدولة العثمانية باستقلال العرب من حيث المبدأ، فإنه مستعد للدخول في مفاوضات سرية معهم تهدف إلى المصالحة بين العرب والأتراك. يشير إلى صعوبة التأكد من صحة هذه المعلومات	٣٣٥
١١٣	١٩١٨/٣/٢٧	(كتاب) من نائب المعتمد البريطاني في جدة إلى الملك حسين يشكره فيه على إرسال خطابات الأمراء إليه للاطلاع عليها ويتناول الوضع العسكري الراهن	٣٣٦
١١٤	١٩١٨/٤/٢	(برقية) من الجنرال كلايتن في القدس إلى وزارة الخارجية (لندن) حول موقف الشريف	

التسلسل	تاريخ الوثيقة	الموضـــوع	الصفحة
		عجيمي) يوصي به خيراً ويبدي أنه يضمن ولاءه	٤١٨
١٦٢	١٩١٨/٧/٣	(مذكرة) للسير مارك سايكس تتضمن تقريراً عن مقابلته الخاصة مع جورج بيكو حول الاتفاقية البريطانية ـ الفرنسية والوضع بعد خروج روسية ودخول الولايات المتحدة وتركيز الطابع الديموقراطي لأهداف الحلفاء الحربية	٤٢٠
١٦٣	١٩١٨/٧/١٥	(برقية) من الأمير عبد الله إلى الملك حسين حول إبادة مفرزة للعدو خرجت من المدينة .	٤٢٢
١٦٤	١٩١٨/٧/١٧	(برقية) من وينغيت إلى وزارة الخارجية (رقم ١٠٨٨) يبدي فيها وجوب «كبح جماح الملك حسين»	٤٢٣
١٦٥	١٩١٨/٧/٢٢	(كتاب) من الملك حسين إلى لويد جورج رئيس وزراء بريطانية يبعث إليه فيه تحياته بمناسبة عودة هوغارث ويجدد عهد الإخلاص لبريطانية	٤٢٤
١٦٦	١٩١٨/٩/٣٠	(كتاب) من لويد جورج إلى الملك حسين يشكره فيه على كتابه المرسل مع هوغارث ويرد على مجاملاته مشيداً بزعامته للحركة العربية	٤٢٦
١٦٧	١٩١٨/٧/٣٠	(كتاب) من الملك جورج الخامس إلى الملك حسين يشكره فيه على رسالة (غير محفوظة) (شبيهة برسالته إلى لويد جورج) يرجو فيه التوفيق للجيوش العربية	٤٢٧

الشخصيات الرئيسية
التي ورد ذكرها في الوثائق
أو أسهمت في إعدادها

آللنبي، ادموند هنري (١٨٦١ ـ ١٩٣٦):



ادموند هنري آللنبي (الماريشال واللورد). ولد في نوتينغهامشاير بإنكلترة. وتخرج في الأكاديمية العسكرية الملكية في ساندهرست سنة ١٨٨٢، وخدم في الهند، وحارب في جنوب أفريقية، ولما نشبت الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤ قاد فرقة من الخيالة إلى فرنسة واشترك في معارك الجبهة الفرنسية.

بدأت خدمة آللنبي في البلاد العربية في حزيران/ يونيو سنة ١٩١٧، وبها بدأت شهرته الحقيقية ونجاحه. وقد تولى قيادة ما سمّي «الحملة الاستطلاعية المصرية» وحقق انتصارات حاسمة على الأتراك في غزة في تشرين الثاني/نوفمبر ١٩١٧ وبذلك مهّد لفتح القدس في الشهر التالي. وفي تلك الأثناء كان جيش الثورة العربية الشمالي بقيادة الأمير فيصل قد استولى على العقبة، فاعتبر آللنبي ذلك الجيش جناحاً أيمن له. ثم تلكأ تقدم قواته بعض الشيء، بسبب نقل قطعات عديدة منها للقتال في الجبهة الفرنسية، ولكنه بعد حصوله على تعزيزات جديدة تقدم بقواته في أيلول/سبتمبر ١٩١٨ شمالاً حتى بلغ مشارف دمشق مع القوات العربية، ولكن سمح للأمير فيصل بدخول دمشق قبله لإثبات الوجود العربي فيها.

وفي ٣١ آذار/مارس سنة ١٩١٩ عُيِّنَ آللنبي مندوباً سامياً في مصر خلفاً للجنرال السير ريجنالد وينغيت، وتميز عهده بنشوب الثورة المصرية التي ردت عليها السلطات البريطانية بإجراءات قمع شديدة وبنفي سعد زغلول وأصحابه إلى جزيرة سيشيل بعد أن كان قد أفرج عنه من منفاه في جزيرة مالطة.

عاصر آللنبي أيضاً سلسلة المفاوضات الفاشلة بين مصر وبريطانية، ومنح لقب

«الورد» و«فايكاونت» في تشرين الأول/أكتوبر سنة ١٩١٩، وقد استقال من منصبه في مصر سنة ١٩٢٥ عائداً إلى إنكلترة، وتوفي في عام ١٩٣٦ عن ٧٥ عاماً.

بلفور، آرثر جيمس (١٨٤٨ ـ ١٩٣٦):

ولد آرثر جيمس بلفور لأسرة اسكتلندية عريقة، ودرس في مدرسة «إيتن» ثم في جامعة كمبردج، وعلى أثر تخرجه انتخب لعضوية مجلس العموم عن حزب المحافظين، وكان في بداية حياته العملية سكرتيراً خاصاً لخاله روبرت سيسل، ثم تقدم بصورة سريعة، واشترك في الوزارة للمرة الأولى مع ساليزبوري في وزارته الثانية فأصبح وزيراً لشؤون إيرلندة وكان وزيراً قوياً وناجحاً، وعلى أثر تقاعد اللورد ساليزبوري في سنة ١٩٠٢ عهد إليه برئاسة الوزراء، ولكنه فشل في الانتخابات العامة لسنة ١٩٠٥، وفي سنة ١٩١١ استقال من رئاسة الحزب فخلفه فيها «بونار لو»، ثم عاد إلى الحكم في الحكومة الائتلافية التي أُلّفت على أثر نشوب الحرب العالمية الأولى، فأصبح وزيراً للبحرية في وزارة «آسكويث» ثم وزيراً للخارجية في وزارة «لويد جورج» (١٩١٦ ـ ١٩١٩).

وفي سنة ١٩١٧، وخلال الحرب العالمية أصدر تصريحه سيء الصيت حول إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين، وكان ذلك بضغط من حاييم وايزمان وناحوم سوكولوف وغيرهما من اليهود ذوي النفوذ في بريطانية. وقد جاء التصريح أو الوعد في صيغة كتاب موجه إلى البارون روثتشايلد رئيس الفرع الإنكليزي لأسرة مصرفية يهودية.

وعلى الرغم من مسؤولية بلفور عن تصريحه، فإنه جاء ناطقاً باسم «الحكومة البريطانية» ومعبراً عن سياستها، ولم يكن تصريحاً شخصياً.

أما الدوافع السياسية التي حدت بالحكومة البريطانية على إصدار هذا التصريح فكانت رغبتها في استمالة العناصر الصهيونية القوية في ألمانية والنمسا خاصة، وفي سائر أنحاء العالم بصورة عامة، وكذلك إيمانها بمقدرة اليهود في الضغط على الرئيس الأميركي ويلسن لحمله على دخول الحرب في وقت لم تكن الولايات المتحدة قد قررت فيه دخولها بعد. وقد يكون من أهم تلك الدوافع أيضاً ما ارتأته

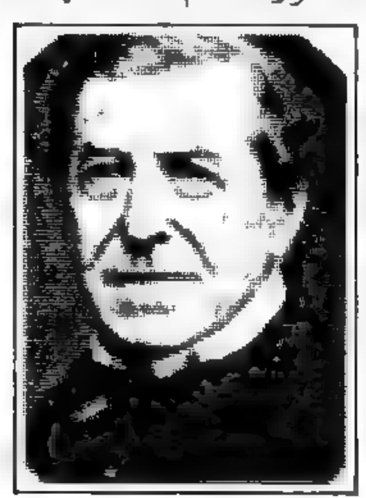
الحكومة البريطانية من أنه يؤدي إلى جعل فلسطين، المتاخمة لقناة السويس، منطقة نفوذ بريطانية تحمي مركزها في مصر وتحقيق الهدف الاستعماري الذي بدأ بسياسة «بالمرستون» ـ رئيس الوزراء الأسبق ـ الذي دعا عام ١٨٤٩ إلى زرع كيان استيطاني في فلسطين ليكون حاجزاً بين مصر والمشرق العربي، ويشق الوطن العربي شقّين، وبذلك يقلل من إمكانات قيام كيان عربي موحّد متماسك قد يكون في المستقبل قوة ذات شأن تهدد مصالح الإمبراطورية.

تولى بلفور بعد الحرب الوزارة مرتين في سنتي ١٩١٩ و١٩٢٥، وكان مسؤولاً إلى حد كبير عن المفاوضات التي حددت العلاقات بين بريطانية والدمنيونات. وفي سنة ١٩٢٥ شارك في افتتاح «الجامعة العبرية» بالقدس فاستقبلته فلسطين، والأكثرية العربية الساحقة فيها، بالإضراب العام. ولما ذهب إلى دمشق بطريق عودته استقبل بمظاهرات صاخبة، واضطرّت السلطات الفرنسية إلى تهريبه تحت حراسة مشددة.

وليس هنالك اسم بغيض على أسماع العرب والمسلمين مثل اسم بلفور الذي يعد تصريحه الآثم رمزاً للمغالطة الانتهازية واللاأخلاقية السياسية واللاإنسانية وتشجيعاً لاغتصاب وطن وتشريد شعب بكامله بصورة لم يسبق لها في التاريخ مثيل.

تشلمزفورد، فريدريك جون (اللورد) (١٨٦٨ ـ ١٩٣٣):

ولد سنة ١٨٦٨ لأسرة نبيلة ودرس في جامعة أوكسفورد، ثم نال شهادة المحاماة، وكان عضواً في مجلس مقاطعة لندن (١٩٠٤ ـ ١٩٠٥) في السنة الأخيرة عين حاكماً لكوينسلاند في أوسترالية فحاكماً لمقاطعة نيوساوث ويلز (١٩٠٩ إلى ١٩١٣). ولما نشبت الحرب العالمية الأولى التحق بالجيش في الهند وفي نيسان/إبريل ١٩١٦ عينّ نائباً للملك في الهند إلى سنة ١٩٢١ وبعدها تقلّد وزارة البحرية في أول وزارة عمالية في إنكلترة سنة ١٩٢٤. توفي سنة ١٩٣٣.



جمال باشا، أحمد: (١٨٧٢ ـ ١٩٢٢):

وزير البحرية في عهد الاتحاديين. تخرج في المدرسة الحربية وانتمى إلى حزب الاتحاد والترقي وقام بدور فعال في تهيئة انقلاب المشروطية الثاني سنة ١٩٠٨ فأصبح من أكثر رجال الحزب نفوذاً. عين والياً عسكرياً في آطنة سنة ١٩٠٩ وبغداد سنة ١٩١١ ثم إستانبول. عين وزيراً للبحرية، ولما نشبت الحرب العالمية الأولى عين قائداً للجيش الرابع ووالياً عسكرياً في سورية، وهناك نكّل بأحرار العرب، وأعدم عدداً كبيراً منهم ولقّب بالسفاح. عاد إلى تركية، ولما انتهت الحرب بهزيمة ألمانية وتركية هرب على باخرة ألمانية (مع طلعت وأنور) وفي سنة ١٩٢٢ قتله شخص أرمني من تفليس.

خالد بن لؤي (... ـ ١٩٣٣):

خالد بن منصور بن لؤي، من أشراف الحجاز ومن العبادلة (نسبة إلى عبد الله من ذوي حمود). كان أميراً للخُرمة (قرب الطائف). وعند نشوب الثورة العربية وجهه الشريف (الملك) حسين مع ابنه عبد الله لحصار بقايا الأتراك في الطائف، ثم للمرابطة بوادي العيس في شرقي المدينة. واعتدى أحد شيوخ عتيبة على خالد، ولم ينتصر له عبد الله، ففارقه خالد وعاد إلى الخرمة، وكتب إلى عبد العزيز آل سعود، سلطان نجد، يعرض عليه طاعته وولاءه. ولما علم الشريف حسين والشريف عبد الله بالأمر وجها إليه ثلاث حملات صغيرة تغلب عليها خالد، وبعد انتهاء الحرب العامة زحف الأمير عبد الله بقواته على «الخرمة»، ودخل «تربة» القريبة منها. وأرسل ابن سعود قوة صغيرة على رأسها «سلطان بن بجاد» ـ شيخ عتيبة ـ لمساعدة خالد، وبوغت عبد الله بغارة «الإخوان» يتقدمهم خالد وسلطان، فكانت وقعة «تربة» المشهورة في سنة ١٩١٩، وقد نجا منها عبد الله بصعوبة. اشترك خالد بن لؤي في حصار جدة بعد تنازل الملك حسين لابنه الملك علي، ثم أقام مع الملك عبد العزيز بن سعود في مكة إلى أن اعتزم الملك عبد العزيز أن يستولي على عسير، فرافق خالد القوات السعودية واشترك في الهجوم على بلدة

«صبيا»، فمرض في «أبها» وأبى إلاّ مرافقة الجند، ومات قبيل دخول صبيا عن نحو سبعين عاماً.

رفيق العظم (١٨٦٧ ـ ١٩٢٥):



من رجال النهضة الفكرية في سورية ومن علمائها الأفاضل. ولد في دمشق، ونشأ ميالاً إلى التاريخ والأدب وزار مصر في صباه ثم استقر فيها سنة ١٨٩٨ وشارك في كثير من الأعمال والجمعيات الإصلاحية والسياسية والعلمية ونشر بحوثاً في كبريات الصحف. وشارك في كثير من الأعمال والجمعيات الإصلاحية والسياسية والعلمية. انتخب رئيساً لحزب «اللامركزية» الذي أسسه عدد من المثقفين السوريين، وقام بدور كبير في الحركة القومية العربية، وكان حزباً معتدلاً هدفه السعي لاتخاذ اللامركزية أسلوباً للحكم في الولايات العثمانية بمنح كل ولاية قسطاً من الاستقلال الإداري لكي تستطيع تنفيذ الإصلاحات الضرورية ومقاومة الاعتداء الأجنبي إذا تعذرت مساعدة الدولة المركزية لها، لئلا يتكرر ما حدث في طرابلس الغرب. وقد أنشئت للحزب فروع في شتى المدن السورية والعربية الأخرى.

كان رفيق العظم أحد «السوريين السبعة» الذين قدموا إلى وزير الخارجية البريطانية ـ بواسطة المندوب السامي في مصر ـ مذكرتهم المشهورة (انظر نصها في الوثيقة رقم ١٥٦ ص ٣٩٨ من هذا الجزء). وقد حاول الملك حسين أن يوثّق صلاته بالسوريين المقيمين في مصر، فدعا رفيق العظم، بوصفه رئيساً لحزب اللامركزية، إلى زيارة الحجاز في نيسان/أبريل سنة ١٩١٧، ولكن رفيق العظم اعتذر بانحراف صحته.

له مؤلفات كثيرة منها «أشهر مشاهير الإسلام في الحرب والسياسة» في أربعة أجزاء، و«البيان في كيفية انتشار الأديان».. إلخ. وبعد وفاته صدرت في القاهرة مجموعة من مقالاته بعنوان «آثار رفيق بك العظم».

سايكس، السير مارك (١٨٧٩ ـ ١٩١٩):



سياسي ودبلوماسي بريطاني، كاثوليكي، درس اللغات والعلوم الشرقية في جامعة كمبردج وقام برحلات واسعة في أنحاء الدولة العثمانية وألف بضعة كتب عنها. وكان قبل الحرب العالمية الأولى قنصلاً في السفارة البريطانية في إستانبول لفترة قصيرة. انتخب عضواً في مجلس العموم عن حزب المحافظين ثم عمل في وزارة الخارجية في مناصب مختلفة وعينه اللورد ملنر مستشاراً للشؤون الشرقية في مكتب رئيس الوزراء. وقد اشتهر اسم مارك سايكس بأنه أحد طرفي اتفاقية سايكس ـ بيكو، ولكن المؤرخ توينبي (الذي زامله في الوفد البريطاني إلى مؤتمر الصلح في باريس) يقول إن مارك سايكس شوّهت سمعته ظلماً إذ حملت الاتفاقية السرية اسمه مع أنه لم ينضم إلى المحادثات الخاصة بها إلاّ قرب نهايتها ليحل محل السير هارولد نيكلسن الذي ترأس المفاوضات حتى تلك اللحظة. (انظر: Arnold J.Toynbee, *The Western Question in Greece and Turkey* London, 1922, p.48)، وهناك ملاحظة مماثلة في مذكرات لويد جورج وفي مصادر أخرى يتبين منها أن مارك سايكس لم يكن راضياً كل الرضى عن تلك الاتفاقية وأنه كان يعمل على تعديلها. وقد توفي سايكس في بداية مؤتمر الصلح، على أثر إصابته بالانفلونزا وهو في الأربعين من عمره.



ستورز، السير رونالد هنري أمهرست *Storrs, Sir Ronald Henry Amherst* (١٨٨١ ـ ١٩٥٥):

ولد في بيوري، سنت ادموندز، بمقاطعة سفولك وتخرج في جامعة كمبردج سنة ١٩٠٣ وفي السنة التالية دخل الخدمة المدنية البريطانية في مصر وقضى في وظائفها خمس سنوات درس خلالها اللغة العربية. وفي سنة ١٩٠٩ عين سكرتيراً شرقياً للوكالة البريطانية في القاهرة مع غورست ثم مع كتشنر، ولما نشبت الحرب العالمية الأولى بقي

ستورز في الوكالة سكرتيراً شرقياً مع السير هنري مكماهون وكان على صلة وثيقة بمفاوضاته ومراسلاته مع الشريف وذهب إلى جدة لمقابلته وإجراء محادثات معه بشأن الثورة العربية. ويشير إليه لورنس كثيراً في «أعمدة الحكمة السبعة». عين في سنة ١٩١٧ حاكماً عسكرياً على القدس ثم حاكماً مدنياً لها في سنة ١٩٢٠ حتى بداية الانتداب، ثم عين حاكماً لقبرص، وكان حاكماً لها عند نفي الملك حسين إليها، ولم يعامله هناك بالاحترام اللائق به كملك سابق، ثم عين ستورز حاكماً لشمال روديسيا وعلى أثر انتهاء خدمته في عام ١٩٣٢ تقاعد عن العمل لسوء صحته وعاد إلى إنكلترة وتوفي عام ١٩٥٥ ـ له كتاب مهم يروي فيه سيرته وذكرياته وعن أعماله عنوانه [Orientations] نشر سنة ١٩٣٩.

أمير اللواء شكري (باشا) الأيوبي (١٨٥١ ـ ١٩٢٢):

من رجالات سورية الوطنيين، ولد في دمشق وتخرج في الكلية الحربية في الآستانة، وعمل في الحقل الوطني العربي، اعتقله جمال باشا (مع شكري القوتلي وفارس الخوري وآخرين) بعد تنفيذ أحكام الإعدام بالشهداء العرب في ٦ أيار/ مايو، وحل الديوان العرفي، واستصدر حكماً بإعدامهم بتهمة التآمر لإشعال ثورة عربية للانتقام من جمال، ولكن ديوان التمييز العسكري في العاصمة نقض تلك الأحكام، فأصرّ جمال على بقائهم معتقلين، فبقي الأيوبي معتقلاً في سجن (خان البطيخ) بدمشق، وأنزل به أشد أنواع التعذيب وهو رجل مسن وقور، حتى مغادرة جمال سورية.

ولما اقترب فيصل من دمشق طلب إلى أعوانه فيها تسلم زمام الأمور حال انسحاب الأتراك، ورفع العالم العربي على أبنية الحكومة، وقد تسلم الأيوبي إدارة دمشق من وكيل الوالي التركي قبيل مغادرته، فبقي على رأسها لمدة يومين حتى وصل فيصل وعين علي رضا باشا الركابي حاكماً عسكرياً على دمشق وشكري الأيوبي حاكماً عسكرياً لبيروت، وطلب إليه التوجه إليها في الحال لإعلان قيام الحكومة العربية فيها ورفع العلم العربي بناء على طلب أهلها، فذهب على رأس قوة صغيرة، فاستاء الفرنسيون لهذه الخطوة وحملوا الجنرال اللنبي على إصدار أمر بإنزال الأعلام العربية وانسحاب شكري الأيوبي، فرفض الأيوبي الاستجابة لهذا الأمر، ولكن اللنبي نفّذ ذلك بالقوة، فاضطر الأيوبي إلى العودة إلى دمشق وعين

بعد ذلك حاكماً عسكرياً على حلب، ولكنه نقل منها بعد حوادث الأرمن، وعين جعفر العسكري خلفاً له.



علي رضا (باشا) الركابي (١٨٦٦ ـ ١٩٤٢):

كان من أبرز الشخصيات السياسية في سورية في عهد فيصل، وأول رئيس للوزراء في حكومتها العربية. ولد في دمشق، وتخرج في المدرسة الحربية في إستانبول وتدرّج في المناصب العسكرية حتى رقي في سنة ١٩١٢ إلى رتبة لواء وعين قائداً في القدس ثم محافظاً وقائداً في المدينة المنورة، ثم نقل إلى العراق. أحيل على التقاعد سنة ١٩١٤ بعد أن أشار على الدولة العثمانية بالبقاء على الحياد في الحرب العالمية الأولى، وعاد إلى دمشق قبيل الثورة. ولما دخل الجيش العربي دمشق سنة ١٩١٨ عين حاكماً عسكرياً لسورية. وقد بقي الركابي في هذا المنصب حتى خلفه فيه الأمير زيد، فنقل مديراً للحربية (أي وزيراً للدفاع) حتى إعلان الاستقلال وتتويج فيصل، فكان أول رئيس للوزراء بعد الاستقلال. ولما احتل الفرنسيون سورية غادرها إلى شرق الأردن وتولى رئاسة الوزراء فيها مرتين، وعاد إلى سورية في سنة ١٩٢٦ معتزلاً السياسة وأقام في دمشق حتى وفاته.

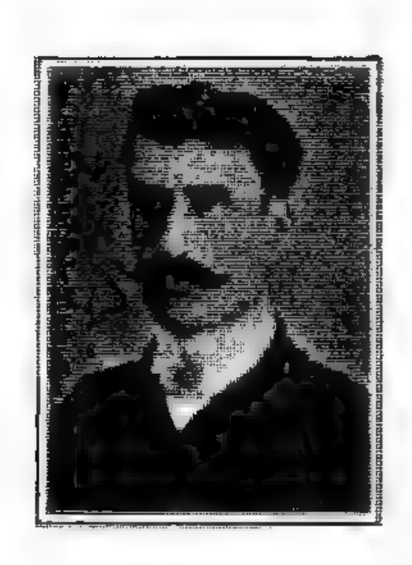
الشيخ عودة أبو تايه (١٨٥٨ ـ ١٩٢٤):



زعيم حويطات التوايهة الذين يقيمون عادة حوالى معان. ومن أشهر فرسان البدو في تلك الفترة. قام بدور مهم في عمليات الثورة ودعم الجيش الشمالي. وتحدث عنه لورنس كثيراً في «أعمدة الحكمة السبعة» وكتاباته الأخرى.

فؤاد الخطيب (١٨٨٠ ـ ١٩٥٧):

من رجال الملك حسين ووزير خارجيته ومحرر جريدته (القبلة)، وكان من كبار شعراء العرب المعاصرين، وأصبح سفيراً للمملكة العربية السعودية في كابل.



ولد في قرية «شحيم» من أعمال جبل لبنان، وكان والده الشيخ حسين الخطيب رئيساً لمحكمة جبل لبنان، ودرس في بيروت، واشترك في الجمعيات العربية السرية التي كانت تعمل على استقلال البلاد العربية، وكان أحد مؤسسي «حزب الاتحاد اللامركزي»، وظهرت موهبته الشعرية في سن مبكرة، ونشر قصائد وطنية كثيرة. انتقل إلى يافا لتدريس اللغة العربية في بعض مدارسها، ولما بدأ جمال باشا التنكيل بالوطنيين كان فؤاد الخطيب أحد الذين حكم عليهم المجلس العرفي في «عاليه» بالإعدام، وفي ذلك قال:

حكموا عليّ بأن أموت وما دروا ⁂ أني بلغت من الخلود مرادي

وتمكن من الفرار إلى مصر، حيث توطدت علاقاته بكبار شعرائها، ثم انتدب للتدريس في (كلية غوردون) بالخرطوم، وبقي هناك حتى سنة ١٩١٦ فلما أعلن الشريف حسين الثورة العربية، وظهرت الحاجة إلى إصدار جريدة تنطق بلسانها، اختاره الإنكليز لتحرير هذه الجريدة التي سميت (القبلة) وأوفد إلى الحجاز لهذه الغاية. وبعد أن قام بتحرير الجريدة مدة من الزمن عين وكيلاً لوزارة الخارجية ثم وزيراً للخارجية[(١)] ثم تألفت الحكومة العربية في دمشق، وبويع الأمير فيصل بن الحسين ملكاً لسورية، فعين فؤاد الخطيب معتمداً للحكومة الحجازية لديها، وعاد بعد معركة ميسلون والاحتلال الفرنسي لسورية إلى مكة فأصبح وزيراً للخارجية حتى انتهاء الحكم الهاشمي في الحجاز، وبعده انتقل إلى شرقي الأردن في عام ١٩٢١ مستشاراً (للأمير) عبد الله ولكنه استقال وغادر عمان في عام ١٩٣٩، واستقر في لبنان، وبقي فيها حتى سنة ١٩٤٥، ثم عرض خدماته على الملك عبد العزيز آل سعود فاستدعاه الملك عبد العزيز إلى الرياض وجعله مستشاراً له، ثم عين وزيراً مفوضاً للمملكة العربية السعودية في كابل، فبقي فيها نحواً من عشر

---

(١) كان الأتراك منذ أواخر العهد العثماني يسمون الوزير وكيلاً، وقد انتقل هذا المصطلح إلى الحجاز مع الشريف الذي قضى في تركية سنوات طويلة وتعود على المصطلحات التركية وصار يستعملها في مراسلاته وأعماله الرسمية. ولذلك فإن تعبير (وكيل الخارجية) الوارد في هذه الوثائق يعني (وزير الخارجية).

(ن. ف. ص)

سنوات، وتوفي فيها. نشر ديوانه في القاهرة في عام ١٩٥٩ بعد وفاته بسنتين.

مكماهون، السير آرثر هنري (Sir Arthur Henry MacMahon) (١٨٦٢ ـ ١٩٤٩):



المندوب السامي البريطاني في مصر، وصاحب المراسلات الشهيرة مع الشريف حسين أمير مكة. درس في كلية هيليبري وكلية ساندهرست العسكرية، وتخرج ضابطاً في الجيش سنة ١٨٨٣، ثم انتقل إلى الدائرة السياسية لحكومة الهند، وعين في بلوجستان في سنة ١٩٠١ وتنقل في المناصب الإدارية حتى تقلد منصب سكرتير الشؤون الخارجية لحكومة الهند البريطانية (١٩١١ ـ ١٩١٤) وكان سنة ١٩١٣ ـ ١٩١٤ المفوض البريطاني لعقد المعاهدة مع الصين والتبت. وعين في أواخر سنة ١٩١٤ أول مندوب سام لمصر بعد إعلان الحماية، وحضر مؤتمر الصلح في سنة ١٩١٩ مندوباً عن بريطانية في اللجنة الدولية للشرق الأوسط.

نوري الشعلان (١٨٧٤ ـ ١٩٤٢):

نوري بن هزّاع بن نايف الشعلان: شيخ مشايخ «الروله» من عنزة. كانت إقامته على الأكثر في جهات قرية «عذّره» شرقي دمشق، مع عشيرته، وهم من العرب الرحل. وكان قد اغتال شقيقين له في شبابه لينفرد بالحكم فانقادت إليه قبائل «الروله»، وخافته بادية الشام. وقد صانع الحكومات المتعاقبة في سورية من عثمانية، وعربية، وفرنسية، على اختلاف ألوانها، وفاز بعطاياها، وجمع ثروة ضخمة، وسكن دمشق حتى وفاته، ودفن في قرية «عذّره».

كوكس، السير برسي (Sir Percy Cox) (١٨٦٤ ـ ١٩٣٧):

المقيم السياسي البريطاني في الخليج العربي خلال الحرب العالمية الأولى. تخرج في الكلية العسكرية وخدم في الهند والصومال ثم عين مقيماً سياسياً وقنصلاً في مسقط عام ١٨٩٩ وكانت هذه بداية علاقة طويلة له بمنطقة الخليج العربي والعراق



حيث أصبح بعد ذلك مقيماً سياسياً في الخليج العربي وقنصلاً عاماً في بوشهر وتوثقت علاقات متبادلة من الثقة والاحترام بينه وبين الشيخ خزعل حاكم المحمرة والشيخ مبارك الصباح حاكم الكويت وبواسطته دخل في علاقات مع عبد العزيز بن سعود الذي تنبأ كوكس بأنه سيكون له شأن كبير في الجزيرة العربية. وفي أوائل سنة ١٩١٤ عينّ سكرتيراً للشؤون الخارجية لحكومة الهند، ثم ذهب إلى العراق مع الحملة البريطانية بصفة ضابط سياسي. أرسل في سنة ١٩١٥ وزيراً مفوضاً في طهران ثم عين مندوباً سامياً في العراق بعد إعلان الانتداب ودبر ترشيح فيصل وانتخابه ملكاً للعراق. حصل كوكس في جنوب إيران والخليج العربي والعراق على سمعة ومكانة لم ينلهما بريطاني آخر، وذلك بسبب شخصيته وكفاءته واستقامته وأصبح في العراق أشبه بأسطورة، وكان رجال العشائر يسمونه (كوكز) وسمى بعضهم أبناءهم باسم (كوكز) إعجاباً به. تقاعد عن الخدمة في سنة ١٩٢٣ وعاد إلى إنكلترة وتوفي فيها سنة ١٩٣٧.

اللفتنانت كرنل ويلسن باشا (١٨٧٣ ـ ١٩٣٨):



أول معتمد بريطاني في الحجاز. كان أبوه لواء في الجيش البريطاني، والتحق هو بالخدمة العسكرية سنة ١٨٩٣ ونقل بعد خمس سنوات إلى الجيش المصري وشهد حرب السودان (١٨٩٨) وفي سنة ١٩٠٢ نقلت خدماته إلى الحكومة السودانية برتبة (ميرالاي) بعد استعادة الحكومة البريطانية لهذا القطر. عين حاكماً لمقاطعة سنّار (١٩٠٤ ـ ١٩٠٨) فالخرطوم (١٩٠٨ ـ ١٩١٣) فمقاطعة البحر الأحمر (١٩١٣ ـ ١٩٢٢) واعتزل الخدمة في السنة الأخيرة برتبة لواء في الجيش المصري و(كرنل) في الجيش البريطاني.

لما قامت الثورة العربية في الحجاز سنة ١٩١٦ انتدب قنصلاً في جدة ومعتمداً لدى الشريف حسين الذي أصبح ملك الحجاز. وأدى بهذه الصفة خدمات كثيرة

للقضية العربية، وكان كما يبدو أيضاً من تقاريره ومراسلاته التي فتحت فيما بعد ـ متعاطفاً مع الملك وأبنائه الأربعة، يلتزم جانبهم في المفاوضات ويحث الحكومة البريطانية على مساعدتهم والاستجابة لطلباتهم، كما حاول إقناع ممثل الحكومة الفرنسية جورج بيكو بالتجاوب مع وجهة النظر العربية أو على مزيد من التفهم لها. وترك منصبه في جدة سنة ١٩١٩ وعاد إلى عمله في السودان واعتزل الخدمة في سنة ١٩٢٢ ربما بسبب انحراف صحته.

وينغيت، فرانسيس ريجنالد (١٨٦١ ـ ١٩٥٣):



تخرج في الأكاديمية العسكرية الملكية ضابط مشاة في سنة ١٨٨٠ وغادر إلى الهند وهو ملازم شاب لم يبلغ الحادية والعشرين من عمره. فبدأ حالاً بدراسة اللغات الشرقية، وحصل على أعلى الدرجات في امتحان اللغات العربية والهندية وغيرهما. ثم نقل إلى عدن، ومن هناك رشحه القائد العام للقوات البريطانية إلى السير إيفلين وود، سردار الجيش المصري، للخدمة في مصر، فاختاره السردار مرافقاً له. وعلى أثر نقل السير إيفلين وود إلى إنكلترة تبعه وينغيت وبقي مرافقاً له. ثم عاد إلى الجيش المصري، وعين مساعداً للسكرتير العسكري للجنرال غرانفيل الذي كان سرداراً للجيش المصري، وفي سنة ١٨٨٢ نقل إلى دائرة الاستخبارات العسكرية وخدم فيها لمدة ١٢ سنة، وكان لهذا العمل إلى جانب طابعه العسكري جوانبه الجغرافية والأثنوغرافية واللغوية، وكان من نتائجه وضع الخطوط التي استهدفت القضاء على استقلال السودان. اشترك في حملة إنقاذ غوردون (١٨٨٤ ـ ١٨٨٥) وفي حملة دنقلة (١٨٩٦) وفي حملة (الخرطوم) واشترك خاصة في معركتي عطبرة وأم درمان، وفي هذه الفترة ساعد في تهريب سلايتن باشا والقس أورفالدر وساعدته في ذلك معرفته باللغة العربية. وفي سنة ١٨٩١ نشر كتاباً ضخماً بعنوان «المهدية والسودان».

وعلى أثر نقل اللورد كتشنر إلى جنوب أفريقية عين وينغيت في سنة ١٨٩٩ سرداراً (قائداً) للجيش المصري وحاكماً عاماً للسودان بعد سقوط الدولة المهدية.

وعلى أثر خلاف السير هنري مكماهون مع السلطان حسين كامل واستدعائه من

مصر، عين وينغيت مندوباً سامياً لبريطانية في مصر خلفاً له، مع احتفاظه بمنصبي سردار الجيش المصري وحاكم عام السودان (وقد عين السير لي ستاك باشا نائباً له في السودان). وفي سنة ١٩١٦ عهد إليه بالإشراف على المساعدة البريطانية للملك حسين في ثورته ضد الدولة العثمانية مع منحه لقب (القائد العام) لعمليات الحجاز. وقد عاصر وينغيت في القاهرة الحرب العظمى ووفاة السلطان حسين وتولية السلطان فؤاد (الملك فؤاد فيما بعد) وقيام الثورة الوطنية. وفي عهده تألف الوفد المصري، ورفض سفره إلى مؤتمر الصلح، ومهّد ذلك لانطلاق الثورة، وقد اتهمته الحكومة البريطانية بالتعاطف مع الوطنيين المصريين، ولما تفاقمت الحال في مصر استدعته في ٢١ كانون الثاني/ يناير ١٩١٩ وعينت اللورد اللنبي خلفاً له.

منح وينغيت في سنة ١٩٢٠ لقب «لورد» (بارونيت) وتقاعد عن الخدمة العسكرية في سنة ١٩٢٢، وعاش متقاعداً بعد ذلك لمدة ٣٠ عاماً، وعمّر حتى الثانية والتسعين، وتوفي في ٢٨ كانون الثاني/ يناير ١٩٥٣.

آل رشيد

الأسرة التي حكمت جبل شمّر وحائل نحو ٨٥ سنة، وهي من الجعافر من عبدة شمّر القحطانيين، وأول من تولي الحكم في حائل منها عبد الله بن علي بن رشيد سنة ١٨٣٥، ولاّه إمارتها الأمير فيصل بن تركي آل سعود واستتبّ له الأمر فيها إلى وفاته سنة ١٨٧٤. خلفه ابنه طلال (١٨٢٢ ـ ١٨٦٦)، فوسّع رقعة ملكه واستولى على الجوف وتيماء وخيبر وجانب من القصيم.

تعاقب على إمارة حائل بعد ذلك متعب بن عبد الله وبندر بن طلال ثم محمد الكبير بن عبد الله الذي ولي الإمارة سنة ١٨٧١ بعد أن قتل خمسة من أبناء أخيه طلال. وطّد حكمه ومدّه إلى أطراف العراق ومشارف الشام ونواحي المدينة واليمامة وتغلب على نجد. وانتهز فرصة الخلاف بين أمراء آل سعود فأدخل بلادهم في طاعته. وتوفي سنة ١٨٩٧.

كان أمراء آل رشيد موالين للحكومة التركية وخاضعين لها اسماً. ولما مات محمد خلفه ابن أخيه عبد العزيز بن متعب (١٨٩٧)، وكانت له وقائع مع صاحب الكويت وأمير المنتفق وعبد العزيز آل سعود الذي استرجع منه الرياض مدينة آبائه سنة ١٩٠٢. وقتل عبد العزيز في معركة روضة المهّنا سنة ١٩٠٦ في غارة فاجأه بها ابن سعود. ثم تتابع الأمراء ولم يطل بهم العهد إذ قتلوا وخلعوا حتى ولي

الإمارة المتضائلة سعود بن عبد العزيز بن متعب سنة ١٩٠٨ وهو حدث لا يتجاوز عمره ١٢ سنة. وقد اغتيل سنة ١٩٢٠. وكان آخر أمراء آل رشيد محمد بن طلال الذي انقرضت الإمارة في أيامه عند استيلاء سلطان نجد عبد العزيز آل سعود على حائل سنة ١٩٢٢ ووحدّها مع بلاده.

ولم تعرف أسرة حاكمة في جزيرة العرب كآل رشيد بكثرة اغتيالات أبنائها في سبيل الاستيلاء على الحكم. وازدهرت أيامها فترة من الزمن فقط في عهد أميرها محمد بن عبد الله (١٨٧١ ـ ١٨٩٧).

القسم الأول

الحجاز

١٩١٧ ـ ١٩١٨

(١)
(تقرير)
عن الشخصيات الرئيسية في الحجاز
(أعده الكوماندر دافيد جورج هوغارث)
لاستعمال المكتب العربي في القاهرة(*)

سرّي

الملك

حسين بن علي آل عون:

تولى الإمارة في سنة ١٩٠٨ واتخذ لقب «ملك» في ٢٩ تشرين الأول/أكتوبر ١٩١٦، يبلغ الثالثة والستين من العمر تقريباً، متوسط الطول، ذو ملامح ذكية. بشرته ذات لون فاتح، وملامحه اعتيادية ولطيفة. له عينان واسعتان معبرتان بثّيتان ذواتا نظرات مباشرة تحت حاجبين واضحي الخطوط بقوة وجبهة واسعة. وأنف قصير منحن بشكل دقيق فوق شفة عليا طويلة بعض الشيء. الفم ممتلىء، ولكنه، بالنسبة لشرقي، ليس كبيراً. أما الشفة السفلى فبارزة ومفتوحة. أسنانه حسنة التكوين. والصيانة. اللحية كثة وليست طويلة، رمادية توشك أن تكون بيضاء. اليدان طويلتان قويتان، مع أنامل مستديرة في أطرافها أشبه بأنامل الموسيقيين. مظهره الخارجي لطيف ومجامل إلى درجة تكاد تحسب ضعفاً. ولكن هذا المظهر يخفي سياسة عميقة ودهاء ومطامح واسعة، وبعد نظر غير عربي، وقوة سجايا، وإصرار. يتسم بوجاهة عظيمة في حركاته وتصرفه، ولكنه في الوقت نفسه ذو طريقة في المخاطبة كريمة ومقنعة، كانت جدته شركسية، وهو يتكلم التركية بطلاقة، وبنتيجة إقامته الطويلة في الآستانة يعرف الأتراك جيداً وكذلك شيئاً عن الأوروبيين. ولكنه أنشأ أبناءه منذ عهد دراستهم في الآستانة، على غرار عرب الصحراء، وهو يفرض عليهم احترامه وحتى خشيته. هؤلاء الأبناء هم:

(*) المصـــــــــدر: Hogarth, D.G. "**Hejaz before World War I**", (Falcon-Orleander), Cambridge, 1978, pp.54-74.

علي:

قصير القامة نحيل، يبدو عليه الكبر من الآن، وإن كان عمره ٣٧ عاماً فقط. منحني الظهر قليلاً، وبشرته شاحبة إلى حد كبير، وعيناه واسعتان عميقتان، وأنفه دقيق أقنى بعض الشيء. الوجه متعب قليلاً ومليء بالتجاعيد، والفم معتدل. اللحية قليلة الشعر سوداء. له يدان رقيقتان جداً. وحركاته بسيطة تماماً، ومن الواضح أنه شخص حي الضمير، حذر، لطيف المعشر. سيد كريم بدون قوة في شخصيته، عصبي ومتعب. إن ضعفه البدني يجعله عرضة لنوبات سريعة من الهزات العاطفية، وحالات متتالية من العناد المتردد. والظاهر أنه ليس طموحاً لنفسه، ولكنه سريع الانجراف مع رغبات الآخرين. يعيش في عالم الكتب. حسن الاطلاع على الشريعة والدين. يظهر عليه دمه العربي أكثر من أخوته. كان يمثل والده في المدينة، حيث وقعت على عاتقه قبل الثورة مهمة التفاوض في أمر مرور غالب باشا [والي الحجاز] من بين عشائر حرب لتسنم منصبه في مكة ثم تجنيد كتيبة من العرب من أقوام مختلفة للالتحاق بالقوات العثمانية في سيناء. ولما قامت الثورة تولى القيادة أولاً قرب المدينة، ولكنه تراجع بعد ذلك وتولى إدارة القوة المختلطة في منطقة رابغ. وهو (اسمياً) رئيس وزراء والده. يجيد التكلم بالتركية مثل أخوته جميعاً.

عبد الله:

عمره ٣٥ عاماً، ولكنه يبدو أصغر من ذلك. قصير القامة، ممتلىء الجسم، يبدو قوياً كالحصان، ذو عينين لامعتين لونهما بنّي داكن، ووجه مستدير ناعم، وشفتين مليئتين ولكنهما قصيرتان، وأنف مستقيم ولحية بنّية اللون. وحركاته منفتحة شديدة الجاذبية، لا يتمسك قط بالمراسم، بل يمزح مع رجال العشائر وكأنه أحد شيوخهم ـ في المناسبات الجدية يزن عباراته بدقة، ويبدو مناقشاً حاذقاً، وقد لا يكون ذلك نتاج عقله بقدر ما هو وحي والده. ومن الواضح أنه يعمل لأجل رفعته، وأفكاره العريضة التي تشمل بلا شك تقدمه هو بصفة خاصة. والعرب يعدونه أمهر سياسي، ورجل دولة بعيد النظر: ولكنه ربما كان من الأول في تكوينه أكثر مما فيه من الثاني. يسمى وزير الخارجية في وزارة والده، وهو يبرر ذلك بإظهار معرفته بالعالم الخارجي أكثر مما لدى أخوته. يبدو أنه يفهم الفرنسية،

إن لم يكن الإنكليزية، ويستطيع أن يقرأها، ولكنه، مثل فيصل لا يعترف بذلك، لأن العلاقات الخارجية قد تسيء إلى مكانته. قاد الجيش في الطائف على الدرب الشرقي، وانتقل إلى وادي العيس من الحناكية في كانون الثاني/يناير ١٩١٧.

فيصل:

طويل القامة، رشيق الحركة، نشيط يكاد يكون ملكياً في مظهره، عمره واحد وثلاثون عاماً وطوله حوالي ٥ أقدام و١٠ بوصات ونصف، وخصره ٢٤ بوصة، عريض الكتفين. سريع الحركة لا يستقر، أقوى إخوانه شخصية، وهو يدرك ذلك ويفيد منه. كبير العناية بلباسه، ويكاد يكون مفرطاً في الاحتشام في حديثه. له بشرة صافية كشركسي خالص، مع شعر أسود، وعينين مشرقتين مائلتين قليلاً على وجهه، وأنف قوي، وذقن قصير. يبدو أشبه بشخص أوروبي. وهو حاد المزاج، فخور، وقليل الصبر، غير معقول أحياناً، ويشذّ عن الموضوع بسهولة. يمتلك من الجاذبية الشخصية والحيوية أكثر مما لدى إخوانه، ولكنه أقل حذراً. ومن الواضح أنه ذكي، ولعله ليس عديم المبادىء أكثر مما ينبغي. ضيق الذهن إلى حد كبير، ومتهور حين يعمل بوحي من حوافزه، ولكن لديه عادةً قوة كافية على إعادة التفكير، وعندئذٍ يكون دقيقاً في حكمه. شخصية محبوبة وطموح، ذو أحلام كثيرة، وقدرة على تحقيقها، مع فهم شخصي عميق، ورجل أعمال كفؤ جداً. وهو وزير الداخلية في وزارة والده، ولا شك في أنه أقدر قادته العسكريين. يميل إلى عدم الاهتمام بالتفاصيل، ولا يستطيع الجلوس بلا حراك: كتلة من الأعصاب. وهو يؤلف قوة بين رجال العشائر عامة، ومحبوب جداً في سورية والعراق. قاد جيش والده الشمالي (وهو أوسع جيوشه) منذ حصار المدينة، وتحرك من منطقة ينبع إلى الوجه في نهاية كانون الثاني/يناير ١٩١٧.

زيد:

عمره حوالي عشرين عاماً، وقد غطت عليه كثيراً سمعة إخوانه غير الأشقاء. أمه تركية، وهو على سرها. شغوف بالتجول على ظهور الخيل وتدبير المقالب. لم يعهد إليه حتى الآن واجب مهم، لكنه فعال. وفي تصرفاته شيء من الجفاف، ولكنه ليس شخصاً سيئاً. لديه روح الفكاهة، ولعله أكثر توازناً قليلاً، وأقل انفعالية من إخوانه. خجول. تولى القيادة في ينبع بعد مغادرة فيصل إلى الوجه.

ناصر بن علي:

الأخ الأصغر للملك (حسين) عمره ٥٤ عاماً. كان عضواً في مجلس الأعيان العثماني وأقام في الآستانة معظم الوقت. له ثلاثة أبناء (أو أربعة؟). يقال إنه يؤيد سياسة أخيه، ويشاركه في بعض المصالح المتعلقة بممتلكات العائلة في مصر. كان في الآستانة مع أسرته حينما نشبت ثورة أخيه.

عبد المحسن البركاتي:

ابن إحدى أخوات الملك [حسين]، وكان في السابق وكيلاً رسمياً له في مصر. يمتلك أراضي في صفت اللبان (الجيزة) وتاروت (منيا القمح)، والآن هو قائم مقام مكة لدى خاله.

علي حيدر:

من فرع ذوي زيد، وينحدر من سلالة الأمير عبد المطلب. أقام في الآستانة عدة سنوات كنقيب للأشراف، أو ممثل رسمي لعائلة الشريف، وكان وزيراً للأوقاف. عضو في جمعية الاتحاد والترقي، وعضو سابق في مجلس الأعيان العثماني. متزوج، وزوجته الثانية امرأة إيرلندية له منها ثلاثة أولاد. ابنه الأكبر تعلم في إنكلترة. من دعاة الجامعة الإسلامية، ولكنه يميل إلى تأييد المصالح البريطانية، وله علاقات مع مسلمي الهند. رشح ليكون خليفة بالاسم، مع مقاطعة صغيرة في دمشق أو غيرها، على غرار البابوية، ولكن ليس من المعروف فيما إذا كانت هذه رغبته. وكيله في جدة، أحمد الهزازي، اتهم بالتآمر على الأمير في سنة ١٩١٦، وتعرض بيته للنهب بناء على أوامر صدرت بذلك على أثر احتلال جدة في حزيران/يونيو. أما علي حيدر نفسه فقد رشحه الباب العالي أميراً بعد نشوب الثورة، وأمر بالالتحاق بالمدينة. وصل في أواسط تموز/يوليو، وكان لا يزال فيها في أوائل سنة ١٩١٧.

جعفر باشا:

الأخ الأصغر لعلي حيدر. وقد استبقاه عبد الحميد في الآستانة مثل أخيه. انتمى إلى حزب الاتحاد والترقي، ومع أنه وطني قوي ومن أنصار الجامعة الإسلامية، فإنه مؤيد لبريطانية، يأمل الحصول على استقلال العرب. كان وكيلاً

للاتحاد والترقي في سورية واليمن. متزوج من إحدى بنات السلطان. ذهب إلى المدينة مع أخيه في تموز/يوليو ١٩١٦ ولكنه أعيد في شباط/فبراير سنة ١٩١٧ بسبب الاشتباه في أمره.

سعد الدين باشا:

من ذوي زيد. ابن عم الشريف علي حيدر، وقد أرسله الأخير إلى ابن الرشيد والعشائر في آب/أغسطس سنة ١٩١٥[1]. وذهب إلى حائل مع ممتاز بك وأشرف بك، ولكن يقال إنه عارضهما سراً لأنه من أنصار الوحدة العربية.

شخصيات أخرى

عبد العزيز الطيار (الشيخ):

من المدينة. رئيس فرع شواله من بطن مسروح، قبيلة حرب. يعيش في المدينة دائماً، حيث يتمتع بنفوذ كبير، ولكن ليس له نفوذ خارجها، تاجر غني، وهو الآن طاعن في السن.

عبد الكريم البديوي (الشريف):

من ينبع، عمره ٢٨ عاماً. بشرته سوداء، طويل القامة، فعال، ملابسه من أرخص الأنواع، ولكنه نظيف، ويظهر محترماً أكثر من حقيقته. في ذقنه خصلة شعر سوداء صغيرة، مع شارب طري. متفتح في تصرفه، فيه شيء من روح الفكاهة، سهل العادات، وصريح في كلامه. كفؤ وذكي، ولكنه يتصرف اعتباطاً، وهو عديم الشعور بالمسؤولية. لا يستطيع أن يقرأ أو يكتب. فارس عظيم ويعرف جهينة كلها. يدرك صدارة أسرته بصورة جدية، ويعمل لأجلها أكثر من أخوته. جلب ٦٩٠ خيالاً و٨٥٤ من مشاة فرع الفوقة معه للهجوم على الوجه.

عبد اللطيف المزيني:

من جدة. من عشائر حرب (بني سالم). شيخ نزلة اليمنية وله نفوذ بين

---

(١) الأصح سنة ١٩١٦.

العرب. قصير القامة، أشيب اللحية، لطيف المظهر. وهو الآن أمير البحر (أي مدير الميناء) وإن كان جاهلاً ولا يستطيع الكتابة. يتزعم الحزب المناوىء لمحسن. لا يتمتع بسمعة حسنة.

عبد الملك الخطيب:

جاوي (نسبة إلى جاوة) من مكة. متعلم جيداً، وكان مراسلاً لجريدة (المقطم) في مكة. يتمتع بنفوذ كبير لدى الملك. له أملاك في مكة.

عبد المحسن بن عاصم (الشيخ):

رئيس عشيرة العصوم[1] من عوف برئاسة فرم. عمره حوالي ٥٥ عاماً، محارب مرموق وحامل اللواء التقليدي لبني حرب.

عبد المحسن صبحي (الشيخ):

رئيس فرع صبح من بني سالم (عشيرة حرب) يعيش في المستورة. ذو سمعة حسنة، ولكنه ليس رجلاً قوياً ذا نفوذ.

عبد القادر العبدة (الشيخ):

من شيوخ مكة. عينه أمير مكة مراقباً لشؤون «المتوفين» الجاويين. قضى بضع سنوات في جاوة ويتكلم لغتها. غني، وله تجارة واسعة، التحق بالشريف فيصل في دمشق سنة ١٩١٦، مع إشعار من الأمير بأن الثورة ستبدأ قريباً. عين مديراً عاماً للبريد في الحجاز في حزيران/يونيو ١٩١٦ ولكنه استقال فيما بعد وعين متصرفاً لينبع (بلا راتب) ليعمل مع جيش فيصل، وفي كانون الثاني/يناير ١٩١٧ استدعي إلى الوجه.

رجل في حوالي الخامسة والأربعين من عمره، أسمر البشرة، أشيب اللحية، وله عينان ناعمتان واسعتان جداً. ربما يجري في عروقه شيء من دماء الشرق الأقصى أو الشرق الأوسط. رجل أعمال جيد، نشيط، كفؤ، وسريع. مجامل

---

(١) العصوم فرع من فخذ «زبيد» من بطن «مسروح» وليس من «عون» وربما اشتبه الأمر على كاتب الوثيقة (انظر: فؤاد حمزة، قلب جزيرة العرب، القاهرة، ١٩٣٣، ص ١٤٣).

(ن.ف.ص)

جداً للبريطانيين وأفضل رجل يمكن التعامل معه في ساحل الحجاز. له عقلية تحب التعرف على الأمور، ذكي، متعلم، وغير متحيز، ولكنه شخصياً غيور، وصعب بالنسبة لمرؤوسيه وزملائه.

عبد الرحمن بن جنيد:

من جدة. تاجر، يملك سفناً شراعية وينقل الأسلحة.

عبد الرحمن بشناق (الشيخ):

من مكة. رئيس البلدية.

عبد الرحمن (السيد):

من الرويس، على بعد ساعة شمالي مكة. تاجر أسلحة مهم. معادٍ للأتراك.

عبد الرؤوف جمجوم:

من جدة. أصله مصري. تاجر عام. عضو مجلس البلدية. غبي، عنيد، في حوالي الثلاثين من عمره.

عبد الله بن دخيل (الشيخ):

أحد شيوخ «الرسّ» يقود الآن حرس فيصل الخاص من العقيلات. رجل ذو وجه طويل نحيل مع أنف طويل أقنى، وذقن مدبب ووجنتين مرتفعتين وفكين غائرين. داكن البشرة، لحيته سوداء لامعة وكذلك شارباه. هادىء جداً، وقلّما يثبت وجوده، ولا يصدر أوامر لجماعته إلاّ حينما تكون المعركة وشيكة، وعندئذٍ يصحو ويتولى قيادة الأمور بأنشط وأكفأ ما يكون. انضباطي صارم، استثار جماعته على العصيان في الوجه في ١٠ شباط/فبراير سنة ١٩١٧. وهو محارب ذو خبرة، شجاع جداً، ويعتمد عليه. لم يسافر كثيراً خارج مناطق القصيم والدواسر ومكة، ولكنه مهذب ولديه حب استطلاع تجاه ما هو أجنبي ـ سنه تتراوح بين ٣٥ عاماً و٤٠ عاماً.

عبد الله سراج (الشيخ):

وزير العدل لدى الملك. مفتي الحنفية السابق وشيخ الإسلام. صديق شخصي

للملك. في نيسان/أبريل ١٩١٦ ـ في مناسبة زيارة الجمعة التي يقوم بها الوجوه إلى دار الإمارة في مكة، أثار قضية الحصار البريطاني الوشيك وطالب باتخاذ إجراءات قائلاً إن شعب الحجاز سيقضى عليه إذا لم تتخذ التدابير مع بريطانية. وهو رجل في حوالي السادسة والأربعين، طويل القامة جداً ونحيل، طويل الوجه والأنف، ذو لحية قصيرة. يتمتع بسمعة عالية ويعهد إليه الملك بسلطات واسعة.

عبد الله بن ثواب (الشريف):

من أشراف عتيبة. أمير المقاطعة. في حوالي الأربعين من عمره. يعمل مستشاراً للشريف زيد. جيد التعليم وذو نفوذ كبير. كان في ينبع في تشرين الأول/أكتوبر سنة ١٩١٦.

عبد الله الزواوي (السيد):

مفتي الشافعية في مكة وأحد ممثلي الأشراف في المجلس التشريعي. في حوالي الخامسة والستين. صديق الملك، وإن كان في السابق ضده. سمعته حسنة. غني وذو نفوذ بين العرب.

عبد الله أبو زنده:

من جدة. عبد سابق لذوي زيد من مكة. مضارب صغير. مؤيد للأمير ومعاد للأتراك.

أبو بكر خويقير (الشيخ):

عضو المجلس التشريعي، يمثل السكان المدنيين.

أبو جريدة:

من مكة. كان قائداً لقوات الأمير بعد أبنائه. كان يحمل رتبة (بيكباشي) العثمانية. متفان لأجل الملك. عبد سابق، لعشيرة شهران من بيشة، التي يأتي منها معظم حرس الأمير.

أحمد الهزّاع (الشريف):

من أبناء عمومة ابن ثواب. يقيم على بعد حوالي ٦ ساعات من مكة. رجل في

حوالي الثامنة والعشرين، ذو وجه مربع ملامح صغيرة اعتيادية، وتعبير بطيء ولكنه لطيف. صامت جداً، ويطيع الأوامر بدقة. ليس ذكياً. بشرته داكنة اللون يقود مع ابن حارث كتيبة عتيبة المرهقة مع فيصل.

أحمد باهارون:

من جدة. عضو مجلس البلدية. في حوالي الستين. موسر الحال. تقي وغبي.

أحمد الهزازي:

من جدة. مغربي. وكيل ذوي زيد والشريف علي حيدر. تآمر على الشريف بصورة فعالة قبل سنتين. وعلى أثر سقوط جدة أمر الشريف بنهب داره.

أحمد الملاّ:

من جدة. قبل الحرب كان وكيلاً لشركة البواخر العثمانية. وهو تاجر سجّاد من بخارى. مؤيد للأتراك، ولكن نفوذه قليل جداً.

أحمد بن منصور الكريمي (الشريف):

من فخذ زبيد (قبيلة حرب). في حوالي الرابعة والخمسين من العمر. يعيش في بير ابن حصاني. ذو نفوذ ومتعلم جيداً. مع الشريف علي في رابغ. جاء مع الشريف زيد إلى القضيمة في أيلول/سبتمبر ١٩١٦ لقبول استسلام حسين بن مبيريك. لا يمكن الاعتماد عليه كلياً.

أحمد بن محمد أبو طقيقة:

عينه الأتراك رئيساً للحويطات الذين يقيمون في ساحل المدينة. مقره في ضبا. أزاح ابن عمه شاذلي العليان، الرئيس الشرعي. أعلن ولاءه للشريف في كانون الثاني/يناير ١٩١٧ وطرد الأتراك.

أحمد صافي (السيد):

من المدينة. في حوالي الخامسة والخمسين. ينتمي إلى أهم عائلة في البلدة بعد المدني. غني وله نفوذ كبير في البلدة ولكن ليس خارجها.

أحمد طلعت:

سكرتير الشيخ محسن في جدة. يوثق به ومؤيد لبريطانية.

علي بن عبد الله (الشيخ):

رئيس بني علي، فخذ شيعي من بني عوف، كان على خلاف دائم مع الحكومة التركية، وكان رجال عشيرته يقطعون الطريق ويسلبون القوافل. في حوالي السبعين من عمره. تاجر.

علي الحبشي (السيد):

من المدينة. تاجر حبوب وأخشاب غني. أبناء عمه، عبد الله وجعفر وهاشم يعملون في تجارته أيضاً.

علي لطف الله:

من جدة. من أصل سوري. عضو المجلس البلدي. متطفل. عنيد. تاجر حبوب كبير. في حدود الخامسة والستين.

علي المالكي:

من مكة. وزير المعارف في مجلس وزراء الملك.

علي بن عريد (الشريف):

رئيس (الحوارث) وهي عشيرة سلاّبة. من بلدة المضيق. مرافق الشريف عليّ. أرسل إلى نوري الشعلان في صيف سنة ١٩١٦. يوثق به.

علي الشركسي:

من مكة. عضو المجلس التشريعي للأمير، يمثل العنصر المدني.

أنور أشجي:

من المدينة. من عائلة تركية تقيم هناك منذ مدة طويلة. رئيس البلدية.

أسعد دحام بن أحمد (الشيخ):

من مكة. من مستشاري الملك المفضلين. رجل متوسط القامة، ذو وجه مستدير شاحب. مع عينين غامقتي اللون ولحية بيضاء. في حدود الستين.

عاصي بن عطية:

منافس لسليم بن حرب في رئاسة بني عطية. انضم إلى الشريف فيصل في شباط/فبراير ١٩١٧. مهم.

عطاس حضرمي:

من جدة. أحد العلماء والتجار الرئيسيين. يمتلك سفناً شراعية ويتاجر بالحبوب مع «ميدي»[1]. العمر حوالي الأربعين. معاد للأتراك.

عبده ابن زويد:

من ينبع. رئيس جهينة الرفاعية (٢٦١ من الهجانة و٨٣٦ من المشاة) في حوالي الأربعين من عمره. رجل داكن البشرة قصير القامة مظهره يدل على الذكاء، له لحية تشبه لحية الماعز، وفم طويل وشفتان دقيقتان، وهو بصورة عامة مقطب، ولكن كثيراً ما تنفرج أساريره المتجعدة عن ابتسامة حكيمة تنم على الرضى. عيناه منحرفتان إلى الأعلى بعض الشيء، وفيهما بريق مؤكد. طماع، يتودد إلى الأجانب، ولديه عادة روح الفكاهة. ولكنه عرضة لنوبات من حدة المزاج، ويقال إنه في إحداها ألقى بجنديين ألمانيين من بعثة فون ستوتز ينغن إلى الكواسج في ميناء ينبع. وهذا في رأيه أعظم منجزاته. ولكن أهل ينبع واثقون أن الحادث لم يقع قط. وقد ساعد في فرار بعض أعضاء البعثة براً، ثم سلبهم في منتصف الطريق إلى أملج.

عواد سلامي (الشيخ):

رئيس قسم «الرحالة» من بني سالم (قبيلة حرب). يعيش بين المدينة وبير راحة. عمره حوالي الستين. معارض فعال للأتراك. حليف للحويفية والعصيدية وبني علي.

---

(١) ميدي: ميناء في اليمن على ساحل البحر.

بالاراج:

من الليث. التاجر والمقاول الرئيسي للحكومة للتزويد بجميع التجهيزات العسكرية.

باناجه الحضرمي (عائلة):

من مكة وجدة، يعملون في التجارة مع الهند والسواحل، ويمتلكون السفن الشراعية ويسيرون حملات الأسلحة (مثلاً: إلى القنفذة في الحرب التركية ـ الإيطالية) رجالها المهمون هم:

عبد الرحمن، من جدة، رئيس العائلة. سجنه الأتراك مرة.

عبد الله، من جدة، أخوه، منحه الأتراك لقب باشا. رئيس اللجنة العليا للمدينة. رجل كبير السن أبيض الشعر.

أحمد بن عبد الرحمن، من مكة، ابن المذكور أولاً، يقال إنه أغنى السكان. أمين صندوق البلدية. في حوالي الثلاثين من عمره، طويل القامة، جاحظ العينين، طويل الوجه والأنف، لحية سوداء متناثرة، وشارب طويل معتدل، عهد إليه الملك بمنصب وزير المالية في أول وزارة له، انفصل عن أبيه والشركة، واستقل بعمله. كان يقوم بإدارة أعمال الأمير قبل الثورة.

بركات الأنصاري (السيد):

من المدينة. رجل غني ذو نفوذ كبير في البلدة، في حوالي الخامسة والستين.

بركات بن سمياح:

يعمل قائداً لقوات الهجانة لدى فيصل، برئاسة الشيخ يوسف خشيرم.

باصبرين الحضرمي:

من جدة. ينتمي إلى عشيرة عمودي من حضرموت. عالم في جدة خلال عشرين سنة الماضية. من مصوّع سابقاً. العمر حوالي الثمانين. تعلم في زبيد. سمعته حسنة ومحبوب.

بازازه (بيت):

يتاجرون في جدة والسويس والإسكندرية. أحمد بازازه كان مساعداً لمدير الميناء في جدة. يمتلك سفناً شراعية وقد سير حمولات الأسلحة خلال الحرب التركية ـ الإيطالية. من أصل مصري.

بدر بن شفيع:

الأخ الأصغر لمحمد بن شفيع. عربي جميل الطلعة متوسط الطول، نحيف البنية، ذو لحية سوداء كثة وشاربين. كثير الكلام مثل أخيه تقريباً، ولكن صوته أوطأ، ولا يظهر بمظهر المغفل، على الرغم من أنه ليس ذكياً. متراخ. لا يقوم بدور كبير في الأمور، يبدو في الخامسة والثلاثين من العمر. يعيش في ينبع.

فائز بن غصين:

من عرب السلوط في اللجاة، الآن في الحجاز يعمل سكرتيراً لسيدي فيصل. كان أول رسول لفيصل إلى نوري الشعلان في كانون الثاني/يناير ١٩١٧. جيد التعليم، وكان في السابق قائم مقام (عقيد) في الجيش التركي. يتكلم ثلاث لغات. أرسلناه إلى العريش في سنة ١٩١٧ ليفاوض العشائر.

فائز الذويبي:

من فرع بني عمر من عشيرة حرب (انظر ناهس الذويبي) كان رسولاً من الشريف علي إلى أبيه قبل ثورة حزيران/يونيو سنة ١٩١٦.

أحمد فوزي البكري:

من دمشق (من نسل الخليفة أبي بكر). ابن عطا باشا البكري المتوفى سنة ١٩١٥ ذهب الآن إلى الحجاز والتحق بالأمير في حزيران/يونيو ١٩١٦، وفي كانون الأول/ديسمبر كان وزيراً للخارجية بالنيابة. عمره حوالي ٣٤ عاماً، كان عضواً في الجمعية الإصلاحية. غني، سراح، ذو نفوذ، صديق شخصي للملك ولفيصل. له عداوة عائلية مع عبد الرحمن باشا اليوسف.

فتن بن محسن (الشريف):

من مكة. ممثل الأشراف في المجلس التشريعي.

فؤاد الخطيب:

وكيل وزارة الخارجية، كان في مصر في حزيران/يونيو ١٩١٦ بإجازة من الخرطوم، حيث كان موظفاً لدى حكومة السودان. ومنها أرسل إلى مكة لتحرير جريدة «القبلة». رجل ذكي ومتنور ويمكن الاعتماد عليه، وهو يفهم الوضع الدولي بدرجة جيدة.

غالب البديوي (الشريف):

أخ غير شقيق لمحمد علي البديوي، وبنفس العمر ولكنه يبدو أكبر. له لحية طويلة بيضاء شعثاء. له عينان تميل قرنيتهما إلى البياض، بالي المظهر. كثيراً ما استبقي في ينبع ليتولى الإمارة بينما يكون إخوانه مشغولين.

حافظ محمد أفندي أمين المكي (الشريف):

من مكة. وزير الأوقاف ومدير الحرم. يشرف على التبرعات والرسوم للأغراض الدينية. رجل متوسط الطول أشقر، له سمعة جيدة كرجل منصف، له خلق رضي.

حامد بن رفادة:

ابن عم سليمان. التحق بفيصل في سنة ١٩١٦، وهو مرشحه لمشيخة بلي.

حمزة الفعر (الشريف):

من أشراف عتيبة (فرع برقة)[1] يعيش في مكة وعضو في المجلس التشريعي.

حسن بن ناصر بن ذياب (باشا):

الرئيس الرسمي لفرع الأحامدة من بني سالم (قبيلة حرب) وورث لقبه، هو مثل والده «باب عرب» أو وسيط بين الحكومة والعشائر. يتسلم ٦٠ جنيهاً شهرياً من الأتراك. عمره حوالي ٤٥ عاماً. علاقاته ودية مع شيوخ حرب الرئيسيين ومحبوب

(١) تلفظ برقاء.

من العشائر. عادل ولبق. مندوب من المدينة إلى مؤتمر حزب الاتحاد والترقي في إستانبول في أيلول/سبتمبر ١٩١٦ ابنه حسين في خدمة الحكومة.

حازم (الشيخ):

مراقب النقل على الجمال برئاسة أمير مكة وقام بإدارة الحج في سنة ١٩١٦. قيل عنه غير موال في السر. صديق الخديوي السابق. سمعته ليست جيدة.

حسين بن فوزان:

رئيس عشيرة الصحف من بني عوف (حرب). يعيش في عسفان على الطريق بين مكة ورابغ، وهو مع جماعته مسؤول عن معظم عمليات السلب في منطقة مكة ـ جدة وإن كان هو نفسه يحاول أن يكبح جماح رجاله. في حوالي الخمسين من عمره، وهو شيعي.

حاضر العبد الإله:

من مكة، رئيس شرطة البادية سابقاً، مكلف بحماية طرق القوافل إلى المدينة. ذو نفوذ.

حسين بن مبيريك:

رئيس فرع زبيد من عشيرة مسروح (قبيلة حرب) وواحد من أقوى شيوخ حرب. يقيم في رابغ. رجل ذو سلطة عظيمة يحلو له أن يخاطب بألقاب رنانة. يمتلك سفناً شراعية وتبادل مراسلات مع خفر البحر الأحمر حول المصادرات والاتصالات الأخرى، ولكن لم يزره حتى الآن أي ضابط سياسي. يجب أن يعامل معاملة ممتازة وبحذر. في سنة ١٩١٦ جمع حوالي ٤,٠٠٠ رجل واستولى على كمية كبيرة من المال كانت في طريقها من المدينة إلى مكة لاستعمال الدولة العثمانية الرسمي. انضم إلى ثورة الأمير في حزيران/يونيو ١٩١٦، ولكن بدون حماسة كبيرة، وعارض في نزول الكتيبة المصرية لأول مرة في رابغ. تراسل مع الأتراك وقبل منهم الرشوة. حجز تجهيزات الأمير وحولها. في آب/أغسطس انسحب إلى الداخل واحتل الأمير زيد رابغ بالقوة. وبعد ذلك شق طريقه إلى المدينة والتحق بالأتراك بصورة قاطعة، ولكن روي في تشرين الثاني/نوفمبر أنه يحاول مفاوضة الأمير. لا يمكن الوثوق بأنه يخدم مصلحة غير مصلحته الخاصة.

إبراهيم نائب الحرم (السيد):

من مكة. عضو المجلس التشريعي. يمثل العنصر المدني.

إسماعيل بن مبيريك:

أخو حسين. يعيش في بئر الماشي.

جابر العياشي (الشريف):

أكبر شيوخ جهينة. يعيش في ينبع النخل. في حوالي الرابعة والأربعين من العمر، مؤيد للشريف وقد أرسله فيصل إلى سليمان بن رفادة في أيلول/سبتمبر ١٩١٦، ويتبعه كثير من أعضاء عشيرة جهينة المستقرين.

محمود عاشور:

من جدة. مصري (أصله من الأقصر). تاجر حبوب وصاحب سفن شراعية. عاقل ولكنه ليس لامع الذكاء في حوالي الخامسة والستين.

منصور بن عباس:

رئيس الظواهر، أكبر أفخاذ بني سالم (قبيلة حرب) يعيش في الحمرا. في حوالي الستين من عمره، كريم، منصف ومحبوب لدى العشائر. أخوه ناصر مهم أيضاً.

محمد عابد (الشيخ):

من مكة. مفتي المالكية. ممثل الأشراف في المجلس التشريعي. في حوالي الخامسة والستين، ذو سمعة جيدة، ولكنه ليس ذكياً. صديق الملك.

محمد علي البديوي (الشريف):

يقول إن عمره واحد وأربعون عاماً. على وجهه آثار الجدري. مصاب بالزهري والتهاب الأجفان: يكاد يكون أعمى. داكن لون البشرة جداً، مع لحية خشنة مبعثرة بيضاء وشاربين قصيرين خشنين. رديء الملبس، ويسير حافي القدمين عادة. تصرفاته خشنة للغاية وغير مهذبة. ومظهره كله فظ. متوسط الطول

والبنية. شكوك بطبعه، لا يتمتع بشيء من روح الفكاهة. ولكنه وغد مرح، والتعامل معه لا بأس به. إمارته على جهينة موروثة ولا ينازع عليها. وهو من الشرفاء الحسنيين، فرع بني جاف (الشرفاء الآخرون في جهينة هم العياشة، والهاجري، والمحمدي) وهو لا يكاد يكون مقبولاً في الحلقة الداخلية للمجتمع الشريفي في مكة وإن كانوا يعترفون بصحة نسبه. كان مؤيداً للأتراك ثم أصبح معادياً لفيصل نتيجة للنفوذ الذي كان يتمتع به بين جهينة. في سنة ١٩١٠ ذهب إلى العقبة نيابة عن شريف مكة للتوسط في نزاع عائلي بين الحويطات، وله نفوذ عظيم هناك، شأنه في كل مكان من شمال الحجاز. التحق بفيصل في أملج في ١٨ كانون الثاني/يناير وكان مفيداً جداً في الزحف على الوجه، وعين بعد ذلك أميراً على ضبا. بسبيل أن يفقد بصره.

محمد علي لاري:

من جدة. تاجر سجاد غني. قنصل إيران، بهائي ومؤيد لإنكلترة. جيد التعليم وذكي.

محمد أفندي نصيف:

كان وكيلاً فخرياً للأمير في جدة. محب للإنكليز وجدير بالثقة. أملاكه كثيرة في جدة. وله منزل جيد وهو حسن التعليم. عضو المجلس، ولكنه لا يشارك في الوقت الحاضر، يرغب في التجنس بالجنسية البريطانية. معارض للأشراف. وهو ابن عمر نصيف الذي ينحدر من أصل مصري. في حوالي الثانية والثلاثين. يمارس التجارة على نطاق واسع. رجل مهيب الطلعة خيّر المظهر ذو نظارتين.

محمد بن علوي السقاف:

من مكة. يلقب «شيخ السادة». أرسله الملك بمهمة خاصة إلى عشائر عدن في تشرين الثاني/نوفمبر ١٩١٦ ـ رجل متعلم ذو نفوذ. ينتمي إلى طبقة السادة في حضرموت. تاجر له علاقات في سنغافورة.

محمد علي أبو شرين (الشريف):

يقود كتيبة أشراف جهينة المؤلفة من ٢٧٠ فارساً و٢٩٦ من المشاة. شريف هاجري، في حوالة الخامسة والخمسين من عمره مع وجه متعب مجعد مليء بالحفر

والحبوب. لحية بيضاء طويلة وشفتان مسترخيتان، يتكلم كثيراً، ولكنه مجامل، ويسره دائماً أن يخاطب. أسرته معروفة، ربما بسبب شيء فعله أقرباؤه إذ إن سلطته الشخصية ضئيلة.

محمد بن عارف عريفان (الشيخ):

من القضيمة في وادي أثول، شيخ من فخذ «زبيد» من بطن «مسروح» من قبيلة «حرب». يعيش على مسافة ساعة واحدة في الداخل من رأس عرب (مخلوخ). كان موضع ثقة أمير مكة، ولكن يجب أن لا يوثق به كثيراً حينما يتعلق الأمر بمصالح رئيسه الأعلى حسين بن مبيريك. استخدمناه في معظم اتصالاتنا الأولى مع الأمير، ودبر نقل الأسلحة والتجهيزات وإنزالها. رتب اللقاء بين الشريف زيد والمندوبين البريطانيين في ٦ حزيران/يونيو ١٩١٦، وكذلك انسحاب حامية الإدريسي من القنفذة في آب/أغسطس. له سبعة أبناء. يدّعي أن له نفوذاً بين زبيد ودوراً في مقتل ستة من الألمان في مكان يبعد ثلاث ساعات عن قريته في أيار/مايو سنة ١٩١٦. زعيم حزب في جدة.

محمد بن حمد (الشيخ):

من شيوخ عوف (قبيلة حرب) يعيش في رابغ وهو صديق لحسين بن مبيريك. أسرته حكمت عوف منذ أيام الرسول. عمره حوالي ٤٥، غني، ولكنه بخيل وغير محبوب. يؤجر الجمال للحج، يوافق على غارات رجال عشيرته عليها، ثم يحصل على حصته من الغنائم.

محمد بن جبارة السراسيري:

قاد قوات بني إبراهيم (١٩١٦ فارساً و٨٠٠ من المشاة) في التقدم على الوجه، في حوالي الثلاثين من عمره، بلون القهوة، قصير القامة، صغير الجرم، ذو رأس ووجه صغيرين وأنف أقنى قليلاً، وعينين بنيّتين كبيرتين، وشفتين دقيقتين مضمومتين، وذقن دقيق. كلامه يدل على العزم، ولكن وجهه فيه ندوب الجدري ويكاد يوحي بالشر. لحيته صغيرة جداً، وكذلك شارباه، وليست له أهداب. يبتسم فجأة، وعندئذٍ تسترخي تعابير وجهه. شخص حذر، وقلّما يتكلم. شيخ جهينة المستقرة في وادي ينبع. تربطه صلة مصاهرة بسليمان بن رفادة. كان يقبض من الأتراك، ولكنه الآن مؤيد لملك الحجاز بقوة.

محمد بن صالح الغنيم:

الشيخ السابق لبني غنيم من بطن «موسى» من قبيلة جهينة. و«أمير العرب» في أملج. ثار على الأتراك في نهاية سنة ١٩١٥ مع ابنه سعد، خليفته في المشيخة، وقطع الطريق على قوافل التموين بين الوجه وأملج (حيث يقيم). أرسل ابنه إلى المدينة، حيث قابل الأخير الشريف علي ولدى عودته حاصر موقعين تركيين. في أيلول/سبتمبر سنة ١٩١٦ حينما أعاد الأتراك احتلال أملج، قيل إنه تراجع إلى الداخل وإنه يجمع عشائره لمقاومتهم. كبير السن لا ترجى منه فائدة كبيرة (انظر سعد الغنيم).

محمد بن شفيع:

من أسرة من العامة، ومن عشيرة حرب، ولكن من الفرع الذي يعيش في وادي ينبع، وهو في المجتمع «جهيني» أكثر منه «حربي»، وكذلك في لهجته. قوته (٩٥ هجانة، ٤٠٠ مشاة) مؤلفة من أطراف جهينة. عمره حوالي خمسين سنة، قصير القامة جداً وبدين وغامق البشرة وله وجه مستدير غائر، وشفتان غليظتان وأنف قصير أشمّ، وجبين منتفخ، ولحية بيضاء كثة، وشاربان مثلها. قذر المظهر، سيء اللباس، في غاية النشاط، ينتقل هنا وهناك طيلة النهار ولسانه يثرثر بصوت عال، يكاد يكون صبيانياً، له ضحكة ذات صوت أجش، وحركات غليظة. لا يستطيع أن يحكم على الأشياء، ويحمل بكل جدّ أغرب الشائعات كمعلومات ثمينة، بحيث كان من العبارات التي ذهبت مثلاً في المعسكر قولهم «أنباء ابن شفياع». وهو أضحوكة الجميع، ولكن ذلك يسرّه، لأنه ييسر له سبيل التعرف على الأشخاص من أسر الشيوخ.

ابنه «صالح» يافع في حوالي السابعة عشرة، سريع، لطيف المعشر، وذكي، أبلى بلاء حسناً في الهجوم على الوجه من البحر. هادىء.

محمد نور:

من جدة. المطوف الرئيسي للحجاج. يؤيد الشريف محسن.

محسن الفرم (الشيخ):

من شيوخ بطن «الفردة» من قبيلة حرب. يقال إن له سلطة قوية على قسم كبير من بني مسروح. يمتلك أراضي في العوالي، قرب المدينة ومراعي حول أبو مغير،

على مسيرة خمسة أيام باتجاه الشمال الشرقي، على طريق مكة ـ حائل كان مع «شمر أسلم»، يقاتل ابن الرشيد، وأسس له قاعدة موقتة في «تشاباده».

محسن بن منصور الكريمي:

من شيوخ بني «مسروح» وهم أحد بطون «حرب». يتبع أمير مكة، ويوصف في السواحل بأنه «أمير حرب» (وهو لقب وراثي يشترك فيه مع أخيه أحمد) تولى في حزيران/يونيو ١٩١٦ قيادة القوات العربية التي هاجمت الأتراك في جدة. رجل طويل القامة، نشيط ذو عزيمة ماضية. يناهز عمره الأربعين، خالط الشيب شعره ولحيته. له عينان حادتان. قائد جدة العسكري، ولكنه غير مؤهل بطبيعته للتدريب على الإدارة المدنية (لا يستطيع أن يقرأ أو يكتب جيداً). شجاع ولكنه وحشي في أساليبه. يخشاه أهل المدن ويكيدون له، باستثناء خيرة الأشراف هناك. مؤيد لبريطانية.

رجا بن خلوي:

تميمي (من ولد محمد) من قبيلة حرب. يقيم في جدة منذ مدة طويلة. وهو وكيل سري لحسابات فيصل. رجل من أسرة طيبة وموثوق. ذهب إلى الشريف عبد الله في كانون الثاني/يناير ١٩١٧ مقترحاً وجوب انتقاله إلى «وادي العيص». في حوالي الثانية والأربعين من عمره. ضخم مع شعر غامق اللون وبشرة فاتحة. لحية كثة، جبين وأنف مرتفعان. جيد الملامح. مقبول ظاهرياً وجشع سلاب.

سعد بن عروبجي (الشيخ):

شيخ فرع بني عمر من حرب. يعيش في محدث بين رابغ والمدينة. من سلابي الحج سيئي السمعة.

سعد الغنيم:

شيخ بني موسى من قبيلة جهينة. رجل قصير القامة أسمر اللون متين البنية، مع وجه مستدير يكسوه الشعر. تعبير وجهه قاس، وله سمعة بأنه وحشي. غير متعلم تماماً، محارب ممتاز، وإن كان غير حذر، يمكن إثارته بسهولة، ولذلك لا يصلح لقيادة جيش، ولكنه نصير ممتاز. أتباعه الشخصيون هم مراوين جهينة، وقد أعطى ٦٠٠ منهم إلى أبيه، محمد بن صالح الغنيم، واستبقى لنفسه ٧٠٠ شخص من أجل حملة الوجه.

سعد الحويفي:

شيخ قسم الهدافة من بني سالم (حرب). يعيش قرب المدينة ويعارض الأتراك في كل شيء. في حوالي الخامسة والأربعين، محبوب لدى العشائر لا ينهب.

صالياح (الشيخ):

من مكة. مسؤول عن مخازن الأسلحة. رجل طويل القامة في حوالي الستين من عمره، ذو عينين زائغتين وأسنان مكسورة. بشرة داكنة ولحية قصيرة بيضاء.

سليم بن حرب:

شيخ بني عطية، يعيش في تبوك.

شاذلي العليان:

الرئيس الشرعي المخلوع للحويطات على ساحل المدينة. (انظر أحمد بن محمد أبو طقيقة) أعلن ولاءه لملك الحجاز.

شاكر بن زيد بن فواز العبادلة (الشريف):

من مكة. أمير عتيبة في مكة. من أقرباء الأمير وصديقه الشخصي. أرسل في مهام سرية. مثلاً: صحب الشريف زيد لمقابلة المندوبين البريطانيين في ٦ حزيران/ يونيو ١٩١٦، في حوالي الخامسة والثلاثين من عمره، على وجهه آثار الجدري الكثيفة. متوسط الطول، شعره ذو جدائل على الطريقة البدوية. الشخص الثاني في القيادة بعد الأمير [عبد الله].

الشيبي (عائلة):

من مكة. قريشيون. سدنة الكعبة (يفتحون بابها في اليوم الثالث للحج) الأعضاء الرئيسيون هم:

محمد صالح الشيبي (الشريف): سادن الكعبة. نائب رئيس المجلس التشريعي، وممثل الحرم المكي. رجل قصير القامة أسمر اللون في حوالي السبعين من عمره. قيل إنه ضد الملك.

الأسرة الشريفية الحاكمة(*)

محمد بن عبد المعين بن عون
(أمير، ١٨٢٧ ـ ١٨٥١) و(١٨٥٦ ـ ١٨٥٨)

- عبد الله (الأمير، ١٨٥٨ ـ ١٨٧٧)
  - ابن توفي في صغره
  - علي (= رحه) (الأمير ١٩٠٥ ـ ١٩٠٧) عزل. يعيش في مصر
    - عبدالله
    - عبد المحسن
  - محمد
- علي
  - حسين (الأمير ١٩٠٨ ـ)
    - علي
    - عبدالله
    - فيصل
    - زيد
  - ناصر
  - رحه (= علي)
- حسين (الأمير ١٨٧٧ ـ ١٨٨٠) قتل
- عون الرفيق (الأمير ١٨٨٢ ـ ١٩٠٥)
  - محمد عبد العزيز (نفي ـ يقيم في القاهرة وإستانبول)
- عبد الإله (الأمير ١٩٠٧ ـ ١٩٠٨)
- سلطان

(*) عضو من عشيرة ضاوي زيد المنافسة التي كانت في السلطة قبل ١٨٢٧، أي عبد المطلب ابن الأمير غالب وحفيد الأمير ابن مساعد، عين أميراً من ١٨٥١ إلى سنة ١٨٥٦، ومرة أخرى في سن طاعنة، من ١٨٨٠ إلى ١٨٨٢ بعد مقتل الأمير حسين.

عبد القادر الشيبي (الشريف): عضو المجلس التشريعي وممثل عن الحرم المكي.

شرف بن راجح (الشريف):

من فرع العبادلة من مكة. صديق الملك. قصير القامة، متين البنية، بشرته ذات لون فاتح. لحية قصيرة مهذبة. عينه اليسرى تزوغ، وإن كانت قد تحسنت مؤخراً بنتيجة عملية، على وجهه تعبير قاس وابتسامة ساخرة، رجل صامت، ذو وجه ينم على الذكاء الشديد، مع قوة خلقية واضحة. الناحية القوية فيه هي العادات العشائرية، التي له بها معرفة عظيمة، ويقال إنه حذر جداً في الأمور، ولكنه قاس. كان قائم مقام وحاكماً للطائف، في عهد الأتراك، وكان رئيساً للأركان أو مستشاراً لفيصل، وتولى القيادة عنه في غيابه. رجل صاعد ورجعي إلى حد كبير، وشكوك.

سليمان (باشا) بن رفادة:

الرئيس الأعلى لقبيلة بلي. يقيم في الوجه حيث يحتفظ بحرس مسلح. ابن عمه عمدة لفرع من القبيلة نفسها قرب باليانة، في مصر العليا. الأخير أرسل من قبلنا بمهمة لدى الأول في نيسان/أبريل ١٩١٥، ولكن بدون نتيجة. يقال إن سليمان اصطدم في سنة ١٩١٥ بحاكم الوجه العثماني، وأنه انفصل بعشيرته عن الأتراك رافضاً السماح لولديه أن يخدما في الجيش العثماني. بواخرنا واجهت صعوبات مع سفنه الشراعية في البحر الأحمر، وفي حزيران/يونيو سنة ١٩١٦ علم أنه كان ميالاً إلى ثورة الأمير، وإن الشريف عليّ رشحه كوسيط يمكن عن طريقه إرسال ستورز إلى القوات التي تحاصر المدينة. ومع ذلك فإن الأتراك استمالوه وفي آب/أغسطس زار دمشق وقوبل بمظاهر عديدة من الاهتمام، وفيما بعد ادعى أن ذلك كان (قوة قاهرة) وقيل إنه جلس على التل مبقياً على صلته بالأتراك. وقد أعلن نفسه حليفاً للأتراك ولكنه يعطف على الأمير. تخلت عنه عشيرته بعد سقوط الوجه في كانون الثاني/يناير ١٩١٧، ولكن يتوقع أن يتبعها.

سليمان بن سعيد (الشريف):

من مكة. ممثل الأشراف في المجلس التشريعي.

سليمان قابل:

من جدة. طويل ونحيف ذو وجه أسمر لطيف وعينين ذكيتين. كان «رئيساً للبلدية» في عهد الأتراك، والرسول الرئيسي لإقناع الأتراك بالاستسلام في حزيران/يونيو ١٩١٦. أعاد الأمير تعيينه رئيساً للبلدية، وبصفته هذه تسلم «المحمل» المصري في سنة ١٩١٦ تاركاً انطباعاً جيداً لدى القائد البحري البريطاني (الأميرال). صادق وذكي. عمره حوالي الأربعين.

سرور الصبان:

من مكة. كبير تجار الجلود في الحجاز. له وكالات في جدة والقنفذة وميدي. مؤيد للأتراك وضد البريطانيين.

طاهر بن مهنا (الشريف):

«رئيس دائرة الرقابة» في جدة. ينحاز إلى عبد اللطيف المزيني. أمره أمير مكة بمرافقة وكيله في تسلم المحمل من الباخرة البريطانية (تشرين الأول/أكتوبر ١٩١٥). عضو مجلس البلدية. جاهل ومشاغب. وصف بالمتمرد ذي الأنف المشابه «لقنينة»، يقال إن الأمير، وهو قريبه، أرسله إلى جدة للتخلص منه.

وصل الله بن وسيم (الشيخ):

يقيم على مسافة ساعتين جنوبي جدة. ينتمي إلى فخذ زبيد من قبيلة (حرب). تاجر السلاح الرئيسي في الحجاز، ضد كل سلطة، تركية كانت أم شريفية.

يوسف خشيرم:

من جهينة، ولكنه حضري يعيش في المدينة. مكتنز الجسم متوسط الطول، شكله ساميّ بدرجة مفرطة. رئيس مالية فيصل والمسؤول عن شؤون التموين. لديه روح الفكاهة، كفؤ وعملي.

يوسف بن سالم قحطان:

من مكة. وزير الأشغال العامة. كان لمدة طويلة مسؤولاً عن تنظيف المدينة وتموينها وتوزيع الزيت على المساجد هدية من الحكومة. للملك ثقة عظيمة برأيه.

رجل في نحو الخامسة والستين من عمره، متوسط الطول، أبيض البشرة، مستدير الوجه، ذو لحية تميل إلى البياض غير كثيفة، وعينين ضيقتين (من الشكل الجاوي).

زينل علي رضا (عائلة)

من مكة وجدة. تجار حبوب وبضائع عامة، ومعظم تجارة الهند بأيديهم. ولكنهم لا يتجهون إلى التجارة الساحلية. وكلاء بواخر. من أصل فارسي، وسمعة جيدة.

عبد الله: من مكة. عضو في المجلس التشريعي. يمثل العنصر المدني.

حسين: من جدة. رئيس الشركة، عمره حوالي الستين.

ابنه **محمد**: عمره حوالي اثنين وثلاثين كان نائباً عن جدة في مجلس المبعوثان العثماني.

ابن آخر **قاسم**: مساهم في الشركة ووكيلها في الخارج. كان نائباً في مجلس المبعوثان، وهو عضو فعال في الحزب العربي الذي يعنى بالتعليم العربي.

FO 371/3044 (1173)

(٢)
(برقية)
من مستر غراهام ـ روما
إلى وزارة الخارجية ـ لندن

الرقم: ١ التاريخ: ١ كانون الثاني/يناير ١٩١٧

أعلنت وكالة أنباء «ستيفاني» اعتراف بريطانية العظمى وفرنسة وإيطالية بشريف مكة ملكاً للحجاز.

قضية إنزال
قوات أجنبية في الحجاز

FO 371/3042 (1189)

(٣)

(برقية)

من السير ريجنالد وينغيت ـ المندوب السامي البريطاني (القاهرة) إلى وزارة الخارجية ـ لندن

الرقم: ٤ التاريخ: ١ كانون الثاني/يناير ١٩١٧

برقيتي رقم ٨٦ وبرقية القاهرة رقم ١١٠٥.

الشريف مستمر في اعتراضه على إنزال قوات مسيحية في رابغ فوراً وقد أبلغته أن موقفه سيحرر حكومة صاحب الجلالة من أية مسؤولية أخرى في هذه القضية، وأن هذه القوات ووسائط نقلها لم يعد من الممكن إبقاؤها في السويس.

إنني أنتظر الرد الرسمي من الشريف على آخر اتصال أجريته معه حول الموضوع، ولكن إلاّ إذا فرّ الأعراب فراراً جماعياً ـ وفي تلك الحالة يصبح من الصعب وصول اللواء من السويس في الوقت المناسب لإنقاذ رابغ ـ فإنني لا أتوقع أن يطلب إرسال قوات بريطانية قبل حدوث أزمة بالفعل تنتج عن هجوم تركي ناجح. ويتم في الوقت الحاضر عمل كل شيء لتقوية موقع المطار في رابغ للدفاع عنه بواسطة الحامية الصغيرة من جنود الجيش المصري. إن إخلاءنا لهذا المكان سيكون ضربة قوية لهيبتنا، وقد صدرت الأوامر للقائد البريطاني بالدفاع عن موقعه إلاّ إذا هاجم الأتراك بقوة تجعل الدفاع غير ممكن.

ويصرّ الشريف على طلبه بإرسال قوات من المسلمين إلى هناك. والكرنل ويلسن على ثقة من أن كتيبتين من السنغاليين الفرنسيين أو قوات (غير مسيحية) أخرى لتعزيز الحامية الصغيرة الحالية بحيث تستطيع الصمود، بدعم بحري، ضد أية قوة قد يستطيع العدو إحضارها.

إنني أتفق بأن الإخلاء الكامل لرابغ من جانبنا سيكون له تأثير الكارثة على هيبتنا وعلى معنويات العرب. وعلى العكس من ذلك، وحين يتقدم الأتراك، فإن احتلالنا لموقع المطار في رابغ، حتى لو فقدت السيطرة على الآبار، سيؤدي إلى إرباك تحركات العدو، وربما سيحول دون انهيار مقاومة العرب. وعليه فإنني

أوصي بقوة بالقيام بمحاولة أخرى لحث الحكومة الفرنسية على الموافقة على إرسال كتيبتين سنغاليتين موجودتين في جيبوتي الآن، وقوة فرنسية من السويس، إلى رابغ فوراً، بعد أن تم الإعلان بشكل خاص عن أن هذه القوات مطلوبة بشكل عاجل للتعاون مع الحامية البريطانية ـ المصرية التي تدافع عن موقع المطار قرب مرفأ رابغ.

(مكررة إلى حكومة الهند).

FO 371/3042 (5379)

(٤)
(برقية)
من السير ريجنالد وينغيت ـ القاهرة
إلى وزارة الخارجية ـ لندن

الرقم: ١٥ التاريخ: ٦ كانون الثاني/ يناير ١٩١٧

برقيتي رقم ٤.

تسلمت الآن طلباً رسمياً من الشريف لإنزال قوة بريطانية في رابغ من أجل الدفاع عنها ضد هجوم تركي محتمل وتوفير قاعدة يتجمع فيها المجندون العرب.

وبناء على ذلك اتخذت ترتيبات مع القائد العام في مصر من أجل إرسال اللواء البريطاني الذي تم اختياره من قبل للقيام بهذه المهمة، من السويس إلى رابغ بأقرب وقت ممكن. وسيبحر البريغادير جنرال مودج الذي يتولى قيادة هذا اللواء مع كتيبة متقدمة ومجموعة من سلاح الهندسة الملكي وآخرين تم اختيارهم، في غضون ثلاثة أيام. وسيتم منحه رتبة جنرال فرقة. وستعهد إليه قيادة جميع الوحدات الأجنبية (بريطانية، وفرنسية ومصرية) العاملة في الحجاز. وسيحتفظ الكرنل ويلسن بمسؤوليته السياسية وسيقوم هو والعاملون معه وبضمنهم البعثة العسكرية بقيادة اللفتنانت كرنل نيوكمب، بالعمل كمستشارين سياسيين وضباط استخبارات، إضافة إلى تولي مهمات الارتباط بين الجنرال مودج والشريف وقادته العسكريين.

وقد شرح للشريف بوضوح الهدف من إرسال هذه القوة إلى رابغ، كما أفهم أيضاً بأنه مسؤول عن بقاء الكتيبة البريطانية بمأمن من تدخل الشيوخ والعشائر العربية. وقد طلبت إليه أيضاً أن يحيطني علماً بالخطوط العامة لدعايته في تبرير وصول قوات مسيحية إلى الحجاز.

وطلبت إلى الشريف أن يبلّغ أنجاله في الميدان بأننا إذ نحمي الوضع في رابغ، فيجب القيام فوراً بشن هجوم شديد على خطوط مواصلات الأتراك في المدينة.

إنني على اتصال بالكولونيل بريمون حول إرسال كتيبة فرنسية إلى رابغ مع المواد الموجودة في السويس الآن وأية وحدات فرنسية أخرى تكون قد أرسلت إلى هناك حالما تتيسر واسطة للنقل.

(مكررة إلى الهند).

FO 371/3042 (6216)

(٥)
(برقية)
من السير ريجنالد وينغيت ـ القاهرة
إلى وزارة الخارجية ـ لندن

الرقم: ٢٢ التاريخ: ٨ كانون الثاني/يناير ١٩١٧

عاجل

بعث إليّ القائد العام في مصر لتوّه نسخة من برقيته رقم ١٤٨٢ بتأريخ يوم أمس إلى رئيس هيئة الأركان في لندن.

وقد سبق أن أصدرت تعليماتي إلى الكرنل ويلسن بأن على الشريف، قبل إصدار الموافقة على إنزال قوات بريطانية في الحجاز، أن:

أ ـ يؤكد خطياً طلبه المبلّغ إلينا ببرقية رمزية (انظر برقيتي إليكم برقم ١٥ بتاريخ ٦ كانون الثاني/يناير).

ب ـ يقدم ضمانات خطيّة بخصوص قبول القادة العرب ورجال القبائل العربية للقوات المسيحية.

وفي أثناء سير المفاوضات تم توضيح النقاط الآتية للشريف توضيحاً كاملاً:

أ ـ (١) إن توصيتي بإرسال لواء بريطاني إلى رابغ قد تمت باعتبارها الخطوة العسكرية الوحيدة المتاح لنا اتخاذها والتي من شأنها إعاقة (رغم أنها قد لا تحول في النهاية دون) تقدم تركي نحو مكة وانهيار المقاومة العربية.

(٢) إن إرسال القوات البريطانية يتم فقط بموافقته الرسمية، وسيتم سحبها عند ظهور أية علامة تدل على عداء البدو المحليين لها أو التدخل في شؤونها، وفي كل الأحوال، حالما يزول خطر التقدم التركي على مكة.

إن اللواء لن يكون متحركاً وبالنتيجة سيؤمن فقط الموقع في رابغ، ويوفر مكان تجمع يمكّن رجال القبائل من الرجوع إليه عند الطوارىء.

مع الأخذ بعين الاعتبار لشخصية الشريف والصعوبات التي يواجهها، أرى أن الضمانات التي طلبتها منه وافية بالغرض.

إنني أقدر تقديراً كاملاً الاعتراضات السياسية على إرسال قوات مسيحية إلى الحجاز، لكنني أعدّها ذات أهمية ثانوية بالنسبة إلى مخاطر انهيار الثورة العربية.

ب ـ إن إرسال لواء بريطاني إلى رابغ سيعطي، في نظري، درجة من الاستقرار للموقف العسكري للعرب، وقد يؤمّن أيضاً تأجيل هجوم تركي جنوباً لحين حلول الوقت الذي نكون فيه في وضع يؤهلنا لتدمير خط حديد الحجاز. وكنتيجة لذلك، وفي غياب أية ضمانات أكيدة بأن خط الحديد هذا سيدمّر في غضون الشهر أو الشهرين القادمين، أوصي بإرسال قوات بريطانية إلى رابغ فور تسلمي للطلب الرسمي من الشريف بإرسالها.

FO 371/3042 (7098)

(٦)

(برقية)

من السير ريجنالد وينغيت ـ القاهرة
إلى وزارة الخارجية ـ لندن

الرقم: ٢٨ التاريخ: ٩ كانون الثاني/يناير ١٩١٧

كررت التعليمات الواردة في برقيتكم رقم ١٩ في كانون الثاني/يناير إلى الكرنل ويلسن، وأوعزت إليه إبلاغ الشريف بأن من الضروري تنفيذ متطلبات حكومة صاحب الجلالة بدون إبطاء، إذا أريد تنفيذ الترتيبات الحالية لإرسال لواء بريطاني إلى رابغ.

وفي هذه الأثناء سيبقى اللواء في السويس، وقد رتبت مع القائد العام أن لا تغادر طليعته المتقدمة بقيادة الجنرال مودج، إلى رابغ، حتى وصول تعليمات أخرى مني.

وعلى ما أستطيع أن أحكم به، فإن طبيعية ضمانات الشريف ستعتمد على الحاجات الراهنة، وكذلك فإن مماطلات أخرى قد تصدر عنه إلاّ إذا كان الوضع العسكري الفوري للقوات العربية متردياً. وعلى أية حال، إذا كانت ضمانات الشريف آتية على الفور، وكانت مرضية، فإنني أرجو أن ترسل إلينا موافقة حكومة صاحب الجلالة على إرسال لواء إلى رابغ في أقرب وقت ممكن.

إن المعلومات المتعلقة بشؤون الحجاز متضاربة عادة، وغير كافية في كثير من الأحيان، ولكن الحقيقة البارزة تبقى وهي أنه، من مفهوم عسكري، لا توجد هناك عقبة جدية في طريق زحف تركي على رابغ خلال الأسابيع القليلة القادمة، أو لحين التدمير النهائي لخط حديد الحجاز.

FO 371/3042 (9952)

(٧)

(مذكرة)

كتبت في وزارة الخارجية

١٠ كانون الثاني/يناير ١٩١٧

إن برقية الجنرال وينغيت الأخيرة، رقم ٢٨، مبهمة نوعاً ما، ولكن، لدى النظر إلى القضية على ضوء برقيتنا إليه المرقمة ١٩ والمؤرخة في ٨ كانون الثاني/يناير، فإنني أميل إلى الاعتقاد أن ما يثير قلقه هو، أن لا يحدث تأخير في طرفنا حين يرسل الشريف طلبه الخطي لإرسال القوات، والبيان المناسب لنشره في العالم الإسلامي من أجل موافقتنا على اتخاذ الإجراء. وإذا كان تفسيري هذا صحيحاً، فإن وينغيت لا يطلب في الحقيقة تفويضاً زائداً عن الحاجة ليفعل ما خوّل بعمله من قبل، وإن ما يطلبه فقط هو عدم إضاعة وقت غير ضروري من جانبنا قد يؤجل إصدار الأوامر التي هو مستعد لإصدارها.

وإنني شخصياً لا أرى ما يحول دون تخويل وينغيت أن يحكم هل أن الشريف ينفذ سياستنا أم لا. وأن منحه هذا التفويض الآخر سيؤمن القيام بإجراء بدون تأخير.

FO 371/3042 (7674)

(٨)

(برقية)

من السير ريجنالد وينغيت ـ القاهرة

إلى وزارة الخارجية ـ لندن

الرقم: ٢٩ التاريخ: ١٠ كانون الثاني/يناير ١٩١٧

برقيتي رقم ٢٨ في ٩ كانون الثاني/يناير.

أفاد الكرنل ويلسن في ٨ كانون الثاني/يناير أنه تلقى رسالة هاتفية أخرى من

الشريف يطلب فيها تأخير تحميل وإرسال الجنود.

إنني في انتظار التفاصيل الكاملة من الكرنل ويلسن، الذي صدرت إليه التعليمات بإبلاغ الشريف بأن أية مماطلات جديدة منه ستؤدي بالنتيجة إلى نقل اللواء من السويس، وأن القوات البريطانية كنتيجة لذلك لن تكون متوفرة لمساعدة العرب.

سأبرق بجواب الشريف النهائي فور تسلمي إياه.

معنونة إلى وزارة الخارجية. مكررة إلى حكومة الهند.

FO 371/3042

(٩)
(برقية)
من المقرّ العام للقيادة ـ مصر
إلى مدير الاستخبارات ـ العسكرية

سري

الرقم: I.A. ٢٨٦٥ التاريخ: ١٠ كانون الثاني/يناير ١٩١٧

ما يلي تسلمه المكتب العربي من ويلسن في جدة:

إشارة إلى إرسال لواء إلى رابغ.

دبليو، ١٤٢، ٧ كانون الثاني/يناير. إنني آسف شديد الأسف لهذا القرار بدون الالتزام بالشروط الواردة في برقيتي رقم دبليو ١١٨ في ٦ كانون الثاني/ يناير، وأعتبر أن إرسال قوات بريطانية إلى الحجاز بناء على مكالمة هاتفية من موظف في الحكومة العربية، إجراء في غاية الخطورة. ويستطيع الشريف بكل سهولة أن يتبرأ من المكالمة كلياً أو جزئياً. ويجب أيضاً، في نظري، منح الشريف وقتاً كافياً، قبل إنزال قوات بريطانية في رابغ، للقيام بدعايته. ولن يستطيع عمل ذلك إذا غادرت القوات في الأيام القليلة القادمة، ويجب كذلك في نظري التشاور

مع الشريف حول الفترة الزمنية التي يحتاجها. جاء الكرنل بريمون مساء اليوم، ليس بالضرورة لطلب القوات، ولكن ليقول إنه سيفعل ما بوسعه ليجعل العرب يرحبون بالقوات، وأن لا يسببوا أية مشاكل عند إنزالها. وإنني أذهب إلى ما هو أبعد من ذلك فأتمسك بمضمون برقيتي دبليو، ١١٨ في ٦ كانون الثاني/ يناير.

والآتي ترجمة لتصريح كتبه «بدون دعاية قوية وتحضيرية من جانب الشريف تحبذ إنزال القوات في رابغ، أرى من المحتمل حدوث نتيجة سيئة». وعليه سيكون من الضروري قبل إنزال القوات، ترتيب إطلاق دعاية كهذه ومنح الشريف الوقت الضروري لكي يقوم بذلك.

وسألته ما هي المدة التي يعتقد أنها ضرورية، فأجاب أنها في اعتقاده ثمانية أيام على الأقل، وإنني أقدّر المدة بحدود ١٤ يوماً على الأقل. وأبلغني كذلك بأنه شخصياً يعتقد أن القضية خطيرة لدرجة تجعله يتصل برقياً بالوزير الفرنسي في القاهرة، ليطلب إليه اطلاع سعادتكم على وجهة النظر كما عبر عنها أعلاه. وأفاد بأنه أصدر أوامره إلى الوحدة الفرنسية في السويس بأن تتوجه إلى رابغ، عندما تتوجه القوات البريطانية إليها، وأن يقدم قائدها بطلب الأميرال ليزوده بسفينة بخارية عند عدم توفر واسطة نقل فرنسية.

إننا، بطلب الشريف إرسال قوات بريطانية، نعرّض أنفسنا لخطر محتمل، وبدونه نعرّض أنفسنا لخطر شديد بحدوث مشكلة إسلامية عامة، وإذا نزلت قوات مسيحية في «الحجاز»، فمن المحتمل أن تتعرض مطالبة الشريف بالخلافة إلى الضرر، وعدا عن كسب العرب إلى جانبنا في الحرب، فإن هذه في نظري، هي أعظم فائدة نجنيها من ثورته.

وفي مساء الخامس من كانون الثاني/ يناير، اتصل بيرسون هاتفياً حسب تعليماتكم الواردة في برقية سعادتكم رقم ٥٣٥ في ٤ كانون الثاني/ يناير، وبعث برسالة برقية صباح أمس، ولكن لم يأت جواب من الشريف حتى الآن. وهذا لا يدل على حماسة كبيرة لنزول قوات بريطانية. ولم أستطع التحدث هاتفياً مع الشريف هذه الليلة ولكن فؤاد قال عند سؤاله في وقت لاحق إنه لا يعلم ما هو الجواب الذي سيرسله الشريف.

سأنفّذ في وقت مبكر غداً التعليمات الواردة في برقية سعادتكم رقم ٥٤٤ في ٦ كانون الثاني/ يناير.

دبليو، ١١٨. إن طلب إرسال قوات بريطانية إلى رابغ، في نظري، يجب أن يقدمه الشريف خطياً وبدون ضغط من جانبنا. ويجب أن يبدي الشريف في طلبه أنه يقبل المسؤولية الكاملة عما قد يترتب على ذلك من نتائج.

FO 371/3042 (15877)

(١٠)

(برقية)

من السير ريجنالد وينغيت ـ القاهرة
إلى وزارة الخارجية ـ لندن

الرقم: ٥٨ التاريخ: ١٩ كانون الثاني/يناير ١٩١٧

برقيتكم رقم ١٩ في ٨ كانون الثاني/يناير.

في ضوء الرسائل التي تسلمتها من الشريف، والتي تظهر بوضوح الآن أنه لا يرغب في إنزال قوات مسيحية في الحجاز، وكذلك نظراً للوضع العسكري للعرب الذي يبعث على مزيد من الارتياح، كما يظهر من آخر التقارير الواردة من الحجاز، فإنني أميل إلى الاعتقاد بأن الوقت قد حان لسحب اللواء الموجود في السويس على أهبة الاستعداد. إن القائد العام في مصر متلهف لاستخدام اللواء في مكان آخر، وأقترح الموافقة على الحركة حال تسلم تخويلكم بذلك.

وليس من المستبعد، في حالة حدوث تقدم تركي خطير، أن يناشدنا الشريف ثانية طالباً إرسال القوات لنجدته، ولكن الكتب والبرقيات المتبادلة بيننا في الآونة الأخيرة، تبيّن بوضوح أنه لا يمكن اتهام حكومة جلالته بالإخلال بالثقة في حالة انهيار الحركة.

معنونة إلى وزارة الخارجية. أرسلت إلى الهند رقم ٥٨.

FO 371/3042 (26459)

(١١)

(كتاب)

من السير ريجنالد وينغيت ـ المندوب السامي في القاهرة
إلى السير آرثر جيمس بلفور ـ وزير الخارجية

دار الاعتماد

القاهرة

الرقم: ١٤ ٢٤ كانون الثاني/يناير ١٩١٧

سيدي،

أتشرف بأن أرسل لمعلوماتكم ترجمة رسالتين متبادلتين بين شريف مكة وبيني حول رفض الشريف لعرض المساعدة العسكرية البريطانية المقدم له مؤخراً.

لم أر لزوماً لإرسال المراسلة المعقدة نوعاً ما ـ ومعظمها برقيّ ـ وتكوّن هاتان الرسالتان جزءاً منها. لكنني أثق أن الملخص التالي لمظاهر الوضع البارزة يكفي لشرحها وشرح موقف الشريف العام من هذه القضية المتعلقة بإنزال لواء بريطاني في ساحل الحجاز.

إن الأسباب العسكرية لإرسال قوات بريطانية ترجح في رأيي على الاعتراضات على إنزالها في الحجاز. ولذلك رأيت أنني أكون مقصراً في واجبي، سواء تجاه حكومة صاحب الجلالة وتجاه الشريف نفسه، إذا لم أشرح للشريف بكل صراحة الضعف الأساسي لوضعه ووضع العرب العسكري. وعند تقديم هذا الشرح حاولت ـ آملاً في النهاية أن أفوز بالنجاح ـ أن أحرّر الشريف من وهم الانطباع أن هناك دوافع سياسية أو مبطنة لاختلاف الرأي العسكري الذي أدّى إلى تغيير التعليمات الصادرة من لندن والترجرج الظاهر في السياسة البريطانية حول إرسال، أو عدم إرسال، قوات بريطانية ومسيحية لمساعدته.

إنني أذكر ذلك دون روح انتقادية، ودون رغبة في إثارة خلاف جديد، ولكن لكي أوضح أن الشريف كان له بعض العذر في الاعتقاد بأن عدم الثبات الذي

يخشى أن يوصم به لم يكن كلياً من جانبه.

واعتقدت أيضاً أن من الأهمية بمكان أن أستطيع القول بأننا قد أصدرنا فعلاً الأوامر للقوات أن تمضي لمساعدة الشريف، وإن هذا الأخير رفض رفض نهائياً قبولها وهو يعرف أن هذا العرض لا يمكن ولن يمكن تكراره. ونحن الآن في هذا الموقف، وقد أوضحنا للشريف أن عليه في المستقبل أن يعتمد على موارده الخاصة، مضافاً إليها المساعدة المالية والمادية التي نقدمها له.

إنني حريص على إزالة أي انطباع بأن الشريف، في رفضه عرضنا للمساعدة كان مدفوعاً بأسباب غير ودية وارتياب في حسن نوايانا. إذ إنني لا أعتقد أبداً أن الأمر كذلك، فقد أبدى حكمة ومقدرة عظيمتين في تأمل العناصر المتباينة الكثيرة التي تقوم عليها سلطته، وسياسته المتصفة بالإقناع المسالم والمفاوضة قد حققت (على الأقل في أعين العرب) شيئاً من النجاح والاتحاد، مما يخاف هو مستشاروه أن يخلّوا به عن طريق اتخاذ خطوة، مثل إنزال قوات مسيحية في الحجاز، مما قد يؤدي إلى تنفير الشعور الديني وخلق اختلافات يحتمل أن تتطلب استعمال القوة لاخمادها. إن وضعه، بلا ريب، صعب بصورة استثنائية، ومع أني، من الناحية العسكرية، أشك في الحكمة النهائية لقراره القاضي برفض مساعدتنا العسكرية المباشرة، فأنا أستنكر بشدة، باعتبار ذلك لا مبرّر له وغير مؤدب، (بالنظر إلى أهمية المصالح التي يمثلها) أن نتخلى عن أية وسيلة في يدنا لمساعدة قضيته والحيلولة دون انهيار الحركة العربية في الحجاز.

ويظهر الآن، وبلا ريب، بسبب النجاح الأخير في رفح، أن الوضع العسكري أصبح أكثر وضوحاً للأتراك الذين سحبوا مواقعهم المتقدمة نحو المدينة. ولكن التغيير الأساسي للأحسن، وإزالة تهديد أي تقدم تركي باتجاه مكة، يتوقف، كما ذكرت قبلاً، على مقدرتنا لمساعدة العرب بصورة دائمية على تعطيل مواصلات السكة الحديدية التركية مع الحجاز. وفي رأيي أن جميع قوانا يجب أن توجّه الآن إلى هذه الغاية.

أتشرف بأن أكون، سيدي، مع جزيل الاحترام،

خادمكم المطيع

(التوقيع) ريجنالد وينغيت

(١٢)

المرفق ـ ١ ـ

(ترجمة رسالة)

من الشريف حسين

إلى صاحب السعادة ريجنالد وينغيت ـ

المندوب السامي لصاحب الجلالة في مصر

سلام وتحية. إننا نقدر حقاً الاهتمام والعناية اللذين أعرتموهما سعادتكم الحركة العربية فضلاً عن صداقة سعادتكم الحقيقية المعلومة للمسلمين الذين قدمتم لهم خدمات ثمينة، والذين صاروا يعرفونكم معرفة جيدة خلال مكوثكم وخبرتكم الطويلة بينهم. لذلك أوفدنا نائب وزير خارجيتنا وكلفناه بشرف مقابلتكم والإعراب عن هذا التقدير لكم. غير أن الظروف لم تسعفه للقيام بذلك، وقد رأينا من الأفضل أن يقوم بتلك المقابلة وأداء هذه المهمة بدلاً من البقاء طول المدة في الخرطوم.

نؤكد لسعادتكم هذا التقدير من جانبنا وإخلاصنا الصادق لشخصكم الكريم.

لقد ظهر لنا جلياً من برقيات سعادتكم الأخيرة المقدمة لنا من قبل وكيلكم المحترم هنا، أنكم تفهمون الأسباب ـ التي سبق لنا ذكرها والتي تجعل نزول قوة أوروبية في الحجاز أمراً غير مرغوب فيه. وأجبنا بواسطة سعادة الوكيل المومأ إليه قائلين إنه لا يحسن ببريطانية العظمى ولا بنا أن نلجأ إلى أي عمل من شأنه أن يكون ضرره أكثر من فائدته لكلينا. وإذا وجدنا أنفسنا، في ظروف طارئة في المستقبل، بحاجة إلى مثل تلك القوة وكانت القوة المذكورة آنذاك موجودة أيضاً، فإننا سندعو كرمكم ولطفكم اللذين تعوّدنا عليهما ونأمل أن يستمرا إلى النهاية. وبخلاف ذلك تكون حياتي وحياة أولادي ضماناً لمستقبلنا. وتأكدوا، يا صاحب السعادة من إخلاصي الصادق، سراً وعلناً، لأن في ذلك مصلحتنا وشرف

وعائلتنا وأمتنا، وإننا لن نكون سبباً في الخروج على أي من تلك المبادىء.

أرجو قبول أعمق احتراماتي وأطيب تحياتي.

حسين (موقّع)
ملك البلاد العربية وشريف مكة
(ترجم إلى الإنكليزية في ١ كانون الثاني/يناير ١٩١٧)

FO 371/3046

(١٣)
(برقية)
من السير برسي كوكس
إلى وزارة خارجية حكومة الهند

الرقم: ٣٢٧ التاريخ: ١٠ كانون الثاني/يناير ١٩١٧

أرسل وكيل وزير خارجية الشريف مؤخراً برقية دورية إلى شيخي المحمرة والكويت وابن سعود، يحتج فيها أمام العالم الإسلامي على سوء فعال الحزب الطوراني، وخاصة على الفظائع التي قيل إنها ارتكبت في المدينة.

وإن ردوداً مشتركة، وقعها شيخ المحمرة، قد تم تسلمها الآن لترسل إلى وجهتها، ويبدون فيها أنهم (يؤيدون) كلياً الاستنكار الذي عبّر عنه تجاه الفظائع المشار إليها، وكذلك إزاء تلك التي ارتكبت في سورية والعراق. ويقولون في الختام: «إننا نحن الثلاثة من نفس الرأي مع سيادة الشريف، **الذي هو مؤهل لخلافة الإسلام**، والذي نرتبط به كلنا برباط التحالف ونؤيد قضيته».

هل أحذف الكلمات التي تحتها خط، وأُبلغ مرسلي البرقية أنني فعلت ذلك؟

FO 371/3046

(١٤)

(برقية)

من وزارة الخارجية ـ لندن

إلى السير ريجنالد وينغيت ـ القاهرة

الرقم: ١٨ التاريخ: ٦ كانون الثاني/يناير ١٩١٧

برقيتي رقم ٥ (في ٢ كانون الثاني/يناير. منح وسام للشريف).

إن وزارة الهند غير متحمسة للسير في موضوع منح الوسام للإدريسي، وعليه أرى أن من الواجب تأجيل منح الوسامين حالياً، خاصة أن الملك حسين قد يشعر بالإحراج من منحه وساماً مسيحياً.

FO 371/3046 (8847)

(١٥)

(برقية)

من السير ريجنالد وينغيت ـ المندوب السامي في القاهرة

إلى وزارة الخارجية ـ لندن

الرقم: ٣٢ التاريخ: ١١ كانون الثاني/يناير ١٩١٧

منح وسام بريطاني للشريف.

برقيتكم رقم ١٨ في ٦ كانون الثاني/يناير.

أعرب الشريف في رسالة شخصية عن امتنانه لحكومة صاحب الجلالة، ولكنه طلب تأجيل مسألة منحه وساماً في الوقت الحاضر.

معنونة وزارة الخارجية. أرسلت إلى الهند وعدن رقم ٣٢.

FO 371/2783 (W. 255249/16)

(١٦)
(كتاب)
من وزارة الخارجية
إلى مسيو بول كامبون ـ سفير فرنسة في لندن

سرّي

التاريخ: ١٧ كانون الثاني/يناير ١٩١٧

يا صاحب السعادة،

أتشرف بأن أبدي، فيما يتعلق بالاتفاقية الإنكليزية ـ الفرنسية التي عقدت في أيار/مايو الماضي حول مستقبل الجزيرة العربية وسورية، أن حكومة صاحب الجلالة تتوقع بسبب تحسين حقول النفط الإيرانية، وفتح حقول النفط العراقية المجاورة لها، أنه قد يكون من الضروري أن تمدّ خط أنابيب إلى بعض موانىء البحر المتوسط.

إذا وقع الاختيار على حيفا محطة لانتهاء الخط، وإذا تمّ إنشاء السكة الحديد المقترحة بموجب المادة ٧ من الاتفاقية الإنكليزية ـ الفرنسية، تفترض حكومة صاحب الجلالة أنه لن يثار أي اعتراض على خط أنابيب يمدّ على طول سكة الحديد. وحتى إذا لم تنشأ السكة الحديد أو جعل طريقها غير مماشية لخط الأنابيب، فإنها تفترض أن حق مدّ خط الأنابيب لن يكون موضع اعتراض أيضاً.

ومع ذلك، فإن حكومة صاحب الجلالة سيسرّها أن تتسلم من الحكومة الفرنسية تأكيداً مآله، فيما يتعلق بها، أن الافتراضات الآنفة صحيحة، وأن تعلم كذلك أنه، في حالة رغبتها بمدّ خط أنابيب إلى الإسكندرونة أو إلى ميناء آخر في المنطقة الفرنسية، إمّا كبديل أو كإضافة للخط الذي ينتهي في حيفا، فهي محقة أن تأمل بأن الحكومة الفرنسية لن تثير اعتراضاً على عملها المذكور.

أكون شاكراً إذا تفضلت سعادتكم بنقل الأسئلة الآنف ذكرها إلى حكومتكم

وإعلامي في الوقت المناسب بجوابها.

أتشرف بأن أكون، مع جزيل الاحترام،
خادم سعادتكم الخاضع المطيع.
(توقيع)

FO 371/3054 (117173)

(١٧)
(تقرير)
عن المصالح البريطانية في الجزيرة العربية

سرّي

علمنا أن هناك رغبة في إعداد مذكرة توضح لماذا كان من المهم بالنسبة للمصالح البريطانية استبعاد إيطالية عن جزيرة العرب الغربية والجنوبية وساحل البحر الأحمر.

١ ـ إن أهمية جزيرة العرب من حيث موقعها الجغرافي ـ وهي تقع على امتداد اثنين من الطرق الرئيسية إلى الهند والبحر الأحمر والخليج العربي ـ أمر معروف. ولا يمكن لأي قسم من تلك البلاد أن لا يهم بريطانية العظمى التي هي الدولة الوحيدة ذات موطىء قدم في البلاد في الوقت الحاضر. إن سيطرتنا محدودة على شريط ضيق محاذ للساحل من عدن إلى الكويت، وإنه يعتمد في نهاية الأمر على استتباب الهدوء في المنطقة الداخلية. ولما كنا غير قادرين على التدخل في داخلية البلاد أو السيطرة عليها، فإنه لأمر أساسي استبعاد كل بذور الاضطراب المحتملة.

٢ ـ إن الجزيرة العربية ليست دولة بأي معنى فعلي، بل هي مجموعة من العشائر جمعت بينها المصادفة، وهي مستقرة تقريباً في المناطق الخصبة قرب الساحل، وفيما عدا ذلك فهي رحالة يرأسها شيوخ لا تقرر سلطاتهم الحدود الأرضية، بل العشائر التي يترأسونها في وقت معين. إن سياساتهم متشابكة بصورة وثيقة، وإذا نشب نزاع فإنه قد يمتد إلى

الجزيرة كلها. ولدينا مع العشائر والشيوخ على الساحل المذكور علاقات تنظمها معاهدات.

٣ ـ إضافة إلى هذا كله، فإننا نحتل في عدن منطقة مساحتها ٧٥ ميلاً مربعاً مع مساحة كبيرة من الأرض الداخلية، وقد حددت حدودها مع اليمن، والشيوخ الموجودون داخل هذه الحدود هم تحت حمايتنا.

٤ ـ لا حاجة للتأكيد على أهمية عدن الستراتيجية، فحصن عدن يكاد يكون منيعاً ضد قوات العشائر. وفي ظروف كالتي قبل الحرب نستطيع أن نحميها بقوة صغيرة جداً فنسيطر على المحمية بالنفوذ والإعانات.

٥ ـ إن الحدود بين عدن واليمن هي حدود مع الأتراك وليس مع العرب الذين لا يحترمونها كثيراً. وقد جعلت تحديدها ضرورياً دسائس جارنا شبه المستقل إمام صنعاء الذي شجعه الأتراك حينما كان يخدم غرضهم، ولكنهم لا يستطيعون السيطرة عليه بصورة فعالة حين يختار أن يتحداهم. وقد سبق لنا أن اعترفنا بالسلطة التركية، وكلما حدثت حادثة محلية تافهة كان هذا الإجراء الوحيد هو تقديم احتجاج في القسطنطينية وللإمام ادعاءات واسعة في الأراضي الواقعة على جانبنا من الحدود، بل إنها تمتد إلى عشائر حضرموت على ساحل الجانب الآخر من المحمية. أما في الشمال والشمال الشرقي، حيث لم تحدد الحدود بعد، فتحمينا الصحراء الكبرى: الربع الخالي، وعلاقاتنا التعاهدية مع سلطان شحر والمكلا، التي تكون مع ذلك كافية فقط طالما لا تتعرض عشائر حضرموت الداخلية للتحريض.

٦ ـ إن عدن، إضافة إلى كونها حصناً، فهي ممر تجاري بري مهم مع المحمية (كانت قيمة هذه التجارة قبل الحرب حوالي ٣٠٠,٠٠٠ جنيه في السنة). وبناء سكة حديد من عدن إلى تعز ـ وهو مشروع مرغوب فيه لأسباب سياسية أيضاً ـ سيجعل من عدن المنفذ الرئيسي لتجارة اليمن. فإذا أصبحت دولة أخرى ذات نفوذ في اليمن، فإنها ستقوم بإنشاء خط من الحديدة إلى صنعاء، وستصبح «الحديدة» هي المنفذ، وستخسر عدن تجارتها الحالية.

٧ ـ إن اليمن هي التي تتركز فيها مطامع إيطالية بصورة رئيسية. واليمن

منطقة صغيرة مثل الجزيرة العربية، وحينما يخرج الأتراك من الجزيرة العربية، فإنها لن تقع بيد سيد عربي واحد. فالإدريسي كما نعلم سيدعي بالأراضي الممتدة إلى الجنوب حتى الحديدة، بما فيها الحديدة، وإمام صنعاء سيطالب بالقسم الأعظم مما تبقى. وهنالك على حدودنا بعض الشيوخ (مثل ماوية) ممن سيكون بقاؤهم مستقلين أمراً في مصلحتنا. وقد تعهدنا بموجب معاهدة أن نضمن استقلال الإدريسي في إقليمه (وهو غير محدد) وأن نقوم بالتحكيم بينه وبين الإمام حينما تتضارب ادعاءاتهما. وربما كان الإدريسي والإمام نقيضين لا يمكن التوفيق بينهما، وإن كانت إزاحة الأتراك قد تؤدي إلى تقاربهما.

٨ ـ إن الحرب الإيطالية ـ التركية جعلت إيطالية الدولة المسيحية غير المحبوبة أكثر من سواها في العالم الإسلامي، ومما قوى الكراهية نحوها أساليب إيطالية في إدارة المستعمرات، وصفاتها القومية، وخاصة معاملة إيطالية لنساء الشعوب الخاضعة لها، وهي نقطة حساسة جداً لدى المسلمين. إضافة إلى ذلك كان لدى الإمام سبب آخر لكراهية إيطالية، لأنها حاصرت ساحله، ودعمت الإدريسي بالسلاح والمال خلال الحرب.

٩ ـ ويتضح من الوصف السابق للظروف السياسية العامة أن ظهور إيطالية في اليمن سيخلق في غرب الجزيرة العربية وجنوبها هياجاً لن يكون قاصراً على تلك المنطقة، وإننا بصفتنا الدولة المجاورة، سنكون المتضررين الرئيسيين منها.

إن موافقتنا على ذلك ستكون موضع استياء الشريف الأكبر والعرب كإخلال بالثقة نحو ما يسمى «الدولة العربية». ومن الممكن أن يشترك في هذا الاستياء جميع العالم الإسلامي (بما فيه الهند)، الذي سيعتبر أننا بعد أن خذلنا الأتراك، نقوم الآن بخذلان العرب، وسيعود هذا بأثر غير مرغوب فيه على سمعتنا كدولة صديقة للإسلام. وقد عاد بالفائدة على العرب دعمنا لهم ضد الأتراك، ولكنهم لم يعودوا يحبوننا، وحينما يزول الخطر التركي فليس من المؤكد مطلقاً أن لا تقع وطأة كراهيتهم علينا، وستكون تلك الكراهية مضاعفة إذا ظنوا أننا لم ننقذهم من الأتراك (الذين هم مسلمون على الأقل) إلاّ لنسلمهم إلى الدولة المسيحية المكروهة أكثر من غيرها.

وإذا كان الإدريسي يرحب بالإيطاليين بسبب علاقته السابقة، فمن المؤكد أن الإمام سيعارضه، وسيكون معنى ذلك أن تنشب على حدودنا معارك ستنتهي، في أحسن الأحوال، بسلم غير مستقر، نظراً لأن الإيطاليين سيكونون مرهقين بدرجة لا تسمح لهم بحركات حاسمة في التلال. ويجدر بنا أن نعلم، من خلال خبرتنا السابقة بعلاقات الإيطاليين مع السنوسي في برقة، والاحتكاك الناجم عن ذلك مع مصر، ماذا يجب أن نتوقع في عدن، وعلينا أن نتوقع، قبل مرور مدة طويلة أن نتورط نحن أنفسنا في معارك تقع على حدودنا إن لم يكن في داخلها.

ومن جهة أخرى إذا كان الإمام يقبل بالسيادة الإيطالية، فيجب أن يكون من المنتظر أن قسماً من الثمن الذي سيطلبه، سيكون التأييد (الضمني على الأقل) لادعاءاته التي لا تتعارض مع ادعاءات إيطالية، أي في محميتنا وفي حضرموت. ولن يكون لنا خلاص من دسائسه إلاّ بمناشدة روما، مما يحتمل أن يكون أقل ثمرة من مناشداتنا للقسطنطينية.

إذا كانت هذه التوقعات قائمة على أساس صحيح، فمن الواضح أن موقفنا في عدن يجب أن يتخذ على أساس مختلف تماماً. وبدلاً من الاحتفاظ بقلة من الجنود في الحصن، ومن ممارسة سيطرة ضعيفة على العشائر عن طريق الإعانات المالية، فسنضطر إلى المحافظة على المحمية بالقوة. وهذا بالتأكيد ليس احتمالاً تنظر إليه حكومة صاحب الجلالة باطمئنان.

١٠ - لقد أظهرت الحرب الحاضرة كيف يمكن استعمال الإسلام ضدّنا، والجزيرة العربية ذات أهمية كبيرة للعالم الإسلامي، ليس فقط كمهد الإسلام ومركز المدن المقدسة، بل أيضاً بالنظر إلى أن موقعها الجغرافي يجعلها أسفيناً بين مسلمي أفريقية ومسلمي الهند والأقطار المجاورة.

١١ - إن النجاح النهائي لسياسة حكومة صاحب الجلالة في الشرق الأوسط يستند إلى حدّ بعيد على نقل الخلافة من تركية إلى بلاد العرب. وهذا بدوره يعتمد على إمكان جعل حاكم الحجاز قوياً بصورة كافية ليقوم بدور حاكم مستقل. وهذا أيضاً يستند إلى إبقاء الدول المسيحية على بعد كاف، ولكن احتلالاً إيطالياً لليمن يؤدي، بسبب الصلات القائمة بين المنطقتين، إلى جعل إيطالية سيدة الحجاز. وقد قال سيّد عربي

للكرنل جيكوب منذ سنة ١٩١٢: «إذا ذهبت اليمن ذهب الإسلام».

هذه بعض الأسباب التي حدت بنا إلى أن نتحفظ، فننص في الاتفاقية الإنكليزية ـ الفرنسية على «أن الحكومتين البريطانية والفرنسية تتفقان بأنهما لن تحصلا، ولن تسمحا لدولة ثالثة بالحصول، على امتلاك أراض في الجزيرة العربية». وللغرض الحاضر تكون منطقة النفوذ مساوية لتملك الأراضي.

آ. هيرتزل
٢٠ كانون الثاني/ يناير ١٩١٧

FO 371/3042 (15877)

(١٨)
(برقية)
من وزارة الخارجية ـ لندن
إلى السير ريجنالد وينغيت ـ القاهرة

الرقم: ٥١ التاريخ: ٢٠ كانون الثاني/ يناير ١٩١٧

برقيتكم رقم ٥٨ (في ١٩ كانون الثاني/ يناير) سحب اللواء البريطاني في السويس.

أتفق معكم في وجوب سحب اللواء الموجود في السويس الآن، وبإمكانك التصرف بناء على ذلك فور تسلم ضابط القيادة العام تعليمات واضحة من وزارة الحربية.

FO 371/3046 (21453)

(١٩)

(كتاب)

من وزارة الهند ـ لندن

إلى وزارة الخارجية ـ لندن

الرقم: ٣٥٣ التاريخ: ٢٦ كانون الثاني/يناير ١٩١٧

سيدي،

إشارة إلى كتاب دائرتكم المرقم دبليو ٢٥٥٨٦٨ في ٢٠ كانون الأول/ديسمبر.

أوعز إليّ وزير الهند أن أبعث إليكم، لاطلاع وزير الخارجية، نسخة من برقية حكومة الهند. ويظهر منها أنها لا تحبذ الاقتراح الخاص بإرسال وفد من أصحاب النفوذ من مسلمي الهند إلى الحجاز في الوقت الحاضر.

أتشرف أن أكون، سيدي
خادمكم المطيع
(موقع) آرثر هيرتزل

FO 371/3046 (21453)

(٢٠)

(برقية)

من وزارة خارجية حكومة الهند

إلى وزارة الهند ـ لندن

التاريخ: ٢٢ كانون الثاني/يناير ١٩١٧

سرّي

برقيتكم المؤرخة في السادس والعشرين من الشهر المنصرم. بيان العلماء.

البيان لم ينشر، ولكن مبارك علي نفسه عرضه على بعض كبار المسلمين، وفي

لكناو على وجه الخصوص، بدون أن يثير حتى الآن أي حماس واضح أو إثارة. ونحن نترك له حريته الآن للإفادة من البيان كيفما شاء. لكننا مقتنعون بأن قيامنا بدفع الإعلان سراً أو علانية سيفشل الهدف من ورائه. ونميل إلى الاعتقاد، لأسباب مماثلة، إننا لن نكسب شيئاً في الوقت الحاضر كما هو مقترح من إرسال وفد من أصحاب النفوذ من المسلمين إلى الشريف على حساب الحكومة.

إن من المستحيل لنا الاشتراك في الدعاية أو حتى دعمها بدون أن نصبح طرفاً في خلاف ديني. وإذا اقترحت جماعات المسلمين من تلقاء أنفسها إرسال وفد إلى الحجاز، فعلينا أن نكون مستعدين لمنحه كل التسهيلات إلاَّ إذا حدث تغير خطير في الوضع هناك.

FO 371/3042 (22463)

(٢١)

(برقية)

من السير ريجنالد وينغيت ـ القاهرة

إلى وزارة الخارجية ـ لندن

الرقم: ٧٧ التاريخ: ٢٩ كانون الثاني/ يناير ١٩١٧

الحجاز. الوضع العسكري يظهر تحسناً ملحوظاً.

إن الوحدات التركية المتقدمة التي كانت تهدد ينبع ورابغ قد تراجعت، وذلك بسبب ازدياد نشاط العرب في الجناحين والمدينة. وإن انتصاراتنا في سيناء وصعوبات التجهيز قد أثرت بلا شك في تحركات الأتراك.

العرب يظهرون نشاطاً متزايداً بدرجة عظيمة بالنسبة إلى الغارات، وإن العرب بقيادة الأمير علي شاغلوا القوة التركية في منطقة الغاير وأجبروها على التقهقر.

وبمساعدة بحرية من بريطانية، أرغمت الحامية التركية في الوجه على التقهقر إلى الداخل متكبدة ٢٠ قتيلاً و٨٠ أسيراً وخسارة مدفعين و٤٠٠ بندقية. أفادت التقارير أن تأثير هذا النجاح على قبائل شمال الحجاز كان ممتازاً، ويأمل العرب أن

تتم استمالة رجال القبائل للتعاون مع مجندي الشريف ضد خط سكة الحديد.

معنونة إلى وزارة الخارجية. أرسلت إلى الهند وعدن برقم ٧٧.

FO 882/12

(٢٢)
(كتاب)
من الميجر كورنواليس ـ مدير المكتب العربي بالقاهرة
إلى الكرنل سايمس ـ مدير العمليات السرية

التاريخ: ٢ شباط/فبراير ١٩١٧

أرسل بطيه ترجمة كتاب من ملك الحجاز إلى فخامة المندوب السامي بتاريخ ٢٢ كانون الثاني/يناير ١٩١٧.

إن الأصل العربي للكتاب غامض في مواقع معينة، ولذلك فإنني أقدم ترجمة حرة للمعاني كما شرحها لي الشيخ فؤاد الخطيب.

الميجر
مدير المكتب العربي

المرفق
(كتاب)

من الملك حسين

إلى المندوب السامي البريطاني في القاهرة

التاريخ: ٢٢ كانون الثاني/يناير ١٩١٧

بسم الله الرحمن الرحيم

سعادة الوزير الشهم الهمام

أعتقد أن فخامتك لا تزال تتذكر وعدي بأن أقدم لاطلاعك الأسباب التي حملتني على اتخاذ إجراءات معينة قد يظهرها المستقبل على ضوء آخر. فقد لاحظنا شيئاً من التردد الذي يعود أولاً إلى أننا عزونا، في بياننا الأول، أسباب ظهور حركتنا إلى الاتحاديين وليس إلى أعضاء العائلة المالكة التركية أو الأتراك الآخرين الذين يكرهون الاتحاديين. وثانياً تولينا الملكية مع لقب ملك البلاد العربية، وقد فعلنا ذلك بنية حسنة، وستظهر لكم نتائجه الطيبة في المستقبل القريب، صحة السياسة التي اتبعناها.

وعلى ذلك، وجواباً عن رسالتكم التي وصلتني بواسطة رئيس كتّاب الوكالة البريطانية في جدة، وتضمنت تحياتكم الكريمة، وتمنياتكم لنجاحنا، فإنني أنتهز الفرصة للكتابة إليكم والإعراب لكم أولاً عن أجمل تشكراتي لتحياتكم وتمنياتكم الطيبة. وثانياً أرجو أن أشير لفخامتكم إلى ما كتب في الملف المحتوي على اتفاقيتنا المباركة: كيف وافقنا على استثناء مستعمرة عدن ووعدنا بحماية حقوق شيوخ وأمراء مناطق الخليج العربي [الفارسي] وغيرها تلك الحقوق التي قد تكون الحكومة البريطانية مسرورة لوضعها تحت حمايتنا، وكيف وافقنا على تعديل حدودنا الشمالية والشمالية الغربية.

وأود أن أشير لمدارك فخامتكم السامية أننا عزونا أسباب حركتنا إلى الاتحاديين، فكان أقل نتائج ذلك كسب توفيق فكرت[1] وغيره من الذين عارضونا في البداية، وإنقاذكم وإيانا من الدسائس التي يقع في حبائلها الجهلة من رعايا الدولة العثمانية وغيرهم بأيدي أولئك الذين يعبدون مصالحهم ولا يهتمون إلاّ بمنافعهم الشخصية.

أظن أن ما جاء أعلاه يكفي لإقناعكم حين أرجو تأنيكم في إصدار أي حكم متسرع حتى يظهر الزمن نتائج أعمالي.

ومن جهة أخرى إذا وجدت حكومة جلالته أنني لست مؤهلاً بدرجة كافية

---

(١) توفيق فكرت (١٨٧٠ ـ ١٩١٥) من أشهر أدباء الأتراك وشعرائهم في زمانه، فإذا كانت إشارة الشريف حسين إليه فلا تكون مفهومة لأن وفاة توفيق فكرت كانت في سنة ١٩١٥ أي قبل كتابة هذه الرسالة بسنتين تقريباً. (ن.ف.ص)

لهذه الإدارة أو ما هو من هذا القبيل، فعندئذٍ لا أريد أن تتحملوا من أجلي أي عبء مهما كان صغيراً في شكل مساعدة مالية أو معنوية، إذ إنني لست متهالكاً على تأسيس مملكة أو تشكيل حكومة أو تولي زعامة. إن همي الوحيد هو رفاه بلادي وسعادتها، والحفاظ على العلاقات الودية مع بريطانية التي لا يمكن لأهل هذه البلاد أن ينسوا فضلها ومساعدتها الثمينة لنا. إنني مستعد للتضحية بكل منافعي الدنيوية لمجرد إبقاء هذه المبادىء السامية.

وأرجو أن تتأكدوا فخامتكم والحكومة البريطانية أنني سألتزم على الدوام بأقوالي التي صرّحت بها في جدة أمام المحافل السياسية، وهي أنني على أثر أصغر إشارة سأنسحب حالاً من هذه العملية، لأن مبادئي تجبرني على ذلك والله على ما أقل شهيد.

أرجو أن يمنحكم الله تعالى ما تصبون إليه ويديم قوتكم وسلطتكم.

المخلص

حسين

٢٦ ربيع الأول ١٣٣٥

(٢٢ كانون الثاني/يناير ١٩١٧)

FO 371/3042

(٢٣)
(برقية)
من وزارة الخارجية ـ لندن
إلى السير ر. وينغيت ـ القاهرة

الرقم: ٨١ التاريخ: ٣ شباط/فبراير ١٩١٧

عسكري

ينظر مجلس وزارة الحرب في قضية الحجاز، وقد قرر اعتباركم بعد الآن قائداً

عاماً للحجاز، وبهذه الصفة توضعون من الآن فصاعداً تحت الأوامر المباشرة لوزارة الحربية.

هذا القرار لا يؤثر قطعياً في وضعكم فيما يتعلق بمصر.

FO 882/6

(٢٤)
(مذكرة)
حول الأوضاع العامة في الجزيرة العربية (الحجاز) وسياسة البعثة البريطانية لدى الشريف الأكبر وتنظيمها

خاص

١ ـ عام

عند قيام الثورة العربية، كانت البعثة البريطانية لدى الشريف تتألف من بضعة ضباط، يفتقر البعض منهم إلى الخبرة العسكرية والبعض الآخر لم يكن على أية معرفة باللغة العربية. ولا فائدة ترجى من تناول ذلك بالتعليق الآن، ولكن كان بالإمكان تفادي الكثير لو أرسل ضباط من ذوي الخبرة منذ البداية.

تولى الكرنل (ويلسن) في وقت لاحق المسؤولية كممثل لحكومة صاحب الجلالة، وتلا ذلك ظهور بعثة عسكرية فرنسية على مسرح الأحداث، ووصلت مؤخراً بعثة عسكرية بريطانية، كان وضعها وواجباتها على شيء من الغموض بالنسبة للمبعوثين البريطانيين الموجودين من قبل. ويفترض أن تكون مهمات البعثة العسكرية تقديم المشورة وإرسال التقارير، وليس المقصود بها القيام بدور فعال في تولي السيطرة العسكرية على فرق الإغارة الصغيرة. وكانت البعثة برئاسة الكرنل ويلسن، وقد اقتصر تعامله مع الضابط الأعلى رتبة فقط من بين أعضائها. ولا يمكن أن يكون للبعثة أي دور إلاّ إذا قام أعضاؤها بدراسة الخطط وسياستها في المستقبل والاتفاق عليها. إن تسلم العضو الرئيسي السيطرة الكلية بنفسه أدى بصورة طبيعية إلى إبطال عمل البعثة.

٢ ـ إعادة التنظيم والواجبات المقترحة للبعثة العسكرية البريطانية

هناك مقترح يقضي بحل البعثة العسكرية، وتولية أحد ضباطها مسؤولية السيطرة الكاملة على أعضائها من البريطانيين، مع وجود ممثلين له في الموانىء ولدى الجيوش المختلفة حسب ما يراه مناسباً.

ويجب أن يكون لديه أيضاً ضابط ركن يتولى الأعمال العامة وآخر للتجهيزات والمعدات بالإضافة إلى ضابط طبيب لتقديم المشورة في جميع الأمور المتعلقة بالصحة العامة.

ومن الأهمية بمكان تعيين ضابط ركن يتولى مهام التجهيزات، لأن الخدمات البريدية والمؤن وغيرها ليست في حالة مرضية الآن، بيد أن تنظيمها على أسس متينة لا تتخلله مصاعب كبيرة.

وسيتولى الضباط الملحقون بالجيوش تقديم المشورة للشريف الذي عليهم التعامل معه حسب الخط العام الذي ترسمه قيادة الأركان البريطانية. وهذا بدوره سيغني عن سخف إبداء ضباط مختلفين آراء متخالفة ووجهات نظر شخصية للشريف الذي يعملون معه، ليتبنّى خطة أو توجهاً مختلفاً في عملياته كما هو سائد الآن. ولا شك أن الضابط الذي يتولى قيادة الضباط والموظفين البريطانيين سيناقش الأوضاع معهم ويضع الخطوط العريضة للنهج الذي يجب على القادة الشريفيين المختلفين اتباعه. عند ذاك سيتوفر نوع من التنسيق في العمليات والآراء والنهج العام. إن ضابط القيادة البريطاني لن يكون مقيماً في (جدة) بشكل دائم، بل سيتنقل على الدوام وهو على سيطرة كاملة على ضباطه وموظفيه جميعاً.

٣ ـ المعدات والتجهيزات للقوات الشريفية

يبدو، في الوقت الحاضر، أن بإمكان كل ضابط الحصول على أية مادة من لائحة التجهيزات، إذا وجدها ضرورية بالنسبة له. ولذا صار بإمكان المرء مشاهدة دراجات بخارية ملقاة على الشاطىء، وعربات مصفحة تجوب سواحل البحر الأحمر، ومدافع عاطلة بقذائفها المعطوبة. ويسمع المرء أيضاً بتحرير نسختين متماثلتين لطلبات شراء الأحذية العسكرية والخيم ومستلزمات المطابخ وغيرها، إضافة إلى ظهور الكثير من التكرار في طلبات المشتريات المتطابقة.

ومن/الضروري وجود نظرة واضحة عمّا هو ضروري من المعدات لجيوش

الشريف الأكبر وما هو ليس بضروري. إن قيام ضباط مختلفين بتوزيع البنادق ورشاشات (ماكسيم) بصورة عشوائية عند الطلب هو أمر يبعث على الأسف. كما أن الفوضى التي تنتاب أوضاع المواصلات ونقل التجهيزات حالياً، تعود في المقام الأول إلى عدم إرسال جميع المعدات عبر قناة واحدة، وتعود ثانياً إلى خضوع تحركات السفن بالضرورة إلى تغييرات من قبل القائد البحري في المنطقة.

إن الزوارق العاملة بين الموانىء الساحلية، وسفن السحب تعتبر ضرورية، ويجب وضعها تحت السيطرة العسكرية.

ومن الضروري توفر قدر من الاتصالات لتوفير استقلالية المراكز العسكرية عن السفن، والاتصالات اللاسلكية وتوفر خدمات بريدية عسكرية بصورة منتظمة ومتتابعة بواسطة زوارق القطر، سيؤمن ذلك (بين السويس والمرافىء الساحلية) أو عن طريق محطات اتصال لاسلكي في البر توضع في القواعد الرئيسية.

وليس بذي فائدة تماماً الخوض في بحث احتمالات إنشاء محطات اتصال بالإشارات مع السفن، التي تنتقل بين الجيوش المختلفة باستخدام المصابيح والهيليو، فالاعتراضات على ذلك واضحة وعديدة.

٤ ـ القيمة العسكرية للجيوش

إن قيمة الجيوش الشريفية كقوة عسكرية تساوي الصفر، لو استخدمت وفق مبادىء خاطئة، أو إذا طلب إليها أداء مهمات تصعب على جنود مدربين. إن الهجوم على (الوجه) هو مثال على ذلك. فعلى الرغم من أن جيش فيصل انطلق في زحف لمدة ٤ أيام فقط باتجاه الشمال وسار موازياً للساحل وعلى بعد ٢٠ ميلاً فقط منه، ضل جزء كبير منهم طريقهم ووصلوا إلى أماكن اللقاء المتفق عليها متأخرين عن الموعد يومين.

وبصفتها جيوشاً غير نظامية مقتصرة على عمليات حرب عصابات، فإنها تعد قوة لها قيمة منتظرة. أما مدى ما يجب تجهيزها به من لوازم ومعدات حديثة فأمر يحتاج إلى قرار على الفور.

وليس معلوماً إلى أي مدى يذهب بقية القادة الشريفيين من حيث الاهتمام بتدريب جيوشهم، ولكن من المؤكد أن الشريف فيصل يتجاهل ذلك، ويعتمد اعتماداً كلياً على بضعة ضباط كانوا في الجيش التركي، وقادة عرب.

إن المدافع ورشاشات (ماكسيم) التي بحوزتهم الآن تسدّ حاجتهم من المعدات. وليس لديهم سوى عدد قليل من الرجال المدربين عليها والقادرين على تشغيلها، ولا يمتلكون قادة من ذوي القدرات التكتيكية على استخدام مثل هذه الأسلحة.

إن قائد المدفعية مع الشريف فيصل (قاسم أفندي) مغرور بنفسه وغير كفؤ بشكل لا يطاق، فهو لا يريد أن يتعلم، وفي الحقيقة صرح أمام حشد من المعجبين، ومن بينهم الشريف نفسه، أنه يعرف عن المدفعية أكثر مما يعرفه أي ضابط ألماني أو تركي أو إنكليزي، وأنه يستطيع أن يجتاز الامتحان أحسن من أي منهم. وكل من هو على صلة به تشرّب بفكرة أن المدفع عيار ٢,٩٥ هو سلاح عديم الفائدة، وعبثاً راحت كل الجهود في إقناعه بأن المدفع المذكور إذا أحسن استخدامه لهو سلاح مثير للإعجاب. وفي الحقيقة أصبح يتفق الآن مع القول بأن مدافع الميدان، حالياً، لا تناسب العمليات الآتية مستقبلاً بسبب التضاريس الطبيعية ومصاعب أخرى واضحة. وتتعالى صيحات المطالبة، حالياً، من كل أفراد الجيش، من الشريف الأكبر نفسه نزولاً إلى آخر مجند، مطالبة بالحصول على مدافع جبلية طويلة المدى، بأحدث طراز من مدفع «شنايدر».

إن امتلاكهم لهذه المدافع سيجعلهم واثقين من قدرتهم على صد هجمات الأتراك والمضيّ إلى سورية. وتجهيز الشريف الأكبر بالمزيد من المدافع يصعب تبريره من وجهة نظر عسكرية بحتة، ولكن لأسباب سياسية وبسبب مدى هوسهم بقوة مدفع (شنايدر) الجبلي وثقتهم بالنصر في حالة حصولهم عليه، نوصي بشدة أن يزوّد الشريف فيصل ببطارية مدافع «شنايدر» ومن آخر طراز. ولو أريد لهم أن يزودوا بالمدافع، فالأولى إعطاؤهم أحدث الطراز ما فضل القذائف التي يمكن شراؤها لأن المدافع القديمة، إضافة إلى كونها عديمة الفائدة، فإنها لن تثير سوى استياء القادة العرب.

وأبدى الشرقيون في كل الحروب الصغيرة اعتقاداً مبالغاً فيه، بقوة المدفعية، وعانوا أيضاً من كوارث عديدة بسبب هذا الاعتقاد.

ولدى الشريف فيصل الآن انطباع بأن امتلاك مدافع يبلغ مداها ٢٠٠٠ ياردة أبعد من المدفع ٢,٩٥ بوصة، لن يكسبه الحرب، ولكن لا شيء، أيضاً، سيقنعه بخلاف ذلك، وعليه ولغرض تثبيت قلوب أفراد جيشه وكذخر معنوي لهم، يصبح إنفاق أثمان تجهيزه بهذه المدافع إجراء مبرراً شرعياً.

ولا شك أن البدو يشكلون العمود الفقري لجيش الشريف، مع أنه لا فائد هنا من الخوض في بحث كيفية تمكن الضباط والجنود السوريين من الانخراط خلسة في صفوفه، فهم لم يظهروا أنفسهم بمظهر المقاتلين الجيدين أو القادة الجيدين. ومن الصعوبة بمكان إدراك القيمة العسكرية لجمع من السوريين كانوا يوماً مشتركين ـ صحيح أن اشتراكهم لم يكن فعالاً ـ في الدفاع عن المدينة ضد جيش الشريف، ليظهروا بعد يومين في استعراض مع الجيش آنف الذكر ويشار إليهم على أنهم الوحيدون الذين ساروا بخطوات منتظمة أمام الحضور. وحين تصل الجيوش الشريفية إلى خط سكة الحديد وتواجه جنوداً مدربين، هل سيكون بإمكان هؤلاء السوريين حينذاك تبرير وجودهم ضمن جيش أو جيوش ربما كانت لها قيمة أكبر في ما لو تشكلت كلياً من العرب، ووضعوا تحت إمرة قادتهم الخاصين بهم.

إن أفراد الجيش من العرب من صنوف الهجانة والمشاة والخيالة جيدون. أما نقاط الضعف فتكمن في أقسام المدفعية والمدافع الرشاشة. ويشكل هؤلاء نقاط الضعف لأنهم غير مدربين ويؤمنون بأن مجرد امتلاك الجنود والمدافع بحد ذاته ضمانة للنصر.

الوضع العسكري والسياسي

يصعب الفصل بين الوضعين العسكري والسياسي، ومن السهل التطرق إليهما تحت عنوان واحد. والوضع العام يبعث على الارتياح.

وترتيب القوات الشريفية حالياً هو على الشكل التالي:

أ ـ الشريف علي في (رابغ) وعلى بعد ٢٠ ميلاً شمال شرقها.

ب ـ الشريف عبد الله، على بعد حوالي ٢٥ ميلاً غرب خط سكة الحديد في «المربعة».

جـ ـ الشريف فيصل في «الوجه».

د ـ الشريف شرف في (بير زيد) الواقعة على ٤٠ ميلاً شرقيّ ينبع.

إن أعداد الجنود الموجودة تحت إمرة كل شريف مشكوك فيها، ويدّعي الشريف فيصل وجود ١٥ ألف رجل معه. ولا يستطيع المرء أن يعد سوف نصف هذا الرقم بالملاحظة الشخصية. ولدى الشريف علي حوالي ٣٠٠٠ رجل، والشريف

عبد الله حوالي ٥٠٠٠ رجل والشريف شرف حوالي ١٠٠٠ رجل.

وموقع الشريف عبد الله في خطر واضح، في حين أن علي وفيصل يلتزمان البعد نوعاً ما. ولقطع السكة الحديد أهمية كبيرة، لكنها ليست بالأهمية الحيوية التي كانت عليها خلال الأشهر الثلاثة الماضية. حيث كان من الممكن خلال تلك الفترة، شن هجوم تركي على مكة والمدينة محتملاً، وكان قطع خط السكة الحديد هو السلاح الأكثر فاعلية ضد ذلك التهديد.

إن التقدم في العريش، وتحرك جيش فيصل شمالاً، وصعوبة وصول الإمدادات، وتهديد خط سكة الحديد، اجتمعت كلها سوية لتحدو بالأتراك إلى سحب مخافرهم المتقدمة، والتركيز على خط سكة الحديد. ولم يعد من السهل الآن قطع الخط حيث إن الحراسة عليه قوية. والمحطات، التي تم تعزيزها مؤخراً، وضعت في حالة الدفاع، وتحولت في الواقع إلى قلاع صغيرة. وكل من ينصح الشريف بأن محطات كهذه يمكن اجتياحها بواسطة مجموعات صغيرة من جيش غير نظامي سلاحها البنادق والقنابل اليدوية، إنما يتحمل مسؤولية خطيرة.

إن الاستيلاء على نقطة واقعة على خط سكة الحديد بواسطة جيش فيصل، والاحتفاظ بها بالقوة لفترة مؤقتة، وبذلك حمل قسم من الخط على الاستسلام، يمكن من الناحية العسكرية، ولكن الاكتساح والاستيلاء المفاجىء والفوري على محطات متباعدة كالتي وصفت في أعلاه، فهو عرضة لمشاكل تختلف تماماً.

ويجب أن يكون من السهل إدراك عدم قدرة جيش فيصل على التحرك إلى الأمام بسرعة محمومة باتجاه خط سكة الحديد. والوضع السياسي، بالنسبة له، أمر في غاية الخطورة، لأن عليه التفكير في المستقبل وكسب القبائل إلى جانبه، ليس ليوم واحد فحسب بل بصورة دائمية. والتهور في أمور كهذه لن يعود إلاّ بالكوارث. ومن الحماقة له التقدم قبل التأكد من موقف القبائل التي سيتركها في مؤخرة جيشه. كما أن العمليات ضد خط سكة الحديد من «الوجه» صعبة. فهي تبعد كثيراً عن أقرب نقطة على الخط، أي حوالي ١٢ ميلاً بالطريق البري.

وينوي الشريف فيصل البدء بتقدمه بعد عشرة أيام نحو (جيدة) واتخاذها قاعدة لجيشه تنطلق منها مجموعات إغارة يتراوح عدد أفرادها بين ٢٠ إلى ١٠٠ رجل تستطلع مواقع العدو لحين حلول الفرصة المناسبة للهجوم على الخط وعزل (المدينة). وبإمكان الشريف عبد الله القيام بدور حلقة الوصل بين الجيشين

المذكورين، أو، وهذا أفضل بكثير، الرجوع إلى مواقعه القديمة شرقي خط سكة الحديد حيث يصبح بإمكانه هناك اعتراض القبائل المتوجهة نحو «حائل» والأتراك الذين يضلون طريقهم، بالإضافة إلى تهديد خط سكة الحديد من الجهة الأخرى.

ويمكن تحقيق أعلى درجات النجاح، فقط، في حالة تحرك جميع الجيوش وفق خطة منسقة، وتحت سيطرة ومشورة قناة مركزية واحدة، وإن شن عمليات تشنجية من قبل جيش بمعزل عن الجيوش الأخرى لن يعطي أفضل النتائج.

ويبدو واضحاً أن الهدف الأساسي للشريف الأكبر هو المدينة، والطرف الجنوبي لخط سكة الحديد. أما المدى الذي سيبلغه استمرار العمليات بعد ذلك، فستقرره بلا شك سلطات أعلى.

وتذهب الافتراضات إلى أن السوريين لم ينضموا إلى العرب ليتوقفوا عند بلوغ المدينة فقط، بل كانت لهم أهداف أعمق من الرغبة في خدمة الشريف الأكبر حين انضموا إليه وربطوا مصيرهم بمصير العرب.

الوجه — الموقع

١٩١٧/٢/٢ — سي. في. (ميجر)[1]
١٩١٧/٢/٢

الشريف محمد علي ومعه ١٠٠٠ رجل يستولي على (ضبا) في يوم ٥ شباط/ فبراير، ويتحرك منها باتجاه (تبوك).

الشريف فيصل يتحدث عن تعزيز قوات الشريف عبد الله بحوالي ٢٠٠٠ رجل. يجب حث فيصل على أنه الآن في أفضل المواقع (الوجه وضبا) للتحرك ضد الأتراك. وعبد الله في موقع سيء.

من السخافة، بعد نيل مواقع وقواعد جيدة، إضاعة قيمتها بإضعاف جيش فيصل ليصبح غير قوي ولا يستطيع توجيه ضربة.

---

(١) كاتب هذه المذكرة هو الميجر سي. فيكري [S. Vickrey] الذي التحق بالثورة العربية لمدة قصيرة، وبعد ثلاث سنوات عين معتمداً بريطانياً لدى حكومة الحجاز.

(ن. ف. ص)

ولدى فيصل، الآن، مفرزتان ملحقتان به، شرف في (ينبع) ومحمد علي في (ضبا)، وهو لا يستطيع إرسال قوات أخرى وخاصة أن تقديراته لأعداد جنوده هي أكثر من الحقيقة.

وفيصل واثق بأنه، مع العرب الذين سينضمون إليه في (ضبا) سيصبح لديه ٢٠ ألف رجل. ولكنهم، على أية حال، لن يكونوا جميعاً من حملة السلاح، إضافة إلى كونهم جنوداً جدداً.

FO 371/3042

(٢٥)
(تقرير)
من القائد البحري العام في الهند الشرقية ومصر
إلى سكرتير وزارة البحرية
عن الوضع في الحجاز

سرّي

الرقم: ١١٧١/١٨٦ التاريخ: ٩ شباط/فبراير ١٩١٧

سيدي،

إلحاقاً بكتابي المرقم ١١٧١/٩٠٦ والمؤرخ في ١٤ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩١٦، أقدم تقريراً آخر لوزارة البحرية عن الحالة الحاضرة في الحجاز.

لا أرى سبباً لتغيير الآراء عن الوضع الذي شرحته في رسالتي السابقة، لكن الاختلاف العظيم في الآراء الذي يتخلل البرقيات التي يرسلها الموظفون المختلفون المعنيون، يحملني على التفكير بأن كل الملاحظات التي أبديها عن هذا الموضوع قد تكون ذات فائدة لسيادتكم، لأنها تمثل أفكار ممثليكم المدروسة في الموقع.

لقد علمت بقلق عظيم في ٦ كانون الثاني/يناير أن فكرة إنزال لواء بريطاني في رابغ تتبلور، وأن سعادة المندوب السامي يحبّذ هذه الخطة.

يرتئي سعادته بشدة أن احتمال سقوط مكة مرة أخرى في أيدي الأتراك، سيكون فاجعة ويؤثر على سمعتنا في أنحاء العالم الشرقي تأثيراً خطيراً، وهو رأي لا يستطيع أحد أن يخالفه. وأعتقد أن ذلك أساس رغبته في وجود لواء في رابغ. ومع ذلك، فلا يسعني إلاّ أن أفكر أن الطريقة التي يقترحها للحيلولة دون ذلك، سوف تكون مؤذية أكثر من الكارثة نفسها. لقد أشار الشريف الأكبر نفسه رسمياً أنه، حتى إذا استطاع الأتراك، لعدم وجود مقاومة فعالة في رابغ، أن يندفعوا في طريقهم إلى مكة، فإنه يتمكن مع ذلك من الاحتفاظ بأتباعه ويستطيع أن يجعل وجود قوة تركية في ذلك المكان لأية مدة من الزمن غير عملي، وذلك بقطع كل التجهيزات عنها. أما إذا أنزلت قوة مسيحية في رابغ فتكون النتيجة بلا ريب فقدانه لأتباعه الحاضرين ومن يحتمل انضمامهم إليه في المستقبل.

وإذا كان هذا التقرير صحيحاً فإن الخطة الأخيرة هي بلا شك أعظم الشرّين، لأنها تتضمن ليس التضحية بأي مظهر من مظاهر الثورة في الحجاز فحسب، بل الإخلال بتصريحاتنا الرسمية للعالم الإسلامي أيضاً، وتكون سلاحاً مفيداً في أيدي المهيّجين من الأعداء.

ولذلك كان ارتياحي عظيماً نسبياً لما علمت بعد ذلك أن هذه الخطوة قد صُرف النظر عنها نهائياً.

وإذا تركنا في الوقت الحاضر جميع المناقشات الأدبية والسياسية، فإنني لا أرى أي عمل مفيد يستطيع لواء القيام به فيما إذا تم إنزاله، فإنه لن تكون له القوة ولا الحركة اللازمة للعمل خارج قاعدته، ويكون أكثر من المطلوب للدفاع عن المطار. ولذلك فإن هذه الخطوة تكون مجرد حصر نحو ٣٠٠٠ جندي حيث يكونون عديمي الفائدة، وبذلك يحرم القائد العام في مصر من ذخر ثمين. يضاف إلى ذلك أن من الحقائق المقررة الآن أنه، فيما يتعلق بالماء، لن تكون أية ضرورة لقوة معادية تتحرك من المدينة إلى مكة، أن تتقدم إلى ما يقارب ٢٠ ميلاً من رابغ، وهي مسافة أبعد مما يستطيع لواء أن يوجه ضربة منها.

وحقيقة احتفاظنا بميناء رابغ، حيث يمكن إنزال قطعة عسكرية ذات قوة غير معلومة وراء العدو تتمكن فعلاً من محاولة التحرك إلى مكة، يجب أن تكون تهديداً قوياً للعدو مثل وجود هذا اللواء حالاً.

ما زلت أرى أن المصاعب التي قد يجدها العدو، في الوقت الحاضر على

الأقل، في مغادرة المدينة والتحرّك نحو مكة هي أعظم مما يستطيع مجابهته. وأنا أتشدّد في هذا الرأي بموافقة كل السلطات العسكرية التي تكلمت معها عن الموضوع. على العدو أن يأخذ بنظر الاعتبار موقف العشائر العربية، وعدم الوثوق منها، لأن هذا على الأقل يكون رادعاً عظيماً له.

وعلى الرغم من أن إخفاق العرب المرابطين في رابغ وينبع في وقف التقدم التركي إلى وادي ينبع من بئر عباس خلال الأسبوع الأول من كانون الأول/ ديسمبر، قد سبّب شيئاً من خيبة الأمل، فإن معنوياتهم قد تحسنت بلا ريب وكذلك نشاطهم.

وضباط الاستخبارات البريطانيون الآن في وضع أفضل للاطلاع أكثر على طبيعة رجال العشائر العربية وعاداتهم، ولذلك نحن نحصل على تقدير أصح لهم. فرباطة الجأش والشجاعة الفردية أمام نيران الأتراك في الهواء الطلق، وأساليبهم الفعالة في الغارات هي، كما يظهر، أعظم مما كان يظن سابقاً. وحين لا يكونون في مواجهة المدافع يظهر أنهم على استعداد ومقدرة لمقابلة الجنود الأتراك.

وقد وردت الأخبار الآن أن انسحاب العرب من وادي ينبع في شهر كانون الأول/ ديسمبر لم يكن بسبب جبن أو خيانة، ولكن لمجرد عاداتهم في عدم الالتزام بالانضباط، مما أدى بهم في تلك المناسبة إلى إعداد الطعام في غير وقته.

وذكر أيضاً بصورة مؤكدة أنه لم يلتحق حتى الآن أية جماعة من عرب الحجاز بالترك، وقد زال الآن عدم استعدادهم السابق للعمل في داخل إقليمهم وحدوده فقط، كما ثبت من عملياتهم مع الأمراء الشريفيين.

وتفاصيل التقدم إلى الوجه من قبل القوة العربية الرئيسية التي أخفقت في المجيء في الوقت المناسب، تدل الآن على الصعوبات الجسيمة التي يجب التغلب عليها. فنظراً إلى عدم وجود الماء والعلف مات الكثير من الأباعر المستعملة للنقل من الإعياء، وتم السير في الخمسين ميلاً الأخيرة بدون طعام وبنصف غالون من الماء فقط لكل رجل.

كانت خططهم في مضايقة المراكز التركية الخارجية ناجحة تماماً في المدة الأخيرة. فالأمير عبد الله قطع الطرق إلى المدينة من الداخل، وبذلك أوقف تجهيز الجمال الضرورية للأتراك. وقد وسّع عمله إلى ناحية سكة حديد الحجاز، وفي نقطة تبعد حوالي ٨٠ ميلاً شمالي المدينة استولى مؤخراً على قافلة مهمة تحمل

٢٠,٠٠٠ جنيه ذهب (وهو يقول إنه وزعها فوراً على أتباعه) مع كمية من العتاد إلخ، ولم يخسر هو نفسه سوى ثمانية رجال. وقد شنت الغارات بصورة فعالة على المراكز التركية القريبة من المدينة، وجرى اعتقال ضباط ورجال والاستيلاء على أسلحة وتجهيزات وقوافل وجمال.

إن الاستيلاء على «الوجه»، و«ضبا» و«المويلح» حسنت الوضع أيضاً إلى حد كبير، فقد أبرزت المظهر الخارجي لقوة الشريف الأكبر الضرورية لإغراء العشائر الشمالية بالانضمام إلى قضيته، وكانت النتيجة أن عشائر البلي التحقت الآن بالأمير فيصل، كما أن بني عطية والحويطات يتبعون خطاهم. واحتلال هذه البلدان سوف يهيء قواعد يؤمل أن تجرى منها غارات على السكة الحديد.

إن العدو قائم بسحب مراكزه إلى داخل المدينة، وذلك لإعادة التنظيم حسب الظاهر، ولتأمين وضعها الحاضر. وكل يوم، بل كل ساعة، يبقى فيه العدو ساكناً، يتحسن وضع الشريف.

وهناك عامل لا شك فيه في التعقيدات القائمة في الحجاز، وهو وجود نحو ٤٠ أو ٥٠ ضابطاً سورياً في ما يدعى «الجيش» العربي. ذلك أن وجود هؤلاء الرجال هناك ليس بدافع من حب العرب الخالص، كما أنهم لم ينجذبوا إلى خدمة الشريف الأكبر بسبب أي شعور تعظيم له. ومن الجهة الأخرى لا يمكن التأكيد بأن دوافعهم أنانية صرفة. وبصفتهم أعضاء في حزب تركية الفتاة الأصلي، يحتمل أنهم التزموا بقضية الشريف احتجاجاً على أنور باشا والعصابة الرجعية لذلك الحزب. وهم ينتمون إلى ذلك القسم منه الذي يحمل المثل العليا الأصلية لحركة تركية الفتاة والذي يرغب حقاً في إجراء الإصلاحات في الإمبراطورية العثمانية. وهم يطمعون في «سورية يحكمها سوريون»، مستقلة إذا أمكن، ولكن إذا لم تحصل على الاستقلال فتكون تابعة لسيادة حكومة تركية إصلاحية. وفكرة سورية تحت حماية دولة أوروبية هي فكرة «لعينة» لديهم. وهم يعتقدون كل الاعتقاد بأن ألمانية لا تغلب عسكرياً وأن تركية ستنتصر في النهاية بنتيجة ذلك. لكن ما يعتقدونه في حالة ارتباك ذهني، هو أن تركية إذا أمكن وقف حركتها الآن في بلاد العرب، فإن حزبهم ينتصر في نهاية الأمر، ويأملون أن يستطيعوا بذلك الحصول على شروط أفضل لأنفسهم في نهاية الحرب.

ومهما كانت الجهة التي يتجه إليها تيار نشاط هؤلاء الضباط فإنهم، مع ذلك،

لم يحولوا دون تثبيت نفوذ الشريف الأكبر بصورة قوية لدى العناصر العشائرية في الحجاز نفسه، بينما نجد السكان المدنيين المختلطين، الذين كانوا في بادىء الأمر قليلي الثقة نوعاً ما في تجاربهم مع الإدارات العربية، أصبحوا راضين عن حكم الشريف، بالنظر إلى اعتداله بصورة دائمة. والعشائر البعيدة صارت تظهر نفسها على استعداد للانضمام إلى الثورة في سبيل تحرير بلادها من الأتراك. ولكن، من الجهة الأخرى، يبدو أن الزعماء العرب الكبار، وإن كانوا بصورة عامة متعاطفين مع القضية، فإنهم لم يكونوا على استعداد لقبول الطراز واللقب الذي اتخذه الشريف الأكبر كملك، ولا شك أنهم يستاؤون من أية فكر ترمي إلى السيطرة عليهم من هذه الجهة.

لعبت مدافع البوارج الملكية البريطانية دوراً بارزاً في سبيل إحراز النجاح للثورة منذ قيامها. ومع أن كمية العتاد التي صرفت كانت صغيرة، فإن مجرد وجود الساحل في يد البحرية البريطانية كان في حد ذاته تأييداً أدبياً عظيم القيمة للعرب. فهم أنفسهم دون مدافع شعروا أن لهم في جدة ورابغ وينبع وأخيراً في الوجه، سنداً يرتدّون إليه ولا يستطيع أعداؤهم خرقه.

هذا هو الوضع بصورة موجزة ودون الدخول كثيراً في التفاصيل كما يبدو لي اليوم. ومع أنني لم أذكر موقف الحكومة الفرنسية عند الوصول إلى هذه النتائج، فإنني لم أهمل أخذها بنظر الاعتبار. ومن الواضح تماماً أن الفكرة الوحيدة للكولونيل بريمون، الممثل الفرنسي في جدة، هي أنه حيثما يمكن استخدام القوات البريطانية يجب أن يكون للفرنسيين تمثيل متساو. وإذا استطعت أن أحمل نفسي على الاعتقاد بأن مثل هذه الرغبة الودية لتقديم المساعدة تعود إلى خير قضية الحلفاء بصورة خالصة، وليس إلى الخوف من التطورات في المستقبل، لكان تعاطفي مع هذا الموقف (الفرنسي) قلبياً أكثر مما أعترف به. إن فتور رغبته (أي رغبة بريمون) في نجاح الشريف وآماله التي يعترف بها علناً بأن يحافظ على الوضع القائم، يجعل من الصعب على أولئك الذين تقع على عاتقهم إدارة هذه الشؤون أن ينظروا إلى احتجاجاته بغير عدم الثقة.

أنا، يا سيدي، . . . إلخ . .
(التوقيع) آر. ئي. ويميس
نائب الأميرال
القائد العام

FO 371/3045 (32869)

(٢٦)

(برقية)

من السير ريجنالد وينغيت (القاهرة)
إلى وزارة الخارجية (لندن)

الرقم: ١٢٧ التاريخ: ٩ شباط/ فبراير ١٩١٧

برقيتكم السرية رقم ٩٧ في ٨ شباط/ فبراير. البنك العثماني.

أظن أن المحتمل جداً أن يقرر الشريف في أية لحظة إغلاق البنك العثماني في جدة وإقالة موظفيه. وإذا ما أقدم على خطوة كهذه، فإنها ستكون على أساس أنهم، استمروا في مزاولة العمل على الرغم من رفضه الاعتراف بهم في الحجاز، وبسبب أن استمرار وجود بنك له مثل هذا الارتباط الوثيق بتركية، والإساءات المالية السابقة هناك، تسيء إلى الشريف في نظر شعبه الذي يعد هذه المؤسسة ـ وذلك أمر طبيعي ـ مؤسسة تركية محضة. ويدرك الشريف أن للبنك مصالح فرنسية وبريطانية، ولكن عليه أن يأخذ بعين الاعتبار نظرة العامة في الحجاز إلى هذا البنك.

وقد أعرب الشريف في الأوساط الخاصة عن رغبته في وجود بنك بريطاني في الحجاز، لكنه لن ينظر في مسألة السماح إلى أية أمة أخرى في تأسيس بنك في الحجاز حالياً.

عند قيام الشريف بخطوة كهذه، سيكون من غير المرغوب فيه تماماً في نظري قيامنا بتقديم احتجاجات عليها، لأنني على ثقة من أن أفضل مساعدة نقدمها للشريف هي الحد الأدنى من التدخل في القضايا الداخلية للحجاز. وإنني أعتبر، إضافة إلى ذلك، إن خطوة كهذه من جانبه ستحل صعوبات عديدة في المستقبل، وذلك لأن البنك العثماني طالما استمر في الوجود هناك فإننا سنتعرض للمصاعب باستمرار، مصاعب إن لم يوضع حد لها الآن فسيكون لها تأثير خطير في المستقبل على نفوذنا في البلاد، وإذا سمح لها بالنمو ستكون بالتأكيد سبباً للاحتكاك مع الفرنسيين لاحقاً. وإن موقفاً حازماً الآن قد يزيح هذه المشكلة.

ومن الممكن، مع ذلك، أن لا يتخذ الشريف الإجراء الذي سبق وصفه. وقد أبلغني الكابتن لويد أنه منذ تقديمه توصيته في أحد مقاطع كتابه المؤرخ في ١٤ تشرين الثاني/نوفمبر المنصرم، يعتقد الآن أن من الواجب اختيار مؤسسة أقوى ولها علاقات عمل أوسع، على الرغم من رغبة الشريف في قبول بنك بريطاني. وربما يكون من غير المرغوب فيه في ضوء الحساسيات الفرنسية، إدخال بنك بريطاني في هذه اللحظة، وإنني، على أي حال، أتقصى بصورة شخصية إمكانية فتح شركة (كواسجي دنشوا) من عدن فرعاً لأعمالها في الحجاز بحيث يتولى القيام بعمليات مصرفية.

وقد يكون من الممكن، حسب اعتقادي، الاعتماد على هذه المؤسسة للتصرف بشكل ينسجم مع المصالح البريطانية والهندية، إذ إن لها صلات واسعة مع تجارة البحر الأحمر وستتمتع بفائدة إضافية لكونها تدخل الحجاز كمؤسسة وطنية وليس كشركة أوروبية.

معنونة إلى وزارة الخارجية

أرسلت إلى الهند ١٢٧

FO 371/3045

(٢٧)

(برقية)

من وزار الخارجية ـ لندن

إلى السير ريجنالد وينغيت ـ القاهرة

الرقم: ٢٥٣ التاريخ: ١١ آذار/مارس ١٩١٧

إشارة إلى برقيتيكم المرقمتين ١٢٧ و١٦٧ (الأعمال المصرفية في الحجاز).

بإمكانك أن تلمح لملك الحجاز بلباقة بأننا لن نعترض على اغلاقه للبنك العثماني في جدة، ومن المرغوب فيه طبعاً عدم ظهورنا وكأننا اتخذنا أية مبادرة في هذه القضية.

وقد يكون من الأفضل رفض الملك السماح بأية أعمال مصرفية في الحجاز في الوقت الحاضر. وسيمكن لنا بعد ذلك رؤية كيفية تطور الأمور، وإذا بدا من الضروري وجود بنك، فسيكون من المرغوب فيه، لكي نحافظ بدون احتكاك على الموقع الأسمى الذي تنازل عنه الفرنسيون رسمياً، أن يكون البنك بريطانياً، كأن يكون مثلاً فرعاً للبنك الوطني في الهند، أو البنك الشرقي. وفي حالة الفشل في ذلك، يمكن الدخول في مفاوضات مع شركة «كواسجي دنشوا» لفتح فرع لأعمالها في جدة.

هل توجد في جدة أية شركات بريطانية أو هندية راسخة ولها القدرة على التعهد بالقيام بالأعمال المالية للحجاج في الموسم القادم إذا اقتضت الضرورة ذلك؟

---

(٢٨)
(مذكرة)
للكوماندر هوغارت (المكتب العربي في القاهرة)
عن حديث له مع فؤاد الخطيب في ١١ شباط/ فبراير ١٩١٧

مستقبل الحركة العربية

لما كان الشيخ فؤاد الخطيب، سكرتير ملك الحجاز بالنيابة، على وشك العودة إلى مكة، فقد استدعيته إلى هذا المكتب في ١١ شباط (فبراير) ١٩١٧، وأجريت معه حديثاً سرياً عن الأهداف النهائية للحركة العربية وسياستها، كما أثرت فيها تجربة الثورة الحجازية. وفيما يلي فحوى الحديث.

بدأ عرضه قائلاً انه اذا اقتصرت سيادة سيّده على الحجاز (أي على المنطقة الغربية من الجزيرة العربية) فإنه لن يكون في وضع مستقل ولا مكتفياً ذاتياً وذلك بسبب قلة الموارد التي ستستحصل في منطقته، حتى في أحسن الظروف. وأكد فؤاد على أن مثل هذا الاعتماد المستمر على المعونة الأجنبية سيسيء الى سمعة سيّده في العالم الإسلامي، وستتضاءل قيمته، ولن يمضي وقت طويل حتى يصبح غير جدير بالمعونة الأجنبية التي تقدم له. والحماسة المطّردة للحج ستخفّ، ومعها يتصاعد

الاستياء الداخلي. إن إسناد دولة مسيحية للملك خلال الحرب العظمى شيء ـ وقد كان ذلك مفهوماً ومقبولاً لأن بريطانية كانت معروفة بدعمها جميع حلفائها بالطريقة نفسها ـ ولكنه سيكون شيئاً آخر بعد حلول السلم. ولم يفترض الملك قط، حين شرع في عمليته الحالية بأنها ستقتصر على الحجاز، إذ لا يمكن أن تقوم دولة عربية ممكتفية ذاتياً على أرض فقيرة بهذه الدرجة، حيث تعطل أقل زيادة في الضرائب، الزراعة في الأراضي القليلة الصالحة للزراعة الآن، وتدفع العشائر الى الهجرة والعصيان، وترفع مستوى المعيشة فوق امكانات كل السكان تقريباً.

سألت ما هي المنطقة والمدينة اللتان يتصورهما الملك قاعدة لاستقلاله؟

أجاب فؤاد: سورية ودمشق. عندئذ ناقشته حول ميول العناصر الشعبية المختلفة في سورية. أجاب ان العناصر المسلمة قاطبة تريد ملك الحجاز، وأنه ـ وخاصة بنظر عامة الناس ـ سليل النبيّ بلا منازع، واسم ابنه فيصل على كل لسان. أما فيما يتعلق بالعناصر المسيحية (أي فؤاد) منذ كان في القاهرة، تلقى تأكيداً بشأن ولاء الزعماء المارونيين. والبروتستانت مؤيدون جميعاً، والكاثوليك متأرجحون، والدروز جميعاً مؤيدون للملك، وانه (أي فؤاد) لم يخامره أدنى شك في أنه حينما يظهر نوري الشعلان وكبار زعماء البدو الآخرون أمام الناس، فان سورية ستثور من أقصاها إلى أقصاها.

سألت عن «حزب اللامركزية» وماذا يمكن أن ينتظر منه في حالة استمرار وجود دولة مجاورة في تركية. قال فؤاد انه لم يعد له وجود كحزب، وسند حكم جمال في سورية لا يعتقد أن الناس ظلوا راغبين في الحكم الذاتي تحت السيادة التركية. وقد اعترف أن العقلية الشعبية لا تزال تربط الحكومة بالأتراك. وان ذلك التقليد قد لا يزول عن أذهان العامة الاّ بعد مرور مدة من الزمن.

سألت عن اليهود في فلسطين، فصرح فؤاد أن العرب واليهود الآن يفهم بعضهم بعضاً، وأنه لن يكون في سورية. والظاهر أن فؤاد ليست لديه فكرة باحتمال اقتراح ترتيب خاص لفلسطين، وفكر في فلسطين كجزء لا يتجزأ من المملكة العربية. وقد صرح أنه كان على اتصال مع الصهيونيين البارزين وغيرهم من اليهود الفلسطينيين، وقد حصل من هؤلاء على تأكيد بتأييدهم.

لقد أثرت (بحذر شديد) القضية الفرنسية ـ السورية. لم يفصح فؤاد عن معرفته بأية اتفاقية قائمة، وبحثنا في المستقبل بدون تحيز. سألت أولاً عن وجود حزب

فرنسي بين السوريين، فنفى فؤاد وجود شيء يعتد به بعد الآن، ورفض أن يتزحزح عن رأيه على الرغم من أنني ذكرت أسماء سوريين معينين أدلوا بتصريحات مؤيدة للفرنسيين. ثم ذكرته بمصلحة فرنسة القديمة ومطامحها في سورية. هل تفترض أن الفرنسيين لا يزالون راغبين في الساحل السوري؟ قال فؤاد على الفور ان داخلية سورية، بدون الساحل، لن تكون ذات قيمة عملية للدولة العربية المستقلة. فوجود الملك في دمشق، بدون سيطرة على بيروت، لم يكن وضعاً ممكناً. وكذلك فإن لبنان هي «قلب سورية». سألت لماذا يعير بيروت هذا القدر من الأهمية وهي ليست الميناء الطبيعي لدمشق، فأجاب انه ميناء لبنان كلها، وكذلك منبع الثقافة السورية العالية، والمثل العربية العليا، وإذا كان لا بد للفرنسيين أن يحرزوا شيئاً، فليأخذوا الساحل من الشمال ابتداء من جونية، وفي هذه الحالة سيكون للدولة العربية موانئها في بيروت وصيدا وحيفا ويافا، فلم أعلق على مخطط التقسيم هذا.

سألت فؤاد ماذا يظن أنه سيعقب احتلالاً غير عربي لأي قسم من سورية، فيما إذا قام أحد بذلك. أجاب أنه لا يظن أنه ستكون ثورة آنية فعالة ضد أية دولة من دول الوفاق، ولكن ستكون هنالك هجرة واسعة النطاق من المنطقة المنتزعة، ودسائس لا نهاية لها، واضطرابات بين السوريين المتبقين في المنطقة. وإذا كانت لدى الفرنسيين أية أفكار كهذه، فإنه يتمنى جعل رجال الدولة والرأي العام في فرنسة يدركون عواطف سورية الحقيقية وما ينتظر أي أجنبي محتل، علقت على ذلك قائلاً إن هناك مناطق عربية واسعة أخرى تستطيع أن تدعم دولة عربية مكتفية ذاتياً. فمثلاً هنالك اليمن. هز فؤاد رأسه بتصميم. إن ملك الحجاز لا يفكر في التدخل في أمر الإدريسي ولا الإمام. وفيما يتعلق بالأخير فإنه كبير العطف عليه بوصفه سليل «علي» مثله، وأنه واثق من موافقته في النهاية.

وقد ذكرته أنه كانت هنالك منطقة العراق. ويبدو أن هذا لم يرق لفؤاد الذي هو سوري. قال إنه كان من المفهوم طبعاً أن البصرة ومنطقة النهر الجنوبية يجب أن تبقى تحت سيطرة بريطانية. أما فيما يتعلق ببغداد والموصل فإنه كان يأمل أن يكون لهما حكم ذاتي تحت سيادة الملك في دمشق.

سألته عن فكرة الحكم الذاتي، فأجاب فؤاد أن ملك الحجاز يرغب في أن تحكم كل منطقة عربية نفسها، تحت سيادته، فكما أن إمام اليمن سيترك وشأنه، فكذلك سيكون الأمر مع ابن سعود والشيخ الكبير للصحراء السورية (نوري الشعلان)،

كل في «ديرته»، وهو يأمل أن يكون الأمر كذلك مع المناطق السورية المختلفة، مثل حلب، ووادي نهر العاصي، ولبنان. وهو لم يتوقع أية صعوبات تالية مع الشيوخ الكبار، ولا حتى مع ابن سعود الذي سيعرف الملك كيف يعالج أمره. وكان يعتقد أن السلطة المحلية في سورية قد خرجت إلى حد كبير، وستخرج أكثر من ذلك أيضاً، من يد الأسر الإقطاعية، التي قل شأنها الآن كثيراً، إلى أولئك الشبان الأقوياء بثقافتهم (هذه الفكرة الأخيرة ربما كانت متأثرة بتاريخ جماعة تركية الفتاة).

كنت أستطيع أن أتلمس عقيدة ثابتة تكمن وراء أقوال فؤاد، وهو أن بريطانية العظمى ستلجأ في النهاية إلى استعمال القوة إذا لزم الأمر لتأسيس الدولة العربية ضد كل ما يحدث، وقد قال مرة إن العرب في الداخل سيرحبون أيضاً بحماية بريطانية، إذا كانت شرطاً ضرورياً للتحرر من التدخلات الأخرى.

إن دخول الملحق العسكري الفرنسي إلى الغرفة وضع نهاية لحديثنا، ولم أستحسن استئنافه، خشية إعطاء فؤاد فكرة بأن الأمر، حتى في الوقت الحاضر، لا ينتظر أن يصبح تماماً كما يتنبأ به ملك الحجاز أو هو نفسه.

و.ج. هوغارث

لفتنانت كوماندر ـ المكتب العربي

١٩١٧/٢/١٢

FO 882/6

تعليق

لقد ترك لديّ الشيخ فؤاد، في جميع اتصالاتي به، انطباعاً بأنه رجل صادق وذكي وكفؤ، ومتشرب بقوة بالفكرة القائلة بأن الخبز العربي يجب أن يؤدم بالزبدة البريطانية وحدها[1]. إنه مع ذلك من طراز البيروتيين ـ الدمشقيين المتعلمين، مثالي

---

(١) يريد أن يأتي الدعم إلى العرب من بريطانية وحدها.

وشاعر (وقد جذب انتباه الشريف أولاً بقصيدة). ويتكلم الإنكليزية والفرنسية جيداً.

إن هدفي الرئيسي من المحادثة التي قدمت عنها التقرير أعلاه كان أن أتحرى (عن طريق الاستنتاج لا السؤال المباشر) إلى أي مدى كانت الأفكار والمشروعات المعينة التي قيل إن فيصلاً يتبناها بشأن منطقة العراق، من وحي والده، أو أن والده يشاركه فيها، وإلى أي مدى هي تمثل برنامجاً اتفق عليه زعماء الحركة العربية بصورة عامة، وفيما إذا كان الاستنتاج السلبي الذي ينتج عن المحادثة، ينطبق على الملك حسين مثل انطباقه على فؤاد، ويعتمد ذلك على رأينا في مدى ما يحظى به الأخير من ثقة الأول. يمكن أن يقال إنه يحظى بتلك الثقة من الناحية السكرتارية، ففؤاد، على أي حال، ترك لدي انطباعاً بأنه لم يطلب إليه أن يدرس قضية العراق بصورة جدية أو اعتبار بغداد بديلاً محتملاً لدمشق. وبوصفه سورياً كان قلبه بطبيعة الحال في دمشق كلياً، أما بغداد فكان يضعها في المكان الثاني.

إن الاقتراح الأول لفؤاد (الفقرة ١) لا يقبل الجدال، وإن ملكاً للحجاز وحده لن يكون قادراً أبداً على توفير موارد تقارب ربع مليون جنيه استرليني من وارداته. إن مكة والمدينة لم تكونا معفيتين من الضرائب منذ قرون فقط، بل كانتا تتلقيان المساعدات المالية، وأغلبية سكان الحجاز (وكلهم تقريباً رحل أو شبه رحل) بينهم وبين الجوع أسبوع. وعوائد الكمارك من جدة وينبع لن تزيد على ١٠٠,٠٠٠ جنيه سنوياً.

أما تصريح فؤاد حول العناصر السورية المختلفة (الفقرة ٢) فيجب طبعاً أن يؤخذ بشيء من التحفظ، وإن استمرار نجاح الشريف سيبرر بلا شك ما يدعيه بشأن جماهير المسلمين. إننا نعلم أن المارونيين البارزين، في الواقع، اتصلوا به منذ كان في القاهرة (وقد رفضنا أن يكون لنا أي دخل في هذا الأمر، أو معرفة رسمية به) ولكننا نشك بقوة في كونهم مخولين للتحدث باسم جميع المارونيين في لبنان. وإنني شخصياً أرفض الاتفاق مع تصريحات فؤاد الكاسحة حول البروتستانتيين (نظراً لفعاليات سليمان البستاني) وحول حزب اللامركزية (نظراً للعناصر التركية والتركمانية في شمال سورية والمدن الكبرى) واليهود (على الرغم من أن يهود فلسطين بصورة عامة يتطلعون إلينا، وذلك بالدرجة الأولى لنيل حريتهم) والحزب الفرنسي ـ السوري (الذي وإن كان قد أصبح ضعيفاً بسبب

افتضاح أمر العديد من الشخصيات البارزة نتيجة عدم حذر القناصل الفرنسيين في أوائل الحرب، فإنه لا يزال بلا شك موجوداً، ولديه ممثلون نشيطون في القاهرة).

وأما فيما يتعلق بالموانىء، فقد شعرت دوماً أن استبعاد الدولة أو الدول العربية عن الساحل سياسة مشكوك في صحتها. إن حيفا، وعكا ـ وصور، هي موانىء مناسبة لدمشق أكثر من بيروت. وإذا كان لنا أن نستقر في حيفا فقد نصبح مسيطرين على واردات دمشق وصادراتها. ولكن يجب أن لا يغيب عن البال أن دمشق نفسها ستكون في «فلك النفوذ» الفرنسي.

وقد بلغنا أن الملك حسين تكلم عن إرسال وفد خاص إلى باريس ليحاول أن يثني الفرنسيين عن احتلال أي جزء من سورية.

وفيما يتعلق باليمن، فإن خصوبتها، والطابع الأكثر صلابة واستقراراً لسكان جميع الأجزاء الجنوبية ـ الغربية من الجزيرة العربية، مما يجعل هذه المنطقة أفضل من الحجاز كثيراً لقيام حكومة عربية فيها. وليس هنالك عدم توافق بين العشائر الزيدية وبين ملك مكة، ولكن الميول الوهابية لقبائل جنوبي عسير التي تتبع الإدريسي الآن، تشكل عقبة جدية دون أي توسع شريفي باتجاه الجنوب.

إن ثقة الملك حسين حول ابن سعود تستند إلى الاعتقاد: (١) بأن الأخير يقتصر على العشائر الوهابية (٢) قلة موارده المالية، ويعتقد حسين أنه يستطيع أن يشتري ابن سعود في أي وقت (بأموالنا طبعاً.. كما هو معلوم!).

إن دواء «الحكم الذاتي» هو تركة من حزب الحرية التركي، وحركة اللامركزية لسنة ١٩٠٨ ـ ١٩٠٩، ولم تكن لدى فؤاد، فيما يبدو، فكرة قاطعة عن تكوينهما أو عملهما: وهو يؤمن فقط بفاعلية الكلمة المباركة نفسها.

د.ج. هوغارث
(لفتنانت كوماندر)
المكتب العربي
١٩١٧/٢/١٧

FO 371/3042

(٢٩)

محتويات برقية من رئيس الأركان الإمبراطورية العامة إلى القائد العام للقوة «د»

سرّي

التاريخ: ٢٢ آذار/ مارس ١٩١٧

تم اتخاذ الترتيبات بين الحكومات الروسية والبريطانية والفرنسية حول مناطق النفوذ في تركية الآسيوية، ومقترحاتكم في برقيتكم المؤرخة في ٢١ آذار/مارس لا تتفق معها. وقعت هذه الحكومات اتفاقية رسمية حول مناطق النفوذ السياسي، ووفقاً لهذه الاتفاقية يتولى رئيس الضباط السياسيين الإدارة والإشراف على أي إقليم تركي تحتله قوات روسية أو بريطانية جنوبي خط يمتد من الحدود الفارسية من نقطة شمال ممر وزنة على طول الزاب الأصغر، وخط قلعة جبار على دجلة والبوكمال على الفرات.

لذلك يجب عقد اتفاق بينكم وبين القادة الروس لمراعاة مناطق العمل، على أن يتقرر مداها بالاعتبارات العسكرية فقط، ويجب أن تؤكدوا على القادة الروس أن هذه المناطق هي للعمل العسكري فقط، ولا علاقة لها بمناطق النفوذ السياسي المشار إليها أعلاه.

FO 371/3057 (103481)

(٣٠)
(كتاب)
من الكرنل ويلسن
المعتمد البريطاني في جدة
إلى الجنرال السير ريجنالد وينغيت
المندوب السامي في مصر

سرّي جدة في ٢٩ آذار/مارس ١٩١٧

سيدي

أتشرف أن أقدم لاطلاع سعادتكم مذكرة للكابتن ن.ن.اي.براي، من الجيش الهندي، حول القضية الإسلامية.

إنني أتفق مع ما جاء في القسم الذي يتناول مباشرة الثورة العربية ومستقبل الشريف، وأؤكد بصورة خاصة على أن ما يهم الإمبراطورية البريطانية بدرجة عظيمة جعل الشريف قوياً إقليمياً بحيث يُعترف به رئيساً زمنياً وروحياً يستطيع العالم الإسلامي أن يلتف حوله.

وليس هنالك شك كبير في أن العالم الإسلامي على أثر سقوط الإمبراطورية التركية سيبحث عن وريث. وكما سبق لي أن أبديت في مكان آخر، فلن يكون هنالك غير الجزيرة العربية أو أفغانستان كمرشحين ممكنين، وإن أفضلية الأولى على الثانية قد عُرضت في مذكرة الكابتن براي المرفقة بدرجة من الوضوح تجعل من غير الضروري إبداء ملاحظات أخرى.

إن الملاحظات التي أبديت تحت عنوان «الاستخبارات خارج الهند» جديرة باهتمام خاص في رأيي.

إنني أتفق مع الكابتن براي في أن الجامعة الإسلامية ليست ميتة بأي وجه من الوجوه، وإنني أعتقد شخصياً أن القضايا التي تحتل المكانة الأولى في الأهمية بالنسبة لنا كإمبراطورية، مع رعايانا المسلمين الذين يبلغ عددهم الملايين، تعتمد

على كيفية معالجة القضية الإسلامية الآن وفي المستقبل القريب.

هل لي أن أرجو فخامتكم التفضل بإرسال هذا التقرير إلى وزير الهند كما طلب الكابتن براي.

وأتشرف... إلخ.

(توقيع) س. اي. ويلسن
لفتنانت كرنل

FO 371/3057

(٣١)
(مذكرة)
عن القضية الإسلامية
تأثيرها في الحوادث في الهند وبلاد العرب

مستقبل الإحياء الإسلامي العظيم في الوقت الحاضر حين لا تعود تركية دولة يعلق العالم الإسلامي آماله عليها

أعدها: الكابتن براي

جدة في ٢٥ آذار/مارس ١٩١٧

> «أرى لذلك أن المعلومات المفصلة الموضوعة في يدنا من خلال رسائل عبيد الله مضافاً إليها تصريح عبد الحق تبرر وتتطلب جهداً من جانب الحكومة (البريطانية) لهدم طرق المواصلات والدسائس التي ظهرت لنا، وكبت بعض الأشخاص المهمين ذوي العلاقة لخير المجتمع بأسره ولأجل السلام وأمان الإمبراطورية». (مقتبس عن مذكرة للسير شارلس كليفلاند عن أنجمن خدّام كعبة).

لقد اخترت الفقرة المتقدمة توطئة لمذكرتي لأنها تلخص بكلمات قليلة غايتي من تقديمها.

أدرك تماماً أنه ليس من شأني انتقاد عمل الحكومة أو سياستها، حتى إذا كنت مؤهلاً لذلك، وأنا لست كذلك. وإذا بدا أنني أفعل فأطلب الصفح لأنه ليس لي رغبة متعمدة في هذا الخصوص. إنما هذه محاولة جدية، ومحاولة خصوصية خالصة، للمساعدة بطريقة صغيرة للحفاظ على إخلاص وثقة الأكثرية العظمى لأعضاء إمبراطوريتنا، وفي الوقت نفسه للمحافظة ضد بعض التجمعات التي قد تكون قوة محتملة وخطراً حقيقياً لنا في عهد لاحق.

إن الجهد ضدنا ليس منحصراً في الهند وحدها، كما يعترف بذلك بوضوح السير كليفلاند في تقديره لمؤامرة الرسائل «الحريرية» التي نقلت مقتبساً عنها في رأس هذه الصفحة.

إنها منتشرة في منطقة واسعة، بل في العالم الإسلامي كله. ولذلك يجدر بنا، لأجل المحافظة على أنفسنا، أن ندرس ونراقب بدقة الأحداث في إيران وأفغانستان وتركستان وجاوة وبلاد العرب فضلاً عن مراقبة وضعنا الداخلي نفسه.

ولا بد من الاعتراف بأن الحركة مستمرة منذ سنوات عديدة، وقد حصلت على أتباع عديدين، وأصبحت مثلاً أعلى لألوف من أبناء الجيل الحديث، أولئك الذين تشربوا بالأفكار الإسلامية في التعليم.

صحيح أنها ليست لديها سياسة معينة قاطعة تجاه الأغلبية الواسعة، فهي في الوقت الحاضر مجرد شعور لدى الجماهير، وعبارة عن أوهام، ولكن الزمن سيجعله أكثر موضوعية. وحالما يصبح للحركة في عقول المسلمين بصورة عامة هدف واضح، وأمل، وطموح، فإنه يصبح خطراً حقيقياً وعاجلاً. ولن يكون بالضرورة خطراً في حد ذاته، كعامل عسكري، بل سلاحاً، وسلاحاً قوياً جداً، بأيدي أي عدو في المستقبل. وحتى في هذه الحرب الحالية سببت لنا المسألة الإسلامية قلقاً كثيراً جداً. ولكنها في هذه المرحلة لا تزال مفككة، وليس لديها أي تنظيم حقيقي، والمستقبل قد يعالج أو يحسن كلا هذين الخللين. فإذا كنا في ذلك الوقت قد سببنا نفرة الشعور الإسلامي، فإننا نتعرض لخطر شديد إذ نكون عاجزين عن معالجة ذلك الخطر بالطريقة التي سرنا عليها خلال الاضطراب الحالي، وساعدنا فيها قدر كبير من الحظ.

لا يمكننا أن نأمل أن نقضي بإجراءات قمعية في الهند وبلاد العرب أو مكان آخر على العناصر التي تؤلف مادة خطرة. ولا يمكننا أن نأمل أن نزيل بإجراءات شديدة حركة كهذه عميقة الجذور ومنتشرة في ميدان واسع، أكثر من أن نأمل أن نقضي بإجراءات مماثلة على الحركة الاشتراكية في أوروبا. إن الإجراءات القمعية الخالصة تدفع بالحركة إلى العمل السري لا غير، ونحن نعقد خيوطها. والاعتقالات بالجملة لا تفعل أكثر من التخويف آنياً ثم تؤدي إلى سخط أكبر، بينما هؤلاء المعتقلون ينظر إليهم كشهداء في سبيل قضية نبيلة ويجتذبون بقضيتهم أشخاصاً أكثر إلى الميدان ضدنا. أما أولئك الذين يعملون في أقطار لا رقابة لنا عليها، أو لنا رقابة قليلة، فيكونون أكثر تصميماً في محاولاتهم.

لذلك فالنقطة التي أرغب في التأكيد عليها هي أن الحركة قد استقرت استقراراً قوياً في أذهان المسلمين إلى حد أننا لا نأمل إزالتها. وحتى في الهند، مهما تكن إجراءات الردع الشديدة التي نتخذها، فإنها تجتذب موالين جدداً، وفي الأقطار خارج الهند تبلغ زخماً جديداً.

لذلك فإن الأساليب التي نتبعها والسياسة التي نتخذها في المستقبل القريب سوف تخلق لنا أصدقاء كثيرين أو أعداء كثيرين.

فإذا أظهرنا أنفسنا معادين كل العداء لهذه الحركة، فإن هذه الحقيقة سوف تجد ترحيباً لدى أولئك الذين يعملون ضدنا، وهي نفس الموقف الذي يرغبون أن نتخذه.

ويجب أن نحمل في أذهاننا دائماً أن القوة الإيجابية الدافعة تقع في أقاليم لا سيطرة لنا عليها، في أقطار مستقلة أو تابعة لتوجيه دول أخرى.

إنني أحاول معالجة القضية بوصفها قضية إسلامية بحتة، وإن لم تكن قاصرة على العالم الإسلامي بأي وجه من الوجوه، بل إنها، من حيث الأساس، قضية آسيوية. وإن معالجتها بهذه الصفة ستضاعف من صعوبة هذه المحاولة الجسيمة، وأنني أذكر هذه الحقيقة هنا إشارة إلى ملاحظتي الواردة أعلاه: «تحت سيطرة دول أخرى».

يؤمل أن الحرب التي تخوض غمارها الآن تكون الأخيرة لمدة طويلة، لكن وضع سياستنا على هذا الافتراض يؤدي إلى التعرض لمخاطر شديدة. إن أمننا الأكبر يقع على الحيلولة دون حدوث مثل هذا الاحتمال بكل الوسائل التي في

يدنا، وفي نفس الوقت حفظ أنفسنا، من مثل هذه الإمكانية. وإذا كان إمكان لتورطنا بحرب أخرى في المستقبل القريب أو البعيد فيكون من الحكمة النظر في التجمعات التي يحتمل أن تستعمل ضدنا.

إن فكرة الجامعة الإسلامية التي تعتبر الآن ميتة كانت، كما أؤكد بكل قوة، محض سلاح سياسي استعمل لتوحيد بعض الشعوب على أساس مشترك، بينما هي من النواحي الأخرى، منفصلة انفصالاً واسعاً حتى في المعتقدات الدينية، كالشيعة والسنة مثلاً، وذلك لغرض نهائي بعيد جداً عن الجامعة الإسلامية أو الدين.

وقد استغلتها ألمانية، وحاولت استعمالها، وطلبت تركية العون منها، لكن هاتين الدولتين أخفقتا تماماً في الاستفادة منها لأنهما لم تقدراها حق قدرها سياسياً أو عسكرياً، وباستعمال أساليب خاطئة وعدم قراءة العلامات بصحة، وبكونهما منفصلتين انفصالاً واسعاً بطبيعة أمرهما، فحولت أكثرية شعبها ضدهما.

إن هاتين ليستا الدولتين الوحيدتين، غيرنا، اللتين تهتمان بالمسألة الإسلامية، ففرنسة وروسية، وأفغانستان واليابان جميعها تدرس هذه المشكلة دراسة وثيقة.

وفي المستقبل سوف تتوقف تركية عن أن تكون دولة ذات أهمية، لكن مقومات الجنسية التركية لا يمكن هدمها. وأفغانستان وحدود الهند الشمالية الغربية تبقى، وجزيرة العرب أخذت أهمية عظيمة جداً، وسورية وإيران الشمالية سوف تتقدمان تحت ظل فرنسة وروسية.

وقد عثر حديثاً في الهند على مؤامرة موجهة مباشرة إلى الحكم البريطاني. واستمر رئيس تحقيقاتنا الجنائية ثلاث ساعات يشرحها لبعض ضباطنا ذوي الخبرة الفائقة. لكن هذه المؤامرة على أهميتها ليست سوى حجر صغير في البناية.

إن «أنجمن خدّام كعبة» ليس سوى جمعية واحدة من جمعيات كثيرة، وفعالياته لا قيمة لها بالنسبة إلى المجموع، ولو أن أعضاءه كثيرون.

لم يكن لها أي أمل في النجاح، فقد أخفقت في مرحلتها الابتدائية. لماذا؟ لأنها كانت تعمل قبل أوانها، ولأن سائر الرؤساء ذوي الخبرة يعرفون تماماً أنه، مهما بدا هذا الوقت ملائماً، فإنه ليس الوقت لإظهار قوتها.

إن القوة والتنظيم هما اللذان كانا السبب في ظهور «الأنجمن» وسائر المنظمات المماثلة إلى الوجود، وذلك ما يجب أن يثير اهتمامنا. وإن اكتشاف هذه المؤامرة

التي، كما قلت، لم يكن من المقدر لها أن تصيب نجاحاً، لها أهميتها الحيوية لمجرد أنها تقودنا خطوة أقرب لتقدير العوامل التي أدت إلى وجودها. واعتقال أعضاء الجمعية الرئيسيين، ولو أنه يزيل في الوقت الحاضر مادة قابلة للالتهاب، فإنه لا يؤثر في تحريرنا من مخاطر مماثلة في المستقبل أو وقف سير الأحداث الإسلامية، أكثر من تأثير سحب بضعة دلاء ماء من نهر لوقف جريانه. وقد كنت حديثاً متصلاً بأعمال «الأنجمن» هنا في جدة وبواسطة وكلاء في مكة بالنيابة عن الحكومة الهندية بأوامر من الكرنل ويلسن.

وظهر، كما علمت حقاً قبل الحرب، أن مسلمين من بخارى هم وكلاء نشيطون لفكرة الجامعة الإسلامية ومعادون للبريطانيين والشريف.

وجالت في ذهني حقيقة غريبة في كثير من الأحيان، ولو أن رعايا القيصر (الروسي) في بخارى وسمرقند وطشقند وأماكن أخرى في الأقاليم الروسية، كانوا يقومون فعلاً بالدعاية، فإن اضطراباً مماثلاً لما جرى في الهند وإيران ومصر لم يسمع به في تلك الأقاليم.

فلماذا إذن لا يقوم رعايا قيصر، وهم مشربون بنفس المثل، باستحداث مشاريع لإزاحة سادتهم؟ وعند درس قضية رسالة «سلك» نعلم أن بعثة من الهنود وغيرهم قامت بزيارة من كابل إلى الإقليم الروسي في نيسان/أبريل ١٩١٦. وكان غرض البعثة قد استبقي طي الكتمان الشديد جداً، حتى عن أعضاء الجمعية الفعالين في كابل. ولكن يظهر أنه انصرفت الرغبة، بين أغراض أخرى، إلى معرفة هل أن روسية تمتنع عن التدخل في حالة هجوم أفغانستان على الهند. وقد عادوا بعد ذلك إلى كابل مسرورين بنتيجة مهمّتهم، وقيل دليلاً على ذلك إن موظفاً روسياً كان سيذهب إلى أفغانستان في زيارة تتعلّق بهذا. وفي الوقت نفسه عادت البعثتان الألمانية والتركية دون أن تحققا شيئاً. ويجري اختيار مراكز إدارة لهذه الجمعية في كابل والمدينة والآستانة وطهران. وليس هناك أي مركز في بلاد القيصر. ومن الواضح إذن أن روسية ينظر إليها كصديقة من قبل المتآمرين بالمقارنة مع بريطانية العظمى. وأنا قلق جداً لأن الأسباب التي دعتني إلى استرعاء النظر إلى هذه النقطة يجب أن تكون واضحة.

ولا أرغب في إبداء فكرة خيانة من جانب الحكومة الروسية، لكنني أقرّ بأن موظفي بتلك الحكومة المسؤولين عن مناطقها البعيدة يتبعون سياسة اعتداء تكون

أحياناً معارضة مباشرة لأوامر بتروغراد.

ومن الخطأ من جانبي أن أمضي أكثر من ذلك في هذه القضية في الوقت الحاضر، وغايتي الوحيدة هي ذكرها بصورة خفيفة لكي توضح خطراً واحداً قد يجابهنا في مدة لاحقة، لأننا إذا كنا غير متعاطفين مع المثل الإسلامية، بينما تظهر دول أخرى متعاطفة خلاف ذلك، خاصة إذا كانت تلك الدول قوية، فإننا نجابه مخاطر شديدة في استبعاد عناصر قد تكون في المستقبل مساعدة لنا كثيراً أدبياً وعملياً، وأكثر من ذلك قد تدفع تلك العناصر إلى صفوف عدوّ محتمل.

ولذلك من المهم لنا أن نسيطر على أكثر ما يمكن من الشعوب الإسلامية، ونمنع بسياسة العون وتنازلات قليلة تدعو الحاجة إليها إلى أولئك المسلمين الذين من رعايانا، احتمال بحثهم عن التأييد في مكان آخر. قال لنا الخبراء الذين درسوا حركة الجامعة الإسلامية في تركية الأوروبية إن فكرة الجامعة الإسلامية قد ماتت أو لا تأثير لها. وإن كنت لا أحاول إن أدعي المعرفة مثلهم بهذا الموقف، فإنني أجرؤ فأقول بكل عدم ثقة إنهم كانوا على خطأ حين تخصصوا في موضوع تركية أو توقفوا عن دراستها، لأنها انطفأت في تلك البلاد. وبهذا اعتبروا أن تركية تتولى قيادة العالم الإسلامي، وكان ذلك، ولا يزال، بعيداً عن الواقع. من الحقيقة القول إن عيون المسلمين تتجه إلى الأمة العثمانية، لكن سبب ذلك أنها على الغالب دولة عسكرية إسلامية قوية، يستطيعون من خلال ذلك أنهم قد يمكنهم بواسطتها تحقيق هدفهم، لكن تركية لم تتولّ القيادة قط. والهند مثلاً أشارت إلى تركية مراراً إلى خطة عملها، وكان المسلمون الهنود ينصحون فيها الأتراك بالإصلاح والاعتدال، ويدعونهم إلى عدم التورط في الحرب وإنفاق وقتهم في تثبيت تركية وتحسين حالتها الداخلية. وأعرب عن نفس النصائح في الصحافة الهندية. ولكن كما في ألمانية ثبت أن فكرة الجامعة الجرمانية قد أخفقت فإن الأتراك اتبعوا تعاليم سيدهم وماتت فكرة الجامعة الإسلامية في تركية وحلّت محلها سياستهم العنيفة الحاضرة، ولكن إذا كان قد حدث في تركية فإن من الخطأ القول بأنه كمثال أو نتيجة لذلك ماتت فكرة الجامعة الإسلامية أو أصبحت غير فعّالة. وقد حاولت أنا بطريقة صغيرة جداً دراسة هذه القضية في أقطار إسلامية مختلفة، وأنا مقتنع في فكري أن هناك آلافاً من المسلمين المخلصين يعملون بإخلاص للاستقلال الإسلامي. وهناك آلاف من المتعصبين الثابتين أكثر من ذلك يركضون قبل أن يستطيعوا المشي يحاولون أن يحققوا في سنوات قلائل تغييراً يتطلب أجيالاً للنضوج. وقد رأيت تدريجياً المثل

الأعلى يخالط أذهان الجماهير. وصحيح أنهم يكوّنون لأنفسهم آراء واضحة عن حاجاتهم ومطامحهم، كذلك ليس للاشتراكيين (آراء) كجمهور. وصحيح أيضاً أنهم ليسوا متفقين إلى درجة تكفي لفهم المثل الأعلى كما يشرحه قادتهم، لكن هناك علامات لا شك فيها تدل على أن أذهان الجماهير على شؤون واسعة مضطربة وأنها أشبه بسطح البحيرة الهادىء تحركه ريح خفيفة. ويظهر ذلك في أساليب صغيرة متعددة، لا صلة لها في النظرة الأولى بالقضية الكبرى. عدم الارتياح لحالتهم، الانزعاج بسهولة، حساسية أكثر بوساوسهم الدينية، أقل صداقة لنا كمجموعة، هناك نقاط كثيرة جداً غير ذلك ذات أهمية بسيطة في الظاهر، وكلها دليل لدى الدرس العميق على تغيير واضح في أذهان المسلمين وموقفهم - أحدهم نحو الآخر وللعالم عموماً، ولو أنهم موجودون في أقطار واسعة الاختلاف، ويكل ببساطة لأنهم مسلمون. (هذه ملاحظة مهمة شعرت بها خلال الحرب، حين اجتمع المسلمون لأول مرة في أقطار مختلفة اختلافاً واسعاً). ولا يسعنا إلاّ أن نعترف بأن هناك قوة ترمي إلى توحيد المسلمين في كل أنحاء العالم.

أعتقد أن من المهم تلخيص ما حققه الشريف بمساعدتنا خلال الأشهر الثمانية الماضية.

في مكة كانت أكثرية الشعب مناوئة له، مستعدة للإفادة من أي نجاح تركي، لاتخاذ إجراءات فعالة ضده. وقد بلغ من نفوذه الشخصي أنه، وهو يعمل فعلاً بمفرده، استطاع أن يكسب إلى جانبه الكثيرين من خصومه السابقين، حتى بعض أقارب الشريف عليّ حيدر وأصدقائه.

وكانت عشائر الحجاز متفرقة وحتى مناوئة إحداها للأخرى وله. بل هناك نزاعات بين الرؤساء لكل عشيرة فردية مختلفة.

وقد استطاع أبناؤه أن يحملوا هذه العشائر التي فرقتها عداوات محلية وحزازات دموية لأجيال طويلة على تسوية نزاعاتهم لمصلحة القضية العربية. وليس ذلك فحسب بل جلبوا العشيرة كلها، إلى الميدان تحت لوائهم.

وفي جيش الشريف فيصل حين زحف إلى الشمال اجتمعت فئات كانت، حتى قبل أسابيع قليلة، معادية بعضها للبعض وللشريف.

يتكلم الشريف فيصل عن نفوذه العظيم في سورية والأشياء الكبرى التي يأمل أن ينفذها بواسطته. ولما كنت أعرفه وقد رأيت النجاح البالغ الذي حصل عليه

بسحر أخلاقه ولباقته وشخصيته، لا شك لدي شخصياً في النجاح الذي ينتظره إذا سار مع جيشه إلى تلك المنطقة. ومن المهم الشعور بالأهمية العظمى لهذه الحقيقة. خلال أشهر قلائل تمت تسوية قرون طويلة من النزاعات، وعلى الرغم من العداوات المحلية، لم تطلق طلقة واحدة، حسب علمنا، من جانب أي رجل عشائري ضد قوات الشريف.

وقد أخذ الرؤساء العرب الآخرون يعترفون بنجاحه ونفوذه، وهم يقرون بسرعة أنهم جروا وراء الفريق المخذول فصاروا يثبتون بالنتيجة أو يظهرون علامات الرغبة في المشاركة في مساعيه.

وإنني أشير بصورة خاصة إلى الإدريسي، وابن الرشيد الذي صرف أخيراً الأتراك الذين كانوا معه في حائل، ويحيى إمام اليمن.

وقد يعترض معترض أن نجاح حركاتنا قد حقق ذلك. ولا أنكر أنه ساعد مادياً في تحقيق ذلك، لكن الحقيقة ذات المغزى أن هؤلاء الرؤساء، حتى حين وجدوا الفرصة للهجوم على الشريف بصورة فعالة، لم يفعلوا ذلك. وذلك يدل في رأيي أنهم ولو كانوا غيورين على نفوذهم، فإنهم مع ذلك لم يكونوا راغبين في إلزام أنفسهم نهائياً بمعارك علنية إلى جانب الأتراك ضد أبناء قوميتهم.

وفي خارج جزيرة العرب وفي مصر على كل حال يتحول الرأي العام بسرعة لصالحه، وحتى المارونيون طلبوا حمايته، والأمر أكثر احتمالاً بأن في الهند يتخذ الرأي العام قبل أمد طويل تغييراً كاملاً.

عسكرياً

عند نشوب الثورة لم يكن لدى العشائر سوى معلومات عسكرية قليلة أو كانوا بلا معرفة عسكرية.

والقوات العشائرية المحلية لم تكن بأية حالة من المقاتلين الشجعان بين العرب، لأنها عاشت في أمن أكثر من معظم مجاوريهم. لم يسبق للعشائر أن استبقيت في الميدان لأكثر من أسابيع قليلة في وقت واحد. والتعاون بالمعنى العسكري لم يكن معروفاً والنظام غير موجود. أنا لا أحاول أن أدعي بالنيابة عن الشريف أن هذه النواقص قد أصلحت الآن ولا أخفف من المساعدة الكبيرة التي قدمناها بالمادة والمشورة، ولا أنكر النواقص الخطيرة من وجهة النظر العسكرية المتأصلة في قواته.

لكن هناك تحسناً ظاهراً ومتزايداً في هذا الخصوص، والنتائج التي حققت في الميدان العسكري ليست أقل إثارة للإعجاب من تلك التي حصلت في الميدان السياسي.

لقد دُمِّرت فرقة تركية كاملة، وعزلت فرقة ثانية، وضويقت ثالثة مضايقة شديدة وأُرغمت على الوقوف نهائياً موقف الدفاع. واحتلت ثلاث مدن واستولت على مراكز عديدة أو دمرتها.

احتفظ على الأقل بـ ١٠٠٠٠ محارب في الميدان بصورة دائمة لمدة ثمانية أشهر.

إن زحف الشريف فيصل مسافة ٢٠٠ ميل مع قوة قدرها ٨٠٠٠ رجل، ولو أنه لم يتم بالسرعة المأمولة، فإنه لم يكن ولا ريب إنجازاً عسكرياً صغيراً.

وتقدير الكابتن لورنس عن هذا الزحف له أهمية خاصة ويستحق أن يدرس دراسة دقيقة. وقد اعترف الإخوان الثلاثة بروح التعاون وأهميته وأصبحوا يعملون بها.

وعلينا فضلاً عن ذلك أن لا ننسى المساعدة الفعالة التي قدمتها هذه الثورة لنا. فقد ساعدتنا من الناحيتين السياسية والعسكرية، إلى مدى ربما لم يقدر تقديراً كاملاً.

إن المقتبس التالي المأخوذ من تقدير للموقف العربي كتب قبل عدة أشهر وهو يعطي فكرة جيدة عما أنجزه كفاح الشريف في سبيل الاستقلال.

«على الرغم من عدم اتخاذ إجراء على نطاق واسع ضد العثمانيين حتى الآن بنتيجة مفاوضاتنا مع الشريف فلا بد من الإشارة إلى أن نتائجها السلبية مرضية تماماً. فمن خلال هذه المفاوضات في سنة حرب خطيرة حقاً، لم تضمن الحياد الودي لنفوذ قوي جداً فحسب، بل سببت إزعاجات شديدة لعدونا وأخرت أو قضت على تحقيق خطط واسعة لتحشيد عداوة إسلامية ضدنا، مما كان يحتمل أن يجعل موقفنا في الشرق أقل صلاحاً مما هو عليه الآن».

وبعد كتابة ما تقدم كانت لنا أسباب أكبر لتهنئة أنفسنا.

بعثة ستوتزنغن استهدفت خلق ثورة واسعة النطاق في أفريقية الشرقية وأماكن أخرى في أقاليمنا، وهي خطة نظمت تنظيماً جيد جداً واحتوت على عناصر ذات أخطار عظيمة لقضيتنا، وقد فشلت وقتل وكيلها في الحجاز.

ومؤامرة «أنجمن خدّام كعبة» التي ترمي إلى محاولة خطيرة لتحريض الهند على العصيان وأفغانستان على دخول الحرب كانت، لولا العثور على «رسائل سلك»، قليلة الحظ من النجاح، مع مكة إحدى مراكزها الرئيسية في يد الشريف والمدينة مهددة تهديداً خطيراً، بينما استطاعت الثورة أن تلقي بالمتآمرين في اضطراب عظيم في الهند وخارج الحدود.

وما تقدم يلخص بإيجاز ما تم تحقيقه، والمستقبل القريب يجعل توقعاتنا أكثر أملاً للشريف ولنا إذا كنا على استعداد للاستفادة منها.

ولكن قبل أن ننظر في هذه التوقعات أذكر حقيقة أخرى ذات صبغة سياسية تستحق أن ننظر فيها.

إن إمكان تأليف دولة عربية تعاظم مؤخراً إلى مدى واسع جداً. فهناك في القاهرة رجال كانوا في الماضي وإلى وقت قريب معادين للشريف بمرارة، وبهذا الأمل بصورة رئيسية غيروا الآن عداءهم إلى إعجاب شديد.

وبين العرب أنفسهم تسيطر هذه الفكرة عليهم ـ بسرعة، وتلاحظ حماسة متزايدة لقضيتهم.

ولأجل تصوير هذه الملاحظة الأخيرة أنقل من تقرير الكابتن لورنس الذي كتبه وهو مع الشريف فيصل في زحفه شمالاً إلى «الوجه»:

«إن دوافع فيصل في اتخاذ هذه القوة الكبيرة معنوية وليس تاكتيكية، وقد بررت نفسها تماماً حين قال عودة (أبو تايه): «ليس هذا جيشاً، بل عالماً يزحف إلى الوجه». وحين قال عبد الكريم البديوي في «سمنة»، وهو جالس في باب خيمته، وقد رأى السهل جميعه مزروعاً بنيران المعسكر لهذه الفرق المنتشرة: «نعم، لسنا بعد بدواً بل نحن أمة»».

إننا نحن الذين أنزلنا سفينة الأماني العربية، ونحن الذين أرسلنا العرب للبحث عن مقدراتهم. وليس في استطاعتنا حذف هذه الحقيقة من مجالسنا، من قلوب العرب، ولا التغاضي عن حصتنا أمام حكم جميع الشعوب الإسلامية.

نستطيع إذا كنا حكماء أن نشارك في نجاحهم لأننا سوف نعتبر حقاً مسؤولين عن كل ضرر قد يلحق بهم.

خلال هذه الأوقات القلقة، حين كانت الثورة في مرحلتها الخطيرة، سمعت،

أنجال الشريف مراراً عديدة يقولون بصدق وإخلاص: «إن مقدراتنا تعتمد على شيئين: الله وبريطانية العظمى». ومع أننا قد نبتسم لهذا القول، أصرح بكل قناعة أن إيمانهم واعتقادهم فينا حقيقي وقد تضاعف خلال الشهرين الأخيرين.

إذن من المهم جداً أن نحصل للشريف على الأقاليم التي تحقق المطامح العادلة للشعوب العربية. يضاف إلى ذلك أننا إذا حققنا له أقل مما هو عادل ومعقول يمكنه من المحافظة على الوضع الذي تحقق، فإننا يجب أن لا ننسى أبداً أننا نسيء إلى نفسنا في أنظار الشعوب العربية، وأنها ستشعر دائماً أننا نحن الذين كان في وسعنا أن نحقق لهم ما يجب تحقيقه، قد امتنعنا عن منحهم ما يستحقونه. وسوف يحاولون دائماً الحصول عليه لأنفسهم على الرغم منا، وبذلك نفقد صداقتهم لنا إلى حد كبير أو صغير. وسأحاول أن أشرح في جزء آخر من هذه المذكرة كون هذه الصداقة قد تعني الكثير بالنسبة لنا في المستقبل.

ولكن فيما عدا العرب، فإن التأثير يكون أعظم في سائر الأقطار الإسلامية. إن السلطة الروحانية للشريف عظيمة وسلطته الزمنية، إذا ربطنا شعبه بنا، يجب أن تكون بنفس النسبة. إذا قضينا على بلد إسلامي واحد، أي تركية، ولم نعوض العالم الإسلامي بصورة كافية في جهة أخرى، نكون قد أتحنا الفرصة للذين يعملون ضدنا للتعريض بنا، لأنهم سيكونون تواقين للقيام بذلك، أمام عيون إخوانهم في الدين، كقوة مدمرة للإسلام. والأهم من ذلك فإننا نكون قد منعنا الشريف من الحصول على التأييد الذي كان ـ يحصل عليه لولا ذلك من رعايانا المسلمين الهنود لأن المسلمين في الهند، إذا وجدوا رئيسهم الروحاني في الوقت نفسه حاكماً لبلاد كبيرة إلى درجة تؤثر في مخيلتهم، وكافية للحفاظ على نفوذ المسلمين تعويضاً عن مثلهم العليا المفقود في تركية. وهم يتجمعون حول الشريف كأب لآمالهم وحولنا تعبيراً عن شكرهم.

والبديل هو أن خصومنا سوف يبحثون في محل آخر عن رئيس له من القوة والنفوذ ما يكفي ليحل محل تركية ويحقق آمال أتباعهم الذين لا يحملون لنا الود خارج منطقة نفوذنا. ويصبح الشريف لا شيء عملياً، وسوف يشيرون إلى عدم فعالية التأييد البريطاني.

من المهم جداً للإمبراطورية إذن أن نجعل الشريف قوياً بصورة كافية ليعترف به رئيساً روحياً وزمنياً للعالم الإسلامي وأن نحافظ على أمتن العلاقات معه، وأن

نقود سياسته ونحافظ على الثقة والمودة اللتين لا شك في وجودهما في الوقت الحاضر.

ومن المهم جداً إذن أن تقع عاصمته الإدارية في منطقة نفوذنا وأن تنفذ هذه الإدارة حسب خطواتنا، وأن الجيش الذي ـ لا شك في أنه سيحتفظ به ـ يدرب من قبل ضباط بريطانيين.

ويجب أن نتذكر دائماً أن القسم الأعظم من إقليمه يقع في بلاد لا دخل لنا فيها لأسباب دينية.

لقد حاولت أن أشرح بصورة مسهبة وأخشى من التكرار الكثير أن عناصر الخطر، أو على الأقل، الارتباك الشديد، موجودة أمامنا. وطالما يعترف بالشريف رئيساً، أو على الأقل بكونه أحد الرؤساء الكبار للعالم الإسلامي، فإنه يبقى صديقاً لنا. طالما كنا على صلة متينة مع الحكومة العربية كما هو الحال في الوقت الحاضر، احتفظنا إلى جانبنا بالقسم الأعظم من هذه العناصر.

والجانب الديني، وإن يكن أقل أهمية مما كان قبلاً، لا يزال السبيل الوحيد للحصول على اهتمام الجماهير. وفي استطاعتنا بطرق كثيرة غير ظاهرة أن نجعل هؤلاء غير متعصبين لأن الشريف وأنجاله واسعو الفكر وسياستهم، كما استطعت أن ألاحظها، ترمي إلى التوحيد بأساليب عملية وغير دينية، إلاّ إذا كان الشعور يدعو بضع جماعات من الانفراديين.

ولكن الشريف، لأجل أن يتمكن من أن يكون له أي وزن حقيقي في شؤون العالم الإسلامي، يجب أن يحظى بتأييد المسلمين في أقطار خارج بلاده. ومن الضروري أن يأتي هذا التأييد من أقطار تابعة للنفوذ البريطاني.

كما ذكرت في مذكرة مؤرخة في ٣٠ حزيران/يونيو ١٩١٦، أولئك المسؤولون عن التحريض ضدنا في الهند فقدوا صوابهم تماماً حين سمعوا بالثورة. وكان واضحاً ومتوقعاً أن يفعلوا ذلك لأن أساس دعوتهم، الدين، ووحدة الشعوب الإسلامية والأخوة الكبيرة التي كان مفترضاً وجودها خلال العالم الإسلامي جميعاً، ظهرت في يوم واحد بأنها غير حقيقية. ووقفوا أمام مخاطبيهم بلا نص لخطبتهم، وحاولوا تحويل الأنظار عن نفوسهم بالنيل من الشريف. وهذا بديل أخرق جداً ولا يأملون أبداً جمع الإسلام بطريقة سخيفة كهذه. ولذلك سوف يلتمسون عاملاً آخر ليجذبوا أفكار أتباعهم.

وأهمية هذه لنا كانت واضحة. لأول مرة منذ تدشين الجامعة الإسلامية والاضطراب في الهند أصبح خصومنا لا قوة لهم. وحين يظهر للعيان، كما سيكون الأمر قريباً، أن الشريف يصبح ذا مركز حقيقي، فإنهم لن يضيعوا فرصة لاستغلاله ولن يكون لنا تدابير مضادّة.

ولكن، إذا صرفنا النظر عن الجانب الديني للمسألة، وأيدنا الشريف علناً كحليف في المعنى العسكري. إذا جعلنا أنفسنا، كما نستطيع أن نفعل حقاً، محررين لشعب مظلوم، إذا شرحنا ذلك للجماهير بالدعاية، مع قناعة شديدة، فإننا سنحصل على شكر الأكثرية الساحقة من رعايانا المسلمين.

آمل بكل إخلاص أن لا تضيع الحكومة الهندية الوقت لأجل هذه الغاية. والحكومة الهندية مقتنعة أنها أوقفت كل تحامل ضد الشريف. وأجرؤ فأقترح أنها أخذت حملتها من نفسها للأسباب التي شرحتها سابقاً.

ولكن الإخماد لا يكفي وعلينا أن نقدم قيادة المسلمين. ومع أنهم مخلصون كل الإخلاص لصاحب الجلالة والحكومة البريطانية، فإنهم ينظرون إلينا في وقت اضطراب شديد طالبين التعاطف والقيادة.

نستطيع أن نعطيهم كلا الأمرين مع تحقيق أعظم الفائدة لنا. يجب أن نحمل في ذهننا أن السلام حين يتحقق سوف ينتج كثيراً من التأمل في أذهان المسلمين، خصوصاً حين يتحققون من انحلال تركية. فيكون كما أزعم، من سوء السياسة وعدم الثقة أن نسمح لهذا الحدث بالحلول كرجّة في أذهان المسلمين، وعلينا أن نعطيهم آمالاً أخرى وعزاء بإعداد الخطة الآن.

وقد ذكرت في الفصل السابق ـ أمرين يمكن الاعتراض عليهما من جانب الدارسين الوثيقين لهذه القضية.

الأول هو أن فكرة الجامعة الإسلامية لم تمت وحتى لم تشلّ، كما يريدنا دارسو الدولة العثمانية أن نعتقد.

والثاني هو أنه لا يكون من الحكمة لنا أن نهمل روسية في تحقيقاتنا.

هذا التقرير يكون لا وزن له ولا يؤدي خدمة كبيرة، إذا لم أستطع استخراج دليل، وإن لم يكن نهائياً في أذهان البعض، فإنه على كل حال يدعو إلى التفكير. وخلاف ذلك يمكن صرف النظر عن ملاحظاتي بوصفها غير مسؤولة.

لقد حاولت بنهج ضئيل أن أدرس هذه القضية، وكنت منذ سنة ١٩٠٩ أعمل بصورة غير رسمية لجمع المعلومات ولأفهم شيئاً ولو قليلاً من قضية معقدة يصعب الحصول على إيضاح ذي قيمة عنها من خلال الاختلافات بين الشعوب والتزام أعضائها بالسرية.

وعليّ أن أعترف أنني لم أقرأ سوى شيء قليل، لكن جميع ملاحظاتي مبنية على محادثات متعددة مع أشخاص ذوي تعليم ومنزلة من جميع الدرجات، ومن خلال الوكلاء ومن ملاحظاتي الشخصية وأنني أبدي هذه الملاحظة لئلا يظن أنني أكتب صورة عشوائية ودون تفكير دقيق.

أولاً فيما يتعلق بكون فكرة الجامعة الإسلامية قد ماتت:

أرفق خريطة في آخر هذه المذكرة أشرت عليها أماكن لديّ بعض المعلومات عن وجود مدارس تنشر فكرة الجامعة الإسلامية. ليس لديّ أية معلومات سابقة لشهر أيلول/سبتمبر ١٩١٣، وأحدثها يعود الى اليوم ٢١ آذار/مارس ١٩١٧. وفي الصفحة الأخيرة أشير إلى مصادر هذه المعلومات. إن لديّ بطبيعة الحال وثائق قليلة هنا. ولكن يمكنني إذا طلب إليّ ذلك أن أقدم في وقت لاحق تصريحات مسهبة أكثر من تلك المذكورة في الجدول.

إذن ففكرة الجامعة الإسلامية يفترض أنها غير منظمة ولا متحدة فلا أمل لها في التقدم، ولا تشكل عناصر خطر. هذا الافتراض مبنيّ على رأي أشخاص درسوا المشكلة من وجهة نظر تركية، بينما لم تكن تركية وليست هي الآن خالقة هذه الخطة. وخلافاً للرأي المقبول عموماً إنها تمتد من الشرق إلى الغرب وليس عكس ذلك.

هذه الفكرة التي شرحت للمناطق الغربية أو الغربية المركزية قد استمسكت بها الأفكار الذكية كوسيلة للحصول على فوائد لنفسها وتشجيع خططها الخاصة. فالفكرة الوطنية في مصر وسياسة حزب الاتحاد والترقي القاسية لرجال تركية الفتاة ليست الأمثلة الوحيدة للفوائد المستحصلة من الجامعة الإسلامية لتشجيع مشروع لا صلة له بالحركة الإسلامية العظمى.

إن الأتراك هم أقل المسلمين تشدداً في الدين، ويليهم المصريون حسب رأيي في هذا الشأن، فهم كانوا وما زالوا يستعملون الدين في سبيل الفائدة التي

يحصلون عليها من تعاليمه، كقوة عسكرية، كقوة تساعدهم بثقلها على بلوغ هدفهم، لا لأنهم مخلصون في إيمانهم الإسلامي ولا لأنهم يعتقدون حقاً أن الإسلام في نفسه، كقوة دينية، يمكنهم من التخلص من سيادة الدول المسيحية. وهكذا قال لي أحد قادة الحركة الوطنية في مصر إن آخر شيء يريدوه هو أن يكونوا تحت حكم الأتراك. وهذا لا يثير عجبنا، ولكن إذا كانوا يعتقدون، كما يدّعون، في «ماسونية» (تكاتف) الإسلام الكبرى فإنهم يعملون على إنشاء امبراطورية إسلامية عظمى تحت حاكم واحد. في دمشق سمعت الشيء نفسه من رجال يمثلون طوائف مختلفة من العالم الإسلامي. مثلاً: «حاشا لله أن نخدم بمعيتهم»، وهي عبارة استعملها العرب بخصوص الأتراك أو المصريين. والممثلون من سمرقند وكشغر وطهران، لكل واحد منهم حاكم مسلم مكروه يستغفرون الله أن يخدموا تحت رئاسته. وقد تخلت تركية عن فكرة الجامعة الإسلامية لصالح فكرة تركية محضة. ولما قدمت ألمانية مشروعاً لـ«جرمنة» كل الشعوب التي ترغب في السيطرة عليها فإن حزب الاتحاد والترقي سار على الخطة نفسها وجعل هدفه إزالة «جنسية» الشعوب التي يحكمونها أو يأملون حكمها.

وقد ثبت أن هذه السياسة من جانب رجال تركية الفتاة كانت نكبة لهم كما كانت السبب المباشر للثورة العربية. ولكن لأن العرب ثاروا، وأنا أتخذهم مثالاً، فلا يدل ذلك بأي حال على أنهم تركوا أيضاً فكرة الجامعة الإسلامية ـ وأستطيع أن أتكلم من معرفة شخصية أن هذه أبعد ما تكون عن الحقيقة.

ويظهر مما كتبته أن الحركة غير متصلة ولا يمكن أن تتماسك. وفي الوهلة الأولى تبدو كذلك، لكن لدى الفحص النافذ للحقائق نرى أن هذا ليس الحقيقة.

والمهم أن نسأل أنفسنا ماذا حققت، وفي الحقيقة أنها أنجزت الكثير.

لقد جمعت بين الأكثرية الساحقة من الرجال المثقفين وعدداً متزايداً من الجماهير في كل واحدة من المناطق، وسوف تعمل ذلك إلى درجة أعظم في المستقبل.

كان العرب إلى وقت قريب راضين كشعب أن يبقوا على ما هم عليه أو، إذا لم يكونوا راضين، غير مهتمين بحالتهم. وخلال سنوات غير قليلة ماضية، كما يدلنا التأريخ، كانت الهند سعيدة تحت الحكم البريطاني. لكن فكرة إنشاء حكومة وطنية

ملكت أذهان الكثيرين وأزعجت أفكار المجتمع بأسره.

لذلك فإن المهمة التي أنجزتها لم تكن صغيرة، لأن هذه الفكرة لم تنحصر ببلد واحد خاص، بل رسخت مفردة في كل إقليم مسلم تقريباً.

لقد أوجدت في بعض الأقطار رغبة في الاستقلال، وهذه الرغبة تقاوم في بعضها وتشجع في البعض الآخر. لكن الدولة الحاكمة في أي قطر منها تستطيع أن تتجاهل إصرارها.

كان الفرنسيون في مراكش يجلبون معهم البغض والمساوىء، مما دعا إلى هجرة الكثيرين من رعاياهم إلى سورية. وفي الهند أفسحنا المجال في بعض الأحوال، والأمر يحظى بمزيد اهتمامنا. وحكمنا متساهل ومتفاهم، لكن مع ذلك تشربت أذهان الكثيرين بكراهيتنا، وألفت جمعيات لطردنا خلال السنوات الأخيرة إلى درجة متزايدة.

ارتفع صوت حزب الحكم المحلي في الهند ارتفاعاً كبيراً في السنوات الأخيرة. وفي الظروف الحاضرة الصوت مخلص حتى من غير المخلصين، لأنهم يعلمون ـ هؤلاء الحكماء الذين يسيطرون عليه ـ أن الوقت لم يحن لاتخاذ إجراءات فعّالة. والخطر لنا لا يكمن في مكائد المتهورين بل في الهدف المتواصل للرؤساء الكبار، رجال الثقافة والنفوذ الذين يحملون معهم تأييد الجماهير، والذين بإخلاصهم أو ادعائهم بالإخلاص في الوقت الحاضر يستطيعون الحصول بحق، أكبر، على امتيازات تقربهم خطوة أخرى من هدفهم.

لقد أوسعت القول في حالتين من أحوال كثيرة، لكن إذا كانت هذه الحركة قد حققت ما حققته فقد حققت شيئاً غير قليل.

يعلمنا التاريخ أن المثل العليا للوطنية متى تشرب بها خيال الشعب لا يمكن أبداً كبتها أو القضاء عليها.

فرنسة، ألمانية، بولندة، إيرلندة، اليابان. كم من الأمثلة نستطيع أن نذكرها عكس ذلك. إنها لا يمكن أن تنقطع ولن تنقطع عن القيام بدورها الرئيسي في السياسات الإسلامية.

ولا بد لنا أن نعترف بأن الأمر كذلك، وإذا كان ذلك حقاً أليس من الحق أيضاً

أن مجتمعين من هذا القبيل متصلين بأساس عام من الدين وأمل الحصول على الحكم لأنفسهم قد يتحدان في سبيل هدف مشترك. وإذا كان شعبان مثل هؤلاء يستطيعان الاتحاد فليس هناك ما يمكن عمله سوى انتهاز الفرصة للحد من عددهم.

لقد ذكرت في الفصل الأول بأن الحركة لم يكن لها حتى الآن غاية عامة. وهذا صحيح ما دامت محصورة في الوقت الحاضر في مجتمعات فردية. لكن العلامات ليست مفقودة بأنها ستكون «إيجابية» في المعنى الواسع مع مرور الزمن. فإذا أصبحت كذلك فإن الخطر الذي يهدد إمبراطوريتنا يكون واضحاً.

يكمن الخطر، لا فيما تستطيع الأقطار المسلمة أن تنجزه بنفسها، بل ما يمكنها التأثير به كمجموعة، أو بواسطة دولة أخرى، أوروبية أو آسيوية.

وقد تكلمت أيضاً عن احتمال توحيد جزيرة العرب تحت حكومة واحدة. أنا مقتنع بهذا الاحتمال، لا بمعنى أن جميع العشائر تعترف بحاكم مطلق واحد له سلطة الحياة والموت عليها، بل بإمكان اتحاد البلاد تحت حكم رئيس اسميّ واحد يُشرف على خمسة فروع مثلاً من الزعماء المحليين.

إذا كان ذلك ما يجري في الحجاز، كما يظهر من سير الأحداث الحالية، حيث كما ذكرت من قبل قد أنهيت قرون من العداوات خلال بضعة أشهر قصيرة، فإن إمكانيتها سهلة التوقع بين جماعات لها خلافات «عائلية» مثل هذه تصبح دائماً أشد مرارة، وإذا بها تختفي من الوجود.

ونموذج جزيرة العرب سوف يكون حافزاً لشعوب أخرى لإنجاز النجاح نفسه، وسنسمع داعية المستقبل يقول: «تشبّهوا، يا إخوان، بالمثل النبيل للعرب الذين حرروا أنفسهم من الاستعباد بشجاعتهم وتضحيتهم».

وحسب معلوماتي الأكيدة أن المثل العليا للجامعة الإسلامية تدرس في المدارس في جميع الأماكن المؤشرة على خريطتي. وفي الكثير من البلدان المؤشرة هناك توجد مدارس عديدة، وإن سعة البلاد التي تنتشر فيها عظيمة. لكن الخريطة تمثل معلومات محدودة عن عددها الكامل ومحلاتها، وهي كافية لإعطائنا فكرة عن الجهود الواسعة التي تبذل لتقدم رسالة الجامعة الإسلامية.

في الوقت الحاضر الاضطراب شديد في كل الأقطار الإسلامية. وفي الوقت القليل الأخير الذي كنت أعمل فيه في جدة جاءت تقارير الوكلاء وغيرهم تؤكد المعلومات التي حصلت عليها في دمشق قبل الحرب عن شدة حيوية هذه الحركة.

تصل معلومات يومية عن دعايتها ونشاط وكلائها من كل ناحية من نواحي الإسلام.

وفيما عدا مراكز طبيعية هي في أيدي العدو، كبرلين والمدينة، والآستانة، ترد الأخبار يومياً تقريباً من أماكن متباعدة بعضها عن بعض ككشغر إلى المغرب (مراكش) ودلهي إلى مكة.

نحن منشغلون الآن بصورة جدية بحرب عظيمة، وكل العيون بطبيعة الحال تتجه إلى أوروبا. لكنني أسأل بكل اهتمام أن القضية الخطيرة المهمة لإمبراطوريتنا يجب أن تبحث تماماً وبكثير من الجد في مجالسنا القادمة.

تقدمت خلال الحرب تقدماً ثابتاً بعد الحرب سوف تخطو خطوات أعظم.

نحن نعمل للحصول على ضمانات تكفل سلاماً دائماً بين دول أوربا، وهذا الحل لا يمكن تحقيقه ما دامت القضية الإسلامية لم تؤخذ بنظر الاعتبار.

وآتي الآن إلى الملاحظة الثانية، روسية:

في الظروف الحاضرة أجد صعوبة كبيرة في بحث هذه الجهة لأسباب واضحة. وسواء أكنت مصيباً أو مخطئاً في ذلك فإن من واجبي أن أطلب بذل الجهود لتأكيد آرائي أو نفيها.

حينما كنت في سورية وردتني معلومات أن روسية كانت، وأقول ذلك بكل اعتدال، تهتم أشد الاهتمام بالقضية الإسلامية في بلاد خارج أقاليمها، وأنها كانت تشجع الجامعة الإسلامية بصورة سرية، وأنها تثير القلاقل خارج حدودها.

ومن هنا وردتني معلومات أنها تموّل جمعية معادية لنا في كشغر.

إن السياسة الروسية فيما يتعلق برعاياها المسلمين مضادة تماماً لسياستنا.

إن لديها تسهيلات أكثر للتأثير في أفغانستان وإيران وتركستان الصينية، ولها مصالح إسلامية عظيمة. وقد عقدت أخيراً معاهدة جديدة مع اليابان، وفرضت حمايتها على منغولية.

كل ما أطلبه في الوقت الحاضر هو أن لا نهمل احتمال الخطر الذي أذكره حتى إذا قوبل بعدم التصديق.

إن سياسة الحكومة الهندية هي أن لا نخلق دولة إسلامية قوية في جزيرة العرب أو غيرها.

وهذا يبدو عادلاً ومعقولاً، وملاحظاتي في النظرة الأولى عن احتمال خطر إسلامي تؤيد حكمة هذه الفكرة.

إن كل ما تهدف إليه هذه المذكرة هو اقتراح أسلوب ممكن للمحافظة على إمبراطوريتنا الهندية، وذلك بتجزئة الأقسام المؤلفة لهذه الحركة حتى يؤمل بصورة معقولة أن نستطيع مواجهة أية مجموعة توجه إلينا.

ولذلك أقسم العمل الممكن اتخاذه من قبلنا إلى أربعة عناوين:

(أ) الجزيرة العربية.

(ب) الهند.

(ج) تثقيف ضباطنا، مدنيين وعسكريين، لمعرفة هذه القضية.

(د) منظمة استخباراتنا المقبلة خارج الهند.

(أ) الجزيرة العربية

أعتقد أنه لن يختلف معي أحد بأنه، عند تحقيق شروط الصلح بصورة تامة، يأتي تفسيخ تركية صدمة عنيفة لجمهور المسلمين في كل أنحاء العالم، وأنهم سوف يطلبون بديلاً يتجمعون حوله.

وهناك نقطتا تجمع ممكنتان لهم فقط، أفغانستان أو الجزيرة العربية إذا كانت بلاد الشريف واسعة بحيث تؤثر في أذهانهم.

إن حزب الحرب في أفغانستان، الذي يرأسه نصر الله، معادٍ عداءً مراً لنا. والأمير الحالي لا يكاد يستطيع أن يصمد بنفسه، وفي المستقبل القريب سيجبر على التراجع أو يفقد عرشه.

وإذا كسب حزب الحرب تأييد عشائر الحدود الشمالية الغربية والمسلمين في الهند، فسوف ينشأ خطر يصعب مجابهته.

لقد اعترف الخبراء كلياً، في شهادتهم أمام لجنة نيكلسن، أن هذا الاحتمال يكون عبئاً شديداً على مواردنا في الهند وأننا لا نستطيع سوى البقاء في موقف الدفاع حتى تصلنا التعزيزات من أسترالية وإنكلترة.

وإذا أضيف إلى ذلك أن تكون كتائبنا الإسلامية غير مخلصة في ولائها فيصبح وضعنا خطيراً جداً.

وإذا وجدوا بالإضافة إلى ذلك تأييداً من روسية فإننا نجابه اختباراً عسيراً.

ولذلك فمن المهم أن لا يكون القطر الذي يتجه إليه المسلمون أفغانستان. وعلينا لذلك أن نخلق دولة أكثر ملاءمة لأنفسنا تتجه إليها أنظار الإسلام. وعندنا فرصة حاضرة في جزيرة العرب.

من الناحية الستراتيجية: أفغانستان في وضع صالح للقيام بعمل هجومي ضد الهند.

ومن الناحية السوقية: أفغانستان يصعب الهجوم عليها.

من الناحية السوقية: جزيرة العرب مفتوحة لهجومنا من كل جهة عدا الشمال.

سياسياً: أفغانستان يصعب ضبطها.

سياسياً: جزيرة العرب يمكن ضبطها والتأثير عليها تماماً إذا تحققنا من أنها لا تنظم سياستها أية دولة أخرى. وهذا من حقنا أن نصر عليه.

جغرافياً: أفغانستان في وضع صالح لتجميع العناصر المعادية لنا حولها.

جغرافياً: جزيرة العرب في وضع مثالي لتجزئة هذه العناصر، ويكون ذلك أكثر إذا تركزنا في بغداد.

لذلك من مصالحنا ولسلامتنا أن نقوم إذا أمكن بتوجيه أنظار العالم الإسلامي إلى جزيرة العرب.

ولإنجاز هذا الأمر يجب علينا أن نؤيد الشريف في مطالبه وأن نؤيده علناً كحليفنا العسكري وأن نثقف شعور المسلمين نحوه. ومع قيامنا بقمع المؤامرات ضدنا يجب أن نثبت أننا الأصدقاء الحقيقيون للمسلمين. وهذا لا يصعب عمله، وأخيراً، نجمع حول الحكومة بامتيازات قليلة جماهير الهند ولا سيما الطبقات المحاربة.

يجب أن نحافظ بكل الصور على نفوذنا في الجزيرة العربية ونبقي على ثقة الحكومة العربية ومودتها بسياسة مستقيمة وواضحة وثابتة.

(ب) الهند

لا يسعنا أن ننكر أن في الهند عوامل خطيرة من الفتن والتعصب والعداء، وأنها زادت في السنوات الأخيرة. ولا يسعنا أن ننكر أن فكرة الجامعة الإسلامية وأمل الحكم الذاتي تحمله أكثرية الرجال المثقفين ووجهاء البلاد. وهذه القلاقل غير منحصرة بطبيعة الحال بالمسلمين في البلاد ولكنها عامة في كل شبه الجزيرة.

ويرجع هذا الاستياء بصورة رئيسية إلى تعاليم الجامعة الإسلامية. وهذه العقيدة لا تستطيع أن تحقق تقدماً كبيراً من تلقاء نفسها، وخاصة نحو الثورة، لولا وجود ظلامات صغيرة في أذهان رعايانا الهنود.

ولولا هذه الظلامات لما استطاع المشاغب أن يتقدم كثيراً، لكن، بدراسة موضوعة بعناية شديدة، يقوم بالاتصال بكل فرد بأفضل طريقة ملائمة لاجتذابه إلى صفوف المعارضة. وهكذا يلوح للمزارعين بوعود حول مزيد من الأراضي، ويعد الضباط الهنود بالترقية والقيادة، والخريج بنصيب في وظائف الحكومة يناسب دراسته، والزعيم بسلطة في الدولة تلائم سلالته.

إن الجماهير مخلصة للحكم البريطاني، وبنتيجة ذلك فشلت العناصر الأكثر عنفاً في تحريك الثورة في الوقت الحاضر.

وتشمل الجماهير كل شعوب الهند المتحاربة التي بدون تأييدها لا يأملون بلوغ هدفهم.

لذلك فكلما أظهرنا أنفسنا متعاطفين مع ظلامات الشعب، وثابتين على سياستنا وحكمنا الصالح، واستطعنا تخفيف بعض الصعوبات التي هي موجودة بلا شك مهمة قللنا من حجج خصومنا لطردنا.

من هذه الظلامات القليلة التي نستطيع تخفيفها:

عسكرياً: (١) رواتب التقاعد.

(٢) الأرض.

(٣) الترقية.

(٤) الاستخدام المدني.

(٥) المكافآت.

(٦) القضايا القانونية.

مدنياً: (١) الاستخدام في الحكومة.

(٢) الأرض.

(٣) الهجرة.

(٤) القضايا القانونية.

هذه بلا ريب ليست كل النقاط الرئيسية التي نتمكن بإصلاحها من تجميع جمهرة الشعور المسلم نحو الحكومة.

(ج) تثقيف ضباطنا، مدنيين وعسكريين، لمعرفة المشكلة

أعتقد أن الجميع يتفقون معي حين أقول إننا في الماضي لم نعر هذه المشكلة عناية تذكر بصفتنا حكاماً مدنيين وعسكريين.

ومعرفة الضباط البريطانيين للجامعة الإسلامية وعملها في التأريخ والدين الإسلامي صفر فعلاً.

لا ينكر أحد، وأنا أقلهم إنكاراً، العلاقات الطيبة، بل الودية، القائمة بين الضباط البريطانيين والجنود الأهليين. أعرف جيداً الإخلاص والمودة القائمين بيننا، بنيت هذه في الجيش على أساس الرياضة والعدالة الصحيحة للرجل البريطاني. وأنا أعلم أنني لا أظلم إخواني الضباط حين أقول إننا كمجموع جاهلون بصورة فظيعة للعادات الإسلامية والتأريخ والدين والسياسة.

يجب أن لا ينتمي ضابط بريطاني إلى الجيش الهندي قبل أن ينجح في امتحان مهما يكن ضئيلاً في هذه الموضوعات، في كلية ساندهرست أو غيرها.

ذلك مهم أهمية الاقتصاد الداخلي الذي هو في الواقع ذو علاقة به. كل ضابط في الكتيبة يجب أن يتجول في منطقة تجنيده، وامتحانات الاستبقاء (في الخدمة) يجب أن تحتوي على مادة صعبة عن الطبقات المختلفة التي تتألف منها كتيبته.

من منّا ينكر الاهتمام الذي يظهره الجنود الهنود بضابط يعرف قراهم وعاداتهم

ودياناتهم ورؤساء فئاتهم وتأريخهم. فذلك يحمل في نفسه المكافأة في حل كثير من المشاكل المعقدة التي تنشأ في كتيبة، ويسهل القيادة، ويمضي بعيداً في التخفيف من الاستياء.

إن ذلك يساعد كثيراً على تحقيق تفاهم أكبر بين الإدارة المدنية والعسكرية، ويكون ذلك بالنسبة للدولة ذا قيمة لا تقدر.

ليس من شأني أن أتحدث عن إدارتنا المدنية، لكنني آمل أن يُسمح لي أن أقول بإيجاز الشيء الذي قاله لي الضباط الهنود ذوو المناصب العالية أنفسهم في أكثر من مناسبة:

«موظفونا المدنيون أصبحوا مرتبطين بالمكتب، وذلك يعود، على نطاق واسع، إلى قضايا تافهة، وهذه بدورها تعود إلى ازدحام السوق بالوكلاء.

«الأيام السالفة حين كان نائب المفوض يعلم مداخل الحياة القروية ومخارجها، والتنافسات الموجودة والتي توجد دائماً بين العوائل والفرق، قد مضت، بالنظر إلى الزيادة الكبيرة للأعمال المكتبية والحالات الضئيلة والملفقة أحياناً والمصطنعة لتوفير معيشة للعدد الكبير من الوكلاء.

«وعند قيام المفوض بتفتيش منطقته، ذلك التفتيش السريع في هذه الأيام الكثيرة العمل، لا يسمح مرؤوسوه الهنود بمقابلته إلاّ لأفراد معينين. وفي حالات كثيرة يجب دفع رشوة».

«إنه لا يعرف شعبه فعمله في المكتب يأخذ معظم وقته».

«المبادأة لا تشجع شيئاً فشيئاً في الدرجات الصغرى، بالإحالة إلى سلطات أعلى. وبالنتيجة يحصد الوكلاء ثماراً جنية، والعدالة تمضي أحياناً إلى أطول كيس».

أطلب ثقة الحكومة للمدنيين والعسكريين على حد سواء. يجب أن يخبروا على قدر الإمكان بالمصاعب السياسية الآنية، وأعني بذلك أنهم يجب أن يعلموا أكثر ما يمكن من المعلومات «السرية». إن ذلك أسلم لحكمنا، من الجهل الكامل المستمر لهذه القضايا التي توجد في الوقت الحاضر. وإن كانت نتف صغيرة من المعلومات تتسرب إلى الخارج.

ولتشجع مبادأة أكثر لدى الموظفين المحليين في معالجة الشؤون الإقليمية.

وليشجع الضباط البريطانيون ويساعدوا في الذهاب بالإجازة إلى إيران وسورية وسائر الأقطار ليضيفوا إلى معلوماتهم الداخلية عن الهند الأحوال السائدة في الخارج.

إن الضابط البريطاني محبوب عموماً حيثما يذهب. وذلك يزيد في نفوذنا ويضيف إلى معلوماتنا ويساعد على حمايتنا. يضاف إلى ذلك أننا مدينون لرعايانا المسلمين بدرس القضية من كل جانب في الداخل والخارج.

ولو أن هذا التقرير يبحث في الشعوب الإسلامية لا غير فإنني لا أنكر أهميته فيما يتعلق بالعناصر الهندوسية أيضاً.

(د) الاستخبارات خارج الهند

القضية برمتها قضية إمبراطورية. فالهند ومصر وعدن ليست سوى حلقات في سلسلة الحكم. مع ذلك كنا قبل الحرب نجهل جهلاً فظيعاً الأحوال السائدة في أقاليم بعضنا البعض.

من الضرورة المحتمة تبادل دائمي للآراء والاستخبارات والشؤون والسياسة، وهو واجب لإمبراطوريتنا كمجموعة.

وأشير مرة أخرى إلى خريطتنا، وعلينا أن يكون لنا وكلاء في كل محل مذكور فيها.

ولن يكون بأي حال من الصعب تنظيم نظام جيد للاستخبارات، وتكون الكلفة ضئيلة إذا قيست بالمعلومات التي نحصل عليها والاتصالات التي نحافظ عليها.

ولما كانت القضية مسألة إمبراطورية فكل المعلومات التي تصل بهذه الصورة يجب أن تأتي إلى مكتبنا المركزي وتوزع على جميع ذوي العلاقة. وفي وقت قصير نستطيع أن ننظم خدمات استخبارات تتناول المنطقة بأسرها وتراقب كل جمعية منفصلة وتنذرنا بأية قلاقل في الوقت المناسب.

وتستطيع خدماتنا القنصلية أن تجمع المعلومات محلياً، وتتناول هذه الخدمة الجانب العسكري مع الجانب المدني.

وتسير التجارة مع الحرب يداً بيد، والمعلومات المحلية لمكان ما قد يضمن النصر، ومعرفة الأحداث والشعوب قد تمنع حرباً.

وأخيراً أذكر أنني قلت إن «أنجمن خدام كعبة»، مهما بلغ من قوته، يجب أن لا يحصر اهتمامنا دون سائر الجمعيات والخطر الحقيقي الذي يكمن داخل الهند وخارجها.

علينا أن نذكر أن الأنجمن الذي اكتشف فإن الجمعية الرئيسية الكبرى سوف تبذل قصارى جهودها لحفظ اهتمام الحكومة مركزاً على هذه الجهة، وكل الأعمال السيئة سوف تنسب إلى هذه الجمعية، ليهرب الآخرون من الاكتشاف. إن ذلك يجري الآن حقاً لأن أعضاء الجمعية الكبرى يعطون المعلومات عن هذا الفرع.

وأنا ألفت نظر الحكومة دون ثقة في نفسي إلى «إسلام لاك» و«النيتشري». فالجمعية الأولى (إسلام لاك) أقوى الجمعيات، وهي متحفظة أكثر بكثير، وتضم أعضاء أكثر نفوذاً، ولها مجال عمل أوسع، وآلاف أكثر من الأعضاء، وهي القوة المحركة على كل حال خارج الهند.

إن أعمال القسوة والإجراءات السابقة لأوانها هي ضد تعاليمها ـ الآن؟

مركزها الرئيسي خارج الهند في بخارى، وتجري من هناك حرب دعاية فعالة.

وأؤكد مرة أخرى أهمية موقف المسلمين الخارجين إزاء الشريف. حاولت هذه الجمعيات فيما مضى أن تجذبه إلى جانبها، وهي لا تقطع جهودها في الوقت الحاضر. بعد الحرب سوف تحاول أن تستعمل كل الضغط لتحقيق ذلك. فإذا امتنعنا عن الاعتراف بالشريف في أسرع ما يمكن فإننا نفقد فرصة وحيدة عظيمة لإحباط هذه الجمعيات.

ومهما طالت هذه المذكرة فإنني لم أعالج سوى جانب صغيرة من هذه المشكلة الضخمة، وكل موضوع ذكر فيها هو في نفسه دراسة واسعة يمكن حلها بالإخلاص والتعاون والمعلومات الكبيرة التي يملكها الخبراء في كل ناحية خاصة. نستطيع أن نجلب الشريف إلى جانبنا للمساعدة في التغلب على خطر جسيم، لأنه في الوقت الحاضر يهتم بنفس الخطر. وإذا أثبتنا ذلك له، وفي وسعنا أن نعمل ذلك حقاً، فإننا نهيء لأنفسنا حليفاً في نفس الاتجاه الذي نحن أقل مقدرة لعلاجه، وهو الجانب الديني، لأنه واضح النظر ومعتدل في آرائه ويستطيع أن يمنح الإسلام صفة أنقى بالمعارضة بالاتفاق معنا لكل الجمعيات المعادية لنا وله، التي لا يحتمل أنها بشدّها تستطيع أن تخدم مصالح الإسلام الحقيقية.

وأخيراً هناك طريقة واحدة لمجابهة الدعاية وهي الدعاية المضادة. فلتتكلم الحكومة، وكل الثقل هو إلى جانبنا. إن لدينا الفرصة، ولنا حتى الحق والعدالة أكثر مما كان لدينا في أي وقت مضى، وقد يكون لنا في المستقبل.

(التوقيع) نورمان ن.اي.براي، كابتن
١٨ لانرز، الجيش الهندي

بعد كتابة المذكرة المتقدمة جرت مقابلة مهمة جداً مع الشيخ فؤاد الخطيب وكيل الشؤون الخارجية للحكومة الشريفية.

أرفقت صورة لأنها تؤكد تصريحات كثيرة في المذكرة التي قدّمتها.

إنني أعتبر نتيجة هذه المقابلة عظيمة الأهمية. فبدون التدخل بصورة بيّنة في الشؤون الدينية، لقد جلبنا نهائياً رئيس الإسلام إلى جانبنا فيما يتعلق بالناحية الروحانية ضد كل الجمعيات التي تماثل «أنجمن خدام كعبة». وهكذا فإن الشريف يظهر نفسه أولاً معتدلاً في آرائه وثانياً مستعداً لمساعدتنا في سحق خطر مشترك.

إذا استطعنا أن نواصل العمل وأن نجمع جمهور الرأي الإسلامي المعتدل في الهند والأقطار الأخرى حوله فإننا نقطع حركة الجامعة الإسلامية إلى قطعتين. وهي خطوة عظيمة إلى الإمام. وإذا سرنا على سياسة تعاون في المساعدة فإننا سيكون لنا دائماً حليف قوي ضد هذه الجمعيات.

يضاف إلى ذلك أنه ليس صعباً بأية حال على الشريف تأسيس كلية تعليم ديني في مكة يأتي إليها المسلمون من كل أنحاء العالم وتكون السلطة لا لتفسير القرآن فحسب بل الإسلام أيضاً.

في الوقت الحاضر يقوم كل مولوي شهير بتفسير القرآن كما يلائم غايته، وتكون النتيجة ارتباكاً في أذهان المسلمين ومصدراً دائماً للقلاقل لنا.

أعتقد أنني على صواب حين أقول إن الشريف لا ينظر إلى هذه الفكر بعدم ارتياح مطلقاً.

---

(٣٢)
(كتاب)
من الشريف فيصل بن حسين
إلى الكرنل ويلسن

الأصل العربي

التاريخ: ٤ جمادى الثانية ١٣٣٥
٢٨ آذار/مارس ١٩١٧

بناء على الجسارة التي كسبتها من والدي ومنكم خاصة، أتيت إلى الوجه وخابرت جميع قبائل الشمال ولبوا لي دعوتي التي كانوا منتظرينها منذ عشرة أشهر. وقد قدموا ولا يزالوا قادمين إليّ أفواجاً أفواجاً وعقب أسبوع سيجتمعون عندي عن بكرة أبيهم في وقت أنا فيه خالي اليدين من جميع ما أوعدتهم به بكتبي التي تحت ختمي، خصوصاً أنني أراكم جميعاً أي والدي وحضرة نائب الملك وجنابكم الموقر، مصرين علي في تعجيل الخروج لقطع الخط الحديدي بين تبوك ومدائن صالح حالة كوني لم أفي بالقول الذي أعطيته لهؤلاء القبائل الذين سيكونون جندي وعضدي على العدو المشترك. ولذا أرجوكم أن تخلصوني من هذا الموقف الحرج كما أنكم خلصتوني من مواقف شتى قبل هذا. وأظن أن الجناب الموقر لم يرض أن أكون عرضة للطعن والتشنيف[1] بسبب عدم وقوفي عند قولي. الحالة التي مضرتها على محبك خاصة، والمصلحة المشتركة عامة. وأحيط علمكم أن الأتراك قد جمعوا أكثر قواتهم بالعلا ومداين صالح، كما يظهر لكم من تقارير حضرات الكولونيل يوكم[2] والكابتن لورنس، والتفصيل بذلك بالبوستة.

٤ جمادى الثاني ١٣٣٥ فيصل (توقيع)

---

(١) التشنيف: قد يكون المقصود: التشنيع، ولعلها غلطة من الكاتب الذي أمليت عليه الرسالة.

(٢) يوكم: المقصود «نيوكمب».

شفرة البابور

الى سعادة ولسن باشا

بناء على الخبار التي اكتسبتها من والدي ومنكم خاصة انتيه الى الوجه وخابرت جميع قبائل الشمال ولبوا لي دعوتي التي كانوا منتظرينها منذ عشرة اشهر وقد قدموا ولازالوا قادمين الي افواجاً افواجاً وعقب اسبوع سيجتمعون عندي عن بكرة ابيهم في وقت انا فيه خالي اليدين من جميع جميع ما اوعدتهم به بكلمتي التي تحت ختمي خصوصاً انني ابلغكم جميعاً اي والدي وحضرة نائب الملك وجنابكم الموقر مصرين علي في تعجيل الخروج لقطع الخط الحديدي بين تبوك ومدائن صالح حالة كوني لم افي بالقول الذي اعطيته لهؤلاء القبائل الذين سيكونون جنودي وعضدي على العدو المشترك ولذا ارجوكم ان تخلصوني من هذا الموقف الحرج كما انكم خلصتموني من مواقف شتى قبل هذا واظن ان الجناب الموقر لم يرض ان اكون عرضة للطعن والتشنيع بسبب عدم وقوفي عند قولي. الحالة التي عرضتها على جنابكم خاصة والمصلحة المذكورة عامة واحيط علمكم ان الاتراك قد جمعوا اكثر قواتهم بالعلا ومدائن صالح كما يظهر لكم من تقارير حضرات الكولونيل نيوكم والكابتن لورانس والتفصيل يذلك بالبوستة ٤ جمادى الثانية

فيصل

٢٨ آذار (مارس) ١٩١٧

(٣٣)
(كتاب)
من الشريف عبد الله بن حسين
إلى المعتمد البريطاني في جدة
جناب المعتمد البريطاني بجدة

عن وادي العيص ٤ جمادى الثاني ١٣٣٥ و٢٨ مارس ١٩١٧

(الأصل العربي)

حضرة صاحب السعادة اللواء ولسن باشا صديقنا الأعز

بعد إهداء سعادتكم واجب التحايا والتكريمات أفيد جنابكم بأنني تلقيت بأنامل التكريم محرركم رقيم ١٨ مارس سنة ١٩١٧ وسرّتني مضامينه غاية السرور وحمدت الباري على استمرار رفاهيتكم ودوام صحتكم. أمس تاريخه توجه الأمير الشريف شاكر ومعه الكابتن لورنس بقواة مهمة ومدفعين أحدهما هاوتزر والآخر جبلي ورشاشتين لضرب أحد المحطات للخط الحجازي وأملي في الله أنهما وقوتهما ينالا النصر وأنني في هذه اليومين أزف إليك أيها الصديق الموقر بشارة مسرة إلى الغاية. الظاهر أن الأتراك أخذوا يرتحلون من المدينة ولكن سنحول إنشاء الله بينهم وبين غرضهم، والذي ينفذ منا يقع في مخالب الأخ فيصل إنشاء الله تعالى. عدم وجود المقدار الكافي من المتفجرات والمفرقعات طرفي في هذه الآونة عطل علينا جداً، ولورنس بك لم يأتنا سوى بصندوقين صغيرين وجد بالوجه وأما ينبع فليس فيها من المفرقعات شيء. أشكر سعادتكم على تسليمكم الأمانة إلى الشيخ محمد صالح باناجه وبالختام أرجوكم الهمة في إبعاث المفرقعات مع إبلاغ سلامي لحضرة كاتم أسراركم صديقي الحميم حسين روحي بك وإهداء سلامي للقائم مقام عبد المجيد بك فريد الذي سأطلبه منكم إنشاء الله في القريب العاجل متى ما تحصل لديَّ قسم نظامي يليق بأن يكون تحت قيادته عزيزي.

قائد الجيوش الشرقية للحكومة الهاشمية
عبد الله (توقيع)

FO 686/ 34

جناب المقر البريطاني بجده

4

عن وادي العيص في ٥ ج ٢ ٣٥ و ٢٨ مارس ١٧

حضرة صاحب السعادة اللواء ولسن باشا صديقنا الأعز

بعد اهدا سعادتكم واجب التحايا والتكريمات افيد جنابكم بأنني تلقيت بأنامل التكريم محرركم رقم ١٨ مارس ٩١٧ وسرتني مضامينه غاية السرور وحمدت البارى على استمرار رفاهيتكم ودوام صحتكم امس تاريخ توجه الأميرالاي شاكر ومعه الكابتن لورنس بقوة مهمة ومدفعين احدهما هاون والآخر جبلي ورشاشتين لضرب احد المحطات للخط الحديدي واملي في ادائها وقوتها نيلها النصر المرداتي في هذه اليومين اذن اليكم ايها الصديق الموقر بشارة مسرة الى الغاية . الظاهر ان الاتراك اخذوا يرحلون من المدينة ولكن سنحول ان شاء الله بينهم وبين غرضهم والذي ينفذ منا يقع في مخالب الاعراب فيصل ان شاء الله تعالى . عدم وجود المقدار الكافي من المتفجرات والمفرقعات طرأ في هذه الاونة عطل علينا جدا ولورنس بك علم بأننا سوى بضع قطع صغيرة وجد بالوجه وليانبع فليس ولا منه المفرقعات شي . اشكر سعادتكم على تسليمكم الامانة الى الشيخ محمد صالح باناجه وانتم ارجوكم الاهم في اجابة المفرقعات مع ابلاغ سلامي لحضرة قائم اسراركم صديقي الحميم حسين روحي بك واهدا سلامي للقائم مقام عبد المجيد افندي الذي ساطلبه منكم ان شاء الله في القريب العاجل متى ما يحصل لدي قسم نظامي يلحقه بأن يكون تحت قيادته حفظه الله

قائد الجيوش الشرقية للحكومة الهاشمية

[illegible]

FO 882/16 (SP 17/21)

(٣٤)
(مذكرة)
للجنرال كلايتن

٣ نيسان/أبريل ١٩١٧

إشارة إلى برقية الكرنل ويلسن رقم ٧٦٢ التي يقول فيها إن الشريف أبدى الرغبة في الاجتماع به والبحث في أمور شتّى، منها «قضية أخرى ضئيلة الأهمية هي جزء البلاد في الشمال الغربي الذي منح لنا في اتفاقيتنا».

لا شك أن الشريف يرغب في بحث قضية سورية، وربما بإشارة خاصة إلى مناطق دمشق وحماة وحمص وحلب.

ويحسن في هذا الصدد تذكر النص الفعلي لرسالة المندوب السامي التي يذكر فيها التأكيدات التي تكون حكومة صاحب الجلالة على استعداد لإعطائها. والعبارة التي تتعلق بالموضوع المبحوث فيه هي كما يلي:

٥ ـ إنني أبلغكم بسرور عظيم بالنيابة عنها (حكومة بريطانية العظمى) بالتصريح التالي، وأنا واثق أنكم تتلقونه بالرضا:

«إن ولايتي مرسين وإسكندرونة وأجزاء من بلاد الشام الواقعة في الجهة الغربية لولايات دمشق الشام وحمص وحماة وحلب لا يمكن أن يقال إنها عربية محضة. وعليه يجب أن تستثنى من الحدود المطلوبة.

مع هذا التعديل وبدون تعرض للمعاهدات المعقودة بيننا وبين بعض رؤساء العرب نحن نقبل تلك الحدود.

وأما من خصوص الأقاليم التي تضمها تلك الحدود حيث بريطانية العظمى مطلقة التصرف بدون أن تمس مصالح حليفتها فرنسة، فإني مفوض من قبل

حكومة بريطانية العظمى أن أقدم المواثيق الآتية وأجيب على كتابكم بما يأتي:

١ - إنه مع مراعاة التعديلات المذكورة فبريطانية العظمى مستعدة بأن تعترف باستقلال العرب وتؤيد ذلك الاستقلال في جميع الأقاليم الداخلة في الحدود التي يطلبها شريف مكة.

٢ - إن بريطانية العظمى تضمن الأماكن المقدسة من كل اعتداء خارجي وتعترف بوجوب منع التعدي عليها.

٣ - وعندما تسمح الظروف تمدّ بريطانية العظمى العرب بنصائحها وتساعدهم على إيجاد هيئات ملائمة لتلك الأقاليم المختلفة.

٤ - هذا وإن المفهوم أن العرب قد قرروا طلب نصائح وإرشادات بريطانية العظمى وحدها، وإن المستشارين والموظفين الأوروباويين اللازمين لتشكيل هيئة إدارية وقويمة يكونون من الإنكليز.

٥ - أما بخصوص ولايتي بغداد والبصرة فإن العرب تعترف أن مركز ومصالح بريطانية العظمى موطدة هناك تستلزم اتخاذ تدابير مخصوصة لوقاية هذه الأقاليم من الاعتداء الأجنبي وزيادة خير سكانها وحماية مصالحنا الاقتصادية المتبادلة.

وإني متيقن أن هذا التصريح يؤكد لدولتكم بدون أقل ارتياب ميل بريطانية العظمى نحو رغائب أصحابها العرب، وتنتهي بعقد محالفة دائمة ثابتة معهم ويكون من نتائجها المستعجلة طرد الأتراك من بلاد العرب وتحرير الشعوب العربية من نير الأتراك الذي أثقل كاهلهم السنين الطوال».

إن النقاط التالية في التصريح الآنف الذكر مهمة بالنظر إلى الحالة الحاضرة.

(١) أجري تعديل مهم جداً مآله، مع الاعتراف بمناطق دمشق وحماة وحمص وحلب إقليماً عربياً، فقد صرح بوضوح أن التأكيد الذي تستعد بريطانية العظمى لإعطائه فيما يتعلق بالاستقلال العربي لا يمكن أن يثبت إلا بشأن تلك الأقسام من الأقاليم العربية التي تكون بريطانية العظمى حرة فيها بالعمل دون مساس بمصالح حليفتها فرنسة. ولم

يخبر الشريف رسمياً بشروط اتفاقية سايكس ـ بيكو، ولكن يظهر من المحتمل جداً أنه الآن يعلم إلى حد ما بهذه الشروط وحقيقة كون هذه المناطق الخاصة قد أقرت حكومة صاحب الجلالة بأنها داخلة ضمن منطقة النفوذ الفرنسي. وحتى يؤذن لنا بأن نبلغ الشريف بعبارات عامة بأحكام اتفاقية سايكس ـ بيكو، ليس من السهل أن نشرح له أن المناطق التي هو قلق عليها لا ريب هي خارج منطقتنا، وأن عليه أن يراجع الفرنسيين بشأنها. وهو ربما يعلم أن هذا هو الأمر، ولذلك فهو قلق لإثارة هذه النقطة، معتقداً أن المسألة قد لا تكون سوّيت نهائياً حتى الآن وأنه قد يحصل على بعض التعديل للترتيب الذي تم فعلاً.

(٢) وثمة نقطة أخرى مهمة هي أن بريطانية العظمى، ولو أنها تعهدت بأن تعترف وتؤيد استقلال العرب في الأقاليم الداخلة في الحدود والتخوم التي اقترحها شريف مكة مع مراعاة التعديل المهم المشار إليه في الفقرة (١)، فلم يجر ذكر الشكل الذي يتخذه الاستقلال العربي ولا طبيعة الحكومة الذاتية التي تستحدث في المناطق المختلفة ذات الشأن. وخصوصاً لا يوجد أي تعهد بأن تكون تلك الأقطار العربية تحت حكم الشريف، وكل ما وعد به سابقاً في هذا الشأن هو أن بريطانية العظمى تعترف به ملكاً للعرب في الحجاز. وكان الشريف العربي البارز الوحيد الذي يمكن بحث القضية العربية معه، ولذلك جرت بواسطته كل المفاوضات. وهذا بلا شك سوف يفسره هو بأنه يعني بأننا نعتبره الحاكم في المستقبل لكل الأقوام العربية، لكن بريطانية العظمى لم تتعهد بشيء من هذا القبيل وعاملت الشريف دائماً بصفة «المدافع» عن (أو المتحدث بلسان) الأقوام العربية وليس كحاكمهم الشرعي المقبل.

والتبليغ الوحيد الذي أجرته حكومة صاحب الجلالة خلال سير المفاوضات والذي يمكن أن يفسر، كما يتصور، بأنه يدل على أن حكومة صاحب الجلالة اعتبرت الشريف أكثر من الحاكم الشرعي للحجاز، هو ما جاء في برقية وزارة الخارجية المرقمة ٣٠٣ والمؤرخة ٣١ تشرين الأول/أكتوبر ١٩١٤ المتضمنة تبليغ

الأمير عبد الله برسالة من اللورد كتشنر جاءت فيها الكلمات التالية:

«إذا ساعدت الأمة العربية إنكلترة في هذه الحرب التي فرضتها تركية علينا، فإن انكلترة سوف تضمن عدم حدوث أي تدخل داخلي في جزيرة العرب وتقدم للعرب كل المساعدة ضد الاعتداء الأجنبي الخارجي. ويجوز أن عربياً من السلالة الصحيحة قد يشغل منصب الخلافة في مكة أو المدينة، وبذلك يأتي الخير بعون الله بدل كل السوء الذي يحدث الآن».

ليس علينا أن نفرض على الأقوام العربية أي حاكم، وعلى الشريف أن يثبت وضعه الخاص وأن يضمن لنفسه خيار كل الشعوب العربية إذا أراد أن يكون حاكماً لها. ومن مجرد حقيقة أننا اعترفنا باستقلال العرب يستنتج بأننا نعترف بحرية الشعوب العربية المختلفة في انتخاب الشكل الخاص لحكومتها المستقلة.

تقدم الملاحظات الآنفة الذكر لمجرد إيضاح وضعنا الفعلي تجاه الشريف، بالنظر إلى الادعاءات التي قد يقدمها في خلال المفاوضات المقبلة ودون رغبة في المناقشة بأننا نمتنع عن مساعدة الشريف بكل الوسائل المعقولة لبلوغ أهدافه. والحقيقة أن الحل المرضي المحتمل للمشكلة الصعبة عن مستقبل سورية، هو أن عناصر السكان المختلفة تتحد في اختيار الأمير فيصل أو الأمير عبد الله حاكماً تحت سيادة الشريف الاسمية.

(التوقيع) غيلبرت ف. كلايتن
بريغادير جنرال
في ٣ نيسان/أبريل ١٩١٧.

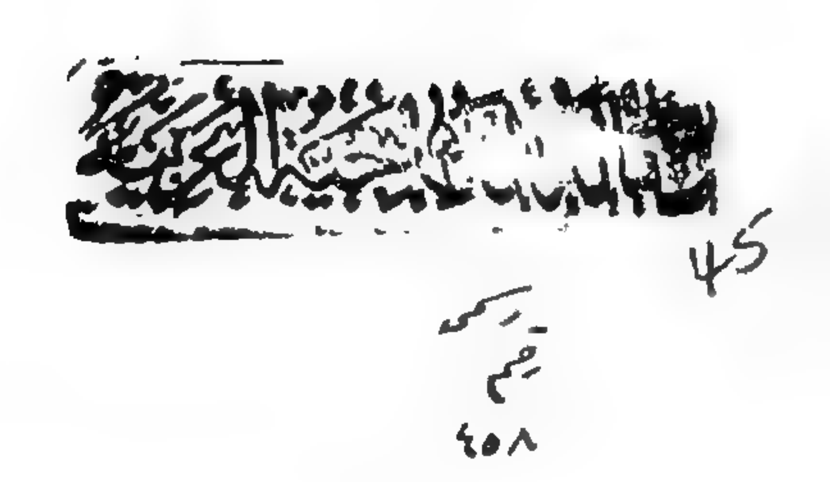
(٣٥)
(كتاب)
من الشيخ فؤاد الخطيب
نائب وزير الخارجية
إلى اللفتنانت كرنل ويلسن
المعتمد البريطاني في جدة

الرقم: ٤٥٨ التاريخ: ١٣ نيسان/أبريل ١٩١٧

صاحب السعادة اللواء ولسون باشا معتمد بريطانيا العظمى بجدة.

سلاماً واحتراماً وبعد فهذه صورة البرقية الواردة إلينا من حضرة الشريف طه ابن مهنا نرسلها لسعادتكم ليس إلاّ لإحاطتكم بها ولكي تعلموا ماذا يقال وهذا نصها: «أجبرتنا دائرة المعتمد البريطاني بنزول ذخيرة ينبع وجميعها على الرصيف قبل وصول الوابور بيوم وعند وصول الوابور شحنت الزعايم كافة الذخيرة ووصلتها إلى الوابور فرد السنابيك جميعها ولا قبل أخذ الذخيرة حيث إنه شاحن جمال وغنم وحطب فبهذه الحالة تجر مصاريف كبيرة مع أن التلغراف اللاسلكي يشتغل يومي فعلى هذا يكونوا هم الملزومين بكافة المصاريف التي صرفت انتهت البرقية المذكورة وقد أخبرت الشريف بما تمّ من الأمر بيني وبين سعادتكم بالتلفون وتفضلوا في الختام بقبول فائق احتراماتي وتسليماتي.

المخلص
فؤاد الخطيب
مكة الجمعة ٢١ جمادى الثاني سنة ١٣٣٥
١٣ أبريل سنة ١٩١٧



45

رقم

٤٥٨

صاحب السعادة اللواء ولسون باشا معتمد بريطانيا العظمى بجده

سلاماً واحتراماً وبعد فهذه صورة البرقية الواردة الينا من حضرة الشريف طه ابن مرجعها نرسلها لسعادتكم ليس الا لاحاطتكم بها ولكي تعطوا ماذا يقال وهذا نصها اخبرتنا دائرة المعتمد البريطاني بنزول ذخيرة ينبع وجميعها على الرصيف قبل وصول الوابور بيوم وبعد وصول الوابور شحنت الزعايم كافة الذخيرة ووصلتها الى الوابور وحتى السنابيك جميعها ولا اقبل اخذ الذخيرة حيث انه شاحن جمال وغنم وحطب فبهذه الحالة تجر مصاريف كبيرة مع ان التلغراف اللاسلكي يشتغل يومي فعلى هذا يكونوا هم الملزومين بكافة المصاريف التي صرفت انتهت البرقية المذكورة وقد اخبرت الشريف بما تم من الامر بيني وبين سعادتكم بالتلفون وتفضلوا في الختام بقبول فائق احتراماتي وتسليماتي

مكه

الجمعة ٢١ جمادى الثاني ١٣٣٥

١٣ ابريل ١٩١٧

المخلص

فؤاد الخطيب

FO 371/3053 (88954)

(٣٦)

(برقية)

من السير مارك سايكس
إلى وزارة الخارجية ـ لندن

الرقم: ١٨ — التاريخ: ٣٠ نيسان/أبريل ١٩١٧

برقيتكم السرية والشخصية المرقمة ٤٤٠

(أولاً) أرجو اخبار وايزمان أنني أعتبر من المرغوب فيه أن يُبقي جميع المفاوضات بينه وبين سوكولوف فقط، إن جيمس ر. متحمس ومتعجل.

(ثانياً) ما يلي الوضع العربي في الوقت الحاضر:

إن الوفود الثلاثة الممثلة لمشاعر المسلمين في سورية، والتي اتصلت بها، قد انتظمت في لجنة تحقيق بشأن الرغبات السورية والعربية.

الأطروحة التالية قدمت في الاجتماع الأول:

(أ) الحلفاء (أو دول الوفاق) قوة سياسية واحدة وغير قابلة للتقسيم.

(ب) الجنس العربي بدم ولسان مشترك.

(جـ) الحلفاء يرغبون في أن يحقق العرب مصيرهم كعامل فعال في العالم.

كان ثمة خطران: أي: (١) أن يحاول العرب الاعتماد على قوة الحلفاء أكثر من قوة أخرى أو (٢) أن يتناحر العرب فيما بينهم. وكلاهما يهددان الحلفاء والجنس العربي بنزعات انشقاقية.

الوفود قُدمت إلى المسيو بيكو في الاجتماع الثاني حيث بحثت الأمور بصورة عامة. قابلت الوفود المسيو بيكو مرة أخرى في الاجتماعين الثالث والرابع بحضوري.

اتفاق الوفود على النقاط التالية كان حصيلة هذه الاجتماعات الثلاثة:

(١) إنهم يرغبون في أن تكون بريطانية وفرنسة مستعدتين للنظر في تأسيس دولة عربية أو اتحاد فدرالي في منطقة تساوي تقريباً النطقتين (أ) و(ب).

(٢) إنه لغرض الدفاع والحماية ستكون مثل هذه الدولة أو الاتحاد الفدرالي مجبرة على الاعتماد على فرنسة وبريطانية العظمى.

(٣) وفي مقابل ذلك تحصل بريطانية العظمى وفرنسة على احتكار الاستثمار والمالية والمستشارين السياسيين في تلك الدولة أو ذلك الاتحاد.

إضافة إلى ذلك، اتفقت الوفود على أنه بالنسبة للدولة العربية الجديدة التي لا بد وأنها ستكون ضعيفة، فإن فلسطين تشكل مشاكل دولية أكثر مما تستطيع أن تضطلع بمسؤولياتها، ولكن في حالة الاعتراف باليهود كـ«ملة» (أو: أمة) في فلسطين فإنهم ألحوا على وجوب منح اعتراف مماثل للسكان الفعليين.

وعلى أثر ذلك انتهت الاجتماعات المشتركة، وقد تم الاتفاق على أن تبحث القضايا المتعلقة بالبرّ السوري في المرة التالية من قبل الوفود مع المسيو بيكو، وأن يعرضوا لي بعد ذلك آراءهم فيما يتعلق بالعراق وكربلاء. وقد قلت لهم بكل وضوح وتأكيد بخصوص هذه النقطة الأخيرة بحضور المسيو بيكو، إنه فيما يتعلق ببغداد لا يمكن أن يكون ثمة شك بأن حكومة جلالته ستحتفظ لنفسها بحق استبقاء احتلال عسكري دائم، وتلح على أن تكون الحكومة المحلية من نوع قادر على الحفاظ على القانون والنظام لكي لا تتأثر التجارة البريطانية. وفي الوقت نفسه فإنني لم أكن أعلم أي نوع من الحكومة ستؤسس هناك. وقد وافقت الوفود على هذا.

في الأسبوع القادم ستجتمع الوفود بالمسيو بيكو، وسأقابلهم بعد ذلك. والمسيو بيكو وأنا نقترح وضع الخطوط الرئيسية لمخطط لجميع المناطق الخضراء والحمراء و(أ) و(ب) وسنقدمه بصورة مشتركة إلى لندن وباريس. ويجب أن يكون لمشكلة مستقبل الجنس العربي، وإنها لن تلزم بأي وجه من الوجوه حكومة جلالته أو الحكومة الفرنسية بتبني المشروع. وكانت الصعوبة الرئيسية هي مغادرة الوفود بدون اطلاعهم على خارطة أو جعلهم يعلمون أنه كان هنالك اتفاق جغرافي أو تفصيلي حقيقي، بحيث نجعلهم لا يسألون عما نحن مستعدون لإعطائهم إياه.

أؤمل أن لا تؤدي قراءة ما جاء أعلاه إلى الاستنتاج بأن المفاوضات كانت سهلة أو بسيطة.

نسخة إلى المندوب السامي والجنرال كلايتن.

FO 141/734/70

(٣٧)
(مذكرة)
عن اجتماع عقد في دار الاعتماد بالقاهرة
في ١٢ أيار/ مايو ١٩١٧

سرّي ـ الشؤون العربية

الحاضرون:

سعادة المندوب السامي

السير مارك سايكس

اللواء ج. ف. كلايتن

الكرنل ويلسن

الكرنل ليتشمان

الكرنل بيرسن

الكرنل سايمس

الكابتن ج. لويد

١) لخص السير مارك سايكس نتائج المباحثات الجارية سابقاً بين المسيو بيكو والمندوبين العرب الثلاثة عن حكومة سورية في المستقبل ومنطقتها الداخلية، والخلاصة أن فرنسة تدعم وتعترف بمبدأ إنشاء حكومة تتمتع بالحكم الذاتي في المنطقة (أ). ويجوز أن «مستشاراً» فرنسياً أو مفوضاً عاماً يقيم في دمشق. وتقدم

فرنسة خبراء فنيين ربما يكون مطلوباً من المشروعات الأجنبية.

في المنطقة الزرقاء (سورية الساحلية) تؤلّف إدارة فرنسية عربية ويرفع علمان (فرنسي وعربي). ويجوز أن تقسم المنطقة إلى ثلاثة أقسام يعين فيها موظفون فرنسيون لهم سلطات تنفيذية (تقارب تلك السلطات المزمع منحها للمفتشين الأوروبيين في أرمينية). ولا يستبعد مبدأ دمج حكومة هذه المنطقة مع الدولة العربية المستقلة (المنطقة أ) في تاريخ لاحق.

اعترف المندوبون العرب بضرورة قبول هذه الشروط واعتبر السير مارك سايكس المفاوضات سائرة بصورة مرضية.

٢) أشار سعادته (المندوب السامي) إلى أن من المرغوب فيه تأمين الاعتراف بالمصالح العليا البريطانية في المنطقة، ويضمنها الحجاز وجنوب المنطقة «ب» وإلى مذكرة عن الموضوع بقلم الكابتن ج. لويد. وأبدت البرقيات التي وصلت مؤخراً، وخصوصاً تلك التي تشير إلى شكاوى فرنسة من تقييدات الحكومة الشريفية على تجارة الخمور، أن وزارة الخارجية (البريطانية) غير مطلعة بوضوح على هذه النقطة.

يجب إرسال برقيات من دار الاعتماد والسير مارك سايكس تحث على وجوب الإلحاح على اتباع فرنسة سياسة «رفع الأيدي».

تم الاتفاق على تأييد المسيو بيكو، الذي تم تنسيق سياسته مع سياستنا، لأنه، في حالة نجاحها، يحافظ تماماً على الوضع بين مصالح فرنسة ومصالحنا. لكن الكرنل ويلسن أشار إلى أن السياسة الفرنسية المرتبطة ببعثة الكولونيل بريمون يجب إضعاف الثقة بها في عين الشريف.

٣) خشي الكرنل ليتشمان من أن موقف الأمير فيصل (كما أعرب عنه الأمير) في موضوع حائل، وتحريضه نوري الشعلان على احتلال الواحة، قد يضرّ بالعلاقات بين الشريف وابن سعود الذي يأمل حيازتها في المستقبل.

وتم الاتفاق على أن حائل يجب أن تبقى في يد من يحتلها، واقترح صاحب السعادة أن العراق قد يستطيع مساعدة ابن سعود في تحقيق هدفه.

وصرح الكرنل ليتشمان، جواباً عن سؤال، إن المساعدة المقدمة لابن سعود من العراق تتألف من عدد من البنادق وبعض النقود. وليس هناك نقص في هذه (النقود) لهذا الغرض أو الأغراض المماثلة.

تم الاتفاق على أن الكرنل ليتشمان، حين يكون في جدة، يقابل الملك حسين ويحاول الحصول على رسالة تشجيع منه إلى ابن سعود.

٤) قرأ الجنرال كلايتن صيغة تصف سياسة حكومة جلالته نحو الزعماء العرب وضع مسودتها بناء على طلب الكرنل ويلسن. وتم الاتفاق على أن هذه الصيغة مناسبة لتقديمها إلى الشريف، مع إعطاء صور إلى المقيم في عدن من قبل السير مارك سايكس وأخرى إلى الكرنل ليتشمان ليأخذها إلى العراق. واسترعى الاهتمام إلى ضرورة تنظيم السياسات الموجهة من العراق وعدن ومصر. ولاحظ السير مارك سايكس أن نجاح السياسات (الخطط) في بلاد العرب سوف يعتمد على إنفاق الذهب والجهود البريطانية أكثر من اعتماده على المبادأة والحماسة الأهلية.

٥) أشار الكرنل ويلسن إلى المذكرة التي قدمها مؤخراً عن خطط العرب العسكرية وشرح أن الأمير فيصل لم يشجع حتى الآن على الشروع في أية حركات إلى شمالي سكة حديد الحجاز بحجة أن المبدأ الأساسي كان تدمير هذه السكة واستسلام الأتراك في المدينة. ورسم صورة للخطط الخاصة بالاستيلاء على الحامية التركية في العلا، وأبدى رأيه بأنه، بالنظر إلى الحالة العسكرية العامة، فإن فيصل يجب أن يشجع الآن على التقدم إلى حماة وشن غارات والتحريض على اضطرابات في المنطقة المجاورة لخط المواصلات التركية إلى أبعد ما يمكن شمالاً. وجواباً على سؤال من صاحب السعادة قال إن نجاح الحركات ضد العلا لا يمكن ضمانه، غير أنه يرى، لأسباب عامة، أن رحلة فيصل إلى الشمال يجب أن يعجل فيها بصرف النظر عن هذه الحركات. وأشير إلى أن مغامرة فيصل يجب أن تجري في منطقة الحركات العسكرية التي يشرف عليها القائد العام للحملة العسكرية المصرية، **وأصدرت التعليمات إلى الجنرال كلايتن ليضع مذكرة قصيرة لتقديمها إلى السير آرشيبالد موراي** (القائد العام في مصر).

ودافع الكرنل ويلسن عن فكرة إرسال عدة ضباط بريطانيين صحبة فيصل مع عدد قليل من خبراء الألغام للنسف والتدمير، وإذا أمكن، تجهيزات لاسلكي متنقلة. ولم ير صاحب السعادة مانعاً من ذلك.

ودار شيء من النقاش عن إمكان حصول تعاون مع مغامرة فيصل من جهة العراق وإلى أي مدى يجري ذلك، وهل يمكن إرسال أسلحة إلخ. من العراق إلى جبل الدروز. وشرح الكرنل ليتشمان أن أي تعاون من جانب العراق يكون متوقفاً

على موقف ودي من ابن هذّال، وهو يرى أن أي عمل من هذا الجانب يكون فعالاً في مبدأ الأمر في الجهة إلى شمال جبل الدروز. (بعد أن تنال مغامرة فيصل موافقة القائد العام للحملة العسكرية المصرية، سئل الكرنل ليتشمان أن يبرق إلى السير برسي كوكس شارحاً الوضع العسكري العام بخصوص المواصلات التركية عن طريق سورية وأن يسأل عن المساعدة التي يستطيع العراق تقديمها لجهودنا ضد هذه المواصلات).

(يقابل السير مارك سايكس المسيو بيكو ويبحث معه بصورة خصوصية فيما إذا كان من الممكن أن يرافق فيصل ضابط فرنسي، ربما من صنف الـ «راهو»).

٦) قال السير مارك سايكس إن الفيلق العربي ينظم في بادىء الأمر قرب الإسماعيلية بإمرة الكابتن ن. براي ويكون قوامه نحو ١٦٠ رجلاً.

(طلب من المكتب العربي في هذا الخصوص أن يبرق إلى البصرة لمعرفة هل أن الـ ٢٣٠ أسيراً سابقاً من بغداد غادروا).

واستفسر الكرنل ويلسن عن الوجهة النهائية التي سيؤخذ إليها هؤلاء الجنود العرب المدربون (أي الفيلق) وهل سيكونون مهيئين للخدمة بقيادة الأمير فيصل أو قائد عربي آخر. ولما كانت خدمات المتطوعين قد طلبت من فيصل فإنه يرى وجوب تخصيصهم للحجاز. وفي رأي مارك سايكس والجنرال كلايتن أن من المستحسن تأجيل القرار في هذا الموضوع وتركه مفتوحاً ليرسلوا حيث يكونون أكثر فائدة. وأن حقيقة كون السلطات العسكرية البريطانية قد رغبت في الاحتفاظ بهذه الوحدات منفصلة عن القوات البريطانية مما يسهل إلحاقها بالقوات الحجازية أو القوات العربية في داخلية البلاد السورية إذا اقتضى الأمر. وأكد الكرنل ويلسن أن من المرغوب فيه الحصول على أكبر عدد ممكن من الرجال المدربين للخدمة في جيش الشريف.

٧) استرعى الكرنل ويلسن الأنظار إلى قلة البنادق اللازمة لتسليح عشائر داخلية البلاد السورية.

(وافق السير مارك سايكس على استطلاع رأي المسيو بيكو عما إذا كانت الـ ١٠,٠٠٠ بندقية التي في حوزته يمكن تسليمها لهذا الغرض. فإنه يكون من المفيد إذا قام المسيو بيكو عند وجوده في جدة بعرض هذه البنادق على الشريف).

وربما ستدعو الحاجة إلى كمية من العتاد الاحتياطي للقبائل الشمالية التي تمتلك الآن بنادق. وأوصى بأن عدد المائة رصاصة المصدرة لكل بندقية يجب تحديدها منعاً للتبذير من قبل العرب. وأكد الكرنل ويلسن ضرورة إخبار فيصل بالوضع العسكري الصحيح في ساحة غزة وبالتحديدات المحتملة لأي عمل عسكري بريطاني من تلك الجهة.

٨) قال صاحب السعادة إن تذكيراً قد أرسل إلى وزارة الخارجية عن موضوع زيادة المنحة الحالية المدفوعة إلى الشريف. وتم الاتفاق على أنه يكون من المفيد جداً إذا كان السير مارك سايكس في وضع يستطيع معه إبلاغ الشريف بأن مبالغ إضافية قد خصصت قبل المقابلة بين هذا الأخير والمسيو بيكو.

٩) استلفت الكرنل ويلسن الأنظار إلى حالة مجموعة الطائرات في الوجه: المطلوب محركات جديدة، ويجب تعويض طائرة متضررة قبل إمكان استعمال الحد الأقصى من المجموعة. وقد وافق صاحب السعادة على طلب هذه اللوازم من الحملة العسكرية المصرية. وجرى ذكر إمكان نقل الوحدة من الوجه إلى ينبع حيث يمكن القيام بهجمات من هذا الموقع على بير الماشي، وذلك حسب رأي الكرنل ويلسن مما قد يقدم الخطط العربية مادياً ضد حامية المدينة.

١٠) فيما يتعلق بتزويد جهاز لاسلكي متنقل لمرافقة مغامرة فيصل، اقترح أن أحد جهازي اللاسلكي الفرنسيين في السويس قد يكون مناسباً لهذه الغاية. وفي تلك الحالة لن يكون اعتراض سياسي أو غير ذلك على استعمالها.

FO 141/734/70

تصريح عن السياسة المتعلقة بالقضية العربية

أ) الاعتراف بمبدأ الاستقلال القومي العربي في الأقاليم التركية التي تنتمي بحق إلى مختلف فروع الشعب العربي.

ب) مع أخذ المبدأ المذكور أعلاه بنظر الاعتبار، (يجب ضمان) دعم دول الحلفاء لكل زعماء العرب الأصدقاء المستقلين والمؤسسات السياسية

العربية، وتشجيع الصداقة والتعاون المتقابل فيما بينهم، وحسم العداوات والخلافات الموقوفة.

(التوقيع) اللفتنانت كرنل سايمس
نسخ معطاة إلى: السير م. سايكس
الكرنل ليتشمان
الكرنل ويلسن
الكرنل بيرسن (الحاكم العام)
غيلبرت كلايتن.
١٩١٧/٥/١٤
تمت الموافقة عليه في الاجتماع المعقود في دار الاعتماد بالقاهرة في ١٢ أيار/ مايو ١٩١٧.

زيارة سايكس وبيكو
إلى جدّة

FO 141/734/70

(٣٨)

(برقية)

من السير برسي كوكس، بغداد
إلى المندوب السامي في مصر، القاهرة

الرقم: ١٨٣٧   ٢٤ أيار/مايو ١٩١٧، الساعة ٧,٥ ب. ظ.

ما يأتي من السير مارك سايكس بتاريخ ٢٢ أيار/مايو. يبتدىء: «زرت جدة لغرض تقديم المندوب الفرنسي إلى ملك الحجاز وإعطائه ملخصاً عن السياسة الإنكليزية ـ الفرنسية بخصوص المنطقة العربية.

المقابلة مرضية نوعاً ما. بعد المقابلة أعطاني فيصل الرسالة الخصوصية التالية منه هو نفسه:

«نحن على استعداد للتعاون مع فرنسة في سورية إلى أبعد مدى ومع بريطانية العظمى في العراق. ولكن تطلب أن تساعدنا بريطانية العظمى مع ابن سعود والإدريسي بدون أي مساس باستقلالهما وحقوقهما وحريتهما. نلتمس من بريطانية العظمى أن تحاول أن (تحثهما؟) على الاعتراف؟؟؟؟ بمركزه كزعيم للحركة العربية».

سوف يشرح (رونالد) ستورز أن هناك حزباً عربياً جامعاً في مكة مع أفكار مبالغ فيها عن ملوكية الشريف، وأنه وابنه في الحقيقة معتدلان جداً في آرائهما.

إذا استطاع ابن سعود بطريقة ما أن يبلغ للشريف بأنه يعتبره الزعيم الاسمي للقضية العربية بدون مساس باستقلاله أو وضعه المحلي بأية صورة كانت، فإنني أعتقد أن ذلك يؤدي إلى نتيجة طيبة. يحتمل أن زيارة ستورز للجنوب قد تهيء الفرصة (مجموعتان غير ممكن حل رموزهما). أرجو تكرار (البرقية) إلى مصر لأنه ليس لدينا رمز أستطيع الاتصال به». (النهاية).

FO 371/3054 (104269)

(٣٩)

(برقية)

من السير مارك سايكس ـ عدن
إلى المندوب السامي في مصر

عدن ٢٤ أيار/مايو ١٩١٧

في ١٧ أيار/مايو قابلنا الشريف فيصل في الوجه وأخذناه معنا. وفي خلال ذلك اليوم والذي بعده عقد اجتماعات متعددة مع المسيو بيكو ومعي. وفي هذه الاجتماعات حصل تقدم قليل جداً فيما عدا إنشاء الصلات مع المسيو بيكو وفيصل. وفي ١٨ أيار/مايو وصلنا إلى جدة. وفي صباح اليوم التالي نزلت جماعات إلى الساحل بالترتيب التالي: في الساعة التاسعة ذهب الأميرال والكابتن لويد في زورق للقيام بزيارة رسمية لملك الحجاز، وقد قدمهم الكرنل ويلسن. وفي الساعة العاشرة تركنا الباخرة، المسيو بيكو في زورق فرنسي وأنا في زورق بريطاني، وقد وقَّتنا وصولنا إلى الساحل للوصول إلى دار الملك عند ختام زيارة الأدميرال. دامت المقابلة ثلاث ساعات. وقدم المسيو بيكو إلى الملك وفيصل وفؤاد (الخطيب) بحضور المترجمين. استقبل الملك المسيو بيكو بصورة ودية وأكد اتحاد فرنسة وبريطانية، وضرورة تعاونهما الوثيق لتحقيق المطامح العربية، وعدم قدرة العرب لتحقيق أي شيء بدون مساعدتهما المتحدة. أجاب بيكو بقراءة رسالة من رئيس الجمهورية مآلها تهنئة النهضة العربية والاعتراف بأنه، على الرغم من المصاعب العظيمة، فإن فرنسة على استعداد للمساعدة في تحقيق أهدافهم. وأخيراً ذكر أن فرنسة تأمل في المستقبل أن تساعد في الساحل السوري بعمل عسكري شبيه بعمل البريطانيين في العراق. ثم تكلم عن مستقبل الساحل السوري، فقلت إنني أنسحب لأن الموضوع يخص فرنسة والعرب فقط، لكن الملك رجاني أن أبقى فبقيت. أعاد الملك القول إنه لا يمكنه أن يكون طرفاً في عمل يرمي إلى تسليم مسلمين لحكم مباشر من قبل دولة غير إسلامية. وقد انسحبت لمدة نصف ساعة. وعند عودتي انتقل الحديث إلى قضية (المستشارين؟). اعترف الملك بضرورة ضم مستشارين أوروبيين لرؤساء الدوائر وأشار إلى سورية والعراق، وقد أكدت عليه

الأهمية الضرورية لحصول المستشارين الأوروبين على سلطة إجرائية وأن لا يكون الحكم العربي عاجزاً وفاسداً، فتبدأ من جديد القصة القديمة للإصلاحات التركية الزائفة. وأشرت إلى أن المناطق تحت الإدارة الأوروبية تنال الرخاء، لكن الملك بطبيعة الحال لم تعجبه الفكرة، وقال فؤاد (الخطيب) إن ذلك يكون نهاية للاستقلال العربي. أكدت على حقيقة أنه لا يرضى أي رجل من الدرجة الأولى حقاً بالعمل كمستشار دون توطيد مركزه وتخويله سلطة إجرائية. أمر الملك فؤاد على مضض بالاعتراف بأن هذه المقابلة انتهت بدون نتيجة قطعية. خرج المسيو بيكو بانطباع جيد عن الملك.

في ٢٠ أيار/مايو قام الملك بزيارة رسمية لبارجة الأدميرال. وحصل الاجتماع مع الأدميرال بحضور الأشخاص أنفسهم مضافاً إليه الكرنل ويلسن. طلب الملك إلى فؤاد أن يقرأ الجواب عن رسالة بيكو وطلب إلينا أن نأخذ الجواب شفهياً مثل بيكو. وفيما يلي خلاصة الجواب: «علم جلالة ملك الحجاز بارتياح أن الحكومة الفرنسية تحبذ المطامح الوطنية العربية، وأنه نظراً لثقته ببريطانية العظمى يسره لو انتهجت الحكومة الفرنسية إزاء مطامح العرب على ساحل سورية المسلم نفس السياسية التي تتبعها بريطانية في بغداد». وأضاف أنه تقدم إليه أعضاء الأحزاب العربية سواء من المسيحيين أو المسلمين في مصر، بصدد الموافقة على بعثة عربية إلى أوروبا وأقطار عالية أخرى للدعوة علناً لصالح المطامح العربية. (لكنه) بالنظر إلى ثقته التامة بالتأييد القوى من جانب فرنسة وبريطانية العظمى، رفض تأييد ذلك الاقتراح الذي اعتبره ضاراً بقضية الحلفاء والعرب. والعودة إلى الرمز «P»، أخذ المسيو بيكو هذا مأخذاً حسناً وأصبحت العلاقات ودية. أمل أن تكون له اتصالات أخرى. الشريف فيصل أعطاني الرسالة التالية من والده:

«نحن مستعدون للتعاون مع فرنسة في سورية إلى أبعد مدى ومع إنكلترة في العراق، لكن نطلب المساعدة من إنكلترة على الإدريسي وابن سعود بدون المساس بأية صورة كانت باستقلالهما. نرجو أن تحاول بريطانية العظمى أن تحملهما على الاعتراف بمركز الملك كزعيم للنهضة العربية». بخصوص هذه النقطة أبرقت إلى كوكس (برقية) مكررة إلى وزير الخارجية.

FO 882/16

(٤٠)

(تقرير)

من الكرنل ويلسن إلى الجنرال كلايتن

(حول زيارة المستر سايكس والمسيو بيكو إلى الحجاز ومباحثاتهما مع الملك حسين)

جدة في ٢٤ أيار/مايو ١٩١٧

فيما يتعلق بزيارة سايكس وبيكو إنني لست راضياً تماماً، بل إنني مستاء للوضع الذي تبدو فيه الأمور حالياً. وإنك بطبيعة الحال، وبعد تسلم هذا، ستحصل على كل شيء مباشرة من سايكس وجورج لويد، ولكنني أريد إعطاءك بعض التفاصيل على قدر علمي بها، مع انطباعاتي الشخصية.

كان سايكس قد أخبرني أن بيكو شخص لطيف جداً وأنه يدرك ضرورة التوصل إلى ترتيب منصف مع الشريف. وبعد مغادرة الوجه أخبرني سايكس أن موقف بيكو قد طرأ عليه تغيير، وربما كان ذلك يعود إلى شيء قاله لبيكو الضابط الفرنسي (لاموت أو اسم من هذا القبيل) الذي صعد على ظهر السفينة ـ وربما كان فيه قدر معين من «سموم بريمون».

وفي طريقنا إلى هنا تبادل سايكس وبيكو محادثات متنوعة مع فيصل ولكنني لم أحضر أياً منها. إن النتيجة على ما علمت، وإن لم تكن مرضية تماماً، فإنها كان يمكن أن تكون أسوأ من ذلك كثيراً.

وقد حرصت بدقة على عدم الاجتماع بفيصل لوحدي على ظهر السفينة، وكان ذلك جزئياً لأنني، إذ لم أحضر المقابلات، لم أكن قادراً على بحث الأمور، وكذلك لأنني لم أجد من المرغوب فيه أن يراني بيكو، وأنا أتحدث طويلاً مع فيصل بمفردي، على أن فيصلاً مع ذلك جاءني قبل وصولنا جدة، وطلب نصيحتي في كيفية عرض قضية العرب، وفيما إذا كنت أعتقد أن سايكس سيقدم له نصيحة ما، بصورة خاصة، قبل ترتيب الاجتماع التالي مع بيكو.

قلت له إنني لا أستطيع إلاّ أن أكرر النصائح التي سبق أن قدمها له سايكس،

والتي كان مؤداها أن فيصلاً يجب أن يشرح بكل وضوح ما يراه ضرورياً للدولة العربية في سورية، ويناقش الأمر، ولكن فيصل كان يلح جداً على أنه ليس مخولاً لأن يبحث شؤون سورية رسمياً. إن كل ما يستطيع أن يفعله هو الإعراب عن آرائه الشخصية، وكان شديد التخوف من أن آراءه ستنقل عنه فيما بعد وكأنها رسمية. قلت له إن من المعروف لدينا تماماً أنه يتكلم بصفته الشخصية فقط، ولا يمكن أن يعتبر أي شيء رسمياً أو ملزماً بدون استشارة الملك.

أخبرت سايكس بما ورد أعلاه، فقابل فيصلاً وأعطاه التأكيدات أعلاه أيضاً، وحثه بصورة خاصة أن يكون مستريح البال وأن يتحدث بحرية بصفة شخصية وخصوصية.

وأظن أن فيصلاً قابل بيكو ثانية، ولكنني لا أعلم هل كان سايكس حاضراً أم لا.

في يوم ١٩ أيار/مايو نزل الأميرال إلى البرّ في جدة، فأخذته مع الضباط البريطانيين الآخرين لمقابلة الملك. ولما خرجنا وصل سايكس وبيكو، وبعد أن ودعت الأميرال، عدت إلى دار الشريف بطلب من فيصل. وعلى أثر ذلك، وفي حوالى الساعة ١١,١٥ قبل الظهر صعد سايكس وبيكو لمقابلة الملك، وبقينا، بريمون وأنا في الطابق الأسفل، ودام الاجتماع حتى الساعة ١,٣٠ بعد الظهر. وبعد ذلك قال سايكس، ونحن في طريقنا إلى داري، إن بيكو كان فيما يظهر بنفس عقلية «بريمون»، وأنه كان ضد الشريف، ويبدو أنه لم يكن راغباً في نجاح الحركة العربية. وقد أعطاني سايكس انطباعاً بأن الأمور لا تسير سيراً حسناً بسبب موقف بيكو، وأن الأخير إذا لم ينبه فعلاً، فسيكون من العبث محاولة التوفيق بين فرنسة والشريف. وقد سألت بصورة خاصة عن موقف الشريف، وعلمت أنه كان على خير ما يرام.

وكان المزمع أن أصطحب «ليتشمان» لمقابلة الشريف بعد الظهر، ولكن الشريف نام حتى الساعة ٤,٣٠، وفي حوالي ذلك الوقت تلقيت مكالمة تلفونية بأنه سيقابلنا، ليتشمان وأنا، حالاً. فأخبرت ليتشمان، وعلى الرغم من أنني أخبرته بأنني أستطيع أن أعود به إلى السفينة، فقد قرر عدم الذهاب، وقال إنه يستطيع أن يدبر الأمر بعد ذلك مع كوكس.. إلخ. إنني أعد موقف ليتشمان غريباً، ولم يكن من شأنه تحسين الأمور. ولم أجد مناصاً من إخبار الشريف أن الوقت كان متأخراً

جداً لمجيء ليتشمان، لأن آخر قارب سيغادر الميناء في الساعة الخامسة ب.ظ، وهو عذر واهٍ، لأنه كان يعلم أن فؤاد (الخطيب) سيذهب إلى الباخرة (نورثبروك) بعد ذلك لمقابلة سايكس، وكذلك فإنني أزعجت كلاً من فيصل وفؤاد بالهاتف طيلة الوقت بعد الظهر، وحالما استيقظ الشريف أخبراه أنني أرغب في إحضار ليتشمان لمقابلته، فأجاب: «بالتأكيد، فليأتيا الآن». وفي صباح اليوم التالي حينما زار الشريف الباخرة قال ليتشمان كم كان آسفاً لإضاعة فرصة مقابلته، وقال الرجل الكبير بكل لطف بأن الأمر كان يعود لليتشمان. ولكنني إذ أعرف الشريف جيداً، أعلم أنه كان منزعجاً من الأمر كله.

ولا أعلم ماذا عمل ليتشمان في القاهرة، ولكن فيما يتعلق بالحجاز فإن زيارته في رأيي كان ضررها أكثر من نفعها، إذا كان فيها أي نفع، في حين أنها كانت مناسبة ممتازة لإجراء مباحثة مفيدة.

في حدود الساعة ٩,٢٠ ق.ظ قابلت الشريف في القارب، ورافقته إلى الباخرة نورثبروك، وجاء معنا فيصل وفؤاد أيضاً.

وكنت قد تلقيت إشارة من سايكس يقول فيها إنه رتب مع بيكو أن أحضر الاجتماع الذي سيعقد على ظهر السفينة، وقد تم هذا بعد أن «أمضى الأميرال والشريف الوقت.. إلخ» ولم يكن بريمون حاضراً الاجتماع الذي كان قاصراً على الشريف، وسايكس، وبيكو ومترجمه، وفيصل (حضر قسماً من الوقت)، وفؤاد، وأنا.

وبعد حديث حول إرسال بعض الضباط العرب إلى الهند، سأل الشريف فيما إذا كان له أن يشير إلى مباحثات الأمس وقال إنه كان قد كتب شيئاً، وبناء على طلبه أخرج فؤاد رقعة مكتوبة هذه ترجمتها التقريبية:

١ - إن العلاقات بين الحكومة العربية وفرنسة في سورية يجب أن تكون مماثلة للعلاقات بين الملك وبريطانية في بغداد.

٢ - إن الوفود التي يرسلها السوريون إلى الأمريكيتين الشمالية والجنوبية، وأوروبا... إلخ يجب أن لا ترسل باسمه.

ملاحظة: ليس من الواضح عندي، وربما عند الشريف وبيكو أيضاً، فيما إذا كان المقصود بسورية أن تشمل دمشق... إلخ أم مجرد الساحل السوري الذي

تطالب به فرنسة وقد يكون أحدهما قصد بقوله سورية والآخر الساحل السوري فقط.

سأل بيكو فيما إذا كان له أن يحتفظ بالورقة، ولكن لما كانت الورقة مذكرة خاصة فقد رُفض هذا الطلب. ولكن الشريف نهض وأخذ الورقة من يد فؤاد وأعطاها إلى سكرتير بيكو لكي يستطيع أن يرى ماذا كتب فيها بالضبط. وبعد قراءتها أعيدت إلى فؤاد.

وقد أبدى الشريف أنه طرح الاقتراح الوارد أعلاه لأنه كان يعتمد تماماً على التزام الحكومة البريطانية باتفاقها معه.. إلخ وأنه لم يعرف فرنسة إلاَّ عن طريق بريطانية، وأن له الثقة الكاملة بوعد سايكس لأنه قادم مباشرة من الحكومة البريطانية.

وافق بيكو على الاقتراح الأول، وأعرب سايكس وبيكو عن سرورهما بالنسبة للنقطة الثانية. وقال سايكس إن ذلك كان برهاناً على رغبة الشريف في أن «يلعب اللعبة»، فوافقه بيكو في ذلك.

ومع أن سايكس وبيكو كانا مسرورين جداً بهذه النتيجة، وأن الشريف كان قد طرح الاقتراح بنفسه، فإنني لم أكن مرتاحاً في ذهني، وقد بدا لي من المحتمل أن الشريف، وهو أكثر الرجال كياسة ومجاملة، وولاؤه لنا مطلق، وثقته ببريطانية العظمى كاملة، كان يبدي موافقته الشفهية على ما لم يكن يوافق عليه لو علم بتفسيرنا لما سيكون عليه الوضع في العراق.

ولذلك سألت سايكس: «هل يعرف الشريف حقيقة الوضع في بغداد؟». فأجاب: «إن لديهم المنشور». فلم أقل شيئاً لبضع دقائق لأنني كنت متفرجاً، ولكنني علقت فيما بعد قائلاً إن المنشور لم يذكر شيئاً أكثر من الطلب إلى العرب أن يتعاونوا في الحكومة.

وعندئذٍ استفسر سايكس من فؤاد هل قرأ منشور الجنرال مود فأجاب فؤاد بالإيجاب، وانتهى الموضوع هنا، حيث انتحى سايكس بفيصل وفؤاد جانباً للتحدث عن الضباط الذاهبين إلى الهند لأجل أعمال التجنيد.

ودارت بين الشريف وبيكو محادثة لم أتمكن من متابعتها جيداً نظراً لأن المترجم كان يكلمه باللغة الفصحى، ولكن يبدو أن كليهما كانا مسرورين، وانتهى

الاجتماع بعد مدة قصيرة في جو بهيج، وأدى الملك عندئذٍ صلاة الظهر، فتركناه وحده، وأخذ فيصل سايكس جانباً، وقال إن هناك مسألتين تقلقان والده، وتتعلقان بابن سعود والإدريسي. قال سايكس إن هذا أمر تعود معالجته لي. ولكنني طلبت إليه أن يدع فيصلاً ينفّس عما في صدره، فقال فيصل إن الشريف كان حريصاً جداً على أن يعترف المذكوران به ملكاً، وأن الشريف قد نفّذ ما طلبوه إليه بشأن سورية، أفلا نستطيع أن نحمل الزعيمين على الاعتراف بالشريف؟

قلت لسايكس إن لنا اتفاقات مع كلا الزعيمين، وإن الأمر يعود إلى الشريف أن يقنع الزعماء العرب بأن يعترفوا بسيادته، ولكنني شخصياً أعتقد أنه إذا اعترف أغلبية الزعماء بالشريف كرئيس أعلى، فإن المذكورين سيحذوان حذوهم سريعاً.

وأظن أن قولي هذا تُرجم لفيصل، وعلى ما أتذكر فإن سايكس أعطى فيصلاً جواباً متعاطفاً ولكن ليس فيه التزام، مبدياً لي ملاحظة بأنه اقتراح صادر عن رجل دولة.

سألني سايكس هل كنت أعتقد أن الاجتماع كان مرضياً، فأجبته بما معناه أنه طالما كان الجميع متفقين فإنني أحسب أنه كان مرضياً، ولكنني كنت أود أن يقال المزيد عن وضعنا في بغداد. وكان عليّ أن أعود إلى البلدة مع الملك ولذلك لم تسنح لي فرصة لمحادثة سايكس.

إن رأيي الخاص هو أن الشروط التي نحتفظ ببغداد بموجبها كان ينبغي الإفصاح عنها بوضوح في الاجتماع. فقد كان الشريف يعتقد أن بيده ورقة رابحة، وهي رسالة من السير هنري مكماهون لا يعرف محتوياتها فؤاد، ولا فيصل، ولا أي من مستشاري الشريف.

إن ما أخشاه هو أن يكون الشريف قد فسر مضمون هذه الرسالة بشكل، وفسرناه نحن بشكل آخر، فإذا ظهر أن الأمر كان كذلك، فسيكون هنالك حتماً وضع خطير ومحرج جداً (خاصة إذا أخفقنا في إبراز نسختنا التي علمت أنها لم يمكن العثور عليها حتى الآن) ولسوف تنتهي ثقة الشريف بنا. وقد قال في الاجتماع أنه إذا لم تف بريطانية العظمى باتفاقها فإنه سيذهب مع أسرته إلى أوروبا، وأضاف ضاحكاً أنه سيترك نصف أسرته في لندن ونصفها الآخر في باريس.

وكما تعلم أنني كنت أنادي على الدوام بقوة بأن نكون مع الشريف صرحاء إلى

أقصى حد ممكن. وأن رأيي المدروس أننا في الاجتماع الأخير لم نكن منفتحين ولا صريحين كما يجب.

لقد جاء ممثلان خاصان لبريطانية العظمى وفرنسة لتثبيت الأمور مع الشريف، وحينما وافق الأخير على أن يكون لفرنسة في سورية نفس الوضع الذي سيكون لنا في العراق، كان علينا بلا شك أن نصرح بالنقاط الرئيسية لاتفاقنا بشأن العراق، لمنع أي سوء فهم قد تكون له نتائج بعيدة المدى.

إن ما جعلني أشعر أن الشريف وبيكو كانت لديهما أفكار مختلفة فيما يتعلق بوضع فرنسة في سورية أمران:

١ - إن الشريف وافق على أن يكون لفرنسة في سورية وضع يماثل وضعنا في العراق.

٢ - إن بيكو كان مغتبطاً بشكل واضح بجعل الشريف يوافق على هذا شفهياً.

وفي مساء ذلك اليوم (٢٠ منه) جاء نيوكمب وقال لي إنه أجرى حديثاً طويلاً مع فيصل وفؤاد، وأخبرني ضمن أمور أخرى أن سايكس هو الذي حث فؤاد على جعل الشريف يوافق على النقطتين اللتين ذُكرتا في الاجتماع، وأن سايكس قال لفؤاد أو للشريف أن يتركا كل شيء له، وكانت هذه المرة الأولى التي أسمع فيها أن سايكس كان مسؤولاً عن تصرف الشريف، وإني أرفق بطيه مذكرة كتبها نيوكمب بطلب مني عن المحادثة التي أشار إليها.

ولا شك أن سايكس قد أخذ على عاتقه مسؤولية ثقيلة جداً بحثّه الشريف على الموافقة على الصيغة المتعلقة بفرنسة وسورية، ولو علمت (في الاجتماع) أن الشريف لم يوافق على تلك الصيغة إلاّ بناء على إقناع سايكس له، لحاولت بالتأكيد أن أجعل بعض المبادىء الرئيسية بشأن وضعنا في العراق تعرض في الاجتماع.

وقد ينتهي كل شيء نهاية طيبة، إذ إن بغداد والعراق - باستثناء البصرة - ربما سيكونان عربيين ومستقلين مع مستشارين بريطانيين، ورقابة مالية... إلخ، فإذا كان الأمر كذلك، فحسناً، ولكن إذا كان الشريف يضع تفسيراً لكتاب مكماهون، ونضع نحن غيره، فمن المحتمل أن تنجم عن ذلك مشكلة خطيرة.

وقد علمت من جورج لويد أن بغداد، بصورة تكاد تكون مؤكدة، ستكون

بريطانية من الناحية العملية، فإذا كان الأمر كذلك فإنني أعتبر أننا لم نسلك مسلكاً قويماً مع شيخ مهذب هو، كما اتفق سايكس، من أعظم المعجبين المخلصين لبريطانية وأكثرهم ولاء لها، إذ إن ذلك يعني أن الشريف وافق شفهياً على أن تصبح سورية فرنسية عملياً، وإنني واثق أن ذلك أمر لم يقصده قط.

ولا بد لي أن أقول إن سايكس قد قام بعمل رائع إذ نجح في جعل الشريف وبيكو يتفاهمان ظاهرياً على أي حال، وبشكل ودي، وكانت تلك مهمة شاقة، ولكن لا يسعني إلاّ أن أشعر بالأسف الشديد لأن فرصة الاجتماع لم تنتهز لإزالة أسباب سوء التفاهم المحتملة.

جاء فيصل لمقابلتي في صباح يوم (٢١ منه)، وبعد بحث الأمور العسكرية بدأ يحدثني عن سورية، وأخبرني بكل ما أخبر به نيوكمب في مساء اليوم السابق.

وحينما كنت في منزل الشريف أمس (٢٢ منه) تكلم فيصل وفؤاد في الموضوع مرة أخرى، وكانت القصة نفسها، فالشريف لم يكن يوافق على أي مساومة بشأن سورية مطلقاً لولا أن سايكس حثه على ذلك نيابة عن بريطانية العظمى، وإن لدى الشريف رسالة من مكماهون تقول إن هناك وعداً بأن يكون العراق للعرب، باستثناء البصرة، بسبب وجود ترتيبات مالية خاصة بها، لا يعرف فيصل ولا فؤاد تفاصيلها.

أخبرني فيصل أنه ذهب إلى الشريف بعد الاجتماع وقال: «إذا افترضنا أن بريطانية العظمى لم تنفذ الاتفاق في العراق، أو أن لديها عنها فكرة مختلفة عن فكرتك»، ويقول فيصل إن الشريف أجاب أن الرسالة عنده (أي رسالة مكماهون) وأنه غضب على فيصل غضباً شديداً لقوله إن بريطانية قد لا تتمسك باتفاقها قائلاً: «ألا تعرف بريطانية العظمى؟ إن ثقتي بها مطلقة».

قال فؤاد إن بيكو طلب إلى الشريف في الاجتماع الأول مرتين أو ثلاثاً أن يوافق على أن يكون مركز فرنسة في سورية مماثلاً لمركز بريطانية في العراق، وإن الشريف لم يجب على هذا، وإن سايكس أخبره (أخبر فؤاد) بعد الاجتماع أنه غاضب جداً على بيكو لإقحامه بريطانية في المحادثات، وأن سورية كانت موضوعاً لمباحثة بين فرنسة والعرب... إلخ (لم يذكر سايكس لي شيئاً من هذا).

وقد أعرب فيصل وفؤاد عن خوفهما من أن تكون لدينا أفكار تختلف عن أفكار الشريف بشأن معنى كتاب مكماهون الذي يشير إليه الشريف دائماً، وكنا نود لو أن الشريف أبرزه خلال الاجتماع، ولكن كلما قال أحدهما شيئاً، يكتفي الشريف بقوله: «إن لديّ وعداً مكتوباً من بريطانية العظمى، وذلك يكفي».

وأبدى فؤاد أنه قضى أكثر من ثلاث ساعات لإقناع الشريف بالموافقة على الصيغتين اللتين طلبهما سايكس.

ترى هل يعيش الشريف في جنة المخدوعين؟ إذا كان الأمر كذلك فإن صحوته ستكون قاسية، وهو إذا فقد ثقته ببريطانية العظمى مرة، فإننا لن نتمكن من استعادتها.

وسبب آخر يستوجب توضيح الأمر حالاً، وهو أن فيصلاً يجب أن يعلم حقيقة الموقف حينما يتحرك إلى الشمال، إذ يقول إنه لا يستطيع أن يحث السوريين على الثورة ضد الأتراك إذا كانت فرنسة ستأخذ البلاد، ولو فعل ذلك فإنه سيكون «خائناً حقيراً» تجاه الذين وضعوا ثقتهم فيه.

أخشى أن تكون هذه ثرثرة طويلة، ولكن الموضوع بالغ الأهمية ليس بالنسبة للشريف بل لنا **نحن**. لا أعتقد أن الشريف ينقلب علينا مهما حدث، ولكن إذا اعتقد أنه خُدع، فمن المحتمل أن يغادر الحجاز، وقد ينقلب أبناؤه ضدنا، فإذا فعلوا ذلك وغادروا الحجاز مع أبيهم، فعلينا أن نتصور حالة الجزيرة العربية مع ألوف العرب المسلمين الذين لن يعودوا حلفاء لنا. إن ذلك قد لا يحدث، ولكن حدوثه ممكن إذا اعتقد الشريف أنه خُدع حقاً. ولذلك، فإذا تذكرنا وضع روسية، ووضع مود، والتعزيزات التركية التي ترسل ضده وضد [الجنرال] موراي، فقد تنشأ عن هذا حالة خطيرة.

إنني شخصياً أعتقد أن عقدة الوضع هي كما يأتي:

إن الشريف بموافقته على الصيغة، يعتقد أن سورية كلها ستكون مستقلة ربما باستثناء [قطعة تقابل] البصرة، لأنه يعتقد أن العراق كله، باستثناء البصرة، سيكون مستقلاً.

أهو مصيب في هذا؟ فإذا لم يكن مصيباً سيظهر وضع خطير جداً ما لم تتخذ

خطوات فورية لتصحيح الأمر، وذلك يتطلب معالجة دقيقة جداً (وليس عن طريق المراسلات) خاصة إذا لم نتمكن من إبراز نسخة من رسالة مكماهون التي استند إليها الشريف في موافقته على الصيغة.

أخبرني فؤاد وأنا على وشك مغادرة جدة (في ٢٣ منه) أنه ذاهب إلى القاهرة لمقابلة فخامة المندوب السامي، وأنه كذلك أعد تصريحاً كتبه له نيوكمب، أرسل نسخة منه. وسيحضر فؤاد نفسه نسخة بيده، ولكن بعد قراءته سألت فيما إذا كان لي أن أرسل إليك نسخة منه لتقديمها لفخامته، فوافق. وقد فكرت أن من المرغوب فيه جداً أن يطلع فخامته على رواية فؤاد وأفكاره بأسرع ما يمكن.

إن المدة التي قضاها الشريف مع سايكس وبيكو كانت كلها حوالى ٤ ساعات وهي مدة قصيرة نوعاً ما لبحث موضوع بهذه الأهمية. وكان الشريف شديد الرغبة في بقاء البعثة يوماً آخر، وإنه لمن سوء الحظ بالتأكيد استعجال الأمور على هذا النحو. وإذا جاء سايكس وبيكو مرة أخرى (وقد وعدا الشريف بذلك إذا جد أمر مهم) فإنني أوصي بشدة أن يبقيا في جدة أربعة أيام أو خمسة على الأقل وينزلا في البلدة.

هل لك أن تتفضل باطلاع سايكس على هذه الرسالة، فهي عبارة عما كنت سأقوله له لو أتيحت لي الفرصة.

وإنني لأبدي مرة أخرى أنه إذا كان هنالك أي احتمال لأن يكون الشريف تحت طائلة أية أوهام بشأن ما وافق عليه شفهياً، فإن الأمر يتطلب اهتماماً جدياً وفورياً، وهذا هو السبب في أنني أبرقت إليك لأحثك على البقاء في مصر حتى عودة سايكس، إننا إذا لم نعاون الشريف على اجتياز الوضع، وإذا خذلناه بعد كل ثقته بنا، فإن منصب «ضابط الحج في جدة» المحسود جداً، سيصبح شاغراً، لأنني بالتأكيد لا أستطيع أن أبقى.

لقد كتب هذا في أوقات مختلفة، لأنني كنت مشغولاً جداً، ولا أدري هل كتب سايكس مذكرة عن زيارته الأولى لفيصل والشريف، وذلك مستحسن جداً في رأيي، وما هو أهم من ذلك أيضاً الحصول على مذكرة منه عما دار في هذه المرة مع الشريف وفيصل وبيكو. وإنني بنتيجة كل ما قرأت وسمعت أرى من المهم جداً أن نكون في مثل هذا الموقف القوي في بغداد، مما سيمكننا من الحيلولة دون كل تدخل أجنبي، أي أننا يجب أن تكون لنا اليد العليا تماماً بالنسبة للدول

الأخرى. ولكن ما يهمني في الوقت الحاضر هو وجوب اتخاذنا خطوات فورية للحيلولة دون أن يكون للشريف والشعب العربي أساس محق لاتهامنا باللعب على الحبلين، ومما يزيد في فرض هذا الواجب علينا هو ثقة الشريف المطلقة ببريطانية العظمى.

ويلسن

FO 686/35

(٤١)

(كتاب)

من الشريف حسين إلى السير ر. وينغيت[1]

التاريخ: ٢٩ شعبان ١٣٣٥
(١٩ حزيران/ يونيو ١٩١٧)

حضرة الوزير الشجاع الشهم الهمام.

بكل اعتناء أبادر ببيان عظيم امتناني الصميمي من تلطفات الفخامة التي أعرب بها الكاتب حسين روحي. صديقي، نحن أولى بالشكر والثناء لفخامتك خاصة أقله فيما أشرتم إليه من متاعب هممكم في زيادة الراتب وسواه، ومن بريطانيا العظمى في جميلها ومعروفها المادي والمعنوي الغامر لعموم الجزيرة. ولكن أبت كمالاتكم السامية إلاَّ أن يكون لها السبق حتى في هذه المزية. صديقي، أما بحث نسبة أصدقائك أقوامي لعدم النشاط في إجلاء العدو من المدينة، وبمناسبة هذا البحث أستطرد ذكر تعجيزنا المفرط في الراتب الذي حكمت علينا بها النتائج في طلب زيادة الراتب. فلذلك أسباب جوهرية سبق بياناً لها في تقاريري لفخامتك رأساً ولمعتمد جدة في الموضوع. واعتماداً على كمالات عدالتك استرحم إعادة النظر عليها إن أمكن. ومع هذا فأبسط دليل على البراءة من نقيصة عدم النشاط

---

(١) الأصل الذي أرسل إلى وينغيت باللغة العربية (المراسلات التاريخية، ١٩١٤ ـ ١٩١٨). المجلد الأول، ص ١١٧ ـ ١١٨.

وما ورائها في نظر فخامتك، هزيمة المسلحتين الصغيرتين أخيراً للأتراك وابن رشيد معاً وأسرها واغتنامها المهمات المتنوعة. أما شكر الفخامة عن إنابة جناب الشهم الهمام السير مارك سايكس، فالشكر منكم وإليكم. مع هذا فلا بد أن حضرته صرّح لفخامتك أن ملخص قراري الصريح الغني عن التأويل والتفسير. بأنه إذا لم تكن حدود البلاد العربية على الوجه المقرر سابقاً مع بريطانيا العظمى، فإن إخلاصي ونصحي لها ولبلادي وقوميتي يوجبني على الانسحاب بصورة قطعية. ودم واسلم أيها الصديق ممتعاً بصحة الوجود ونيل كل مقصود.

حسين

«السَرِيّة العَرَبيّة»

FO 371/3043 (101886)

(٤٢)

(برقية)

من السير ريجنالد وينغيت (القاهرة)
إلى وزارة الخارجية ـ لندن

الرقم: ٥٣٥ التاريخ: ١٩ أيار/مايو ١٩١٧

ما يلي من السير مارك سايكس رقم ٣١ في ١٨ أيار/مايو.

«تبدأ».

ما يلي إلى وزير الخارجية.

أبلغوا وزير الهند أنني بعد التشاور مع ليتشمان وفيصل تأكدت من (١) أنه قد تكون هناك عناصر مفيدة للتجنيد للخدمة لدى قوات الشريف في معسكرات الأسرى في الهند. (٢) أن قوات الحجاز ستحمي مجندين كهؤلاء.

وبغية تفادي الصعوبات التي واجهناها في مناسبات سابقة، فإنني أقترح الطريقة الآتية:

أن يتوجه ليتشمان برفقة ضابطين عربيين إلى معسكرات الهند ويقوم بالتجنيد. وإذا تم ذلك، يستطيع ليتشمان تسليم المجموعة إلى ضابط بريطاني يتم اختياره لنقلهم إلى مصر حيث يمكن تدريبهم للخدمة.

يرجى الاستفسار من القائد العام في الهند فيما إذا كان يوافق على هذه الطريقة.

ونظراً لضيق الوقت، فإنني سأستصحب ليتشمان وضابطين عربيين إلى عدن، التي يمكن لهم التوجه منها إلى الهند في حالة موافقة القائد العام. وأتوقع (الوصول؟) إلى عدن في الثاني والعشرين.

سأكون سعيداً لو وجدت الرد في انتظاري هناك. وليتشمان، على أية حال، في طريقه إلى العراق ولا بد له من المرور بالهند.

FO 371/3043

(٤٣)

(برقية)

من مقر القيادة العام ـ مصر
إلى وزارة الحربية

سرّي

الرقم: آي.بي ١٧٠ التاريخ: ٢٥ أيار/مايو ١٩١٧

برقيتكم ٣٤٩١٨ في ٢٢ أيار/مايو.

أ ـ النية هي تجنيد الأسرى المتطوعين المأخوذين من جميع مسارح العمليات، والمرتزقة من عدن وغيرهم من المتطوعين العرب، وتأليف وحدة مقاتلة جيدة التدريب. وذلك لإضفاء تماسك على الحركة العربية. وأن يستخدم هؤلاء حسب ما يقتضيه الوضع العسكري، ويسمح به العدد ومدى الكفاءة، لمساعدة قوات الشريف وتعزيزها، أو العمليات العامة في البلاد العربية.

ب ـ أن يقودهم ضباط عرب تحت إشراف ضابط بريطاني وآخر فرنسي لأغراض التدريب والتنظيم.

جـ ـ النقباء.......... جنيهات مصرية.... ١٦

الملازمون الأوائل.......... جنيهات مصرية....... ١٣

الملازمون الثانون.......... جنيهات مصرية..... ١٠,٥٠

وهذه مرتبات شهرية تستند على الرواتب التي يتقاضاها الضباط من ذوي الرتب المماثلة في الجيش التركي وبالجنيهات التركية.

رئيس عرفاء سرية	قروش	١٥
رئيس عرفاء وحدة	قروش	١٠
عريف	قروش	٨

نائب عريف	قروش	٦
كاتب	قروش	٥
نافخ البوق	قروش	٥
جندي	قروش	٣ يومياً

المجموع الكلي لما يدفع لسرية مزدوجة ٢٢٤ لجميع الرتب بالجنيهات المصرية هو ٢٩٣ و٤٠ قرشاً.

د ـ يقترح أن تكون القوة بحجم كتيبة على الأقل. القوة الحالية بحدود ٢٠٠ أسير حرب إضافة إلى قوة من بغداد تتألف من ١٥ ضابطاً و١٧ رجلاً سيتم الاختيار من بينهم.

FO 371/3043 (10982)

(٤٤)
(برقية)
من وزارة الحربية
إلى مقر القيادة العام، مصر

التاريخ: ٢٨ أيار/مايو ١٩١٧

٣٥٢٥٢.أي.دي.٢

برقيتكم ١٧٠٠ I.B في ٢٥ أيار/مايو.

سيسعدنا أن تحصلوا على رأي المندوب السامي حول تشكيل السريّة العربية، إن لم تفعلوا ذلك حتى الآن.

---

(٤٥)

استمارة طلب الانتماء إلى «السرية العربية»

58

FO 882/ 2

(٤٥)

السرية العربية

الاسم

الكنية ..

العمر ..

محل الولادة

المهنة قبل الحرب

مدة الخدمة العسكرية

نوع الخدمة التي تخصصت بها بالعسكرية

اللغات التي اعرفها

انا الموقع في ذيله والموضح اسمي وكنيتي وشهرتي في اعلاه اقر واعترف باني ثبات الانخراط في سلك السرية العربية طول مدة الحرب الحاضرة لأجل ان احارب الاتراك في الاقطار العربية واني اقسم بشرفي ان اقوم بكل ما يتطلب مني بامانة وشجاعة ونشاط وان اطيع رؤسائي عن رضى واخلاص

(الامضاء)

FO 371/3043

(٤٦)

(برقية)

من السير ريجنالد وينغيت (المندوب السامي في القاهرة)
إلى وزارة الخارجية

الرقم: ٥٧٩ عاجل　　　　التاريخ: ٢ حزيران/ يونيو ١٩١٧

ما يلي من السير مارك سايكس رقم ٤٥ لمعلومات وزارة الحرب:

أؤمل أن تتم الموافقة على تشكيل السريّة العربية بدون تأخير. مصادر التجنيد هي كالآتي: معسكرات أسرى الحرب، مصر، وجزر قمران، وعدن، والعرب المقيمون في مصر، أسرى الحرب في الهند، وكذلك في العراق. لديَّ الأمل في جمع كتيبتين كفؤتين مع ذخائر كافية في المخازن مع حلول منتصف أيلول/ سبتمبر. ومع ذلك، فإذا أثيرت الحماسة ستتوفر أعداد أكبر لأن أعداد الرجال الصالحين للخدمة مجموعها كما يأتي: مصر، ربما ٣٠٠٠، عدن وجزر قمران ربما ٦٠٠٠، الهند والعراق ربما ١٨٠٠.

العراق سيرسل ٥١ ضابطاً و١١٧ جندياً. حوالى ٢٠٠ جندي و٢١ ضابطاً ينتظرون في مصر. اتخذت الترتيبات في عدن وقمران للبدء بالتجنيد. ليتشمان ذهب إلى الهند مع ضابط عربي اختير بصورة خاصة للعمل في معسكرات أسرى الحرب.

وافق المسيو بيكو على جميع الخطوات التي اتخذت في الوقت الحاضر، وسيقدم ضباطاً استشاريين يتناسب عددهم مع عدد ضباطنا.

أعرض أنه لمن المبكر جداً اتخاذ قرار بشأن مكان استخدام الفيلق المقترح تشكيله قبل أن تتمكن السلطات المختصة من تقدير قيمته العسكرية، ويبدي الضباط السياسيون مشورتهم حول الوضع ومتى يكون الفيلق صالحاً للخدمة.

وقد جند أعضاء الفيلق للقتال من أجل القضية العربية، على أرض عربية، حيث سيخدمون بصورة أفضل، وسيكونون تحت إمرة القيادة العليا في مناطق تختار لهم للقيام بعملياتهم فيها. الشريف وفيصل وافقا على السريّة. في الوقت

الحاضر تسللت إلى الحجاز أعداد من الضباط والجنود، وهم يذهبون سدى بسبب الافتقار الطبيعي إلى التنظيم، إذ إنهم أما إن يغادروا مستائين، أو يصبحوا غير مكترثين. وحين تحدث فترة اضطراب في رابغ، كما توقعت حدوثها في تشرين الأول/ أكتوبر وتشرين الثاني/ نوفمبر فإن الجميع سيكونون شاكرين لقوة متماسكة إلى حد لا بأس به، لن يؤدي وجودها في الحجاز إلى التفريط بسمعة الأماكن المقدسة. وإذا كان للفيلق نفسه أن يكون كفؤاً فإن التنظيم المبدئي والمأوى الدائمي يجب أن يمولاً رسمياً ويدعما من جانب القوة المصرية. ومع ذلك فإذا استُخدم الفيلق، أو جزء منه، في الحجاز أو سواه، فإن التمويل يمكن أن ينقل إلى السلطة التي تستخدمه، إذا وجد ذلك مناسباً. وعلى أي حال فيلاحظ أن نصف الكلفة الفعلية تتحملها فرنسة بتخويل مع المسيو بيكو، وهو يقوم بهذا على مسؤوليته. ولذلك أرجو عدم بحث الموضوع مع الفرنسيين لأن الأمر بيده، وهو يفهم قومه.

وإني أؤمل أن لا تتأخر الموافقة لأن الحماسة والنجاح يعتمدان على العلامات المبكرة لرؤية السريّة. وإلاّ فإن المكائد والمشاكل ستحول دون تنفيذ المشروع.

إن المندوب السامي يوافق على مضمون هذه البرقية من وجهة النظر السياسية، أما من وجهة نظر التنظيم الفنّي والإدارة فليست لدى القائد العام أية اعتراضات.

FO 882/2

(٤٧)
(ملاحظات حول تشكيل «سرية عربية» من أسرى الحرب والسوريين الموجودين في مصر

الفوائد:

أ ـ إن قوة كهذه، وإن كانت صغيرة، ستؤلف مركز تجمع للهاربين من صفوف الأعداء.

ب ـ في حالة قيام العشائر العربية في المنطقة الشرقية من الأردن بدور فعال ضد الأتراك استجابة لجهود الشريف فيصل، فإن قوة كهذه تكون أداة «ارتباط» مفيدة بين العشائر المذكورة وبين الجناح الأيمن لقوة بريطانية

تزحف على فلسطين وسورية. وقد يكون من الممكن استخدام قسم منها لمساعدة العشائر العربية في الاستيلاء والمحافظة على نقاط سكة حديد الحجاز بين معان ودمشق.

جـ - إن وجود هيئة منظمة من قوات عربية مع الجيش، مهما كانت صغيرة خلال تقدم يتم في المستقبل إلى داخل سورية، سيكون ذا فائدة سياسية عظيمة، وسيكون ذلك مشجعاً على الفرار من صفوف الأعداء، بينما يؤلف أيضاً نقطة تجمع للدروز السوريين والعناصر الأخرى في الثورة ضد الأتراك.

د - إذا نجح المشروع فيمكن تطويره إلى حد كبير بتجنيد العرب من عدن فيه. ويبدي الكرنل جيكوب أن عدد المجندين قد يصل إلى ما بين ٦٠٠ و٨٠٠٠، وأن الإيطاليين قد جندوا حتى الآن في عدن وبنادير ووجدوا العناصر ممتازة.

هـ - وإذا وجد من الممكن فيما بعد إعداد وتدريب «لواء» واحد فستكون هنالك قوات مسلحة متوافرة للخدمة في الحجاز أو سورية أو حتى في عدن عند اللزوم. وقد شعرنا بالحاجة إلى مثل هذه القوة بشدة في صيف سنة ١٩١٦ حينما كانت مكة مهددة، وإننا لنتذكر إرسال كتائب لهذا الغرض.

الأسس العامة للتنظيم:

إذا لقي المشروع موافقة من حيث المبدأ:

١ - يقترح أن يبدأ بشكل صغير جداً بتأليف مجموعة أو مجموعتين من أسرى الحرب العرب. وحينما يتم تأليف هذه النواة فإن الرجال أنفسهم، إذا سمح لهم بالاتصال بمواطنيهم في معسكرات أسرهم، سيكونون خير وكلاء للتجنيد.

٢ - إذا نجح المشروع، فإن مجالات التجنيد الأخرى هي:

أسرى الحرب من العراق.

العرب من عدن وغيرها.

٣ - يجب أن يكون ضباط «السرية العربية» من الضباط العرب، يساعدهم

ضباط أركان بريطانيون لأغراض التدريب. ولغرض المحافظة على صفتها كإحدى قوات الحلفاء، فقد يكون من المستحسن إلحاق ضابط ركن فرنسي، ولكن السرية يجب أن تكون تحت الإدارة البريطانية، على غرار الفيلق الأرمني والمسيحي السوري الذي يدرب الآن في قبرص تحت إدارة فرنسية.

ضابطان بريطانيان (لهما معرفة باللغة العربية) سيكفيان في البداية.

٤ - وما لم يكن هنالك مانع جدّي، فإن مكاناً ما في مصر سيكون أنسب مركز كالسويس مثلاً.

٥ - إن قضية الضباط الطبيين لا يحتمل أن تكون صعبة، فهنالك العديد منهم بين أسرى الحرب.

٦ - إن جعل الرواتب والتموين على نفس المقاييس المتبعة في قوات العمل المصرية، وقوات الهجّانة، سيفي بالغرض.

٧ - الملابس والتجهيزات تقرر على مقياس يحدد بعد البحث.

٨ - من المفهوم من السير مارك سايكس أن البنادق والعتاد متوافرة من المصادر الفرنسية.

FO 371/3043 (150375)

(٤٨)

(برقية)

إلى وينغيت

يرجى إبلاغ الآتي إلى ضابط السرية العربية من السير مارك سايكس، إذا لم تروا اعتراضاً

الرقم: ٧٧١ التاريخ: ٢٨ تموز/يوليو ١٩١٧

بعد تأخيرات لا بد منها، تتاح لكم الفرصة أخيراً لتثبتوا أنكم أبناء العنصر العربي بحق. وليس باستطاعتي أن أكون معكم في هذا الوقت، ويا لأسفي

الشديد لذلك. أيها العرب إن هذا ليوم اختبار لكم. وإن أمم الأرض تنظر إليكم، رغم قلتكم، وكون المصادفة هي التي جمعتكم سوية، فإن الحكام ورجال الدولة سيحكمون على أمتكم بأسرها من خلال سلوككم.

هل توجد هناك أمة عربية، أم هل أن هناك عدداً من الرجال يتحدثون العربية، وبالقناعة التي لديّ عنكم، أقول إن هناك أمة عربية، واحدة في الدم، وواحدة في اللسان، وواحدة في التفكير. أيها العرب، كونوا حكماء، كونوا منضبطين، كونوا هادئين، كونوا راسخين، وأثبتوا لشعوب إنكلترة وفرنسة التي تبذل دماءها يومياً في سبيل حرية شعوب الأرض، أنكم تستحقون فعلاً أن تكونوا أبناء لأسلاف نبلاء. لا تنظروا يميناً ولا شمالاً، احذروا التأويلات والمكائد، احذروا الوساوس، ودعوا كل عربي أن يكون أخاً للآخر، سواء جاء من المدينة أو الصحراء، أو القرية.

تذكروا أن دول الحلفاء وحدة لا يمكن تجزئتها، وقد مات الآلاف من الرجال الفرنسيين دفاعاً عن إنكلترة، والآلاف من الرجال الإنكليز دفاعاً عن فرنسة. وتذكروا أن أخوّة الرجال الإنكليز والفرنسيين العظيمة هي بجانبكم، وعليه اتحدوا فيما بينكم. والقوة لا تكون إلاّ في الوحدة والصداقة. والعدو سيفرق فيما بينكم أنتم ويفرقكم عن أولئك الذين سيساعدونكم. تذكروا الكلمات التي قلتها لكم في القاهرة، المستقبل مظلم وصعب وطريقكم محفوفة بإغراءات شتى، ولكن إذا حكّمتم عقولكم وكنتم شجعاناً ومنضبطين، فإن أبناء أبنائكم سيعيشون اليوم الذي يقولون فيه: «أنا ابن ذلك الذي كان أحد مؤسسي الأمة».

هذه الكلمات أرسلها لكم عن بعد، وكنت سأقولها، لو استطعت، في أسماعكم. والله يعجّل سيركم ويرعاكم ويحفظكم.

FO 371/3043 (153761 W)

(٤٩)

(كتاب)

من وزارة الخارجية

إلى وزارة الهند

التاريخ: ١٠ آب/أغسطس ١٩١٧

«على الفور»

سيدي،

رداً على كتابكم المرقم بي ٣١٢٢ في الرابع من الشهر الجاري، والمتعلق بتجنيد أسرى الحرب العرب للخدمة تحت قيادة ملك الحجاز، أوعز إليّ الوزير بلفور أن أبلغكم أنه سيكون سعيداً إذا صدرت التعليمات إلى حكومة الهند لإرسال المجندين العرب إلى مصر وإبلاغ المندوب السامي في مصر بالتاريخ المتوقع لوصولهم، ليتسنى له إرسال ضابط إلى عدن لاستقبالهم.

إنني، سيدي،
بكل تواضع،
خادمكم المطيع،
(موقع) آر. غراهام

FO 371/3043 (188929)

(٥٠)

(برقية)

من السير ريجنالد وينغيت ـ (الرملة)

إلى وزارة الخارجية ـ (لندن)

الرقم: ١٠٢٣ التاريخ: ٣٠ أيلول/سبتمبر ١٩١٧

ما يلي من الجنرال كلايتن.

«زرت يوم أمس، بصحبة مسيو موغرا، نواة السرية العربية المشكلة من أسرى الحرب الذين وصلوا مؤخراً من الهند والعراق، ويقيمون الآن في معسكر في الإسماعيلية. الرجال جيدون بدرجة لا بأس بها ويبشرون بالتطور ليصبحوا عنصراً قتالياً جيداً. ولكن نقطة الضعف تكمن بدون شك في الضباط الذين لا يتوفر فيهم الانضباط أو المهارة ولم يظهروا إلى الآن سوى القليل من الحماسة الفعلية. والضباط يعانون من الحب المألوف للسياسة، والغالبية منهم يمتعضون من الخدمة تحت سلطة أجنبية، ويرغبون في الانضمام إلى قوات الشريف مباشرة.

وكان موقفهم قد بدأ يؤثر في الرجال الآخرين، ولكن يبدو أن ذلك قد حد منه الآن. ويبلغ العدد الإجمالي الآن ٦٢ ضابطاً وما يقرب من ٤٥٠ من ذوي الرتب الأخرى، وأن عدداً معيناً من هؤلاء بلا شك غير مرغوب فيه، أو عديم الجدوى. يضاف إلى هؤلاء المجندون من عدن والذين يقرب عددهم من ٣٠٠ وهم، حسب ما فهمت، عنصر جيد وسيصلون في وقت قريب. الحد الأعلى الذي تستطيع التطلع إليه في القريب العاجل هو ما يقرب من ١٠٠٠ رجل، ولكنني لا أرى ما يمنع من التوصل في النهاية إلى قوة مفيدة بهذا الحجم».

FO 371/3043

(٥١)

(برقية)

من وزارة الخارجية

إلى السير ريجنالد وينغيت

الرقم: ٩٦٠ التاريخ: ٩ تشرين الأول/أكتوبر ١٩١٧

برقيتكم رقم ١٠٢٣ (في ٣٠ أيلول/سبتمبر)

ما يلي إلى الجنرال كلايتن، من السير مارك سايكس)

إنني آسف جداً لتسلم تقريرك حول الضباط العرب. وأقترح ذهابك لزيارة

هؤلاء الضباط ثانية وإعطاءهم الرسالة الآتية مني والتي أريد عليها جواباً:

«يا ضباط السرية العربية، إنني أكلمكم كرجل يكلم رجالاً كرّسوا أنفسهم لقضية واحدة. لقد تعرفت على بعضكم، ولم أتعرف على البعض الآخر، لذلك أكرّر كلامي للذين لم يسمعوني، وأذكّر أولئك الذين سمعوني من قبل. منذ الأول من حزيران/يونيو ١٩١٥، وأنا أعمل من أجل قضيتكم، وحثثت عليها في كل مكان لأنني آمنت بأن إعادة حرية العرب، ووحدة العرب، أمر تريده مشيئة الله، وأنها في مصلحة بلادي والبشرية. ولا تتصوروا أن ذلك كان سهلاً. وأنتم أنفسكم لم تكونوا في موقع يؤهلكم للتحدث عن أنفسكم، وحث الكثيرون على أن العرب ليسوا قادرين على الوحدة، ولا يرغبون في الاستقلال. فكروا في عيوب العرب التي نقلها الرجال إليَّ. إنني أتحدث كرجل إلى رجال، وأتحدث بدون خوف من الإساءة إلى أحد. قال الرجال لي إن العرب سيتشاجرون دوماً فيما بينهم، وكانوا تحت النير التركي لوقت طويل جداً بحيث لم يعودوا يأبهون بقومهم أو بلادهم، إنهم سيتكلمون ويتشاجرون، سيتراخون ويحلمون، وكل من يضع ثقته فيهم سيصاب بالخيبة. وأنتم اليوم تخدمون قضية بلادكم. ومع ذلك هل أنتم متحدون حقاً، وهل تكدحون طول اليوم بدون كلل، أم هل أنتم تثرثرون بأشياء تافهة وتتشاجرون فيما بينكم؟ أنا لا أستطيع أن أكون معكم، ولو كنت قادراً على ذلك حقاً، لما أريتكم أية رحمة فيما يتعلق بالعمل، ولما تركت لكم وقتاً للراحة حيث تقضون الوقت في الأقاويل. أيها الرجال، فكروا في المستقبل، فكروا بما أنتم قادرون عليه، فكروا بشهدائكم في دمشق، وببلادكم المخربة وأمجاد ماضيكم. وهل من واجبي، أنا الإنكليزي، أن أقول لكم كيف كنتم، وأن أذكركم بآل بيت علي ومعاوية والعباس، بالأولياء، والأبطال والفلاسفة الذين صنعوا أمجاد العرب في العالم، بالتأكيد إن ضمائركم تقول لكم ذلك. ولكنني، كرجل إنكليزي، سأقول لكم هذا: إن إمبراطوريات العرب دمرت وجعلت تراباً بالخلافات والتكاسل، وإن نير الترك كبل أعناقكم ٩٠٠ عام لأنكم أتبعتم أهواءكم، حلمتم وتبطلتم، ولم تكونوا متحدين أبداً. والآن بيدكم الفرصة التي إذا أضعتموها فلن يغفر الله لكم. وفرصتكم هي في تحويل الفيلق إلى نجاح، ورمز، ودليل، وبرهان على ما أنتم قادرون عليه. ولهذا السبب عليكم أن تنسوا، لبعض الوقت، النفس والعائلة والاسم والرتبة، وقولوا إن من الأفضل أن يكون المرء طاهياً في السرية العربية من أن يكون وزيراً خاضعاً للأتراك، قولوا ذلك، وصدقوه بالله

عليكم، إذا كنتم قادرين على التصديق. لأنها كلمة حقة. وأجيبوني عن هذا «في الأجيال القادمة، هل سيقول أبناؤكم: كان أبي واحداً من ألف عربي أسهموا في بناء أمة عظيمة، أم هل سيقال إن الفيلق قد جرب، ثم تلاشى بسبب فقدان روح العرب القديمة. إنني أنتظر جوابكم بفارغ الصبر»».

FO 371/3043 (198709)

(٥٢)
(برقية)
من السير ريجنالد وينغيت (القاهرة)
إلى وزارة الخارجية (لندن)

الرقم: ١٠٨٥ التاريخ: ١٦ تشرين الأول/أكتوبر ١٩١٧

ما يلي من الجنرال كلايتن إلى السير مارك سايكس. تبدأ:

إن جميع المشاكل مع السرية العربية قد انتهت الآن، وهو يتشكل [الفيلق] بصورة جيدة جداً. وقد زاره الشيخ فؤاد الخطيب ونوري بك[١] وحملا معهما رسالة من الملك حسين كان لها وقع ممتاز. لا أرى من الضروري الآن إبلاغ رسالتكم والتي قد يكون لها تأثير مقلق في الظروف الحالية.

وأظن أنه سيكون من المرغوب فيه جداً إرسال قوة لا بأس بها من الفيلق، للانضمام إلى فيصل سرعان ما تبلغ درجة معقولة من الكفاءة. وإن هذا سيزيل أية شكوك في نوايانا قد لا تزال تساور أذهان الملك حسين والأمير فيصل والضباط العرب أنفسهم.

يرجى عرض هذه البرقية على مسيو بيكو. انتهت.

---

(١) المقصود: نوري السعيد.

FO 371/3043 (210650)

(٥٣)

(برقية)

من السير ريجنالد وينغيت (القاهرة)
إلى وزارة الخارجية (لندن)

الرقم: ١١٦٠ التاريخ: ٢ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩١٧

ما يلي من الجنرال كلايتن إلى السير آر. غراهام. تبدأ.

«إنني مقتنع وقد أبلغني زميلي الفرنسي أيضاً أن الوقت قد حان لوجوب إرسال السرية العربية إلى العقبة لمساندة الأمير فيصل. وإن عملية الأخير كانت ناجحة جداً في وقف حركة القوات التركية في معان في وقت مناسب تماماً.

ويتطلب بشكل عاجل تحقيق مزيد من التقدم، بما في ذلك قطع الاتصالات جنوب معان.

المدينة في وضع سيء جداً، وإن تحركاً حازماً وبدون إبطاء قد يؤمن تماماً استسلامها. ويمكن تحقيق ذلك فقط بمساعدة مزيد من القوات المدربة لتأمين الانتصارات التي يحققها البدو. أضف إلى ذلك أن اقتراب الشتاء القاسي في الأماكن المرتفعة في معان لا بد وأن يعني عودة العديد من البدو الرحل إلى مضاربهم. السرية لم تكمل تدريبها بعد ولكنها وحدة قابلة للخدمة وجيدة التجهيز إلى حد ما. أضف إلى ذلك أن الضباط والرجال يتطلعون بصبر نافد إلى الانضمام إلى شريف مكة الذي يزداد بدوره شكاً في أي تأخير آخر في إرسالهم، وعليه فإن من المؤكد حدوث مشاكل إذا أبقي عليهم في مصر لمدة أطول.

وعليه فإنني أحث بقوة على استخدام السرية العربية فوراً لتعزيز وإكمال النجاح الذي تحقق في العقبة من قبل، وإنني واثق من أن الاعتبارات السياسية لن يسمح لها بالتداخل مع إجراء ضروري عاجل». تنتهي.

FO 371/3043 (214131)

(٥٤)

(كتاب)

من وزارة الحربية ـ لندن
إلى وزارة الخارجية ـ لندن

سرّي وعاجل

الرقم: بي.ام.زد ٣٥٩ التاريخ: ٨ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩١٧

سيدي،

إشارة إلى برقية السير ريجنالد وينغيت المرقمة ١١٦٠، والمؤرخة في ٢ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩١٧، والمتضمنة توصيات بشأن نقل السرية العربية إلى العقبة، أمرني مجلس الجيش بإبلاغكم بأن القضية أحيلت إلى الجنرال اللنبي لاستمزاج رأيه، ووصل جواب يفيد أنه يوصي بنقل الفيلق إلى العقبة.

وقد أحيلت المسألة أيضاً إلى وزارة الحربية الفرنسية، فأجابت أن القرار، على قدر تعلق الأمر بها، يعود إلى وزارة الخارجية الفرنسية.

وبما أن قضية النقل هذه، في نظر المجلس، هي قضية عاجلة، فعليّ أن أطلب إليكم أن يفاتح المستر بلفور وزارة الخارجية الفرنسية بهذا المعنى.

إنني، سيدي، خادمكم المطيع
(توقيع)

FO 371/3043 (214131)

(٥٥)

(برقية)

من وزارة الخارجية ـ لندن

إلى اللورد برتي ـ باريس

التاريخ: ٩ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩١٧

برقية السير ريجنالد وينغيت رقم ١١٦٠ (في ٢ تشرين الثاني/نوفمبر. نقل السرية العربية إلى العقبة).

ترى وزارة الخارجية أن هذا النقل يجب أن يتم فوراً. الرجاء إبلاغ الحكومة الفرنسية وطلب موافقتها العاجلة.

مكررة إلى القاهرة.

FO 371/3054 (226260)

(٥٦)

(كتاب)

من أورمزبي غور ـ مجلس الوزراء

إلى السير رونالد غراهام ـ وزارة الخارجية

التاريخ: ٢٧ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩١٧

مجلس وزراء الحرب، لندن

عزيزي غراهام

أرفق بطيه نسخة من رسالة تسلمتها من هوغارث في الأسبوع الماضي. وقد

أطلعت عليها أيضاً مدير الاستخبارات العسكرية ومارك.

المخلص

أورمزبي ـ غور

المرفق
(كتاب)
من الكوماندر هوغارث
إلى أورمزبي غور

التاريخ: ٢٦ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩١٧

المكتب العربي

فندق سافوي

القاهرة

عزيزي غور،

لقد تباطأت في الكتابة إليك لأنني كنت على الدوام أتوقع الهجوم على غزة وأؤمل أنه سيؤدي إلى جلاء الموقف نوعاً ما، وإلى حين وقوعه بنجاح لا بأس به، يصعب للمرء أن يصدق أننا نحن والفرنسيين، نستطيع أن نكون المقررين النهائيين لمصير سورية. وإذا قدر لذلك الهجوم أن يكون ناجحاً جداً. مع سقوط شرقي الأردن أيضاً، وانتفاضة العرب بصورة عامة، فسيكون أصعب علينا أن نؤمن بقدرة الفرنسيين على أن يصبحوا المحكمين. ولا يمكن لقوة بريطانية أن تتقدم في سورية تحت راية فرنسية بينما لا يقوم الفرنسيون بشيء مطلقاً، أكثر من إرسال كتيبة وخط الشيب رؤوس أفرادها، وسرية أرمنية، وبعض السفن القديمة المهملة، وبيكو. ماذا يستطيع السوريون أن يفكروا، أو بماذا تراهم سيفكرون.

وطالما أننا سنجد أن أي حكم ذاتي يقوم في سورية لن يتمكن من حماية نفسه من بقايا الأتراك في الشمال، فإنني لا أدعي بأننا ربما يجب أن نمنح الفرنسيين تفويضاً فيما إذا لم نرغب في إنجاز الأمور بأنفسنا. ولكن مما لا شك فيه هو أن

السوريين سيطلبوننا نحن وليس الفرنسيين، وإن الأخيرين إذا تسلموا زمام الأمور، فسيكون ذلك في ظروف غير مرضية جداً. وفي أوساط المغتربين هنا، تراجع الفرنسيون بصورة مطردة، في حين أن الشريف قد تقدم قليلاً. ولكن نمر[1] والمسيحيين لا يزالون إلى جانبنا بعناد، ومستمرون في ارتباطهم بمصر، وتلك على الأقل قناعة يشعرون بها من صميم القلب، مع وجود القلب في الجيب. أما فيما يتعلق بالبقية، فإن «حزب الاستقلال» الذي يتزعمه الشهبندر إلى حد بعيد، يوجه أشرعته باتجاه هذه الريح مرة، ومع غيرها أخرى، وحينما يتعالى ضجيج أنصار بريطانية أكثر مما ينبغي، ويبدو نجم بريطانية في أفول، فإنه يظهر مشاعر مؤيدة لفرنسة، ثم يتخلى عن هذه، ويؤيد الشريف. ثم يشجب الشريف ويتكلم عن الجمهورية وعن الولايات المتحدة الأميركية. وهو، بطبيعة الحال، لا يريد أياً منا، ولكن لديه شكاً غير مريح بأنه سيقع على أحد منا، وأن الأسماك لن تكون كافية للتخلص من «المثقفين» الذين لا يتمتعون بمكانة أو سمعة، لا عائلية ولا قتالية.

إن حجم فيصل ليس في تزايد، وحتى لورنس نفسه يعترف بذلك. والسيد طالب يقول دائماً إن عبد الله هو الوحيد الذي يعتد به (لقد عرفهم جميعاً في القسطنطينية) وإن كان هو أيضاً لا خير فيه كثيراً. إن دور السيد طالب هنا، ضمن أمور أخرى، هو الحط من قدر جميع الشخصيات العربية إذ هو يتوقع أننا سندرك يوماً ما أن السيد طالب هو خيارنا الوحيد، وأنا واثق أنه يؤلف، أو قد ألّف «كهفاً» عراقياً ـ وهي كلمة لا بد أن تكون مألوفة لديك ـ وأنه سيجعل نفسه مصدر اضطرابات على الفور. وعلى أي حال فإنه يتكلم بهدوء الآن، لعلمه أن الوضع العسكري لا يزال سائداً، وأن الأتراك يجب أن يهزموا قبل أن يكون في ظهوره للعمل العلني أي فائدة له.

إن لورنس، الذي قضيت معه يومين مؤخراً في المقر العام للقيادة، ليس بصحة جيدة، وهو يتكلم بيأس عن مستقبل العرب الذي كان يؤمن به يوماً ما.

وإنني أشك في أنه سيتمكن من الوصول إلى الشمال مرة أخرى. إن الانتصارات الأخيرة قد جلبت قوات كثيرة إلى قسم معان من الخط الحديدي. وقد لا يكون من الممكن تجويع المدينة، ولن ينجح في القضاء على فخري غير قيام عصيان محلي. وحينما تأتي الأمطار قد يسهل قطع السكة الحديد بصورة أكثر جدية

---

(١) فارس نمر باشا صاحب جريدة «المقطم».

مما تم حتى الآن. ولكن القوات التركية تستطيع أن تعيش على طعام قليل وسيء بدرجة كبيرة، ولذلك فإن نفوسهم هي التي يجب أن تهاجم وليس معداتهم.

إن «اعتلاء» العرش قد مر هنا بهدوء، حيث نجح المندوب السامي في إخراجه على المسرح ببراعة، وهو قلق على الإدريسي. بعد أن أخفق جيكوب[1] (الذي وصل يوم الأحد الماضي) في أن يبارك سياسته. وقد حاولت أن أمنع وضع مبلغ ٢٥,٠٠٠ جنيه كله في ذمته حالاً، ولكنني لم أنجح، لأن الإدريسي لن يوافق على إلحاق ضابط سياسي به، فليس لدي أمل كبير في قيامه بأي شيء مهم.

وليس لنا إلاّ أن ننتظر وننتظر، وذلك كل شيء تقريباً. إذ ليس هنالك ما يحدث الآن.

المخلص

د.جي. هوغارث

FO 371/3043 (228756)

(٥٧)

(كتاب)

من وزارة الخارجية ـ لندن

إلى وزارة الحربية ـ لندن

التاريخ: ٥ كانون الأول/ ديسمبر ١٩١٧

على الفور

سيدي،

إشارة إلى كتابكم المرقم بي.ام.زد ٣٥٩ (ام.او.آي)، في الثامن من الشهر المنصرم، والمتعلق بتجنيد العرب للخدمة في القوات البريطانية والحليفة، أوعز إليّ سيادة الوزير بلفور أن أرفق لكم طياً نسخة من برقية من المندوب السامي لصاحب

---

(١) الكرنل جيكوب مساعد المقيم البريطاني في عدن.

الجلالة في مصر، يفيد فيها أن عدداً معيناً من اليمانيين قد جندوا في عدن ولكنهم لا يرغبون في الانضمام إلى قوات الشريف.

وعليه، يقترح السير ريجنالد وينغيت أن تتخذ مع القائد العام للجيش البريطاني في مصر الترتيبات لتدريب هؤلاء المجندين تحت إشراف ضباط بريطانيين في الإسماعيلية بهدف استخدامهم في النهاية في عدن، وفي مسارح أخرى للعمليات البريطانية. ويقترح مستر بلفور، بشرط موافقة مجلس الجيش، قبول هذا الاقتراح، وسيسعده تسلم ما يبين وجهة نظركم في هذه القضية، مع قرار بشأن ما إذا كانت كلفة هذا التجنيد يجب أن تؤخذ من مخصصات الجيش.

(موقع) آر. غراهام

FO 371/3043 (228756)

المرفق
(٥٨)
(برقية)
من السير ريجنالد وينغيت (القاهرة)
إلى وزارة الخارجية (لندن)

الرقم: ١٢٩٢ — التاريخ: ٣٠ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩١٧

إن التجنيد للسرية العربية من عدن وفر ما يقارب من ٢٢٠ يمانياً وصلوا الآن إلى الإسماعيلية التي نقل منها أعضاء السرية الأصليون جميعاً إلى العقبة. المجندون اليمانيون يريدون أن يصبحوا وحدة تحت قيادة ضباط بريطانيين، ولا يرغبون في الانضمام إلى قوات الشريف. إنهم عنصر ممتاز وبقليل من التدريب سيصبحون نواة لقوة مجندة محلياً في عدن.

إنني على يقين أن بإمكاننا أن نستفيد إذا حذونا حذو الإيطاليين الذين استخدموا اليمانيين لسنوات وحققوا نتائج ممتازة من الناحيتين العسكرية والسياسية.

أوصي بقوة بتخويلي اتخاذ الترتيبات مع الجنرال اللنبي لتدريب هؤلاء المجندين

بإشراف ضباط بريطانيين في الإسماعيلية لقصد استخدامهم في المستقبل في عدن، أو في مسرح آخر للعمليات البريطانية. والنفقات التي يتطلبها ذلك ليست عظيمة. لكن الموافقة يجب أن تعطى بشكل مستقل عن منحة السرية العربية، الذي كان مشروعاً بريطانياً ـ فرنسياً مشتركاً. هل توافقون؟

سري

علمت من الجنرال كلايتن أن مسيو بيكو لن يثير أي اعتراض بشأن هذا المقترح.

معنونة إلى وزارة الخارجية. أرسلت إلى عدن برقم ١٢٩٢.

المحاولات الفرنسية
للتدخل في الحجاز

FO 371/3056

(٥٩)

(برقية)

من السير ريجنالد وينغيت
المندوب السامي في مصر
إلى وزارة الخارجية

الرقم: ٥٨٣ التاريخ: ٣ حزيران/يونيو ١٩١٧

برقيتكم المرقمة ٥٤٠ والمؤرخة في ٢٩ أيار/مايو.

إن آرائي في المسائل العامة أبديت في برقيتي المرقمة ٤٦٩ والمؤرخة في ٢٧ نيسان/أبريل. كما أن المذكرة التي قدمها الكابتن جورج لويد والتي أرفقت بكتابي السري المرقم ١٠٦ والمؤرخ في ١٥ أيار/مايو تتضمن مزيداً من التفاصيل:

أعتقد أننا يجب أن نلح على اعتراف رسمي من الحكومة الفرنسية بوضعنا المتفوق في الجزيرة العربية، وأن نستعين بالأسباب التالية لإلحاحنا:

١ ـ الوضع الجغرافي للحجاز على طريق الهند والخليج الفارسي [العربي].

٢ ـ معاهداتنا مع شتى شيوخ شبه الجزيرة العربية.

٣ ـ النزعة التي أعرب لنا عنها الملك حسين صراحة، وإن وساطتنا وحدها هي التي وضعت الأخير في علاقة مع فرنسة.

٤ ـ كوننا البادئين بحركة الاستقلال العربي عن طريق الاتصال بشريف مكة وتحمل حكومة جلالته كل أعبائها المالية والعسكرية.

٥ ـ المادة الثانية من اتفاقية سايكس ـ بيكو حيث تضمنت الإشارة إلى وضعنا الخاص تجاه الحركة العربية والاعتراف بها[(1)].

---

(١) المادة الثانية من اتفاقية سايكس ـ بيكو هي:

«يباح لفرنسة في المنطقة الزرقاء (شقة سورية الساحلية) ولإنكلترة في المنطقة الحمراء (شقة العراق الساحلية من بغداد حتى خليج فارس) إنشاء ما ترغبان فيه من شكل الحكم مباشرة أو بالواسطة أو من المراقبة بعد الاتفاق مع الحكومات أو حلف الحكومات العربية».

وحالما يتم إعلان هذا الاعتراف الرسمي من جانب فرنسة، فلن يصعب اتخاذ الترتيبات اللازمة لاتصال فرنسة وغيرها من الدول بالحكومة الشريفية حول قضايا الحج وغيرها من القضايا التي تتعلق بمصالح رعاياها المسلمين.

ويبدو أن هنالك ميلاً من جانب فرنسة لتجاهل حقيقة واقعة وهي أنه ليس لهم أن يتوقعوا تحقيق أهدافهم الحالية في الشرق الأدنى إلاّ بتأييدنا العسكري والدبلوماسي، خاصة وأن وساطتنا المستمرة لدى الملك حسين والمسلمين السوريين ستكون ضرورية من أجل تسوية سلمية لقضية البر السوري.

وقد يستحسن جلب انتباه الفرنسيين أيضاً إلى هذه الحقائق الصارخة باعتبارها وثيقة الصلة بما نطالب به من اعترافهم بحقوقنا الخاصة في المنطقة العربية الواقعة جنوبي المنطقة «ب» وهي المنطقة التي أؤكد أننا يجب أن نكون أحراراً في التصرف فيها بنفس الطريقة التي يتصرف بها الفرنسيون في المنطقة «أ».

وإنني أستنتج من محادثة خاصة مع المسيو بيكو أن الحكومة الفرنسية، وإن كان من المحتمل أنها ميالة إلى العمل بموجب المبادىء المذكورة أعلاه، فإنها لن تكون ميالة إلى قبولها بصورة رسمية. وإذا كان الأمر كذلك فإن الكثير سيعتمد على الطريقة التي نقدم بها ادعاءاتنا، وما لم تتغلب على التفكير الفرنسي مظاهر النفوذ التي يعتقد السير مارك سايكس أن المسيو بيكو يمثلها، فلا بد أن نتوقع حدوث معارضة جدية.

ولذلك فإنني أميل إلى الاتفاق مع سايكس بأن أسلم نهج يتبعه هو وبيكو، سيكون ذهابهما إلى باريس بأسرع ما يمكن لإيضاح الوضع المحلي في الحجاز وتقديم تقرير عن نتائج مباحثاتهما مع الملك حسين وغيره حول قضية سورية.

فإذا وافقتم على ذلك، هل لكم أن تحثوا الحكومة الفرنسية على استدعاء بيكو فوراً؛ وإنني سأدبر أمر تسفيره وتسفير سايكس بأسرع طريق.

والمحادثات حول القضية العامة يمكن عندئذٍ البدء بها بعد وصولهما، وعلى أثر تقديم المسيو بيكو تقريره إلى حكومته.

FO 371/3056

(٦٠)

(برقية)

من وزير الخارجية ـ لندن
إلى السير ر. وينغيت ـ القاهرة

عاجل جداً

الرقم: ٥٧١ التاريخ: ٥ حزيران/يونيو ١٩١٧

برقيتكم المرقمة ٥٨٣ (بتاريخ ٣ حزيران/يونيه).

نظراً لانشغالي الزائد بالمحاولات الفرنسية للتدخل في الحجاز، فإنني أرغب في أن يتوجه سايكس إلى لندن مباشرة بدون التوقف في باريس، وذلك لكي تتاح لي أسرع فرصة ممكنة لأبحث معه الوضع بأكمله.

أرجو الإيعاز إليه بهذا المعنى.

ولما كنت لا أرى فائدة يعود بها بقاء المسيو بيكو في مصر في المستقبل، فسأقترح على الحكومة الفرنسية أن من المرغوب فيه عودته إلى فرنسة.

مكررة إلى باريس.

FO 371/3042

(٦١)

(تقرير)

من القائد البحري العام للهند الشرقية ومصر
إلى وزارة البحرية

الرقم: ١١٧١/٧٧٣ التاريخ: ١٣ حزيران/يونيو ١٩١٧

سيدي،

إلحاقاً بكتابي المرقم ١١٧١/١٨٦ والمؤرخ في ٩ شباط/فبراير ١٩١٧، أرجو أن

تتفضلوا فتعرضوا على وزارة البحرية بعض الملاحظات الأخرى عن حالة الأمور في جزيرة العرب.

٢ ـ إن الوضع العسكري في الحجاز لم يتغير، ولو أن الضغط على العدو يحتمل أن يكون قد خف نوعاً ما، وذلك بالنظر إلى أن حركاتنا في جنوبي فلسطين لم تتطور لصالحنا بالقدر الذي كنا نؤمله. ولو سقطت غزة في ١٩ نيسان/أبريل لأمكن أن نتوقع استسلام المدينة، حسب رأيي، بعد ذلك سريعاً. لكن يحتمل أن قائد العدو في المدينة قد شجعه إخفاقنا، وكذلك سير الأحداث في روسية، فأخلى البلدة من السكان المدنيين جميعاً، والمفترض أنه فعل ذلك لإطالة قدرته على المقاومة. إن اندحارنا في غزة يحتمل أن تكون له نتيجة أبعد مدى من ذلك إذا لم يتحسن الوضع بسرعة. وما دام العدو يستطيع صدنا في وضعنا الحاضر في جنوبي فلسطين فليس هناك شيء ـ عدا حصول قلة في العدد ـ يمنعه من دعم قواته في المدينة لغرض استعادة مكة في الوقت المناسب ودفع نهضة الشريف إلى نهايتها قبل الأوان.

٣ ـ وفي مثل هذه الحالة لا بد أن تبرز من جديد قضية احتلال رابغ وإنزال قوات أوروبية في الحجاز. وما زلت على رأيي الذي كنت عليه قبل ستة أشهر، وهو أن النتائج السياسية لأي عمل من هذا القبيل تفسد حتى نتائج أية انتصارات عسكرية محتملة. والحقيقة أن الوضع في جزيرة العرب برمته يدور الآن حول حركاتنا العسكرية في فلسطين.

٤ ـ أشرت في كتابي إلى الحالة السياسية غير المرضية الناشئة في الحجاز من جراء نقص التعاطف من جانب بعثة الكولونيل بريمون مع نجاح القضية العربية، وذلك لاضطرار البعثة إلى موالاة جهودها المستمرة للحصول على فوائد صغيرة من نفس حكومتها. ونتيجة هذا العمل كانت جعل الملك (ملك الحجاز) معادياً للفرنسيين وخصوصاً للنظر إلينا وحدنا في الحصول على المساعدة والتأييد.

٥ ـ زار السير مارك سايكس الشريف فيصلاً في الوجه في ٢ أيار/مايو كما زار الملك في جدة في ٤ أيار/مايو لغرض تعزيز التفاهم بين الفرنسيين والملك في سبيل تمهيد الطريق لتعاون سهل بين الفرنسيين والعرب في سورية. وقد فهمت أن السير مارك قدم تقريراً عن الطبيعة غير المرضية لسياسة الكولونيل بريمون، ولكنه استمر على التأكيد على الملك وابنه بضرورة الاحتفاظ بالعلاقات الطيبة مع فرنسة.

والعقبات في الطريق عظيمة، لكن قبل عودة السير مارك (سايكس) إلى مصر، وافق الملك والشريف فيصل على بحث الوضع مع المسيو جورج بيكو.

٦ ـ خلال سفرتي الأخيرة في البحر الأحمر رافقني السير مارك (سايكس) والمسيو بيكو إلى الوجه وجدة، فقدم المندوب الفرنسي إلى الملك والشريف فيصل. وحصلت محادثات طويلة على الساحل حضر بعضها السير مارك. لم تسر الأمور سيراً حسناً في بادىء الأمر، وفي إحدى المرات ظهر وكأنه المباحثات تنقطع دون نتيجة ما. ولكن بنتيجة مقابلة خاصة بين الشيخ فؤاد الخطيب (سكرتير الملك للشؤون الخارجية) والسير مارك سايكس، تم ترتيب اجتماع آخر يعقد على بارجة القيادة، حيث اجتمع المسيو بيكو والكرنل ويلسن والسير مارك سايكس بالملك والشريف فيصل والشيخ فؤاد. وفي هذه المقابلة أخذت الأمور وجهاً أفضل كثيراً، ووافق الملك شفهياً على التعاون مع الفرنسيين في منطقتهم على أساس أن السياسة الفرنسية نحو العرب تكون مماثلة للسياسة البريطانية في المنطقة البريطانية. ولذلك تحسن الوضع بحيث اقتنع الملك بأن هناك وحدة سياسية قائمة بين فرنسة وإنكلترة بخصوص القضية العربية، وأنه على استعداد إلى درجة كبيرة للعمل بمشورة الدولتين.

٧ ـ إن الملاحظات الواردة في هذه السلسلة من المكاتبات، تعلقت حتى الآن بالحجاز حيث تنفذ سياسة معينة تحت رقابة مصر. ولكن في كتابي المرقم ٩٠٦/ ٠٠٧٠ والمؤرخ في ١٤ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩١٦ تحدثت عن الصعوبات التي نشأت عن تقسيم بلاد العرب إلى جزءين سياسيين تحت إرشاد دائرتين منفصلتين كثيراً، وهما الهند ومصر.

٨ ـ برزت الآن قضية ثابتة تؤكد هذه الخلافات وتعطي الأهمية لطبيعة الترتيب غير الاعتيادي الذي يقسم جزافاً ميداناً سياسياً طبيعياً واحداً إلى قسمين، كل واحد منهما بدون سبب منطقي ظاهر في يد حكومة منفصلة.

٩ ـ قدم أخيراً إلى عدن بعض الممثلين للاتحاد اليمني الجديد، لغرض الاطلاع فيما إذا كنا على استعداد لمساعدتهم في سياستهم الرامية إلى خلع الإمام الحالي والتمرد على الأتراك. إن هذا الاقتراح، وهو النتيجة الطبيعية لنهضة الشريف ويتفق تماماً مع السياسة التي تتبعها مصر في الحجاز، قوبل بعدم موافقة حكومة الهند على أساس أسباب لم يؤيدها قطعاً المقيم السياسي في عدن. وأعتقد أن

المسألة حلت بصورة مرضية إذ إن وزير الهند قرر أن المساعدة المطلوبة تقوم، على كل حال في بعض الشؤون وليس كلها. غير أن هذا الحادث يصور أحسن تصوير الاختلاف الواسع القائم بين السياستين المختلفتين اللتين يتم اتباعهما ويساعد على تأكيد المصاعب التي يعانيها كل أولئك الذين يعالجون القضية العربية.

١٠ ـ إن قصة نشوء هذا الاتحاد اليمني الجديد لها أهمية كبرى، ولكن أصحاب السيادة (أعضاء مجلس البحرية) قد لا يطلبون الاطلاع على تفاصيل الأمر. وعلى كل حال إنها لا تؤثر في أساس ملاحظاتي التي يكون هدفها الإشارة إلى التأخير والارتباك الناشئين بلا ريب من دائرتين غير منظمتين تعالجان موضوعاً واحداً.

١١ ـ وقضية أخرى تصوّر عقلية حكومة الهند المختلفة عن عقلية الآخرين الذين أعمل معهم، وهي قضية حامية العدو الصغيرة في سطيف على الساحل مقابل جزيرة قمران وتبعد عنها نحو ٧٠٠٠ ياردة.

١٢ ـ لقد أوضحت أكثر من مرة للمقيم السياسي في عدن الرغبة من جميع وجهات النظر في الاستيلاء على هذه الحامية، وهي عملية يمكن إنجازها بسهولة بسريتين من الجيش الهندي. إن حاميتنا في قمران تابعة لعدن، والإسعاف الاعتيادي لرجال الحامية يهيء في أي وقت كان فرصة ملائمة وسهلة للقيام بهذه العملية. وقد برزت في ذهني فائدة مثل هذه العملية خلال زيارة حديثة رأيت فيها بنفسي كيف تكون هذه الحركة وأهمية الاستيلاء على معمل لأعمال الميناء هو الآن في يد العدو في ذلك المكان. وبموافقة المقيم السياسي في عدن الكاملة (الذي يتفق في رأيه معي في هذا الموضوع)، أبرقت إلى حكومة الهند مخبراً إياها أنني عازم على الاستيلاء على هذا المعمل وطالباً السماح لسرية مشاة بالتعاون مع البوارج فأستطيع بذلك، ليس أخذ المعمل فحسب، بل الاستيلاء على الحامية أيضاً. وكان جواب حكومة الهند أنها، من وجهة النظر السياسية، لا ترضى عن العملية المقترحة إذ لم يحصل أي إزعاج من سطيف ويحتمل أن ينشأ خطر إثارة امتعاض العرب المحليين: وهو رأي، إذا كان لي أن أقول، يناقض تماماً الرأي الذي يحمله المقيم السياسي في عدن فضلاً عن الضابط السياسي في قمران.

١٣ ـ في الظروف الاعتيادية أنا لا أزعج أصحاب السيادة بشؤون ذات أهمية نسبية قليلة إذ أرى ضرورة حلها محلياً. لكنني أعرض هذا الحادث على أنظارهم كمثل آخر للصعوبات التي أعانيها دائماً حينما أعالج هذه الآراء في موضوع بلاد

العرب والتي هي على مثل هذا الخلاف.

إنني إلخ...

(التوقيع) وستر ويميس
نائب الأميرال
القائد العام

FO 371/3059
FO 686/35

(٦٢)
(كتاب)
من الملك حسين
إلى السير ريجنالد وينغيت
المندوب السامي البريطاني في مصر[١]

التاريخ: ٢٩ شعبان ١٣٣٥
(١٩ حزيران/يونيو ١٩١٧)

إلى الوزير الخطير الشهم الهمام

بكل اعتناء أبادر ببيان عظيم امتناني الصميمي من تلطفات الفخامة التي أعرب بها الكاتب حسين روحي. صديقي، نحن أولى بالشكر والثناء لفخامتك خاصة أقله فيما أشرتم إليه من متاعب هممكم في زيادة الراتب وسواه، ومن بريطانيا العظمى في جيلها ومعروفها المادي والمعنوي الغامر لعموم الجزيرة. ولكن أبت كمالاتكم السامية إلا أن يكون لها السبق حتى في هذه المزية. صديقي، أما بحث نسبة أصدقائك أقوامي لعدم النشاط في إجلاء العدو من المدينة، وبمناسبة هذا البحث أستطرد ذكر تعجيزنا المفرط في الراتب الذي حكمت علينا بها النتائج في طلب زيادة الراتب. فلذلك أسباب جوهرية سبق بياناً لها في تقاريري لفخامتك رأساً ولمعتمد جدة في الموضوع. واعتماداً على كمالات عدالتك أسترحم إعادة

---

(١) الأصل العربي الذي نشره الأستاذ سليمان موسى نقلاً عن أوراق الأمير زيد (المراسلات التاريخية: المجلد الأول ص ١١٧ ـ ١١٨).

النظر عليها إن أمكن. ومع هذا فأبسط دليل على البراءة من نقصية عدم النشاط وما ورائها في نظر فخامتك، هزيمة المسلحتين الصغيرتين أخيراً للأتراك وابن رشيد معاً وأسرها واغتنامها المهمات المتنوعة. أما شكر الفخامة عن إنابة جناب الشهم الهمام السير مارك سايكس، فالشكر منكم وإليكم. مع هذا فلا بد أن حضرته صرح لفخامتك أن ملخص قراري الصريح الغني عن التأويل والتفسير، بأنه إذا لم تكن حدود البلاد العربية على الوجه المقرر سابقاً مع بريطانيا العظمى، فإن إخلاصي ونصحي لها ولبلادي وقوميتي يوجبني على الانسحاب بصورة قطعية. ودم واسلم أيها الصديق ممتعاً بصحة الوجود ونيل كل مقصود.

حسين

FO 371/3059
FO 686/35

(٦٣)
(كتاب)
من الملك حسين
إلى المعتمد البريطاني في جدة

(مترجم عن الإنكليزية) (غير موقع وبدون تاريخ)

عزيزي: أردنا دفع الصعوبات والإشكالات الواقعة من إجراء العملة الفضية التي أصبحت عبارة عن قطعة معدنية خالية من أية علامة فارقة تدل على أنها عملة. وإننا لنجد من الضروري مواصلة الاتصال بالمقيمية، طالبين أن تضرب الفضة التي جمعتها الحكومة في عملة لكي تتحسن الظروف الاقتصادية للبلاد على الأقل. إن الناس يترددون في قبول النقود الحالية في معاملات البيع وتتبع ذلك المنازعات. ولما كان طلبنا لم يصادف قبولاً فإن هذا الوضع يسير من سيء إلى أسوأ يومياً.

أردنا إنشاء محطة برقيات لاسلكية في ينبع لتأمين الاتصالات مع الجيوش الثلاثة، وهو أمر حيوي جداً، ولكن طلبنا رفض وأبديت أسباب الرفض. ومع ذلك فإنني أترك الموضوع لتقدير سعادتكم.

وقبل مدة طويلة طلبنا إصدار أختام لاستعمالها في الاستمارات الرسمية، وخاصة في المحاكم، ولكن سعادة مدير المساحة أجاب بأن لا لزوم لها، وكأنه يعرف احتياجات البلاد.

صديقي العزيز،

لماذا يتعذر الحصول على هذه الطلبات وأمثالها مما تحتاج إليه البلاد كما يحتاج الظمآن إلى الماء، خاصة وأن الحقيقة معروفة لدى حكومة جلالته؟ نعم إنني أعلم - يا صاحب السعادة - أن بعض النفوذ يمارس في الشؤون الأكبر من هذه، ولكنني أعتقد أن الطلبات المذكورة أعلاه لا تدخل ضمن تلك التأثيرات. والله أعلم.

صديقي العزيز: أقسم بصداقتنا العزيزة أنني لا أقصد بهذا غير بيان الحقيقة التي هي تهم حكومة جلالته أكثر مني، وذلك إلى جانب احتمال فشل المحاولات الخيرة الموجهة لتحقيق النتائج التي تتطلبها مصالح بريطانية العظمى.

حسين

FO 371/3054

(٦٤)
(برقية)
من وزير الهند - لندن
إلى نائب الملك في الهند

(مكررة إلى المقيم في عدن)

الرقم: التاريخ: ٢٣ حزيران/يونيو ١٩١٧

خارجي وسري. طلب ملك الحجاز إلى حكومة جلالته مساعدته في إقناع ابن سعود والإدريسي، بدون المساس باستقلالهما أو حقوقهما أو حريتهما، على الاعتراف بوصفه «زعيماً للحركة العربية». إننا حريصون على تقوية وضع الملك بين زملائه العرب بجميع الوسائل المشروعة. هل يعتقد المقيم في عدن أن مقابلة شخصية أو غيرها يمكن أن تقنع الإدريسي بأن يرسل إلى الملك رسالة يستطيع

الملك أن يعتبرها محققة لرغباته بدرجة لا بأس بها؟ وأنه سيجعل من الواضح للإدريسي تماماً أنه ليس مطلوباً منه التنازل عن سيادته.

FO 371/3054

(٦٥)

(برقية)

من المقيم في عدن

إلى وزير الهند

(مكررة إلى سيملا والمندوب السامي في القاهرة)

الرقم: **393 A.P.** التاريخ: ٢٤ حزيران/يونيو ١٩١٧

برقيتكم بتاريخ أمس. مصطفى الإدريسي سيغادر مصر حالاً إلى جيزان. وسأطلب إرساله إلى عدن أولاً. وسأرسل الميجر رايلي معه إلى جيزان وسأحاول إقناع الإدريسي بقبول الاقتراح.

العمليات العسكرية في الحجاز

(١٩١٧)

FO 371/3042

(٦٦)

(تقرير)
عن سير العمليات العسكرية في الحجاز
من الجنرال السير ريجنالد وينغيت
إلى وزير الحربية

التاريخ: ٢٥ حزيران/يونيو ١٩١٧

سيدي اللورد،

أتشرف بتقديم التقرير التالي عن سير الحركات العسكرية في الحجاز منذ تاريخ وضع إدارة هذه الحركات في يدي.

لم يكن الوضع سهلاً في أي حال نظراً إلى الخوف من جانب العرب من ممارسة أي نفوذ مسيحي غير ضروري، والموقف المستقل الذي اتخذه زعماؤهم. ومع استعداد الزعماء العرب لقبول أي قدر من المساعدة المادية فإنهم يستاؤون من أي تدخل مباشر. وإنهم، بلباقة ضباط معنيين ونفوذهم الشخصي فقط، يمكن إقناعهم قبول النصيحة والإرشاد في إدارة معاركهم الحربية. ويصعب كثيراً العثور على الضباط الذين يمتازون بالأهلية لهذا العمل الدقيق الذي يتطلب امتزاج الخبرة العسكرية ومعرفة العرب والاطلاع على لغتهم، لكننا سعداء بوجود قلة أمكن الحصول على خدماتهم.

٢ ـ قبل ٣ تشرين الأول/أكتوبر ١٩١٦، وهو تاريخ تبليغي بقرار مجلس الحرب الذي عهد إليّ، بصفتي سردار الجيش المصري، بالإدارة والرقابة العسكرية لكل الترتيبات الرامية إلى مساعدة الشريف، وذلك من قبل وزارة الخارجية، كان عملي فيما يتعلق بالحركات العسكرية في الحجاز يقتصر على تقديم كل المساعدة التي كان في استطاعتي تقديمها من الموارد التي تحت تصرفي ووضع خبرتي تحت تصرف الذين عهدت إليهم مهمة تزويد المواد الضرورية العسكرية الفورية للشريف.

٣ ـ بعد قيام الثورة مباشرة أصبح من الواضح أن المجندين العرب لا

يستطيعون أن يعملوا سوى الشيء القليل بدون دعم القوات المنظمة. والمصدران الوحيدان اللذان يمكن جلب قوات بريطانية مسلمة منهما للخدمة في الحجاز كانا الهند والسودان. وقد ارتُئي أنه من غير المرغوب فيه، سواء من الناحية العسكرية أو السياسية، استخدام قوات هندية مسلمة، فأصبح السودان لذلك المصدر الوحيد المتيسر. إن حملة دارفور، مع توقع حدوث اضطرابات في الحبشة، وضرورة وجود حامية في السودان نفسه، قد حددت الأعداد التي يمكن التخلي عنها. لكن تم فوراً تنظيم ستة مدافع جبلية وستة مدافع رشاشة مع الضباط اللازمين والعناصر الأخرى بشكل بطاريتين كاملتين وإرسالها إلى الحجاز في نهاية حزيران/ يونيو ١٩١٦.

إن القوات المصرية قامت بخدمة جيدة تتضح من رسالة وردت من الشريف في ٢١ آب/أغسطس ١٩١٦ يخبرني عن ارتياحه للخدمات التي أدتها، وتشير بصورة خاصة إلى خدمات اللواء سيد علي باشا، واليوزباشيين عبد الحميد أفندي فؤاد، ومحمد أفندي كامل.

٤ ـ حين نشبت الثورة العربية في ٩ حزيران/يونيو ١٩١٦ فوجىء بها الأتراك إلى حد كبير، فنجحت قوات الشريف في الاستيلاء على مكة وجدة خلال الشهر الأول. وقد قاومت حامية الطائف لمدة ثلاثة أشهر ونصف، والاستيلاء النهائي عليها في ٢٢ أيلول/سبتمبر ١٩١٦ يعود إلى حد كبير إلى مساندة المدفعية المصرية بقيادة اللواء سيد باشا علي. وحوصرت المدينة فوراً، لكن وجود قوة مختارة قوامها ٣٥٠٠ تركي مخصصة للحركات في جنوب جزيرة العرب فيما يتعلق ببعثة ستوتزنغن، جعل من الصعب على القوات العربية تنفيذ الحركة العسكرية ولم يمكن الاستيلاء على البلدة. وقد أدى ذلك إلى إطالة الحركات كثيراً لأن الأتراك استطاعوا جعل خط السكة الحديد مفتوحاً، واستعمال المدينة قاعدة لتهديد مكة.

٥ ـ في أواسط أيلول/ سبتمبر ١٩١٦ غادرت بعثة عسكرية فرنسية السويس إلى جدة بقيادة الكولونيل بريمون. والبعثة مؤلفة من ضابطين فرنسيين، وأربعة ضباط مسلمين من الكتائب الفرنسية. وأهداف هذه البعثة الاتصال بالوضع العسكري والتعاون مع ملك الحجاز والسلطات البريطانية بشأن أية مساعدة عسكرية تبدو ممكنة ومناسبة لتقديمها للعرب بالنيابة عن الحكومة الفرنسية.

في ذلك الوقت زال التهديد العربي للمدينة إلى درجة بعيدة وصار العدو في

وضع يهدد بالقيام بتقدم نحو مكة. وكان من الأهمية بمكان عظيم أن يمنع إعادة استيلاء الأتراك على مكة، وخصوصاً في وقت اقترب فيه بدء موسم الحج.

٦ ـ عندما تسلمت الإشراف العسكري في أوائل تشرين الأول/أكتوبر، وإن يكن الحج قد تم بدون عائق، فإن الوضع في الحجاز أصبح عسيراً وبدا وكأن التقدم المهدد به من المدينة عن طريق رابغ إلى مكة له حظ عظيم من النجاح. وقد ثبت أن القوات العربية لا تستطيع صد أي هجوم من قبل قوات منظمة أو مراكز تحميها قوة معتدلة. وكان الأتراك بقيادة فخر الدين باشا يتقدمون بثبات في إنشاء مستودعات تجهيز متقدمة، وجميع النقليات وتحسين المواصلات. وقد ظهر أنهم، إذا تمكنوا من التغلب على صعوبات التجهيز والنقل في قطر لا ماء فيه، فلا يكون هنالك أي سبب يحول دون نجاحهم في إعادة فتح مكة.

٧ ـ لم تتيسر قوات مسلمة لمساعدة الشريف في حركاته العسكرية. فالقوات الهندية لم تعتبر مرغوباً فيها للاستخدام في الحجاز، والضرورات العسكرية في الوضع القائم في السودان جعلت كل عون جديد من الجيش المصري غير ممكن. لذلك ظهر أن الطريقة الوحيدة الممكنة للمحافظة على مكة هي إرسال لواء عسكري بريطاني إلى رابغ لسد الطريق من المدينة إلى مكة. لكن الشريف كان خلال المدة كلها ممانعاً لأسباب دينية في قبول أي عرض لإرسال قوات بريطانية. يضاف إلى ذلك وجود اعتراضات شديدة على مثل هذا العمل سواء لأسباب عسكرية أو سياسية.

٨ ـ في ٣٠ تشرين الأول/أكتوبر ١٩١٦، وهو اليوم التالي لإعلان الشريف نفسه ملكاً، أعطيت الموافقة لإرسال سرب طائرات إلى رابغ، وكان المؤمل أن ترفع معنويات العرب وتشدد مقاومتهم لتقدم الأتراك. وأرسل السرب إلى رابغ في أوائل تشرين الثاني/نوفمبر.

وفي أوائل كانون الثاني/يناير، وكان الوضع أكثر عسراً، وضع لواء مشاة بريطاني تحت تصرفي، وكان يبدو أن الطريقة الوحيدة لضمان سلامة مكة واستمرار ثورة الشريف هي المغامرة بتحمل ما قد ينجم من مخاطر وإرسال اللواء إلى رابغ. وقد حشد اللواء في السويس في الأسبوع الأول من كانون الثاني/يناير ١٩١٧. ولكن في هذا الحين ظهر تحسن ضئيل في الوضع العسكري، كان كافياً لحمل الملك حسين على أن يرفض نهائياً لعرض المساعدة بشكل قوات بريطانية،

وبناء على ذلك أعيد اللواء الذي خصص لحركات الحجاز إلى الحملة العسكرية المصرية. وأخبر الملك حسين أن عرض إرسال القوات البريطانية لن يجدد.

٩ ـ في خريف سنة ١٩١٦ حين كان واضحاً أن الهجوم المباشر على المدينة لا يحتمل أن ينجح، أصبح من البين أن الطريقة الوحيدة لإزالة الخطر على مكة، ويعد ذلك ضمان سقوط المدينة، هي حث العرب على القيام بالغارات على أوسع نطاق ضد السكة الحديد وخطوط مواصلات العدو من جهة الشمال. ولتحقيق هذا الهدف تحرك الأمير فيصل الذي كان يعمل ضد المدينة من الغرب وقاعدته في ينبع، إلى الشمال ضد الوجه وبعد أن فتح البلدة بمساعدة البوارج البريطانية في ٢٤ كانون الثاني/يناير ١٩١٧، هدد خط السكة الحديد برمته من الهدية إلى المعظم. وكانت هذه الحركة خصوصاً هي التي بدأت في أوائل كانون الثاني/يناير بتخفيف الوضع وأرغمت الأتراك على سحب القسم الأعظم من حملة الحجاز (التركية) إلى جوار المدينة، وتبع ذلك إرسال تعزيزات عظيمة من المدينة إلى الشمال لحماية خط السكة الحديدية.

١٠ ـ في هذا الوقت كانت القوات التركية موزعة كما يلي:

في المدينة

الكتيبة الأولى من اللواء الـ ١٣١.

الكتيبة الأولى من اللواء الـ ١٢٩.

وسرية ٥٠٠ من جنود الهجانة للعمل على خطوط المواصلات بين المدينة ومراكز الحماية في بئر درويش والغاير وبئر الماشي.

ووضعت في المراكز الثلاثة المذكورة قوة تحمي المدينة تتألف من:

الكتائب الأولى والثانية والثالثة من اللواء الـ ٥٥.

الكتائب الأولى والثانية والثالثة من اللواء الـ ٤٢.

الكتائب الأولى والثانية والثالثة من اللواء الـ ١٣٠.

سرية عربية قوامها ٣٠٠ من جنود الهجانة.

٣ سرايا مشاة راكبي بغال.

١ بطارية هجانة مدفعية جبلية.

٣ مدافع جبلية.

٢ مدفع ميدان.

المجموع تقريباً: ٩٥٠٠ رجل.

يضاف إلى ما تقدم ٢٥٠٠ رجل موزعين على طول السكة الحديد. وفي بلدة الوجه حامية مؤلفة من ٨٠٠ رجل، ومفارز صغيرة عززت بلدتي الساحل ضبا والمويلح.

وحالما استقر الأمير فيصل في الوجه قام الأمير عبد الله الذي تقدم من مكة على امتداد الطريق الداخلي نحو المدينة، وأنجز حركة التفاف واسعة حول الشمال من المدينة، بعبور خط السكة قرب محطة بوئيرة، وأقام موقعه في وادي العيص متخذاً قاعدته على البحر في ينبع، وفي الوقت نفسه ترك مفارز صغيرة إلى شمال شرقي المدينة لاعتراض كل قوافل التعزيز من ناحية ابن الرشيد.

الأميران علي وزيد تسلما قيادة القوات التي تهدد المدينة من الجنوب والغرب، وبذلك تفرغ جيشا الأميرين عبد الله وفيصل للتركيز على السكة الحديد.

١١ ـ بالنظر إلى عدم تنظيم القوات العربية كان من الضروري تقديم مساعدة أخرى بتجهيز ضباط بريطانيين مؤهلين للفتنانت كرنل ويلسن الذي وضعت على عاتقه حتى الآن كل المهمة العسيرة لتقديم الإرشاد والمشورة للزعماء العرب سواء في الشؤون العسكرية أو السياسية. وهكذا أرسلت بعثة عسكرية بريطانية مؤلفة من الملازم كرنل س.ف. نيوكمب من (المهندسين الملكيين)، والميجر سي.ئي. فيكري (من المدفعية) والميجر سي.هـ.ف. كوكس (من المدفعية)، والكابتن و.ف. مارشال (من الفرقة الطبية)، وكان إرسالها من إنكلترة، وغادرت السويس إلى الحجاز في ٩ كانون الثاني/ يناير ١٩١٧. وأعضاء البعثة كلهم ضباط ذوو خبرة مع القوات المحلية، والكياسة والهمة التي أظهروها في إنجاز شيء من التنظيم في القوات غير النظامية للزعماء العرب تستحق منتهى الثناء. وفي أوائل آذار/مارس ١٩١٧ استطعت، بالنظر إلى تحسن الوضع ومساس الحاجة إلى ضباط مدفعيين من ذوي الخبرة والرتب العالية في ميادين الحرب الأخرى، الاستغناء عن خدمات الميجر فيكري وكوكس، محتفظاً بلفتنانت كرنل نيوكمب والكابتن مارشال فقط.

١٢ ـ إن الغارات التي نظمت ضد خطوط مواصلات العدو بلغت قسطاً كبيراً من النجاح. وأنشئت مدرسة تدريب في أعمال التخريب في الوجه تحت رئاسة الملازم «غارلاند»، ودرب عدد كبير من العرب على أعمال التخريب فصاروا يعملون الآن ضد السكة الحديد تحت القيادة الشخصية للفتنانت كرنل س.ف. نيوكمب (من المهندسين) والكابتن ت.ئي. لورنس، والملازم هـ. غارلاند.

إن اتساع التهديد الموجه إلى السكة الحديد، لم يمنع العدو من سحب الجنود من الحجاز لتعزيز جبهة فلسطين فحسب، بل اضطر إلى تخفيض حامية المدينة نفسها، وتحويل وحدات إلى العلا ومدائن صالح ومحطات أخرى على السكة الحديد. وهذا العمل أصبح ضرورياً أيضاً إلى حد ما بسبب قلة المؤن في المدينة، مما جعل من الضروري طرد كل السكان المدنيين وتخفيض الحامية على قدر الإمكان.

١٣ ـ إن الوضع الحاضر مرض نسبياً، ويظهر أنه ليس من الممكن أن يستطيع العدو سحب أي عدد كبير من القوات دون المخاطرة بإضاعة الحجاز برمته. والحقيقة أن المعلومات الأخيرة تدل على أن تعزيزات تتضمن كتيبة واحدة وبطاريتين جبليتين وبطارية ميدان واحدة أرسلت إلى الحجاز من دمشق. وفي الوقت نفسه لا يمكن توقع احتمال سقوط المدينة في المستقبل القريب. خفضت الحامية ويسرت مشكلة التجهيز بإنقاص عدد الذين يجب إطعامهم. يضاف إلى ذلك أنه ثبت أن العرب لم يكن في استطاعتهم أن يستولوا على المواقع المحصنة بأنفسهم، لكن الضغط المتصل على السكة الحديد وخطوط المواصلات حسب الخطة المتخذة الآن سوف يؤدي في الوقت المناسب إلى إضعاف العدو وتأمين فتح المدينة، وفي الوقت نفسه يستبقي في الحجاز حامية تركية كبيرة وتقطع مواصلات وحدات العدو في عسير واليمن مع المركز. ويعني هذا تجميد متواصل لنحو ١٢,٠٠٠ تركي عدا حاميات عسير واليمن.

١٤ ـ يسرني أن أنتهز هذه الفرصة للاعتراف بالمساعدة الثمينة والتأييد المتواصل من الجنرال السير آرجيبولد موراي، القائد العام للحملة العسكرية المصرية وموظفيه، وأشكر من بينهم بصورة خاصة الميجر جنرال آرثر ليندن بيل، والميجر جنرال والتر كامبل، إن الإرساليات الكبيرة من التجهيزات والعتاد التي كان إرسالها إلى الحجاز ضرورياً، قد جهزت كلها تقريباً من قبل الحملة العسكرية البريطانية، وقدم القائد العام أيضاً مساعدة ثمينة جداً بشكل سرب من قوة الطيران الملكية وقسم سيارات مسلحة وأشياء أخرى.

وأرجو أيضاً أن أسترعي النظر إلى المساعدة الثمينة التي قدمتها دائماً البحرية بقيادة نائب الأميرال السير روسلين ويميس، فكل نقل المخازن والعتاد والتجهيزات والموظفين تم من قبل البحرية في ظروف شديدة الصعوبة، إضافة إلى واجباتها الثقيلة الاعتيادية، لم تتخلف البحرية في أي وقت كان عن تقديم كل المساعدة الممكنة، وقامت في مناسبات عديدة بتعاونها الفعال (خصوصاً في الاستيلاء على جدة والوجه) بجعل النجاح العربي ممكناً. وليس من المبالغة القول بأنه، لولا التعاون الفعال من جانب حراسة البحر الأحمر بقيادة كابتن وليم بويل (من البحرية الملكية)، لما كان قيام الشريف بثورة ناجحة ممكناً.

إن قائمة المواد المرسلة إلى الحجاز باعتبارها أنها مقدمة إلى وزارة الحربية من قبل الحملة العسكرية المصرية، تقوم دليلاً على مقدار المساعدة المعطاة من قبل القائد العام للحملة المصرية ونائب الأميرال القائد العام لمياه الهند الشرقية ومصر، والعمل المنفذ بأيدي رجالهما.

وقام سرب الطيران الملكي تحت قيادة الميجر روس (دي.أس.أو)[1] بأكثر من تأكيد تقاليد الطيران. فقد جوبهت مصاعب استثنائية من جراء المناخ والأرض، وتم التغلب عليها في ظروف شديدة الصعوبة. لقد أجريت أعمال تحر ثمينة، والتأييد الأدبي والفعلي الذي قدمه السرب للقوات العربية يفوق حد الحسبان. وإنني في هذا الصدد لمدين كثيراً للبريغادير جنرال و.ج.هـ. سالموند، قائد الطيران الملكي في الشرق الأوسط لمساعدته الدائمية.

وفي المراحل التالية لثورة الحجاز، كما كان في بدايتها، كانت المساعدة المقدمة للقضية العربية من جانب الجيش المصري ذات قيمة عظيمة. والضباط، سواء منهم البريطانيون والعرب، وأفراد الجيش الموفدون للخدمة في الحجاز، أنجزوا عملاً رائعاً. فإلى وكيل السردار (الميجر جنرال ل.أو.اف. ستاك، سي.ام.جي) وإلى أركان القيادة للجيش المصري، يستحق الشكر على المساعدة التي ما زالوا يقدمونها إليّ وعلى الترتيبات الممتازة فيما يتعلق بمفارز الجيش المصري العامل مع القوات العربية.

اللفتنانت كرنل سي.ئي. ويلسن، بصفته ممثلي السياسي والعسكري في

---

(١) (D.S.O.) وسام عسكري هو «وسام الخدمة الممتازة» (Distinguish Service Order).

الحجاز، أدى واجباً كثير الصعوبة والمشقة ببراعة وبكل إخلاص وبنجاح بارز. لقد حصل على نفوذ جسيم لدى زعماء العرب العسكريين والموظفين، وإلى شخصيته وكياسته يعود مبدئياً الغياب النسبي للاحتكاك، ومقدار التنظيم الذي أنجزه المجندون العرب. وإن عمله وعمل موظفيه يستحق غاية الثناء.

إن نواة الموظفين الصغيرة المؤلفة في القاهرة لمساعدتي في إدارة الشؤون العربية قد عملت بصورة فعالة وجيدة تحت إشراف بريغادير جنرال ج.ف. كلايتن رئيس ضباط أركاني. وإلى هذا الضابط وأعضاء المكتب العربي والذي يديره الميجر ك. كورنواليس، وإلى موظفي الشخصيين في دار الاعتماد، أقدم شكري القلبي للمساعدة والتأييد الذي قدموه لي دائماً. وفي هذا الخصوص أرغب في استرعاء النظر بصورة خاصة إلى خدمات الميجر (لفتنانت كرنل موقت) ج.س. سايمس، الذي كانت معلوماته الوثيقة عن تفاصيل الحركة العربية ذات قيمة عظيمة.

سوف أعرض في رسالة لاحقة قائمة بالضباط ونواب الضباط والرجال الذين أرغب في وضع أسمائهم تحت أنظار سيادتكم، مع قائمة الضباط ونواب الضباط والرجال الموصى بتكريمهم.

أتشرف بأن أكون، سيدي اللورد،
خادم سيادتكم الخاضع المطيع،
(التوقيع) ريجنالد وينغيت
جنرال، قائد الحجاز العام

	ضباط	جنود	دواب	مدافع ميدان ١٥ رطل	مدافع جبل	مدافع هاوتزر	رشاشات مكسيم
ضباط أركان	٣						
صنوف مدفعية	١٤	٣١٣	٢٧٦	٦	١٠	٢	٦
صنوف مشاة	٢٨	٦٥٦	٢١				
صنوف أخرى	١٠	٤١	١٢				
المجموع	٥٥	١٠١٠	٣٠٩	٦	١٠	٢	٦

FO 882/19

(٦٧)

(كتاب)

من السير ريجنالد وينغيت ـ القاهرة

إلى الملك حسين

التاريخ: ٣٠ حزيران/يونيو ١٩١٧

أود أن أعترف بتسلمي مع الشكر كتاب سيادتكم المؤرخ في ١٨ شعبان ١٣٣٥[١] وسأمضي حالاً في الإجابة عن النقاط المثارة فيه حسب التسلسل.

إن ما أبديتموه سيادتكم في موضوع ابن سعود قد لقي كل اهتمام، وقد أبلغ إلى ممثل جلالته في العراق وتسلمنا منه جواباً مآله أنه مطمئن إلى أن ابن سعود مؤيد مخلص، وصديق لحكومة جلالته ولسيادتكم.

في هذه الأيام يوجد على الدوام مفسدون مستعدون لإثارة المشاكل بين الأصدقاء، وإن غرض أعدائنا بصورة خاصة تصعيد الشقاق بين جميع زعماء العرب العظماء للحيلولة دون وحدة الهدف العربي التي يشعرون تجاهها بخوف عظيم. ولذلك فعلينا أن نكون حذرين إزاء مخططات المفسدين.

علمت أن أنجالكم وصلتهم مؤخراً معلومات تؤكد موقف ابن سعود الودي والمتعاطف نحو سيادتكم.

فيما يتعلق بإرسال البنادق إلى الحجاز لم يكن ثمة تأخير في هذا، وقد أرسلت البنادق والعتاد بكل سرعة ممكنة، وأصبحت متوافرة، ويجب أن نتذكر أنه قد أرسل إلى سيادتكم ما لا يقل عن واحد وسبعين ألف بندقية، وأكثر من أربعين مليون طلقة، لاستعمالها في الحجاز، وإن القوات العربية في الميدان ليست بهذا العدد الكبير. ولذلك يصعب فهم ما أبديتموه سيادتكم من أن مكة وجوارها هي الآن خلو من أي سلاح.

لقد اتخذ إجراء فوري بشأن تلبية طلب سيادتكم مدافع مراسم لاستعمالها أيام

---

(١) تقابل ٩ حزيران/يونيو ١٩١٧.

الأعياد والعطلات، ولا بد أن سيادتكم تعلمون أن هذه المدافع ترسل بدون تأخير، وستقدرون فيما أظن كم كانت الاستجابة لطلبكم سريعة.

أما بشأن إرسال جعفر باشا ليساعد الأمير فيصل، فلا شك أن سيادتكم ستتذكرون البرقية التي أرسلها وكيل وزارة الخارجية في ١٤ نيسان/ أبريل إلى ويلسن باشا مبدياً فيها أن الأمير فيصلاً منح صلاحية كاملة في اختيار المتطوعين من بين أسرى الحرب. وبنتيجة هذا، وبطلب تحريري من الشريف فيصل لخدمات جعفر باشا أرسل الأخير إلى الوجه. ويسرني أن أقول إنني تسلمت تقارير جيدة عن نشاطه في تدريب القوات هناك.

أما قضية توزيع المخصصات المالية فإن ويلسن باشا والميجر باسيت، حسبما علمت، قد شرحا الأمر بصورة مرضية، ولا شك أنكم ستدركون أن سوء التفاهم كان لا بد منه، وإن كل جهد قد بذل دائماً لتنفيذ رغباتكم كلما كان ذلك ممكناً. وقد نجم الحادث كله بسبب عدم وصول برقية أرسلها الميجر باسيت، ولذلك فإن الكرنل ويلسن كان مجبراً على اتخاذ الترتيب الذي بدا له مناسباً أكثر من غيره بعد التشاور مع الأمير فيصل.

ولقد أوضحت بصورة وافية، عن طريق ويلسن باشا، أنه ليس من الممكن في الوقت الحاضر تزويد البطاريتين الجبليتين ذواتي الإطلاقات السريعة، اللتين طلبتموهما. وعلى أي حال لم يكن من الممكن الحصول على ذلك في الوقت اللازم لعمليات الهجوم الجارية الآن، والتي أرجو أن تتوج بالنجاح. وستكون هذه نتيجة مناسبة، وتعويضاً جزيلاً عن كميات العتاد والذخائر التي ترسل إلى الحجاز.

أعتقد أن البيان الوارد أعلاه سيوضح لسيادتكم النقاط التي يبدو أنكم كنتم تشكون فيها، أو وصلتكم عنها معلومات غير صحيحة. ولدى ويلسن باشا تعليمات مني بتلبية رغباتكم على قدر المستطاع، وإبلاغها إليّ. وأؤمل أنكم ستتخذونه واسطة لإيصال كل الطلبات بشأن احتياجاتكم لعملياتكم العسكرية، وسيحول هذا دون ظهور أي سوء تفاهم كالذي يحدث حين يجري إيصال الطلبات عبر قنوات مختلفة.

وختاماً أؤكد لكم مرة أخرى تعاطفي الحار مع القضية العربية، ورغبتي القلبية أن تسفر جهود جيوش سيادتكم في وقت قريب عن إجلاء العدو عن الأراضي العربية كلياً وتحرر الشعوب العربية.

(٦٨)

(برقية)

من المندوب السامي في مصر
إلى وزارة الخارجية

الرقم: ٧٣٠ التاريخ: ١٢ تموز/يوليو ١٩١٧

المقيم في عدن كرر لي، بطلب مني، التعليمات التي تسلمها بالبرقية المؤرخة في ٢٣ حزيران/يونيو من وزير الهند.

محادثاتي مع مصطفى الإدريسي جعلتني أميل إلى الاعتقاد بأن مفاتحة رسمية من جانبنا إلى الإدريسي حول موضوع اعترافه بالشريف، لن تكون مناسبة في الوقت الحاضر وقد يكون لها عكس التأثير المطلوب. وفي تلك الحالة يبدو لي أن الأفضل هو أن تقوم عدن بذكر الموضوع لمصطفى الإدريسي بصورة خاصة، وأن يترك لتقديره اختيار الطريقة التي يبلغ الإدريسي بها.

وفي هذه الأثناء سأقوم بمحاولة أخرى لإقناع الشريف على اتخاذ المبادرة وتوجيه رسالة ودية إلى الإدريسي يشجب فيها برودة العلاقات بينهما، ويقترح عقد اجتماع رسمي لمندوبين من كلا الطرفين في مكة أو جيزان.

وينبغي أن يكون الغرض الرئيسي لزيارة مصطفى التالية إلى مكة تدبير هذا اللقاء، وحينئذٍ سنقوم بإبلاغ كل من الشريف والإدريسي بحرصنا على أن يسفر هذا الاجتماع عن تفاهم واتفاق دائمين بين الزعيمين واعتراف من جانب الإدريسي بالوضع الخاص للشريف في حركة الاستقلال العربي.

مكررة إلى الهند وعدن.

FO 371/3059 (160770)

(٦٩)

(كتاب)

من السير ريجنالد وينغيت ـ المندوب السامي في مصر
إلى السير آرثر جيمس بلفور ـ وزير الخارجية

دار الاعتماد، القاهرة

الرقم: ١٥٥ (١١٩٨) التاريخ: ١٦ تموز/يوليو ١٩١٧

سيدي،

أتشرف أن أقدم النص الإنكليزي الكامل للمراسلات التي دارت بين ملك الحجاز وبيني، منذ منتصف آذار/مارس ١٩١٧ حتى نهاية حزيران/يونيو ١٩١٧. ولا حاجة للقول بأن جميع الأمور التي تتطلب اهتمامكم كانت قد قدمت لاطلاعكم كلما ظهرت، وإن هذه الوثائق ترسل بالدرجة الأولى لغرض إكمال سجلاتكم.

إن رسائل الملك تلقي أضواء جانبية ثمينة على موقفه منا ومن كبار الشيوخ المستقلين في الجزيرة العربية. وكذلك من قطاع معين من حزب «تركية الفتاة». إنها تظهر بوضوح شديد كم يقدر الملك حسين تقديراً كاملاً أن نجاح قضيته يعتمد علينا. إن إدراك هذه الحقيقة واضح إلى حد أنه يميل أحياناً إلى تفسير أي تأخر لا يمكن تفاديه في الاستجابة لطلباته (التي يؤكد عليها أحياناً مع تجاهل تام لقيود الزمن والمسافة) كعلامة لعدم اهتمامنا به ونيتنا في سحب دعمنا. إن هذا التخوف في غير محله يعود جزئياً إلى حالته العصبية وسرعة انفعاله، وقد تطلب تقديم تأكيدات شخصية مستمرة من جانبي.

إن شكوكه في موقف ابن سعود، والإدريسي، التي حاولت تبديدها، مؤسفة نوعاً ما، ولكن ما هو أهم من ذلك ربما كانت ثقته فينا، تلك الثقة التي عبر عنها بصراحة. وعلى الرغم من أن حوافزه في الإفضاء إلينا بذلك لا تخلو من غيرة طبيعية من الحكام المجاورين له ومعاهداتنا معهم، وإنها لميزة مهمة لنا أن نعرف ماذا يدور في ذهنه.

رفيق بك العظم[1] ينتمي إلى أسرة مهمة في دمشق وحماة ويعيش في المنفى. وفي رسالة منه إلى الملك حسين اقتراح مهذب ولكنه واضح بأن يعمل الملك حسين المزيد لكسب تأييد كبار الشيوخ العرب المستقلين. ويشير الملك في جوابه، بنفس التهذيب والوضوح، بأن حزب «العربية الفتاة» يضم أعضاء يبذلون أقصى جهدهم ـ لأغراض شخصية ـ لعرقلة حركته. ولا بد من الاعتراف أن ثمة ما يبرر كلتا الشكويين. وفي جواب الملك اقتراح بأن يرسل شيوخ العرب المستقلون ممثلين إلى القاهرة لإبقاء رؤسائهم على علم بكل ما يجري عمله لأجل القضية العربية. لقد تجاهلت هذا الاقتراح إذ يبدو لي أن من الأفضل أن يتم تزويد الشيوخ العرب بالمعلومات في الوقت الحاضر من المصادر البريطانية وحدها.

وأتشرف...

ريجنالد وينغيت

(الأصل العربي)[2]

FO 371/3059

(٧٠)
(كتاب)
من الملك حسين
إلى السير ريجنالد وينغيت

مكة ٢٥ جمادى الثانية ١٣٣٥
(١٩١٧/٤/١٧)

حضرة الوزير الخطير الشهم الهمام

بكل ابتهاج وتوقير تلقيت رقيم الفخامة الصادر بما يوافق ١٢ جمادى الثانية ١٣٣٥ وأحلّيت مندرجاته منتهى درجات التأمل وأقصى غاية لحل النظر والاعتبار،

(١) كان رفيق العظم في ذلك الوقت لاجئاً في مصر. انظر نبذة عن سيرته في ص (٤٣).
(٢) الأصل العربي الذي نقله الأستاذ سليمان موسى عن أوراق الأمير زيد (المراسلات التاريخية ١٩١٤ ـ ١٩١٨، ص ١٠٤ ـ ١٠٥).

ولأني في أشد العجز عن شكر الفخامة من صراحة اعتمادها المخلص. أما إشارتها عن الأحزاب ففي ظني يا حضرة الشهم الهمام، بل الذي أعتقد بأني لست وإياهم في شيء، وإن روابطي هي وحكومة جلالة الملك رأساً. وغاية ما أحرص عليه والمولى رقيب، هو صيانتنا بل صيانتي وكل مصالح حكومة جلالة الملك خاصة من كل نقطة تشكل للأضداد أعداء الحقيقة لوم أو اعتراض في كافة شؤون البلاد العربية وأسباب رقيها في كل وجه، على ما يوافق الشرع ويجعلها حجة دامغة لهذيانات الغرض ومقاصد إجراء الضلال أعداء الإسلامية خاصة والبشرية عامة. وإلى فخامتكم أذكر دليلاً على ما ذكر هو (الوجه) فقد تأسس به في ظرف أربعين يوماً كل ما تحتاجه البلاد: محكمة بقاضيها وشرطة وبلدية ومعارف ودائرة رسومات، وإنًا لفي أشد البحث لطبيب يقيم في مستشفاها ومعاملات حجرها الصحي، ولهو اليوم أصبح ثغراً مهم فتح فاه تجارته لكل متجر. هذا ما أدين الله عليه وهو جل شأنه ولي التوفيق.

ودم يا حضرة الوزير الخطير ممتعاً بصحة الوجود ونيل كل مقصود.

(توقيع)

مخلصكم حسين

FO 371/3059

FO 686/34

(الأصل العربي)[1]

(٧١)

(كتاب)

من السير ريجنالد وينغيت

المندوب السامي البريطاني في مصر إلى الملك حسين

القاهرة: ١٩ نيسان/ أبريل ١٩١٧

٢٧ جمادى الثانية ١٣٣٥

أبثكم تحياتي واحتراماتي الوافرة مقرونة بعبارات المحبة والإخلاص لشخص

(١) الأصل العربي الذي نقله الأستاذ سليمان موسى عن أوراق الأمير زيد (المراسلات التاريخية ١٩١٤ ـ ١٩١٨، عمان، ١٩٧٣، ص ١٠٤ ـ ١٠٥).

جلالتكم المحبوب، سائلاً المولى أن يطيل عمر جلالتكم ويمتعكم بالصحة والعافية وهو خير مسؤول. وبعد فإنني تناولت رسالة جلالتكم الكريمة المرسلة بواسطة مندوبكم الفاضل محمد شريف بك الفاروقي مع خطاب منه بتاريخ ١٣ الجاري. فرأيت أن أجعل الرد عليه مباشرة إلى جلالتكم ولا أخفي عليكم قد خامرني بعض الشك في حقيقة مضمونها ومآلها. وفي حالة كهذه لا يخفى على جلالتكم أن الرد إذا كان رأساً ومباشرة يدفع ما قد يحدث من سوء المفهومية. لقد ساءني جداً ما خيل لجلالتكم من أن سفركم لجدة لم يكن لغرض معين وإنه لم يأت بفائدة تذكر. وكذلك ما أبديتموه من التأثر لأنكم سئلتم أن تقدموا بياناً عن اللوازم التي أخذتموها للجيش، كما أني لا أشك أن سعادة ويلسن باشا سوف يتأثر أيضاً عند سماعه بما ذكرتم. على أنه يجب أن تتأكد جلالتكم أننا نجتنب كل عمل يكون من شأنه الحط من قدركم والإجحاف بمقامكم السامي الجليل. وإن سياستنا ورغبتنا في تعضيدكم ومؤازرتكم لم تزل باقية أمتن مما كانت عليه في بادىء الأمر. أما بخصوص الاتفاق المبرم منذ زمن ما بين حكومة جلالة الملك وسمو الأمير ابن سعود الذي نوهتم إليه في رسالتكم هذه، فإننا قد أحطنا جلالتكم علماً قبل الآن بكل ما جاء في ذلك الاتفاق من المواد والشروط، ونزيد الآن أن هذا الاتفاق مع الاتفاق الأخير الذي أبرمناه مع السيد الإدريسي والذي هو في الحقيقة تعليق على اتفاقنا الأول معه، ليس فيهما ما يخل بمصلحة العرب، أو ما يعيق سير الحركة العربية أو جافياً في روح ونص المعاهدات المبرمة مع جلالتكم. وهنا لا بد لي من القول إنه إذا كان لم يزل عندكم شك في هذا وغيره من الأمور، فآمل أن لا يبرح عن بال جلالتكم أن الحكومة البريطانية هي التي تحترم المعاهدات وهي حامية ذمار الحق والعدل والحليفة الوفية التي لا تخون العهود.

أنا في أشد الانتظار لاستقبال الأنباء المفرحة عن انتصارات جديدة يحرزها إنشاء الله جيش جلالتكم، ويكون من ضمنها الخبر العظيم عن سقوط المدينة في حوزة الجيوش العربية الباسلة. ولعمري فإن سقوطها سيكون له شأن كبير وأهمية عظمى في المستقبل.

بعد كتابة ما سبق تناولت بيد السرور برقية أخرى من جلالتكم عن يد مندوبكم الفاضل، وفيها ما فيها بخصوص تأخير لوازم الجيوش العربية وعليه أقول: إذا حصل في المستقبل تأخير في إرسال الطلبات العسكرية للجيوش العربية، فلي الثقة بأنكم لا تنسبون هذا التأخير إلى مقاصد سياسية خفية، لأن مثل

هذه المقاصد لم توجد ولن توجد أبداً، بل كل ما في الأمر أن هذا التأخير الذي يسوء الجميع وبنوع خاص يسؤني شخصياً قبل كل إنسان، لا بد من حدوثه أحياناً في زمن الحرب، ولا وسيلة إلى درئه لأسباب لا تخفى على جلالتكم. أما ما نوهتم عنه بخصوص الإدريسي وتصرف بعض الموظفين الإنكليز في هذا الصدد، فأرجو جلالتكم أن تفصحوا أكثر وتبعثوا لي بتفاصيل أوفى وأوضح عن الأمر، إذ يظهر لي أن في هذا الأمر ما يوجب قلقكم لأسباب خافية علي وعلى السلطة البريطانية في عدن. وأقبلوا أسمى تحياتي.

(التوقيع)
الجنرال سير ريجنالد وينغيت باشا

FO 686/34

(الأصل العربي)

(٧٢)
(كتاب)
من المعتمد البريطاني بجدة
إلى نائب وزير خارجية الحجاز

الرقم:　　　　　　　　　　　التاريخ: ٢٤ نيسان/أبريل ١٩١٧

حضرة الفاضل نائب وكيل الخارجية المحترم بمكة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد بناء على برقيتكم الرمزية بتاريخ ٢١ الجاري أحيطكم بما يأتي لتخبروا به جلالة الملك:

أولاً - بالنسبة لمسألة الحصر البحري للمرافىء من الليث في الجنوب فإن البحرية البريطانية تتعهد بهذا العمل وأظن أنها تستطيع منع الأرزاق عن الأتراك من طريق البحر.

ثانياً - بخصوص الاثنتي عشرة قافلة التي قيل إنها قامت من نجد إلى حايل عن طريق الدبدب فإني لا أعرف موقع هذا المكان الأخير ولكن حيث

إنه وصل خبر تحرك تلك القوافل فإنه يحق أن تقع كفريسة سهلة في أيدي قوات جلالة الملك حيث إن تلك القوات تستطيع بلا شك أن توقف هذه القوافل قبل أن تصل الحايل.

ثالثاً ـ ومن حيث مسألة حملة المطبوعات الألمانية ضد بريطانية العظمى فإنه مذكور في تلغرافي عدد ٦٨ أسماء القادة الرئيسيين لها حيث إنه يظن أنه يفيد جلالة الملك أن يكون على بينة من أسمائهم ويمكن أن يؤكد لجلالته أن بريطانية العظمى ستتخذ كل الإجراءات الممكنة من جهتها لمحاربة دسائس العدو المشترك وبلاغنا لكم كما هو مذكور في تلغرافي عن الموضوع هو أن الغرض الخصوصي للألمان تحريك عواطف العرب ضد إنكلترة وهذا هو السبب الذي من أجله أمرت أن أبرق لجلالة الملك في الحال.

رابعاً ـ إن أخبار كسر الضبارية وبني سالم لابن الرشيد وانهزام الأعداء من مشايخ شمر لسارة جداً.

وتتذكرون أنه بالتلغراف الوارد من بصرة في الموضوع الذي أرسلت لكم منه صورة لإحاطة علم جلالة الملك غير مذكور أن سعود سبحان هزم ابن الرشيد بل إنه هزم آخر يدعى شمر عبده بالقرب من لينة ومذكور في هذا التلغراف أن ابن الرشيد قد غلب في شمال غرب قاسم ولكنه لم يبين بمن والآن قد فهمت من تلغرافكم أنه من الضبارية وجزء من بني سالم عند الأمير عبد الله الذي أبلاه بتلك الهزيمة.

والأمل عرض خالص تهانينا لجلالة الملك على هذه الانتصارات وتفضلوا بقبول عظيم التحيات.

المعتمد البريطاني بجدة

عنه

الميجر باست

جدة في ٢٢ ابريل ١٩١٧

Communicated at ... [illegible]

حضرة الفاضل نائب وكيل الخارجية المحترم بمكة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد بناء على برقيتكم المرقومة بتاريخ ٢١ الجاري احيطكم بما يأتي لتخبروا به جلالة الملك

اولا . بالنسبة لمسألة الحصار البحري للمراكب من الليث الى الجنوب فان البحرية البريطانية تتعهد بهذا العمل وانها تستطيع منع الارزاق عن الاتراك من طريق البحر

ثانيا بخصوص الاثني عشر قافلة التي قيل انها قامت من نجد الى حايل عن طريق الديدب فاني لا اعرف موقع هذا المكان الاخير ولكن حيث انه وصل خبر حركة تلك القوافل فانه يجب ان تقع كغنيمة سهلة في ايدي قوات جلالة الملك حيث ان تلك القوات تستطيع بلا شك ان توقف هذه القوافل قبل ان تصل الحايل

ثالثا ومن حيث مسألة حملة المتبرعات الالمانية ضد بريطانيا العظمى فانه مذكور في تلغرافي عن اسماء القادة الرئيسيين الخ حيث انه يظهر انه يفيد جلالة الملك ان يكون على بينة من اسمائهم ويمكن ان يؤكد لجلالته ان بريطانيا العظمى ستتخذ كل الاجراءات الممكنة من جهتها لمحاربة دسائس العدو المشترك وبلاغنا لكم كما هو مذكور في تلغرافي عن الموضوع هو ان الفرصة الخصوصية للالمان تحريك عواطف العرب ضد انجلترا وهذا هو السبب الذي من اجله امرت ان ابرقه لجلالة الملك في الحال

رابعا ان اخبار كسر الضبارية وبني سالم لابن الرشيد وانهزام

الاعداء من مشايخ شمر السابق جدا

وتتذكرون انه بالتلغراف الوارد من بحث في الموضوع الذي
ارسلته لكم منه صورة لاحالة على جلالة الملك غير مذكور انه
سعود سجانه هزم ابن رشيد بل انه هزم آخر مبيتين شرعيت
بالقرب من لينه ومذكور في هذا التلغراف ان ابن الرشيد
قد غلب في شمال غرب قاسم ولكنه لم يبينه بجمه والآن
قد فهمت من تلغرافكم انه من الضياريه وجزء من بني سالم
عند الامير عبدالله الذي ابلوا بتلك الهزيمة

والامل عصمه خالص تبريكاتنا لجلالة الملك على هذه الانتصارات
وتفضلوا بقبول عظيم التحيات

المعتمد البريطاني بجدة
عنه
الميجر باسيت

FO 141/734/70

(٧٣)
(برقية)
من المندوب السامي في مصر، القاهرة
إلى وزارة الخارجية

الرقم: ٤٦٩ — التاريخ: ٢٨ نيسان/أبريل ١٩١٧

يبدو أن الوقت الحاضر مناسب لاستعراض قضية البعثة العسكرية الفرنسية وتوضيح موقفنا إزاء حاكم الحجاز وسائر الزعماء في المناطق الواقعة في «بلاد العرب المستقلة» التي يقترح الاعتراف بها في المنطقة (ب) كما هي معرفة في اتفاقية سايكس - بيكو.

أرى من المهم جداً أن جميع تلك الأقاليم (باستثناء المنطقة البنّية) الواقعة جنوب الخط الذي يفصل المنطقة «أ» عن المنطقة «ب» يجب أن تكون تحت النفوذ البريطاني فقط. ويظهر أن شروط برقية وزارة الخارجية المرقمة ٣٣٩ والمؤرخة ٢٧ نيسان/أبريل ١٩١٦ إلى السير هنري مكماهون، مقرونة بالطريقة التي فسر بها الكولونل بريمون تعليماته حين كان في جدة، تؤدي بي إلى الاستنتاج بأن روح الاتفاقية هو أن نفوذنا في جزيرة العرب وإن كان الأعلى، فإن النص الفعلي، إذا قرىء بالخريطة، يمكن أن يوحي بتفسير خاطىء ضد مصلحتنا.

أعتقد بأن من الأمور الحيوية أن النفوذ البريطاني وحده يجب أن يسود جنوب الخط الفاصل بين المنطقتين «أ» و«ب»، وأرى لزوم توضيح هذه النقطة توضيحاً تاماً للحكومة الفرنسية قبل أن تمضي البعثة المشتركة الموجودة الآن في مصر أبعد في مباحثاتها.

إذا اتخذت الحكومة الفرنسية إجراء حسب توصيات المسيو بيكو كما أبلغت إليكم في برقية السير مارك سايكس رقم ١٧ بتاريخ اليوم، فيكون الوضع فيما يتعلق بالحجاز مضموناً. لكنني أفضل تفاهماً معيناً بخصوص كبار الزعماء الآخرين في المنطقة التي ينظر في أمرها أكثر من الذي تضمنته الفقرة ١١ من اتفاقية

سايكس ـ بيكو. وهذا يقوي موقفنا في حالة نشوء مصاعب محتملة مع إيطالية فيما يتعلق بالإدريسي أو مسائل مع الفرنسيين بخصوص الشيخ سعيد.

FO 141/734/70

(٧٤)

(برقية)

من المندوب السامي في مصر، القاهرة
إلى وزارة الخارجية

الرقم: ٤٧٢ — التاريخ: ٢٨ نيسان/أبريل ١٩١٧

برقيتي المرقمة ٤٦٤.

سأصدر التعليمات إلى السير مارك سايكس بمحاولة توضيح الوضع كما يلي:

١ ـ تطمين الملك حسين بخصوص أهداف الفرنسيين في داخلية سورية. وقد وافق المسيو بيكو أن يترك ذلك في يد السير مارك سايكس.

٢ ـ الشرح بأن الحلفاء، وإن كانوا مقررين دعم مطامح العرب القومية، فإن سلطة الملك حسين لا يمكن فرضها على شعوب لا ترغب فيها، ومد السيادة الشريفية يجب أن يكون مرهوناً بقبولها من جانب الأهالي المعنيين.

٣ ـ الإيضاح بأن في بغداد ومنطقتها، وإن كنا راغبين في تشجيع الثقافة والرفاهية العربية، فإننا نحتفظ بموقف السيطرة العسكرية والسياسية التي تتطلبها مصالحنا الستراتيجية والتجارية.

وبشرط أن تكون زيارة السير مارك سايكس الحاضرة ناجحة، فقد يمكن ترتيب اجتماع ثان مع حسين في تأريخ لاحق، يجوز أن يحضره المسيو بيكو. ويمكن إعطاء تفاصيل أخرى عن ذلك الجزء من الاتفاقية الإنكليزية ـ الفرنسية الذي يتعلق بإنشاء اتحاد عربي أو دولة عربية مستقلة.

FO 141/734/70

(٧٥)

(كتاب)

من السير ريجنالد وينغيت
المندوب السامي في مصر
إلى آرثر جيمس بلفور
وزير الخارجية ـ لندن

الرقم: ١٠٦ التاريخ: ١٥ أيار/مايو ١٩١٧

سيدي،

أتشرف بإرسال مذكرة كتبها، بناء على طلبي، الكابتن جورج لويد عن وضع الحجاز كما هو معين في الاتفاقيات الحديثة.

إن الحجج الواردة في هذه المذكرة ملائمة جداً، وفي هذا الصدد أسترعي أنظاركم إلى برقيتي المرقمة ٤٨٩ (٧٠/ ٢٥٥) المؤرخة في ١٧ الماضي التي ذكرت فيها لزوم المحافظة بصورة كافية على وضعنا المسيطر في هذه المناطق العربية، وبضمنها الحجاز، إلى جنوب المنطقة «ب» كما هي محددة في الخريطة الملحقة باتفاقية سايكس ـ بيكو.

أتشرف بأن أكون، مع مزيد الاحترام،
سيدي،
خادمكم الخاضع المطيع
(التوقيع) ريجنالد وينغيت

FO 141/734/70

(٧٦)

(مذكرة)

عن

وضع الحجاز

كما هو معين في الاتفاقيات الحديثة

من الكابتن جورج لويد

سري

حتى الوقت الحاضر كانت الجهات المعنية في القاهرة تعتبر الحجاز كأنه يؤلف قسماً من منطقة تعتبر المصالح البريطانية فيها هي العليا من جانب الأطراف الموقعة على الاتفاقيات. وكان الاعتقاد، سواء كان صحيحاً أو خطأ، أن الفرنسيين ملتزمون بموجب الاتفاقيات بالمحافظة على نفس السياسة القائلة بعدم الاهتمام الكامل سياسياً واقتصادياً نحو الحجاز، كما كان يتوقع، من الجهة الأخرى، من جانب حكومة صاحب الجلالة تجاه سورية. وقد ارتُئي أن منح الاستقلال للحجاز كان عملاً اتخذته حكومة صاحب الجلالة بخصوص قسم واحد من المنطقة التي حصلوا فيها على المصلحة الوحيدة، ولكن هذا العمل لم يفتح الباب للتدخل من جانب أولئك الذين وقعوا على المعاهدات أو لإضعاف تأثير تعهدات التنازل المتعهد بها في الاتفاقيات الأصلية.

وفقاً لهذا الاعتقاد حاولنا خلال الأشهر القليلة الماضية أن نقاوم، وشعرنا بأن لنا كل الحق في مقاومة أية محاولات لتدخل الدول الأخرى اقتصادياً أو سياسياً في الحجاز.

لم يسد هذا الرأي في القاهرة فقط، لأنه في المحادثات التي أجريتها مؤخراً مع المستر بلفور في لندن ومع آخرين في وزارة الخارجية، كانت المناقشات التي قدمتها فيما يتعلق مثلاً بمسألة (البنوك) في جدة على أساس هذا الرأي بخصوص وضع الحجاز، قد تأيدت واتخذ العمل بشكل يثبت بوضوح أن الحجاز اعتبر منطقة تحت النفوذ الوحيد لبريطانية العظمى.

غير أن محادثاتي مؤخراً مع السير مارك سايكس والمسيو بيكو جعلتني أفهم بأن

افتراض حصول حكومة صاحب الجلالة على حقوق مسبقة ومانعة للغير في الحجاز بموجب الاتفاقيات، هو افتراض خاطىء.

يظهر أن الحجاز ليس داخلاً في المنطقة التي تسود المصالح البريطانية فيها سيادة وحيدة. فالحجاز يعامل بصورة منفصلة وكأنه خارج المنطقة البريطانية بسبب استقلاله، ويظهر من الواضح أنه ليس هناك شيء في تعابير الاتفاقيات الفعلية ما يمنع الفرنسيين بأي وجه من الوجوه من ممارسة نفوذ متساو ومن طلب مزايا سياسية واقتصادية متساوية معنا. وكل ما يدّعي في التخفيف من هذا الوضع هو أنه، بموجب رسالة ملحقة بالاتفاقيات ـ نوع من الملحق ـ قد نص على أن المفاوضات مع الشريف تجري عن طريق نفس الوسائل كالسابق، أي عن طريق بريطانية.

(ويجدر الملاحظة أن الملحق المشار إليه هنا لا قيمة له من أي نوع فعلاً ما لم يعن أن أطراف الاتفاقية عدا حكومة صاحب الجلالة لا يكون لهم ممثلون في الحجاز. وإذا كان لهم ممثلون فالواضح أن سبب وجودهم الوحيد هو التفاوض مع الحكومة التي يعتمدون لديها. ومن الجهة الثانية يظهر أنه ليس في الإمكان عدم وجود ممثلين أجانب في بلاط دولة ذات سيادة مستقلة).

وإذا كان تدليل وضع الحجاز في الاتفاقيات صحيحاً مادياً، فإنني أبدي أن الوضع الذي يسببه ذلك هو سيء جداً وعلى شيء من الخطر السياسي، وهو وضع يتطلب تدقيقاً وثيقاً وإعادة نظر. ومن العبث في هذه المرحلة إعادة ذكر الأهمية العظيمة لنا، سواء من وجهة النظر الاستراتيجية والسياسية، من عزل الحجاز على قدر الإمكان عن التدخل من جانب دول عدا بريطانية العظمى. ومن المضحك الافتراض أن حكومة صاحب الجلالة قد أنفقت المبالغ الشهرية الضخمة من النقود وتحملت نفقات عسكرية جسيمة أخرى في سبيل خلق الدولة الجديدة هناك، للحصول على النتيجة المشكوك فيها الآن بموجب الاتفاقيات. يضاف إلى ذلك أننا لم يكن لنا مبرر لتحمل المجازفات الخطيرة تجاه العالم الإسلامي التي جابهناها بنجاح خلال الأشهر القليلة الماضية إذا لم يكن مفهوماً كل الفهم أن عملنا ينتج عنه حصولنا على وضع وحيد ممتاز في ذلك القطر.

كان الدليل الكامل حتى الآن على أن الفرنسيين فسّروا الاتفاقيات بأنها تسمح لهم بممارسة كل النفوذ الذي يستطيعونه، سياسياً واقتصادياً على حدّ سواء، ومن

الواضح أيضاً أن السياسة الفرنسية قد سمحت بها باريس. ومحاولاتهم إدخال بنوك فرنسية جديدة، أو توطيد تسهيلات قديمة، ومقترحاتهم بشأن إنشاء سكة حديد، وإدخالهم الحجاز مؤخراً في منطقة تفتيش الجنرال بايو بعد مدة طويلة من صرف النظر عن مسألة المساعدة العسكرية الفرنسية لقضية الشريف بسبب الأحداث، كلها تدل بوضوح على هذه الحقيقة.

إن هذا وضع، كما أرى، يذهب بعيداً لإفساد كل قيمة الاتفاقيات من وجهة النظر البريطانية، إن المنطقة الجنوبية بدون الحجاز تتألف في الغالب من صحراء لا قيمة لها، في حين أن المنطقة «أ» التي حصل عليها الفرنسيون ليست واسعة جداً فحسب بل تتألف من موانىء ذات قيمة مثل بيروت والإسكندرونة ـ وهي أقاليم تصلح لتطوير اقتصادي عظيم وتسكنها أقوام ذات مقدرة اقتصادية ومهارة تجارية.

ومن المناسب أن نتذكر أن اللورد كرومر، قبل عشر سنوات وبالتأييد الكامل لحكومة صاحب الجلالة، كان مستعداً لمجابهة حرب لئلا يسمح بقيام وضع يسمح لدولة أوروبية عظمى بالحصول على موطىء قدم في خليج العقبة، والصيانة البحرية للبحر الأحمر والمحيط الهندي من السفن المعادية تعود على الأكثر إلى سياسته. واليوم، بإنشاء منطقة مستقلة على ساحل البحر الأحمر غير متوازنة بموضع ممتاز لبريطانية العظمى، نكون قد أضعفنا موقفنا كثيراً في هذا الصدد دون الحصول على مزايا مقابلة، ونكون أيضاً قد دفعنا النفقات بأنفسنا للوصول إلى هذه الحالة.

يؤكد بأنه لم يكن في الإمكان تقييد الشريف بعقد المفاوضات مع بريطانية العظمى دون غيرها بطريقة مماثلة لعملنا بما فرضناه على زعماء السواحل المتهادنة في الخليج الفارسي [العربي]، إن ذلك كان يحتمل أن يضعف مركزه كزعيم مسلم مستقل ويكون سبباً في أن ينظر إليه كمجرد ألعوبة. وهذه الحجة لها قوة كبيرة ولو أنها تسقط إذا كان للملحق الاتفاقية أية قوة. وليس هناك أحد له قيمته في العالم الإسلامي يتجاهل أن الشريف يستمد تأييده من نقود بريطانية العظمى وأسلحتها. ولكن مع الإقرار بقوة هذه الحجة فقد كان في الإمكان بلوغ الهدف نفسه بوسائل أخرى، أي باستحصال تعهدات بأن الدول الأخرى لا تدخل في مفاوضات مع الشريف بصدد أية شؤون اقتصادية أو تجارية لا علاقة لها بأعمال الحج الاعتيادية، وفي كل الشؤون الأخرى تعترف الدول بأن الحجاز منطقة نفوذ بريطانية محصنة.

يبدو لي أن الأوان لم يفت لإجراء ذلك، وأنا أستند في اعتقادي على محادثة أجريتها مؤخراً مع بيكو.

أخبرني المسيو بيكو أنه يتوق جداً ليعلم هل أنا راض شخصياً عن الاتفاقيات، وهل أرى أنها تعمل جيداً بالفعل. فأجبت أنني لا أستطيع الكلام إلاّ عن نفسي، ولو كنت واثقاً من أن الآراء التي أحملها تمثل تمثيلاً صحيحاً موقف الآخرين الذين هم أعظم مني مسؤولية. إذا كان يريد الاستماع إلى آرائي فأنا أعرب عنها بصراحة تامة وأقول كل ما في ذهني، لأنني أرى أن بعض المصاعب الصغيرة التي جابهناها مؤخراً تعود، كما يحتمل، إلى فقدان التفاهم الكامل لوجهة نظر بعضنا البعض.

إنني أرى حصول فرنسة على سورية والإسكندرونة بالرضا تحت شروط معينة. ولا أخفي عن نفسي أن الفرنسيين قد حصلوا على منطقة ذات أهمية استراتيجية عظمى، لم تدخل عاملاً بحرياً جديداً وقوياً فحسب في شرقي البحر المتوسط ولكن مضت بعيداً في الوقت نفسه للتقليل من قيمة قبرص بالنسبة لنا. وكان واضحاً لدي أيضاً، من الدراسات التي قمت بها عن الوضع الاقتصادي في هذه المناطق، أن فرنسة قد تصبح قادرة على تحويل الخط الفاصل للبحر المتوسط ضد التجارة الهندية من ديار بكر إلى أبواب بغداد مع احتمال إضرار ذلك بوضعنا الاقتصادي.

ولما كانت القضايا الاستراتيجية الهندية هي العوامل الحاسمة الرئيسية التي تؤثر علينا في سياسة هذه المناطق، وحسبما فهمت أن هذه الاتفاقيات قد حددت فعلاً كل المناطق جنوبي خط يمتد من الخليل (حبرون) إلى كويسنجق[1]، بأن تكون بريطانية محضة، فقد ارتأيت أننا حصلنا على مقابل عادل.

وقاطع المسيو بيكو فقال إن تعبير الاتفاقيات لا يتفق مع ما قلته. وأجبت أنني متعجب لسماع ذلك، ولكن على كل حال هذا هو روح الاتفاقيات، وأنا نفسي واثق أن هذا مفهوم الاتفاقيات.

ومن الجهة الثانية، جعلتني الأحداث الأخيرة في الحجاز مثلاً غير مرتاح فيما

---

(١) كويسنجق بلدة في شمال العراق تقع جنوبي ـ شرقي أربيل، على خط العرض ٣٤°، والخط الذي يمتد إليها من الخليل بفلسطين، يمر بعمان والبوكمال والشرقاط وطقطق، أي بمحاذاة الحدود الأردنية ـ السورية والحدود العراقية ـ السورية الحالية.

إذا كان روح هذه الاتفاقيات يبقى محتفظاً به حقاً.

قال المسيو بيكو إنه يوافق حقاً على أنه، بينما جاء التعبير أقل كرماً مما ظننته، فإنه يوافق على ما عبرت عنه عن روح الاتفاقية. وأجبت أنني مسرور لأسمعه يقول ذلك ـ فأنا نفسي أكون معادياً كل العداء للاتفاقيات إذا لم يكن الأمر كذلك. وإذا تركنا أصحاب النفوذ الكامل الوحيد سياسياً واقتصادياً في الحجاز وكل تلك المنطقة جنوبي خط الخليل ـ كويسنجق، فأنا أرى أن يكون واجبنا، ليس الامتناع عن أي اهتمام من أي نوع كان في المنطقة «أ» فحسب، ولكن أن نفعل أكثر من ذلك ـ نعمل كل ما في وسعنا لمساعدة الفرنسيين في تلك المنطقة. غير أن هذا يجب أن ينشىء موقفاً مماثلاً من جانبهم ويعني انسحاباً كاملاً من جانب الفرنسيين من منطقتنا ووقف كل المحاولات للحصول على موطىء قدم اقتصادي.

ثم ذكر المسيو بيكو قضية البنك في الحجاز وقال إنه سمع أنني كنت قلقاً بخصوصه. قال إنه لم يكن يفهم ذلك بالنظر إلى كون البنك العثماني مؤسسة إنكليزية ـ فرنسية موجودة من السابق في الحجاز. أجبت أن ما سبّب لي القلق هو الطريقة إضافة إلى وجود البنك. لقد قدمت مدعيات البنك بشكل يؤسف له شيئاً ما، وأقول بصراحة إنني اعتبرت أن البنك العثماني كان في الحقيقة مؤسسة فرنسية محضة في هذه المناطق. ويجوز أن الأمر لم يكن كذلك رسمياً، لكنه كان كذلك فعلاً، وكنت واثقاً أنه (أي بيكو) يتفق معي.

قال المسيو بيكو إنه يتفق معي مادياً على هذه النقطة، لكن لم تكن له فكرة بأننا ننظر إلى الأمر في هذا الضوء. وهو نفسه يتفق معي عن تفسيري لروح الاتفاقية العامة، والآن وقد فهم وجهة نظرنا فإنه سوف يتخذ الخطوات اللازمة لضمان الزوال الكامل للنفوذ والمنافسة الفرنسيين في الحجاز.

وانتهت المحادثة بذلك.

لذلك أكرر بأنني أرى أنه ليس من المتأخر معالجة نواقص الاتفاقيات بصورة توضح الوضع بكامله. وأعتقد أن الوقت ملائم وأن وجود السير مارك سايكس والمسيو بيكو في القاهرة يساعد المندوب السامي كثيراً على إدراك النتائج المطلوبة. (عبارة مشطوبة: أنا شخصياً علي أن أنتهز الفرصة لمحاولة تسوية الادعاءات القديمة بشأن الشيخ سعيد ومسقط في نفس الوقت، وإذا نجح الأمر فإنه يتركنا في وضع ممتاز وخال من الإزعاج في كل أنحاء جزيرة العرب).

وعلى كل حال إن وضعنا فيما يتعلق بالمنطقة بوجه عام وفي الحجاز بوجه خاص يبدو غير معين، وحتى لا يجوز القول إنه مرض أو سالم. وترينا الخبرة بوضوح أن الأوضاع الغامضة هي تماماً كالتي تنتج الاحتكاك بدلاً من أن تزيله. وفي منطقة كهذه يهتم بها الإسلام كل الاهتمام يكون من الأهمية العظمى أن يضمن المستقبل بشكل واضح وحاسم.

(التوقيع) جورج لويد

FO 141/734/70

(٧٧)
(مذكرة)
عن الاتفاقية الإنكليزية ـ الفرنسية ـ الروسية
عن الشرق الأدنى

سري وشخصي التاريخ: ٩ تموز/يوليو ١٩١٧

هذه الاتفاقية حررت مسودتها في أوائل سنة ١٩١٦. وقد فضلت أحد الأطراف الثلاثة ـ فرنسة ـ على الطرفين الآخرين، ليس في كمية ونوعية الأقاليم المخصصة لها للاحتلال أو النفوذ الوحيد وامتياز أحسن مواقع الموانىء في سورية فحسب، ولكن يضاف إلى ذلك أن فرنسة وحدها لم تثبّت حتى هذا الوقت حقوقاً لها بالاحتلال الفعلي لأي قسم من الأقاليم المحتمل تخصيصها لها، ولم تتقدم خلال مدة معينة لتثبيت مثل هذه الحقوق.

ومع ذلك أبرمت الاتفاقية لأسباب كافية، حسبما يظهر، من السياسة العامة التي جعلت فرنسة جديرة في ذلك الوقت بهذا التفضل. وإذا كانت هذه الأسباب موجودة في الوقت الحاضر، وهي لا زالت مقنعة في الظروف المتغيرة لسنة ١٩١٧[1]، فليس لي ما أقوله عدا الإشارة إلى (١) أن الاتفاقية تركت قسماً كبيراً

---

(١) هيرتزل و.ر.غراهام يلحان على أنها كذلك، ولذلك فإن الاتفاقية يجب أن تبقى نافذة. (تعليق ورد في الأصل)

د.غ.هـ.(هوغارث)

من المنطقة العربية. شبه جزيرة العرب الأصلية ـ غير مخصصة، ولكلينا فيها في ذلك الحين مصالح عظيمة زادت قوتها الآن، و(٢) أن أحد الأطراف، روسية، قد تنازلت على ما يظهر عن ادعائها بقسم كبير من الإقليم المخصص لها، فأصبح لذلك دون تسوية مرة أخرى، وإن معظم هذا القسم بعيد وصعب الإدارة إلى درجة أن أحد الطرفين الباقيين لا يملك الإرادة ولا القوة لأخذه. ولذلك يحتمل أن يبقى جزءاً من الامبراطورية العثمانية ويعطي لهذه الامبراطورية حجماً ومادة كافيين لتمكينها من الاستمرار دولة لها الخلافة، وممارسة تأثير مزعج على الأقطار المخصصة لفرنسة ولنا.

ولكن، إذا لم تعد الأسباب المشروحة أعلاه مقنعة، فإنني أشير إلى أن مياهاً كثيرة جرت تحت الجسر في السنة والنصف الماضية. وفي كل هذه المدة، كما يجدر بنا أن نتذكر، بقي العمل في الاتفاقية موقوفاً لأنه لم يكن في الإمكان، ربما باستثناء العراق، لأي من الأطراف أن يحقق مطالبه. وليست روسية وحدها التي أخلت بالاتفاقية حين ادعت أنها تتنازل عن أكثر مطالبها، وأميركا التي لها مصالح قوية في تركية الآسيوية، وخصوصاً في سورية، ويحتمل أن لها على كل حال آراء ديموقراطية بصدد مستقبل الأقاليم العثمانية المحررة، فأصبحت طرفاً يجب أخذه بنظر الاعتبار في اتفاق حول الشرق الأدنى، بل أيضاً وضع أحد المستفيدين ـ وهو نحن ـ ذلك الوضع الذي ازداد قوة بالدور الذي قمنا به بين العرب في الحجاز والعراق وبالخيار الواضح والملحّ الذي صرّح به اليهود الصهيونيون.

ومن الجهة الأخرى، بينما الأكثرية الساحقة من العرب الذين يتطلعون إلى دولة مسيحية لتحريرهم، يروننا الآن نصيرهم الرئيسي، بل الوحيد (كما يفعل ذلك أكثرية اليهود الصهيونيين) فإن شعوراً قوياً ومتزايداً قد ظهر في معارضة تدخل في أي قسم من المنطقة العربية.

إن المفوضين السياسيين، حين كانوا في القاهرة مؤخراً عملوا كل ما في وسعهم لتعديل هذا الشعور بالمحادثات والبيانات مع زعماء أقسام مختلفة من الشعوب المتكلمة بالعربية من جميع الفئات، لكن على الرغم من الموافقة الشفهية، لم يغادروا مصر قبل أن يقوم نفس هؤلاء الزعماء بإعادة دعايتهم المناوئة لفرنسة وتشديدها، بينما في القاهرة وجدنا دليلاً بيّناً (أستطيع أن أصرح بطبيعته إذا طلب مني ذلك) على أن ملك الحجاز، إذا كان قد فهم حقيقة ما طلب منه المفوضون، فإنه لم يكن يرغب بأية صورة كانت أن يراعي حرفية الاتفاقية أو روحها على حد سواء، تلك

الاتفاقية التي فهم أنه وافق عليها.

إن الأسباب، وأحدها أو أكثر يحرك كلا من الأحزاب العربية المختلفة ويدفعها كلها إلى استنتاج نتيجة مناوئة لفرنسة، هي أحياناً لا تتفق بعضها مع البعض الآخر، لأن أولئك الذين يتأثرون بها يرغبون في بدائل سياسية مختلفة. وهناك على وجه العموم ثلاثة:

١ ـ الاستقلال التام

ويعتقد بإمكانية هذا عملياً أولئك الذين هم أقل ثقافة أو المتعصبون تعصباً أعمى.

٢ ـ الحماية البريطانية

هذا البديل ترغب فيه أكثرية العرب مسلمين ومسيحيين على السواء لأسباب متعددة مثلاً: (أ) لأنه يعتقد أننا نستغل الأراضي العربية بدرجة أقل أثرة من أية دولة أخرى وأننا أكثر رغبة في تركهم يوماً ما لأنفسهم. (ب) لأنه في مثل هذه الحالة تشكل سورية وبلاد العرب مجموعة واحدة سياسية واقتصادية مع مصر والعراق. وهذه الحجة قوية لدى السوريين المقيمين في مصر الذين يخشون أكثر من كل شيء أن يفقدوا ميدان الاستثمار الذي أتاحه لهم البلد الذي تبنّوه لمدة طويلة (مصر).

٣ ـ الحماية العثمانية:

بحسب مشروع ائتلاف (لامركزية) من نوع شامل تضمنه دول الحلفاء.

وقد حصل إحياء لهذه الفكرة بين السوريين منذ ظهرت بعض الأخبار عن أحكام اتفاقيتنا مع الفرنسيين. والأسباب المؤدية لذلك هي: (أ) تأجيل انتصار الحلفاء، (ب) الاعتقاد بأن الأتراك قد ضعفوا وصاروا يخشون نهايتهم الأخيرة

حاشية: أعطاني هيرتزل حجة أعتقد أنها ذات شأن، وهي أن بيكو في بادىء الأمر، والحكومة الفرنسية بعد ذلك، اعتبرت امتناع فرنسة عن الاحتجاج على تحويلنا قوات عسكرية إلى العراق مساوياً للتعاون الفعلي في سورية. وعلى هذا الأساس رفض بيكو الادعاءات التي تستند إلى الإنجاز. وهذا كان مقبولاً لدي، وإن كان من الجائز أنه لم يكن ذلك لديك.

د.ج.هـ.

بأيدي الدول الوسطى حتى انقادوا لفكرة الائتلاف، (ج) الاعتقاد، مع ذلك، بأن تركية، مع عاصمتها الآستانة والخلافة وإقليم واسع في الأناضول متروك لها، وستبقى دولة معظمة وحامية للإسلام، ويكون لها تأثير عظيم حتى في الأراضي العربية. وقد أكد لي مؤخراً مرجع موثوق به أن الائتلاف يكون الآن سائغاً أكثر لسبعين بالمائة من السوريين من الوضع المقترح في اتفاقيتنا.

إن ما تقدم خلاصة مجردة للأسباب التي، كما أعرضها، تدعو إلى إعادة النظر نوعاً ما في الاتفاقية. ولكن عند عرض هذه الأسباب أود أن أضيف بأنني لا أحمل أياً من الآراء التالية:

(١) بأن أي قسم من الشعب العربي يستطيع في الوقت الحاضر تشكيل دولة مستقلة مستقرة أو إدامتها إذا شكلت.

(٢) بأنه من المستحسن لنا أن نتولى الإشراف على كل المنطقة العربية، أو حتى قدر منها أكبر مما «نحميه» فعلياً في الوقت الحاضر، والمفهوم أنه يتضمن كل أقسام شبه الجزيرة العربية حيث يكون فيها موطىء قدم لأية دولة مسيحية. (مع ملاحظة: أرى إضافة فلسطين).

(٣) بأنه من الممكن أو المستحسن استثناء فرنسة من مكاسب إقليمية أو اقتصادية متساوية كثيراً أو قليلاً وفقاً لأية اتفاقية معدلة.

(٤) بأنه يجدر عقد الصلح مع تركية بحيث يترك أي قسم من المنطقة العربية تحت حكمها المباشر، أو حقاً، تحت سيادتها الأكثر من الاسمية، أو خاضعاً لأي تأثير اقتصادي عدا تأثير الدول الحليفة.

٩ تموز/ يوليو ١٩١٧
(التوقيع) د.ج. هوغارث

FO 686/35

عن الأصل

(٧٨)
(كتاب)
من الأمير عبد الله إلى ويلسن

وادي العيص: ٢٧ شوال ١٣٣٥
(١٩١٧/٨/١٦)

حضرة صاحب السعادة المعتمد البريطاني في جدة

اللواء ويلسون باشا المحترم

بعد إهداء واجب التحايا والتكريمات. حررت كتابي هذا لسعادتكم أولاً لتفقد خاطركم الكريم. وثانياً لدفع الانشغال الحادث من انقطاع محررات جنابكم عني خلافاً لما عودتموني به. من طيه تجدون تحريراً موجهاً لسعادتكم من لدن الميجر غارلند بعثه إلي من مركز القوة الموجود معها بقيادة الشريف ناصر بن غالب الذي توفقت بعناية الله تعالى بتخريب ألف قضيب من السكة الحديد في ضربتين متتاليتين. وقد أصدرت أمري على تلك القوة بأن تعود فتضرب ضربة ثالثة بألف رطل من المفرقعات. والميجر غارلند معها لتجري التخريبات تحت نظارته وتعليماته. وها أنا في انتظار بشائرهم. وإنني ولله الحمد بالرغم عن قوات العدو وحرسه توفقت فخربت في شهر شوال الجاري عن يد مفرزة الكولونيل جويس عشرة كيلومتر تحت محافظة قوة الشريف فوزان بن هزاع. وتوفقت فخربت عن يد الميجر غارلند ألف قضيب بخمسة كيلومتر كما ذكر أعلاه بمحافظة قوة الشريف ناصر. فيصير مجموع ما أوقعته من الخراب في هذا الشهر خمسة عشر كيلومتراً من السكة الحديد. بما فيها الجسور والأسلاك البرقية. ولم أزل بحول الله مستمراً في تكرير هذه الضربات القاطعة ضد الأعداء. ولعل الكولونيل جويس والميجر غارلند أخبراكم بتقاير مفصلة عما وقع ـ وإن أملي في صاحب الجلالة الهاشمية أن يعيد نظر عنايته في إتمام نواقص هذا الجيش المنسي. وإن سعادتكم أيضاً تبذلون جميع اقتداركم في ذلك. كما أنني ألتمس من سعادتكم أن تتفضلوا فتعينوا حضرة الميرالاي عبد المجيد بك فريد ناظراً خاصاً لما يرد لجيشي من كافة اللوازم، وأن

تكون إقامته في ينبع البحر ليكون لطلباتي مرجعاً مؤثراً، بشرط عدم حرمانه من المكانة اللائقة على موجب شهادة مني، لأن موفقيتي مقرونة بحصول طلباتي على أسرع وأسهل واسطة. هذا ما لزم وبالختام أرجوكم قبول فائق أشواقي وتوقيراتي.

قائد الجيوش الشرقية
(التوقيع) عبد الله

FO 371/3054 (174974)

(٧٩)
(كتاب)
من الجنرال وينغيت ـ المندوب السامي في مصر
إلى السير آرثر جيمس بلفور ـ وزير الخارجية

دار الاعتماد، الرملة

الرقم: ١٧٩ التاريخ: ١٦ آب/أغسطس ١٩١٧

سيدي،

أتشرف بأن أقدم لمعلوماتكم مذكرتين عن محادثات أجريت مؤخراً مع ملك الحجاز.

لا يوجد محضر عن المحادثات في جدة في شهر أيار/مايو الماضي بين الملك حسين والمسيو بيكو والسير مارك سايكس، وقد أعرب اللفتنانت كرنل ويلسن عن بعض الشك في كيفية تفسير الملك تفسيراً صحيحاً لنوايانا الحاضرة ونوايا الفرنسيين فيما يتعلق بالترتيبات السياسية في المستقبل في كل من منطقتينا.

وأجد شخصياً أن من الصعب الاعتقاد بأن الملك حسين يظن واهماً أن أي جزء من العراق أو الساحل السوري يمكن أن يدمج فوراً بدولة عربية مستقلة. ولكن في مقابلة حديثة مع لفتنانت كرنل ويلسن أشار إلى «اتفاقية مكماهون التي أعطتني سورية والعراق (مع التحفظ المتعلق بالاحتلال الوقتي للبصرة وقسم من بغداد من قبل البريطانيين)». هذا التفسير من جانب الملك حسين لرسالة السير هنري

مكماهون غير المؤرخة، صورتها قدمت ضمن رسالته المرقمة ١٣١ والمؤرخة في ٢٦ تشرين الأول/أكتوبر ١٩١٥، لا مبرر له بكل وضوح، وأميل إلى الاعتقاد بأن آراءه، كما عبر عنها بعد ذلك للكابتن لورنس، تمثل بصورة أقرب تقديره الحقيقي للموقف.

مع ذلك يظهر أن الملك حسين يأمل بأنه، مهما يكن المستقبل السياسي الفوري للمناطق العربية خارج المنطقة المستقلة، يعتمد على تصريحات دول الحلفاء بالالتزام بمبادىء القومية لمنع الاستيلاء الرسمي للمناطق العربية، المسماة كذلك بصورة صحيحة، وبذلك يمس بفكرة الوحدة العربية ويمنع في كل وقت خلق نظام اتحادي يشمل كل العنصر العربي (الآسيوي).

وقد يكون من المستحسن تأجيل أية مباحثة جديدة مع الملك عن هذه النقاط السياسية، على كل حال حتى تعلم نتيجة المفاوضات الحالية مع الفرنسيين. ولكن علينا في الوقت المناسب اتخاذ الخطوات لتصحيح أي رأي خاطىء قد يكون لديه، أو يدعي به، بخصوص الإدارة المقبلة للساحل السوري وفلسطين وولايتي بغداد والبصرة.

إن المذكرة المتعلقة بمحادثة الملك حسين مع الكابتن لورنس عن مستقبل الخلافة لها أهمية أكثر من الأهمية الأكاديمية، لأنها دليل على طموح الملك ليكون سيد الإسلام الروحاني.

أرسلت صورة من هذه الرسالة ومرفقاتها إلى نائب الملك في الهند.

أتشرف بأن أكون، بمزيد الاحترام
سيدي،
خادمكم الخاضع المطيع
(التوقيع) ريجنالد وينغيت

(٨٠)

المرفق (١)

(مذكرة)

من الكابتن ت.ئي. لورنس
عن محادثة له مع الشريف حسين

في ٢٩ تموز/يوليو أرسل الشريف رسالة يطلب إلي الحضور لمقابلته. وخلال محادثة خاصة طويلة أبدى لي آراءه في بعثة سايكس ـ بيكو. وكانت أهم النقاط أنه رفض تماماً السماح بضم الفرنسيين لبيروت ولبنان. «فهما قطران عربيان، لكنني لا آخذهما أنا نفسي ولا أسمح لأي أحد آخر أن يأخذهما. فقد استحقا الاستقلال، ومن واجبي أن أؤكد حصولهما عليه».

وقال إنه رفض البحث بصورة مفصلة في الحدود لأن المعارك بين تركية والحلفاء ما زالت مستمرة، وكل القرارات التي تتخذ الآن لا بد من تعديلها وفقاً للنتائج الفعلية للحركات العسكرية التي يجب أن تكون فيها حرية العمل المطلقة. «إذا ظهر من المستحسن فإننا نطارد الأتراك إلى الآستانة وأرضروم ـ فلماذا إذن نتكلم عن بيروت وحلب وحائل؟».

وهو (أي الملك) مسرور جداً لأنه أسقط المسيو بيكو في شرك الاعتراف بأن فرنسة سوف ترضى في سورية بالوضع الذي تريده بريطانية العظمى في العراق. ويقول إن هذا يعني احتلال البلاد موقتاً لأسباب استراتيجية وسياسية (مع احتمال منح الشريف منحة سنوية عن التعويض والاعتراف) وعن امتيازات في الأشغال العامة. «كنت مستعداً بدون أن يطلب مني ذلك للمحافظة على مصالحهم في السكة الحديدية الموجودة ومساعدة مدارسهم. لكن الحجاز وسورية مثل راحة اليد الواحدة وأصابعها، ولم يكن في إمكاني أن أوافق على قطع أي أصبع أو جزء من الأصبع دون أن أترك نفسي معوقاً».

وأشار الشريف في الختام إلى قصر المحادثات وعدم رسميتها وفقدان الوثائق الكتابية وحقيقة أن التغيير الوحيد في الوضع الذي سببه الاجتماع هو تنازل الفرنسيين عن أفكار الضم والاحتلال الدائم أو السيادة على أي قسم من سورية.

«لكننا لم نضع ذلك في معاهدة رسمية لأن الحرب لم تنته. وإنني إنما أفصحت عن قبولي لمبدأ «مثل البريطانيين في العراق» المقترح عليّ من جانب المسيو بيكو لأن السير مارك سايكس أكد لي أن ذلك يكون خاتمة مرضية للمباحثة».

(التوقيع) ت.ئي. لورنس، كابتن
جدة، ٣٠ تموز/يوليو ١٩١٧

FO 371/3054 (174974)

(٨١)

المرفق (٢)

(مذكرة)

من الكابتن تي.ئي. لورنس

عن مقابلة مع الشريف حسين بتاريخ ٢٨/ ٧/ ١٩١٧

شرح شريف مكة بصورة مطولة للكرنل ويلسن أمامي وضعه العقائدي. بدأ كلامه بتلخيص العقائد الأساسية للمذهب الوهابي، صفاؤه، تحرره، وزهده. بعد تغلب المصريين على نجد تناقص سريعاً عدد المنتمين إلى المذهب وحماستهم، حتى إنه في السنوات الأخيرة انحصر فعلاً في العارض. والعشائر الرحالة: الوشم والقصيم، ضعفوا حتى أصبحوا سنيين فعلاً.

قبل أربع سنوات حصل انتعاش مفاجىء. والشريف يشك فيما إذا يمكن أن يعزى ذلك إلى آل سعود أم لا. وعلى كل حال حصل على الأموال من جهة ما، والدعاة الوهابيون ذهبوا إلى القصيم بين العتيبة والمطير والسبيع وإلى مكة والطائف. وكانت العقيدة الأولى للدعاة الجدد هو أن السنيين المحافظين والشيعة (وخصوصاً الشيعة) هم كفار. وأدين أمير مكة بأنه كافر مثل الأتراك. والجانب البناء من المذهب الجديد غريب: فقد نادوا بالقدرية المبالغ فيها (القضاء والقدر). «والله يعمل كل شيء». ومنعوا الطب للمرضى وخذلوا التجارة والبناء والنظر في العواقب. ومن أقوالهم المأثورة: «إذا سقط رجل في البئر فاتركوا الأمر لله يرفعه».

كان الدعاة في بادىء الأمر ناجحين بدرجة كبيرة، فذعر الشريف لما يحتمل أن

يكون. فأرسل سيدي عبد الله بسرعة إلى نجد، وبإظهار القوة استرجع العتيبة ومعظم عشيرة المطير، وضمهم مجدداً إلى إمارة مكة. ويظهر أنه قام أيضاً باتخاذ الخطوات للدعوة بمعارضة العقائد الجديدة في نفس القصيم، ولم يمض وقت طويل حتى ظهرت الحركة الوهابية الثانية وكأنها قد تقوضت. غير أن الحقيقة أنها لم تكن إلاّ ساكنة، وفي السنة الأخيرة أو نحوها صار الدعاة يخرجون مجدداً من العارض ويحركون المناطق المجاورة.

لقد زاد ابن سعود الاضطراب بسياسته العسكرية. استدعى محاربيه مرتين أو ثلاث مرات في السنة، مفرقاً بين بلد وآخر. فمن أحد البلدان يطلب تقديم رجال ومن آخر يطلب أداء نقود. وهذه أزعجت خصوصاً عَنيزة وبريدة والرسّ، وهي بلدان غنية ومرتاحة تحب الحرير والدخان ولا تعنى كثيراً بالصلاة. وأصبح نفورها شديداً، ويرى الشريف ذلك ارتباكاً لأن مطامعه امتدت إلى حدود عتيبة والمطير فقط ولا رغبة له في التدخل في أي موضوع يتعلق بالسيادة على مدن القصيم. وفي الوقت الحاضر يوجد انقسام شديد بين العارض والقصيم، وكل تشجيع خارجي أو عمل داخلي غير حكيم قد يلهب القضية ويحدث انشقاقاً علنياً.

ثم سألنا الشريف عن وضع الشيعة، فقال إنهم معادون كل العداء للوهابيين، وفيما عدا ذلك لا يستطيع أن يرى فيهم أية سياسة خاصة. وهم يحبون آله لأن الشيعة يكنون احتراماً لشخص الرسول أكثر من السنّة. والبعض كالزيود (الزيدية) والجعفرية، في رأيه، أكثر تعقلاً في موقفهم من الشوافع الذين يعارضونهم. ومعارضة الحنفيين للشيعة سياسية وليست عقائدية.

وهو مثل جميع المسلمين المحافظين ليس مستعداً لإنكار خلافة أبي بكر ويرى الشيعة الذين يتهمون أبا بكر وعمر وعثمان مخطئين. وشيعة الهند في الغالب زنادقة في آرائهم مثل الكثيرين من أصحاب المذاهب الفارسية.

(الشريف في الظاهر شافعي، وفي هذا الصدد يتخذ موقفاً وسطاً بين الشيعة والسنّة المعتدلين. والمعتقد عموماً أن معتقداته الحقيقية زيدية. سيدي عبد الله يكاد يكون شيعياً حقاً من الفئة الجعفرية. سيدي علي سنّي وهو حقاً ذلك. سيدي فيصل ليس متمسكاً بالشكل الديني ويميل إلى وضع غير معين عقائدياً، وربما كان شيعياً أكثر من سنّي، لكنه غامض. وكلهم يتخوفون من فضح

وضعهم الحقيقي حتى لأصدقائهم، ويظهرون أمام الناس تمسكهم بالمذهب الشافعي دون التزام).

ثم ذكرت للشريف أن عرب الشمال يدعونه عموماً أمير المؤمنين وسألته هل هذا اللقب صحيح وهل يوافق عليه. بعد تفكير قليل قال: لا، ثم شدد من رفضه نهائياً بعد ذلك. قال إن الناس ينسبون إليه مطامع لم يكن يحملها، وقد سمع حتى كلاماً عن إحيائه للخلافة. وشرح موقفه بخصوص الخلافة، وهو ببساطة موقف الشيعة (سبق أن أوضح لي بشدة من قبل فيصل وعبد الله)، وذلك أن الخلافة انتهت بأبي بكر، وكل بعث للفكرة اليوم ليس سخيفاً فحسب بل هو كفر. إنه لن يقبل مطلقاً بمثل هذا الرأي. (سيدي عبد الله أضعف من أبيه في هذا الخصوص. فإذا رأى فائدة من الجانب السنّي في الفكرة فقد يعمل بها ويقطع خسارة العنصر الشيعي. لكن بحسب الظروف الحاضرة فلو كان القرار في يده فلا يحتمل أنه يتخذه). قال الشريف إن الخلافة الإسلامية اقترحها البريطانيون على (السلطان) عبد الحميد واستغلها هو كعصاة يضربنا بها. ودعاتها اليوم هم عُبيد الله وعبد العزيز جاويش والشيخ أرسلان (الأمير شكيب) وأسعد الشقيري، وهم أربعة أوغاد لا يملكون ذرة من صدق الإسلام فيما بينهم، وحاملها الاسمي سلطان الأتراك موضوع سخرية يستوجب الرثاء. إن التدخل كان قاتلاً للإسلام، فقد جرت المحاولة لتحرير الدين وجعله نظرية سياسية مما سبب الاضطراب في تركية وبلاد العرب ومصر وشمال أفريقية وجاوة والهند والصين. لقد أغرقت تركية في الحرب الحاضرة وسببت الثورة العربية، ومثل هذه الأمثولة أمام عينيه. وبالنظر إلى سياسته الخاصة بالصداقة مع بريطانية العظمى فإنه لا يستطيع الاعتراف بخلافة خليفة آخر ولا أن يتقلدها بنفسه ولا يقر بوجود الفكرة.

إن لقب أمير المؤمنين هو لقب يتخذه مسلم مخلص في إيمانه، فهو لا يدعي بخلافة للنبي، لكنه معترض عليه سياسياً بالنظر إلى كلمة «أمير». فلا فائد في الإمارة بدون قوة أو ادعاء إصدار الأوامر لا لفرقة أو بلد أو بلدين بل للعالم الإسلامي. والتقسيم الرئيسي للشيعة والسنّة يجب أن يتحد تحت هذا اللقب، لكن الفرق الصغرى، وخصوصاً الجماعات الغريبة في الهند وأفريقية سوف تستاء من معنى فرض السلطة فضلاً عن الدول الكبرى بلا ريب.

إن سياسته الإسلامية تقوم على توفير الحفاظ الشريف على الأماكن المقدسة في مكة والمدينة وتيسير الحج وإصدار الفتاوى والقرارات الشرعية حسبما هو مطلوب. إن العالم الإسلامي يجب أن يكون له رئيس، لكن الفكرة تكون أقل إثارة للعواصف إذا كان الرئيس هو شريف مكة وأميرها الذي يضع حقه على أساس الامتلاك الصحيح للأماكن المقدسة والسلالة الصحيحة، ليس على سلطة دينية مفترضة، بل موروثة عن سلسلة متصلة من الخلفاء. ولثورته على الأتراك غرضان: الأول غرض سياسي وهو تحرير العالم العربي من السيادة التركية. وهذا الغرض سوف يحققه دون مسألة عقيدة: فالمسيحي والدرزي والشيعي والسنّي يلتقون على أساس واحد من الوطنية في تحقيق الهدف. والسبب الثاني ديني، إسلامي خالص في صفته، وهو أن يقدم للعالم الإسلامي عاهلاً مستقلاً يحكم في الأماكن المقدسة، من الأسرة الشريفية التي تكون دعواها لقيادة الإسلام الروحية المادية (المال، البواخر، المدافع) تجعله فوراً مقبولاً لدى الدول المسيحية، ويطهر الإسلام من الفكرة الجنونية التي هي حكومة مرتبطة بصورة وقتية برئيس وحيد معصوم. وفكرته تقوم على مدينة روحانية لا دولة دينية. ولأجل تحقيق هذه الغاية، يجب أن تكون له سلطة زمنية كافية، حرة من الرقابة الخارجية، لإثبات مدعياته بالمقدرة السياسية، ويجب أن تكون خالصة من نظريات السلطة المتسلسلة التي أغرقت تركية والسنوسي وعلي دنيار في حملات الجهاد الانتحارية. وسوف يحمل سلطته الزمنية كملك للأقطار العربية وسلطته الروحية كأمير مكة.

ورأيي الشخصي أن لقب أمير المؤمنين لا يكون ممقوتاً لديه إذا لم يتسنمه بنفسه، بل جاءه تعظيماً من أتباعه. وهو يستعمل عموماً اليوم من قبل العشائر من الكاف إلى القنفذة. ويظهر أنه يكون مقبولاً لدى شيوخ سورية المدنية. واعتراضه الحاضر على أن اللقب يتضمن سلطة القيادة في الإسلام لا يثبت لأنه من العدل أن يفسر بمعنى عقائدي فقط.

فيما يتعلق بالخلافة فإن المقت المخلص الذي عبر عنه بشأن ادعاءات عبد الحميد الزائفة، واعترافه نصف المستور بالعقائد الشيعية، هو نفسه جعلني متأكداً أنني لا أرى أن كل المغريات العالمية تقنع الشريف حسين بالسير خلاف مبادئه. وأمانته الشفافة وقوة قناعته (بينما هي تمنعه من التمييز بين هواه ومبدئه) سوف تضمن على كل حال أن يكيف مسلكه تماماً وفقاً لكلمته الموعودة. ويكون من السهل التأثير عليه لاتخاذ قرار، لكن متى قرر أمراً في فكره فيكون من العسير

محاولة حمله على تغييره.

ويظهر أنه يأمل، بتجاهل انحلال الإسلام سياسياً، أن يستطيع تركيز اهتمامه على خلافاته العقائدية وعمل شيء للتخفيف من الاحتكاك بين المذاهب. ويكون نداؤه أن يجتمع السنة والشيعة المعتدلون معاً تحت رئاسته وأن يحاولوا كبح المتطرفين في مجتمعاتهم.

(التوقيع) تي.تي. لورنس، كابتن
جدة ٢٩ تموز/يوليو ١٩١٧.

FO 141/783/5317

(٨٢)
(كتاب)
من الكرنل ويلسن ـ المعتمد البريطاني في جدة
إلى الملك حسين

خصوصي التاريخ: ٢٧ آب/أغسطس ١٩١٧

إلى عظمة ملك الحجاز والشريف الأمير وأمير مكة

سيدي العزيز،

أتشرف بأن أرسل إليكم برفقة هذا بعض الانطباعات التي حصلت عليها حين كنت في مصر لمعلومات عظمتكم الشخصية، وأنا أكتب هذا الكتاب لأنني، طالما أتشرف بصداقة عظمتكم وثقتكم، أعتبر من واجبي كصديق مخلص أن أقدم لعظمتكم كل ما أستطيع تقديمه من معلوماتي وأن أكتب بصراحة وحرية.

أخبرني موظفون بريطانيون كبار في مصر أن الشعور الإسلامي العام قد تغير كثيراً نحو عظمتكم والحركة العربية. وأرسل لعظمتكم بصورة خصوصية صورة مذكرة رسمية عن الموضوع كتبها، قبل أن أصل إلى مصر، موظف بريطاني كبير هو مؤيد شديد لقضية عظمتكم.

من كل ما سمعته في مصر، يؤسفني أن أخبر عظمتكم بأنني لا أعتقد أن ممثل

عظمتكم الحالي في مصر هو ملائم تماماً للمنصب الشريف الذي يتولاه، ويؤسفني أن أقول إنني لا أعتقد أنه يعود على قضية عظمتكم بفائدة، بل على العكس هو ضار، ويمكن أن يعزى إليه قسم من شعور المسلمين الحاضر في مصر[1].

من المعلوم في القاهرة أنه تحت نفوذ رشيد رضا كلياً، وكثيرون من العرب السوريين المعروفين لا يحبون الاتصال به كثيراً لهذا السبب. وقد علمت من مصدر جيد أنه أيضاً يحب كثيراً الاجتماع بنساء من طبقة معينة، وذلك مما لا يعود على وكالة عظمتكم في القاهرة بسمعة حسنة أو يجعله محترماً، بالصورة التي أعتبر أن ممثل عظمتكم يجب أن يكون عليها.

أنا شخصياً أود شريف الفاروقي، لكنني أتجاسر فأقترح على عظمتكم أن مصالحكم ومصالح القضية العربية تخدم أحسن كثيراً إذا عين رجل أكبر سناً وأكثر خبرة ممثلاً لكم في مصر. فشريف الفاروقي ضابط رشاش مدرب، وكان ضابط ركن في الجيش التركي، وله سمعة طيبة كضابط، فأرى أنه يكون أكثر فائدة في أركان أحد الأمراء إذا قررت عظمتكم استبداله في القاهرة برجل آخر.

يبدو لي أن إحدى الحجج الرئيسية التي يقدمها المسلمون، ليس في مصر فحسب بل في الهند وأماكن أخرى، ضد الحركة العربية هي أنه في الوقت الحاضر لا يظهر للعموم وجود أي اتحاد بين الزعماء العرب، واثنان منهم، الإمام يحيى وابن الرشيد، يحاربان إلى جانب الأتراك ضد إخوانهم العرب.

إن حكومة صاحب الجلالة كما تعلمون عظمتكم، ترى الوحدة بين الزعماء العرب ذات أهمية عظمى إذا أريد استعادة أمجاد الأمة العربية السالفة، ولهذا السبب أراني مسروراً بمجيء والد ابن سعود لزيارة عظمتكم لأجل الحج، لأن لطف عظمتكم وكرمكم معروفان، وحين يعود عبدالرحمن (والد ابن سعود) إلى بلاده بعد أن يكون ضيف عظمتكم المكرم، ويتمتع بضيافتكم، فإن ذلك ولا ريب يساعد القضية العربية كل المساعدة ويثبت للعالم الإسلامي أن ابن سعود متفق تماماً مع عظمتكم ومع القضية العربية.

إننا على علم برأي عظمتكم في الإدريسي، ولكن إذا سمحتم لي بتقديم اقتراح آخر فأقول أن ترسلوا إليه برقية ودية وتدعونه إلى إرسال ممثل عنه إلى مكة لحضور

---

(١) المقصود هنا هو محمد شريف الفاروقي.

الحج. السيّد مصطفى هو الآن في عسير، وإذا التقى بوالد ابن سعود في مكة فإنني واثق أن الكثير من سوء التفاهم الحاضر يزول لأن ابن سعود والإدريسي كليهما لهما معاهدات مع بريطانية العظمى. وصدّقني، يا سيّدي العزيز، أن قضية عظمتكم تستفيد كثيراً في كل الأقطار الإسلامية إذا قام الدليل بأن هذين الزعيمين العربيين كليهما على اتفاق معكم.

لقد منحتموني عظمتكم شرف صداقتكم وثقتكم، وأنا أكتب هذه الرسالة على اعتقاد بأنني حائز على صداقتكم وثقتكم الشخصية كلتيهما، والنتيجة يجب أن تترك لقرار عظمتكم ، لكنني أعرض بكل جد واحترام هذه المقترحات التي تجاسرت على تقديمها بصورة خصوصية لأنظار عظمتكم، لأن الغرض الوحيد من وجودي هنا ممثلاً لصاحب الجلالة هو بذل قصارى جهدي لمساعدة قضية عظمتكم وقضية الحرية العربية.

وتفضلوا، يا سيدي العزيز، بقبول سلامي المخلص واحترامي وتمنياتي الطيبة لطول عمر عظمتكم وسعادتكم.

المخلص لكم جداً،
ويلسن باشا

من الوكالة البريطانية، في جدة

٢٧ آب/ أغسطس ١٩١٧

FO 141/783/5317

(٨٣)
(مذكرة)
مصر والحركة العربية

التاريخ: ١٤ آب/ أغسطس ١٩١٧

(مذكرة)

يستمر الرأي الإسلامي في مصر كمجموع في أن يكون غير مبال بالحركة العربية للاستقلال. لا يملك ملك الحجاز سوى عدد قليل من المؤيدين المتحمسين، خصوصاً بين العرب العثمانيين، ولكن لا يملك أي حزب ذي أهمية

كافية للتأثير في الرأي العام ولكسب مؤيدين أقوياء. وأقلية ذات نفوذ من المصريين الأتراك الأصل تعارض معارضة شديدة حكومة الشريف في الحجاز. ومع أنها في الوقت الحاضر تخاف أن تبرز عداءها علناً، فإنها لا تفوت فرصة للهزء بالحكومة العربية الجديدة ووصم حاكمها بأنه مغفل سياسي وثائر. وهناك مع الأسف ما يدعو إلى الاعتقاد بأن نفوذ هذه الأقلية الصغيرة المنتقدة يتدخل في رأي جمهور المسلمين في مصر الذين، بعد احتلال العرب لجدة ومكة والطائف، اتخذوا موقفاً يتسم بالتوقع الودي وأصبحوا عرضة للدعاية الموالية للعرب والشريف. يبدو كمثال بارز لموقف المسلمين بمصر من عدد المستعدين للذهاب إلى الحج. كان مجموع عدد الحجاج المسافرين من مصر قبل الحرب بين ١٠٠٠٠ و١٢٠٠٠. أما في سنة ١٩١٦، بعد إنشاء الحكومة العربية الجديدة، كان العدد يبلغ نحو ١٠٠٠. وفي هذه السنة (١٩١٧) بلغت الطلبات ٧ من الدرجتين الأولى والثانية و١٦٠ من الدرجة الثالثة فقط.

ونبدي أن الأعضاء والمنتمين إلى الحركة العربية للاستقلال وحكومة الشريف نفسها، لا يستطيعون إلا أن ينظروا إلى هذه الحالة بعدم رضا شديد. ويمكن القول إن رأي المسلمين المصريين لا يمثل أحداً بل هو فاسد، ولكن لا يمكن النظر إليه بأنه لا يؤثر ولا أهمية له. إن ملك الحجاز بالنسبة لأكثرية المصريين يمثل الحركة العربية، وموقفهم تجاه هذه الحركة يتوقف في نهاية الأمر على نجاح أو إخفاق المملكة الجديدة ودولة الحجاز.

إن الرأي العام في مصر مثقف بما فيه الكفاية لفهم الخطوط العريضة للحالة السياسية والعسكرية الحاضرة في الشرق الأدنى ليتحقق من الاختلال القريب للإمبراطورية العثمانية القديمة وليقدر أن القوة العسكرية لحلفاء العرب الأوروبيين تستطيع أن تضمن المستقبل السياسي لهؤلاء العرب. والدعاية السائدة في مصر ضد العرب تناقش بصورة ماكرة، فهي لا تقول إن العرب لن يحققوا فرصة الاستقلال، بل إنهم، من ناحية المزاج وغيره، غير قادرين على استعمال هذه الحرية متى حصلوا عليها. وترى أن زعماء العرب لن يعترفوا بسيد وحيد ولن يتحدوا حتى ضد عدو مشترك، وإن فكرة قيام حكومة عربية مستقرة وفعالة

ملاحظة بخط اليد: إلى الدائرة، ترجم هذا إلى العربية وأرسل بصورة خصوصية من قبل الكرنل ويلسن إلى الملك حسين. صورة من الترجمة أعطيت أيضاً إلى المكتب العربي.

حسب الآراء الحديثة، إنما هو خيال لا يمكن تحقيقه. وإخفاق الملك حسين المزعوم في الحصول على انضمام كبار الزعماء الإقليميين للجزيرة العربية يذكر للدلالة على أن حكومته مخلوق مصطنع خلقته سياسة الدول الحليفة ولن يكون قادراً على ممارسة تأثير عام خارج الحدود الإقليمية سواء كان أدبياً أو سياسياً.

وفي ضوء الوضع الحاضر في الحجاز، كما هو معلوم لدى العامة، إن العرب وأنصارهم في مصر يجابهون صعوبة عظيمة في مواجهة هذه الدعاية الماكرة التي يبثها أعداؤهم. فالحامية التركية لا تزال تقاوم في المدينة، والسكة الحديد إلى سورية لا تزال في أيدي الترك، والحكومة الجديدة في مكة مشغولة بالشؤون العسكرية ولا تزال غير منظمة. والعلاقات بين الملك حسين والزعماء العرب الأصغر منه، وحتى أولئك الذين هم ضد الأتراك علناً، هي علاقات غامضة. ولم تظهر علامات جديرة بالذكر للتعاون الودي والاتفاق بين الفئات العربية المختلفة سواء فيما يتعلق بالسياسات الحاضرة أو المقبلة. ومن الناحية الثانية تقول الإشاعات إن ابن سعود والإدريسي والزعماء الآخرين دونهما يرون بخوف عظيم توسع القوة العسكرية للملك حسين وهم يحتفظون بقواهم، التي يمكن توجيهها بفائدة عظيمة ضد العدو التركي المشترك، لئلا تمس الحاجة إليها لحماية أراضيهم من التدخل أو الاعتداء من جانب ملك الحجاز في المستقبل.

وهناك مع الأسف أسباب للاعتقاد بأن هذه الأمور الغامضة تؤثر تأثيراً كئيباً في جهات كثيرة، حيث كان الاعتقاد سائداً بقوة من قبل في الوحدة الضرورية والقدرة المحتملة للعنصر العربي.

ومن الواضح أن انقلاباً صالحاً للوضع العسكري في فلسطين والحجاز وطرد الأتراك من المدينة وسكة حديد الحجاز، يهيىء صداً فعالاً جداً لتيار الدعاية المتصاعد ضد العرب، وكل جهد عسكري يجب أن يركز لتحقيق ذلك. ولكن في الوقت نفسه وفيما عدا التدابير العسكرية، ثمة شعور بأنه يمكن عمل شيء أكثر من السابق لتحييد وتكذيب الدعاية المعادية. ويجب أن نتذكر في هذا الصدد أن عملاً من جانب حكومة الحجاز، سواء كان مباشرة أو عن طريق ممثليها، يكون أشد أثراً من أعمال دعاية تنظمها وتديرها حكومة أجنبية أو حليفة.

نشرت الصحف البريطانية والفرنسية مقالات عديدة في امتداح الثورة العربية، والوكالات الرسمية المختلفة ناشطة في نشر أمور مفيدة للقضية العربية وحذف

الدعاية المضادّة من الصحافة. ولكن، فيما عدا انتشار جريدتها الرسمية «القبلة» (التي عملت وما زالت تعمل عملاً طيباً)، يظهر أن حكومة الحجاز لم تبذل سوى القليل من الجهد لتجنيد خدمات الكتاب والصحفيين المسلمين البارزين لتأييدها.

وحسبما يعلم حتى الآن لم تجر محاولة منظمة من مكة لكسب رأي طبقة العلماء في مصر وغيرها، وكانت النتيجة أن نفوذ الأزهر والمعاهد الكبرى الأخرى الثقافية والدينية يستخدم في الغالب لنشر أفكار مضادة للشريف والعرب، وهي تشك علناً في مستقبل مملكة الحجاز.

وأخيراً، وربما أهم من كل ذلك، يظهر أنه لم تجر محاولة لإثبات حقيقة الوحدة العربية في داخل جزيرة العرب. ومن المشهود أن بعض الزعماء، وخصوصاً يحيى إمام اليمن وابن الرشيد، هم موالون للأتراك وقد رفضوا القتال في سبيل القضية العربية. لكن هناك زعماء آخرين عديدين أعلنوا على الملأ شعورهم ضد الأتراك، ومنهم من له ترتيبات تعاقدية مع بريطانية العظمى، وهم، كما يعتقد، على استعداد للمشاركة في القضية مع الملك حسين. وإذا كان الملك حسين، بسبب اختلاف السياسة أو الخصومات المحلية حول الحدود أو لأي سبب آخر، لا يستطيع الحصول على المساعدة الحقيقية والفعالة لهؤلاء الزعماء بنفوذه ودبلوماسيته الشخصية، وبدون اللجوء إلى التهديد أو القسر، فإنه يظهر حقاً أن مستقبل العرب السياسي غامض، ويبقى الاتحاد النهائي للعنصر العربي مشكوكاً فيه.

١٩١٧/٨/١٤

FO 371/3061

(٨٤)

(برقية)

من السير برسي كوكس (بغداد)
إلى وزير الهند (لندن)

الرقم: ٤٠٣٥ — التاريخ: ٢٨ أيلول/ سبتمبر ١٩١٧

كان أملي أن بعثة ستورز المزمع إرسالها في حزيران/ يونيو الماضي، وذهاب

الأخير إلى الشريف مع رسول ابن سعود، سيكون له أثره في تبديد جو عدم الثقة السائد في أوساط الشريف، وفي تمكيننا من أن نقرر فيما إذا كانت هنالك أية وسائل نستطيع بها أن نجعل ابن سعود مفيداً بصورة أكثر فعالية. ونظراً لأن المشروع قد فشل لسوء الحظ، فلم يكن من الحكمة تكرار التجربة مع موظف آخر في ذلك الموسم. ولكننا الآن نقترب من نهاية الطقس الحار، وإن الموسم الحالي مناسب لإعادة النظر في الوضع وإحياء المشروع إذا ظهرت إشارة إلى ذلك المنهج.

إن التقرير الذي ورد في النشرة العربية المرقمة ٥٣ عن ابن سعود ليس منصفاً بحقه، حتى في بعض النقاط المتعلقة بالحقائق، ولكن الملاحظات التالية في النشرتين المرقمتين ٥٩ و٦٠ تزيل إلى حد كبير الانطباع غير المرضي، وتبين أن موقف عدم الثقة من جانب الشريف وأبنائه ليس له ما يبرره. وبالمناسبة فإن تناقض تصريحات الشريف المنقولة في الصفحات ٣٣٣ و٣٤٦ على التوالي، في موضوع أعمال الشريف عبد الله في نجد في سنة ١٩١٤ تظهر عدم مصداقية الشريف من تلك الناحية. وعلى أي حال، فإن زيارة والد ابن سعود إلى مكة لا بد أن تؤدي إلى تفاهم أفضل.

أما فيما يتعلق بالمعلومات الواردة من عدن، فسيلاحظ أنها جمعت بصورة غير مباشرة، نقلاً عن المصادر التركية التي ترغب، بطبيعة الحال، في تقديم أسوأ انطباع ممكن عن ابن سعود. إضافة إلى ذلك، فإنني ألاحظ من تقرير عدن الأصلي أن مرور الأموال المشار إليها قيل إنه حدث «قبل نشوب القتال في الحجاز»، فإذا كان الأمر كذلك، فإن التقرير لا علاقة عملية له بموقف ابن سعود منذ تصريحه علناً بولائه لنا في تشرين الثاني/نوفمبر الماضي.

على أنه من الممكن، مع ذلك، أن يشير التقرير إلى البعثة التي ذكرت في برقيتي المرقمة ٧٦٦، بتاريخ ٣١ كانون الثاني/يناير إلى عنوان المكتب [العربي]. ويبدو أن السيد محمد عبدالله يماني كان من هذه الجماعة. إن الخبر عن وصول هذه البعثة إلى القصيم بلغ الكويت مع قافلة في منتصف كانون الأول/ديسمبر، في الوقت الذي كان فيه ابن سعود لا يزال تحت تأثير رحلته إلى بلده عن طريق البحرين بعد زيارته إلى البصرة. وكان أول عمل قام به بعد وصوله أن أرسل إليّ الرسائل الأصلية (المشار إليها ببرقيتي) التي وجدها بانتظاره. ولما كتبت إليه أن يحذر من عبدالله يماني، أجاب مقترحاً أن يرسل إليّ مندوباً لإعطائي معلومات أكمل.

ويبدو واضحاً من مضاهاة التواريخ أن عبدالله يماني وجماعته لم يتصلوا بابن سعود نفسه، إذ إنهم مروا عبر القصيم قبل وصوله إلى الرياض. فإذا كانت كمية من أوراق النقد التركية وبضعة ألوف من الليرات قد مرَّت، كما هو ممكن جداً، فلا بد أن يكون ذلك راجعاً إلى تهاون أو موافقة موظفي ابن سعود في القصيم الذين لا يستطيع أن يعتمد على ولائهم.

وفيما يتعلق بما جاء أعلاه، فسيلاحظ مما سيلي، أن ابن سعود يواجه مهمة عسيرة جداً في الظروف الحاضرة، في الحفاظ على وحدة العشائر.

وقبل بضعة أسابيع أرسل إلينا من البحرين طلباً عاجلاً لإرسال طبيب، بسبب الاشتباه في ظهور وباء في الرياض. ونظراً لعدم توفر طبيب بريطاني، وعندما عرض الطبيب الأميركي هاريسن ـ الذي أثق فيه ـ أن يذهب، فقد وافقت على ذهابه.

وهو قد عاد الآن، وفيما يلي خلاصة الأنباء التي لديه:

إن ابن سعود يبدو مرتاحاً جداً لما قمنا به تجاهه، ولم يكن لديه ما يقوله عنا سوى المديح، ولكنه كان يواجه عرقلة كبيرة ويجد نفسه منشغلاً بمهمة عسيرة وهي توحيد صفوف عشائره، وهو يعتقد أننا لا ندرك هذا. إنهم يكرهون استمرار ضغط الحرب والقيود القاسية التي فرضت على تجارتهم وبالنتيجة فإن المشاعر العامة في نجد ليست في الواقع إلى جانبنا. وإنه على الرغم من عدم وجود كلام صريح ضدنا بفضل موقف ابن سعود الموالي لنا، فليست هنالك مع ذلك كلمة تقال لصالحنا.

وبالمناسبة فإن إخفاقنا (لأسباب معروفة) منذ احتلالنا بغداد، في فتح طرق الحج والسماح بالتجارة الحرة، أمران غير مفهومين، وقد أديا إلى خيبة في الآمال، وإلى تعليقات ضدنا.

صعوبة أخرى يواجهها ابن سعود هي أن الأموال التي يغدقها الشريف على العشائر من مساعداتنا الوفيرة قد أفسدت السوق بالنسبة له، إذ لا يستطيع أن ينافس في هذا الشأن ويجد صعوبة في إبقاء الشيوخ التابعين له راضين.

إن قيمة ابن سعود المحتملة من الناحية العسكرية لم يبالغ في تقديرها هنا، وهو نفسه أكد أنه ما لم يساعد بالمدفعية والرجال فإنه ليس في وضع يمكنه من محاولة الاستيلاء على حائل. في كانون الثاني/يناير الماضي أعتقد أننا كنا متفقين جميعاً أنها

ستكون سياسة مغلوطة أن ندفعه إلى تبني أي مشروع يفوق طاقته وقد يؤدي به إلى كارثة. ومع صحة كوننا زودناه بثلاثة مدافع رشاشة ومدفعين جبليين، فإننا مع ذلك كنا غير قادرين على تزويده بأي رجال من هنا، وبدون ذلك فإن فائدتها كانت مشكوكاً فيها. وباختصار، إن من الواضح أننا إذا تطلبنا أن نجني منه مزيداً من الفائدة العسكرية فعلينا أن نعالج الموضوع بجد، ونعيره بطارية مصرية أو هندية مع رجال لتشغيلها له. وإنني شخصياً أشك في أن الأمر يستحق كل ذلك، ولكن مصر قد ترى غير هذا الرأي.

وعلى أي حال، أعتقد أنه سيكون من مصلحة الجميع إذا أرسلنا إليه الآن بعثة تتألف من ضابط سياسي من هنا، وآخر من مصر تكون آراؤه محل ثقة الشريف، مع ضابط ركن ـ والأفضل أن يكون من صنف المدفعية ـ يستطيع أن يشاهد البلاد وأرضها ويقدم توصياته على ضوء الإمكانات العملية. وإذا قدمنا له ما يقل عن مثل هذه المساعدة المادية والرجال، فإننا قد نستطيع الاعتماد على ولائه في أن يقوم بأفضل ما يستطيع، اعتماده على المخصصات التي نمحنها له، في الحفاظ على وحدة عشائره، ومضايقة أتباع ابن الرشيد وإغرائهم كلما سنحت الفرصة، ولكنني لا أعتقد أننا نستطيع أن نتوقع ما هو أكثر من ذلك. أرسل ما جاء أعلاه بموافقة قائد الجيش.

FO 371/3042 (198067)

(٨٥)

(كتاب)

من السير ريجنالد وينغيت ـ المندوب السامي في القاهرة
إلى السير آرثر جيمس بلفور ـ وزير الخارجية

دار الاعتماد

الرملة

الرقم: ٢٢٨ التاريخ: ٢ تشرين الأول/أكتوبر ١٩١٧

سيدي،

أتشرف بإعلامكم أنني سمعت من مصادر متعددة أن ملك الحجاز حريص على

أن يحصل في أول فرصة ملائمة على اعتراف رسمي من الولايات المتحدة الأميركية بالحكومة الحجازية الجديدة.

ذكرت ذلك في حديثي مع القائم بالأعمال الأميركي هنا، فأبدى رأيه الشخصي أن ذلك يكون مخالفاً للمصالح المبدئية التي تتبعها حكومته رسمياً بالاعتراف بتغيير وضع إقليمي بنتيجة الحرب. وأشار إلى أن حكومته لم تر من الملائم تعيين خلف للقنصل العام السابق في مصر كمثال لهذا المبدأ، ولاحظ أن حالة حرب لا تقوم الآن بين الولايات المتحدة وتركية.

أقترح أن يعرض الموضوع على واشنطن إذا رغبت، ولكن بالنظر إلى المعلومات التي قدمها لي لم أر من المناسب ملاحقة الأمر أكثر من ذلك. وفي الوقت نفسه إنني واثق أن الأثر السياسي لمثل هذا الاعتراف يكون حسناً لدى العرب وفي العالم الإسلامي عامة، إذ إنه يضيف كثيراً إلى نفوذ الملك حسين ومملكة الحجاز الجديدة.

أتشرف. . . إلخ

(التوقيع) ريجنالد وينغيت

FO 686/37

الأصل العربي[1]

(٨٦)
(كتاب)
من المعتمد البريطاني في جدة
إلى الملك حسين

الرقم: التاريخ: جدة ٨ تشرين الأول/أكتوبر ١٩١٧

صاحب السيادة العظمى جلالة ملك الحجاز وشريف مكة وأميرها المعظم

(١) المراسلات التاريخية، مصدر سابق، ص ١٤١ ـ ١٤٢.

سيدي وعزيزي

أتشرف برفع ألوية الثناء والشكر لجلالتكم على خطابكم رقم ٦ تشرين الأول/أكتوبر وعلى إرسالكم خطاب سمو الأمير فيصل إلينا للاطلاع عليه، وهو مرسل طي هذا. وأملي وطيد في وصول سمو الأمير زيد إلى الوجه بكل سرعة الآن. ولقد أسفت جداً على وصول بعض الإشارات البرقية محرفة، وأحيط علم جلالتكم أن كثيراً من الإشارات التي ترد إليّ هي من هذا القبيل أيضاً. وإني لفي استعداد لطلب إعادة الإشارة أو الجزء من الإشارة البرقية التي حصل فيها التحريف أو الخطأ بمجرد إشارة من كاتم أسرار جلالتكم.

أما من جهة النقود فقد أجري التوزيع على حسب رغبة جلالتكم. ثم إنه قد ورد في خطاب جلالتكم رقم ٢ تشرين الأول/أكتوبر الجاري طلب زيادة الإعانة للأمير فيصل وباقي الأمراء. وقد جاء في خطاب لحضرة نائب وكيل الخارجية بتاريخ ٢١ آذار/مارس أن جلالتكم طلبتم زيادة المرتب الشهري لإبلاغه ٢٠٠,٠٠٠ جنيه. وفي رسالة بتاريخ ٢٦ آذار إلى حضرة الشيخ فؤاد الخطيب أمرتم المذكور فيها بأن يبلغني أنه من الضروري إرسال النقود المطلوبة وهي المايتا ألف جنيه. وإنه بعد سقوط المدينة يزاد المبلغ إلى ٢٢٥,٠٠٠ جنيه لمدة خمسة شهور بعد سقوط المدينة. هذا الطلب قد وافقت عليه حكومة صاحب جلالة ملك بريطانية العظمى كما أخبر جلالتكم السير مارك سايكس.

وفي خطاب جلالتكم رقم ١٩ أيلول/سبتمبر الماضي تفضلتم أن «من جهة سقوط المدينة كما ذكرنا من قبل فنكرر الآن أنه لا يحتاج إلى زيادة المصرف بل بالعكس». فهل تتكرمون جلالتكم بإبلاغي عما إذا كان مفهومي هو صحيح، في أن ذلك يفيد بأنه بعد سقوط المدينة تقل المصروفات الضرورية، عما هي الآن؟ فإذا كان الأمر كذلك، فهل ترغبون جلالتكم أن طلبكم السابق لزيادة الخمسة والعشرين ألف كل شهر لمدة خمسة شهور بعد سقوط المدينة يجري تنفيذه الآن؟ وأكون ممنوناً لجلالتكم لو أوقفتموني تماماً عما ترغبونه، حتى أبلغ ذلك لجناب فخامة نائب جلالة الملك لتعتبره حكومة جلالة ملك بريطانية العظمى. وهنا يلزمني أن أوضح أنه في شهر آذار/مارس قد تأكد لي رسمياً أن الزيادة إلى ألف والمايتين وخمسة وعشرين ألفاً في الشهر لمدة خمسة شهور بعد سقوط المدينة، تكون النهاية العظمى الممكن طلبها. وكان المنتظر في ذلك الحين تسليم المدينة بغاية السرعة. ولكن لسؤ الحظ لم تسقط حتى الآن. وعلى مبلغ علمي أن جيش سمو

الأمير لم يحارب من مدة ستة شهور تقريباً، وقد كلف جلالتكم كمية عظيمة من الذهب والأرزاق، ولكنني دائماً على أمل شديد بأن تصلني الأخبار المسرة بعمل هجوم حقيقي. وإن المدينة عقبه قد سقطت وسلمت.

إني يا سيدي وعزيزي أتجاسر بأن أكتب لجلالتكم بصراحة تامة، لأنه ما دامت المدينة في قبضة الأتراك ولم تنفصل عنهم فمركز الحجاز من الوجهة الحربية لا يخلو من الخطر. ولما تخرب العرب جزء من الخط الحديدي يرجعون إلى معسكراتهم فتعود الأتراك وتعمر الجزء الذي تخرب، حيث كان الأمر يقتضي وجود فئات من العرب تكون دائماً على الخط الحديدي لمنع الأتراك من إصلاح ما تخرب، ولو لإلقاء الصعوبات في سبيل إصلاح الخط. وحيث إن الأحوال هي على هذا النمط فتتمكن القطارات وهي حقيقة تسير من المدينة إلى الشام وبالعكس. والخطر الذي طالما أشرت إليه وأردت إيضاحه هو أنه ما دامت المدينة لم تسقط أو لم تنفصل، فيمكن الأتراك إرسال الجنود إليها. ولا شك أن سقوط المدينة سيبين حالاً خلاص وتحرير الحجاز بأكمله من الترك، ويخلق تأثيراً معنوياً في جميع الأقطار، ويزيد من شهرة جلالتكم بدرجة تفوق الحد. ثم إن ذلك يمكن من تقليل جيوش المدينة وبذلك تتوفر النقود لأغراض أخرى. ثم ينشأ من ذلك نتيجة أخرى عظيمة وهي تمكين نجل جلالتكم صاحب السمو الأمير عبد الله من الحضور لمساعدة جلالتكم في الأعمال بمكة المكرمة. وأفتكر أن سمو الأمير علي يتمكن أيضاً من أن يمثل جلالتكم بالمدينة.

وفي الختام أضرع إلى الباري سبحانه وتعالى أن يطيل في بقاء جلالتكم بالعز العظيم والنصر المبين. وألتمس قبول خالص التوقيرات.

مخلصكم
ويلسن باشا

(٨٧)

(كتاب)

من الملك حسين

إلى الكرنل ويلسن ـ المعتمد البريطاني في جدة

(الأصل العربي) التاريخ: مكة ٢٢ ذي الحجة ١٣٣٥
٩ تشرين الأول/أكتوبر ١٩١٧

عزيزنا،

بعد بيان ما يقتضي بيانه لمقامكم من التجلة، وأن محرر سعادتكم الموافق ٢١ ذي الحجة ١٣٣٥[١] تلقي بأنامل البشر والابتهاج.

وعن بياناتكم به الباهرة المنطبقة على الحقيقة ونفس الأمر. فما كان متعلقاً بطلب زيادة المعين أو الإعانة في تواريخه المعلومة ما كان منها بمعرفة واطلاع الشيخ فؤاد نائب وكيل الخارجية وما كان رأساً منا بدون علمه، فهو كما معلوم سعادتك أنها مبينة وتابعة حوادث الظروف ومقتضياتها التي من طبيعة حالاتها التبدل والتغير في كل آن. ومع هذا فنتيجة الطلب من حينه هو إما الإيجاب أو السلب. وقد سبق لحضرتكم في أحد محرراتنا إنا تاركين الأمر على نتيجة الجريان الطبيعي. ولذا فلا أرى أهمية لاعتناكم له بما اعتنيتم من البحث فيه.

ولا شك ولا ريب أيضاً أن تصريحاتك عن نتائج بقاء المدينة في يد الأتراك وعطالة معسكر علي فهي عين الواقع والأمر الذي لا شبهة فيه. وإنا لا نجهل مقدار ومبالغ نفقات المعسكر المذكور في ظروف هذه الستة بل السبعة بل الثمانية الشهور، ولا أن تلك المقادير المهمة ليست كما تفضلتم من طرفنا بل هي جزء من ضمن إعانات أو مرتبات حكومة بريطانيا العظمى.

هذا وبيان سعادتكم بأن الأتراك يتمكنون من تعميرات الخط بالنسبة لعدم مكث العربان في الأماكن المخربة جميعه حاصل، وأمثال هذا من سائر الملحوظات لا ريب بها بصورة قطعية.

---

(١) يوافق ٨ تشرين الأول/أكتوبر ١٩١٧.

ومع هذا فمع ما لدينا عليها من البيانات فإني لا أقول إلاً هذا نهاية ما في وسعنا وطاقتنا، وعداه فحرصي على دانق من المال تنفقه بريطانيا في غير وجهه بصرف النظر عما فوق ذلك، يلزمني أن أصرح لسعادتكم بكل ارتياح وانشراح بأن متى رأت العظمة المشار إليها الفائدة والمصلحة في انسحابي فإني لا أتأخر طرفة عين. ولولا ظني بحدوث إشكالات بالنسبة لتخميني لانسحبت في الحال، لأن إخلاصي ووِدادي الرصينان لا علاقة لهما بمثل تلك الشوائب. فليعلم هذا عزيزنا وليدم ممتعاً بكل ما يتمناه[1].

مخلصكم
حسين

FO 686/36

(٨٨)
(كتاب)
من الشريف حسين
إلى المعتمد البريطاني ـ جدة

سعادة المعتمد البريطاني بجدة التاريخ: ٢٠ تشرين الأول/أكتوبر ١٩١٧

عزيزنا،

أهديكم جزيل احتشامي وأؤكد لسعادتكم بأنا لسنا بقليلين شغل حتى إننا ننشغل بمسئلة الأرزاق ولكن لما لا بده يعلم لحضرتكم من إفادتنا لمقامكم بتاريخ غرة محرم ٣٣٦ وأزيدكم على هذا كوني أساساً لا أدري عن مقادير الأنواع التي يجري سوقها حتى إني أكون هدفاً للاعتراض بمثل ما سبق في كتابكم بتاريخ ٣٠ الحجة ٣٥ الموافق ١٧ تشرين الأول/أكتوبر سنة ١٩١٧ ولعدم سلامتنا من هذا على كل الحالات أقله من اللوم والمؤاخذة اضطررنا اليوم بتكليف سعادتكم إما تسلمونا ما ورد من الذخاير حتى يكون العمل والتوزيع بمعرفتنا أو أنتم تجروه ولا نكن نحن مسؤولين عن شيء ومع هذا فإني أكرر لكم هنا اعترافي بأن ليس لنا

---

(١) المراسلات التاريخية، مصدر سابق، ص ١٤٣.

حق الاشتراط ولا حق الاعتراض حتى فيما دون هذا بل في أي صنع كان ولكن تبعثون بالمقادير التي نجهلها والأمراء يطالبوننا بحوائجهم وأكون أنا المسؤول أمامهم وأكن أنا وإياهم مسؤولين أمام العظمة البريطانية بل أمام العالم بأجمعه حالة كون مخابرتي مع المطارح العقبة والوجه وينبع محصورة في النجاجيب والبريد البري في مثل هذه الحالة الحرجة هذا مما أحوله إلى كمالاتكم وسيما أنه من الأشكال الذي يتعلق بشرفنا وناموسنا الذي هو مدار الحياة... نعم إني لا أنكر ما سيق وما سيساق من لدن العظمة البريطانية من الذخاير والنقود وأهميتها وجسامتها. ولكن الحال هو هذا سيما إرادة تحميل مصاريف الحركة الشمالية على المصاريف التي أبلغ سعادتكم بصورة أكيدة أنها لا تفي حتى بمصاريف الحركات الحاضرة. وأكرر لك هنا يا حضرة الشهم بأني قد طلبت من فخامة نايب جلالة الملك أن يبعث من يباشر أنواع الصرفيات في كل المعسكرات لأني والثناء لله ممن يتوقا بكل حسياته تزايد المصاريف لكن ما بليد حيلة وإني لأخشى يا عزيزنا أن جعل حتى جزء من النقود بنكنوطات يستدعي تضاعف المحاذير ولقد فرجتم عنا من الغم والهم ما لا يعلم مقداره إلاَّ الله بتبشيركم لنا بوصول العشرين الألف إلى ينبع وبعثها لعبد الله وإخراج المقادير التي ذكرتموها أيضاً في ينبع لدفع ما في تأخر ذلك من المحاذير والحوادث العظيمة الأهمية بالنسبة للتدابير التي اتخذناها لمقاومة المشكلات والمخاطر التي تنشأ من تخلية زيد للمنطقة التي كان بها واعتبارها في الدرجة الثانية بالنظر لاستصواب تسريع نتائج الحركات الشمالية. واقبلوا فائق أشواقي.

مخلصكم

حسين

٤ محرم ١٣٣٦

(تقابل ٢٠/١٠/١٩١٧)

٥٠

سعادة المعتمد البريطاني بجده

عزيزنا

اهديكم جزيل احتشامي وأؤكد لسعادتكم بأنا لسنا بقليلين شغل حتى اننا نشتغل بمسألة
الارزاق ولكن لما لابده يعلم لحضرتكم من افادتنا لمقامكم بتاريخ غرة محرم ١٣٣٦ وازيدكم
على هذا كوني اسائل لا ادري عن مقادير الانواع التي يجري سوقها حتى اني اكون هدفا
للاعتراض بمثل ما سبق في كتابكم بتاريخ ٢٠ الحجة ٣٥ الموافق ١٧ اكتوبر ٩١٧ ولعدم سلامتنا
من هذا مع كل الحالات اقله من اللوم والمؤاخذه اضطررنا اليوم بتكليف سعادتكم اما
تسلمونا ما ورد من الذخاير حتى يكون العمل والتوزيع بمعرفتنا او انتم تجروه ولا نكن نحن
مسؤولين عن شئ ومع هذا فاني اذكر لكم هنا اعترافي بان ليس لنا حق الاشتراط
ولا حق الاعتراض حتى فيما دون هذا بل في اي صنع كان ولكن تبعثون بالمقادير
التي نجهلها والامر يطالبوننا بحوائجهم واكون انا المسؤل امامهم ولكن انا
واياهم مسؤلين امام العظمة البريطانيه بل امام العالم باجمعه حالة كون محاربتنا
مع المطارح المعقبة والوجه وينبع محصوره في النجاجيب والبريد الذي في مثل هذه
الحالة الحرجه هذا ما احوله الى كمالاتكم وسيما انه من الاشكال الذي يتعلق بشرفنا
وناموسنا الذي هو مدار الحياة. نعم اني لا انكر ما سبق ومكنتنا من لدن العظمة البريطانية من الذخاير والنقود
واهميتها وجسامتها ولكن الحال هو هذا سيما ارادة تحميل مصاريف الحركة الشماليه على المصاريف
التي ابلغ سعادتكم بصورتها البديه انها لا تفي حتى بمصاريف الحركات الحاضره واذكر لكم
هنا يا حضرة المشهم باني قد طلبت من فخامة نايب جلالة الملك ان يبعث من سائر
أنواع الطرفيات وكل المعسكرات لانه والتدرج ممن شوقا بكل حساباته تزايد المصاريف لكن

ما يليه حيله واني لا اخشى يا عزيزنا ان يحصل حتى جزؤ من النفوذ بخطوات يستدعي
تضاعف المحاذير ولقد فرجتم عنا من الغم والهم ما لا يعلم مقداره الا الله بتبشيركم
لنا بوصول [illegible] العشرين الف الى ينبع وبعثها لعبدالله واخراج المقادير
التي ذكرتوها ايضا في ينبع لدفع ما في تأخر ذلك من المحاذير والحوادث العظيمه
الاهميه بالنسبه للتدابير التي اتخذناها لمقاومة المشكلات والمخاطر التي تنشأ
من تخليه زيد للمنطقه التي كان بها واعتبارها في الدرجه الثانيه بالنظر لاستصواب
تسريع نتائج الحركات الشماليه واقبلوا فائق اشواقي

[illegible]

٢ محرم ١٣٣٦

تلقي ٢٠ / ١٠ / ١٩١٧

FO 141/734/70

(٨٩)

(برقية)

من وزارة الخارجية

إلى المندوب السامي ـ القاهرة

الرقم: ١٠٧٤ التاريخ: ١٤ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩١٧

ما يلي من السير مارك سايكس إلى الجنرال كلايتن:

منذ إرسال الوزير كتابه إلى اللورد روتشيلد، تسلمت الجمعية الصهيونية هنا رسالة تهنئة من أرمينية سيتم نشرها في وقت لاحق. إن الصهاينة مستعدون للعمل بكل همة في سبيل تحرير العرب والأرمن، وأعتقد أنهم سيرسلون برقية بهذا المعنى خلال بضعة أيام. (وفي الوقت الحاضر؟) يبدو من المعلومات المتوفرة أن الترك والطورانيين يؤسسون تدريجياً حركة قومية عربية زائفة في مقر القيادة الروسي في قازان والتي أصدروا منها بياناً رسمياً ذكياً بأهدافهم باسم جمعية التحرير السورية ـ العربية. والهدف الظاهري هو تحرير العرب من النير التركي، والهدف الخفي لها هو نشر الخلاف بين العرب واليهود، والمسلمين والمسيحيين، والادعاء في الوقت نفسه بالتوفيق بين العرب والمسلمين والوطنيين المصريين. والأمر الفوري للغاية، حسب رأيي، هو قيامكم بإعادة الجمعية العربية في القاهرة إلى الوجود مجدداً والتأكيد لهم الأهمية الحيوية لحسن نية اليهود والأرمن لهم. والإشارة لهم بأنهم بتعاون اليهود معهم سيكون لهم من يدافع عنهم في كل بلد من بلدان العالم وبمساعدة الأرمن سيكون لهم تأثير قوي في مخيلة الديموقراطية البريطانية والأميركية.

وبدون تعاون هذين العنصرين ليس هناك، حسب ظني، أي احتمال في تحقيق رغباتهم. وهناك احتمال تشكيل جمعية صغيرة في لندن تتألف من الدكتور وايزمان عن الصهاينة، ومستر مالكولم عن الأرمن والسيد نجيب هاني عن المسيحيين السوريين وعربي مسلم موجود في لندن الآن عن العرب، على أن يتصرف الاثنان الأخيران كواحد.

وستتصرف هذه الجمعية بالنيابة عن المواطنين المضطهدين في المناطق غير الأناضولية من تركية الآسيوية. وسيكون ذا قيمة قصوى لو تلقى العربيان المنضمان إلى الجمعية نوعاً من الموافقة الرسمية من القاهرة ومكة. وسأبلغكم بكيفية نضج القضية.

FO 371/3061

(٩٠)
(برقية)
من السير ريجنالد وينغيت (القاهرة)
إلى وزارة الخارجية (لندن)

عسكري

عاجل جداً

الرقم: ١٢٦٢ التاريخ: ٢٤ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩١٧

برقيتي المرقمة ١٢٥٩، والمؤرخة في ٢٣ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩١٧.

سيصل المسيو بيكو غداً، وسيستقبله الجنرال كلايتن.

يتضح من المراسلات الخاصة مع الوزير الفرنسي أنه يعتقد أن حكومته قد أصدرت تعليماتها إلى المسيو بيكو أن يشترك في دخول القدس بصورة رسمية.

أعتقد أنه ليس من المرغوب فيه أن يقوم بذلك والقائد العام يشاركني رأيي. إنني حريص على إبقاء الأمور في فلسطين على أساس عسكري بحت. وقد ذكرت في رسالة خاصة إلى اللورد هاردنغ والسير ر. غراهام أن من المرغوب فيه إيجاد إدارة عسكرية بإمرة القائد العام في المناطق المحتلة، طالما كانت العمليات العسكرية مستمرة. أعتقد أن هذا النهج ضروري من وجهة النظر العسكرية ومناسب من وجهة النظر السياسية. ولأجل هذه الغاية فقد وضع ضابط ذو خبرة تحت تصرف القائد العام وقد رُتب أن تقدم القوات الفرنسية والإيطالية التي تؤلف جزءاً من القوة الاستطلاعية في مصر عند الضرورة مفارز شرطة لحماية المؤسسات الفرنسية

والإيطالية في القدس أو في أية مدينة كبيرة محتلة أخرى مثل يافا (انظر برقيتي المرقمة ١٢٥٠).

وإزاء هذه الظروف فإنني أقترح أن لا يتوجه المسيو بيكو إلى القدس إلاّ بعد إتمام الدخول الرسمي، وعندئذٍ لن يعلق أهمية سياسية على قيامه بذلك.

إذا وافقتم على هذه الفكرة فإنني أقترح تخويلي أن أنصح القائد العام ليوعز إلى الجنرال كلايتن بعدم حضور الدخول الرسمي، وفي تلك الحالة لن يتمكن المسيو بيكو من الإلحاح على طلبه، يرجى الإبراق بأسرع ما يمكنكم فيما إذا كنتم توافقون على هذا الاقتراح.

أبدى المسيو دو فرانس في رسالة خاصة أنه تلقى التعليمات من حكومته بأن يتوجه «كممثل للمندوب السامي الفرنسي في فلسطين وسورية» والمفروض أنه يقصد بذلك المسيو بيكو.

هل يوجد مثل هذا اللقب، وإن وجد فمن هو الذي يشغل المنصب الإنكليزي المقابل؟

FO 371/3054 (225623)

(٩١)

(برقية)

من وزارة الخارجية ـ لندن
إلى المندوب السامي ـ القاهرة

الرقم: ١١٢٦ التاريخ: ٢٦ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩١٧

ما يلي من السير مارك سايكس إلى الجنرال كلايتن.

«إن القلق يساورني بخصوص الحركة العربية. الرسائل تشير إلى صعوبة الجمع بين السلطة الأبوية المكية والثقافة السورية الحضرية. إنني على قناعة بأن أقصى الجهود يجب أن تبذل لتحقيق الاتحاد، وإن الوسيلة الوحيدة هي إنشاء هيئة تمثيلية تنفيذية مسؤولة في القاهرة تكون على اتصال بالملك من أجل تخليص كل العرب

من النير التركي. إنني أتفق على صعوبة ذلك ولكن النجاح العسكري سيسهل الأمر. عند مواجهة الصعوبات، أعتقد أن الحجج الواردة في برقيتي إلى الفيلق يمكن الاستشهاد بها. أعرض هذه البرقية على بيكو وأبلغه باقتناعي بأن إعلاناً صريحاً بتأييد فرنسة للحركة الوطنية العربية والاستقلال لاحقاً هو أمر ضروري إلى أبعد حد. السوريون لا يزالون يعتقدون أن الأفكار المؤيدة للضم هي السائدة، وما لم تنمح هذه الفكرة، لن يكون بمقدورك توقع أي حماس أو مساعدة حقيقية. الضم يتناقض مع الروح الديموقراطية التي تسود الآن في جميع البلدان، السير على غير هدى قد ينتهي بأن يعلن الطورانيون استقلال سورية تحت سيادة رسمية، وبنتيجة ذلك تجمع القومية العربية مع الوطنية المصرية والجزائرية والمغربية تحت رعاية طورانية تكون بمثابة قوة فوضوية ـ مناهضة لفرنسة وبريطانية. وبذلك يرتد كل ما تحملناه من النفقات والمتاعب على رؤوسنا. في حين أن الطورانيين والألمان يسجلون نجاحاً عظيماً، والوضع المرتبك سيكون غير قابل للإيضاح في مجلس العموم أو مجلس النواب الفرنسي.

FO 141/734/70

(٩٢)

(برقية)

من المندوب السامي في مصر ـ القاهرة
إلى وزارة الخارجية ـ لندن

الرقم: ١٢٨١ التاريخ: ٢٨ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩١٧

برقيتكم رقم ١١٢٦.

ما يلي من الجنرال كلايتن إلى السير مارك سايكس، تبدأ:

١ ـ إن هناك، بدون أي شك، خوفاً حقيقياً بين السوريين من أن يجدوا أنفسهم خاضعين لحكومة تسيطر عليها السلطة الدينية المكية. وهم يدركون أن المبادىء الرجعية التي لا يستطيع ملك الحجاز الانعتاق منها لا تتوافق مع التقدم حسب المفاهيم الحديثة. والاحتكاك المتزايد بين

مثقفي سورية، مسيحيين أو مسلمين، وبين مكة يزيد هذا الشعور رسوخاً بدلاً من اضمحلاله، وذلك بكشف النقاب عن عدم كفاءة الحكومة الشريفية وجمودها.

٢ ـ إن عدم وجود موقف علني واضح ضد الضم، وخاصة في سورية، يسبب عدم الثقة والامتعاض ما لم تفلح الانتصارات مؤخراً في فلسطين والعراق في التقليل منهما. المبادىء العامة التي تقوم عليها الاتفاقية الفرنسية ـ البريطانية معروفة. ولكن نوايا دول الحلفاء ليست معروفة بصورة مؤكدة، أما فيما يتعلق بسورية فإن هنالك انطباعاً بأننا نمضي الوقت فقط منتظرين أن تجعلنا انتصاراتنا العسكرية في وضع يمكننا من تسليم سورية لفرنسة مقابل أقل ما يمكن من الالتزامات. إن هذا الشك حاضر على الدوام في ذهن الملك حسين.

٣ ـ إن الإعلان الأخير[١] لحكومة صاحب الجلالة حول المسألة اليهودية ترك انطباعاً عميقاً لدى كل من المسيحيين والمسلمين الذين ينظرون بعين الفزع إلى احتمال رؤية فلسطين وحتى سورية في النهاية بيد اليهود الذين يخشى الجميع على حد سواء من قدراتهم العقلية والتجارية المتفوقة.

إن كل العوامل المذكورة أعلاه تميل إلى تمهيد الأجواء لدعاية طورانية موحى بها من الألمان، وتعبد الطريق أمام مقترح أخاذ نحو استقلال تحت سيادة اسمية (كذا) تركية. ويبدو أن هناك كل الإمكانيات لتوقع مقترح كهذا، وهو مقترح قد يلعب الخديو السابق دوراً فيه، يتم تقديمه في وقت غير طويل وربما حين تسقط القدس. إن الأوضاع العسكرية في هذه المنطقة تجعل من المحتمل تبني هذا المسار ليس كخطوة صافية النية، بل على الأكثر لوضع ورقة قوية في اليد التركية ـ الألمانية لأغراض مؤتمر الصلح تساعد في الإبقاء على سيطرة فعلية على منطقة خط حديد بغداد.

ولحين القضاء على هذه الشكوك فإن أي قدر من فن الخطابة في الدعاية لن يتمخض عن أي وحدة هدف عربي حقيقي، ولا يمكن من اعتبار الموقف آمناً من الهجوم الطوراني.

---

(١) المقصود هنا تصريح بلفور بشأن وطن قومي لليهود في فلسطين.

إن هناك حاجة الآن إلى سياسة أكثر وضوحاً، وأوصي أن تكون وفق الخطوط التالية:

أ ـ تفادي إعطاء أي انطباع بأن في نيتنا فرض حكم الملك حسين أو أي شكل آخر من الحكم الشريفي على الشعوب التي ليس لها الرغبة في القبول بذلك. إن من الممكن تصور فيصل كمن يسد النقص ويصبح رئيساً مقبولاً به للحكومة في سورية. أضف إلى ذلك أن العنصر المسلم الذي له السيطرة قد يضطر إلى اللجوء إلى الملك حسين باعتباره يمثل الزعامة الدينية التي بدونها لن تستطيع أية دولة إسلامية أن تجعل لنفسها هيبة حقيقية بين المسلمين. وسيكون حينذاك في مصلحتهم رؤية حصوله على الدعم الضروري للإبقاء على مركزه.

ب ـ قيام الحكومة الفرنسية بإصدار إعلان صريح تتخلى فيه عن أية مزاعم تتعلق بفكرة ضم سورية (بضمنها المنطقة الزرقاء) وتؤكد فيه على نيتها في تأمين حرية كل الجماعات التي تقطن في سورية وتقديم يد المساعدة لهم للسير على الطريق المؤدية إلى الاستقلال وحكم الشعب. وإن هذا أمر فوري بشكل خاص. ولن يكون بمقدورنا أن نأمل حدوث أي وحدة وحماس للعمل بين الأجنحة العربية المتعددة قبل القيام بذلك. ناهيك، عن أن هذا الإعلان من شأنه إحباط أي اقتراح قد يتقدم به الطورانيون.

جـ ـ الإعلان الذي سبق تقديمه لليهود يفي بالغرض في الوقت الحاضر. وإن أية تنازلات أخرى يجب أن تتم بأقصى درجات الحيطة. وسيكون من الخطورة بشكل خاص السماح بأي إجراء عام لهجرة اليهود أو استيطانهم في فلسطين الآن. وعلى أية حال فإن الوضع العسكري يمنع ذلك حالياً ولا يستبعد أن يستمر في ذلك لبعض الوقت في المستقبل.

لقد تباحثت شخصياً في المسألة برمتها مع بيكو على غرار ما ورد أعلاه، وإنني أميل إلى الاعتقاد بأنه متفق مع ذلك بشكل عام، ولكن من الطبيعي أن يبدي آراءه بهذا الخصوص لحكومته مباشرة معتبراً ذلك هو التصرف الصحيح». انتهت.

FO 141/734/70

(٩٣)

(برقية)

من المندوب السامي في مصر ـ القاهرة
إلى وزارة الخارجية ـ لندن

الرقم: ١٢٨٦ التاريخ: ٢٩ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩١٧

إشارة إلى رسالة الجنرال كلايتن المرسلة ببرقيتي رقم ١٢٨١.

يبدو جلياً من المحادثات التي أجريت مع الكرنل ويلسن أن الملك حسين لم يقلل بأي قدر من مطالبه الأولية المتعلقة بسورية، ومن الواضح أنه لا يزال يغذي في نفسه الوهم بأنه ربما يتم تنصيبه، من خلال المساعي الحميدة لحكومة صاحب الجلالة، كسيد على الجزء الأكبر من البلاد ولو بصورة اسمية.

إن مزاعمه ـ عدا عن ادعائه الشخصي بأنه زعيم ثورة العرب ـ تبدو مستندة إلى ما يأتي:

أ ـ إنه بصفته ملكاً للحجاز وزعيماً للدولة العربية المستقلة الأساسية يؤمن بمبدأ الاتحاد السياسي النهائي للشعوب الناطقة بالعربية (الآسيوية). وإن عليه، بالتالي، أن يعارض بكل ما أوتي من نفوذ ضم أية دولة أوروبية لأراض في أية منطقة قد تصبح في النهاية ضمن اتحاد كهذا.

ب ـ إنه يناصر بقوة قضية المسلمين السوريين ضد الاضطهاد العثماني، ويشعر أن شرفه يلزمه أن يضمن عدم التضحية بمصالح الأغلبية المسلمة غير المتطورة من أجل مصالح الأقلية المسيحية التي هي أكثر تعليماً وتأثراً بأوروبا في ظل أي نظام حكومي مؤقت يؤسس في سورية بعد الحرب.

ومن الواضح أن أهدافه الكاملة غير قابلة التحقيق كلياً. وربما كانت حالته الذهنية الراهنة، التي هي كثيرة الشك بالفرنسيين، وإلى حد أقل بنا، تعود إلى إدراكه الجزئي لتلك الحقيقة.

إن إقناعه بأن منطقة سلطته القانونية ستقتصر على الحجاز، ستدفعه إما إلى

التنازل عن العرش، والالتجاء إلينا، أو التخلي عن ارتباطه معنا والتوصل إلى ما يمكن تحقيقه من تسوية مع الترك. وكسياسة انتهازية وفورية فإن علينا، في نظري، الاستمرار في تخيل احتمال إنشاء الملك نوعاً من العلاقات السياسية مع الحكومة أو الحكومات المستقبلية في سوريا تشجع على تصديق أن دولة عربية أو اتحاداً عربياً قد تم إنشاؤه، وأن الملك حسين هو الزعيم الإسلامي لها. ويمكن بهذه الوسيلة تبرير ثورة الشريف ضد الإمبراطورية العثمانية في نظر المسلمين، وتوفير مستلزمات استقلاله المالي في المستقبل لدرجة ما. إنني أتفق في أن عدم كفاءة الإدارة الحجازية هي ضمانة عملية ضد انتشار السلطة الدينية المكية، وإن إعلاناً فرنسياً يوضح سياستها التي لا تهدف إلى ضم سورية، سينقي الأجواء، وذلك ضروري إلى أبعد حد من الناحية السياسية في الوقت الراهن.

FO 141/734/70

(٩٤)

(برقية)

من المندوب السامي في مصر ـ القاهرة

إلى وزارة الخارجية ـ لندن

الرقم: ١٢٨٧ — التاريخ: ٢٩ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩١٧

أبلغنا مستر بيكو شخصياً، أنا وكلايتن، بأن مسألة مواقف فرنسة وإنكلترة بخصوص بلاد العرب (وبضمنها مسقط وشيخ سعيد) قد تمت الآن تسويتها بين الحكومتين، وقد تم تبادل الرسائل أو سيتم قريباً.

هل بالإمكان إبلاغنا عن ماهية الموقف الآن؟

FO 686/37

(٩٥)

(برقية)

من المعتمد البريطاني في جدة بالنيابة
إلى الملك حسين

الرقم: ٢٤٩ التاريخ: ١٣ كانون الأول/ديسمبر ١٩١٧

إلى جلالة ملك الحجاز

بمزيد من الاحترام والسرور استأذن لإحاطة جلالتكم علماً بأن القدس قد استسلمت في ٩ من الشهر الجاري ظهراً، وأن الجنرال اللنبي دخل المدينة بصورة رسمية في ١١ منه. هذه الأنباء الطيبة قد وصلتني لتوها. وقد تأخر احتلال المدينة لتفادي إصابة الأماكن المقدسة بأضرار.

أرجو قبول أخلص احتراماتي وتقديري.

الميجر باسيت

FO 686/37

(٩٦)

(برقية)

من الملك حسين
إلى المعتمد البريطاني في جدة

الرقم: ٢٤ التاريخ: ٢٨ صفر ١٣٣٦
١٣ كانون الأول/ديسمبر ١٩١٧

سعادة المعتمد البريطاني بجدة الموقر

إن هذا النبأ المستلزم للفخر العظيم مما يُنتظر، ويُنتظر ما هو أبلغ منه، مع بيان جزيل التفاني.

حسين

FO 371/3061

(٩٧)

(برقية)

من السير ريجنالد وينغيت (القاهرة)

إلى وزارة الخارجية

الرقم: ١٣٤٠ التاريخ: ١٤ كانون الأول/ديسمبر ١٩١٧

برقيتكم ١١٧٥ (المؤرخة في ١١ كانون الأول/ديسمبر).

ما يلي من الجنرال كلايتن إلى السير مارك سايكس. يبدأ.

إن مجيء فيصل إلى فلسطين في الوقت الحاضر يعقد الوضع بصورة خطيرة، ويكون له أثر سيء حتماً في الوفاق بين العرب واليهود. إضافة إلى ذلك فإن وجوده في العقبة ضروري نظراً للعمليات العربية الوشيكة في الشمال والتي يحتمل أن تنهار إذا ترك مقره.

FO 371/3061

(٩٨)

(برقية)

من وزارة الخارجية

إلى السير ريجنالد وينغيت (القاهرة)

الرقم: ١٢١٦ التاريخ: ١٨ كانون الأول/ديسمبر ١٩١٧

هل تعلقون أهمية خاصة على عدم تقديم الملك حسين تهنئة بمناسبة احتلال القدس؟ ولما كان ستورز موجوداً فسيكون من المفيد إرساله إلى جدة ليقابل الملك ويقدم له وصفاً لسقوط القدس والإجراءات المتخذة.

FO 371/3061

(٩٩)

(برقية)

من السير ريجنالد وينغيت (القاهرة)

إلى وزارة الخارجية

الرقم: ١٣٦٧ التاريخ: ١٩ كانون الأول/ ديسمبر ١٩١٧

برقيتكم المرقمة ١٢١٦ (بتاريخ ١٨ كانون الأول/ ديسمبر).

إن تهاني الملك الشخصية كانت قد أرسلت إليّ قبل بضعة أيام بواسطة ممثله هنا. أعتقد أنه يرغب في الحصول على فرصة ليستوعب تقارير الجرائد وغيرها عن الاجتماعات الصهيونية في لندن قبل إلزام نفسه رسمياً.

ستورز في القدس الآن، وهنالك أمل في أن يتمكن في النهاية (بالطائرة عن طريق الوجه ومعسكر الأمير عبد الله في وادي العيص) أن يقابل البعثة البريطانية إلى ابن سعود. وهذا سيكون مرغوباً فيه جداً في المرحلة الراهنة. وقد يزور جدة فيما بعد.

FO 371/3061

(١٠٠)

(برقية)

من وزير الهند ـ لندن

إلى نائب الملك في الهند (دائرة الشؤون الخارجية)

الرقم: التاريخ: ٢٠ كانون الأول/ ديسمبر ١٩١٧

برقية سرية. خارجية. برقية كوكس المؤرخة في ١٥ كانون الأول/ ديسمبر رقم ٦٠٧٠ ـ ابن سعود ـ.

إن لقب «ملك البلاد العربية» الذي ذُكر أنه يستعمل في مراسلات الشريف غير مصرح به تماماً. إن اللقب المعترف به من حكومة جلالته والحلفاء هو «ملك الحجاز». انظر برقيتي المؤرخة في ١٣ كانون الأول/ديسمبر ١٩١٦ ـ يمكن الإيعاز إلى فيلبي ليوضح هذا لابن سعود. وقد لاحظت أن كوكس نفسه يشير إلى الشريف بلقب «جلالته» هو غير صحيح أيضاً، لأن اللقب الشرفي «سيادة» يقابل فقط لقب (His Lordship). يرجى إعلام كوكس أن ألقاب الشريف قد اختيرت بعد تأمل دقيق، وبالتشاور مع الحكومة الفرنسية ويجب التمسك بها بدقة.

معنونة إلى نائب الملك مكررة إلى كوكس.

FO 371/3380 (12076)

(١٠١)

(كتاب)

من السير ريجنالد وينغيت ـ المندوب السامي في مصر إلى آرثر جيمس بلفور ـ وزير الخارجية

المقيمية

القاهرة

الرقم: ٣١٥ التاريخ: ٢٥ كانون الأول/ديسمبر ١٩١٧

سيدي،

إن التطورات الأخيرة في البلاد العربية تجعل من المرغوب فيه تحقيق تنسيق أوثق في السياسة والعمليات في تعاملنا مع مختلف الزعماء العرب.

وفي هذا الصدد أتشرف بأن أقدم مذكرة أعدت هنا لغرض البحث والمناقشة.

وسترسل نسخ من هذه المذكرة إلى بغداد ودلهي وعمان.

وأتشرف. . . إلخ.

ريجنالد وينغيت

FO 371/3380 (12076)

(١٠٢)
(مذكرة)
أعدت في دار الاعتماد ـ القاهرة
حول تنسيق السياسة البريطانية
في التعامل مع الزعماء العرب

التاريخ: ٢٣ كانون الأول/ديسمبر ١٩١٧

إن آخر المحادثات (في ٢٤ و٢٥ تشرين الثاني/نوفمبر) بين الكرنل ويلسن والملك حسين تعطي تأكيداً عن تصميم الملك على أن يكون الدولة الكبرى في جزيرة العرب. لقد امتنع الملك عن إعطاء إشارة مباشرة عن خطة عمله في المستقبل، لكن المفهوم أنه سوف يتبع الخطة التقليدية «فرق واحكم» و«بالقوة والسلاح» لبلوغ أهدافه. وهو يفضل الطريقة الأولى والعمل الدبلوماسي، لكنه كسياسي عملي و«عربي» يقدر قوة الإقناع لاستعمال الضغط على التجمعات السياسية العربية في المستقبل. ولذلك فهو يستنكر ما نعمله لزيادة نفوذ سائر الزعماء العرب، ويمتعض من معاهداتنا مع أولئك الزعاء ويراها مقررة لمنع ممارسته الضغط عليهم في المستقبل. وموقفه منطقي من وجهة نظره، وهو يقدر أن مبادرتنا في اتجاه ابن سعود والإدريسي والآخرين تعكس عدم التأكد من المدى الذي يمكن تحقيق أهدافه، والمحافظة على مصالحنا في حالة تحقيقها.

إن تقديرنا لمسؤولياتنا التي تعهدنا بها في المفاوضات الممهدة لثورة الحجاز هو أننا نتعهد بـ«الحفاظ على حلقة» ـ عيّناها تقريباً في تلك المفاوضات يجري في داخلها الاستقلال الداخلي للعرب بحرية. إننا لم نضمن تفوق الشريف أو غيره على الآخرين في داخل الحلقة، مع أن الملك يرى أن إجراءنا هذه المفاوضات بواسطته يعني استعدادنا لرؤية تفوقه حقيقة واقعة.

وصفت سياسة بريطانية العامة في بلاد العرب في صيغة أبلغت مؤخراً إلى عدن، حيث أعربنا عن استعدادنا لتقديم معونة للعرب «الذين يحاربون في سبيل حريتهم ضد الأتراك الذين هم أعداؤنا وأعداء الاستقلال العربي». وبقيامنا بذلك أكدنا «أننا لا نية لنا للابتعاد عن سياستنا التقليدية التي ترمي إلى عدم التدخل في

شؤون العرب الدينية أو الداخلية، ولا نرغب في أن نلتزم جانب أحد في المنازعات بين العرب».

إن هذه، كسياسة حربية، تتفق مع القضية بصورة ملائمة، لكن من المشكوك فيه إلى أي مدى يمكن، أو يجب، تطبيقها على أحوال السلم القادمة. إن علاقاتنا الوثيقة خلال الشهور الماضية مع الحجاز، ومصالحنا المقبلة في العراق، وأي تعهد قد يكون لنا أو لحلفائنا في فلسطين وسورية، سوف توثق صلاتنا مع شعب البلاد الداخلية التي تزال منها حسب المفروض «آفة» قوة تركية العسكرية ـ وكذلك نفوذها الملازم لها، ومقدرتها على الإزعاج لن تقلل بتدفق السلاح والعتاد الحديث على بلادها (أي البلاد العربية).

وتدخل في ذلك أيضاً قضايا سياسية لها بعض الأهمية. وخصوصاً في الحجاز حيث يجب تحسين إدارة المدن المقدسة والموانىء المؤدية إليها من قبل مؤسسات إسلامية لفائدة الحج السنوي، وفي الساحل الشرقي للبحر الأحمر حيث يجب مكافحة التسلل الأجنبي باعتباره مخلاً بأمن طريق إمبراطوري عام.

إلى أي مدى سنكون مجبرين على التخلي عن سياستنا المتحفظة السابقة بسبب الاعتبارات السياسية من جهة، ورغبة الوحدات المحلية في حكم أكثر استقراراً؟ يتوقف ذلك إلى حد كبير على الظروف السياسية الداخلية التي ستظهر في الجزيرة العربية بعد الحرب.

هذه الأحوال في حالتها الحاضرة من التذبذب هي التي يصعب التنبؤ بها. ولا يسعنا أن نعمل أكثر من ملاحظة العلامات المحتملة لتشخيص المستقبل وتأثير أثر الأحداث الخارجية والعسكرية على الأهداف والكراهيات المحلية.

من الواضح في مبدأ الأمر أن تعظيمنا لشريف مكة وتوسيع نفوذه السياسي قد نظر إليهما بقلق في بلاد العرب الوسطى والجنوبية الغربية.

إن حاكم اليمن الزيدي، مستفيداً من مركزه الجغرافي، لا يزال يقوم بدور المحايد، واضعاً نصب عينه باهتمام عدن وعسير، ويعتمد على تحاشي التعهدات العلنية حتى تتضح أكثر القضايا الكبرى في الشمال. والإدريسي على الساحل، مع وجود بوارجنا الحربية تحت أنظاره، ومعاهدته معنا في جيبه، يتكلم عن معارك واسعة ضد الأتراك، ولكنه لا يعمل سوى القليل مما يتفق مع استمرار تجهيزاتنا، وينتظر النتيجة نفسها. والملك (حسين) يخفي رأيه في عدم جدوى المفاتحات

الدبلوماسية الفورية تحت نقاب الوطنية العربية، ويرى ضرورة طرد الأتراك قبل مصافاة جيرانه. وفي الوقت نفسه لا يضيع أية فرصة لينتقص في نظرنا من الإدريسي (ولكن ليس الإمام يحيى) وابن سعود، بينما يواظب ـ عن طريق عبد الله وبالذهب البريطاني ـ على شراء كل ما يمكن شراؤه من عشائر هذا الأخير (ابن سعود) وكسب ولائها إلى جانبه. ونأمل أن نسمع أكثر عن فعاليات ابن سعود حين تأتي التقارير الكاملة للبعثة البريطانية الموجودة الآن (٢٠ كانون الأول/ ديسمبر) في بلاده. وهناك أسباب طيبة للاعتقاد بأنه يلهب نيران الحماسة الوهابية كموقف ضروري، ولكنه خطر، مقابل ذهب الشريف ومعداته العسكرية.

إن الوهابيين قد اجتاحوا الحجاز في الأزمنة الحديثة وقد يكررون ذلك مرة أخرى. وابن سعود سيف الإسلام السلفي قد يقوم، بموافقة الإدريسي أو دون موافقته، باجتياح الدرع الأكثر علمانية لأمير مكة ـ على الرغم من معاهداتنا مع ثلاثتهم، فيكون ذلك فضيحة لدعايتنا للقومية العربية الكبرى. غير أن الاعتبارات التجارية قد تثلم حتى التعصب النجدي نفسه، وعلى ابن سعود أن يفكر في أسواقه التي تقع الشرقية منها الآن في الأيدي البريطانية (وذلك ما يفكر الملك حسين فيه بارتياح). ولذلك يقترح الحسين أن يضغط على ابن سعود من جهة الخليج والعراق، ويدفع الأمير فيصل إلى الأمام نحو منطقة عنزة وإلى دمشق.

فإذا نجح فيصل فإن الملك يكون في وضع يستطيع أن يحقق مآربه. وقد يرى ابن سعود إذ ذاك أن يكبح جماح رجاله المتعصبين عن محاولة تحقيق غايات مستحيلة ضد جيش شريفي منظم وله مدافعه. وقد حاول الإدريسي تعديل حدود مناطقه الداخلية، ويدخل الإمام يحيى في مفاوضات جدية مع عدن.

ولكن إذا أخفق فيصل ـ وذلك ممكن الحدوث ـ فالخصوم في وسط بلاد العرب وغربيها يكونون متعادلين في القوة، مع تغلب الحماسة الدينية في جهة، والبنادق في الجهة الأخرى. عند ذاك نكون في موقف عسير لإيجاد وسيلة لمنع الصراع حين يزول الخوف الذي يشترك فيه الجميع الآن، من حصول رد فعل تركي ناجح.

ومهما تكن نتيجة الوضع الحاضر فالظاهر أن فكرة الملك (حسين) هي في إمكان تحقيق حكومة مركزية فعالة تتولى المصالح الخارجية لوحدات جزيرة العرب المتعددة وتكون لها المقدرة على السيطرة على سياساتها المحلية. إن التاريخ ـ فيما عدا فترة سريعة من الحماسة الروحية ـ لم يذكر سابقة لجزيرة عربية موحدة. إن

ميول العرب السياسية تميل إلى الابتعاد عن المركز، ولا بد من وجود خليط عجيب من الدبلوماسية والقوة، ووعود بفوائد مادية، للقضاء على روح طائفيتهم واستقلالهم. ومن الناحية الأخرى، في منطقة تلعب فيها الشخصيات دوراً كبيراً، يفترض أن ترفع سلطة الملك حسين وأنجاله حكومة الملك فوق مستوى ضيق التفكير. وهذا ما قرن بالمساعدة السخية التي يتسلمها منا، بأن يمكّن الملك من النجاح إلى درجة أن يصبح «الأول بين متساوين» إزاء سائر الزعماء العرب. لكن الحقيقة العارية هي أن إخفاقه حتى الآن في استغلال العداء العربي للأتراك من أجل ضمان عمل مشترك من جانب زعماء الجزيرة العربية، يبدأ فألاً سيئاً لنجاح خططه الأكثر طموحاً. ولذلك يحتمل أن قوة الظروف سترغم الملك على تعديل خططه بنفس النسبة. وفي تلك الحالة قد تبقى الأحوال السياسية الحاضرة في شبه الجزيرة كما هي دون تغيير أساسي، باستثناء الحجاز حيث نستطيع أن نتوقع إنشاء إدارة تكون أكثر ثباتاً وتعاطفاً. وسوف يستمر الرؤساء المحليون المختلفون في احتفاظ كل واحد منهم، بمنتهى الغيرة، على استقلاله الإقليمي، وفي الوقت الذي يعترفون فيه بحكومة الملك كعامل جديد وخطير في السياسة العربية، فإنهم سيصوغون سياساتهم لتنسجم مع مصالحهم الشخصية والمادية.

ومع أنه ليس من الممكن في الظروف السائدة وضع تفاصيل سياسة للتعامل مع القضية العربية برمتها بعد الحرب، فيظهر أنه من المستحسن محاولة تحديد موقفنا العام من شؤون شبه الجزيرة لأجل ضمان قدر من الثبات والتنسيق في تعاملنا مع تطورات الوضع المحلي عند حدوثها.

(١) في مبدأ الأمر يحسن بنا أن نعرف الجميع بأننا نستاء كلياً من نشوب معارك بين العرب، مما يحتمل أن يؤثر في أمن البلاد المقدسة ويدمر المثل الأعلى (الدعائي) للوطنية والاتحاد العربي. وأفضل طريقة لنا في تحقيق الموالاة لرغباتنا في هذا الخصوص، وفي الحيلولة دون حدوث المنازعات، هي تحديد المعتدي أو، إذا اقتضى الأمر، جمع الفرقاء بفرض حصار ووقف الإعانات. وإذا هددت سلامة الأماكن المقدسة (وبنتيجة ذلك المصالح العامة الإسلامية) فقد يجدر بنا أن نفكر في استحسان إرسال حملة عسكرية (إسلامية).

(٢) فيما يتعلق بحكومة الملك فقد يمكننا إعلان اعترافنا بحقيقة كون الأهمية الدولية لوضع الحسين بصفته حامي البلدين الإسلاميين

المقدسين، تجعل علاقاتنا معه، وعلاقاته مع الدول الأجنبية، على أساس أرفع من علاقات أي زعيم عربي آخر. وعلينا أن نعد بمساعداتنا الطيبة لتأمين العون المالي اللازم لضمان كرامة مركزه وترصين إدارته الحسنة.

(٣) جميع المعاهدات بيننا وبين الحكام العرب الفرديين تبقى نافذة، ولكن دون إخلال بإمكان حصول اتفاق فيما بينهم بخصوص أرجحية الملك حسين. وعلينا أن نعلن استعدادنا للاعتراف بمثل هذا الاتفاق إذا تحقق.

(٤) قد يمكننا أن نعلن أن المصالح البريطانية في شبه الجزيرة تتعلق أساساً بما يلي:

(أ) سلامة الحج السنوي.

(ب) حصانة شبه الجزيرة العربية من الاحتلال الأجنبي أو التدخل إلى أبعد من الاتفاقية بين الفرنسيين وبيننا التي ترمي إلى احتفاظ كل دولة لنفسها والمناطق المجاورة لها (عدن مثلاً) وتلك التي تحت سيطرتنا.

وبشرط ضمان هذه المصالح بصورة كافية فلا رغبة لنا في التدخل في السياسات الداخلية لشبه الجزيرة.

(٥) في كل المفاوضات مع الزعماء العرب يجدر بنا أن نهتم بتحديد موقفنا نحو الملك حسين ونيتنا في تأييد مبدأ الاستقلال المحلي العربي. وعلينا أيضاً أن نؤكد رغبتنا في رؤية مبادىء التلاحم والتعاون تترجح على التفرق والخلاف في جزيرة العرب. وفي المفاوضات مع الزعماء الذين وقفوا موقفاً متباعداً عن الحركة المضادة للأتراك علينا أن نشجعهم على الدخول في علاقات مع حكومة الملك تضمن فوائدهم المتقابلة وتيسر اتصالاتهم مع الأماكن المقدسة الإسلامية.

FO 686/37

(١٠٣)

(كتاب)

من الملك حسين

إلى الجنرال اللنبي ـ فلسطين

(الأصل العربي) التاريخ: ٢٨ كانون الأول/ ديسمبر ١٩١٧

صاحب السعادة معتمد بريطانية العظمى بجدة

أمرني جلالة مولاي أن أرجوكم إرسال البرقية الآتية عن لسان جلالته إلى حضرة القائد الباسل الجنرال اللنبي القائد العام للجيوش البريطانية في فلسطين:

«إن العناية والحفاوة التي أشرتم إليها بالأماكن المقدسة هي جزء من شهامتكم وإحساساتكم النجيبة. والتاريخ يغنينا عن البحث في عظيم موفقيتكم التي ضاعفتم بها مزايا بريطانية العظمى، وإن هذا لهو المقدر لنصراء الحقيقة والعدل في كل زمان ومكان». انتهى.

وتفضلوا بقبول مزيد احترامي.

٢٨/١٢/١٧ عن الخارجية
١٤/٣/٣٧ مساعد[1]

FO 371/3056 (245417)

(١٠٤)

(برقية)

من السير ريجنالد وينغيت

إلى وزارة الخارجية

عسكري

الرقم: ١٤٠٩ التاريخ: ٢٩ كانون الأول/ ديسمبر ١٩١٧

برقيتي المرقمة ١٤٠٦ بتاريخ ٢٨ كانون الأول/ ديسمبر.

---

(١) مساعد اليافي.

وصلت الآن معلومات من مصدر موثوق تؤكد المعلومات الواردة في الفقرة الثانية من برقتي، ومؤداها أن الأتراك قد وضعوا حراساً حول معسكر ابن الرشيد في الهجر الذي هرب منه مؤخراً (٤٠) من أتباعه.

مكررة إلى الهند وبغداد.

مبادرات جمال باشا

CAB 27/23

(١٠٥)
(كتاب)
من أحمد جمال باشا ـ مقر القيادة العامة للجيش الرابع العثماني ـ الأركان العامة إلى الأمير فيصل

دمشق في ١٣/١١/١٣٣٣ رومي
(٢٦/١١/١٩١٧)م

إننا اليوم نعيش أكثر الصفحات غموضاً وشكوكاً في تاريخ الإسلام. إن الحكومة الحاضرة التي تدعى حكومة «تركية الفتاة» قد دخلت، لسبب أو آخر، الحرب الكونية مصممة على وضع حد لمذلة الإسلام، وعلى العيش بعز واستقلال، أو الموت بشرف. وحيث تعهدت بهذا اعتمدت الحكومة على التأييد القلبي والتعاون من جانب العالم الإسلامي. ولأجل تحقيق الغاية نهجت المنهج الذي وجدته الأفضل والأصوب، مظهرة العطف حيث يجب العطف، والشدة حين تلزم الشدة. وقد اعترفتم خلال اجتماعاتنا الكثيرة، في مناسبات عديدة، بعدالة وجهة نظرنا، وإنني طالما سمعت ذلك منكم.

وفي برقيتكم الأخيرة التي تعلنون فيها انفصالكم النهائي عنا، كنتم قد اعترفتم بغرابة تصرفكم هذا، ووعدتم بإيضاح دوافعه في اتصال شفهي يتم في المستقبل القريب، طالبين في الوقت الحاضر المعذرة على سلوككم. وهنالك زاوية واحدة يمكن منها تبرير ثورتكم لمصلحة العرب، وذلك إمكان تأسيس حكومة عربية مستقلة ستضمن بهيبتها استقلال الإسلام وكرامته ورفعته. ولكن أي نوع من الاستقلال يمكنكم أن تتصوروا لحكومة عربية تقوم بعد تدويل فلسطين، لقد أعلنت ذلك حكومات الحلفاء بصراحة وبصورة رسمية، مع وضع سورية تحت السيطرة الفرنسية تماماً، وجعل العراق بأسره جزءاً من الممتلكات البريطانية؟ وكيف ستتمكن حكومة كهذه من تقرير مصير الإسلام؟

لعلكم لم تفكروا بهذه النتائج في البداية. ولكنني آمل أن يظهر لكم مشهد الاحتلال البريطاني لفلسطين هذه الحقيقة عارية. وإنه لمن المؤلم حقاً رؤية هذه

الحقائق وهي تظهر للعيان بفظاعتها. والعزاء الوحيد هو أننا نعلم أن الأوان ليس متأخراً لحصر الكارثة أو إصلاح الأخطاء التي ارتكبت. فإذا اعترفتم بهذه الحقيقة فليس هنالك ما هو أسهل من إعلان عفو عام عن الثورة العربية وإعادة فتح المفاوضات لأجل حل المشكلة لصالح الإسلام. وإني واثق من أني بإرسالي هذا الكتاب أؤدي واجباً دينياً. والمسؤولية تقع على من لا يقدرون هذا. والسلام على من اتبع الهدى[1].

(موقع) أحمد جمال
القائد العام في سورية وغربي جزيرة العرب
ووزير البحرية

FO 686/38

(١٠٦)
(كتاب)
من أحمد جمال باشا
إلى جعفر العسكري[2]

١٣/ ١١/ ١٣٣٣ (رومي)
٢٦ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩١٧

سيدي،

أتذكر أنكم بعد أن كنتم تتعاونون معي في الهجوم على مصر، كنا نبحث في الخطط الضرورية لقيامكم مع قوات المجاهدين المسلمين بالهجوم على مصر من بنغازي. وكذلك أتذكر حماستكم وحرصكم في هذا الشأن. وقد بلغتني أنباء جهودكم في مصر جميعاً. وقد آلمني وأحزنني نبأ وقوعكم في الأسر بعد أعمالكم الطويلة ضد العدو. وقد بلغني أيضاً نبأ المجازفة التي أقدمتم عليها للهرب من الأسر. وبعد كل هذا أجدكم مع الجيش الذي يعزى إلى فعالياته نجاح الجنرال

(١) جاءت هذه الرسالة، بعد أن كشفت الحكومة الشيوعية في روسية، النقاب عن الاتفاقات السرية التي كانت هي طرفاً فيها، ومن جملتها اتفاقية سايكس ـ بيكو.
(٢) أرسلت هذه الرسالة إلى جعفر العسكري باللغة التركية والنسخة المحفوظة منها هي ترجمتها الإنكليزية التي نقلت عنها هذه الترجمة العربية.

اللنبي، واحتلال فلسطين التي دافع عنها صلاح الدين الأيوبي.

ولما كنت مقتنعاً أن جوهر الكيان الطبيعي للشخص لا يمكن أن يتغير، أعتقد أن السبب في وضعكم الحاضر هو الدفاع عن حقوق الأمة التي تنتمون إليها وأن تلك الثورة قد بدأت بكل إخلاص وبدون أخطاء. ولكن مهما كانت الأسباب التي لديكم لهذه الحركة التي تضر بالعالم كله ـ إذ كما يظهر أن الجيش البريطاني بقيادة الجنرال اللنبي على وشك أن يحتل القدس ـ فإنكم لست مصيبين، ولذلك أرغب في معرفة رأيكم بهذه المناسبة وأود أن أجتمع بكم شخصياً وأجري مقابلة معكم. فإذا كنت تصدق أنني سأضمن سلامتكم فبإمكانكم المجيء في أي وقت إلى معان ثم إلى سورية والتأكد من أنكم ستعودون سالمين متى ما شئتم ذلك، وستقدم لكم جميع التسهيلات اللازمة. أقسم بشرفي أنكم ستكونون في أمان تام، سيدي.

أحمد جمال

القائد العام في سورية وبلاد العرب الغربية كافة

ووزير البحرية

FO 371/3380

(١٠٧)

(برقية)

من السير ريجنالد وينغيت

إلى وزارة الخارجية

(تعرض على الملك ومجلس وزراء الحرب)

الرقم: ١٣٩٤ التاريخ: ٢٤ كانون الأول/ ديسمبر ١٩١٧

أرسل إليّ الملك حسين نسخاً من كتابين مؤرخين في ١٣ تشرين الثاني/ نوفمبر وموجهين من أحمد جمال باشا (القائد العام في سورية وغربي البلاد العربية) إلى الشريف فيصل، وجعفر باشا.

جمال باشا يحث على ضرورة الوحدة الدينية لمواجهة التقدم البريطاني في

فلسطين، ويؤكد أن العرب يستطيعون الآن تحقيق أهدافهم العربية بواسطة حسن نية تركية. إنه يرى أن الهدف المحتمل الوحيد للثورة العربية كان خلق امبراطورية عربية مستقلة قادرة على حماية كرامة الإسلام. إن أهداف الحلفاء في سورية والعراق ستكون عقبة مؤثرة دون ذلك. فإذا اعترف العرب بأنهم كانوا مخدوعين، فلن تكون هنالك صعوبة في الحصول على عفو عام من تركية لثورتهم وفي «فتح المفاوضات من جديد بقصد تسوية المشكلة لصالح الإسلام».

وفي رسالة إلى جعفر باشا يقطع له وعداً بضمان سلامته إذا جاء إلى دمشق لبحث الوضع الراهن معه.

أعتقد أن هذه المبادرات ربما كانت ذات صلة ببعثة الخديو السابق، على الرغم من أن اسمه لم يذكر. اقترحت على الملك حسين عدم إرسال أجوبة رسمية، ولكن الميجر لورنس سيستشير فيصل فيما إذا كان من الممكن الحصول على تأكيد آخر للسياسة التركية الجديدة عن طريق تبادل رسائل شفوية بينه وبين جمال.

ترجمة الرسائل سترسل بالحقيبة.

FO 686/37

(١٠٨)
(كتاب)
من السير ريجنالد وينغيت
المندوب السامي في مصر
إلى الملك حسين

(الأصل العربي)[١] التاريخ: القاهرة ١٢ كانون الثاني/ يناير ١٩١٨

صاحب الجلالة الهاشمية الحسين بن علي ملك الحجاز وشريف مكة المكرمة أيده الله.

---

(١) الأصل العربي المرسل إلى الملك حسين. المراسلات التاريخية، مصدر سابق، ص ١٦٣.

تحية وداد خالص وسلام طيب ذكي إلى الملك المعظم والشريف الأكبر.

أما بعد فقد تشرفت برسالة جلالتكم رقم ٢٩ كانون الأول/ديسمبر ومعها صور التلغرافات والتحارير التي تشير إلى مخاطبات ولدكم الشريف سمو الأمير فيصل من قبل جمال باشا. ولقد سررت إذ وجدت أن هذه الصور تطابق في جوهرها المراسلات التي كانت قد وصلتني قبلاً، والتي وقفت منها على رغبة جلالتكم ونواياكم الطيبة الشريفة.

ثم إن تعليمات جلالتكم التي بلّغت إلى الأمير فيصل دلتني على سرعة خاطر جلالتكم وإدراككم لحقيقة الحالة. وجاءت تعليماتكم مطابقة لمقتضيات الحالة تماماً. وسررت بها سروراً عظيماً وهي نفس رأيي أنا في الأمر.

لي الأمل أن تكون حالة التلغراف اللاسلكي قد تحسنت الآن. ولقد ساءني جداً تأخير باخرة الجمال المرسلة إلى العقبة. ولا بد أن يكون الكرنل باسيت أوضح لجلالتكم كيف حصل ذلك.

أهنىء جلالتكم من صميم فؤادي لانتصارات الجيوش العربية تحت قيادة أصحاب السمو الأمراء الأشراف، وأتمنى استمرار هذه الانتصارات. وإنه بهمة الأمراء وسعيهم مع مساعدة الباري يتم فتح المدينة قريباً.

الخطب والتصريحات التي فاه بها بعض كبار الساسة من الحلفاء، تدل بأجلى وضوح على شدة رغبة الحلفاء بترقي وتقدم وإحياء الأمة العربية، التي كانت نهضة جلالتكم باعثاً عظيماً لها على ذلك وتشجيعاً كبيراً في هذا السبيل.

لا بد أن تسروا يا صاحب الجلالة بخبر تقدم الكولونل ويلسن إلى الصحة، وهو موجود في مستشفى السويس. ولقد أخبرني الميجر كورنواليس عن زيارتهما مؤخراً إلى سمو الأمير عبد الله وعن شديد احتفائه وحسن ضيفاته لهما.

أختم تحرير هذا ببث شعائر الوداد الصادق والسلام الطيب وأيد الله جلالتكم.

نائب الملك بمصر

FO 686/75

(١٠٩)
(كتاب)
من نائب المعتمد البريطاني في جدة
إلى الملك حسين

الرقم: ١٦٣ التاريخ: ٨ شباط/فبراير ١٩١٨

صاحب السيادة العظمى ملك الحجاز وشريف مكة وأميرها المعظم.

بعد بيان ما يجب بيانه من الاحترام والتوقير، أمرني جناب فخامة نائب جلالته أن أبلغكم البرقية التي وصلت إلى فخامته من نظارة الخارجية البريطانية بلندن، وقد عنونتها حكومة جلالة ملك بريطانية العظمى باسم جلالتكم، وهذا نصها:

«إن حكومة جلالته تشعر بامتنان عميق للسرعة والصراحة التي حملت سموه على أن يرسل إلى المندوب السامي رسالة القائد التركي في سورية الموجهة إلى الأمير فيصل وجعفر باشا. إن ما قام به سموه مثال للصراحة والصداقة اللتين ميّزتا دائماً الاتصالات بين حكومة صاحب الجلالة وحكومة الحجاز. لا ريب أن السياسة التركية ترمي إلى زرع عدم الثقة بين دول الحلفاء والعرب، الذين يقومون تحت تأثير سموه الملهم، ببذل الجهود الحثيثة لاسترجاع حريتهم القديمة، وذلك بالإيحاء للعرب أن الدول الحليفة تطمع في الأقطار العربية، وللدول الحليفة بأن العرب يمكن تحويلهم عن هدفهم في تحرير أنفسهم. لكن أقوال الدساسين لا تستطيع أن تثير الخلاف بين أولئك الذين تنطوي أذهانهم على فكرة واحدة.

إن حكومة صاحب الجلالة وحلفاءها يقفون بثبات إلى جانب الأمم المضطهدة، وهم يعتزمون مساندة الشعوب العربية في كفاحها لأجل إعادة بناء عالم عربي يقوم فيه القانون مرة أخرى مقام المظالم العثمانية والاتحاد مقام المنافسات والحزازات المصطنعة التي يشجعها الموظفون الأتراك. وحكومة صاحب الجلالة تعيد تأكيد تعهداتها السابقة لعظمته بخصوص تحرير الشعوب العربية. إن التحرير هو سياسة حكومة صاحب الجلالة التي اتبعتها، وتنوي اتباعها، بعزم ثابت لحماية العرب الذين تم تحريرهم من خطر عودة الاحتلال ومساعدة العرب الذين لا يزالون تحت

نير المضطهد لأجل الحصول على حريتهم».

وفي الختام ألتمس قبول خالص التحيات وعظيم الاحتشامات والتمنيات.

نائب المعتمد البريطاني بجدة

الكولونيل باسيت

FO 686/38

(١١٠)
(كتاب)
من أحمد جمال باشا
إلى الشريف عبد الله

التاريخ: ٢٢/ ١١/ ١٣٣٣ (رومي)
١٠ شباط/فبراير ١٩١٨

كنت قد أرسلت كتاباً إلى والدكم المحترم، مع رسول خاص وشرحت له بعض النقاط التي كانت تدور في خاطري، وهذه النقاط خالية من الشكوك والمطامع. إنني لا أشك في أنكم ستتأملون الموضوع بدقة وصراحة، ولا أعتقد أن الوقت قد فات بالنسبة لبحث أفكار المسلمين وارتباطاتهم المتعلقة بتفكك الاتحاد الإسلامي، وإنني لا أشعر بغير ذلك.

حاشية: وصل إلى هنا شخص يدعى أحمد نجيب وقال إنكم أرسلتموه كممثل، ولما كان لا يحمل معه رسالة يبرزها فإننا رفضنا قبوله. الرجل المذكور سيرسل لكم كتاباً بواسطة رسول خاص، فإذا كان الرجل مرسلاً كممثل لكم يرجى تأييد ذلك لنا.

أحمد جمال

القائد العام في سورية وغربي بلاد العرب

ووزير البحرية

FO 371/3380 (30650/W)

(١١١)
(كتاب)
من وزارة الخارجية
إلى وكيل وزارة الهند

الرقم: التاريخ: ٢٣ شباط/فبراير ١٩١٨

سيدي،

إشارة إلى كتابكم المرقم P. ٦٢٦ بتأريخ ١٦ الجاري المتضمن صورة برقية السير ب. كوكس رقم ١٥٥٨ بتاريخ ٢٤ شباط/فبراير، أوعز إليّ السيد الوزير بلفور بأن أقترح، لأنظار وزير الهند، أن يبرق البيان التالي إلى بغداد لأجل النشر:

«في شهر تشرين الثاني/نوفمبر الماضي أرسل أحمد جمال باشا قائد القوات التركية في سورية إلى الأمير فيصل، وإلى جعفر باشا، كتباً حاول فيها أن يثير الشكوك في أذهان الزعماء العرب وأن يزرع الخلاف بينهم وبين حلفائهم. أرسل الأمير فيصل هذه الكتب بالأصل إلى الملك حسين وقام عظمته فوراً بعرضها على الحكومة البريطانية.

وحكومة صاحب الجلالة قامت، تقديراً لهذا العمل المخلص من جانب الملك حسين، بالإيعاز إلى المندوب السامي لصاحب الجلالة في مصر بأن يرسل الرسالة الآتية إلى عظمته»:

> «نص الكتاب المؤرخ في ٨ شباط/فبراير ١٩١٨ من الكرنل باسيت إلى الملك حسين (الوثيقة رقم ١٠٩ الصفحة ٣٠٠)».

FO 371/3403 (53608)

(١١٢)

(برقية)

من السير ريجنالد وينغيت (القاهرة)
إلى وزارة الخارجية (لندن)

الرقم: ٥٤١ التاريخ: ٢٣ آذار/ مارس ١٩١٨

(سري)

علمت بشكل سري أن رسالة خطية أرسلت مؤخراً من الأمير فيصل إلى قائد الجيش الرابع التركي، مآلها أن الأول، بشرط قبول الحكومة العثمانية أولاً ومن حيث المبدأ باستقلال العرب، مستعد للدخول في مفاوضات سرية تهدف إلى المصالحة بين العرب والترك. ويقترح الكاتب إضافة إلى ذلك أن الوضع الخطير للوحدات التركية التي تدافع عن الحجاز يتطلب انسحابها وتركيزها بين عمان ودرعا، وكذلك وعند تساوي العوامل الأخرى، فإن العرب لن يكونوا متعنتين إزاء مسألة الخلافة.

إن من الصعوبة بمكان، إبداء مدى الأهمية التي يجب إعارتها لهذه المراسلة، وكذلك فإنه ليس من الحكمة الاستفسار مباشرة من الأمير فيصل عن حقيقة دوافعه. ولكن قراءتها سوية مع كتابي السري والشخصي إلى سايكس في ١٣ آذار/ مارس، تؤكد شكّي بأن قادة قوات الشريف الذين يحسون بالكآبة من الوضع العسكري بشكل عام، والشكوك إزاء سياسات الحلفاء في سورية وفلسطين، يحاولون جس النبض للتيقن من وجهة النظر التركية الرسمية حول مستقبل البلاد العربية.

FO 686/38

(١١٣)
(كتاب)
من الكرنل باسيت
المعتمد البريطاني في جدة بالنيابة
إلى الملك حسين

الأصل العربي

خصوصي **جدة في ١٤ جمادى الثانية ١٣٣٦**
٢٧ آذار/ مارس ١٩١٨

سيدي وعزيزي

بعد إبداء ما يجب بيانه من التوقير، أرفع لجلالتكم جزيل الشكر على تفضلكم بإرسال خطابات أصحاب السمو الأمراء الكرام لأطلع عليها، وكذا الملفوفات من جمال وفرحان الأيدا وها أنا أعيدها جميعها طي هذا. وقد قرأتها باهتمام عظيم، وأرى أن خطاب جمال لسيدي عبد الله موقع عليه تحت القائد العام لسورية وبلاد العرب الغربية وناظر البحرية. أليس هذا من أحمد جمال الأول؟ فإني ما سمعت أن محمد جمال الثاني قد اتخذ هذه الوظائف. ولكني أرى أن جلالتكم تكتبون على أن الكتاب من جمال الثاني. وإني لم أستطع قراءة الإمضاء إذا كان أحمد أو محمد، إلاّ أن تاريخ الخطاب هو منذ ٤٥ يوماً. وإنه يسرني أن أرى من خطاب سيدي علي أن أي خلاف جزئي كان قد وقع مع بعض أقسام معينة من حرب، قد فصل، وأن سيدي علي نفسه قد استراح على يدي الدكتور خليل وفي تحسن، ولعله يعود للصحة التامة قريباً. وإن اغتنام كيس بريد ابن الرشيد لشيء سار جداً، وربما يرسل سيدي عبد الله الخطاب إلى مكة، فإذا تفضلتم جلالتكم بأن تطلعوني على بعضها فإنه يكون ذا فائدة أن يعرف لمن هي معنونة، وإني أعلم تماماً تعب سيدي عبد الله من جهة البغال وأن هناك نقصاً عظيماً في البغال. وقد وردني الرد من مصر على طلب حديث أنه غير موجود منها شيء، ولكن لي عظيم الأمل أنه بعد زمن ليس بطويل يتيسر الحصول على احتياجات سمو الأمير في هذا الخصوص بالمكان من بغال الأعداء التي في أبو النعم. وأفتكر أننا نسمع قريباً أنه قد اغتنم

منها بعضها واستخدمت في مدافع سيدي عبد الله بدل من أن يركبها عساكر الأتراك.

وإني لآسف من أن جلالتكم لم تسروا من أن الميجر ديفنبورت ذكر انسحاب سيدي فيصل المنتظم إلى جنوب الطفيلة، وإنه إنما ذكر ذلك لسيدي عبد الله كبلاغ، حيث يهم القومندان أن يعرف عن القوة الأخرى التي هو مشترك معها في العمل. وإن الميجر ديفنبورت ما كان ليبلغ ذلك كخبر مزعج، فإنه لم يكن هناك شيء مزعج بالمرة عن هذا الانسحاب المؤقت، ففي الحرب كثيراً ما يقتضي انسحاب منتظم بهذه الكيفية كفاتحة تقدم جديد واستهلال ظفر جديد. وإنه لمن المهم أن يعرف قومندانات الجيوش المشتركة حركات بعضهم بقدر الإمكان. وعلى كل حال فإني أثق يا سيدي وعزيزي أن الحوادث التي تلقت قد عملت على إزالة أي قلق تماماً يكون سمو الأمير عبد الله قد شعر به في هذا الشأن. وإني قد اطلعت على قطعة (الأهرام) التي أرسلتموها جلالتكم إليّ، وإني لملفت أنظار السلطة بمصر إلى العبارات التي يشير إليها سيدي فيصل. وإنه لشيء مهم أن محمد جمال الثاني قد شرع في فتح مخابرة مع سيدي فيصل. وإن لهجة جمال برسالته عن واسطة مندوبه لحقيرة جداً ودنيئة، وإن إجابة سمو الأمير الجليل هو الجواب الوحيد لمقابلة مثل تلك الأكاذيب والادعاءات الباطلة. وإن خطاب جلالتكم لسيدي فيصل على الموضوع الذي تفضلتم جلالتكم بإرسال صورته إليّ، يبين ثانياً حسيات جلالتكم الصادقة وعزمكم على رفع أمر النهضة بالحرية والعدالة والحق، رغم مساعي العدو الكاذب الدنيئة، ومحاولته إرجاع العنصر العربي عن غرضهم الشريف. وفي الختام أرجو يا سيدي وعزيزي أن أرفع لجلالتكم أخلص احتراماتي وتشكراتي العظيمة لتفضلكم بإرسال الكتب إليّ. وأسأل الله أن يديم جلالتكم في صحة وعافية لتقودوا أمر الخلاص العظيم إلى خاتمته الظافرة الذي أنتم بطله الأمين[1].

مخلصكم
الكولونيل باسيت

---

(١) المراسلات التاريخية، مصدر سابق، ص ١٨٦ ـ ١٨٧.

FO 371/3403 (59262)

(١١٤)

(برقية)

من الجنرال كلايتن (القدس)

إلى وزارة الخارجية (لندن)

الرقم: I.B.1055 التاريخ: ٢ نيسان/أبريل ١٩١٨

برقيتكم ٦٠ في ٣٠ آذار/مارس.

إن الشريف فيصل لا يقصد بالضرورة أن يكون غير مخلص لنا أو أن يصل إلى تفاهم دائمي مع العدو. لقد أعرب للميجر لورنس من قبل عن رأيه بأنه حالما يكون للعرب هدف مضمون في الأراضي العربية فسيكون من الضروري لهم أن يتفاهموا مع الأتراك. إن وجود تركية معادية في شمال الأراضي العربية مباشرة سيكون مصدر إزعاج أبدي لاستقلال العرب، ومصدر قلق لنا حيث سيلتفت العرب إلينا بطلب الحماية.

وعليه فلا يستتبع ذلك منطقياً أن ما يعمله فيصل هو أكثر من محاولة التأكد من موقف تركية من تقارب نهائي. إذا تم تأمين أهداف العرب بصورة كاملة فإن عقد اتفاقية بين العرب والأتراك سيزيل حتماً بعض العقبات التي تعترض قيام صلح منفرد بين بريطانية العظمى وتركية، وتوفر قناة يمكن من خلالها إضعاف السيطرة الألمانية على الطورانية بواسطة النفوذ البريطاني وإن ترسيخ استقلال العرب سيكون دليلاً على تأييد بريطانية ـ دون أن تكون لها أية مصلحة ـ لإنكار التحرر الوطني والاستقلال. وإن قيام دولة عربية مسلمة صديقة، أو اتحاد دول عربية، سيقاوم الأعمال العدوانية التي تقوم في العالم الإسلامي على خطوط موازنة للطورانية تحت التوجيه الألماني. إن الخوف من السيطرة الألمانية الذي عززته السياسة الألمانية في روسية سيجعل المشاعر الوطنية التركية تميل نحو بريطانية العظمى التي تبدو سياستها، لدى المقارنة، أفضل من سياسة ألمانية. وفي الوقت نفسه يجب أن نتذكر أن فيصل يحمل شعوراً قوياً بالإسلام، وبهذه الصفة قد لا ينظر بعدم الاكتراث الكامل إلى تدمير تركية كدولة إسلامية كبرى. إن التقارير المبالغ فيها عن الانتصارات الألمانية قد تعمل أيضاً على تعجيل الأمور. أما التأثيرات الأخرى فهي

حتماً الشكوك عميقة الجذور في السياسة الفرنسية في سورية، تلك الشكوك التي لم تخفف منها خطب المسيو «غو» و. . . (؟)، ومنها أيضاً بعض أهداف الصهيونية. ولذلك فمن المرغوب فيه ترسيخ التحالف العربي مع بريطانية العظمى بكل الوسائل الممكنة.

إن سلطة فيصل يمكن الاعتراف بها في جميع المناطق التي يحتلها في الجانب الشرقي من الأردن، كما أن المناطق الواقعة في شمالها تتطلع إليه. وبإمكاننا أن نؤكد له اعترافنا بهذا على الرغم من أن قواتنا في الوقت الحاضر لا تحتل أية مناطق يعتد بها في الجانب الشرقي من الأردن.

ومن المرغوب فيه جداً أن يقوم فيصل بزيارة إلى القدس لمقابلة القائد العام، وهي ستدبر بأقرب وقت ممكن مع اعتماد ذلك على قدرته على ترك جيشه لاعتبارات عسكرية. وينبغي، إن أمكن، أن يقابل الدكتور وايزمان، وأن يعاد تطمينه فيما يتعلق بنطاق الحركة الصهيونية. ومن المرغوب فيه جداً أيضاً أن يتلقى المسيو بيكو تعليمات من حكومته ليقدم إلى فيصل تصريحاً مخولاً به ينفي فيه أية نية للسيطرة على الشعب السوري. ومن المقترح منح فيصل وسام «فارس الإمبراطورية البريطانية .K.C.B» وأن يقلده إياه القائد العام خلال زيارة فيصل للقدس. إن أي توزيع للهدايا على نطاق واسع قد يفسر كعلامة للضعف، ولكن قد تظهر هناك حالات فردية مناسبة.

إذا تكللت زيارة فيصل بنتائج مرضية فسيكون في وضع يمكنه من تطمين ملك الحجاز.

FO 371/3403 (59262)

(١١٥)

(مذكرة)

أعدت في وزارة الحرب

عن علاقات الأمير فيصل بالأتراك

إشارة إلى برقيتي الجنرال كلايتن ١٠٥٥ .I.B و١٠٥٦ .I.B في ١٩١٨/٤/٢.

يبدو من الواضح أن فيصل مستعد للتحدث إلى الترك. ويجب علينا أن لا نشجع فيصل على عمل أية ترتيبات من أجل علاقات «ما بعد الحرب» مع الترك.

إن من الخطر على فيصل أن يحاول التأكد الآن هل أن الأتراك مستعدون للتقارب في النهاية. ونحن نعلم أن الأتراك، بتحريض من الألمان، يحاولون إصلاح سياستهم نحو العرب، ويبدو أن محاولاتهم كانت تصيب شيئاً من النجاح.

إن هناك بالنتيجة خطراً أكثر، في انتشار النفوذ الألماني إلى الحجاز من انتشار النفوذ البريطاني إلى منطقة القوقاز ـ بحر الخزر. وبدلاً من تسهيل سلام بين بريطانية العظمى وتركية، فإنه سيبطل مفعول الأمر الواقع الوحيد لنا، وهو فصل العرب عن الإمبراطورية العثمانية. ومن المحتمل أن تكون تركية مسرورة فعلاً لرؤية ألمانية مشغولة مع روسية لأن في ذلك يكمن الأمل في أن لا تتحقق عليها سيطرة ألمانية.

أضف إلى ذلك، أن تركية لا بد وأن تكون سعيدة دوماً لرؤية عدوتها التقليدية، وقد أهينت.

إن غريزة فيصل الطبيعية موالية للأتراك ومناهضة للوهابيين، مثلما هي معارضة لمؤيدي الحلفاء، ويجب أن لا نفاجأ بميله إلى حماية نفسه من الخسارة بعقد صفقة تعويضية، وبصورة أخص بعد أن انسحب الجنرال اللنبي من شرقي الأردن.

ويبدو أن الجنرال كلايتن ينسى أن التطور الأخير في موقف فيصل هو نتيجة مباشرة للوحي الألماني، والجنود الألمان في عمان، ويندرماير الذي يدير الدعاية السياسية شرقي نهر الأردن.

«ختم»
هيئة الأركان العامة
وزارة الحربية
مدير الاستخبارات العسكرية
٥ نيسان/ أبريل ١٩١٨

FO 371/3403 (62538)

(١١٦)

(برقية)

من السير ريجنالد وينغيت (القاهرة)

إلى وزارة الخارجية (لندن)

الرقم: ٦٥٥ التاريخ: ٨ نيسان/أبريل ١٩١٨

انظر برقيتي (سري) رقم ٥٤١ في آذار/مارس.

بعث إليّ ملك الحجاز نسخاً من كتب فيما يلي خلاصتها.

(١) من الأمير فيصل إلى الملك، بدون تاريخ، ولكن من الواضح أنه كتب في شباط/فبراير. يفيد وصول مبعوث من محمد جمال (الثاني) قائد الجيش الرابع التركي للاستعانة بوساطة فيصل لدى الملك من أجل عقد محادثات تمهيدية من أجل السلام بين العرب والأتراك. وأوصى المبعوث بأن الأتراك قد يكونون مستعدين لإخلاء مناطق (عربية) لصالح الشريف. ونقل فيصل للمبعوث قوله السابق لجمال الأول بأن السيف هو الحكم بينهم ولكنه أضاف لو أن الأتراك، كبادرة على حسن نيتهم، سحبوا جميع حامياتهم الجنوبية (وبضمنها المدينة) إلى عمان، فإنه عند ذلك سيرفع القضية للملك للنظر فيها. وصرح المبعوث بأن الوضع العسكري الحالي للأتراك يضطرهم إلى عقد تسوية مع الشريف. ويعرب فيصل عن عدم تصديقه لإخلاص هذه العروض، ولكنه يطلب تعليمات الملك.

(٢) من الملك إلى الأمير فيصل، رداً على أعلاه. يؤيد بشدة قول فيصل للمبعوث، مبدياً أن وعود الحلفاء المتعلقة بالعرب هي أفضل ضمان لحدود العرب في المستقبل. يبلغ فيصل بأنه قد يلتقي جمال (الثاني؟) إلاّ أنه ليس بإمكانه إضافة جديد إلى ما قاله سابقاً لأن الوقت لا يعدّ مواتياً بعد للمفاوضات. وإن سياسة الملك هي عدم التدخل في شؤون غير العرب المقيمين في المناطق العربية، ولكن سيطرة دولة أجنبية على هذه المناطق ليس مرغوباً فيه. وهو يأمر فيصل بأن لا ينسى، أثناء تعامله مع الصهاينة والطائفيين الآخرين، بأن من مصلحة العرب المحافظة على حقوقهم والدفاع عنهم بكل الوسائل.

ترجمة الكتب ستبعث بريدياً.

FO 371/3403

(١١٧)

(برقية)

من وزارة الخارجية (لندن)

إلى الجنرال كلايتن (القدس)

الرقم: ٧٠ التاريخ: ١٦ نيسان/أبريل ١٩١٨

برقيتكم رقم ١٠٥٥ (في ٢ نيسان/أبريل. فيصل والأتراك).

إنني لا أشك في إخلاص فيصل، ولكن الأدلة المتراكمة تشير إلى أن التطور الأخير في موقفه هو نتيجة غير مباشرة للوحي الألماني، أما عبر يندرماير أو جهة أخرى. إن الألمان يرغبون، بلا شك، في تحقيق مصالحة بين العرب والترك، وبالتالي فإن أي ميل من جانب العرب للتساهل مع الأتراك يجب أن لا يلقى أي تشجيع على الدوام.

إن ذلك خطير بحد ذاته، وكذلك فإنه بدلاً من أن يسهل أية ترتيبات بين بريطانية العظمى وتركية في المستقبل، سيعرض للخطر الفوائد الإيجابية التي حصلنا عليها حتى الآن من تركية.

يرجى التكرار للمندوب السامي للاطلاع.

FO 371/3403 (69993)

(١١٨)

(برقية)

من الجنرال كلايتن (القدس)

إلى وزارة الخارجية (لندن)

الرقم: I.B. ١١٩٩ التاريخ: ١٩ نيسان/أبريل ١٩١٨

برقيتكم الرمزية رقم ٧٠ في الرابع عشر.

إن برقيتي المرقمة (١٠٥٥) أشارت فقط إلى تطور محتمل في الأوضاع بعد الحرب، وأوضحت وجوب عدم تشجيع أية محاولة من جانب فيصل لتقديم تنازل تجاه تركية في الوقت الذي تستمر فيه الحرب، رغم أنه من المهم جداً أن لا نظهر له أي دليل على أننا نرتاب في أن لديه نوايا كهذه.

إن العمليات الحربية الجارية الآن في معان تظهر حيوية وعزماً من جانب فيصل فاقا كل ما بدا منه حتى الآن، وهي تدل على أن نفوذنا يتصدى للدعاية الألمانية (والتركية؟) بنجاح. سأكون ممتناً لسماع جميع الأدلة المتجمعة التي تشير إلى أن فيصل آخذ بالتأثر بالدعاية المعادية، مع التفاصيل المتعلقة بالوسائل المتعددة التي يستخدمها العدو. وسأكون سعيداً أن أعلم ماذا تم من قضية منح فيصل وساماً بريطانياً.

معنونة إلى وزارة الخارجية. مكررة إلى مدير الاستخبارات العسكرية.

FO 371/3403 (62538)

(١١٩)

(برقية)

من وزارة الخارجية (لندن)

إلى السير ريجنالد وينغيت (القاهرة)

الرقم: ٥٥٧ التاريخ: ٢٠ نيسان/ أبريل ١٩١٨

برقيتكم رقم ٦٥٥ (في ٨ نيسان/ أبريل. الأمير فيصل والأتراك):

يرجى إبلاغ الملك حسين رسالة شكر وتثمين نيابة عن حكومة صاحب الجلالة لولائه وإرساله على الفور هذه المراسلات إلينا، مضيفاً ابتهاجنا العظيم لرؤية أن سيادته يدرك، كما نفعل نحن، أن الوسيلة الوحيدة لمجابهة مساعٍ كهذه من العدو تهدف إلى زرع بذور الشك بيننا وبين الحكومة الهاشمية، تكمنُ في الحفاظ على هذه العلائق الصريحة والمفتوحة التي لا يمكن أن تنجح ضدها أية مناورة ماكرة.

FO 686/39

(١٢٠)

(كتاب)[١]

من اللفتنانت كرنل ويلسن
إلى الملك حسين

التاريخ: جدة في ٤ رمضان ١٣٣٦
١٢ حزيران/يونيو ١٩١٨

سيدي العزيز

أتشرف بإحاطة علم جلالتكم أنني أرسلت صورة تلغراف جلالتكم المستعجل بتاريخ ٧ حزيران/يونيو بخصوص خطاب جمال باشا الذي أرسله لسمو الأمير فيصل، لفخامة نائب جلالة الملك. وقد كلفني فخامته أن أهدي جلالتكم أعظم وأجزل تشكراتي الودية عى تفضلكم بإبلاغي الخبر الذي أرسله فخامته إلى حكومة جلالة الملك. وقد كلفني فخامته أن أقول أيضاً إنه رغماً من هجوم الألمان الشديد بفرنسة، ابتدأ الأتراك أن يدركوا انحطاطهم الذي يتزايد بسرعة ويشعروا ببطلان وعود الألمان. وإنه يلزمنا أن ننتظر تجديد عرض صلح غير صادق. وإن رد جلالتكم على هذا المسعى الأخير للمخابرة، هو عين الرد الذي ـ أجابت به لندن وباريس وروما على هذه المشاريع مع برلين وفيينا. فليس هناك ثمة جواب آخر أو رد يمكن إعطاؤه على مثل هذه المراسلات للأعداء، حتى يعترفوا لسطوتنا ونفوذنا الحربي السياسي والمعنوي، وحتى تتأمن تماماً جميع الأغراض الشريفة العظيمة التي من أجلها يحارب الحلفاء.

ويقول فخامته أيضاً إن تعليمات جلالتكم لسمو الأمير فيصل، تبين مدارك جلالتكم الجليلة النيرة الصائبة نحو الحالة، وإن حكومة جلالة الملك تقدر لطف

---

(١) الأصل العربي الذي نشره الأستاذ سليمان موسى نقلاً عن أوراق الأمير زيد ـ ويلاحظ أن الترجمة العربية تخاطب الملك حسين بلقب صاحب الجلالة، في حين أن الأصل الإنكليزي الذي كتبه الكرنل ويلسن، ثم ترجم إلى العربية، يتضمن عبارة (Your Highness) التي تقابل «سموكم».

جلالتكم بتبليغكم إياها تقديراً عالياً. وتفضلوا يا سيدي وعزيزي بقبول خالص احتراماتي وعظيم تسليماتي.

مخلصكم
(التوقيع) ويلسن باشا

FO 686/39

(١٢١)
(كتاب)
من الملك حسين
إلى المعتمد البريطاني في جدة

التاريخ: ٥ رمضان ١٣٣٦
(١٣ حزيران/ يونيو ١٩١٨)

صديقي العزيز

تسلمت بسرور عظيم رسالتك المؤرخة في ٤ رمضان ١٣٣٦ (١٩١٨/٦/١٢) ولم أستغرب إعرابكم عن إعجاب فخامة المندوب السامي بجوابي على طلب تركية الصلح مرة أخرى، لأنني سبق أن أبديت، أكثر من مرة، أن المستقبل سيظهر لكم مشاعرنا الحقيقة. ولكنني أود أن أشرح لسيادتكم مرة أخرى أن بريطانية العظمى إذا كانت تظن أن بإمكانها عقد مثل هذا الصلح، فبوسعها أيضاً أن تظن أنه مما يمكن لنا أيضاً. وبعد الاتكال على الله أود أن أبلغك أيضاً بوصفك معتمداً بريطانياً وممثلاً لجلالة ملك بريطانية لدى الحكومة العربية، أنه لن يكون هنالك صلح قط بيني وبين الأتراك في مثل هذه الظروف، وسواء أكنت على شيء من الأهمية أم لم أكن، إلى أن يحكم الله بينهم ومن يساعدونهم وبين حلفائي. إنني أقسم على هذا والله وملائكته ورسله شاهدين على ذلك، أيها الصديق العزيز.

شريف مكة وأميرها
وملك البلاد العربية

FO 371/3381

(١٢٢)

(برقية)

من السير ريجنالد وينغيت (الإسكندرية)

إلى وزارة الخارجية

الرقم: ٩٤٨ التاريخ: ١٦ حزيران/يونيو ١٩١٨

عاجل

إن ملك الحجاز الذي يبدو أنه اطلع لتوه في جريدة (المستقبل) العدد ١٠١ على تقرير عن الخطاب الذي ألقاه جمال باشا قبل سقوط القدس ببضعة أيام، قد أرسل برقية شديدة إلى وكيله موعزاً إليه بالقيام بتحقيقات عن الاتفاق البريطاني ـ الفرنسي ونطاقه.

ولا بد أنك تتذكر أن الملك لم يبلغ قط باتفاقية سايكس ـ بيكو بصورة رسمية.

نصحت الوكيل أن يقول إن البلاشفة وجدوا في وزارة خارجية بتروغراد سجلاً لمحادثات قديمة وتفاهم موقت (وليس معاهدة رسمية) بين بريطانية وفرنسة وروسية في أوائل الحرب تفادياً لقيام صعوبات بين الدول في تنفيذ الحرب مع تركية. إن جمال إما بسبب جهله، أو بدافع الخبث، قد شوه غرضها الأصلي وحذف بنودها المتعلقة بموافقة السكان المحليين وحماية مصالحهم، وتجاهل أن قيام الثورة فيما بعد ونجاحها، وانسحاب روسية منذ مدة طويلة، قد خلق وضعاً مختلفاً تماماً. هل لي أن أضيف أننا نعتبر الاتفاقية ميتة من جميع النواحي العملية؟

FO 371/3381

(١٢٣)

(برقية)

من وزارة الخارجية

إلى السير ريجنالد وينغيت (الرملة)

الرقم: ٧٨٠ التاريخ: ١٨ حزيران/يونيو ١٩١٨

برقيتكم المرقمة ٩٤٨ (المؤرخة في ١٦ حزيران/يونيو).

إن السؤال الوارد في الجملة الأخيرة من برقيتكم ستنظر فيه اللجنة الشرقية غداً. وفي هذه الأثناء عليكم أن تؤكدوا لوكيل الملك أن خطاب جمال قد ألقي بقصد إحداث انشقاق بين صفوف الحلفاء ونشر في (المستقبل) وهي الجريدة التي كانت سياستها بصورة مستمرة تهدف إلى الانضمام إلى فرنسة، على الرغم من التحذيرات المتكررة من جانب الحكومة الفرنسية.

FO 371/3381

(١٢٤)

(مذكرة)

كتبها السير مارك سايكس

برقية السير ريجنالد وينغيت المرقمة ٩٤٨ (المؤرخة في ١٦ حزيران/يونيو) تطلب اتخاذ قرار مبكر. لقد أعطى الملك مراراً النقاط الرئيسية للاتفاقية موضوع البحث وتفاصيلها، من قبلي، ومن قبل كل من مسيو بيكو والكولونيل بريمون والكوماندر هوغارث الذي أرسل خصيصاً لهذا الغرض.

وإنه ليبدو أمراً لا يكاد يصدق أن تكون هذه هي المرة الأولى التي يسمع عنها خطاب من جمال باشا، على أنه قد يكون صحيحاً أنه اطلع على تقرير (المستقبل) للمرة الأولى.

إن العوامل التي تؤثر في ذهن الملك هي في أغلب الاحتمال ما يأتي:

١ ـ الإشاعات بأننا نتبع في العراق سياسة تهدف إلى الضم.

٢ ـ الإشاعات بأننا بحثنا مع الأتراك شروط الصلح المتعلقة بالوصاية التركية على العرب.

٣ ـ تحيزنا لابن سعود.

٤ ـ بطء الفرنسيين وترددهم في تبني سياسة عربية بدلاً من سياسة طائفية.

٥ ـ انتكاساتنا العسكرية في شرقي الأردن.

٦ ـ دسائس جمال.

إن البندين الأخيرين هما الأهم، وعلى الأغلب لهما أثقل الوزن.

أعتقد أننا يجب أن نخبر الملك بأننا لن نوافق في أية منطقة يكون فيها العرب أغلبية، أو تتكلم اللغة العربية، على أية تسوية لا تتفق مع رغبات السكان ولا تنسجم مع مبدأ موافقة الأهلين. وإذا استطاع الفرنسيون أن يشتركوا معنا في تقديم مثل هذا التأكيد فسيكون ذلك عظيم الفائدة.

FO 371/3403 (103740)

(١٢٥)

(برقية)

من السير ريجنالد وينغيت (الرملة)

إلى وزارة الخارجية (لندن)

الرقم: ٩٢٧ التاريخ: ١٠ حزيران/يونيو ١٩١٨

أبلغنا ملك الحجاز أن رسولاً قدم من معان رافعاً علماً أبيض وحاملاً كتاباً من جمال (القائد العام للجيش الرابع التركي) زار الأمير فيصل. جاء في الكتاب أن مرسله تلقى تعليمات من حكومته بقبول مطالب العرب العادلة والاتصال به. الملك أبرق إلى فيصل يأمره أن يجيب بفحوى جوابه عن عروض السلم السابقة، (أنظر برقيتي المرقمة ٦٥٥ في ٨ نيسان/أبريل) وهو أن السيف هو الحكم الوحيد بينه وبين الأتراك.

شكرت الملك على إحاطتي علماً بذلك وأخبرته بأنني سأبلغكم بالأمر. أقترح أن تبعث حكومة صاحب الجلالة رسالة اعتراف تعرب فيها عن ارتياحها لهذا الإجراء من جانب الملك.

FO 371/3403 (103740)

(١٢٦)

(برقية)

من وزارة الخارجية ـ لندن

إلى السير ريجنالد وينغيت ـ القاهرة

الرقم: ٧٦٠ التاريخ: التاريخ ١٦ حزيران/ يونيو ١٩١٨

برقيتكم رقم ٩٢٧ (في ١٠ حزيران/ يونيو ـ العروض التركية للعرب).

يرجى إرسال الرسالة الآتية إلى ملك الحجاز من حكومة صاحب الجلالة. (تبدأ):

إن حكومة صاحب الجلالة معجبة إعجاباً عميقاً بما أبداه ملك الحجاز من شجاعة وحزم في رفضه العروض الخادعة التي قدمها عملاء جمعية الاتحاد والترقي. وحكومة صاحب الجلالة ممتنة إلى أبعد حد للسرعة التي أوصل بها ملك الحجاز المعلومات المتعلقة بمناورات العدو الدبلوماسية، والتي من الواضح أنها جاءت بدافع من النشاط الفعال للجيش العربي في الميدان، الذي تنتهز حكومة صاحب الجلالة هذه الفرصة لتهنىء قائده الأعلى على نجاحه المستمر.

FO 686/39

(١٢٧)

(كتاب)

من المعتمد البريطاني في جدة

إلى الملك حسين

التاريخ: ١٦ حزيران/ يونيو ١٩١٨

بعد التحيات،

أتشرف أن أحيط سيادتكم علماً بأنني تلقيت من وزارة الخارجية البرقية التالية

الموجهة إلى فخامة المندوب السامي لإبلاغها إلى جلالتكم:

«أعجبت حكومة جلالته كثيراً بما أبداه الملك حسين من شجاعة وتصميم في رفض المقترحات الاحتيالية التي ابتدعتها «جمعية الاتحاد والترقّي».

«وقد سرّت حكومة جلالته سروراً بالغاً بمبادرته الفورية لإبلاغها عن مؤامرات العدو الدبلوماسية، وإن السبب الواضح لهذا هو الانتصارات التي أحرزتها القوات العربية في ميدان القتال».

«وتنتهز حكومة جلالته هذه الفرصة لتقديم التهنئة إلى القائد الأعلى لهذه القوات».

«وتفضلوا...

ويلسن
اللفتنانت كرنل

FO 371/4144 [1706]

(١٢٨)

(برقية)

من الملك حسين إلى الأمير فيصل

الرقم: ١٠ التاريخ: ٢ كانون الثاني/ يناير ١٩١٨

من السير ريجنالد وينغيت (القاهرة) إلى وزارة الخارجية:

يطلب الملك حسين إيصال ما يلي إلى فيصل. يبدأ:

التمسوا بريطانية العظمى باسم مصلحة العرب جميعاً أن تقطع الاتصالات مع بن سعود إذا بقي في الخرمة أحد من الوهابيين الذين أرسلهم بقيادة سلطان بن بجاد، أو إذا حاولوا الاعتداء على حقوق العاصمة مكة، لأننا إذا قابلناهم بالمثل، أو تركناهم وشأنهم، فسيكون ضرر ذلك أكبر من فائدته. وبخلاف ذلك فليس لبريطانية العظمى أن تلومني، ولن أكون مسؤولاً أمامها إذا أعلنت استقالتي من زعامة البلاد، كما ورد في كتابي المؤرخ في ٢١ تشرين الثاني/ نوفمبر الذي لا بد

أنهم تسلموه الآن. أعلموني بالنتيجة بأسرع ما يمكن. انتهى..

تعليق من وينغيت:

انظر فيما يتعلق بالجملة الأخيرة من برقيتي المرقمة ١٩٥٨.

FO 686/37

(١٢٩)
(برقية)
من الملك حسين
إلى فيصل الجربا

(الأصل العربي) التاريخ: ٥ كانون الثاني/يناير ١٩١٨

عن مكة ـ سعادة المعتمد البريطاني

إن استصوبتم أن تبعثوا بمآل برقيتي أدناه لجناب القائد العام على إن رأى حضرته حاجة أو لزوم يبعثها لصاحبها وهي كما يأتي:

من الحسين بن علي إلى فيصل الجربا. جاءتنا علومك يا بو فرحان، ما قصّرنا عليك ولا نقصر بإذن الله على من هو دون منك. ما هذا بزمان مركاب الرياض[١] ولا الجربا أنقص شيخه وقدر من السعود. الأيام إلّي فوتها في مركابك كان أمضيتها في تسهيل لوازم القائد العام ومعاونته بكلما يحتاج. فإن جيت من وراء الأمل، وزادته في اعتماد أقوالك وجميع ما تعهدت به لنا بدون أن نكلفك وجوابك بما تراه يجينا.

حسين
٢٢/٣/٣٦ هـ
٥/١/١٨م

---

(١) أمليت هذه الرسالة باللهجة العامية، ومعناها ما يأتي:
(جاءتنا علومك) أي جاءتنا أخبارك. (مركاب الرياض) أي السفر إلى الرياض. (ولا الجربا انقص شيخه وقدر من السعود) أي أن «الجربا» لا تقل مكانة عن السعود. (الأيام إلّي فوتها) أي الأيام التي فوّتها. (فإن جيت من وراء الأمل) أي لجاءت النتائج أحسن مما كان منتظراً.

حضرة سعادة المعتمد البريطاني

لدى استصحوبتكم تسليمكم بجال برقيتي ارسلناه لجناب النائب العام عنوانه

[illegible] حاجم [illegible] اصلا [illegible] وجيه كما يأتي بيه

الحسه به على الفيصل الجزيل جاءنا علومكم بأمر فرحانه ما قدرنا

عليه ولا نقص بإذنه الله وعلى [illegible] ما هذا زمانه

[illegible] في الجريا النقض شخه وقد بينه السعود الايلام الى

[illegible] في مرابطه [illegible] امضيتا في تسهيل لوازم التأييد اللازم

[illegible] ومساعدتنه بما يحتاج [illegible] حبيث [illegible] الاول

[illegible] اعتقاد [illegible] وجميع ما تعهدت به لنا بدون ان

نكلفكم بجال [illegible]

وجوابه بأثرا بجينا

[illegible]

٢٦/٢/٢٢

١٨/٦/٥

FO 686/37

(١٣٠)
(كتاب)
من الملك حسين
إلى فيصل وعبد العزيز الجربا

(الأصل العربي)

من الحسين بن علي إلى الأمراء الكرام فيصل وعبد العزيز الجربا/بلغني قدومكم إلى بغداد على جناب الهمام القائد العام، ولقد زادكم هذا في أنظارنا رفعة وعلوّ قدر، ومع هذا فالمطلوب القيام بكلما يجب من معاونة وتسهيل جميع ما يحتاجه في كل وقت كما هو المظنون والمأمول فيكم. وليكن معلومكم أنكم تستحقون فوق كلما نتصور من المكافآت بمقامكم ووجودكم لديه ومعه وكلما من شأنه أن يضاعف رفعة قدركم أمام البعيد والقريب، وجوابكم عن هذا مطلوب عن يد حضرته.

حسين

FO 371/3389 (19580)

(١٣١)
(كتاب)
من السير ريجنالد وينغيت ـ المندوب السامي في مصر
إلى السير آرثر جيمس بلفور ـ وزير الخارجية

الرقم: ٧ التاريخ: ١١ كانون الثاني/يناير ١٩١٨

سيدي

أتشرف بإيصال مذكرة عن المحادثات التي أجراها الكرنل سي.ئي.ويلسن والميجر ك.كورنواليس في الأسبوع الماضي مع الأمير عبد الله.

وقد أعرب الأخير عن آرائه بصراحة كبيرة، ويبدو أنه بصورة عامة يحمل وجهة نظر معتدلة وجديرة برجل دولة بشأن مستقبل الأوضاع السياسة في شبه الجزيرة العربية.

وقد أرسلت نسخ من هذه المذكرة إلى الهند وعدن وبغداد.

وتفضلوا. . . إلخ.

ريجنالد وينغيت

FO 371/3389 (19580)

(١٣٢)
(مذكرة)
عن المحادثات التي أجراها الكرنل ويلسن والميجر كورنواليس مع الأمير عبد الله في أبو مرخه في الحجاز خلال شهر كانون الأول/ ديسمبر ١٩١٧

التاريخ: ١٠ كانون الثاني/ يناير ١٩١٨

السياسة العامة:

أشار الأمير عبد الله في مناسبات مختلفة إلى التزاماتنا بموجب المعاهدة مع ابن سعود والإدريسي، وقال إنها ستحترم دائماً من جانب أبيه ومن جانبه. وتكلم دائماً بإخلاص وامتنان للمساعدة التي حصل عليها من الحكومة البريطانية والعون الذي يتوقعه في المستقبل في تشكيل القومية العربية.

وهو يرغب في تحقيق الاتحاد والتفاهم في جزيرة العرب بالطرق السلمية، ويرى أن ذلك يمكن تحقيقه على أحسن وجه إذا كان الزعماء الرئيسيون المتعددون مستقلين تماماً في أقاليمهم الخاصة بشرط أن يعترفوا نوعاً ما بسيادة ملك العرب.

قال إن أعظم الموانع في إدارة الثورة العربية، بعد إخراج موقف ابن سعود

والإدريسي من الحساب، كان عدم وجود مرؤوسين موثوق بهم في صفوف العرب مما وضع حملاً ثقيلاً غير عادل على أكتاف الملك وأولاده الأربعة. ولا فائدة للملك في محاولة السيطرة على جزيرة العرب بالقوة مستعيناً بهؤلاء المساعدين، حتى إذا رغب في ذلك، وهو شخصياً يود أن يرى عدداً من الحكام الأقوياء الأصدقاء يحكمون رعاياهم بالعدل ويعملون بإنصاف في حكمهم المطلق. وفي هذه يبدي حكمة أكثر من والده الذي، كما أفترض، يفضل مجموعة من الحكام الدمى، على أن يكون هو الرجل القوي الوحيد.

وفي الملاحظات التالية قد يبدو الأمير وكأنه ينحرف عن هذا المثل الأعلى، خصوصاً في موقفه من ابن سعود، ولكن يجب أن يذكر أن العلاقات بينهما في الوقت الحاضر ليست بعيدة عن نقطة الانكسار، وأنه يشعر أن عليه أن يحسن عرض القضية من جانبه. ومن المحتمل حقاً أنه هو نفسه لا يعتقد بكل التهم التي وجهها، لأنه اعترف بحصوله على أكثر معلوماته من بعض عناصر الحدود الذين كانوا يظهرون الوهابية لابن سعود والسنية له، والذين كانوا يأملون تحقيق فائدة لأنفسهم بذكر معلومات مكذوبة للجهتين.

إنه لا يفعل أكثر من مواصلة المبارزة التي بدأت حين طالب أبوه بقبيلة عتيبة. وقد فاز خلال السنة الماضية بتقديم هدايا باذخة لشيخ مشايخهم، فرد ابن سعود، الذي لا يملك من الملك إلاّ القليل، بتشديد حملته الوهابية. وهذا الأمر قد أزعج الأمير الذي يمكن أن يكون ميالاً إلى المبالغة في شعوره حين يكلمنا.

ولكن على الرغم من توتر الوضع فإنه ليس بالضرورة يتعذر حله. لا أستطيع أن أتكلم عن ابن سعود، لكن محادثات عديدة مع الأمير أقنعتني بأنه سوف يعمل بإنصاف إذا قوبل بالإنصاف. وقد أشار مراراً إلى المسؤولية التي تقع على عاتق منظمي الثورة العربية في جعل الأقطار العربية أكثر سلماً ورخاء مما كانت تحت حكم الأتراك، وقال إن كل جهودهم تذهب عبثاً إذا قامت الحرب الأهلية بعد زوال الأيدي العثمانية الكابحة.

١ ـ ابن سعود وابن الرشيد:

أبدى الأمير بصورة واضحة جداً أنه لا يحب ابن سعود وهو عديم الثقة بنواياه إلى حد بعيد.

وكان رأيه أن ابن سعود، حتى الوقت الحاضر، لعب لعبة ذكية كانت ناجحة في خداعنا فيما يتعلق بأهدافه الحقيقية. ولعله يحبنا، ولا شك أنه يكره الأتراك، لكنه على الرغم من ذلك، شعر أن من مصلحته التمسك بهم وبابن الرشيد سراً، لأنهم إذا ما اختفوا من الحجاز يصبح الملك حسين أقوى رجل في بلاد العرب، وبذلك تنخذل مشاريعه الخاصة. وهذا الاحتمال يخافه أكثر من أي خطر من جانب الإنكليز أو الأتراك.

وبعد أن وضع أسس سياسته على هذه الاعتبارات، عارض ابن الرشيد والأتراك سراً ثم عقد معاهدته معنا. فماذا كانت النتيجة؟ كان دائماً غير فعال، مدعياً عدم وجود المال والسلاح، بينما كان هو طول الوقت يساعد العدو بالسماح بمرور التجهيزات من الشرق إلى حائل. وكان الأمير عبد الله متأكداً أنه (أي ابن سعود) على اتصال مباشر مع فخري باشا في الوقت الحاضر، وقرر محاولة اعتراض رسله دلالة على ذلك. ولم يقل لماذا لم يفعل ذلك حتى الآن.

حاول ابن سعود أن يلعب مع الملك حسين نفس اللعبة التي لعبها معنا. ففي السنة الماضية أشار علناً إلى ثورة الشريف في الجامع في بريدة مشيداً به كمنقذ العرب، وناصحاً الجميع أن يلتحقوا بالقضية المقدسة (الجهاد) ضد الأتراك. لكنه حرض أئمته سراً أن تتضمن مواعظهم دعاية مضادة. وكانت رسائله إلى الملك دائماً ودية اللهجة جداً محسوبة جيداً لكي تؤثر في كل من لا يكون حذراً. وكانت كلها جزءاً من سياسته الخداعة، لكنها كانت نتيجة الخوف إلى حد ما. كان الخوف على سلامته الشخصية مثلاً، وليس المرض، هو الذي صد الإمام عبد الرحمن عن الحج.

والدليل المتزايد على عدم الإخلاص جاء في جوابه عن رسالتين أرسلهما الأمير (عبد الله) إليه، الأولى في آذار/مارس ١٩١٧ والثانية بعد أن بلغ ابن الرشيد مدائن صالح. لم يستطع الأمير إبراز نسخ من هاتين الرسالتين، لكنه في أحد الأيام كتب بحضور الكرنل ويلسن وحضوري خلاصة الرسالة الأولى. وفيما يلي ترجمتها:

«ليعلم أخي الإمام بأنني هنا واحد من أحسن الحلفاء (المؤيدين له) فيما يكون في مصلحة الأمة العربية ورخائها ونفوذها. وقد وجدت، مما اختبرته طول هذه

المدة الطويلة، أنني لا يسعني إلاّ أن أخبركم بصراحة أن حقيقة بقائكم في الإمارة (أي في الحكم) خلفاً لآبائكم وأجدادكم لا غنى عنه لقضيتنا (أو مصلحتنا). ونرغب أيضاً أن تكون أسرة عبد العزيز بن عبد الرحمن معكم في السلطة (أو لعله يعني: نخلفكم في السلطة؟)، لأن هذا سيضمن الاتحاد، وتبادل المشاعر الودية بينكم وبيننا، وبهذه الطريقة سيصبح العرب أقوياء وينظر إليهم باحترام ومهابة. أخبركم أن هذه الفكرة شائعة لدينا، أي لدى والدي وإخوتي، وأنا أقدم لكم هذه المعلومات بصفتي عضواً في الأسرة المالكة، ووزير خارجية الحكومية الهاشمية».

«ولذلك، فلتكن مرتاح الفكر، ووثق علاقاتك ومصالحك مع جلالة الملك وفقاً لهذا البلاغ».

(ملاحظة: الكلمات بين قوسين أدخلها المترجم (إلى الإنكليزية) لأن الأصل العربي غامض).

قال الأمير إن ابن سعود تسلم هذه الرسالة بسرور عظيم، وقرأها بصوت عال في مجلسه، وأقرّ بها بصورة ملائمة قائلاً إنه خادم الملك وإنه مستعد لإعطائه كل المساعدة التي يستطيعها.

وعلى أساس هذا التصريح وبعد ارتداد ابن الرشيد إلى السكة الحديد، كتب الأمير الرسالة الثانية إلى ابن سعود قائلاً إن الوقت مناسب للهجوم على حائل، وطالباً تعاونه. وقد اعترف ابن سعود بوصول هذه الرسالة، لكنه تجاهل الاقتراح تماماً، واقتصر على سؤال عام عن صحة الأمير.

وقال الأمير إن حائل عندئذٍ غير محمية تماماً، وسكانها والعشائر المجاورة ظلوا حائرين وبدون زعيم ولا سياسة. ويكون سقوطها، بمساعدة الشريفيين، مؤكداً وهو (عبد الله) يستنتج أن ابن سعود كان لديه سبب خفي في عدم قبول العرض. ولم يقل شيئاً عن امتلاك حائل فيما بعد، لكنه كان مستعداً تماماً ليراها تسقط في يد ابن سعود.

كان من المؤسف أن الأمير لم يستطع إبراز صور من هاتين الرسالتين لأنهما تعطيان المثل الأول لدينا لأي اقتراح معين صادر من جهة الشريفيين إلى ابن

سعود. أما كون الملك على استعداد لإبرامها فأمر موضع شك، نظراً إلى تصريحاته في جدة. ومن الصعب حقاً أن تفهم لماذا يعرض الشريف عبد الله متطوعاً أن يزيد في قوة رجل يتهمه علناً بمعاداة أبيه، ومعاداته هو.

ثم مضى إلى القول إن عمل ابن سعود جعله يبحث عن خلف لابن الرشيد. لم يكن أحد من أسرته في سن مناسبة. كان سبهان لا شك يهدف إلى السلطة لكنه لم يكن موثوقاً به، وحسبما يرى أن ضاري الذي كان في الوقت الحاضر مع الملك في مكة هو المرشح المناسب أكثر من سواه. لكن مع الأسف كان هذا من فرع العبيد من الأسرة، وهذا الفرع غير محبوب مثل فرع العبد الله. غير أن الأمير كان يأمل أنه ربما يقبل. أعتقد أن الملك والأمير كليهما يرحبان بأية مبادرة من ابن الرشيد بشرط أن يدعمها عمل عدائي ضد الأتراك، لأنها تقدم حلاً مرضياً للمسألة. وهما يعلمان الأهمية، من وجهة نظرهما، لوجود «حائل» مستقلة للحفاظ على توازن القوى.

٢ ـ ابن سعود والخطر الوهابي:

خلال عدة أيام بعد وصولنا أخذ الأمير يتظاهر بالاستهانة بهذه الحركة قائلاً إنها كانت خطرة قبل سنتين لكنها ضعفت منذ ذلك الحين. ولكن عند وصول خبر غارة سلطان بن بجاد تحول عن رأيه واستمر خلال مدة مكوثنا يؤكد جديتها. وقد ألقى المسؤولية كلها على عاتق ابن سعود الذي قال إنه يؤجج نار التعصب لتحقيق أطماعه الخاصة.

وكانت الحركة مما يصعب مقاومتها لأن جميع عشائر الحجاز المركزية تدخل إقليم ابن سعود كل سنة للحصول على التمر، وتكون هناك معرضة لتيار النفوذ الوهابي. وكانت تقدم لها المغريات للبقاء بشكل هدايا من بنادق ونقود، وكل من اعتنق الوهابية يعطى أماكن للإقامة.

وابن سعود، لم يكتف بإفساد العشائر الزائرة، بل أرسل دعاة بين العناصر العشائرية المجاورة في الحجاز. وكانت طريقة هؤلاء بطيئة وماكرة، وشدة مبادئهم تروق للتعصب الكامن بين جهلة البدو. وهناك طريقة واحدة لمعاملة أولئك الرجال، وهي قتلهم لأنهم يدكّون أسس الدولة الدينية.

أشار الكرنل ويلسن إلى أن الحكومة البريطانية تعمل بطبيعة الحال كل ما تستطيعه لتحسين العلاقات بين ابن سعود والملك، لكن كانت سياستها دائماً أن تمتنع عن التدخل في الشؤون الدينية. وقد أجاب الأمير إنه إذا لم يكن في المستطاع كبح جماح ابن سعود بمساعدتنا، فإن الملك وهو، سيكونان مرغمين في المستقبل على اتخاذ كل الخطوات اللازمة. وليس هنالك من هو أكثر منه رغبة في تسوية الأمور بصورة ودية، وقد ذهب بنفسه إلى حد بعيد فاقترح أن يقترن أخوه زيد بفتاة من أسرة ابن سعود. (مما يذكر أن الملك ادعى أن تلك كانت فكرته في جدة حديثاً).

٣ ـ المعاهدة وحقوق العشائر:

أقر الأمير بأن أسلاف الشريف حسين الثلاثة قد خففوا من سيطرتهم التقليدية على العشائر الشرقية، وقال إن أول أعمال حسين، عند تقلده منصب الشرافة، كان كتابته إلى ابن سعود مطالباً بالحقوق السابقة لشرفاء مكة في السيطرة على كل العتيبة وكل قبيلة حرب. وبطبيعة الحال استاء ابن سعود من ذلك وعمل ما في وسعه لإبقاء العشائر معه. إنه لم يصب نجاحاً، والقضية أخذت صيغتها القانونية في معاهدة ١٩١٠ وقد أكد الأمير على هذه المعاهدة بشدة وادعى أنها لا زالت نافذة. وقال إن النقاط الرئيسية هي اعتراف ابن سعود بحقوق حسين على العتيبة والقصيم. لقد وافق ابن سعود على عدم فرض الضريبة على العتيبة وعلى قيام القصيم بدفع إتاوة سنوية قدرها ٤٠٠٠ ليرة تركية إلى خزانة مكة. واعترف الأمير بأنه لم يفرض أية مدفوعات على القصيم، لكنه ادعى أن أباه اكتفى باعتراف ابن سعود بحقوقه.

إذا التزم ابن سعود بهذه المعاهدة فلن تكون هنالك قلاقل في المستقبل، وهو يعتزم أن يطلب إلى أبيه في تاريخ لاحق سريع أن يضمن رسمياً للحكومة البريطانية استقلال ابن سعود وسلالته في المستقبل داخل الحدود وحسب الشروط المعينة في المعاهدة. وسوف يطلب إلى حكومة صاحب الجلالة تبليغ هذا الضمان إلى ابن سعود. وقد طلب الكرنل ويلسن نسخة من المعاهدة، ووعد الأمير بالحصول عليها من مكة.

أشرت للأمير أن العتيبة كثيرون في نجد وهم يمتلكون قطعاً واسعة من

الأراضي الصالحة للرعي وآباراً عديدة، ولا يبدو من المعقول أن يرضى ابن سعود بترتيب يسبب له قلاقل كثيرة ولا يحصل منه على أية فائدة. فأجاب الأمير أنهم (أي العتيبة) يذهبون إلى ابن سعود في الشؤون الصغيرة، ولكن يكون لهم حق الاستئناف النهائي لدى الملك. والمسافة بين نجد ومكة سوف تحول دون حصول ذلك مراراً كثيرة. إنه لم يتوقع أية صعوبات، وإن ذلك سيكون على تعبيره هو، «هيّناً كشرب كأس ماء».

٤ ـ الإدريسي:

كان موقف الأمير من الإدريسي أكثر تعاطفاً مما يتوقع. لقد أسهب في ذكر تاريخ موقعة أبها، وختم كلامه قائلاً إنه كان متأسفاً لسقوط الإدريسي لأنه حارب حرباً شديدة ضد الأتراك وكان نفوذه طيباً.

ونسب عدم فعالية الإدريسي الحاضرة إما إلى تفاهم سري مع الأتراك، أو إلى ضعف القوة أو إلى الشعور بالحسد تجاه الملك. لقد أخطأ خطأ كبيراً في بدء الثورة العربية بعدم إرساله رسولاً إلى مكة لعرض تعاونه. وكان الملك مستاء من هذا النقص، أدت به شكوكه في نوايا الإدريسي إلى الاحتجاج بقوة حين احتلت قوات الإدريسي القنفذة. ويعتقد الأمير أن أباه أخطأ في ذلك.

وفي الوقت الحاضر يتحفظ الأمير بإصدار أي حكم. وحالما تسمح الحالة يعتزم الذهاب إلى مكة ودراسة القضية برمتها بدقة مع أبيه، ثم يحتمل أن يتحرك بجيش إلى الجنوب، وفي الوقت نفسه يطلب تعاون الإدريسي. وهذا الأمر يضع إخلاص الإدريسي في المحك.

قال الأمير إنه يرغب في إعادة تنصيب أسرة ابن عايض في جبل عسير نفسه (أي على عشائر بني مفيد وبني مالك وألقام الحول وربيعة ورفيدة)، لكنه لم ير سبباً لعدم امتداد ملك الإدريسي إلى القنفذة ومناطق التلال إلى الشرق ـ بشرط أن تقبله العشائر. ومثل ذلك يمكنه من مد حكمه جنوباً ليشمل الحديدة.

كل شيء يعتمد عليه هو نفسه. فإذا اعترف بسيادة الملك عليه وساعده بكل قلبه ضد الأتراك فإنه سينال مكافأته.

ويعتقد (عبد الله) استناداً إلى ما يعرفه عنه، أن تعاونه محتمل، وهو يميل إلى اعتباره أحسن أداة يؤمل منها تحقيق الاتحاد العربي المقبل.

٥ ـ الإمام:

لم يسهب الأمير في حديثه عن الإمام، لكنه بلا ريب مرتاب من نواياه. قال إنه حين تسقط المدينة ويتحقق (الإمام يحيى) أن قضية الترك لا أمل منها فإنه ينهض بلا شك ضدهم، وينصب نفسه في صنعاء. ويحتمل أنه بعد ذلك يحاول أن يكتسب القبائل السنّية ويحتل الحديدة.

ويظهر أن الأمير يرنو إلى اليمن. وقد قال إنه يفترض أنه، ما دام ليست لنا معاهدة مع الإمام، فإننا لن نعترض على هجوم الملك عليه إذا ثبت عدم انصياعه للتفاهم.

وأعرب عن خشيته من أن الجيوش التركية في عسير واليمن قد يسمح لها بالاستمرار على احتلالها بعد نهاية الحرب، لكن الكرنل ويلسن طمأنه بشأن هذه النقطة.

القاهرة ١٠ كانون الثاني/يناير ١٩١٨
(التوقيع) ك. كورنواليس
ميجر، مدير المكتب العربي

FO 686/37

(١٣٣)

(كتاب)

من مساعد اليافي نائب وكيل الخارجية
إلى المعتمد البريطاني في جدة

(الأصل العربي)

التاريخ: ٢٨ ربيع الأول ١٣٣٦ هـ
(١١ كانون الثاني/يناير ١٩١٨)

رسمي

حضرة صاحب السعادة المفضال معتمد بريطانيا العظمى في جدة

سلاماً واحتراماً وبعد فقد أمرني جلالة الملك أن أشكركم للبرقيات التي بلغتموها جلالته والواردة من سمو الأمير فيصل وأن أرجوكم إرسال البرقيات الآتية بإمضاء جلالته إلى سمو الأمير فيصل بأقرب ما يمكن حسب العادة المتبعة، وإننا نشكركم مقدماً ودمتم.

جدة ٢٨ ربيع الأول سنة ٣٣٦

عن نائب وكيل الخارجية
مساعد اليافي (توقيع)

إلى سمو الأمير فيصل

أولاً ـ الحلفاء أجل وأكبر من أن يخلوا بحرف من مقرراتنا معهم ولهم أحرص الناس على ملاحظة مثل هذه الدقائق فلا تفتكر في ذلك واطمئن واعلم أنه لا حكم بيننا وبين الترك إلاّ السيف كما أشرت إليك أيضاً في تحريراتي بتاريخ أمس.

ثانياً ـ اعدموهم صلباً بلا تردد ولا تنتظروا أمراً منّا في إعدام من يرتكب مثل هذا.

ثالثاً ـ اليوم توجهت باخرة الجمال وباقي الجمال تتوجه غداً.

فقط ثلاث برقيات بإمضاء جلالة الملك.

FO 686/ 37

سري

حضرة صاحب السعادة المفضال معتمد بريطانيا العظمى في جده

سلاما واحتراما وبعد فقد أمرني حضرة مولاي الملك أن اشكركم للبرقيات التي بلغتموها حضرته والواردة من سمو الأمير فيصل وأن أرجوكم ارسال البرقيات الآتية بامضاء حضرته الى سمو الأمير فيصل بأقرب ما يمكن حسب العادة المتبعة وانا اشكركم مقدما ودمتم

جده ٢٠ ربيع الاول ٣٦

من ناشر؟ وكيل الخارجية

[signature]

الى سمو الأمير فيصل

اولا — الحلفاء أجل وأكبر من أن يخلوا بجزء من مقرراتنا معهم ولم أحرص الا سعى ملاحظة مثل هذه الدقائق فلا تفتكر في ذلك واطمئن وأعلم انه لو حكم بيننا وبين الترك الا السيف كما أشرت اليك ايضا في تحريراتي بتاريخ أمس

ثانيا — أعدموهم صلبا بلا تردد ولا تنتظروا أمرنا في اعدام من يرتكب مثل هذا

ثالثا — اليوم توجهت بعض الجمال وباقي الجمال تتوجه غدا

انتهى بامضاء حضرة الملك

فقط ثلاث برقيات

FO 371/3054

(١٣٤)

(برقية)

من السير ريجنالد وينغيت ـ المندوب السامي في القاهرة
إلى وزارة الخارجية

الرقم: ١٤١٨ التاريخ: ٣١ كانون الأول/ ديسمبر ١٩١٧

عاجل

إن الشريف سيسأل هوغارث بالتأكيد ما هي سياستنا النهائية فيما يتعلق: بـ(١) سورية و(٢) بغداد.

أعتقد أن من الضروري في هذه المرحلة أن يبلغ الشريف بشأن هذه الموضوعات، فإذا وافقتم، هل تكون الصيغ التالية مناسبة؟

١ ـ على العرب أن يقبلوا اليهود في مستوطنات (أو مستعمرات) في أجزاء من فلسطين يحددها مؤتمر الصلح. بقية سورية ستكون عربية، ولكن وضعها بالضبط يترك تحديده لمؤتمر الصلح. إذا طالب السوريون بذلك فإننا يجب أن نرحب بـ (أ) سيادة الملك حسين إذا تم تأمين الحكم الذاتي المحلي (ب) وجود فيصل في دمشق. ولكن يجب استشارة الفرنسيين بوصفهم ذوي المصلحة الرئيسية.

٢ ـ أن تكون بغداد عربية تحت الحماية البريطانية، ولكن الشكل المحدد لحكومتها يجب أن ينتظر رغبات السكان ونتيجة مؤتمر الصلح.

هوغارث يغادر يوم ٢ كانون الثاني/ يناير، أرجو إعلامي بموافقتكم أو عدمها قبل ذلك الوقت إن أمكن.

معنونة وزارة الخارجية. مكررة إلى الهند وبغداد.

FO 371/3054

(١٣٥)

(برقية)

من وزارة الخارجية

إلى الجنرال السير ريجنالد وينغيت

الرقم: ٢٤ التاريخ: ٤ كانون الثاني/يناير ١٩١٨

برقيتكم المرقمة ١٤١٨ (المؤرخة في ٣١ كانون الأول/ديسمبر) ١٩١٧.

(١) الصيغ التالية ستكون الأفضل.

(٢) إن دول الوفاق (الحلفاء) مصممة على أن الشعب العربي يجب أن يمنح الفرصة الكاملة ليؤلف كيانه كأمة في العالم مرة أخرى، وإن هذا لا يمكن تحقيقه إلاّ باتحاد العرب أنفسهم، وإن بريطانية العظمى وحلفاءها سيتبعون سياسة تستهدف تحقيق هذه الوحدة.

(٣) إننا، فيما يتعلق بفلسطين، مصممون على أن لا يخضع شعب لآخر، ولكن نظراً لأنه (أ) توجد في فلسطين مقامات وأماكن أوقاف، مقدسة في بعض الحالات للمسلمين فقط، ولليهود وحدهم، أو للمسيحيين دون غيرهم، وفي حالات أخرى مقدسة لدى اثنين منهم أو للثلاثة جميعاً، ونظراً لكون هذه الأماكن تهم جماهير واسعة من الناس خارج فلسطين والبلاد العربية، فيجب أن يكون هنالك نظام حكم خاص يوافق عليه العالم لإدارة أمور هذه الأماكن.

(ب) فيما يتعلق بمسجد عمر[1] فإنه سيعتبر موضوعاً يهم المسلمين وحدهم، ولن يخضع بصورة مباشرة أو غير مباشرة إلى أية سلطة غير مسلمة.

(جـ) طالما كان الرأي العام اليهودي في العالم يحبذ عودة اليهود إلى

(١) مسجد عمر، المقصود به هنا هو المسجد الأقصى.

فلسطين، وعلى قدر وجوب بقاء هذا الرأي عاملاً دائمياً، ومتوقعاً لأن حكومة جلالته تنظر بعين العطف لتحقيق هذه الأمنية، فإنها مصممة على قدر ما هو قابل للتوفيق مع حرية السكان الحاليين من الناحيتين الاقتصادية والسياسية، يجب عدم وضع أية عراقيل دون تحقيق هذا المثل الأعلى.

وفي هذا الشأن يجب أن يقال للملك إن صداقة يهود العالم لقضية العرب مساوية لدعمه في جميع الدول التي يتمتع فيها بنفوذ سياسي، وإن زعماء الحركة مصممون على تحقيق نجاح الصهيونية عن طريق الصداقة والتعاون مع العرب، وإن مثل هذا العرض ليس مما يمكن نبذه جانباً بسهولة.

يجب حث الملك على الاستيلاء على المدينة.

يرجى تكرار البرقية إلى الهند وبغداد.

FO 371/3383

(١٣٦)

(برقية)

من السير ريجنالد وينغيت ـ المندوب السامي في القاهرة إلى وزارة الخارجية ـ لندن

الرقم: ٨١ التاريخ: ١٢ كانون الثاني/يناير ١٩١٨

أجرى هوغارث ثلاث مقابلات مع الملك حسين في جدة، حضر فيلبي اثنتين منها. كان الملك ودياً وممتناً للزيادة الموقتة في المعونة المالية. كان حريصاً على أن يثير فيصل القبائل الشمالية بدون تأخير. يدعي أنه لن يكون له شأن بمبادرات جمال للسلم وأن بريطانية العظمى هي الدولة الوحيدة القادرة على حماية مصالح المسلمين.

بحثت شؤون نجد في المقابلة الثانية. الملك مستعد للتعاون إذا كانت حكومة جلالته راغبة في أن يحتل آل سعود حائل، ولكنه بصراحة لا يحب الفكرة ويرى أن المركز الحقيقي لتموين الأعداء هو القصيم التي يحكمها تركي بن سعود.

يرى أن الهجوم على عجيمي [السعدون] أهم من وجهة نظر مواصلات العراق. يعتقد أن ابن سعود يفكر في الهجوم على الكويت. يرغب في كبت الخلافات مع ابن سعود خلال الحرب، ولا يدعي السيطرة على عتيبة في أراضي ابن سعود. ابن الرشيد يجب أن يذهب وعلى شمّر أن تختار أفضل خلف من العائلة. استنتاجات هوغارث من المقابلة مع الملك تنسجم مع الآراء المبينة في برقياتي الأخيرة.

إن التسليح الكامل لابن سعود واحتلاله الكامل لحائل سيضع العربي ضد العربي بدون تعويضات عن الأضرار للأتراك.

استقلال شمّر مرغوب فيه كعازل لنشر خيم الوهابيين شمالاً. ليس من المحتمل أن يقوم الملك باعتداء على ابن سعود وعلى أي حال فيمكن السيطرة عليه من قبلنا.

اتخاذ إجراءات حكيمة على الأسس المقترحة ببرقية (حكومة) الهند، من شأنها أن تبقى ابن سعود في القضية وتحول دون فتور من جانبه مما سيكون أمراً مؤسفاً، ولكنه ذو أهمية محلية أكثر من أهميته للإمبراطورية.

FO 371/3383 (7731)

(١٣٧)

(برقية)

من السير ريجنالد وينغيت ـ المندوب السامي في القاهرة
إلى وزارة الخارجية

الرقم: ٨٣ التاريخ: ١٢ كانون الثاني/يناير ١٩١٨

خلال مقابلته مع الملك في ٩ كانون الثاني/يناير أثار هوغارث قضية رحلة فيلبي في العودة، إذ كان الملك منزعجاً لوصوله إلى الطائف بدون إشعار وسفرته عبر الحجاز التي كانت لها آثار سياسية محلياً وعززت المزاعم القائلة بأن الحجاز قد بيع للبريطانيين. رفض الملك بشدة الموافقة على عودة فيلبي براً، ولم تحركه عن موقفه حجج هوغارث وباسيت.

أرسلت تعليماتي بوجوب عدم ممارسة مزيد من الإلحاح في القضية، وأؤمل أن يصبح بإمكان فيلبي الآن أن يعود عن طريق مصر.

معنونة وزارة الخارجية. مكررة إلى الهند وبغداد.

CAB 27/23

(١٣٨)

(برقية)

من السير ريجنالد وينغيت ـ المندوب السامي (القاهرة)
إلى وزارة الخارجية

الرقم: ١٥١ التاريخ: ٢١ كانون الثاني/يناير ١٩١٨

الوضع في فلسطين

ما يلي من الجنرال كلايتن. يبدأ:

لم يطرأ على الوضع السياسي تغير ذو بال. تتخذ الخطوات اللازمة لتأمين اتصالات بين عرب فيصل شرقي البحر الميت، والعرب الذين في جانبنا ممن يظهرون عطفاً على القضية الشريفية. الوضع الاقتصادي يستمر في التحسن. اتخذت التدابير لتوفير مؤن تكفي حتى موعد الحصاد الذي لا بد أن سيكون جيداً، لأن الزراعة سائرة بصورة مرضية. تبذل كل الجهود الممكنة لمساعدة السكان في الزراعة. قضية العملة لا تزال صعبة بسبب قلة الفضة، وفقدان الثقة بالعملة الورقية منذ مدة طويلة. العلاج يكمن في فتح التجارة، وسيتم ذلك بقدر ما تسمح به صعوبات النقل.

الجالية اليهودية كانت ضحية الجشع التركي بصورة واضحة، وقد أدى نشوب الحرب إلى توقف التجارة وما تبعه من تراكم المواد المخزونة مما أدى إلى وضع اليد عليها على نطاق واسع، وخاصة الأدوات الزراعية والمكائن، والحديد، والمواسير، والحبوب، والمواشي، وسائط النقل... إلخ. وفي الوقت نفسه بذل المستوطنون كل جهد للحفاظ على مزروعاتهم ومواصلة الزراعة على الرغم من غزوات الجراد في سنتي ١٩١٤ و١٩١٥. الأمراض خلال الحرب كانت قليلة لا تكاد تذكر نظراً لظروف الرعاية الصحية الجيدة. العدد الحالي لسكان المستوطنات الزراعية في المنطقة المحتلة حوالى ٧,٠٠٠، وعناصر الحضر في تل أبيب ويافا قدرت بـ ٢,٤٠٠ شخص.

اليد العاملة في المستعمرات لم تتعرض للاستدعاء للخدمة العسكرية بالدرجة التي عانى منها السكان العرب، ولكن في خريف سنة ١٩١٧ اعتقل عدد كبير من الشبان، بسبب الشك فيهم، وأرسلوا إلى دمشق. وتقدم كل مساعدة يسمح بها وضع المواصلات، الضروريات المستعجلة في الوقت الحاضر هي إحياء إنتاج الكروم والبرتقال واللوز واستيراد الأدوية والرز والنفط إلخ.. وهذا سيؤدي إلى تحسين كبير في الوضع النقدي أيضاً. انتهى.

CAB 27/23

(١٣٩)

(برقية)

من السير ريجنالد وينغيت ـ المندوب السامي في مصر
إلى وزارة الخارجية ـ لندن

الرقم: ١٥٤ — التاريخ: ٢٢ كانون الثاني/يناير ١٩١٨

هنالك ما يدل على أن الدعاية التركية، المستندة إلى معلومات كشفت عنها الصحافة الروسية، تحدث قلقاً متزايداً بين العرب بشأن نوايا الحلفاء تجاه الأقطار العربية. ويلاحظ هذا بصورة واضحة في الحجاز حيث تنشط الدعاية التي يحتمل أن تكون صادرة عن الخديوي السابق في سورية. وآخر مثال على ذلك طلب عاجل من الأمير عبد الله لإصدار نفي قاطع لمزاعم جمال باشا بأن فلسطين والعراق محجوزتان لبريطانية، وسورية لفرنسة.

وفي الوضع الدقيق الراهن الذي يسود المشاعر العربية، إنني مقتنع بأن تأكيدات غامضة أو عامة حول مستقبل العرب ليست عديمة الجدوى فقط، بل ضارة أيضاً، وإن إصدار نفي صريح ومحدد لادعاءات العدو أمر ضروري لاستعادة الثقة بنوايا الحلفاء.

هل تخولوني بإعلام الملك حسين بما يأتي بصورة رسمية:

١ ـ إن حكومة جلالته ما تزال مصممة على ضمان استقلال العرب وتنفيذ الوعد الذي قطع للعرب عن طريقه في بداية ثورة الحجاز.

٢ ـ إن حكومة جلالته لن تقر أي احتلال أجنبي أو أوروبي لفلسطين أو العراق (باستثناء ولاية البصرة) أو سورية، بعد الحرب.

٣ ـ إن هذه المناطق ستكون لأهلها المحليين، وإن التدخل الأجنبي في الأقطار العربية سيقتصر على المساعدة والحماية.

هذا أمر مستعجل إذا أريد وضع حد لدعاية العدو، والحيلولة دون وقوع حوادث الفرار من صفوف العرب فور مشاهدة تعزيزات العدو في الشمال.

ومن الضروري جداً أيضاً صدور تصريح من الحكومة الفرنسية بموجب ما اقترحته في برقيتي ١٢٨١.

معنونة وزارة الخارجية. مكررة إلى الهند وبغداد.

FO 686/37

(١٤٠)

(كتاب)

من نائب المعتمد البريطاني بجدة
إلى الملك حسين

جدة في ٣١ كانون الثاني/يناير ١٩١٨
موافق ١٧ ربيع الثاني ١١٣٦

صاحب السيادة العظمى جلالة ملك الحجاز وشريف مكة وأميرها المعظم

بعد إبداء عظيم التوقير وجزيل التحية والسلام أتشرف بإحاطة شريف علم جلالتكم أن مصلحة الحدود المصرية تستعلم مني الآن عما إذا كان يمكن لي إجراء الترتيب للحصول لهم على ٢٠٠ ناقة ركوب شديدة بجدة ويقولون إنه إذا أمكن جمع عدد ما هنا في اليوم فإنهم يرسلون ضابطاً وبعض جمالة ويمكن للضابط أن يبقى لإتمام الشراء ويستفهمون أيضاً عما إذا كان ممكناً جعل الجمال ترعى في أماكنها في المدة لحين إرسالها للباخرة أو لا بد من أنها تطعم بحب من وقت شرائها وأيضاً إذا كانت ترعى فهل يمكن أن تبقى تحت عهدة البائعين لحين إرسالها للباخرة أو هل يكون من المستحسن أن تكون في عهدة الجمالة الذين يرسلون من مصر بمجرد شرائها فإنني أكون ممنوناً جداً لجلالتكم إذا تفضلتم بإبداء آرائكم لأحسن ترتيب وافتكر أن جلالتكم قد اخبرتوني عندما تكلمت معكم بهذا الصدد سابقاً أن الثمن يكون ١٥ جنيه إنكليزي تقريباً عن كل ناقة. وأرجو أن تتفضلوا بقبول أخلص احترامي.

نائب المعتمد البريطاني بجدة
الكولونيل باسيت

50

جدة في ٣١ يناير ١٩١٨ موافقة ١٧ ربيع الثاني ١٣٣٦

صاحب السعادة العظمى جلالة ملك الحجاز وشريف مكة واميرها المعظم

بعد ابداء عظيم التوقير وجزيل التحية والسلام اتشرف باحاطة شريف علم جلالتكم
ان مصلحة الحدود المصرية تستعلم مني الآن عما اذا كان يمكنها اجراء الترتيب للحصول الى
على ... ناقة ركوب مدربة بجيد ويقولون انه اذا امكن جمع عددها هنا في اليوم
فانهم يرسلون ضابطاً ويصحبه جمّال ويمكن للضابط ان يبقى لاتمام الشراء
ويستخبرون ايضاً عما اذا كان يمكننا جعل الجمال ترعى في اماكنها في الملك لحين ارسالها
للباخرة او لابد من انزالها تطعم بجيد من وقت شرائها وايضا اذا كانت ترعى فهل
يمكن ان تبقى تحت عهدة البائعين لحين ارسالها للباخرة او هل يكون من المستحسن ان
تكون في عهدة الجند الذين يرسلون من مصر بعد شرائها فاني اكون ممنوناً جداً
لجلالتكم اذا تفضلتم بابداء آرائكم لاحسن ترتيب وافتكر ان جلالتكم قد اخبرتموني
عندما تكلمت معكم بهذا الصدد سابقاً ان الثمن يكون ٢٥ جنيه انجليزي تقريباً عن كل ناقة
وارجو ان تتفضلوا بقبول اخلص احتراماتي

نائب المعتمد البريطاني بجدة
الكولونيل باست

[signature]

Above ~~[illegible]~~ to Mecca on the telephone

FO 686/37

(١٤١)

(برقية)

من الملك حسين إلى المعتمد البريطاني في جدة

التاريخ: ١٧ ربيع الثاني ١٣٣٦
(٣١ كانون الثاني/ يناير ١٩١٨)

سعادة المعتمد البريطاني بجدة

عن مكة المكرمة في ١٧ ربيع الثاني سنة ١٣٣٦

بكل إيجال وإعظام تلقيت برقية جلالة الحشمة الإمبراطورية المبلغة من سعادتكم ومن الضروري أن ما اشتملت عليه من العواطف الكريمة هو لا شك من محض المزايا والسجايا المخصوصة بحشمة ذاته الإمبراطورية والإجابة عليها ترد سعادتكم تحريراً.

حسين

FO 686/ 37

ادارة برقيات الحكومة العربية الهاشمية

﴿ لا تحمل الحكومة اى مسؤلية ناشئة من المعاملات البرقية ﴾

المخرج	المورد	النمرة	الكلمات	التاريخ	الساعة	الدقيقة
مكه	جده	٢٠٤	٥٠	١٣ شوال ١٣٣٦	[illegible]	[illegible]

الطريق الاشارة المحتلة فى ١٨ شوال سنة ١٣٣ امضاء المأمور [illegible] الساعة ٤ الدقيقة صباحا امضاء المأمور [illegible]

سعادة المعتمد البريطاني بجده

عن مكه المكرمه فى ١٧ شوال ٣٣٦

بكل اجلال واعظام تلقيت برقية جلالة الحشمه الامبراطوريه المبلغه من سعادتكم ومن الضروري ابدا ما اشتملت عليه من العواطف الكريمه هو لاشك من محاسن المزايا والسجايا المخصوصه بحضرة ذاته الامبراطوريه والاجابة عليها ترد سعادتكم تحريرا

الحسين

FO 371/3380

(١٤٢)
(كتاب)
من الملك حسين
إلى السير ريجنالد وينغيت

التاريخ: ٣ شباط/فبراير ١٩١٨

فخامة المندوب السامي ـ القاهرة

بعد الاحترام اللائق ـ لا شك أن الكوماندر هوغارث قد أوضح لكم مشاعري التي أرجو أن تكونوا قد فسرتموها بصورة صحيحة. وكنت أنوي إرسال هذه الرسالة معه، ولكنني عدلت عن ذلك حتى يرتاح فكركم من ناحية أسباب زيارته لنا خاصة وأن تلك الزيارة صادفت وجود مندوبي ابن سعود.

إن المخابرة التي أبلغتها إلى دار الاعتماد البريطاني في جدة حول نوايا حكومة جلالته بشأن النظر في قضية اللقب، وبرقية جلالة الملك التي تظهر مشاعره الكريمة نحوى تحملني على تقديم شكري الخالص. لا يخامرني شك في أن بريطانية العظمى تعتقد أنني قدرت نواياها النبيلة تجاه العرب والمسلمين وهذا ما يحملني على تقديم حياتي مقابل صداقتها، وإن المستقبل سيثبت هذا. وكذلك لا أشك في أن تقاليدها تلزمها بحماية صفحات تاريخي واسمي في أعين أمتي العربية وأعين المسلمين، وذلك بعدم العمل خلافاً لما قلته في بياني ورسائلي المتعلقة بحركتنا ومستقبل الأقطار العربية ـ كما يؤكد العدو الذي يشيع بين عرب فلسطين أننا نقصد وضعهم تحت الحكم اليهودي وجعل الصهيونيين يحكمونهم. .إلخ ـ وهذا سيثير المشاعر التي عملنا على تهدئتها بكل الوسائل. أرجو أن تعتقدوا أن ملاحظاتي لا تهدف إلاّ إلى لفت انتباهكم إلى الأمر. إن كتمان مخاوفي عنكم سيكون أشبه بعملية من الغش مع ملاحظة أن النصيب الذي سيقع على عاتقي في الأمر لن يمحوه إلاّ انتحاري، أنقذنا الله وحفظكم من كل سوء. وعلى أي حال، فإن رأيكم هو أكثر صواباً وحكمة.

أرجول قبول أفضل احتراماتي.

حسين

FO 371/3380

(١٤٣)

(كتاب)

من الملك حسين

إلى السير ريجنالد وينغيت ـ المندوب السامي في مصر

التاريخ: ٢٢ ربيع الثاني ١٣٣٦
٤ شباط/فبراير ١٩١٨

الأصل العربي[١]

كنت على وشك إغلاق الرسالة الأخرى المرسلة مع هذه. ثم تلقيت بكل ابتهاج مرسومكم الكريم الصادر من محمية مصر بتاريخ ١٢ كانون الثاني/يناير سنة ١٩١٨ وأول ما شرح صدري مآله بدوام رفاه الفخامة واستمرار صحتها متعها المولى بدوامها. وهذا قد ترجح من باقي مندرجاته السامية أمر انتحاري. إذ لا بد لي من خطتين إحداهما الانسحاب من مبادىء الأمر، وهذا يمس بحسياتي أمام بريطانية العظمى عن أن أنسب إلى قصد الإشكالات وهي المساعي والتكلفات ونحوه، أو الانتحار في الساعة التي يتعين فيها ما يخالف أقوالي وتصريحاتي المرتكنة على الأساسات المقررة للأقوام العربية خصوصاً والمسلمين عموماً. فإنه لا يبرئني أمامهم سوى ما ذكر. ومع هذا فلتكن الفخامة في أقصى درجات الاطمئنان. إن الأعمال والحركات لا تختل فعاليتها الحاضرة مثقال ذرة، حتى يأتي الله بأمره. وجزيل شكري وتعظيمي أقدمه لساحة الفخامة.

حسين

ملحق (مترجم)

أكرر هنا التماسي بأن لا تنظروا إلى بحثي هذا الموضوع على أنه مقدمة لاقتراح جديد أو ما شابه. لقد قصدت فقط أن أوضح مشاعري، وأنا أعرف ما أعرف

(١) المراسلات التاريخية، الجزء الأول، ص ١٧٦ ـ ١٧٧.

من مكائد الألمان والأتراك التي كنت بدورك حذرتني منها، وهذا حتى تجد سبيلاً نصل بواسطته إلى هدفنا ونحقق خططنا ورغباتنا. ولكوني حريصاً جداً على أن لا يترك الموضوع انطباعاً على أفكار الآخرين، وللحيلولة دون جعله مادة للأقاويل والتكهنات، فقد كتبت هذه الرسائل شخصياً ولم أطلع عليها أي إنسان.

FO 371/3380

(١٤٤)
ترجمة
مرفقات الملحق أعلاه

(١) فلسطين واليهود

سلانيك ٢٠/١٢/١٩١٧

أعلن الجنرال ميلن، القائد العام للقوة اليهودية الشرقية البريطانية، أن بريطانية العظمى لن تتردد في الاعتراف بأن اليهود يحق لهم أن يحيوا حياة قومية في أراضي أجدادهم.

(٢) تسلمت برقية خاصة من باريس تصرح أن اللجنة السورية المحلية قد تسلمت إشعاراً من الحكومتين البريطانية والفرنسية فحواه أن الحلفاء على اتفاق تام فيما يتعلق بمستقبل سكان آسية الصغرى (سورية والأناضول).

(٣) مستقبل آسية الصغرى

اجتمعت الجمعية السورية المحلية في باريس اليوم للاستماع إلى بيان المجلس العربي السوري الذي أسس مؤخراً في إنكلترة. كان رئيس الاجتماع المسيو فرانكلين بويون وحضر الاجتماع ممثلون عن الحكومتين البريطانية والفرنسية. وقد صرح المجلس أن الدولتين المتحالفتين متفقتان تماماً فيما يتعلق بالحرية التي ستمنح في المستقبل لسكان آسية الصغرى.

(٤) الإسرائيليون وفلسطين

نيويورك ٢٥ كانون الأول/ديسمبر ١٩١٧

عقد الصهيونيون الأميركيون اجتماعاً كبيراً في قاعة كارنيغي وكرروا أنهم يؤيدون إعلان الحكومة البريطانية بخصوص الاعتراف بحقوق اليهود في فلسطين. وكانت جدران القاعة مزينة بالأعلام الأميركية والبريطانية والصهيونية. وقد هتف الحاضرون هتافات عالية للانتصارات البريطانية في فلسطين وألقى رؤساء اليهود خطابات، وقال الدكتور ستيفن وايز: «إن سرورنا الليلة هو بسبب قصاصة الورق، ولكنها قصاصة كتبت بالإنكليزية. وحينما يحين الوقت الذي تحتاج فيه الخطط البريطانية معونة أميركا لأجل تنفيذها، أعتقد أن هذه المعونة ستقدم بسخاء». وتكلم المستر ناثان ستروز عن بعث المجد القومي اليهودي وقال إن بريطانية العظمى قد جعلته أمراً مؤكداً. وقال المتحدثون الآخرون إن فلسطين يجب أن تبقى بأيدي بريطانية والحلفاء.

ملاحظة: ما جاء أعلاه جميعاً مقتطفات من جريدة «المقطم».

FO 686/39

(١٤٥)
(ترجمة كتاب)
من الحسين بن علي إلى الشهم الهمام الأكرم الأمير ابن عبد العزيز بن عبد الرحمن

٢٥ ربيع الثاني ١٣٣٦
٨ شباط/فبراير ١٩١٨

السلام عليك ورحمة الله وبركاته.

وصلتنا معلومات أن هؤلاء الذين يثورون على قومك (؟) عن العتيبة، لكننا لا

تعلم السبب الذي دعاهم إلى ذلك.

إن طمعهم، يا أبا تركي، لن ينسبه الله إليك، ولا نحن ولا أي رجل عاقل (يفعل ذلك).

لقد وزعت أسلحتك على هذه الزمرة وكانت النتيجة الوحيدة أنهم خانوا واستعملوها لأغراضهم الشخصية. أنت لا تستطيع التهرب من ظنونهم ولا أن تلوم من يعتقد ذلك فيك.

كيف تذهب زمرة الغطغط (أولئك الذين أقصاهم الله بسبب خيانتهم للشعب الذي يشهد أن لا إله إلاً الله والذي كل من ينطق بالشهادة هو آمن على نفسه وجزاؤه على الله). لو فكرت في الأمر لرأيت أنك مستقل عنهم وأنك محسود لأنك لست بحاجة إلى خدمات الناس الآخرين. إن ممثلين أمثال الغطغط وأشباههم لا يجلبون لك سوى الشبهات.

إن الله قد أسبغ عليك، يا ابن عبد الرحمن، نعمة دينك وهمتك وكرامتك، فلا يخدعنك أصحاب السوء الأدنياء الذين لا غرض لهم إلاً التعالي بواسطتك.

أنت تعلم، يا أبا تركي، أننا نمتلك من البنادق ما لا نستطيع توزيعه. لكن حاشا لله من اللجوء إلى السلاح وإثارة حرب أهلية وسفك الدماء.

أنت تعلم أن هذا كلام رجل لا يريد لك إلاً الخير.

والأمر لله أولاً وآخراً فاختر لنفسك ما يحلو.

صورة إلى: الكرنل سايمس.

الكرنل آرنولد ويلسن، بغداد.

FO 686/37

(١٤٦)

(كتاب)

من الملك حسين

إلى المعتمد البريطاني في جدة

التاريخ: ٢٧ ربيع الثاني ١٣٣٦
٨ شباط/فبراير ١٩١٨

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده

إلى حضرة معتمد بريطانية العظمى في جدة

عزيزنا صاحب السعادة

وبعد فقد تلقينا كتابكم المتضمن البرقية التي عهدت وزارة الخارجية البريطانية الجليلة إلى فخامة نائب الملك بتبليغها إلينا وإننا نرغب إليكم أن تكلفوا فخامته بأن ينوب عنا بإبلاغ شكرنا وتقديرنا للعواطف والحسيات التي عبرت عنها الوزارة ولا حاجة لنا أن نعيد بأن الخطة التي رسمناها لأنفسنا، فأنت أعلم الناس بها وبالعواطف التي تختلج في صدورنا، وإن ما حررناه إلى فخامة نائب الملك في خطاباتنا الأخيرة ليس بعده زيادة لمستزيد في هذا الشأن، فنتوسل إليه جل شأنه أن يتولانا بتوفيقه، واقبلوا مزيد توقيراتنا.

حسين
مكة المكرمة في ٢٧/ ٤/ ٣٣٦

FO 371/3399 (31030)

(١٤٧)

(مذكرة)
للسير مارك سايكس
عن
الاتفاقية البريطانية ـ الفرنسية (آسية الصغرى) لعام ١٩١٦

لما كانت الحكومة القائمة الآن في روسية على أساس الأمر الواقع قد أنهت رسمياً عمليات القتال في جميع الجبهات، فقد اقتُرح أن يعاد النظر في الاتفاقية البريطانية ـ الفرنسية لعام ١٩١٦ والمتعلقة بآسية الصغرى.

وأسباب هذا الاقتراح هي كما يلي:

(١) إن الظروف التي أبرمت الاتفاقية فيها قد تغيرت كلياً الآن بانسحاب روسية ودخول الولايات المتحدة.

(٢) بالبيان المتعلق بالقسطنطينية.

(٣) بإعلان الرئيس ويلسن.

إن أهمية التوصل إلى نوع من القرار النهائي للقضية، تظهر من النزعة إلى المناقشات في البرلمان وأماكن أخرى، مما يخضع الوزراء لضرورة الالتزام بمعاهدات لا تتماشى مع السياسة المعلنة للحلفاء والولايات المتحدة، والمستندة إلى حالة من الأوضاع لم تعد قائمة الآن، أي أن روسية كانت في حالة حرب مع قوى المحور ومُنحت بعضاً من رغباتها.

وستزداد الأخطار الناجمة عن هذا الوضع الشاذ مع مرور الزمن. ويمكن وصف هذه الأخطار كالآتي:

(١) صعوبات متزايدة في مجلس العموم.

(٢) احتمال حدوث احتكاك بين حكومات الحلفاء القائمة والمجموعات العمالية في أقطارها.

(٣) عدم قبول الولايات المتحدة الأميركية بالسياسة التي وضعتها الاتفاقية.

(م.س)
١٦ شباط/فبراير ١٩١٨

(١٤٨)

(كتاب)[١]

من اللفتنانت كرنل باسيت ـ نائب المعتمد البريطاني في جدة إلى الملك حسين

جدة: ٩ جمادى الأولى ١٣٣٦
٢٠ شباط/فبراير ١٩١٨

بعد بيان احتراماتي وسلامي، قد أمرني جناب فخامة نائب الملك في تلغراف تاريخه منذ يومين، أن أبلغ جلالتكم ما يأتي وهو من فخامته لجلالتكم: أن فخامته قد وصله تحريرات جلالتكم الآن المؤرخ في ٣ و٤ شباط/فبراير سنة ١٩١٨ بملحقاتها. يقول فخامته إنه لو كانت مخاوف جلالتكم عن المستقبل مؤسسة قطعياً على حقيقة، لرأى فخامته أنه من الواجب عليه أن يبلغ جلالتكم بذلك في الحال. إن فخامته يأمل ويعتقد على كل حال أن إشارة حكومة جلالة ملك بريطانية العظمى (التي أبلغت لجلالتكم في خطابي بتاريخ ٧ شباط/فبراير سنة ١٩١٨) وصور الخطب الحديثة التي ألقاها جناب السير مارك سايكس والموظف الرسمي الفرنساوي في باريس (هذه الصور في طريقها الآن في البريد)، تزيل أي ريبة لدى جلالتكم أو لدى العرب عامة من جهة نوايا الحلفاء نحو البلاد العربية. وعلى الخصوص من جهة البواعث الخالية من الغرض التي تحركت بها كل من حكومة فرنسة وبريطانية العظمى من جهة حكومة سورية المستقبلة. ويقول فخامته إن جلالتكم ستفهمون أنه لا بد أن يكون هناك مناقشات أولية حبية عن هذا الموضوع. والحل المرضي لها لا يتوقف فقط على وضعية حربية مرضية بل على توفيق مصالح ذات النزاع برضا واشتراك، لا تهمل معها الغايات المعقولة للأقليات. ثم قال فخامته أيضاً: «إنه للبحث في هذه المسائل المعقدة، فالسياسة العمومية لحكومة ملك بريطانية العظمى وحلفائها قد أعلنت على الملأ بأنها سياسة تحرير وإعمار إداري على أساسات محكمة، وتكون على حسب وفق ديانات وحسيات الأجناس المختلفة لسكان داخلية البلاد». وفي الختام يرغب فخامته أن

---

(١) عن الأصل العربي المرسل إلى الملك حسين.

أرفع لجلالتكم تحياته القلبية ودعواته أن يطيل بقاء جلالتكم في عزة وشرف يطبقان الخافقين. انتهى.

أرجو التفضل بقبول أخلص احتراماتي متعكم الله تعالى بالصحة والخير وراحة البال.

نائب المعتمد بجدة

لفتنانت كرنل ج.ر.باسيت

FO 686/38

(١٤٩)
(كتاب)
من الملك حسين
إلى السير ريجنالد وينغيت[1]

مكة: ١٣ جادى الأولى ١٣٣٦

٢٤ شباط/فبراير ١٩١٨

(الأصل العربي)

حضرة الوزير الخطير الهمام

بعد بياني ما يجب للفخامة من التوقير. أبلغتني دار الاعتماد بجدة، إجابة الفخامة على مآل تحرير رقيمة ١١ و٢٣ ربيع الآخر ١٣٣٦ (٣ و٤ شباط/فبراير ١٩١٨) عن مركزي وما يترتب عليه. بالنسبة لما شرحته وللأساس المقصود المتين المستوفي لخدمات الحال والاستقبال. أقله كالانتصار لتركية من الوجهة الإسلامية، الأمر الذي بالاختصار لا تخفى درجة أهميته على نظر مدارك الفخامة. وعلى كل حال فهذا بحث سابق وقته. ولكن لا بأس به في أن يكون في الذهن. فالأمر أيسر وأحقر من أن فخامتكم تتكلف بشرح تلك المباحث التي أتت بها. فإن دفع حدوث أدنى إشكال أو تكلف على بريطانية يعادل المائة من حياتي. التي هي الآن

(١) المراسلات التاريخية، مصدر سابق، صفحة ١٨١.

في آخر أدوارها. فلتطمئن فكراً في كل الأوجه وليستقر خاطر شهامتها. فإن العمل لا يختل والجهد والوسع لا يعتريه كلل لحين بلوغنا النتيجة المطلوبة إنشاء الله. وإني لا أعتبر سعادتي الدنيوية إذا جعلت السنة والسنتين نهاية الباقية من الحياة، أضحية كما قلت. لأن لا أرى مشاغل للعظمة البريطانية واضطرابات في بلادي العربية لا سمح الله. والله يتولاك برعايته وعنايته.

صديقكم المخلص
(توقيع) حسين

FO 371/3403 (53608/W/44)

(١٥٠)

(برقية)

من وزارة الخارجية ـ لندن
إلى الجنرال كلايتن ـ القدس

الرقم: ٦٠ التاريخ: ٣٠ آذار/مارس ١٩١٨

يرجى إبداء وجهات نظرك حول موقف الشريف فيصل، والدوافع وراء عمله المذكور في برقية السير ريجنالد وينغيت رقم ٥٤١. ولدى النظر في هذا التقرير إلى جانب رسائل الملك حسين، والتقارير عن موقف عبد الله، يوحى بأنه من الملائم اتخاذ بعض الخطوات المضادة ذات الطبيعة الهادفة إلى إعادة تطمين المتمسكين بقضية الشريف.

وتشير الأوضاع إلى اتخاذ خطوات على أساس الخطوات التالية:

(١) الاعتراف بسلطة فيصل في المنطقة التي نحتلها الآن في شرق نهر الأردن.

(٢) استقبال الأمير فيصل من ضابط القيادة العام (٣) أوسمة وهدايا لفيصل وأتباعه. (٤) رسالة إلى الملك حسين حول هذه الإجراءات تتضمن التأكيد مجدداً على سياستنا الموالية للعرب.

يرجى إبداء رأيك في قيمة التحرك وفقاً لهذه الخطوط أو غيرها والتي تبدو لك وافية بالغرض.

FO 686/38

(١٥١)

(كتاب)

من الأمير عبد الله

إلى اللفتنانت كرنل باسيت ـ نائب المعتمد البريطاني في جدة

التاريخ ٢٧ جمادى الآخر ١٣٣٦
٧ نيسان/أبريل ١٩١٨

(الأصل العربي)

قيادة الجيش العربية الشرقية

عدد

سعادة الكولونيل باسيت المحترم

بكل سرور تلقيت محررات سعادتكم المؤرخة ٣ نيسان/أبريل ١٩١٨ والمحررين رقيمي ٤/٤/٩١٨ فأشكركم على تهنئتكم لي بنجاح قواتي في الحركات هنا ولا شك أنكم ستسرون غاية السرور عندما يبلغكم عمل السرية القائمة بقيادة الشريف عبد الله بن ثواب وتمكن حضرة صديقي الميرالاي ديفنبورت بك من تخريب مسافة خمسة أميال من الخط الحديدي بين مطران وزمرد بكل راحة وطمأنينة وأيضاً ستسرون بعمل المفرزة الثانية التي بقيادة الأمير ضاري بن رشيد والشريف فايز الحارث في الليلة نفسها من تخريب أربعماية دامر بين الوقر وهدية في محل تكاثف العدو وسنضاعف الأعمال بعناية الله ذي الجلال زيادة عن الماضي وعليه إتمام المقاصد. إنني في غاية المشغولية ذهناً من الحالة الحربية بالميدان الغربي فأرجوكم خاصة عدم قطع الأخبار عن ذلك الميدان الأهم الذي نعلق عليه كل الآمال وإتحافي بما يردكم عنه. إنني في غاية الامتنان لوصول البنادق باسم الشرارات.

سأعمل بموجب توصيتكم عن الطلبات المتعلقة بالمدافع عن واسطة الضابط البريطاني الموجود بينبع فأرجوكم تعريفي باسم حضرته. علم ترحيل الذخيرة المحررة برقيمكم ٣/٤/٩١٨. أرجوكم عدم مؤاخذتي في تحريرات الأجوبة في أكثر الأحيان وذلك لعدم وجود من يريحني من الكتابة وبالختام تقبلوا فائق أشواقي وتوقيراتي.

٢٧ جمادى الآخر سنة ٣٣٦
الأمير القائد
عبد الله

FO 371/3403 (69993/W 144)

(١٥٢)

(برقية)

من وزارة الخارجية (لندن)

إلى الجنرال كلايتن (القدس)

الرقم: ٨٥ التاريخ: ٢٩ نيسان / أبريل ١٩١٨

برقيتكم رقم I.B. ١١٩٩ (في ١٩ نيسان/ أبريل. وسام لفيصل).

الوسام الأكثر ملاءمة والمقترح منحه لفيصل هو وسام (G.B.E.)[١]، ولكنه يحتوي على شارة الصليب. وإذا كان ذلك يؤدي إلى استبعاده في نظركم تماماً فإننا نقترح وسام (K.C.B.)[٢] من النوع المدني. يرجى إعلامنا برأيكم برقياً.

---

(١) Knight Grand Cross (of the Order) of the British Empire
(فارس الصليب الأكبر للإمبراطورية البريطانية).

(٢) Knight Commander (of the Order) of the Bath
(فارس وشاح باث).

FO 371/3403 (79278)

(١٥٣)

(برقية)

من الجنرال كلايتن (القاهرة)
إلى وزارة الخارجية (لندن)

الرقم: ١٣٢٤ .I.B   التاريخ: ٣ أيار/مايو ١٩١٨

برقيتكم رقم ٨٥ في ٢٩ نيسان/أبريل.

تمكنت من استشارة اللفتنانت كرنل لورنس الذي استطلع رأي الشريف فيصل. وإن فيصل، في نظر لورنس، سيفضل كثيراً أن لا يعرض عليه أي وسام في الوقت الحاضر، ولكنه سيرحب بمنح أوسمة بريطانية للبعض من ضباطه النظاميين. والقائد الأعلى يتبنى هذه المسألة الآن.

FO 371/3380 (88498)

(١٥٤)

(كتاب)

من السير ريجنالد وينغيت ـ القاهرة
إلى السير آرثر جيمس بلفور ـ وزير الخارجية

دار الاعتماد

القاهرة

سري

الرقم: ٧٠/ ٣٣٢   التاريخ: ٧ أيار/مايو ١٩١٨

سيدي،

أتشرف بإرسال مذكرة وضعها الكرنل سي. ويلسن المعتمد البريطاني في جدة

عن سياسة بريطانية في المستقبل في جزيرة العرب الوسطى والجنوبية.

يوصي الكرنل ويلسن بالتأكيد الشديد من جانب حكومة صاحب الجلالة البريطانية لمطالبة الملك حسين بالسيادة على الحكام العرب المحليين، لأن ذلك خير طريقة لمنع النزاع في المصالح الشخصية ولإنشاء أحوال سياسية في الجزيرة صالحة لنا وموافقة لتصريحاتنا العامة فيما يتعلق بالوحدة والاستقلال العربيين.

لقد تعهدنا بتصريحاتنا بعدم التدخل في قضية الخلافة. ومع تقديرنا للصلة الوثيقة بين هذه القضية والسيادة المدنية، فإننا ملتزمون بالتفريق بينهما. أخبر الملك حسين بأنه ـ بشرط الحصول سلفاً على الاتفاق الضروري لرأي المسلمين في الموضوع ـ فإننا نرحب بتسنّم عربي صحيح النسب للخلافة. ولا يمكننا أو يحسن بنا أن نذهب إلى أبعد من ذلك.

إنني أتفق مع رأي الكرنل ويلسن في ضرورة وملاءمة وجود عربي واحد ذي سيادة على النظام السياسي المفكك في جزيرة العرب. والإشارات إلى دولة عربية في المفاوضات الإنكليزية ـ الفرنسية، وحقيقة كوننا قد بحثنا مع الملك حسين قبل ثورته الحدود المقبلة، تدل على ان الحكومات الحليفة لا تعارض مبدئياً مثل هذا الترتيب. لكن هناك صعوبات جمة في الطريق. إن حكام اليمن وحائل لم يقطعوا حتى الآن علاقاتهم الطيبة مع الأتراك. وابن سعود والإدريسي، على الرغم من الانحياز نحو الملك حسين، متخوفان حقاً من مدى مطامعه. وأكثرية الخبراء متفقون أن شعور الثقة من جانب الحكام المحليين المختلفين بأن استقلالهم الإقليمي سوف يحافظ عليه وأنهم يكونون سالمين من الاعتداء الخارجي، يقدم أفضل إمكانية للسلام المقبل في الجزيرة. إن تأييدنا القوي لادعاء الملك حسين في السيادة يحتمل أن يثير مخاوف الزعماء الآخرين وقد يسيء إلى صلاتنا بهم. لقد شرح لي الكرنل ويلسن أن ذلك لم يكن مقصده بل ما يريده هو أن حكومة صاحب الجلالة، إذا ما قررت أن السياسة الرامية إلى السيادة مفيدة، تستعين بكل الطرق الملائمة لتثقيف واستمالة الحكام العرب المحليين الذين لنا صلة بهم إلى قبول الفكرة في مصلحتهم ومصلحة العرب الوطنية. والطريقة المتبعة في هذه الحالة تختلف قليلاً عن تلك المقترحة في المذكرة المرفقة برسالتي رقم ٢٥ بتأريخ كانون الأول/ديسمبر ١٩١٧. لكن الكرنل ويلسن قد يرغب أن يخوّل إعلام الملك حسين في تاريخ مبكّر بهذه الطريقة وأن يؤكد له أنها تنفّذ، حسبما تسمح به الظروف، من العراق إلى عدن.

إنني أشعر، كما ذكرت في رسالتي أن تنظيماً أوثق للسياسة والعمل في تعاملنا مع الزعماء العرب هو المطلوب. وأكون مسروراً أن أتسلّم إشارة مبكرة إلى آراء حكومة صاحب الجلالة في هذه القضية.

أرسلت صور من هذه الرسالة إلى بغداد ودلهي وعدن.

أتشرف... إلخ

(التوقيع) ريجنالد وينغيت

FO 371/3380

(١٥٥)
(مذكرة)
عن سياسة بريطانية في بلاد العرب

سري

كتبها الكرنل س.ئي. ويلسن

المعتمد البريطاني في الحجاز التاريخ: ١ أيار/ مايو ١٩١٨

إن السياسة المقبلة لحكومة صاحب الجلالة في بلاد العرب الوسطى والجنوبية، حسب أي نهج معين للسياسة تم الاتفاق عليه مبدئياً، تظهر بأنها تنحصر في «حفظ السلام بين الأمراء المختلفين وتنفيذ شروط معاهدتها مع وكل واحد منهم». (الاجتماع في دار الاعتماد بالقاهرة في شهر آذار/ مارس ١٩١٨).

إن مثل هذه السياسة، إذا اتّبعت بدقة بعد الحرب، يحتمل أن تكون مصدر ارتباك دائم لحكومة صاحب الجلالة، وصعبة التنفيذ.

ننقل عن المذكرة المرسلة إلى لندن ضمن رسالة صاحب السعادة المندوب السامي المرقمة ٣١٥ والمؤرخة في ٢٥ كانون الأول/ ديسمبر ١٩١٧ (التي تقول):

«إن فكرة تعهداتنا المتخذة في المفاوضات قبل ثورة الحجاز هي أننا نتعهد بـ«إنشاء حلقة» تقوم الإدارة المحلية العربية دورها في ضمنها بحريّة»، ثم (في الصفحة الثانية) «لا ننوي التخلي عن سياستنا المعتادة بعدم التدخل في الشؤون

العربية الدينية أو الداخلية، ولا نرغب في الوقوف إلى جانب أحد في المنازعات بين العرب».

إن سياسة عدم التدخل كلياً، كما جاءت فيما تقدم، قد تكون نظرياً السياسة الصحيحة التي يجب اتباعها، وكما يبدو، أكثرها سهولة. لكن في الحقيقة ـ وحتى لو كانت هذه السياسة عملية ـ هل تكون أصحّ السياسات وأيسرها في الأمد الطويل، وهل تكون أعظمها فائدة للإمبراطورية البريطانية؟

إن نهاية الحرب ـ حين تكون الدول العربية مشغولة بإعادة بناء كيانها الاجتماعي والاقتصادي ـ يحتمل أن تشهد بداية سلسلة معارك علنية بين الزعماء العرب المختلفين. وسيراقب كل واحد منهم فرصته في وقت مناسب للهجوم على جاره، وقد يصح إلى حد كبير التنبؤ بأن المسؤولية عن مثل هذه الحالة تقع على حكومة صاحب الجلالة.

ومهما تتخذ سياستنا من نهج، فمن المحتمل أن يقع اضطراب في بلاد العرب، وأرى أنه سيثبت أن الإسلام عموماً والمسلمين البريطانيين خصوصاً، سوف يتأثرون كثيراً بالقرار الذي يتخذ، ذلك القرار الذي يتوصل إليه بمراعاة العوامل الرئيسية التي يجب النظر فيها، وهي مصالح الامبراطورية البريطانية أولاً، ومصالح الأقطار العربية ككل.

لنا في الوقت الحاضر معاهدات مع زعيمين عربيين، وهما ابن سعود والإدريسي، وقد ضمن لكل منهما الاستقلال الكامل في مناطق معرفة بصورة تقريبية. ولنا أيضاً اتفاقات مختلفة، محررة في الغالب في رسائل، مع الملك حسين الذي يبدو أن أفكاره عن مداها وتفسيرها تختلف عن أفكارنا. وثمة نقطة لها بعض الأهمية يجب أن نضعها في ذهننا، وهي أنه خلال كل مفاوضاتنا مع الملك حسين (وموضوعها يتعلق بمستقبل الأقطار العربية عامة ولم ينحصر بالحجاز). لقد عاملناه بصفة المتكلم والممثل الرئيسي للمطامح العربية. ومن ناحيته وافق على احترام أية معاهدات معقودة بين حكومة صاحب الجلالة والزعماء العرب قبل الثورة العربية.

والملك حسين هو بصورة موقتة أعظم قوة، وفي المجال الروحاني، أعظم شخصية ذات نفوذ إلى درجة بعيدة في بلاد العرب.

وعلى الرغم من نفيه واحتجاجه على ذلك بصورة متكررة، فإنه طموح ربما

ليس لنفسه بقدر ما هو لأسرته وللأمة العربية. وهذا الطموح في رجل قويّ السجايا يجب أن يحسب له حساب لأنه سيقوده بعد الحرب إلى استعمال كل ما لديه من قوة لتحقيق مطامحه، وهي تثبيت لقبه الذي اتخذه لنفسه كملك الأقطار العربية، والاعتراف به كخليفة، أو أمير المؤمنين، من لدن العالم الإسلامي عموماً. ومن العوامل المحتملة الأخرى التي قد تؤدي إلى الحروب في بلاد العرب قد يكون أهمها إحياء قوي محتمل للحركة الوهابية والتحاسد بين الإمام يحيى والإدريسي.

وإذا افترضنا أن حروباً علنية تنشب بين اثنين من الأمراء الرئيسيين فما هو الإجراء الذي تتخذه، أو تستطيع اتخاذه، حكومة صاحب الجلالة؟ ومن المحتمل أن ينكر كلا الزعيمين المسؤولية في محاربة العرب بعضهم لبعض، ووفقاً لسياستنا التقليدية «لا نرغب في التزام جانب أحد في المنازعات بين العرب» أو التدخل في «شؤون العرب الداخلية أو الدينية»، ونكتفي بـ«حفظ الحلقة».

والمفروض أن هذه السياسة تسمح بممارسة حكومة صاحب الجلالة لكل ضغط مشروع دون التدخل عسكرياً، والوسيلة الفعالة حقاً تكون وقف الإعانة المالية والتجارة. لكن هذه الوسيلة لا يمكن استعمالها إلا ضدّ الزعماء (١) الذين يتسلمون إعانة، أو (٢) الذين لهم ساحل بحري. وفي هذه الحالة يكون على حكومة صاحب الجلالة إما أن تجعل نفسها حكماً وتقرر أي الطرفين على حق، وتنفذ الإجراءات ضد الطرف الآخر، أو بخلاف ذلك، تفرضها على كلا الطرفين وتدعهما يتحاربان عليها. أما الزعماء الذين لا يتسلمون إعانة من حكومة صاحب الجلالة، أو الذين لا ساحل بحري لهم، فلا تتيسر وسيلة لممارسة ضغط فعال عليهم. ويجب أن نتذكر أن فرض الحصار على ساحل الحجاز في سبيل ممارسة الضغط على الملك حسين ـ وذلك بلا ريب يشمل المدينتين المقدستين مكة والمدينة ـ يحتمل أن يخلق هياجاً وأثراً مضاداً في العالم الإسلامي بحيث يجعله مستحيل التنفيذ سياسياً. ويجب فضلاً عن ذلك اتخاذ أعظم حيطة لأجل عدم التدخل في شؤون الحج بأية صورة كانت.

أعتقد أن هناك بديلين ممكنين فقط لشكل الحكومة في بلاد العرب المركزية والجنوبية في المستقبل، ويحسن اتخاذ قرار مبكر بصدد أي منهما يقبل كسياسة حاضرة ومقبلة لحكومة صاحب الجلالة.

هذان البديلان هما:

(١) سلسلة «دول» تتمتع باستقلال تام كل دولة تحت حاكمها الخاص.

(٢) سلسلة «دول» تتمتع بالحكم الذاتي المحلي تحت سيادة حاكم.

وأعتقد أن «بلاداً عربية متحدة» كما تُفهم عموماً، تحت حكم حاكم واحد، مع مجلس مركزي، ترسل إليه «الدول» ممثلين عنها، هو «طوبائي» لا يستحق البحث في الوقت الحاضر.

والبديل الأول يجعل إنشاء خلافة عربية أمراً مستحيلاً. فكل مرشح لهذا المنصب الرفيع يجب أن تكون له سلطة مدنية أكبر مما يكون ممكناً في مثل هذه الأحوال.

إن ذلك يخلق أوضاعاً كثيرة ذات طبيعة خطيرة ومربكة أكثر أو أقل لحكومة صاحب الجلالة. وكما أشرنا إليه سابقاً سيكون من الصعب في كل الحالات ومن غير الممكن في بعضها الحيلولة دون حصول الحروب العلنية بين الزعماء، مما يحتمل أن يحدث مهما يكن الأمر. ولكن حكومة صاحب الجلالة في هذه الحالة سوف تتهم بكل تأكيد تقريباً بجلب الفوضى والقلاقل في البلاد دون اتخاذ أية خطوة لخلق بديل للحكومة التركية التي، مهما كانت سيئة، امتلكت نوعاً من السلطة ونظرت إليها جموع المسلمين كحصن الإسلام الحصين.

ثم إن الملك حسين، الذي لا يملك سوى الحجاز ويحرم من الإعانة السنوية الكبيرة التي كانت الحكومة العثمانية تدفعها إلى الشرفاء العظام، هل يوافقون على الاعتراف بسيادة الملك حسين إذا احتفظوا بسلطتهم الكاملة على دولهم، ودفعوا إتاوة سنوية لسيدهم؟

وصرح السير برسي كوكس في الاجتماع نفسه، أنه يرى ـ بشرط إقصاء الأتراك عن الأقطار العربية ـ أن الملك حسين يقبل بدون معارضة كخليفة من جانب المسلمين في العراق ومن جانب ابن سعود. أفلا يتضمن هذا القبول قدراً من الاعتراف المدني مهما يكن اسمياً؟

إذا وجهت السياسة البريطانية نحو استحصال الاعتراف بسيادة الملك حسين واعترفت به الأقطار العربية بهذه الصفة عموماً، فسيكون لدينا عاهل عربي مالك للصفات الروحية والمدنية اللازمة يحتمل قبوله من جانب عدد كبير من المسلمين

رئيساً روحياً لهم، وهكذا يمنح المسلمون دولة مستقلة ذات حجم كاف لتأخذ محل تركية في الإسلام، وبذلك تفند التهمة التي توجه إلينا عن استهدافنا انحلال الإسلام بتقطيع أوصال الامبراطورية العثمانية ـ الدولة الإسلامية المستقلة الوحيدة ذات الأهمية الكبرى ـ وبخلق الثورة العربية وتأييدها لا لشيء سوى دفع المسلمين ضد المسلمين.

إذا اقتصرت تركية على آسية الصغرى فمن المحتمل أن القطر الإسلامي الذي سيخلفها لا يمكن تشكيله إلاَّ في بلاد العرب أو أفغانستان، وقد شرحت مزايا الأول على الثاني في المذكرة التي وضعها الكابتن ن.ن.ثي.براي، من كتيبة الرماة (لانسرز) الثامنة عشرة والتي أرسلت إلى سعادة المندوب السامي في مصر في ٢٩ آذار/مارس ١٩١٧.

وقد يقال إن وجود عدة خلفاء، وانحلال الإسلام قد يكون أكثر فائدة من سواه. لكنني أرى شخصياً أن ذلك يكون خطأً من التفكير يشكل خطراً على الإمبراطورية البريطانية مع ملايين من رعاياها المسلمين إذا تم اتباعه.

إن فكرة «الجامعة الإسلامية» لم تمت قط، وعند النظر في سياستنا المقبلة في بلاد العرب لا بد لنا أن نأخذ بنظر الاعتبار أثرها على شعور المسلمين الديني عموماً. وأنا أعتقد شخصياً أن أهم القضايا بالنسبة لنا، كإمبراطورية، تعتمد على كيفية معالجة قضية مستقبل بلاد العرب، ولي كل الثقة بأننا، بتأييدنا لمطامح الملك حسين، وتثقيف الرأي الإسلامي في الإمبراطورية الإسلامية إزاءه، نخدم مصالحنا أفضل خدمة.

لذلك يجب توجيه كل جهودنا الآن إلى تحقيق الاعتراف بسيادة الملك حسين من جانب الزعماء العرب الذين نتعامل معهم بإعطاء الأهمية الكبرى لتنظيم السياسة بغية الحصول على هذا الاعتراف.

إن الملك حسين يستحق تقدير حكومة صاحب الجلالة، فهو الوحيد الذي يجد إمكاناً للاحتفاظ بالحرمين الشريفين مكة والمدينة بشكل لائق، وإنجاز كل الترتيبات للحج الذي كان فيما مضى يقدم مصدر الإيراد المحلّي الوحيد الذي يعتدّ به.

صرحت حكومة صاحب الجلالة في أحيان كثيرة أن هدفها تمكين الحجاج من أداء فرائضهم بسلامة وراحة، وهذا يتطلب مالاً بلا ريب. فهل يستطيع الملك حسين بصفته ـ ملك الحجاز فقط ـ أن يقبل بعد الحرب إعانة من دولة مسيحية

بدون أن يتحمل العار من الرأي الإسلامي العام؟ أما بصفته الملك الاسمي للعرب هذا الاعتراف لن يكون له وزن كبير، ويمكن عند ذلك دفع إعانة للملك حسين بهذه الصفة، ويكون ذلك سلاحاً قوياً في يدنا.

والبديل الثاني، أي الاتحاد الاسمي (لأنه لن يكون إلاَّ اسمياً) لـ«دول» بلاد العرب المركزية والجنوبية، تحت سيادة حاكم يكون، كما أرى، أكثر فائدة للإمبراطورية البريطانية التي لها رعايا مسلمون أكثر من أية دولة أخرى.

إن الملك حسين، كما هي الحال الآن، هو المرشح الممكن الوحيد للسيادة. فهو وابنه الثاني عبد الله سياسيان شرقيان ذكيان، وكلاهما سيبذلان قصارى جهودهما لتحقيق ادعاءات الملك في السيادة على العرب وإنشاء خلافة إسلامية. وهذه الأهداف، التي أعتقد أنها يعتمد بعضها على بعض، يجب أخذها في الحساب، وسواء اتخذت المحاولات لبلوغها بقوة السلاح أو بالأحابيل الخفية، فلسوف يصعب وقفها، والمحاولات لوقفها قد تخلق أوضاعاً مربكة لحكومة صاحب الجلالة. إن احتمال اكتفاء الملك حسين بإقليم محصور بالحجاز وتنازله عن كل طموحاته معناه توقع شيء بعيد. ومن جهة أخرى، هل يعد كثيراً أن نتوقع إمكان حمل الحكام العرب الآخرين على الاعتراف بسيادته إذا وجه النفوذ البريطاني في كل مكان نحو هذا الهدف، ذلك النفوذ الذي يمكن أن يمارس بدون الإخلال بالمعاهدات القائمة؟

في اجتماع عقد في دار الاعتماد بالقاهرة في ٢٣ آذار/مارس ١٩١٨ صرح السير برسي كوكس أن هناك احتمالاً قليلاً لقبول ابن سعود بالملك حسين كسيده المدني في المستقبل، وأكد اللفتنانت كرنل جيكوب أن الإمام والإدريسي لن يوافقا أبداً على مثل هذا الاعتراف.

تجاه هذه الآراء القاطعة من أولئك الخبراء، أعتقد أنني لا أعد مغالياً إذا أشرت إلى أنه لم تكن هناك حتى الآن سياسة بريطانية واحدة متبعة في بلاد العرب (عدا حث الزعماء العرب على محاربة الأتراك) ولم تكن ثمة سوى علامات قليلة لتنظيم تماثل الرأي فيما يجب أن تكون عليه سياستنا المقبلة في التعامل مع الأقطار العربية. لكن إذا نظمت حكومة جلالته سياسة كهذه مباشرة، وبذلت الجهود نحو «سياسة سيادة»، فهل يكون من المستحيل أن نأمل بأن الزعماء، إزاء هذا التأثير، قد أبدى موافقته على محاربة الأتراك، وفي وقت خطير رفض إعلان «الجهاد» وفقاً

لطلب تركية. وقد شرحت فوائد ثورته في أحيان كثيرة.

ويظهر من المحادثات المختلفة الجارية معه أنه يحتمل أن الملك حسين له مشروع حاضر موضوع لمستقبل جزيرة العرب المركزية والجنوبية، وأعتقد شخصياً أنه سوف ينجح عاجلاً أو آجلاً في الحصول على الاعتراف بسيادته من الزعماء في هذه المنطقة. ولأجل بلوغ هذا الهدف سوف يستعمل بلا ريب تدابير إقناع سلمية في أول الأمر، ولكن هذه التدابير إذا فشلت ورفض الحكام الحاضرون الاعتراف بسيادته فإنه، بلا شك يمتلك مرشحين جاهزين لإمارة حائل والرياض. وهما عضوان في الأسرة الحاكمة، ومن المحتمل أنه سوف يحاول، إذا اقتضى الأمر، إيجاد عضو من الأسرة الحاكمة لليمن لكي يحل محل الإمام يحيى.

صرح الملك حسين وابنه عبد الله أكثر من مرة بأنه، إذا منح الاعتراف بالسيادة، فلا يعتزمان أي تدخل مع الزعماء العرب الحاليين في شؤونهم المحلية. ولكن عدم التدخل الكامل يكون غير محتمل عملياً نوعاً ما، ويكون ميل الملك الطبيعي إلى التوسع في التدخل أكثر مما قرر مبدئياً. لكن إذا اعترفت بريطانية العظمى وحلفاؤها بسيادته فقد يكون من الممكن الحيلولة دون التدخل الذي يزيد على الحدود المعقولة.

وللملك حسين بلا ريب مشاريع لمستقبل سورية والعراق وهي تعتمد على استطاعة ولده فيصل، أو عدم استطاعته، النجاح في سورية.

وإذا كانت السياسة البريطانية في كل مكان ترمي إلى جعل الملك حسين معترفاً به كـ«سيد» للأقطار العربية، وإذا وجه رأي المسلمين البريطانيين لصالحه للاعتراف به كزعيم روحي رئيسي، فلا يكون لدي أدنى شك في نجاح هذه السياسة، وفي تحقيقها أعظم الفوائد للإمبراطورية البريطانية في المستقبل. وقد يكون من الضروري والملائم أن يحتفظ بهذه السياسة سراً في الوقت الحاضر. أما إذا كنا، من الناحية الأخرى، «نحافظ على الحلقة» فإننا نحصل على أقل فائدة لنا كدولة إسلامية، وتثار أوضاع مربكة وخطيرة في أحيان كثيرة تتطلب معالجة دقيقة، وتهيء هذه السياسة منبراً للادعاء بأن السياسة البريطانية توجه ضد مصالح الإسلام عموماً.

إنني أعرض أن القرار في تأييد الملك حسين أو عدمه في مطامحه الزمنية والروحية سوف يشمل قضايا أعظم وأكثر أهمية للإمبراطورية البريطانية من الشكل

المقبل للحكم في جزيرة العرب الوسطى والجنوبية. وعلى كل حال فالأمر الذي هو بالدرجة الأولى من الأهمية بالنسبة لنا، كإمبراطورية، أن يكون تأثيرنا السياسي والمالي والاقتصادي هو السائد، ليس في الحجاز فقط، بل في جميع أنحاء البلاد العربية.

(التوقيع) سي.ئي.ويلسن،
كرنل
القاهرة في أول أيار/مايو ١٩١٨

مذكرة الزعماء السوريين السبعة

FO 141/734/70

(١٥٦)
(مذكرة)
من الزعماء السوريين السبعة
إلى وزير خارجية بريطانية
بواسطة المندوب السامي في مصر

التاريخ: ١٥ رجب ١٣٣٦
٢٦ نيسان/أبريل ١٩١٨

نحن الموقعين أدناه باعتبارنا ممثلي الجمعيات العربية السياسية المتنوعة من جهة، وباعتبارنا المنتخبين عن القائمين بالنهضة العربية من جهة أخرى، قد خولنا سلطة تبيح لنا أن ننطق بلسانهم، والغاية من هذه الرسالة أن نسأل فخامة نائب الملك أن يعرض آراءنا هذه على ناظر خارجية بريطانية العظمى ليطلع عليها حكومة جلالة الملك، وإذا وجد الاعتماد علينا موافقاً أن تستأمننا حكومة جلالته وتعطينا جواباً سرياً فإن الموقعين يتعهدون اعتباره كذلك مكتفين بإخبار منتخبيهم أن هذا الإيضاح أقنعنا وأننا نعد بأن لا نبوح به لأحد ما عدا جلالة الملك حسين المعظم وأنجاله الأمراء ونحن دائماً تلقى علينا الأسئلة ولكننا بالنظر إلى الإبهام المخيم على تصريحي المستر لويد جورج والمستر ويلسن الحديثين[١] لا نحير جواباً والناس متوقفون عن إجراء المساعدة القلبية بالنظر إلى شكهم بنيات بريطانية العظمى وخوفهم من أن ينبذوا ظهرياً في نهاية الحرب وهم لا يقومون بأحسن جهدهم للحصول على الغايات التي وضعتها بريطانية الفخيمة على ما نظن نصب عينيها ولنا على مثل هذه الطبقة من قومنا نفوذ مهم ونعتقد بأنهم لا يتأخرون عن الثقة بأقوالنا. وهم يعتقدون كما تعتقد الأكثرية بيننا وهم مسلمون أنه يستحيل عليهم قطع علاقاتهم بالدولة التركية باعتبارها الزعيمة الدينية ما دام مستقبلهم مظلماً غير مبتوت فيه. وإن مثل هذا الشعور حدا بنا إلى جمع الكلمة وعرض الأسئلة الآتية وهذا هو نتيجة النشاط الذي بدا مما يسمى باللجان في باريز وغيرها من المدن الأوروبية

(١) راجع التيمس الأسبوعية، تاريخ ١١ كانون الثاني/يناير سنة ١٩١٨.

وهي اللجان التي تمثل الآراء الفرنساوية وغيرها من الآراء.

على أننا نقول هنا بأنه يظهر لنا أن كثيراً من هذه اللجان مؤلف من أسماء لم نسمع بها في سورية ولا في جمعياتنا المتنوعة على اختلافها. لذلك نرى من الواجب علينا نحو مواطنينا الموجودين وراء خطوط الأعداء أن نرفع صوتنا أيضاً، ويزداد هذا الوجوب متى علمنا أننا نمثل أكثر من أربعة أخماس الأمة السورية. وإننا نعتقد أننا إذا أرسلنا من طرفنا مندوباً ليطلع جلالة الملك حسين المعظم وأنجاله الأمراء على هذا البيان نحصل على موافقتهم، بالنظر إلى المعاهدة السابقة بينهم وبين الجمعيات العربية. ومن الأسباب التي تحملنا على جعل هذا الخطاب سرياً وجود سورية في قبضة الترك، ووجود الألوف وعشرات الألوف من أبنائها في ميادين الطورانيين القاصية، لا يحميهم أحد من انتقام هؤلاء السفاكين إذا شاؤوا الانتقام فيما إذا صرحنا بخطابنا هذا علناً للحكومة البريطانية الفخيمة.

وبما أن جمعياتنا المتنوعة تمثل طبقات الأمة عامة ولا سيما الطبقات المتنورة منها مع رجال الدين المشهورين والأعيان المعروفين وهي منتشرة في عامة أنحاء البلاد العربية ولها ارتباط محكم برجال البدو، فنحن نعتقد أن الحكومة البريطانية تخطىء خطأ فادحاً إن هي أغفلت هذه الجمعيات المنظمة المهيأة التي إنما ألفت لتدفع عن البلاد العربي شر الترك، وتدافع عن حقوق الأهلين خصوصاً بعدما أذعنت الروسية إلى الشروط الألمانية، وقبلت بإرجاع الأملاك التركية التي احتلتها في هذه الحرب بل بإرجاع قسم القفقاس مما يقوي الترك ويزيد خطرهم على البلاد العربية.

ومما هو حري بالذكر أن موقفنا في مصر أصبح حرجاً لأن المصريين يعيّروننا متهكمين بقولهم إن الجرمانيين أعداء الإسلام اشترطوا في صلحهم مع الروس أن يبت أهل القفقاس الذين هم مسلمون مصيرهم بأنفسهم، وأن تكون علاقاتهم مع من جاورهم ولا سيما الترك حرة. وكذلك قرروا أن تكون إيران والأفغان، وهما مملكتان إسلاميتان، مستقلتين تمام الاستقلال. وأما حلفاؤكم أصدقاء الإسلام فقد قرروا بينهم أن تقسم بلادكم إلى منطقتين الشمالية منهما تحت السيطرة الفرنسية والجنوبية تحت السيطرة البريطانية.

الأسئلة

١ ـ هل باستطاعتنا أن نؤكد لقومنا بأن غاية الحكومة البريطانية المعظمة أن

يتمتع العرب في البلاد العربية بالاستقلال التام. ونحن نتعهد باعتبارنا الممثلين للجمعيات العربية المتنوعة بأن نقوم بعد التصريح الإيجابي على سؤال هذا بالخدم اللازمة التي نكلف بها من جانب حلفائنا والتي تعود منفعتها علينا جميعاً، إذ إنه معلوم أن العرب في عامة بلادهم يعملون منذ أمد بعيد لخلع النير التركي وللحصول على الاستقلال التام، والبرهان على هذا بيت قصيدهم يظهر من الجمعيات واللجان العربية التي كانت تعمل حتى المدد الأخيرة في القسطنطينية وسورية والعراق ومصر وغيرها من المحال وقد نشطهم على مشروعهم ما رأوه في مبادىء الحرب من استحسان بريطانية لهذه الغاية وتقديمها المساعدة العظيمة إلى جلالة الملك حسين المعظم تعضيداً له لقيامه بالحركة العربية. وإننا نعد تأليف جيش وطني في البلاد العربية التي تشغلها الجنود البريطانية في الدرجة الأولى من الشأن لما يترتب عليه من تقوية الجبهة العربية وإضعاف الجبهة التركية لذلك نطلب أن نؤلف لجاناً من رجالنا يعملون لهذه الغاية في تلك البلاد، وكلما ألفوا قوة كافية يرسلونها إلى الجيوش الشمالية العربية التي يرأسها الأمراء أنجال جلالة الملك الهاشمي.

٢ - إن القائمين بالحركة العربية يريدون من إطلاقهم بلاد العرب شبه جزيرة العرب والعراق وسورية والموصل وقسماً من ولاية ديار بكر.

٣ - هل من سياسة حكومة إنكلترة الفخيمة مساعدة أهالي هذه البلاد على استقلالهم استقلالاً تاماً وتأليف حكومة عربية لا مركزية تشبه حكومة الولايات المتحدة أو غيرها من الحكومات الحلفية التي توافق طبيعة الأهلين أم هي لا تعتبر كل البلاد العربية على السواء.

٤ - إن السوريين مع تمنيهم لأن تكون سورية جزءاً من المملكة العربية الحلفية فإنهم كانوا يشتغلون من قبل الحرب في تطبيق قانون اللامركزية على البلاد السورية وتقسيمها إلى ولايات تحكم نفسها بنفسها حكماً إدارياً فقط، ويجوز في حالة استقلال البلاد العربية تطبيق مثل هذا القانون على ولاياتها وإماراتها كلها كإمارة نجد واليمن والعسير.

٥ - إن العرب كانوا ولا يزالون يعتمدون على بريطانية العظمى ويثقون بتقاليدها التي تقضي بسلامة البلاد العربية واعتبار صونها ضرورة سياسية، ولذا فإن قومنا يمدون يد الموالاة والصداقة إلى حكومة بريطانية الفخيمة وإلى شعبها العظيم ويأملون منهما أن يكونا نصيري هذا الشعب ذي التاريخ العظيم الذي إذا وقف على أبواب الشرق كان حارساً أميناً وصديقاً صدوقاً لمعاضديه على استقلاله.

٦ - إن التصريحات الرسمية التي صرح بها ساسة الحكومة الإنكليزية المعظمة الخاصة بسلامة الولايات التركية التي هي آهلة بالعنصر التركي فقط وعدم التحدي لبقائها تجعل الأمة العربية في يأس شديد من سلامة حياتها السياسية إذ لا ترى من الإنصاف أن يصرح لتركية التي هي حليفة الألمان بسلامة بلادها، وتهمل الأمة العربية التي هي حليفة بريطانية العظمى والتي ضحت كثيراً من رجالها لأجل استقلالها وكل زعماء العرب يعتقدون أن شعبهم أولى بسلامة بلاده واستقلاله من العنصر التركي الذي جرف المدنية العربية وألقى بها في يم من الجهل والظلم والجرائم المتوالية فجنى على المدنية والإنسانية والعالم أجمع جناية لا يغتفرها التاريخ فكيف يغتفرها له قادة الأمم المتمدنة في هذا العصر أو يقبلون أن تكون البلاد العربية ضحية لأجل بقاء وسلامة البلاد التركية.

وهنا مجال للقول في اختلاف الأحوال في البلاد العربية والخلاف القائم بين بعض أمرائها، ولكننا نقدر أن نقول إنه غير متعذر الوفاق بين أمراء العرب على المبادىء الأساسية التي تقوم عليها حكومة البلاد العربية المتحدة، وهذا إذا أمدتنا دولة إنكلترة بالمساعدة وأطلقت لنا يد العمل بصدق وإخلاص بشبه الجزيرة العربية، واستعانت بجلالة الملك الحسين بن علي المعظم على التأليف بين قلوب أمراء الجزيرة العربية وجمع كلمتهم.

هذا وإننا ومتنوري العرب عامة والسوريين خاصة، سواء كانوا هنا في مصر وفي البلاد التي لا تزال تحت النير التركي، أو في البلاد التي تشغلها الجيوش البريطانية، مستعدون لكل مساعدة وكل عمل تترتب عليه مصلحة بلادنا ووفاؤنا

إلى حلفائنا الذين يأخذون بناصرنا.

٧ ـ إن مصدر الثورة العربية وإن ظهر من الحجاز فإن سورية هي أساسها، ولها اليد الطولى في الحركة الفكرية، وكان الاتصال مستمراً بينها وبين الحجاز، وكان جلالة الملك المعظم وأنجاله الأمراء على اتفاق تام مع الجمعيات العربية في سورية ومصر، ولولا ثقة السوريين بوفاء إنكلترة للعرب عامة، وللسوريين خاصة، لما قدم السوريون منذ نشبت الحرب إلى يومنا هذا عدداً عظيماً من نوابغ رجالهم وعلمائهم وأفاضلهم ضحايا من أجل استقلال البلاد العربية عامة وسورية خاصة.

ونحن لا نشك أبداً في أن رجال بريطانية العظمى المنصفين يدعون تلك النفوس الشريفة أن تذهب دماؤها سدى مهما كانت الاعتبارات السياسية التي تتطور اليوم في أوروبا.

ومن البيانات المهمة التي نكتفي بالإشارة إليها في هذا البيان أن الجمعيات السورية لم ترسل مندوبيها إلى مصر بعد إعلان الحرب إلاً لاستيثاقها بمعونة إنكلترة، وتحقيق الآمال التي عقدتها الأمة العربية على دولة إنكلترة الفخيمة.

ويكفي أن نلفت نظركم إلى الإيضاحات السياسية التي صرح بها جمال باشا في كتابه الذي طبع أثناء الحرب وشوه به وجه الحقيقة، ومنه تعلمون طرفاً من أخبار بعض هذه الجمعيات التي نقدم لكم تاريخها الحقيقي.

١٥ رجب سنة ١٣٣٦ الموافق ٢٦ أبريل سنة ١٩١٨.

تواقيع[1]

(١) رئيس حزب اللامركزية

رفيق العظم

(٢) عضو الجمعية السرية الكبرى ومن الهيئة

المركزية للائتلاف ومدير الكوكب التحريري

الدكتور عبد الرحمن شهبندر

من دمشق

(٣) عضو الجمعية السرية الكبرى والسكرتير

الثاني لحزب اللامركزية ومدير سياسة

جريدة القبلة

محب الدين الخطيب

من دمشق

(٤) معتمد الجمعية القحطانية

وعضو الجمعية السرية الكبرى

أحمد مختار الصلح

من بيروت وحلب

(٥) أحد مؤسسي الجمعية القحطانية

السرية ومنشىء مجلة الأحكام الشرعية

المحامي حسن حمادة

من لبنان

(٦) معتمد جمعية العهد وأحد أفراد

الجمعية السرية الكبرى

خالد الحكيم

من حمص

(٧) عضو الجمعية السرية الكبرى ومن الهيئة المركزية
للحرية والائتلاف ومندوب الجمعية السرية الكبرى في
مصر والحجاز بعد إعلان الحرب ورئيس مجلس المعارف
في حكومة جلال الملك
محمد كامل القصاب

---

(١) ذكر أمين سعيد في كتابه (الثورة العربية الكبرى، ج٢، ص ٣٨) وسليمان موسى في كتابه (الحركة العربية، ص ٣٩٢) وغيرهما أن فوزي البكري كان أحد السوريين السبعة الذين قدموا هذه المذكرة، ولم يذكرا محب الدين الخطيب بينهم ـ ويظهر من التواقيع التي ذيلت بها هذه المذكرة أن محب الدين الخطيب كان أحد الموقعين عليها، في حين أن توقيع فوزي البكري غير موجود، ولو كان من الموقعين لأصبح عددهم ثمانية، في حين أن المذكرة اشتهرت بمذكرة السوريين السبعة وعليها سبعة تواقيع فقط.
(ن.ف.ص)

(FO 141/734/ 70)

٥

ومن البيانات المهمة التي نكتفي بالاشارة اليها في هذا البيان ان الجمعيات السورية لم ترسل مندوبها الى مصر بعد اعلان الحرب الا لاستيثاق بمعونة انكلترا وتحقيق الآمال التي عقدتها الامة العربية على دولة انكلترا الفخيمة.

ويكفي ان نلفت نظركم الى الايضاحات السياسية التي صرح بها جمال باشا في كتابه الذي طبع اثناء الحرب وشوه به وجه الحقيقة ومنه تعلمون طرفاً من اخبار بعض هذه الجمعيات التي نقدم لكم تاريخها الحقيقي.

١٥ رجب ١٣٣٦ الموافق ٢٦ ابريل ٩١٨

رئيس حزب اللامركزية
رفيق العظم

عضو الجمعية السرية الكبرى ومن الهيئة المركزية للائتلاف ومدير الكوكب التحرير
الدكتور عبد الرحمن شهبندر
[illegible]

عضو الجمعية السرية العربية [illegible]
[illegible]
من دمشق

عضو الجمعية القحطانية [illegible] الكبرى
مختار الصلح
محمود [illegible]
[illegible]

عضو ومؤسس الجمعية القحطانية السرية وعضو مجلس الاحكام الشرعية
المحامي
[illegible] حمادة
[illegible] كنعان

معتمد جمعية العهد وأحد افراد الجمعية السرية الكبرى
خالد الحكيم
سعيد [illegible]

عضو الجمعية السرية الكبرى
ومن الهيئة المركزية للحرية
والائتلاف ومندوب الجمعية
السرية الكبرى في مصر والحجاز بعد
اعلان الحرب ورئيس مجلس
المعارف في حكومة جلالة الملك
محمد كامل
القصاب

صورة الصفحة الأخيرة من مذكرة السوريين السبعة وقد ظهرت في آخرها تواقيعهم

FO 371/3381

(١٥٧)

(برقية)

من وزارة الخارجية ـ لندن

إلى السير ريجنالد وينغيت ـ القاهرة

الرقم: ٧٥٣ التاريخ: ١١ حزيران/يونيو ١٩١٨

ما يلي جواب حكومة صاحب الجلالة عن مذكرة السوريين في مصر:

نظرت حكومة صاحب الجلالة في مذكرة الرجال السبعة بمزيد من الاهتمام. تقدر حكومة صاحب الجلالة تماماً الأسباب التي حدت بأصحاب المذكرة أن يرغبوا في إغفال أسمائهم، ومع حقيقة كون المذكرة غفلاً عن الأسماء، فإن ذلك لم يقلل بأي وجه من الأهمية التي أعارتها حكومة صاحب الجلالة لهذه الوثيقة.

إن المناطق المذكورة في المذكرة تقع في أربعة أصناف:

١) مناطق في جزيرة العرب كانت حرة ومستقلة قبل نشوب الحرب.

٢) مناطق محررة من الحكم التركي بجهود العرب أنفسهم خلال الحرب الحاضرة.

٣) مناطق كانت سابقاً تحت الحكم العثماني واحتلتها قوات الحلفاء خلال الحرب الحاضرة.

٤) مناطق لا تزال تحت الحكم التركي. .

فيما يتعلق بالصنفين الأولين تعترف حكومة صاحب الجلالة بالاستقلال الكامل والسيادة للعرب المقيمين في هاتين المنطقتين وتؤيدهم في كفاحهم لأجل الحرية.

بخصوص المناطق التي احتلتها جيوش الحلفاء تسترعي حكومة صاحب الجلالة أنظار أصحاب المذكرة إلى نصوص البيانات الصادرة بالتعاقب من القادة العامين عند احتلال بغداد والقدس. وهذه البيانات تتضمن سياسة حكومة صاحب الجلالة نحو سكان تلك المناطق. وإنها لرغبة حكومة صاحب الجلالة أن توضع الحكومة المقبلة في هذه المناطق على أساس مبدأ موافقة المحكومين، وهذه السياسة كانت

تحظى بتأييد حكومة صاحب الجلالة، وستستمر في ذلك.

أما بخصوص المناطق المذكورة في الصنف الرابع، فإنها رغبة ومرام حكومة صاحب الجلالة أن تنال الشعوب المضطهدة في هذه المناطق حريتها واستقلالها. وتواصل حكومة صاحب الجلالة محاولاتها لأجل تحقيق هذا الهدف.

إن حكومة صاحب الجلالة مدركة تماماً، وآخذة بنظر الاعتبار، الصعوبات والمخاطر التي تحيط بأولئك الذين يعملون لإحياء سكان المناطق الآنف ذكرها.

ولكن على الرغم من هذه الصعاب تثق حكومة صاحب الجلالة وتعتقد أن هذه الصعاب يمكن تذليلها وسوف تذلل، وترغب أن تقدم كل التأييد للذين يعتزمون تذليلها. وهي مستعدة للنظر في أي مشروع للتعاون يتفق مع الحركات العسكرية الحاضرة ويلائم المبادىء السياسية لحكومة صاحب الجلالة وحلفائها.

FO 371/3381 (128856)

(١٥٨)

(كتاب)

من السير ريجنالد وينغيت
إلى السير آرثر جيمس بلفور

دار الاعتماد

الرملة

سري

الرقم: ١٢٧ (٧٠) التاريخ: ٢٥ حزيران/يونيو ١٩١٨

سيدي،

وفقاً للتعليمات الواردة ببرقيتكم المرقمة ٧٥٣ والمؤرخة في ١١ حزيران/يونيو، أتشرف بأن أبدي أن الرسالة من حكومة صاحب الجلالة قد بلغها الكوماندر هوغارث سي.ام.جي حسب الأصول، عاملاً بالنيابة عني، إلى اثنين من الموقعين

على المذكرة الأصلية.

وقد أخبرهما الكوماندر هوغارث أن حكومة صاحب الجلالة نظرت في المذكرة بكل اهتمام وفهمت تماماً الأسباب التي حدت بأصحابها إلى الرغبة في بقائها سرية. وحكومة صاحب الجلالة تريد وترغب في أن تحرر جميع الشعوب التي تتكلم بالعربية من الحكم التركي، وأن تعيش بعد ذلك في ظل أية حكومة توافق عليها بنفسها. ولبلوغ هذا الهدف بذلت حكومة صاحب الجلالة جهدها وسوف تستمر على ذلك. إن بعض الأقطار العربية قد تمتعت بالاستقلال والسيادة التامة لأمد طويل أو حصلت على ذلك مؤخراً بقوة السلاح، وحكومة صاحب الجلالة تعترف كلياً بذلك الاستقلال. وسائر الأقطار العربية لا تزال تحتلها جيوش الحلفاء أو العدو. وتأمل حكومة صاحب الجلالة وتثق أن تسود الحرية في كل هذه الأقطار ويتم التوصل بعد الحرب إلى تسوية تتفق مع رغبات السكان. وتعتقد حكومة صاحب الجلالة أن العقبات والمصاعب الكثيرة التي تقف في سبيل إحياء تلك الأقطار يمكن تذليلها وسوف تذلل، وهي ستؤيد بكل الطرق أولئك الذين يرغبون في تذليلها. ولذلك سوف تنظر حكومة صاحب الجلالة في أي مشروع للتعاون يتفق مع الحركات العسكرية الحاضرة ويلائم المبادىء السياسية لبريطانية العظمى وحلفائها.

أعرب أحد الموقعين عن ابتهاجه العظيم عموماً بهذا الجواب. وسأل الآخر:

(١) ما معنى الفقرة الأخيرة المتعلقة بالمبادىء السياسية؟ فأجاب الكوماندر هوغارث أنه لا يستطيع أن يذهب إلى أكثر مما جاء في الكلمات.

(٢) هل ستحظى الحكومات التي قد ينشئها العرب باعتراف حكومة صاحب الجلالة؟

أجاب الكوماندر هوغارث: نعم! إذا أنشئت بصورة صحيحة وفعّالة.

ثم ألقى الموقع الأول خطاباً طويلاً أشار فيه إلى خيبة الأمل التي شعر بها هو وسواه من الوطنيين العرب تجاه رفضنا القبول دون تحفظ للمنطقة العربية الكاملة التي اقترحها الشريف وعدم ارتياحه المتواصل، هو نفسه، حول اتفاق سري بيننا وبين فرنسة.

فكرر الكوماندر هوغارث الشرح الذي أعطي سابقاً لوكيل الحجاز في القاهرة

(يرجى مراجعة برقيتي ٩٤٨ بتأريخ ١٦ حزيران/يونيو) عن خطاب جمال باشا كما نشر في «المستقبل».

وبيّن المستر والرند الذي كان حاضراً في المقابلة أن الأثر كان طيباً بصورة واضحة.

أرى أن الكوماندر هوغارث عالج الموضوع بلباقة ومقدرة. وبموافقتي امتنع عن النقل حرفياً من نصوص البيانات التي أعلنت في القدس وبغداد لأن هذه، في رأينا، لم تتضمن الدقة اللازمة لترك تأثير صالح في مقابلة من هذه النوع.

أتشرف بأن أكون، بكل احترام، سيدي
خادمكم الخاضع المطيع
(التوقيع) ريجنالد وينغيت

FO 371/3393 (113727)

(١٥٩)

(تقرير)

للجنرال السير ريجنالد وينغيت

القائد العام للقوات البريطانية ـ الحجاز

إلى وزير الحرب ـ لندن

عن الحركات العسكرية العربية خلال سنة

(حزيران/يونيو ١٩١٧ ـ حزيران/يونيو ١٩١٨)

دار الاعتماد

الرملة

العدد W ٤ التاريخ: ١٥ حزيران/يونيو ١٩١٨

سيدي اللورد،

أتشرف بأن أرسل طياً، لمعلومات سيادتكم، تقريراً موجزاً عن الحركات العسكرية الجارية في جزيرة العرب جنوبي خط العقبة ـ تبوك خلال الشهور الاثني

عشر الماضية من قبل قوات عظمة ملك الحجاز.

في تاريخ رسالتي الأخيرة (حزيران/يونيو ١٩١٨) كانت الخطط توضع لعمليات هجومية بمقياس واسع على سكة حديد الحجاز جنوبي العلا وذلك في سبيل العزل النهائي والدائم للمدينة من الشمال، وكان المؤمل من ذلك أن يعقب الهجوم بعد مدة قصيرة استسلام ذلك الحصن. لكن الظروف العسكرية والسياسية كلتيهما تدخلت بصورة متكررة لتأخير تحقيق هذا المشروع. والآن فقط، بعد مرور أكثر من اثني عشر شهراً، يبدو أن عزل المدينة الفعال قد يتحقق أخيراً، بقطع مواصلات سكتها الحديدية الحيوية مع الشمال.

٢ ـ إن الخطة العامة التي ارتئيت في حزيران/يونيو ١٩١٧ قد وضعت على أساس مهاجمات تجري في الوقت نفسه من جانب الشريف فيصل الذي يعمل من الوجه ضد خط السكة بين العلا والهدية، والشريف عبد الله الذي مقره في ينبع ضد المقطع هدية ـ بواط، وقوات الشريفين علي وزيد تتعاون في الجنوب بعمليات هجومية شديدة ضد المواقع التركية التي تغطي المدينة رأساً من الشمال والغرب. وكل هذه المهاجمات كما كان المقرر توقّت بعناية، بينما يجرى في الوقت نفسه تحويل مضلل شديد في منطقة معان ـ العقبة من جانب الحويطات بقيادة عودة أبو تايه يرافقه الكابتن (الآن لفتنانت كرنل) لورنس لمنع أي تحرك كبير من التعزيزات للمدينة من الشمال.

ولكن، بالنظر إلى أسباب التأخير المختلفة التي لا تنفصل عن المجموعات العربية، لم تكمل إلاّ في نهاية حزيران/يونيو الاستعدادات الشريفية، وبهذا الوقت حصلت صعوبات جمة تتعلق بتوفير الماء بسبب تأخر جزئي لأمطار الشتاء فأرغمت على إجراء تعديل كبير في الخطة الأصلية.

٣ ـ وقد تركت بالضرورة الخطة الكبرى في ذلك الوقت لكن أجريت عمليات غارات بصورة واسعة من جانب قوات الشريف خلال تموز/يوليو وآب/أغسطس سبتمبر، إضافة إلى الخسائر الباهظة التي أحاقت بالعدو، أضراراً جسيمة ومتواصلة في السكة الحديد على طول الخط من العلا إلى بواط. وكمثال لدرجة النجاح التي نشأت عن هذه العمليات يمكننا أن نذكر عمل الشريف زيد خلال الأيام الأخيرة من حزيران/يونيو في الحناكية، حين فاجأ العرب بنجاح قافلة تركية كبيرة ذاهبة من حائل إلى المدينة، فقتل ثلاثون تركياً واعتقل أكثر من مائتين وخمسين أسيراً،

بالإضافة إلى الاستيلاء على أربعة مدافع جبلية وعدد كبير من البنادق وثلاثة آلاف بعير محملة بالطعام والملابس وألفين من الأغنام. ومرة أخرى تم الهجوم على السكة الحديد بجوار زمرّد، جرى في ٥/٧ تموز/يوليو بقيادة اللفتنانت كرنل س.ف. نيوكمب مع قوة من العرب وجاعة تدمير مصرية، وكانت نتيجته تدمير سكك تمتد على الخط لأكثر من خمسة كيلومترات. وسلسلة غارات أخرى أيضاً قامت بها بين ٢٧ تموز/يوليو و٢ آب/أغسطس قوة مشتركة من جنود الجيش المصري وجزائريين فرنسيين وعرب بقيادة الميجر (الآن لفتنانت كرنل) ب.سي.جويس، دمرت خلالها أكثر من ألفي قضيب وسبع عبارات كبيرة في المقطع بين الطويرة وهدية.

٤ ـ وفي الوقت نفسه، في أوائل تموز/يوليو، بنتيجة عملية صممها ونفذها بشكل ممتاز الكابتن لورنس، تم الاستيلاء على العقبة آخر موقع يحتله الأتراك على الساحل الحجازي. وبعد ثلاثة أسابيع انتقل الشريف فيصل مع كل القوة المدربة التي تحت تصرفه من الوجه إلى العقبة وذلك لمد منطقة الثورة إلى الشمال من هذا المركز. والعمليات التالية التي أجراها الجيش الشمالي من العقبة تقع في المنطقة التابعة لإشراف القائد العام للحملة العسكرية المصرية، ولذلك فهي خارج نطاق هذه الرسالة.

٥ ـ مع انتقال الشريف فيصل إلى العقبة، بلغت مرحلة معينة من المعركة في الحجاز الجنوبي نهايتها، وتحول المركز الرئيسي للنشاط منذ ذلك الوقت تدريجياً إلى المنطقة الشمالية. وحوالى نهاية تموز/يوليو، نظراً إلى التوتر الشديد على قادة الطائرات والطائرات نفسها من جراء العمليات المتواصلة في الأحوال السائدة في جزيرة العرب خلال الحرارة الشديدة لأشهر الصيف، أصبح ضرورياً سحب مفرزة سرب الطيران الملكي من الداخل لإصلاحها في الوجه، وبعد شهر واحد عادت هذه الوحدة إلى مصر بعد تسعة أشهر من الخدمة الثمينة والشاقة بصورة استثنائية في الحجاز.

خلال شهر آب/أغسطس أرسلت مفارز السيارات المسلحة البريطانية والرشاشات الهندية إلى مصر لإصلاحها ـ وكلتا هاتين الوحدتين عادتا بعد ذلك إلى العقبة للخدمة مع الجيش الشمالي للشريف فيصل. وسحبت وحدات مدفعية الجيش المصري في الوقت نفسه إلى الوجه. والقوات الوحيدة ذات القيادة البريطانية المحتفظ بها مؤقتاً في الداخل كانت مفرزة من فيلق جيش الجمّالة المصرية ومفرزة

رشاش مصرية مستخدمة تحت قيادة الميجر و.أ. ديفنبورت في عمليات الغارات ضد السكة الحديد إلى منتصف أيلول/ سبتمبر.

٦ ـ وخلال أيلول/ سبتمبر وتشرين الأول/ أكتوبر تعرضت السكة الحديد مرة أخرى للهجوم المتواصل في نقاط مختلفة بين تبوك والمدينة، ونتج عن ذلك خلل فعال في النقل وخسائر جسيمة للعدو في المواد والرجال.

وحوالى نهاية تشرين الأول/ أكتوبر غادرت الوجه مفرزة أخرى مؤلفة من ألف وخمسمائة جندي «نظامي» بإمرة الشريف زيد للانضمام إلى الشريف فيصل في العقبة. وهذا الأخير في نحو الوقت نفسه ضم إلى جيشه السرية العربية، وهي قوة تتضمن نحو أربعمائة رجل مجندة بصورة رئيسية من متطوعي أسرى الحرب العرب تحت إشراف البعثة السياسية الإنكليزية ـ الفرنسية ومدربة من قبل ضباط بريطانيين وفرنسيين في مصر للاستخدام في جزيرة العرب.

وفي أوائل تشرين الثاني/ نوفمبر أسقطت الطائرة التركية الأخيرة الباقية في المدينة بنار البنادق، وقد أسقطها العرب قرب بئر نصيف. والطائرة المحطمة استرجعها العدو بعد ذلك في الواقع وأعادها بالقطار إلى المدينة. ومنذ ذلك التاريخ لم يُظهر الأتراك أي نشاط آخر جنوبي معان.

٧ ـ في بداية تشرين الثاني/ نوفمبر أدى هجوم مشترك قام به الشريفان عبد الله وعلي إلى تدمير قسم مهم من السكة الحديد بين أبو النعم وبواط. وعلى أثر هذه العملية ظهرت لأول مرة علامات نهائية بأن التخلية العامة للحجاز، عدا المدينة، كانت موضع التفكير الجدي لدى العدو.

لهذا الغرض أعدت القيادة التركية فعلاً مشروع تجهيز محكماً عرف باسم «منهج الحجاز» موضوعاً على أساس الاحتفاظ في المدينة بحامية صغيرة نسبياً مكتفية بسحب كل القوات التركية الأخرى في الحجاز جنوبي معان إلى سورية.

وفقاً لهذا المنهاج الذي بدأ تنفيذه اسمياً في ١٠ كانون الأول/ ديسمبر ١٩١٧، اقترح في منتصف شباط/ فبراير أن تجمع المدينة تجهيزات احتياطية ومؤناً وعتاداً تكفي لسنة واحدة لحامية دائمية تؤلف من أربعة آلاف رجل. وفي الوقت نفسه أيضاً ينشأ في مراكز متوسطة على طول السكة الحديد مخازن مؤن ووقود لدعم الأعمال الصعبة والطويلة لتخلية بقية جيش الحجاز التركي. ومن المهم الإشارة في هذا الصدد إلى أنه، بفضل التوقيف المتواصل والإخلال بنقليات القطار الناشىء

عن نشاط جماعات الغارات العربية، فمن ألف طن من التجهيزات قدر العدو أنها تؤلف الاحتياط الضروري في المدينة، لم يصل إلى المدينة حتى ١٥ آذار/مارس من تلك الكمية سوى كمية تقل عن مائتي طن. وفي نفس التاريخ لم يبدأ أي عمل لتجميع المخازن المتوسطة المقصود منها تجهيز حركات الجنود إلى الشمال خلال مدة الإخلاء.

٨ ـ لأجل منع تحقيق هذا المشروع، حث الشرفاء بشدة على ضرورة زيادة النشاط ضد السكة الحديد. وفي نهاية تشرين الثاني/نوفمبر حصل على موافقة الشريفين عبد الله وعلي على خطة جديدة للعمليات المشتركة ترمي إلى الاحتلال والتدمير الفعلي لكل مقطع السكة الحديد من البئر الجديد إلى البوير.

واتخذت الاستعدادات فوراً، فحرك الشريف عبد الله مقره إلى الإمام إلى المربع في وادي العيص ليقوم بإدارة العمليات شخصياً. وكانت الاستعدادات متقدمة تقدماً حسناً حين مرض الكرنل ويلسن، لسؤ الحظ، مرضاً شديداً بالزحار (ديزنتارية) الذي أصيب به في معسكر الشريف عبد الله، واضطر إلى العودة إلى مصر لقضاء بضعة أشهر. وكان قبول الخطة يعتمد على نشاط ويلسن ونفوذه الشخصي ويتوقف تنفيذها بنجاح على وجوده إلى درجة بعيدة. وبسفره الاضطراري فتح الطريق أمام التغلب الوقتي لعنصر عراقي مضاد لبريطانية متركز منذ حين في مقر الشريف عبد الله ووضع عقبات خطيرة جداً ضد النفوذ البريطاني في الحجاز كان على النفوذ البريطاني في الحجاز أن يناضل حديثاً للتغلب عليها. وكل نشاط هذه الزمرة الممثلة في شخص السيد (محمد) حلمي، وهو بغدادي عرف بالتحيز الشديد ضد بريطانية، وهو يتمتع بمنزلة حميمة غريبة وخطرة في مجالس الشريف عبد الله، قد وجه فوراً لحمل الشريف على الامتناع عن العمل. ومع أنه أقنع نهائياً بعد لأي بمواصلة عمليات الغارات بدرجة من الشدة فقد ترك المشروع الأعظم للقيام بهجوم مشترك شديد في هذا الحين. ولكن لحسن الحظ لم يطل العهد بنفوذ السيد حلمي المفرط، وفي شهر شباط/فبراير أصيب بمرض في الوقت المناسب واضطر إلى العودة إلى مصر، فكان انسحابه بشيراً بتحسن سريع ومتصل في الموقف السياسي والعسكري في منطقة الشريف عبد الله. خلال الشهرين الأولين من السنة الحالية بدت علامات، أكثر من مرة، بالرغم من إخفاق منهج الحجاز، من إخلاء الحجاز ـ سواء كان شاملاً للمدينة نفسها أم غير شامل ـ على وشك أن تجري محاولة للقيام بها. ولكن، مع أنه لم

يمكن حث الشرفاء على القيام بعمليات هجوم منظمة على مقياس واسع، فإن سياستهم بالهجوم المتواصل على السكة الحديد قد استمرت بقدر من النجاح مما جعل تلك المحاولة من جانب العدو ـ إن كان قد فكر فيها حقاً ـ غير قابلة للتنفيذ عملياً.

٩ ـ في أواخر شباط/فبراير أثار الوضع السياسي في منطقة الشريف عبد الله قلقاً محسوساً بالنظر إلى وجود دلائل على سخط منتشر شيئاً ما بين بعض أقسام قبائل هتيم وجهينة وعنزة، يحتمل أن يعود جزئياً، إلى شعور تعب متزايد في نحو ذلك الوقت لدعاية العدو التي أثارها، بلا ريب، النفوذ المعادي للزمرة البغدادية المحيطة بعبد الله والتي سبقت الإشارة إليها. لكن التدابير اتخذت فوراً لمعارضة هذا الاتجاه بنتائج مرضية. وخصوصاً بعد إبعاد السيد حلمي تحسن الوضع العشائري بصورة متواصلة كما ثبت ذلك بعودة النشاط المحسوس الموالي للشريف من جانب العشائر الجنوبية خلال الأشهر الثلاثة الماضية. وخلال هذه المدة استولت المفارز العربية من جيش الشريف على ما لا يقل عن خمس قوافل مجموعها أكثر من ألف وخمسمائة بعير، بينما في منطقة عبد الله قام العرب، بإشراف الميجر ديفنبورت، بغارات مهمة عديدة على السكة الحديد، وخصوصاً في سيل مطارة في ٨ نيسان/أبريل حين دمرت خمسة كيلومترات من السكة وثلاث قنوات تدميراً كاملاً، وفي بواط في ١١ أيار/مايو حيث قتل عشرون تركياً وقبض على أكثر من أربعين أسيراً. بالإضافة إلى الضرر الواسع الذي أحاق بالخط. وفي الوقت نفسه بالنظر إلى نجاح عمليات الشريف فيصل الحديثة حول معان، تم تحقيق الهدف الرئيسي للمعركة الجنوبية ـ عزل المدينة ـ وذلك بالتدمير الفعال لمواصلات السكة الحديد الحيوية للمدينة مع الشمال. يضاف إلى ذلك أن رد الفعل لنجاح فيصل لدى أخوته قد أنتج عن طريق المنافسة درجة من النشاط في الميدان الجنوبي لم يسبق بلوغه، وعزماً من جانبهم (وكان عزماً صادقاً هذه المرة على ما ظهر) للقيام بالهجوم المشترك الذي تأخر كثيراً شمالي المدينة لغرض تأمين حصار شديد ودائمي لذلك الحصن.

١٠ ـ مع أن سجل هذه العمليات التي شرحناها بإيجاز يتضمن إنجازات عسكرية قليلة ذات أهمية عظيمة فإن النتائج العامة التي نشأت عن هجوم العرب المتكرر على مواصلات العدو يجب أن لا يبخس حقه.

إن العدو، وهو خاضع لمضايقة عدو متحرك ويكاد يكون منيعاً، قد تعرض

خلال الاثني عشر شهراً الماضية بصورة متواصلة لضغط معنوي ومادي يمكن تقديره بأنه، بين تبوك والمدينة خلال هذه المدة، قد دمر ما يزيد مجموعه على خمسة عشر ألف قضيب واثنتين وخمسين قناة وخمسة جسور، وحُطم قطاران تحطيماً تاماً بألغام كهربائية، وأحرقت عدة مباني محطات وكميات كبيرة من القاطرات والحافلات، وقطعت مواصلات البرق والهاتف يومياً تقريباً، ودفن العرب أربعمائة وخمسين قتيلاً تركياً، وأسر نحو ضعف هذا العدد من الأسرى، بينما كانت الغنائم المادية خلال المدة نفسها تشمل خمسة مدافع ميدان وأربع رشاشات ونحو ألف بندقية وكميات كبيرة من العتاد بالإضافة إلى ٢٥,٠٠٠ ليرة تركية ذهباً وعدة قوافل كبيرة تحمل حيوانات وتجهيزات إلى المدينة من الشرق.

إن هذا النجاح الذي أصابه العرب يجب أن يعزى كله تقريباً للجهود العظيمة التي بذلها الضباط من البريطانيين والحلفاء، الملحقون بالقوات الشريفية، وإلى تفكيرهم وتنظيمهم يرجع قدر كبير من تنفيذ هذه العمليات، بينما هم يعملون في معظم الأحيان في أحوال شديدة مضنية من المناخ ويجابهون، بصورة متواصلة، الغيرة والعجز المحليين.

١١ ـ لقد زاد عمل أركان حربي في القاهرة زيادة كبيرة مطردة، مع تطور الحركة العربية، سواء في تنسيق وإدارة العمليات وتجهيز الطلبات المادية الثقيلة للحفاظ على الجيوش العربية في الميدان. وفي تشرين الثاني/نوفمبر ١٩١٧ حصلت على موافقة وزارة الحربية على تأليف هيئة أركان لعمليات الحجاز لغرض التركيز في القاهرة للإشراف والإدارة العامة لكل العمليات العسكرية في جزيرة العرب. ومنذ إنشاء هذه الهيئة قامت باحتواء الأعمال الإدارية التي كان يقوم بها المكتب العربي في السابق وكذلك، إلى درجة ما، الإدارة العامة للعمليات في الميدان التي كانت تتولاها قبلاً بصورة مستقلة البعثة العسكرية الحجازية في جزيرة العرب. أما فيما يتعلق بالعلاقة المزدوجة التي أصبحت لهيئة عمليات الحجاز نتيجة تحديد المناطق، بالقائد العام للحملة العسكرية المصرية من الجهة الواحدة وبي بصفتي القائد العام للحجاز من الجهة الأخرى، قد تقرر، بموافقة السير أدموند اللنبي بأنه، لأسباب عملية، أن يمارس الإشراف العام على العمليات والإدارة في المنطقتين، في الوقت الحاضر على كل حال، عن طريق المقر العام في القاهرة، فتعمل هيئة الأركان الحجازية في هذا الصدد بإمرة القائد العام مباشرة بخصوص كل العمليات التي تجرى شمالي خط العقبة ـ تبوك (بضمنه الاثنان) وبإمرتي للعمليات الجارية جنوبي

هذا الخط.

إنني مدين كثيراً للجنرال السير أدموند هـ.اللنبي، القائد العام للحملة الاستطلاعية المصرية لإعمال هذا الترتيب بصور متناسقة وسهلة فضلاً عن تعاونه الدائم والثمين جداً. فأقدم إليه وإلى أركان حربه، وأذكر منهم بصورة خاصة الميجر جنرال السير لويس بولز، والميجر جنرال السير والتر كامبل، وهيئة فرع «كيو» المرتبة ثانية، آيات شكري الودية.

وكانت مساعدة البحرية الملكية ضرورية جداً لتنفيذ العمليات العسكرية براً. فأرغب في الإعراب عن شكري العظيم للرير أدميرال ت.كاكسن، والضباط البحريين الأقدمين في حراسة البحر الأحمر الكابتن و.هـ.د. بويل من البحرية الملكية (إلى تشرين الثاني/نوفمبر ١٩١٧) وخلفه الكابتن هـ.أ.بيوكانن وولاستن من البحرية الملكية، وإلى رئيس ضباط النقل البحري الكومودور أي أنوين، وأركانه وإلى قواد سفن «ج» لمساعدتهم الثمينة المتواصلة.

وقد كان وكيل السردار كعهده في كل حين، مستعداً ومسرعاً لتنفيذ الطلبات المتعلقة بالموظفين كلما وجدت لزوماً لتقديمها إليه. وعمل مفارز الجيش المصري في الحجاز كان دائماً يستحق كل الشكر.

رئيسا البعثة العسكرية الفرنسية الكولونيل ئي.بريمون وخلفه القومندان كوس أديا واجباتهما بروح التساهل والصلة الطيبة، مما سهل كثيراً تنفيذ العمليات المشتركة. وجدير بالذكر، كمثال للعلاقات الحسنة السائدة، أن الكولونيل بريمون وضع في تشرين الثاني/نوفمبر الماضي كل القوات الفرنسية في المنطقة تحت القيادة الشخصية للكرنل ويلسن للعمليات التي كان يؤمل إجراؤها آنذاك بين العلا والمدينة.

إن العلاقات بين الضباط البريطانيين الذين يخدمون بصفة استشارية وبين ملك الحجاز قد استمرت ودية ومرضية جداً. والنفوذ الذي حصل عليه الكرنل ويلسن، بشخصيته ونشاطه، على الملك والشرفاء القادة هو مكسب ثمين ذو أهمية كبرى. وخلال مرض الكرنل ويلسن قام بواجباته الصعبة والثقيلة اللفتنانت كرنل ج.ر. باسيت على أحسن وجه.

إلى الضباط في هيئة أركان المقر العام في القاهرة والمكتب العربي وموظفيّ الشخصيين أنا مدين بعملهم الممتاز. والتنظيم على أساس عملي أكثر من السابق

لهيئة أركان الحجاز يعود فضله بصورة رئيسية إلى اللفتنانت كرنل أ.دواني، الذي ثبتت خبرته السابقة كضابط ركن، وحصافته ومقدرته ذات فائدة كبيرة جداً.

وختاماً عليّ أن أقول إن الإشراف السياسي الوحيد الذي مارسته في القاهرة من الحجاز جنوباً إلى عدن والمكلاّ وتبادل الرأي والمعلومات المنتظم بين القاهرة وبغداد، قد سهلا كثيراً بلوغ قدر من التنظيم للجهد العربي ضد الأتراك حسبما سمحت به المسافات بين الأماكن واختلاف الأحوال المحلية.

أتشرف أن أقدم بصورة منفصلة جدولاً بالضباط ونواب الضباط والجنود الذين أرغب في تقديم أسمائهم لأنظار سيادتكم في سبيل الاعتراف بخدمات ثمينة بصورة خاصة أدّيت فيما يتعلق بهذه العمليات.

أتشرف بأن أكون، سيدي اللورد،
خادم سيادتكم المطيع،
(التوقيع) ريجنالد وينغيت
جنرال، القائد العام في الحجاز

FO 686/39

(١٦٠)
(كتاب)
من السير ريجنالد وينغيت
المندوب السامي البريطاني في مصر
إلى الملك حسين

التاريخ: ١٩١٨/٦/٢٣

(التحيات المعتادة)

لقد سررت كثيراً حين سمعت من ويلسن باشا أن سيادتكم بصحة جيدة، وإنني أدعو إلى الله تعالى أن تكون كذلك على الدوام.

تسلمت كتابكم المؤرخ في ٥ حزيران/يونيو وأحطت علماً بما جاء فيه. وكذلك تسلمت تقريراً كاملاً عن محادثاتكم مع ويلسن باشا حول موضوع لقبكم ملكاً للحجاز، وتأسيس دولة عربية في المستقبل.

أما فيما يتعلق باللقب، فلا شك أن سيادتكم ستتذكرون أنه عند المناداة بكم ملكاً للعرب ثم إبلاغكم بأن حكومة جلالته «لا تستطيع الاعتراف في الوقت الحاضر بتسنم سيادتكم أي لقب ملكي يثير الفرقة بين العرب وبذلك قد يؤثر تأثيراً سيئاً على التسوية النهائية في جزيرة العرب على أسس مرضية».

«ولكي تصبح تلك التسوية دائمية يجب أن يتم التوصل إليها بالموافقة الإجماعية من زعماء العرب الآخرين..».

وفي الوقت نفسه أخبركم ويلسن باشا أن الاتفاقية بين سيادتكم والحكومة البريطانية لم تتأثر بلقب ملك الحجاز.

أما فيما يتعلق بالنقطة الثانية تعلمون سيادتكم أن سياسة حكومة جلالته كانت تحقيق استقلال العرب من الحكم التركي السيء، وفي وقت قريب وهو كانون الثاني/يناير الماضي، أخبر سيادتكم الكوماندر هوغارث رسمياً، نيابة عني «أن دول الوفاق (الحلفاء) مصممة على إعطاء الجنس العربي الفرصة الكاملة ليؤسس مرة أخرى دولة في العالم، وأن هذا لا يمكن تحقيقه إلاّ باتحاد العرب أنفسهم وتبني بريطانية العظمى وحلفائها سياسة تضع هذه الوحدة النهائية نصب عينيها».

وعلى ضوء هذا التأكيد وتأييد بريطانية للعرب، فلن يفوت سيادتكم أن تدركوا بأي قدر من الإخلاص سترحب حكومة جلالته بأي دليل عملي على وحدة العرب التي من سياستها أن تساعد في تحقيقها. وفي الوقت نفسه فإنها تعتقد أنه لأجل أن تكون مثل هذه الوحدة حقيقية ودائمة في أثرها، فإن أفضل طريقة لتحقيقها بالموافقة العامة للعرب وليس بفرضها عليهم. وبعبارة أخرى يمكن أن نأمل الروح الوطنية والإخلاص في الهدف سيؤسسان بصورة دائمة ما يعجز عن تحقيقه السيف أو الاستعجال.

إنني أنتهز هذه الفرصة لأبلغ سيادتكم تهاني المخلصة على الانتصارات الأخيرة التي أحرزها أنجالكم الكرام في الشمال والجنوب، وأرجو أن أتمكن في القريب العاجل من تهنئة سيادتكم والقضية العربية باحتلال المدينة ومعان.

---

(١٦١)
(كتاب)
من الملك حسين إلى الجنرال وينغيت (القاهرة)

التاريخ: مكة في ١٣٣٧/٩/١٨
(٢٦ حزيران/ يونيو ١٩١٨)

بعد الإعراب عن أفضل احتراماتي لسعادتكم، أرفق بطيه نسخة من رسالة الأمير حمود المنصور (المنتفكي) التي أرسلتُ أصلها إلى سعادة الوكيل البريطاني في جدة.

لا أرى لزوماً لإضافة شيء إلى ما أبديته سابقاً حول الرسالة المذكورة، بل أكتفي بإعادة ما قلته من أنه يجب جعله مسروراً وممتناً، على الرغم من أنه لا أهمية له مطلقاً، ولا سلطة لديه إلاّ على عائلته.

إن حامل هذه الرسالة، الأمير غازي (المنتفكي)، قد صرح لي إضافة إلى ما كتب في رسالة حول عجيمي، بأن الشيوخ الذين وردت أسماؤهم في الورقة المرفقة يتفقون معه في أفكارهم، والله أعلم.

ومع ذلك فقد قلت له إن بريطانية العظمى الآن تمهد لي الطريق من بلده، وإنني أمهد لهم الطريق في أي مكان آخر. كما أنني قلت له أن يراجع السلطات في بغداد فور وصوله، ويجلب الأمير إليهم، ولا شك في أنه سيكون مسروراً جداً وسعيداً من كل ناحية خاصة وعامة، وأنهم قد يساعدون السلطات ويقدمون لهم معونة جيدة وإخلاصاً صادقاً نيابة عني، كما أؤمل، كما أنهم قد يحصلون على كل ما يأملونه، وإن نتيجة كل هذا هو في مصلحتهم وهكذا.

فإذا وجدت حكومة جلالته ذلك مناسباً، وأصبحت لديها ثقة بهم، فالأفضل هو ما يرتؤنه، ولكنني أرجو أن أضيف فقط أنني أضمن هؤلاء الناس في كل شيء.

وجدت من الأفضل أن أرفق بطيه كذلك نسخة من برقيتي الأخيرة خشية أن تكون قد حرّفت، وأود أن أضيف الآن وجوب إعارة اهتمام دقيق لما نشرته جريدة

(المستقبل) حول بتروغراد وبريطانية العظمى في العراق وفلسطين، وهو غير صحيح. ومع ذلك فإن هذه الأمور لا تهمني بتاتاً لأنني معتمد على صدق أقوال بريطانية العظمى وأن رغبتي الرئيسية هي المحافظة على امتناني لها.

ولذلك فإن العمل الذي نقوم به الآن يجب أن يستمر حتى ينجلي ليل حربنا وينبثق الفجر. هذا على الرغم من الشكوك التي تخامرني وهي شكوك لا بد منها.

إن الأمر الوحيد الذي لا أرضاه، يا صاحب السعادة، هو أن يشك في أنني أعمل خلافاً لما قررناه، وهو ما يؤدي إلى تثبيط الهمم.

والخلاصة فإنني أدعو إلى الله تعالى أن يمدنا بعونه ويمنحكم الصحة والعافية، أيها الصديق العزيز.

مخلصكم حسين (توقيع)

أسماء الشيوخ الواردة في الورقة المرفقة

محمد أبو الروس

محمد سعران بن مجلد

معتق بن عايش

سعدي بن فالح

ابن ثويني زاهر

شحاد بن مخيمر

سعود بن سعدى

عايد الخلق

FO 371/3381

CAB 27/28

(١٦٢)

(مذكرة)

للسير مارك سايكس

عن مداولاته الخاصة مع المسيو جورج بيكو

التاريخ: ٣ تموز/يوليو ١٩١٨

أتشرف بتقديم المعلومات التالية عن مداولاتي الخاصة والشخصية مع المسيو جورج بيكو.

لقد استعرضنا الوضع كله كما هو عليه الآن فيما يتعلق بالاتفاق البريطاني ـ الفرنسي لسنة ١٩١٦. وأبديت للمسيو جورج بيكو أن الوضع الأصلي قد تأثر تأثراً عميقاً بخروج روسية وبدخول الولايات المتحدة، وتقوية الطابع الديمقراطي لأهداف الحلفاء الحربية بصورة عامة.

أعرب المسيو بيكو عن رأيه القائل بأن المعاهدة لا يمكن إلغاؤها لأن مثل هذا العمل سيثير معارضة عنيفة ومشاعر عدوانية بين الاستعماريين في فرنسة، وسيضفي قوة عظيمة للعناصر المالية المؤيدة لتركية، وكلاهما تطوران قتالان، يساعدان العدو. إنني أتفق في هذا وأرى أن إحياء المشاعر المعادية للبريطانيين وتمهيد الطريق للموالين لتركستان سيكون خطأ مزدوجاً.

ومع ذلك، فقد أكدت على المسيو بيكو أن هناك ثلاثة اعتبارات يمكن أن تعد الاتفاقية بسببها مؤدية إلى أضرار إيجابية:

١ ـ إن الاتفاقية اعتبرت من جانب القوى الديمقراطية للحلفاء كأداة للاستغلال الرأسمالي والعدوان الإمبريالي.

٢ ـ إن الاتفاقية كان لها أثر مزعزع جداً على الشعوب الناطقة بالعربية وأعطتهم الانطباع بأننا ننوي ضمهم.

٣ ـ إن الاتفاقية يمكن أن تفسر بمعنى يناقض سياسة الرئيس ويلسن تماماً.

وافق المسيو بيكو على هذا، وبعد شيء من المناقشة والتمحيص، وضعنا سوية الوثيقتين المرفقتين:

الوثيقة (أ) هي بمثابة طريقة مقترحة للتعامل مباشرة مع الصعوبة التي يشكلها العرب. وإنني أقدمها لتدرس بعناية، وهي قابلة للتعديل، ولكنني أعتقد لو أن جوهرها عرض على ملك الحجاز، وخطوطها الرئيسية أشير إليها أيان تطلبت المناسبة ذلك، فإن موقعنا إزاء الشعوب الناطقة بالعربية سيتحسن، وسنتخلص من صعوبة تتكرر بصورة مستمرة.

إنني لا أعتقد أننا نضحي بشيء بإذاعتنا تصريحاً كهذا، وإنه في الواقع يختلف اختلافاً طفيفاً عن ذلك الذي قدمته حكومة جلالته لدعاة إحياء ذكرى الأمجاد العربية.

وإذا جئنا بمثل هذا التصريح فسيصبح الطريق مفتوحاً أمام تقريب الشعوب الناطقة بالعربية إلى بعضها من أجل عمل مشترك، وسنبدد إلى الأبد وكلياً الفكرة القائلة بأننا نسعى لجعل سورية مستعمرة فرنسية.

إضافة إلى ذلك فإن تصريحاً كهذا سيضع نهاية لإمكان تحقيق العدو مكاسب جديدة على غرار ما جاء في خطاب جمال باشا. وفي الوقت نفسه سيشاهد أننا لا نلزم أنفسنا، بأي وجه من الوجوه، بأية فكرة إمبراطورية عربية موحدة، وهو أمر بغيض إلى السوريين وغيرهم، ويجعل قضية ملك الحجاز أقل شعبية مما ستكون عليه بخلاف ذلك.

أما الوثيقة (ب) فقد خططت لإيضاح موقف الدولتين من الشعوب المضطهدة في الإمبراطورية العثمانية. ولو تم مثل هذا التبادل في وجهات النظر، لأصبح لدينا أساس منطقي لأية سياسة في المستقبل. إن هذه الورقة تبرىء سياسة بريطانية من أي تهمة بالإمبريالية، وتمكن الوزير من إعطاء أجوبة مرضية عن الأسئلة التي توجه باستمرار، ولكنها لا تقابل بأجوبة مقنعة.

إن هناك رأياً قوياً بين العناصر التقدمية والديمقراطية لدول الوفاق (الحلفاء) بأن المشكلة التركية يجب أن تحل، ولكن هذه العناصر نفسها تعتقد بنفس الدرجة من القوة أن الحل يجب أن لا يكون على أسس إمبريالية.

وإذا ما تبادلت الحكومتان وجهات النظر بمعنى ما في الورقة (ب)، أعتقد

أنهما ستجدان نفسيهما متفقتين مع آراء جماهير الناس. وأبدي، إضافة إلى ذلك، أنه لو خضعت الاتفاقية الحالية للمبادىء المعلنة في الوثيقة (ب) فإنها لن تعد قابلة للاعتراض عليها من مفهوم ديمقراطي. وستكون مقبولة حتماً من الشعوب المعنية بصورة وثيقة، أي الشعوب المضطهدة نفسها، والراغبة في الحرية والمساواة، وليس الامتصاص وفقدان القومية.

فإذا تمت الموافقة على هاتين الورقتين من حيث فحواهما، أعتقد أن الاتفاقية الأصلية ستكون قد جردت من معظم الاعتراضات الموجهة إليها: وأن تصريحنا سيكون له اليد الطولى قولاً وفعلاً فيما يتعلق بالشؤون التركية والأرمنية والعربية.

FO 686/39

(١٦٣)

(برقية)

من الأمير عبد الله إلى الملك حسين

الأصل العربي | التاريخ: ٦ شوال ١٣٣٦
١٥ تموز/يوليو ١٩١٨

خرجت مفرزة للعدو من المدينة معها خمسين من السواري قاصدة حايل فاعترضتها قوت الدورية الهاشمية بقيادة هديبان المهيمزي وأبادتها عن آخرها وأتت بغنايمها وأوراق مهمة تدل على أن حميد بك المصري رفيق ابن ليلى من جملة الذبحا ومفتاح شفرتهم لابن رشيد وستقدم كلها بالبريد والمفهوم من إفادة الأسرى أنه ستخرج ثلاثة طوابير من المدينة إلى حايل وسأصدر الأوامر اللازمة لقوتنا بالحرة بخصوصها وإن شاء الله أنهم في اليد.

٦ شوال ٣٦

عبد الله

FO 371/3389 (125319)

(١٦٤)

(برقية)

من السير ريجنالد وينغيت ـ القاهرة

إلى وزارة الخارجية ـ لندن

الرقم: ١٠٨٨ التاريخ: ١٧ تموز/يوليو ١٩١٨

إشارة إلى برقية بغداد المرقمة ٥٨٤١ إلى وزير شؤون الهند.

أعتقد أننا نواجه خطراً كبيراً إذا تأخرنا في إعطاء النصح والتحذير للزعماء العرب إلى حين تسلم مراسلة بغداد في ٩ تموز/يوليو.

إن كبح جماح الملك حسين في المرحلة الحاضرة هو ضروري على الأقل بقدر ضرورة كبح جماح الإدريسي. سيما وأنا نشك في إمكانية القضاء على التصادم بينهما عن طريق أية مفاوضات.

النصيحة الواردة في برقيتي ١٠٥٠ بتاريخ ٩ تموز/يوليو كتبت لإبلاغها إلى الأشخاص المعنونة إليهم (بصورة موجزة وبالتالي أقوى ما يمكن من وجهة نظرهم) أنه، بدون الإشارة إلى ما في نزاعهم من جوانب الخطأ أو الصواب، إن حكومة جلالته تشجب استفزاز أي طرف لأتباعه.

FO 371/3381

(١٦٥)
(كتاب)
من الملك حسين
إلى المستر لويد جورج
رئيس وزراء بريطانية

التاريخ: جدة ١٣ شوال ١٣٣٦
٢٢ تموز/يوليو ١٩١٨

حضرة الوزير الخطير ورجل العالم الشهم الكبير

اغتنم فرصة عزيمة[١] جناب الأريب الفاضل الأستاذ هوغرت إلى مقر السؤدد التالد بأن أجعل هذا بيده لحضرة رجل العالم الوزير الخطير والشهم الكبير لبيان ما يجب لحضرته من تجديد عهد الإخلاص وتأكيد الاختصاص وفقها المولى لكلما يحبه ويرضاه وأعانها بقدرته الأحدية وعزته الصمدية وإني أحمد الله إليك على ما نحن والبلاد فيه من النعم التي منّ الله بها علينا وجعلها على يد مهابة الشوكة البريطانية بعد الالتجاء إلى الله أن يضاعف توفيقاته علينا بأداء واجبات تلك الحقوق التي تطوقت بها أعناق أبناء البلاد وأولادهم وأحفادهم من بعدهم نسلاً بعد نسل وجيلاً بعد جيل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها مردفين هذا بالضراعة إلى المولى الكريم أن يبقي الإمبراطورية البريطانية من كل سوء ويمدكم بالتوفيق والصحة والعافية إنه الجواد الكريم.

مخلصكم
حسين

---

(١) عزيمة: توجّه أو ذهاب.

عن جده (١٢ شوال ٦ ١٣٣

وفقهم

حضرة الوزير الخطير ورجل العالم الشهم الكبير

اغتنم فرصة عزيمة جناب الاديب الفاضل الاستاذ هوغرت الى مقر السودد التالد
بأن اجعل هذا بيده لحضرة رجل العالم الوزير الخطير والشهم الكبير لبيان ما يجب لحضرته من تجديد
عهد الاخلاص وتأكيد الاختصاص وفقها المولى لكمال حبه ويرضاه واعانها بقدرته الاحديه
وعزته الصمديه وان احمد الله اليك على ما نحن والبدو فيه من النعم التي من الله بها علينا
وجعلها على يد مهابة الشوكة البريطانيه بدلا لنلتجا الى الله ان يضاعف توفيقاته علينا
بأداء واجبات تلك الحقوق التي تطوقت بها اعناق ابناء البدو واولادهم واحفادهم
من بعدهم نسلا بعد نسل وجيلا بعد جيل الى ان يرث الله الارض ومن عليها مردفين
هذا بالضراعة الى المولى الكريم ان يبقى الامبراطوريه البريطانيه من كل سوء ويمدهم
بالتوفيق والصحة والعافيه انه الجواد الكريم

مخلصكم [illegible]

FO 882/19

(١٦٦)
(كتاب)
من لويد جورج
رئيس الوزارة البريطانية
إلى الملك حسين

التاريخ: ٣٠ أيلول/ سبتمبر ١٩١٨

حمل إليّ البروفسور هوغارث كتاب سيادتكم.

إن دعاء سيادتكم وعباراتكم الحكيمة والنبيلة قد مست أعماق قلبي، وإن زعامة سيادتكم للحركة العربية، وتفانيكم لأجل تحرير الشعوب الناطقة بالعربية لما يثير شعوراً بالتجاوب الخيّر في ذهن كل إنكليزي.

أما التحالف القائم بين الشعب البريطاني وأولئك الذين يناضلون تحت لواء سيادتكم لأجل حريتهم وحقوقهم، هو النتيجة الطبيعية للتصميم المشترك لتحقيق هدف واحد، وهو إنهاء الظلم والاضطهاد أينما وجدا.

إنني أعتقد أن الأجيال القادمة للشعوب الناطقة بالعربية ستعرف بإذن الله كيف تبارك اسم سيادتكم، وستتذكر بالامتنان الثبات والشجاعة اللذين عملتم بهما من أجل ما سيتمتعون به إن شاء الله من رخاء وحرية.

(توقيع) لويد جورج

FO 882/19

(١٦٧)

(كتاب)

من الملك جورج الخامس
إلى الملك حسين

التاريخ: ٣٠ أيلول/ سبتمبر ١٩١٨

تسلمنا رسالة سيادتكم الكريمة والبليغة بمشاعر الارتياح العظيم. إننا ندرك روابط العزم والثقة القوية التي تجمع في حلف وثيق الشعب البريطاني مع أولئك الذين يكافحون من أجل حرية العرب بزعامتكم. إننا نراقب باهتمام تقدم الجيوش العربية، وندعو أن يتوّج النصر النهائي جهودكم وجهود أبنائكم الأمراء الشجعان وقواتهم الباسلة.

جورج ر. آي
بأمر صاحب الجلالة
موقع (جيمس آرثر بلفور)

FO 371/3381

(١٦٨)

(تقرير)

من الكرنل ويلسن ـ المعتمد البريطاني في جدة
إلى الجنرال وينغيت ـ المندوب السامي في القاهرة

سرّي

البحر الأحمر — التاريخ: ٢٣ تموز/ يوليو ١٩١٨

سيدي،

أتشرف بأن أرسل طياً لمعلومات سعادتكم تسجيلات محادثاتي مع الملك حسين

من ١٦ إلى ٢١ تموز/يوليو بضمنها التاريخان.

لا شك أن توتر السنتين الأخيرتين قد أثر في الملك، وجدير بالملاحظة أنه هو نفسه يقرّ بذلك تماماً، وكان خلال المقابلات غاضباً أحياناً، وفي أحيان كثيرة غير معقول، والنقاش معه صعب، بينما كان في أوقات أخرى الرجل الكريم المجامل الذي يكونه حين يشاء.

أتشرف بأن أعرض الملاحظات التالية عن الموضوعات المهمة التي بحثت:

ـ الملك حسين والشيوخ العراقيون

بالإشارة إلى ملاحظاتي عن هذا الموضوع في تقرير المقابلة بتاريخ ١٦ تموز/يوليو، إن أهم حقيقة يجب ملاحظتها هي عدم ثقة الملك الظاهرة بالسياسة التي يعتقد أن سلطات بغداد تتبعها.

وإذا كان من الصحيح أن هذه السياسة موجهة لإبعاد تأثير الملك، والتقليل من شأنه في العراق، فإن للملك في هذه الحالة مبررات لعدم الثقة، أو على الأقل، للحيرة. وأعرض أن هذه السياسة سوف تؤدي بنا ليس إلى الصعوبات فحسب بل لا تبدو متفقة مع سياسة حكومة صاحب الجلالة المعلن عنها في الكثير من الأحيان لتشجيع الوحدة العربية، في حين أن تعليمات الملك، أو مشورته المعطاة إلى الزعماء الذين أرسلوا الرسل إليه، تتماشى مع هذه السياسة.

ـ نقل الركاب والتجهيزات

سجلت الحادثة عن الباخرة «ايموجين» مطولاً لأن الملك حسين كثيراً ما أبرق وكتب شكاوى عن موضوع النقل إلى سعادتكم، وهذه الحادثة مثال نموذجي للمبررات التي لديه للتظلّم.

ـ الضباط البغداديون

إن الملك لا يحب الضباط السوريين والبغداديين مبدئياً بالنظر إلى تدريبهم التركي. أعتقد أنني أستطيع إبعاد بعض الضباط الأشدّ سوءاً من قوة الأمير علي، لكنني لم أرغب في اقتراح ذلك حتى أعلم هل يمكن إرسال هؤلاء الضباط إلى الهند لإعادة اعتقالهم كما هو المقترح، ولنفس السبب لم أقدم حتى الآن تقارير عنهم إلى الملك.

إن الضابط العربي الوحيد الذي يمكن أن يكون على الأقل ملائماً لمنصب وزير الحربية هو جعفر باشا العسكري، لكنني لا أعلم هل يمكن الاستغناء عنه في ميدان العمليات الشمالي أو يكون مقبولاً لدى الملك. وربما يكون تعيينه جديراً بالنظر.

ـ السياسة البريطانية

كما سوف يلاحظ من سجل المقابلة في ١٨ تموز/يوليو، تكلم الملك حسين مطوّلاً عن موضوع السياسة البريطانية في بلاد العرب. لقد بحث شؤوناً متعددة ـ أكثرها قديم ـ لكن كل تصريحاته ومناقشاته تلخصت في طلب واحد مستعجل، وهو أن يعطى الآن ـ رسمياً ولكن بصورة سرية ـ تأكيداً نهائياً بأن سياسة حكومة صاحب الجلالة تستهدف وحدة عربية تحت رئيس واحد، وأن يصرح بهذه السياسة علناً في مؤتمر السلام، وتعمل بها بريطانية العظمى وحلفاؤها. ومن الناحية الأخرى، إذا تعذر إعطاء مثل هذا التأكيد فإنه يطلب إخباره بذلك بأسرع ما يمكن.

في رسالتي إلى سعادتكم بتاريخ ٥ حزيران/يونيو ١٩١٨ المرفقة بها تقارير عن محادثاتي مع الملك حسين في ٣١ أيار/مايو إلخ عن موضوع أمة عربية تحت سيادة رئيس، لاحظت أن اللفتنانت كرنل باسيت وأنا نفسي قد دهشنا كثيراً للتشابه بين بعض تصريحات الملك ومناقشاته مع تلك التي عبرت عنها في مذكرتي المؤرخة في أول أيار/مايو ١٩١٨. ومما يسترعي النظر أيضاً كون طلب الملك المبيّن أعلاه يكاد يكون مطابقاً كلياً للتوصيات التي قدمتها في مذكرتي الآنفة الذكر.

لم تكن لديّ فكرة أن الملك سوف يثير موضوع «الرئيس» إلخ. ولا فرصة لإبعاده عنه. لقد بدأ مباشرة بالقول بأن من المهم جداً أن يُعطى تأكيداً واضحاً الآن بصدد وضعه هو نفسه، في الحاضر والمستقبل. ورأيت من المستحسن أن أبعده عن الموضوع الشخصي عن وضعه هو نفسه، لأنني كنت واثقاً أنه كان ينوي طلب تأكيد مباشر بأن السياسة البريطانية تستهدف جعله معترفاً به كرئيس. ولذلك (كما سجلت) أعربت له عن تصوّري للسياسة البريطانية الذي، كما أعتقد، أثر في تعديله لطلبه وجعله يتعلق بالتأكيد بأن السياسة البريطانية تستهدف وحدة عربية تحت رئيس.

ويظهر أن الملك قلق ومتحيّر فيما يتعلق بحقيقة السياسة البريطانية.

إذا كانت السلطات في بغداد تستهدف إبقاء نفوذ الملك خارج العراق والتقليل من نفوذه هناك، بينما تنظر إلى ابن سعود كـ «موازن» للملك حسين ومساوٍ له من كل ناحية، أعرض أن هناك بعض المبررات لارتياب الملك، وهذا من المحتمل أن يبقي في نفسه الخوف، الذي أعتقد أنه في صميم فكره، من أننا في الحقيقة نرغب أن نتركه ملكاً للحجاز فقط على الرغم من التأكيد المعطى له يوم أعلن ملوكيته بأن اللقب المحدود «ملك الحجاز» لا يؤثر في اتفاقه المعقود مع حكومة صاحب الجلالة.

كما تعلمون سعادتكم إنني دائماً أيدت السياسة القائلة بأن نكون صريحين وعلنيين على قدر الإمكان، وفي اعتقادي أننا كلما تمادينا في تركه في الظلام، كان الأمر - أسوأ حين يحل الوقت - كما لا بدّ أن يحلّ - لكشف أوراقنا على المائدة، إلاّ إذا كنّا مستعدين لتأييد طموحات الملك. والآن وقد أصبحت اتفاقية سايكس - بيكو ميّتة ولكن لم تدفن رسمياً، ونظراً إلى طلب الملك حسين الرسمي والنهائي تأكيداً لما سيكون عليه المستقبل، يظهر أن الوقت ملائم، بل ضروري، من أجل مصالح الإمبراطورية البريطانية، لاتخاذ قرار نهائي الآن بما نريد أن نعمله حقاً.

ولقد ثبت إخلاص الملك مرّات عديدة وتصرّف خير تصرّف إزاءنا.

إنه بلا ريب يلاحظ مصلحته إلى درجة بعيدة، لكن هدفه الأصلي والغرض الذي يرمي إليه هو إعادة إحياء المجد القديم للأمة العربية بإنشاء اتحاد دول عربية برئاسة رئيس، أكثر من تعظيم نفسه وأسرته - ذلك التعظيم الذي يأتي في المرتبة الثانية.

وهو يرى شخصياً أنه المرشّح الممكن الوحيد للرئاسة، وأعتقد أن من الواجب الإقرار بأن له مبرراً قوياً للاعتقاد بأنه مرشّح حكومة صاحب الجلالة لهذا المنصب الرفيع. وفي هذا الصدد أرجو من سعادتكم أن تراجعوا الملاحظات التي أوردتها في رسالتي المؤرّخة في ٥ حزيران/يونيو ١٩١٨، وأضيف أن الضرورة العاجلة لاتخاذ قرار فيما تكون عليه السياسة البريطانية في المستقبل كما ذكرت في رسالتي تلك وفي مذكرتي المؤرّخة في أول أيار/مايو ١٩١٨، وقد أثبتتها مقابلاتي الأخيرة مع الملك حسين.

وكما تذكرون سعادتكم أن السيد مصطفى الإدريسي قد أخبر الشيخ فؤاد الخطيب وأخبرني أن الإدريسي يعترف بالملك حسين رئيساً، وفي المدة الأخيرة

جاءنا رسول موثوق به من الإمام يحيى يصرِّح بأن الإمام يحتمل أن يفعل كذلك.

إن الفوائد التي نأمل أن نكسبها من ثورة الملك هي ذات طبيعة عسكرية وسياسية. فمن الناحية العسكرية حصلنا حتى الآن على منافع جمّة، لكن المنافع السياسية الرئيسية التي أشير إليها مراراً هي ذات طابع يتعلّق بما بعد الحرب، وأعرض بمزيد الاحترام أننا، ما لم نقف مع الملك حسين ونقرر موضوع سياسة «الرئيس» فإن الإمبراطورية البريطانية سوف تفقد بكل تأكيد تقريباً فرصة قد لا تعود مرة أخرى.

بشرط حصول الملك حسين على تأكيد رسمي بأن السياسة البريطانية هي سياسة «الرئيس»، فإنني لا أخشى حصول صعوبات لا تقهر يضعها في سبيلنا بخصوص شكل الحكومة التي قد نجدها صالحة للعراق. والحقيقة أن الملك وافق في المراسلات التي جرت بينه وبين السير هـ. مكماهون على أن يكون له مستشارون بريطانيون حيثما تقتضي الضرورة، وصرّح مرة بعد أخرى في المحادثات بأن بريطانية العظمى يجب أن تساعد في تطوير البلاد وإنشاء حكومات طيّبة.

لقد سبق لحكومة صاحب الجلالة أن أخبرت الملك حسين رسمياً بأن السياسة البريطانية سوف تستهدف «أن ينشىء العرب دولة مرة أخرى في العالم»، وكـ «دولة» يجب أن يكون لها رئيس من شكل ما. فلا تبدو أية صعوبة في إعطاء الملك حسين تأكيداً حسب الخطوط التي يطلبها نوعاً ما، أي جزيرة عرب متحدة تحت رئيس، مع التحفظات التي قد تعتبر ضرورية.

كنت دائماً أخشى أن الملك حسين قد يطلب بعض التأكيد من هذا القبيل، وأنه لمن سوء الحظ حقاً أنه فعل ذلك الآن، ولكن لم يكن في الإمكان قط منعه من ذلك.

أعتقد شخصياً أن الملك حسين كان يحتمل أن يبقى قانعاً بالتأكيدات التي كررتها حكومة صاحب الجلالة مراراً بشأن الوحدة العربية وتشكيل دولة عربية إلخ، لو لم تنشر اتفاقية سايكس ـ بيكو من جانب الحكومة البلشفية، ولولا الانطباع المؤسف الذي حصل عليه من زيارة المستر فيلبي، وعدم الثقة المتنامية حديثاً من سياسة السلطات البريطانية في بغداد التي يعتقد أنها موجّهة ضدّه.

كتبت في الصفحة الثانية الفقرة (٥) في مقابلة ١٨ تموز/يوليو أنني «ذكرت موضوع لقب ملك البلاد العربية الذي اتخذه لنفسه»، فعلت ذلك لأن الملك حسين

خلال المحادثة كرّر مراراً الملاحظات في الموضوع، ووجدت الفرصة لأؤكّد عليه عدم جدوى إثارة الموضوع مرة أخرى، ونجحت في أن الملك صرَّح من ذات نفسه أن اللقب المذكور لم يكن ذا أهمية عظيمة وقد يبقى معلقاً إلى نهاية الحرب.

ـ الملك حسين وابن سعود

إن برقية المكتب العربي المستعجلة المرقمة A.B/١٩٧ والمؤرّخة في ٢١ تموز/ يوليو المتضمنة رسالة مماثلة تقدم إلى الملك حسين وابن سعود، وردت في اللحظة التي كنت أغادر فيها قاصداً الباخرة، وكانت ممزّقة في بعض أقسامها.

لما كانت البرقية قد بدأت بإصدار التعليمات إليّ لـ «تسليم ما يلي للملك إذا أمكن» فهمت أن لي أن أستعمل تقديري. كذلك بما أنني بحثت القضية بكاملها مع الملك حسين، ظننت أن من المرغوب فيه جداً أن تروا سعادتكم محاضر محادثتي عن الموضوع قبل تسليم الرسالة في شكلها الحاضر إلى الملك حسين. ولذلك أبرقت أحثّ على تأخير التسليم.

بعد كل تأكيدات الملك عن موضوع ابن سعود وحملة شاكر [بن زيد] أخشى أن يكون للرسالة بشكلها الحالي أثر سيء على الملك، فهي تضع ابن سعود على نفس مستوى الملك حسين تماماً في العظمة والقوة، وهذا الأمر، وهو يبلغ رسمياً من حكومة صاحب الجلالة، يكون جارحاً لشعور الملك. لا أعتقد أن أحداً ينكر أن نفوذ الملك حسين المدني والروحاني في بلاد العرب أعظم كثيراً من نفوذ ابن سعود أو أي شخص آخر.

كما سترون سعادتكم أنني بحثت موضوع حملة شاكر بصورة وافية مع الملك حسين، ولم ألزم حكومة صاحب الجلالة بأي وجه كان. والواقع أن المرة الوحيدة التي ذكرت فيها الحكومة البريطانية مسجلة في الفقرة الأخيرة من الصفحة ٥ لمقابلة ١٨ تموز/يوليو.

أؤمل بأن سعادتكم سوف توافقون على قبولي وجهة النظر القائلة بأن خالد [بن لؤي] متمرد. لقد سماه المستر فيلبي كذلك في تقريره عن سفرته إلى الطائف، وقد أعطي منصب أمير الخرمة من جانب الملك حسين، وكان مع الأمير عبد الله في وادي العيص في وقت ما في السنة الماضية.

ولا يخامر ذهني شك في أن من الضروري حقاً أن يعيد الملك احتلال الخرمة،

وأن يطرد خالد من تلك المنطقة، وذلك ليس من أجل مكانة الملك وسمعته فقط بل أيضاً، أو ربما لسبب أهم، لمنع فعاليات الإخوان من مزيد من الانتشار نحو الغرب، مما قد تكون له نتائج خطيرة.

ولا شك عندي أيضاً أن الملك حسين توّاق حقاً لمنع أي صدع علني للعلاقات مع ابن سعود، وأنه شاعر بما تجلبه الحروب العلنية بين الاثنين للقضية العربية من ضرر، وأنه لا نيّة له للهجوم على إقليم ابن سعود.

وكان سبب خشيتي من أنه، على الرغم من نوايا الملك، قد يقوم شاكر بـ «إطالة ثوبه» أن أثرت غضب الملك بالإلحاح على الحصول على تأكيد منه بأن لا تتخذ أية عمليات شرقي الخرمة.

لقد وقفت موقفاً ثابتاً من الملك حسين، وأؤمل بأن موقفاً ثابتاً قد اتخذ في الوقت نفسه أيضاً من ابن سعود. وإذا كان الأمر كذلك فهنالك كل إمكان لتسوية المسألة ما دامت الإمدادات الوهابية لا تنضمّ إلى المتمرد خالد. وأظن أن ابن سعود يتخذ الإجراءات لمنع ذلك.

من المحتمل أن ابن سعود يدّعي بالخرمة، ولكن بما أن خالداً عُيِّنَ أميراً من جانب الملك حسين قبل نحو أربع سنوات، وكان بلا ريب تابعاً له، فإنني أرى شخصياً أن ادعاء الملك صحيح.

أهو مطلب مبالغ فيه حمل ابن سعود على أن يمنع ويشجب علناً فعاليات الإخوان خارج إقليمه، وأن يأمر كل رعاياه بمغادرة منطقة الخرمة، أو على الأقل بعدم تأييد خالد؟

إن الناحية الدينية تجعل معالجة القضية دقيقة، لكنني أرى أن أساس كل القلاقل يكمن في نشاطات الإخوان في الدعاية العدوانية، وأن العلاقات الشخصية بين الملك حسين وابن سعود تصبح مرّة ومتوترة لأن الملك، وهو عالم بأن ابن سعود هو رئيس المذهب الوهابي والإمام المختار للإخوان، لا يستطيع الاعتقاد بأن هذه النشاطات لا تدعم بصورة سرية، إن لم يكن ابن سعود هو الذي يثيرها فعلاً. لقد شكا مراراً بمرارة من أننا نلومه على كل شيء يجري بين ابن سعود وبينه.

إنني شخصياً أودّ أن أخبر الملك بـ:

(١) إن حكومة صاحب الجلالة مقتنعة تماماً بأن ابن سعود مخلص إخلاصاً مطلقاً (فعلت ذلك مراراً).

(٢) أن ابن سعود يخشى من أن الملك حسين يعتزم في النهاية وضع اليد على بلاده.

(٣) نحن نعلم أن ابن سعود لا يملك القوة الكافية لمنع مرور القوافل من دمشق وإليها، من خلال إقليمه.

(٤) أن ابن سعود لا يملك القوة الكافية لتقييد نشاطات الإخوان.

أظن أن الفقرتين (٣) و(٤) صحيحتان، ولو كان الأمر خلاف ذلك لاتخذ ابن سعود، وهو مخلص حقاً، الإجراءات الرادعة في سبيل الوحدة العربية.

ولو أن تصريحاً كهذا وجه إلى الملك حسين ربما كان أثره بعيداً في إفهامه وضع ابن سعود والصعوبات التي يواجهها. وهو يعلم مثلنا أن القوافل تمر من أراضي ابن سعود، وأن أمراءه المختلفين يتقاضون رسومهم، ولذلك فإنه لمن الطبيعي إلى حد ما أن يظن الملك حسين بأن بعض هذه الموارد، التي تجبى بطريقة غير مستحبة، تذهب إلى خزانة ابن سعود الخاصة.

أرفق طياً أصل التخطيط المبدئي الذي رسمه الملك والمشار إليه في الصفحة الأولى من مقابلة ٢٠ تموز/يوليو. إذا كان حقاً ينوي إثارة القلاقل ودفع الأمور بينه وبين ابن سعود إلى أزمة وصدع علني، فإن زيارة يقوم بها للقصيم وتنفذ حسب الخطوط التي رسمها الملك، قد تؤدي إلى هذه النتيجة.

كما ذكرت في مذكرتي المؤرخة في أول أيار/مايو ١٩١٨، هناك فيما أعتقد سياستان بديلتان ممكنتان فقط، وهما:

(١) سلسلة دول تتمتع باستقلال كامل كل دولة تحت حاكمها الخاص.

(٢) سلسلة دول تتمتع بحكم ذاتي كامل تحت رئيس.

إنني أبدي أن علينا أن نقرر اتباع وتوجيه سياستنا نحو اتخاذ سياسة «الرئيس» ولا يخامرني شخصياً أدنى شك في أن مصالح الإمبراطورية البريطانية في المستقبل تتطلب تبني هذه السياسة، وكلما أسرعنا في اتخاذ مثل هذا القرار كان ذلك أضمن لخدمة المصالح البريطانية.

ـ مجيء الأمير عبد الله إلى مكة

إن سجل مباحثتي عن هذا الموضوع سوف يوضح ما جرى.

إن الملك راغب بلا شك أن يكون أحد أبنائه معه، لكنه يشعر حقاً بالتأثير السيّء على العشائر إذا ترك علي أو عبد الله محلهما الحاضر فوراً.

إنني على ثقة نوعاً ما أن الملك سوف يستدعي علياً إلى مكة حالما يشعر أنه يتمكن من القيام بذلك بصورة سليمة. وأنا أوصي بعدم الإلحاح على هذا الموضوع في الوقت الحاضر.

لم يكن الملك حسين منزعجاً أقل انزعاج عند سماعه الاقتراح القائل بوجوب مجيء عبد الله لمساعدته. وعلى العكس دخل في مناقشة الموضوع على الوجه الكامل، وهو نفسه يشعر بأنه يحتاج إلى مثل هذه المساعدة.

ولما رأيت أن هناك احتمالاً استدعاء عليّ إلى مكة دون عبد الله، من غير ضغط شديد، ركّزت جهودي على محاولة حمل الملك على استدعاء عليّ.

أتشرف بأن أكون، سيدي،
خادمكم المطيع
(التوقيع) سي. ئي. ويلسن كرنل

F0 371/3381

(١٦٩)

(محضر)

مقابلة مع الملك حسين في جدة، ١٦ تموز/ يوليو ١٩١٨
الحاضرون: لفتنانت كرنل باسيت، روحي أفندي، وأنا

بعد محادثة اعتيادية أثير موضوع بعثة الفندق إلى مكة. أخبرت الملك من هم الذين سيأتون، فطلب مني أن لا يغادر الأعضاء جدة إلى مكة أبداً لأن ذلك يفسح المجال لأحاديث كثيرة غير مرغوب فيها، وقال إن الأفضل لهم أن يأتي اثنان منهم في كل مرة. فسألته مازحاً إذا كان يعني أن البعثة ستعطي انطباعاً بأن حكومة جلالته ترغب في الحصول على موطىء قدم في مكة، وأجاب بقوله المعتاد: «ها

شفتو.. شفتو» [حرفياً].

بعد كلام آخر قال الملك إن البعثة يمكن أن تأتي بجمعها، لكنه يوصي بأن من الأفضل أن يرسل مهندس واحد فقط أولاً لتقدير البيوت المناسبة، وإلاّ فإنه إذا رأى أحد الملاّك أن حكومة صاحب الجلالة ترغب في داره فإنه قد يطلب ضعف ثمنها الصحيح على الأقل.

وقال الملك إن الحكومة البريطانية يمكنها أخذ مباني «البلدية» الرئيسية أو إحدى مدارسه في مكة لجعلها فندقاً، فأحد هذين كما يعتقد يكون ملائماً، وهما في محلات جيدة، وهو يقدم المدرسة إلى حكومة صاحب الجلالة.

فشكرت سموه بحرارة لعرضه الكريم وقلت إن البعثة ستدرس القضية بكاملها وستقدم تقريرها.

ثم أثار الملك موضوع الشيوخ العراقيين الذين يرسلون ممثلين عنهم إليه لتقديم تصريحات ولاء إلخ. وقال إن ممثلي فهد بن عبد المحسن الهذال وعلي بن سليمان الدليمي ومحجم بن مهيّد من الفدعان هم الآن في جدة يحملون رسائل من رؤسائهم تصرّح بولائهم له إلخ.. ورسول الشيخين فهد ومحجم اسمه سليمان الرميحي ورسول الشيخ علي هو مشعان بن رميزان.

طلب الملك أن يرسل كتاب إلى السير برسي كوكس للتوصية بهؤلاء الشيوخ وأن يشار في الكتاب إلى أن نفوذه لدى الشيوخ العراقيين ليس ضئيلاً بأي وجه. أخبرت الملك أنني سأنقل طلبه إلى سعادة المندوب السامي.

لا شك أن الملك حسين متألم كثيراً من الطريقة التي قوبلت بها جهوده لمساعدة «الخير العام» ولكسب الشيوخ العراقيين من الأتراك بالعمل وسيطاً بينهم وبين السلطات البريطانية.

وهو يلمح بوضوح أن له تأثيراً أعظم لدى العرب في تلك الجهة مما تقرّ به السلطات البريطانية في العراق. لست في موضع يمكنني من الحكم على مدى صحة ذلك، ولست أعلم لماذا يفكر الملك بأن بغداد تقلل من نفوذه ما لم تكن الفكرة قد جاءت من الأمير فيصل الذي ـ كما أخبرني لفتنانت كرنل لورنس ـ يعتقد أن السلطات البغدادية ترغب في إبعاد كل نفوذ شريفي عن العراق.

والملك حسين، مع أنه بلا شك يعمل لمصلحته، فإن تصرفه مع هؤلاء الممثلين كان على الدوام «تصرفاً صحيحاً»، وقد أبلغ رؤساءهم في كل الأحوال بأن عليهم أن يتصلوا بالسلطات البريطانية ويبذلوا جهودهم لمساعدتها ضد العدوّ المشترك.

في رأيي أن الملك حسين يشجع مباشرة السياسة المعلنة لحكومة صاحب الجلالة، وهي: الرغبة في الوحدة العربية.

في ١٧ تموز/يوليو جاء الرسولان الآنف ذكرهما لمواجهتي. وقالا خلال المحادثة إنهما يعرفان الكرنل ليتشمان ويحبّان البريطانيين الذين قابلوهم ويحبّان أساليبهم لأنهم يعلمون أنهم معهم. ويظهر أن الرجلين ذكيّان.

وقدّما المعلومات طوعاً أن عشائرهما حاربت ضدّنا في البدء لأن الأتراك يمثلون الخليفة وأن تركية هي البلد الإسلامي الكبير الوحيد، وأن هذه العشائر كانت ستبقى ضدنا لولا الرسائل التي تسلمها رؤساؤها من الملك. وقد قال فيها إنه حليف لبريطانية العظمى، وطلب إلى جميع العرب تقديم كل المساعدة إلينا والاتحاد لطرد الأتراك من الأقطار العربية. بعد ورود هذه الرسائل تخلوا عن الأتراك وأرسلوا الناس إلى السلطات البريطانية.

وقالا أيضاً إن الملك أخبر العرب بأن تركية هي الآن أداة لألمانية لا غير، وأن بريطانية العظمى هي الصديق الصادق للعرب.

(التوقيع) سي. ئي. ويلسن
كرنل
جدّة في ١٩١٨/٧/١٦

FO 371/3381

(١٧٠)

(محضر)

مقابلة مع الملك حسين في جدة
في ١٧ تموز/يوليو ١٩١٨

التاريخ: تموز/يوليو ١٩١٨

الحاضرون: اللفتنانت كرنل باسيت، حسين روحي أفندي وأنا.

في مقابلة الصباح قلت له إن الرسل (راجع المقابلة في ١٦ الجاري) جاؤوا لمقابلتي وكنت مهتماً بمحادثتهم، ولاحظت أنهم كانوا مسرورين كما يظهر من زيارتهم لمكة، كما كان حمد المنتفكي (أخو عجمي [السعدون] الذي ذكر اسمه قبلاً «حمود»)، وكان يفتخر بسيف ذهبي وخنجر أهداهما له الملك. وقال الملك (حسين): «نحن نصنعهما في مكة»، فسألت: «من الجنيهات الذهب البريطانية؟»، فقال كلا، ثم مضى يخبرني أن هناك معدن «كوارتز» فيه ذهب في جبل قريب من مكة، وقد جلب نماذج منه.

قال إن درهمين إلى أربعة دراهم من الذهب الخالص يحصل عليها من كتلة «كوارتز» بحجم كرة القدم تقريباً عند سحقها للتجربة.

قال الملك إن الحجاز مليء بالمعادن وهو يرغب في الحصول على مساعدة بريطانية العظمى في زمن لاحق لاستثمار هذه الموارد لأن بريطانية العظمى والعرب يجب أن يعملا معاً.

ولم يكن للملك حسين أي شك أن المعدن ذهب خالص وقال إن صاغة مكة قدروه بـ ٢٤ قيراطاً.

جرى البحث في قضية التجهيزات والنقل إلى العقبة مطوّلاً، وأخبرت الملك أنني فهمت في القاهرة أن كميات كبيرة من البضائع موجودة في العقبة، وقلت له إن أحد التجار أبدى رغبته في المجيء وبيع بضائعه هنا لأن لديه بضائع في العقبة

أكثر مما يستطيع بيعه في سنة. قال الملك إنه يتسلم برقيات من فيصل تنبىء أن عدداً كبيراً من العرب يجيئون ويطلبون أن ترسل البضائع وماذا يمكن عمله، فمن المهم أن يتمكن هؤلاء العرب من شراء الطعام والملابس إلخ.

ثم مضى الملك قائلاً بأن فيصل كذّاب، فأجبت أنني لن أوافق على ذلك أبداً، وأن برقيّاته يحتمل أن تكون موضوعة على أساس معلومات غير صحيحة من الشيخ يوسف أو غيره من موظفيه في العقبة. ثم فاجأني الملك بالقول إنه رغب في الأمد الأخير أن يرسل تجار جدة بضائع إلى العقبة لكنهم اشتكوا جميعاً من أن لديهم مخزونات كثيرة غير مبيعة هناك، ولذلك أبرق إلى فيصل يستعلم عن شرح لطلباته المستعجلة تجاه وجود فائض من السلع.

اقترحت أن أفضل طريقة هي أن تقوم جدة فقط بتجهيز البضائع التي لا تستطيع مصر تصديرها فوافق على ذلك (وحين يرسل المكتب العربي في القاهرة إلى هنا جدولاً بالبضائع التي لا تستطيع مصر تجهيزها كما تم الاتفاق عليه حديثاً في القاهرة، فيمكن عندئذ حلّ هذه القضية).

وجرت أيضاً محادثة طويلة عن نقل الركّاب والتجهيزات إلى ينبع والوجه والمويلح إلخ. فتمّ التوصل إلى ترتيب عمل مرض تماماً وافق عليه الملك.

وفي هذا الصدد أودّ أن أصرّح أنه، على الرغم من ذلك، كان في ١٩ تموز/ يوليو قلاقل عظيمة حول عدد الركاب الذين يسافرون على المركب البريطاني «إيموجين». أرسل جدول بأسماء ٨٢ مسافراً (أخبرني الملك قبل هذا أن هناك ٤٥ مسافراً). وقيل للسلطات أن ٥٣ فقط يستطيعون السفر، وخفض العدد ٨٢ إلى ٦٣. ومن الساعة ١٠,٣٠ ق. ظ إلى ٤ ب. ظ ـ مع فترة غداء متقطعة ـ صرف الوقت في قضية هؤلاء المسافرين. وكانت الرسائل الهاتفية وزيارات كبار موظفي الحكومة متعبة في كثرتها. وقد أخبرت مرة بعد أخرى أن الملك كان شديد الغضب وأنه صرّح أن جميع الـ ٦٣ مسافراً هم مسافرون مهمّون جداً (١٧ منهم كانوا رجالاً فرّوا خلال المعركة قرب الخرمة وكانوا محدداً (!!!) للأمير فيصل، يجب أن يذهبوا جميعاً.

أرسل الملك علي روحي أفندي وعاد يحمل إنذاراً (جاء به بعدئذ وزير الحربية مرة أخرى) مآله أنه إذا لم ينقل الـ ٦٣ مسافراً جميعهم فالملك لن يرسل أحداً سوى المندوبين العراقيين على الباخرة «إيموجين». فأجبت في المرتين أنني آسف لذلك

لأن الهجانة (كان منهم ٣٥ يريدون الذهاب)، كان فيصل بحاجة ماسة إليهم. ولكن المكان المتيسر لثلاثة وخمسين مسافراً، وليس أكثر من ذلك، كان تحت تصرف الملك.

ثم اقترحت أن أذهب بنفسي لشرح الأمر للملك، لكنه أجاب أن المسألة لا أهمية لها وأنه لا يرغب في إزعاج «الباشا» (أي الكرنل ويلسن).

وخلال هذه المدة توسل الموظفون العرب بالكرنل باسيت وبي للموافقة على طلب الملك بسبب مزاجه السيء، لكن المناشدة لم تنجح لأن المزاج السيء لم يكن امتيازاً يختص به الملك وحده.

وبعد ذلك في اليوم نفسه ذهبت لمقابلة الملك حسب العادة ولم يذكر ذلك الموضوع حتى نهاية المقابلة حين تطرق الملك إلى الموضوع. فشرحت له القضية مطوّلاً، و«تراجع الملك». ولذلك وافقت على إخراج ثلاثة جنود مصريين لأجل السماح بنقل ٥٦ مسافراً. فاستدعى الملك الشريف محسن وتمت تسوية القضية.

لقد أطلت في كتابة هذا لأبين نوعية ما يحدث. وعندما يبرق الملك إلى سعادة المندوب السامي شاكياً أن هذه الوكالة تمتنع عن نقل الركاب أو التجهيزات إلخ، فإن سبب غضبه يماثل الحالة المذكورة أعلاه.

وتجدر الملاحظة أن ٥٠ راكباً هو العدد الذي تسمح به السلطات البحرية على «الإيموجين».

تكلمت مع الملك عن الضباط البغداديين فقال إنه لا يثق بهم جميعاً. وفي خلال الحديث قال إن عزيز (علي) المصري اقترح على الملك بعد أيام قليلة من وصوله إلى مكة لأول مرة أن من الأفضل عدم قطع الصلة تماماً مع تركية وألمانية (هذا ما قاله لي الأمير فيصل سنة ١٩١٦ وأبلغت ذلك بصورة كاملة في حينه).

قال الملك، ضمن ملاحظات أخرى، إن السيد حلمي بك يجب أن يبقى في القاهرة حتى يأذن له الملك بمغادرتها.

ذكر الملك قضية زيادة سعر حوالات التجار إلى الهند، فشرحت له الأمر وقلت

له إنه لا يمكن تخفيض السعر. وقد قبل ذلك وقال إنه سيرسل وفداً إلى غرفة تجارة جدة لمقابلتي وطلب مني أن أشرح الأمر للأعضاء (وقد تمّ ذلك فعلاً)،

في المقابلة بعد الظهر (الحاضرون كالسابق).

بعد البحث في شؤون تجارة جدة، وسعر تحويل التحاويل على الهند، ونقل التجهيزات والبضائع من جدة إلى موانىء الحجاز والعقبة، عاد الملك إلى موضوع الضباط البغداديين الذين يخدمون في جيوشه، كما أشرت إليه في مقابلة سابقة.

طلب سموه أن يكون الضباط البريطانيون الملحقون بالقوات الشريفية في الميدان، أحراراً في تقديم التقارير عن هؤلاء الضباط إليّ وأن أرسل التقارير إليه. قلت إنني تسلّمت من الضباط البريطانيين عدداً من التقارير السيئة عن بعض الضباط البغداديين، وفي إمكاني أن أقدّم له مقتبسات من هذه التقارير ومن تلك التي تردني في المستقبل عن الموضوع. وأدّى هذا إلى ذكر وزارة الحربية الحجازية. كرر سموه طلبه عن تزويده بضابط مسلم كبير، مصري أو هندي، ليشغل منصب وزير الحربية مع ضابطين من الأركان بإمرته للقيام بجولات تفتيشيّة. قال إنه لا شكوى له من اليوزباشي محمود أفندي القيسوني سوى أنه صغير السنّ، فإنه مخلص وصادق وقد خدمه خدمة جيدة. قلت إن هذا المنصب يحسن أن يشغله ضابط عربي ذو مكانة إذا أمكن، لكن سموّه يئس من العثور على شخص ملائم.

قال الملك إنه إذا لم يوجد ضابط مسلم ملائم فإنه يودّ أن يجد ضابطاً بريطانياً يقيم في جدة ويقوم بأعمال وزير الحربية. قلت إن هناك اعتراضات واضحة على ذلك، لكن عظمته أصرّ على هذا الأمر وقال إن هذا الضابط يستطيع أن يشغل منصباً اسمياً في دائرة موظفيه الشخصيين ولا يعرف علناً بصفة وزير الحربية.

قال الملك إن الأمر صعب عليه جداً بالنظر إلى أنه وأنجاله لم يكونوا يعرفون شيئاً عن الحرب الحديثة بل عن حرب البدو فقط.

(التوقيع) سي. تي. ويلسن
جدة ١/٧/١٩١٨

FO 371/3381

(١٧١)

(محضر)

مقابلة مع الملك حسين في الوكالة البريطانية
في جدة في ١٨ تموز/ يوليو ١٩١٨

(سرّي)

بعد محادثة عامة قصيرة حضرها كل موظفي هذه الوكالة سأل الملك متى أعود إلى مصر لأن لديه قضية مهمة يريد البحث فيها ويرغب في حصول الفرصة لذلك في الوقت المناسب قبل سفري، ولأن هناك نقاطاً قد تستلزم إرسال برقيات إلى القاهرة وتسلّم الأجوبة قبل مغادرتي.

اقترحت أن يجري الكلام فوراً. وعند ذلك خرج الضباط وغيرهم ولم يبق سوى اللفتنانت كرنل باسيت وروحي.

افتتح الملك المباحثة مكرراً تأكيداته، كما فعل مراراً، بأنه لا يهدف إلى مكسب أو تعظيم شخصي. قال إن من المهم جداً أن يوضع خط سياسة واضح بصدد مركزه الحاضر والمقبل بدون تأخير. وأشار مرة أخرى مطولاً إلى «اتفاق مكماهون» الذي جاء فيه، كما قال، إن حكومة صاحب الجلالة ترغب أن تشهد إحياء الخلافة العربية وبلاد عرب موحدة تحت سيادته (سيادة الملك حسين): («تحت رئاستي»). وقال إن حدود هذه المملكة العربية عيّنت بوضوح في «الاتفاق» وتضمّنت «جزيرة العرب» كلها فيما عدا محميّة عدن، ومع بعض التحفظات بخصوص البصرة والأقاليم التي تجاور الخليج الفارسي [العربي]. وكان لأجل بلوغ هذا الهدف، وهو إنشاء مملكة عربية مستقلة، أنه تعهد برفع راية الثورة لتحرير العرب من الحكم التركي. وكان ذلك في الحقيقة أساس كل مفاوضاته مع الحكومة البريطانية.

قلت للملك إنني، حسبما أعلم، أن حكومة صاحب الجلالة، مع الإعراب عن أمل قوي ورغبة في إنشاء اتحاد عربي في الوقت المناسب، فإنها لم تتعهد قط بتأليف مملكة عربية تحت ملوكيّته ورئاسته هو نفسه أو أي شخص آخر. فأجاب الملك حسين أولاً على ذلك أنه لا شكّ في الأمر، فقد كان الأمر مكتوباً، وأعاد

الكلمات «تحت رئاستي».

أبديت ما هو مفهومي للسياسة البريطانية سواء خلال المفاوضات المبكرة مع سموه وبعدها:

(١) إن حكومة صاحب الجلالة ترحب باتحاد عربي وإنشاء دولة عربية[١] إذا أمكن تحقيق ذلك بالاتفاق بين العرب أنفسهم، وإنني حسب رأيي أن مثل هذا الاتحاد ليكون حقيقياً يجب أن يحوز على اعتراف كل العرب بشخص تكون له صفة رئيس أعلى، لكن هذا الأخير، أيّاً كان، يجب أن يقبله العرب عموماً.

(٢) إن حكومة صاحب الجلالة تحترم معاهداتها القائمة مع بعض الرؤساء العرب.

(٣) إنه، بالنظر إلى الفقرة (١)، قامت حكومة صاحب الجلالة بفتح المفاوضات مع شريف مكة الأكبر بصفته زعيماً عربياً مشهوراً ويمكن الاتصال به ولائقاً بأن يكون ناطقاً باسم العرب عموماً.

إزاء هذا الكلام أقرّ سموه أن مراسلات السير هـ. مكماهون لم تعيّنه هو نفسه ليكون حاكم المملكة العربية. وليكن هو نفسه أو غيره، غير أن النقطة المهمة لحكومة صاحب الجلالة هي أن تعترف الآن فوراً بأن «جزيرة العرب» يجب أن تتحد تحت رئاسة رجل واحد، إذا أريد تحقيق فائدة حقيقية ودائمة للشعب العربي بنتيجة ثورته.

وأصرّ مرة أخرى أن هذا كان أساس مفاوضاته المبكرة مع القاهرة، كما ألمح أن الشكل الذي اتخذته تلك المفاوضات كانت، في رأيه، تدل على عزم حكومة صاحب الجلالة الواضح على جعله نصيراً لهم للرئاسة المذكورة.

فكرّرت القول إنه لا يمكن تحقيق الاتحاد العربي، إلاّ بالمجهود العربي وحده وإن إنشاء أية ملوكية أو رئاسة في بلاد العرب يجب أن يكون بالضرورة محل قبول العرب عموماً. قال سيادته إنه لا يتكلم عن نفسه، ولا يدافع عن تمجيده لنفسه.

---

(١) استعملت في الأصل الإنكليزي كلمة [Nation] وهي تدل على «الأمة»، ولكنها تستعمل أحياناً للدلالة على (الدولة) أيضاً، والمعنى الثاني هو المقصود هنا حسبما يتبين من السياق.

(ن.ف.ص)

فلتقم حكومة صاحب الجلالة، باختياره هو أو أي شخص آخر للمنصب، ولكن يجدر بها، مهما يكن الثمن، أن تقرر فوراً وجوب قيام سلطة عربية عليا واحدة على جميع عرب «الجزيرة».

لقد اعتقد منذ البداية أن تلك النيّة هي التي انطوت عليها رسائل السير هـ. مكماهون، وبدونها تكون جميع الجهود المبذولة عبثاً. وصرّح الملك أكثر من مرة خلال المحادثة أنه إذا كان مخطئاً في تفسيره للاتفاق[1] فلينظر الآن في هذه القضية كأنها جديدة إذا لزم الأمر، وليحط علماً بدون تأخير هل حكومة صاحب الجلالة تتخذ سياسة بلاد العرب تحت رئيس واحد أم لا. ولا يهم سواء كان هذا الرئيس هو نفسه أو سواه. وإذا تقررت هذه السياسة وعمل على تنفيذها فهو يستطيع القيام بالمهمة التي اتخذها لتوحيد العرب. ومن الجهة الثانية إذا لم تصرّح حكومة صاحب الجلال (بقبول) سلطة عليا في جزيرة العرب فإنه لا يستطيع الاستمرار. إن مواصلة الجهود في سبيل القضية العربية في مثل هذه الأحوال يكون لا طائل تحته، إنه سوف يحارب ضد الأتراك حتى اندحارهم، لكنه، بعد هذا الجهد العسكري الخالص، سيكون مرغماً على الانسحاب من المشروع الأكبر الذي وهب نفسه لإنجازه بمساعدة بريطانية العظمى وإسنادها.

وجدير بالملاحظة هنا بأنه طوال مدة المناقشة ـ بعد أن أقرّ بأن حكومة صاحب الجلالة لم تسمّه شخصياً قطّ كالملك أو الرئيس اللاحق لجزيرة العرب ـ قام سموه، مع اعترافه بعدم أهمية أن يسمى هو، دون أي واحد آخر، لهذا المنصب، بوضع كل براهينه على أساس افتراض أن لا أحد سواه يكون ممكناً. وهذا طبيعي كل ما حدث، وقد يكون ذلك صحيحاً.

ذكرت قضية اللقب الذي اتخذه لنفسه «ملك البلاد العربية» وذكرت كم هو من المستحيل على حكومة جلالته أن تعترف بهذا اللقب رسمياً، وأيضاً (١) أن جزءاً كبيراً من الأقطار العربية (ومنها حتى المدينة وسكة حديد الحجاز) ما زالت تحت الاحتلال التركي، و(٢) أن جزءاً كبيراً آخر يقع بعيداً، مثلاً: تونس، المغرب، مصر إلخ.

---

(١) من المثير للاهتمام أن نلاحظ أن هذه المرة الأولى التي أقرّ فيها الملك حسين بأي احتمال لأن يكون تفسيره لمراسلة السير هـ. مكماهون عرضة للتساؤل.

(ويلسن)

لم يستطع سموّه أن يجيب على أولى هذه الحجج. وبصدد الحجة الثانية قام واقفاً بتلهّف وقال: «آه! هناك الخطر بيننا». ومضى يشرح أن «البلاد العربية» لدى العرب مرادفة لـ «جزيرة العرب» ولا يمكن أن يفهم بأنها تشمل الأقطار البعيدة التي ذكرتها. قال على كل حال فليسمّ نفسه «ملك جزيرة العرب». ويظهر أن عظمته كان يفكر تحت انطباع خاطىء بأن حكومة صاحب الجلالة قد توافق على هذا التعديل للقبه، فأسرعت وشرحت أنه، خلافاً لتعهداتنا مع زعماء عرب آخرين ـ لما كان الأتراك يسودون على جزء كبير من «الجزيرة» فإن الاعتراف حتى بهذا اللقب المعدّل، في الوقت الحاضر، يكون خارج الصدد.

ثم قال الملك لتبق قضية اللقب مسكوتاً عنها حتى ما بعد الحرب، وحتى تصدر حكومة صاحب الجلالة بيانها العلني لصالح رئيس لبلاد العرب. لكن في الوقت نفسه كيف يوقّع حين يكتب إلى شيوخ العرب خارج الحجاز ويدعوهم إلى الانضمام للقضية ومباشرة العمل ضد العدو؟ التوقيع باسم «ملك الحجاز» يكون غير فعّال ـ هذا إذا لم يكن ضارّاً فعلاً، والسبب الرئيسي لاتخاذه لقب «ملك البلاد العربية» هو لكي يتمكن من الكتابة إلى الرؤساء العرب حيثما كانوا مع شيء من السلطة. قلت: يحسن به أن يوقع كما يحبّ، لكن لا يمكنه أن يتوقع الاعتراف باللقب الذي يستعمله.

عاد الملك حسين عندئذ إلى قضية السياسة في بلاد العرب وكرّر عدة مرات عدم إمكانه إنجاز العمل ما لم تتخذ سياسة بلاد عرب متحدة تحت رئاسة شخص واحد. وقد شعر تماماً، كما قال، أن الوقت الحاضر ليس ملائماً لإصدار أي بيان علني عن الموضوع ولا إثارة هذه السياسة لدى الرؤساء المختلفين (ابن سعود، إلخ.). يجب طرد الأتراك من «الجزيرة» أولاً، ولكن حين يتم ذلك ويعود السلام، يجدر ببريطانية العظمى أن تكون على استعداد لإصدار بيانها. وفي الوقت نفسه التمس منح تأكيد رسمي له بصورة خصوصية بأسرع ما يمكن مآله أن هذه السياسة سوف تتخذ في مؤتمر الصلح.

وقد ألحّ على وجوب قيام حكومة جلالته، حين يحلّ الوقت المناسب، بتسمية أحد الأشخاص فعلاً ليكون رئيس بلاد العرب. فأشرت إلى أن مثل هذه التسمية لا تكون متفقة مع السياسة المقررة لحكومة صاحب الجلالة والحلفاء، وربما تكون موضع استياء المسلمين عموماً. فتقرير المصير للشعوب هو أحد الأمور التي تدافع عنها، وفيما يتعلق «بجزيرة العرب» ذلك سوف يعني أن كل جزء معيّن من ذلك

الإقليم يجب أن يختار شكل حكومته الخاصة إلخ، وأن فرض سيادة مرشحهم الخاص على الجماعات المختلفة ذات العلاقة يكون مناقضاً بصورة مباشرة لسياسة الحكومات الحليفة المعلنة. إن قبول مثل هذه السيادة يجب أن يأتي، كما أسلفت القول في هذه المحادثة، وكما بيَّنت حكومة صاحب الجلالة مراراً لعظمته، من العرب أنفسهم.

سألت سموّه، إذا صرّحت حكومات الحلفاء في مؤتمر الصلح لصالح جزيرة العرب المتحدة برئاسة شخص واحد (لم يعينّ)، هل يكون ذلك في رأي عظمته أمراً موافقاً؟ ارتأى أنه يكون ضرورياً في مصلحة العرب نفسهم أن يسمى الرئيس نهائياً، وخلافاً لذلك تؤجل تسوية بلاد العرب إلى المستقبل البعيد. قال إن العرب يوافقون على هذه التسوية بأنها أمر طبيعي، لكنه أقرّ أن أي اتحاد يتطلب وقتاً.

ثم مضى سموّه إلى تكرار ما قاله لي في اجتماعنا في أول حزيران/يونيو عن آرائه بصدد المستقبل. يبقى ابن سعود والإدريسي والإمام يحيى، كل واحد في محله، مع سلطة الحاكم الكاملة في منطقته ولكن يعترف برئيس. في الشمال تختار الجماعات المختلفة، الدروز واللبنانيون والصهيونيون والمارونيون إلخ، شكل حكومتها الخاصة، لكنها تتعهد بعدم وضع نفسها تحت الحماية المباشرة لأية دولة أوروبية.

كمثال على رغبته في تحقيق الاتحاد بطرق سلمية وعدم إزعاج الأمراء المختلفين، قال الملك إنه أخبر السير سيد علي الميرغني (حامل وسام K.C.M.G.) في كتاب (أرسله إليه) أنه (أي الملك) لا يرى لعسير حاكماً أفضل من الإدريسي الذي هو مناسب جداً.

وقد سألت عظمته، وفي ذهني مراسلات حديثة من الإمام يحيى، هل يتوقع من الإمام أن يرضى برئاسته (رئاسة الملك حسين) عن طيبة نفس؟ قال: لا شك في ذلك. (أعطاني الملك حسين قبل ذلك الانطباع بأنه لا يتوقع صعوبة كبيرة في التعامل مع الإمام متى وإذا ما حان الوقت).

ومع أنَّ المحادثة المسجلة أعلاه كانت طويلة فإنها تلخَّصت في طلب مستعجل من جانب عظمته، وهو أن يعطى الآن تأكيداً نهائياً ولكن سرياً بأن سياسة حكومة صاحب الجلالة ترمي إلى وحدة عربية تحت رئيس واحد وأن هذه السياسة سوف تفسّر وتقبل من جانب الحلفاء في مؤتمر السلام. ثمن الناحية الثانية إذا كانت

حكومة صاحب الجلالة لا تستطيع إعطاءه مثل هذا التأكيد فعليها أن تبلغه بقرارها بهذا المعنى بدون تأخير. وهو لا يتجاهل حقيقة أنه، بنتيجة أربع سنوات من الحرب، لا بدّ أن تجرى بعض التعديلات فيما يشير إليه دائماً بـ «الاتفاق» المعقود بين السير هـ. مكماهون وبينه. ويقول إن السير م. سايكس والكوماندر هوغارث والكرنل ستورز أخبروه كلهم بهذا، وهو يقبل الحقيقة بكل رضا، لكن الأساس الجوهري لـ «الاتفاق» يجب أن يبقى فيما إذا كان للثورة العربية أن تنتج نتيجة دائمة ومفيدة للعرب نفسهم. وللتدليل على استعداده لقبول أية تعديلات ضرورية ذكر عظمته قبوله لنظرية المسيو بيكو القائلة بأن الفرنسيين في سورية يكونون في نفس وضع البريطانيين في بغداد. وقال عظمته إن لا شيء يمكن أن يؤثر في صداقته لبريطانية العظمى، وإنه لن يعمل أبداً شيئاً لخذلان سياستها. وإذا كان «الاتفاق» المعقود معه لا يمكن تنفيذه الآن فإنه لا بد له من قبول الوضع، ولكن فليخبر بذلك على الأقل، فإنه يشعر الآن أنه يعمل في الظلام ويطلب التنوير.

في أثناء المحادثة المتقدمة ذكر الملك مقال جريدة «المستقبل» الذي شكا منه من قبل. قال إنه يعتقد أن الحكومة الفرنسية سمحت عن عمد بنشر المقال، وخلاف ذلك لم يكن ليمرّ من الرقيب. وأكد أن المقال ذكر بريطانية العظمى فقط فلمّح بذلك أنه تظاهر بالحرية العربية بينما هدفه الحقيقي (هدف الملك) هو تسليم كل بلاد العرب في المستقبل إلى بريطانية العظمى. وقد تكلم بمرارة ضدّ فرنسة، وتأييداً لجداله قال إن «شرشالي» سلّمه شخصياً نسخة من هذا العدد (من الجريدة) في مكة.

قلت له إنني أستطيع أن أؤكد له بصورة إيجابية بأنه مخطىء تماماً في نسبة أي موقف من هذا القبيل إلى الحكومة الفرنسية التي قدمت له مساعدة كبيرة إلخ. وذكّرته بأن السير مارك سايكس قد أكّد عليه ضرورة وجوب الصداقة بين فرنسة والعرب للقضية العربية.

سألته هل ذكر المقال لـ «شرشالي» في حينه أو للكوماندان كوسيه، قال لا. فأوصيته أن يفعل ذلك في المستقبل إذا اعتقد أن لديه سبباً للشكوى من أي شيء ينشر في جريدة فرنسية لأن ذلك خير طريقة مباشرة بدلاً من الجواب بمقالات في «القبلة». أجاب أن المقالة في «القبلة» كتبت ضدّ جريدة «المستقبل» لا ضدّ الحكومة

الفرنسية.

إن شعور الملك ضدّ فرنسة (ومردّه كما أعتقد هو الخوف من الأهداف الفرنسية في سورية) معروف جيداً، ولا أظن أن نفيي المؤكد لتهمته ضد الحكومة الفرنسية يحتمل أن يبدّل ذلك الشعور، ولو أنه قد يساعد على منعه من إصدار تصريحات مؤسفة وغير مسؤولة ضد فرنسة في المستقبل.

أثير أيضاً موضوع ابن سعود في هذا الاجتماع. أشار الملك حسين إلى قضية وادي الخرمة وأعرب عن اعتقاده بأن ابن سعود مسؤول شخصياً عمّا حدث هناك. قال إن ثمة دليلاً حاسماً على إرسال ابن سعود، رجالاً وسلاحاً وتجهيزات إلى خالد، وعرض سموه أن يبرز بنادق بريطانية استولى عليها من رجال خالد. قال إن هذه البنادق هي من تلك التي أعطتها الحكومة البريطانية إلى ابن سعود للحرب ضد الأتراك (ومع أن قول الملك قد لا يكون بلا أساس، فإن إبراز هذه البنادق لا يثبت شيئاً. فعدد كبير من البنادق التي أعطيناها في الحجاز قد وصل بلا ريب إلى أياد غير مرغوب فيها عن طريق البيع الخاص، المبادلة إلخ...).

قال سموه إن ابن سعود يبدو عدوانياً تماماً. وقال إنه يستطيع الرد بسهولة بالدسائس في القصيم حيث الناس جميعهم ضد ابن سعود، لكنه امتنع من أي عمل من هذا القبيل أو من عمل أي شيء لإثارة الاحتكاك أو الشعور السيء.

ثم مضى الملك فجأة إلى حركة نزع «خنجره» وقال: «إنني أضع هذا الخنجر أمامك كرهن وأعطيك كلمة شرف بأنني لم آخذ حتى بعيراً واحداً من ابن سعود أو قومه، ويمكنك أن تسأله (هل ذلك غير صحيح). وكذلك على الرغم من أن أكثر أهل القصيم وبلدان نجد معارضون لابن سعود وهم ينتظرون الإشارة للتمرد عليه، فإنني لن أعطي مثل هذه الإشارة».

إن عمل الملك بخنجره، كما فهمت، يعتبر في بلاد العرب كيمين أو تعهد جليل جداً، خاصة حين يعمله رجل جليل القدر مثل الشريف الأكبر.

وفيما يتعلق بتقدم الأحداث في الخرمة، أقرّ الملك أن القوة الصغيرة التي أرسلها إلى هناك قد دحرت وفقدت مدافعها ورشاشاتها التي لم تسترجع (كما ذكر وكيل اللفتنانت كرنل لورنس).

خالد [الشريف خالد بن لؤي] هو الآن في الخرمة متحصناً بها ضد الجميع. والملك قائم بتهيئة حملة جديدة ترسل من مكة. قلت إنني سمعت من ينبع أن شاكر متقدم إلى الجوار بقوة كبيرة مع مدافع ورشاشات. فقال الملك إنه من الصحيح أن شاكر يرسل حسب مشورة عبد الله. لكنه لا يأخذ معه سوى ٥٠ جمّالاً بدون مدافع أو رشاشات (بالنظر إلى التعليمات التي بلغت ينبع لإرسال تجهيزات وعتاد لألف رجل لمدة شهر إلى شاكر فليس من غير المحتمل أن يرسل عبدالله قوة أعظم كثيراً مما قيل للملك، وأنا قائم بالتلميح للملك بهذا الاحتمال). (يرجى مراجعة تفصيل المقابلة في ١٩ تموز/يوليو ـ .C.E.O). وقال الملك هي ببساطة قضية شخص شاكر بصفته أمير عتيبة فإن حضوره في الميدان يكون ذا تأثير مفيد جداً.

سألت الملك عن أهداف القوة فقال إنها القبض على خالد أو قتله أو طرده من الخرمة مما ينهي الفتنة، وقد أكد أنه ـ فيما عدا الاستيلاء على الخرمة ـ لا تجري أية حركات عسكرية. قلت: يمكنني أن أؤكد للملك أن حكومة صاحب الجلالة سوف تسمع بعدم رضا شديد أن قوة كبيرة لا لزوم لها قد أرسلت مما قد يؤدي إلى محاربة بين العرب يمكن تداركها. وذكّرت الملك أيضاً بوعده بعدم اتخاذ عمل ضد ابن سعود خلال زيارته الأخيرة إلى جدة حين وضع يديه على رأسه وقال «مرحباً».

سألته ألا يمكنه ترك قضية الخرمة لتسويتها من بعد، فقال إن ذلك غير ممكن. إن أمير الخرمة (خالد) الذي عيّنه هو نفسه قد تمرّد، فكيف يمكن غضّ النظر عن مثل هذا التمرّد؟ إن عمل ذلك ينتج العار وفقدان النفوذ (خصوصاً بعد اندحار الحملة التأديبية الأولى المرسلة من مكة). وفيما عدا ذلك إذا لم يتخذ إجراءات تأديبية فإن المتمردين قد يتقدمون نحو مكة وينشرون الفتنة. واقترحت أنه يمكن وضع قوة دفاعية خالصة لاعتراض أي تقدم من هذا القبيل، لكن سموه لم يرتض ذلك. قال إنه ملزم باتخاذ إجراء شديد في القضية. وقد كان ينظر إلى المسألة كقضية داخلية وإدارية خالصة، ولم يكن ليرى من الضروري المباحثة فيها بيننا أبداً لولا أنه يريد أن يبينّ لي الثمرة التي تحملها مكائد ابن سعود.

وشكا الملك أيضاً من أن ابن سعود قد كتب منذ أمد طويل رسائل إلى أشخاص مختلفين مشيراً إلى أن الملك هو ملك الحجاز لا غير، وأن حدود الحجاز لم تكن إلاّ على مسافة قليلة من الطائف. قلت إذا كان الأمر كذلك فلا أهمية كبيرة

له، لكن الملك أجاب أن كل ذلك يساعد على تحريك الخلاف.

قبل انتهاء المقابلة اقترحت على الملك أن يأتي عبد الله إلى مكة ويرفع شيئاً من عبء الحكومة عن عاتقه. أصغى الملك باهتمام وأجاب أنه فكّر مراراً في قضية استدعاء أحد أنجاله إلى مكة لمساعدته لكنه لم يجد طريقاً لعمل ذلك. لقد خاف أن يمرض في أي وقت - ماذا يحدث عند ذاك؟ قال إن عبد الله لا يمكن الاستغناء عنه للمجيء في الوقت الحاضر. فإذا جاء فإن علياً لا يستطيع إدارة كل الحركات العسكرية. وإذا أراد الإتيان بأحدهما فإن علياً يكون هو الذي يمكن الاستغناء عنه من الميدان. وقد أجّل البحث في هذه القضية إلى مقابلة أخرى.

(التوقيع) سي. ئي. ويلسن
كرنل
جدة في ١٩ تموز/يوليو ١٩١٨

F0 371/3381

(١٧٢)

(محضر)

مقابلة مع الملك حسين ١٨ ـ ٧ ب. ظ. في ١٩١٨/٧/١٩

أعدت فتح موضوع مجيء الأمير عبد الله إلى مكة لمساعدة الملك وشرحت الأسباب التي تدعوني إلى تقديم هذا الاقتراح:

(١) إنني أشعر بشدة أن الوقت قد حان ليكون مع الملك من يستطيع أن يكلفه بحمل جزء من عبء الحكومة الثقيل لبلاد نظمت مجدداً ـ ذلك العبء الذي حمله من قبل كله على عاتقه.

(٢) يجب عدم إغفال احتمال تردّي صحة عظمته تحت هذا التوتر.

(٣) إن من المهم جداً في هذه المرحلة الخطيرة من حياة الحكومة الحجازية الجديدة أن يسمع الانتقاد في الخارج لصالح أساليب هذه الحكومة. وإن وجود الأمير عبد الله يذهب بعيداً في تحقيق ذلك. إذ يكون في وسعه أن يأتي مراراً إلى جدة، حيث يستطيع أن يبحث ويحلّ قضايا عديدة أقلّ أهمية مع الحكومة المحلية والوكيل البريطاني، وبذلك يخلّص

عظمته من أعمال تفصيلية كثيرة.

(٤) إنني اقترحت الأمير عبد الله لا لشيء إلاّ لأنه يشغل منصب وزير الخارجية.

أصغى الملك مرة أخرى إلى كل ما قلته دون مقاطعة كلامي. وقد شكرني على تقديم الاقتراح الذي كان - كما قال - ولا يزال يشعر بأهميته لأمد طويل. لكنه يرى بكل شدة أن مضارّ الإتيان بعبد الله بعيداً عن ساحة الحرب تفوق كثيراً أية فوائد تحصل من وجوده في مكة. وذهب إلى حد القول بأن سحب عبد الله يكون كارثة. قال عظمته إنه لم يكن ليرغب أن رجلاً له مقدرة استثنائية كعبد الله أن يأتي فوراً لمساعدته في أعمال الحكومة بل يلزم عدة رجال ذوي مقدرة اعتيادية طيبة. كل الرجال المناسبين الذين درّبهم وامتحنهم كانوا في الميدان مع الجيوش، مثلاً الشريف شاكر والشريف عبد الله بن ثواب إلخ. ولم يكن في الإمكان استدعاؤهم. عليّ لا يستطيع الاضطلاع بإدارة حركات قواته هو، وقوات عبد الله. ومن الجهة الأخرى إذا جاء بعلي فالأمر يكون شديداً عليه في الوقت الذي أصبحت ثمرات كل مساعيه في الميدان وكأنها تسقط، كما يظهر، في قبضته. إن علياً لن يأتي بكامل رضاه. وقد ذكرت صحة عليّ كسبب للمجيء به، لكن عظمته قال إن مثل هذا العذر لا يمكن التمسك به. إن علياً يفضل أن يموت في معسكره. ثم قال الملك إن الضرر الناشيء عن ذهاب زيد إلى العقبة لم يصلح تماماً. وفي ذلك الوقت لم يكن في المستطاع سوى إرساله إلى فيصل، لكن الأمر كان خطأً مع ذلك وليس في وسعه تكراره بنقل علي في الوقت الحاضر.

قال إنه ليس هنالك بطبيعة الحال ما هو أحبّ إليه، من وجود أحد أبنائه على الأقل إلى جانبه، ولا ريب أن عوائل كل أولاده تتشوّق إلى رجوعهم، لكن ماذا يستطيع عمله؟ إن تأثيرهم على العرب عظيم جداً، ولا بدّ لهم من البقاء في المعسكرات. غير أن سموه وعد بالنظر في أمر استدعاء علي إلى مكة متى وجد الفرصة المسعفة لعمل ذلك.

ثم قال الملك إنه يعلم كل العلم أن لا أحد من أبنائه كان قائداً. لم يكن لهم تدريب عسكري، ولكن من لديه غيرهم لإرساله لقيادة جيوشه؟ قال إنه ليودّ أن يكون له قائد عام وخبير مع كل من جيوشه لإدارة الحركات. فقلت إنه من الصعب العثور على رجال ملائمين لأنهم يجب أن لا يكونوا بريطانيين. قال عظمته

إنه لا اعتراض على الضباط البريطانيين. ولمّحت إلى مسألة الدين، لكن عظمته أعرب عن استخفافه بذلك، وكمثال لعدم اتباع الأمراء خطة الحركات التي اقترحها ضابط بريطاني، ذكرت امتناع عبد الله عن العمل بعد سفري. قال الملك إنهم في المستقبل سيرغمون جميعاً على الطاعة. ثم صرف النظر عن الموضوع.

ذكرت برقية الملك إلى سعادة المندوب السامي طالباً بقاء صادق بك يحيى في ينبع، وسألت لماذا أبرق إلى سعادته بدلاً من إحالة الموضوع عليّ.. قال إنه فعل ذلك رغبة في عدم إزعاجي. فأشرت إلى أن هذا العمل خلق حقاً إزعاجاً أكثر لأن سعادته لم يزد على إعادة إحالة الأمر عليّ. وبعد مباحثة ودية قصيرة للموضوع وافقت على إجابة طلب الأميرين علي وعبد الله وإبقاء صادق بك في ينبع ليرجع إليها بعد انتهاء عمله في مكة بخصوص فندق الحجّاج.

(التوقيع) سي. ئي. ويلسن
كرنل
جدة ١٩/٧/١٩١٨

FO 371/3381

(١٧٣)
(محضر)
مقابلة مع الملك حسين في ٢٠/٧/١٩١٨
الحاضرون: اللفتنانت كرنل باسيت وحسين روحي أفندي وأنا (الكرنل ويلسن)

بعد ملاحظات أولية قليلة أخبرت الملك أنني سمعت من ينبع أنه طلب إرسال تجهيزات لألف رجل إلى شاكر، وأن هذا قام بأخذ مدافع ورشاشات. أنكر عظمته أن شاكر كان يأخذ أية مدافع أو رشاشات أو أن لديه مثل هذه القوة الكبيرة. ثم سألت سموه عن الأوامر الصادرة إلى شاكر. قال الملك إنه لم يشرح القضية لي تماماً في مباحثتنا الأخيرة فيها وذلك لسببين: (١) لأنه شعر أنني لم أكن في تمام الصحة، و(٢) لأنه لم يرغب أن يظهر متناقضاً. ولكن بما أنني فتحت الموضوع

مجدداً فإنه الآن يذكر التفاصيل. ثم شرع عظمته بمناقشة طويلة حسب الخطوط التي اعتدنا عليها، مكرراً إخلاصه لبريطانية العظمى وبتأييدها تولّي قيادة الثورة العربية، وكيف أن كل الإجراءات التي اتخذها بشأن الثورة كانت بالنيابة عن بريطانية العظمى مثلما هي في مصلحة العرب إلخ، إلخ. ولحسن الحظ جاء دخول الخدم حاملين المرطبات سبباً لمقاطعة هذه الخطابة. ولما انصرفوا قال عظمته: «لنعد إلى قضية خالد وشاكر الأصلية». قال إنه سبق له أن أخبرني في المباحثة السابقة أن شاكر يرسل إلى الخرمة لا لشيء إلاَّ لأن نفوذه الشخصي في تلك المنطقة ينتظر أن يعود بأطيب النتائج. هل ظننت أنه هو (الملك حسين) يسمح بعمل أي شيء لتصعيد الوضع؟ سألت هل كنت مصيباً في فهمي بأن مهمة شاكر الوحيدة هي القبض على خالد أو قتله أو طرده من الخرمة واحتلال الموقع؟ فأجاب عظمته أن هذا كل ما في الأمر. ثم سألت هل صدرت أوامر معينة إلى شاكر لهذا الغرض؟ فاغتاظ عظمته غيظاً شديداً وفقد صوابه، وبدلاً من الجواب على سؤالي مضى يكرر أسباب إخلاصه لبريطانية العظمى وعزمه على عدم عمل شيء ضد السياسة البريطانية. قال إنه تعب من هذه المناقشات حول ابن سعود وأن من الأفضل له أن يستقيل فوراً. وقد حاولت، خلال عاصفة من المقاطعات، أن أبيّن رأيي لعظمته، وبأن شاكر هو الذي أخشاه، وليس قيام الملك نفسه عن قصد بإثارة معارك لا لزوم لها، ويمكن تداركها. وشعرت أنه ما لم يُربط شاكر بأوامر معيّنة من عظمته تحدّد أعماله لاستعادة الخرمة، وإعادة النظام فيها فإن حماسته قد تدفعه دفعاً، وبتقدمه شرقاً قد يجد نفسه داخلاً في حرب يكون من اللزوم اجتنابها بكل ثمن. قال الملك: «هل أنا مجنون؟ لست طفلاً في السياسة، وآخر شيء أريده هو حرب علنية بين ابن سعود وبيني». قلت إنني أعلم جيداً آراء الملك السديدة في الموضوع، وكل ما أريده هو تأكيد بأن شاكر قد تسلم أوامر واضحة لتقييده عن إظهار أي تحمّس زائد. وأجاب الملك بحرارة أن شاكر لم يكن لديه أوامر وهو لا يعطيه أية أوامر. ولم يكن ذلك مرضياً قط، وحاولت مرة أخرى أن أجعل عظمته يفهم أنني لم أكن أشكّ في حسن نيّته هو نفسه، بل أطلب إليه فقط تحديد عمل شاكر بأوامر معينة يصدرها إليه. فضرب عظمته على الأريكة التي يجلس عليها وحلف بشرف عائلته أنه لن يتحرك عن مجلسه حتى يتم قبول استقالته من جانب حكومة صاحب الجلالة.

ثم نهض وجاء بقلم وورق وعمل تخطيطاً تقريبياً يبينّ طريق شاكر جنوبي المدينة

إلى الخرمة. وأوضح على نفس الورقة كيف يكون الأمر سهلاً لو شاء (الملك حسين) أن يحدث القلاقل مع ابن سعود بإرسال شاكر إلى القصيم. وهناك لا يكون له أن يفعل غير الاستقرار بجوار الآبار والاتصال بالأهالي المحليين بأية حجة كانت، مثلاً إسقاء أباعره، تصليح قربه، شراء الطعام - وبكلمة واحدة يثير كل القصيم للتمرد على ابن سعود.

ثم مضى سموه يقول: «سل ابن سعود هل قمت في أي وقت بشيء ضده خلال السنوات الثماني الأخيرة».

وفيما يتعلق بالوضع في الخرمة قال الملك إن خالداً أصبح الآن واسطة الاتصال بين المدينة والأتراك في عسير، وهو، كما يعلم (حسين) بالتأكيد، يتصل مع محيي الدين المتصرف في عسير. وقال إنه لهذا السبب، إذا لم يكن ثمة سبب آخر، أصبح من المهم جداً إعادة الوضع في الخرمة بدون تأخير.

قال: هل من المحتمل، حين تمسّ الحاجة إلى كل رجل موجود من القوات العربية لمعالجة وضع الأتراك الذين لا يزالون في الحجاز، أنه يكون أحمق حتى ليفرّق قواته بإرسال حملات لا ضرورة لها إلى الخرمة وإلى محلات أخرى ضدّ العرب. إن الضرورة العاجلة للعمل التأديبي هي وحدها التي دعته إلى ذلك.

وأصرّ عظمته أيضاً أنه لن ينفق فلساً واحداً من المال البريطاني على أي عمل أو حركات لم تكن للمصلحة المشتركة. وهو ينظر إلى أمر إرسال شاكر إلى الخرمة كجزء ضروري من الحركات العامة التي لا يمكن إهمالها ما لم يفسح المجال للقلاقل في الخرمة لتنمو وتعرّض للخطر نجاح القضية التي يعمل في سبيلها يداً بيد مع حكومة صاحب الجلالة.

قال إن ابن سعود هو الذي يتحمل اللوم بكامله عمّا يحدث في الخُرمة. فهو (ابن سعود) حليف لبريطانية العظمى، ويجدر بنا أن نطلب إليه تفسيراً لتصرفه. جاء فيلبي إلى جدّة مدافعاً عن ابن سعود فأعماه («وضع الشموع في عينيه») وعامله بشدة. كان ابن سعود هو المسؤول، وعلى الحكومة البريطانية أن تشكو في الرياض وتصرّ على ابن سعود بأن لا يتجاوز على حقوقه (حقوق الملك حسين).

قلت مهما يكن حقّ القضية وباطلها فإن من المهم لمصلحة القضية أن لا يعمل شاكر أكثر مما يلزم لإخضاع الثائر خالد واستعادة الخرمة. وطلبت تأكيداً من عظمته أن لا يتجاوز شاكر هذه الغايات المعينة لمهمته.

قلت إنني أقبل وجهة النظر في أنّ خالداً متمرد وأن عظمته على حقّ في معاملته بهذه الصفة، لكن كل عمل يتجاوز إعادة النظام في الخرمة يكون، في رأيي، كارثة. وعند ذلك قبض عظمته على لحيته وقال إنه يقصّها إذا تجاوز شاكر الحدود شبراً واحداً. وهذا طمأنني بأن عظمته ينوي تحديد عمليات شاكر بإعطائه أوامر معينة ومرضية بصدد الحدود التي يعمل ضمنها، فانتهى بحث الموضوع.

(في رأي اللفتننانت كرنل باسيت أن إشارة الملك إلى «الحدود» تدل على عدم الميل إلى تقييد يدي شاكر وترك القضية غير معيّنة كالسابق).

أشار الملك إلى الاقتراح الوارد من لندن قبل بضعة أشهر أن الجنود الهنود الذين يعودون إلى وطنهم بعد الحرب يعطون فرصة للقيام بمراسم الحج إذا أمكن، وعلى كل حال زيارة مكة. ويظهر أن عظمته يحمل الانطباع بأنهم يأتون إلى الحج القادم. فأشرت إلى أن هذا الاقتراح جاء «لما بعد الحرب». وسموّه مهتم جداً بالموضوع، وسألني أن أذكّر السلطات بوجه خاص في مصر. وارتأى أن مثل هذه الزيارة للجنود الهنود تنتج خيراً كثيراً.

ذكرت للملك قضية أسرى الحرب البريطانيين في اليمن وأن المفاوضات مع الأتراك لإطلاق سراحهم أو مبادلتهم يجوز أن تنفّذ بوساطة القنصل الأميركي في عدن، ويتولى الوزير المفوض الهولندي في الآستانة القضية بالنيابة عن الحكومة البريطانية في تلك العاصمة. قال سموّه إنه سيحاول أن يحصل لنا على معلومات عن الأسرى. وقد تأثر كثيراً بكون الوزير الهولندي يتولى المصالح البريطانية في الآستانة واقترح فوراً أن يقابل المسيو غوبي ويلاطفه مراعاة لهذه الحقيقة التي لم يكن يعلم بها من قبل. ولذلك يؤمل أن تكون العلاقات بين المسيو غوبي وحكومة الحجاز أقلّ توتراً من السابق. قلت لعظمته إنني كلمت المسيو غوبي بالمآل الذي رغب عظمته فيه خلال زيارته الأخيرة، وقال الملك إن المسيو غوبي أدار أعماله مؤخراً بطريقة ملائمة جداً.

(التوقيع) سي. ثي. ويلسن
كرنل

(شمال)

N

(القصيم)

(المدينة)

Medina

EL AIS

(العيس)

BIR DERVISH

(بئر د رويش)

(الخرمة)

Khurma

(مكة)

Mecca

Rough Sketch Map made by King HUSSEIN
See interview on July 20th

تخطيط تقريبي رسمه الملك حسين في المقابلة التي أجريت معه بتاريخ ٢٠ تموز/يوليو ١٩١٨.

(الأسماء المكتوبة بالعربية بخط الملك حسين وبالانكليزية بخط الكرنل ويلسون).

(١٧٤)

(محضر)

مقابلة مع الملك حسين، صباح ٢١/٧/١٩١٨

الحضور: اللفتنانت كرنل باسيت وحسين روحي أفندي وأنا

سلمت إلى الملك برقية وردت الآن إلى الوكالة لسموّه من القاضي والمفتي الأكبر في القدس. قرأ سموّه البرقية وسأل كيف يجيب عليها. قلت إن سموّه أدرى من غيره بالجواب اللائق. ثم قال لي إنه تسلم مؤخراً من بعض وجهاء القدس رسائل يخبرونه فيها عن بعض المصاعب التي يواجهونها ويرجونه أن يعمل وسيطاً بينهم وبين الحاكم العسكري. قال سموّه إنه لا يحبِّذ أن تكتب له مثل هذه الرسائل من فلسطين. إنه يستطيع أن يتعامل معها بصفته «الحسين بن علي» فقط، ويرى من غير المرغوب فيه أن توجّه إليه مثل هذه النداءات. قلت إذا كان ذلك شعور سموّه فالأفضل له أن يجيب كتّاب الرسائل بهذا المعنى.

ثم مضى الملك إلى إبداء رأيه في مستقبل حكومة فلسطين. قال إن كل واحدة من الفئات الدينية المتعددة الموجودة هناك يجب أن تكون لها مؤسساتها الخاصة وإداراتها المدنية الخاصة ـ محاكم، مدارس، كنائس إلخ. ويجب أن تنشأ محكمة مختلطة لرؤية القضايا بين الأطراف من الفئات المختلفة. وقد لاحظت، وأنا لا أرغب في تشجيع البحث في هذه القضايا، أن تسويتها يجب أن تترك لمؤتمر السلام. وقد وافق سموّه وقال إنه إنما يبدي لي رأيه الخاص.

ثم سلمت إلى الملك مذكرة حررتها عن محادثتنا في المساء السابق حول قضية الخرمة وإرسال الشريف شاكر إلى ميدان القلاقل (صورة المذكرة مرفقة طياً). قلت لسموّه بأنني أرسل دائماً مذكرات عن كل محادثاتي معه إلى سعادة المندوب السامي وأن هذه هي المذكرة التي ارتأيت إرسالها عن المحادثة الخاصة في الموضوع. طلبت إلى الملك أن يوافق على أن هذه المذكرة عبَّرت بدقة عن الحديث الذي جرى بيننا. فقرأ عظمته القسم الأول من المذكرة وأعادها إليّ ملاحظاً أنه يجدر أن يذكر فيها اسم الرجل المسؤول عن كل هذا الاضطراب (يعني ابن سعود) حثثت سموّه أن يقرأ المذكرة إلى نهايتها، ففعل. قلت إنني يجب عليّ تقديم المذكرة إلى سعادة المندوب السامي، واحتفظ بها سموّه قائلاً: طيب، طيب، وبذلك قبل كونها

صحيحة. وبهذا القبول، كما رأى، يتحمّل سموّه كل المسؤولية عن أعمال شاكر، وأرجو أنه يشعر أنه مرغم على إصدار تعليمات معينة إلى هذا الأخير لتحديد عملياته باستعادة الخرمة من الثائر خالد.

قال سموّه إنه إذا حدث شيء معاكس فالمسؤولية لا تقع عليه بل على ابن سعود، وكان يعني، فيما أظن، أنه إذا حدث أي إخلال بالسلام بينهما فإنه لن يكون إلاّ بسبب اعتداء إقليمي فعلي من جانب ابن سعود.

ثم قرأ الملك حسين عليّ رسالة تحيّة إلى جلالة الملك جورج طالباً إليّ أن أسلمها إلى الكوماندر هوغارث لتسليمها إلى لندن. وقد كتب سموّه أيضاً رسالة إلى المستر لويد جورج لترسل عن طريق الكوماندر هوغارث.

ثم قدمت بعض الاقتراحات لعظمته عن عمليات عسكرية في المستقبل في ميدان الأمير عبدالله فوافق عليها وتعهد بتجهيز الـ ٤٠٠ جمل المطلوبة لهذه العمليات.

(التوقيع) سي.ئي.ويلسن
كرنل
جدة، ١٩١٨/٧/٢١

قضيّة الخــرمة

FO 686/38

FO 373/3381

(١٧٥)

(كتاب)

من المعتمد البريطاني في جدة
إلى المندوب السامي في القاهرة

التاريخ: ٢١ تموز/يوليو ١٩١٨

مذكرة مقدمة لفخامة نائب جلالة الملك

أثناء مواجهتي ليلة البارحة مع جلالة الملك حسين تباحثنا في مسألة توجه الشريف شاكر إلى الخرمة وقد أكّد لي جلالته ثانية أن الغرض الوحيد من توجه الشريف شاكر إلى هناك هو ليسترد الخرمة ويشتت شمل العصاة هناك ويلقي القبض على خالد العاصي أو يقتله أو يطرده. وقد أكّد لي أيضاً جلالته أن الشريف شاكر لا يجري حركات حربية شرقي الخرمة وأن جلالة الملك حسين يدرك تماماً عظيم أهمية منع وقوع الخصام بين جلالته وبين ابن سعود للحركة العربية وفي أثناء المحادثات الأخيرة قد كرر جلالته ثابت عزمه كما أشار أثناء المواجهات السابقة أن جلالته بنفسه لا يعمل ما يؤدي إلى مثل ذلك الخصام ولو أن جلالته يصرح بنوع قطعي أنه من السهل عليه لو أراد أن يحدث ثورة ضد ابن سعود في القصيم وأن جلالة الملك حسين يتخذ هذه الخطة لأنه يدرك تماماً ما في المحافظة على أحسن العلائق الممكنة في الظاهر على كل حال مع ابن سعود للحركة العربية وأن جلالته يعمل ذلك مع يقين اعتقاده أن كل هذه المشاكل قد حركها ابن سعود عمداً وأن صداقة وإخلاص جلالة الملك حسين المبرهنين تماماً نحو بريطانية العظمى هما ضمان كاف أنه سيتمسك تماماً بالسياسة المذكورة آنفاً ملاحظاً أن كل رجاله يسيرون عليها.

الكولونيل ويلسن
(توقيع)

FO 371/3381

(١٧٦)
(مذكرة)
للكرنل ويلسن

التاريخ: جدة في ٢٢ تموز/يوليو ١٩١٨

في الساعة السابعة مساء من يوم ١٩١٨/٧/٢١ قام الملك حسين بزيارة ثانية للوكالة البريطانية.

بعد محادثة عامة ومجاملات اجتماعية تمنى لي الملك سفرة سعيدة وألقى خطاباً يؤكد إخلاصه لحكومة صاحب الجلالة وثقته المطلقة بها. وشرح لي مرة أخرى الأسباب التي حدت به إلى الثورة على الأتراك والآمال التي يعقدها على السعادة النهائية والثبات للشعب العربي. وأكد عظمته بوجه خاص على حقيقة أنه لم يدفع بأي طمع شخصي أو رغبة في تعظيم نفسه.

ورغب عظمته إليّ خصوصاً أن أقدم تحياته المخلصة لسعادة المندوب السامي وكل الرجال المقدّمين في الجالية البريطانية في مصر.

(التوقيع) سي. ئي. ويلسن
كرنل

FO 371/3410 (123010/W/44)

(١٧٧)
(كتاب)
من مستر آ. غراهام ـ وزارة الخارجية (لندن)
إلى مستر آرسكين ـ في السفارة البريطانية ـ روما

الرقم: ٢٨٢ التاريخ: ٢٩ تموز/يوليو ١٩١٨

سيدي،

إشارة إلى برقيتي رقم ١٠٨٤ المؤرخة في ٢٧ من الشهر الجاري، أطلب إليكم

تقديم مذكرة إلى الحكومة الإيطالية بالمعنى الآتي، وأن تجسد فيها آراء حكومة صاحب الجلالة ذات العلاقة بموقفها ومواقف حكومات فرنسة وإيطالية تجاه المملكة العربية.

إن موقف حكومة صاحب الجلالة تجاه المملكة العربية كان من البداية، الحفاظ على استقلال الملك حسين ووحدة الأراضي التابعة له. وإنها شعرت دوماً بأنه لن يكون من المرغوب فيه أن تكون الدولة العربية التي تقع الأماكن المقدسة في حوزتها، بقدر تعلق الأمر بالشؤون الداخلية، خاضعة لتأثير أية دولة أوروبية.

صحيح أن الظروف، في الآونة الأخيرة، وضعت حكومة صاحب الجلالة، بالموافقة الكاملة من جانب حلفائنا، في موضع خاص جداً في الحجاز. وأن المفاوضات المطولة، التي توّجت بإعلان استقلال الحجاز، قد أديرت بشكل كلي من جانب حكومة صاحب الجلالة، وأن الملك الذي بدأ هذه المفاوضات، نظر إلى ممثلي حكومة صاحب الجلالة طوال استمرار المفاوضات على أنهم القناة التي يمكن له من خلالها الاتصال بأحسن صورة بالدول المتحالفة. ويمكن أن يضاف إلى ذلك أن التبعات العسكرية والمالية للثورة برمتها تقع على كاهل حكومة صاحب الجلالة، ولهذا السبب قررت تزويد الملك حسين بالمدافع حال طلبه إياها.

وعلى الرغم من أنه ليس من المشكوك فيه أن المصالح العسكرية والسياسية للحلفاء تتطلب استمرار هذا الوضع الاستثنائي أثناء الحرب، فليس هنالك لدى حكومة صاحب الجلالة سبب معروف يوجب استمراره عندما تنتهي الحرب. وفي وقت حدوث ذلك، فإن نية حكومة صاحب الجلالة تذهب إلى أن «وضع» الحجاز يجب أن يعود إلى حالة الاستقلال الداخلي الكامل المشار إليه في بداية هذه المراسلة.

إنني لم أتناول، في هذا الكتاب، الوضع العام لمرحلة ما بعد الحرب في شبه الجزيرة العربية الذي يجب أن يحتفظ به لمناسبة أخرى.

إنني، بصدق عظيم،
سيدي
خادمكم المطيع المتواضع
(موقع) آر. غراهام

FO 686/39

(١٧٨)

(برقية)

من الكرنل باسيت ـ المعتمد البريطاني في جدة
إلى الملك حسين

الرقم: ٥٣٦ التاريخ: ٥ أيلول/سبتمبر ١٩١٨

عاجل جداً

مع أعمق الأسف وأعظم التخوف من المستقبل، أحلت الليلة الماضية رسالة سيادتكم إلى فخامة المندوب السامي وإلى الأميرين فيصل وزيد. ومؤملاً أن لا يكون الأمر متأخراً جداً لإنقاذ الموقف، وتفادي الكارثة الماحقة التي تهدد القضية العربية وشيكاً، فإنني أتضرع إلى سيادتكم أن تبرقوا إلى المندوب السامي بأنكم أعدتم النظر في هذا الأمر الحيوي، وباستعدادكم لقبول النصيحة التي ألحّ في توجيهها إلى سيادتكم فخامة المندوب السامي والقائد العام. وكل ما هو مطلوب من سيادتكم هو تثبيت جعفر باشا في المنصب الذي شغله طيلة السنة الماضية كقائد عام للقوات النظامية لجيش الأمير فيصل، تحت القيادة العليا للأمير فيصل نفسه، وكذلك الموافقة على رتب الضباط التابعين الآخرين حسب اقتراح الأمير فيصل[1].

---

(١) يشير هذا الكتاب إلى حادثة مهمة وقعت خلال الثورة العربية ولا تزال أسبابها غير واضحة تماماً، فقد أصدر الشريف حسين فجأة بياناً في جريدة (القبلة) الناطقة بلسان الثورة هذا نصه:
«بناء على ما هو جار على بعض الألسنة وما هو مشاهد في بعض الرسائل الخصوصية من إطلاق لقب (القائد العام) على الشيخ جعفر أحد رؤساء الأجناد في المعسكر الشمالي الهاشمي. فعليه ولما في هذا من مخالفة الحقيقة وبالنظر لأن الحكومة العربية الهاشمية لم تقلد مثل هذه الرتبة لأحد ولم تحدد القواعد العسكرية رتبة كما هو في سائر الحكومات، ولأن الشيخ جعفر المذكور هو متولي إدارة قسم من ذلك المعسكر ليس إلاّ، لزم بيان ما ذكر» (جريدة «القبلة» العدد ٢٠٧، ١٢ ذو القعدة ١٣٣٦ هـ (١٩ آب/أغسطس)).
وقد أدى نشر هذا البيان إلى انزعاج فيصل واستقالته، كما استقال معه الأمير زيد وحدث نوع من الاعتصاب بين الضباط. أما جعفر العسكري فإنه حين علم بالأمر أبرق إلى فيصل عارضاً خدماته بأي صفة كانت وأن الرتب والألقاب ليست من أهدافه. وقد حدثت هذه الحادثة في الوقت الذي

إن وضع جعفر باشا كان ولا يزال مماثلاً بالضبط لوضع سيد حلمي في جيش الأمير عبدالله، ولا يطلب له ما هو أكثر من ذلك. لقد عرضتم سيادتكم تعيين جعفر لمنصب قيادي بعد سقوط معان. ولكن من الذي سيتولى القيادة التنفيذية لجيش الأمير فيصل النظامي خلال العمليات التي يؤمل أن تؤدي إلى تلك النتيجة المرغوب فيها. ليس هنالك أي شخص في الوقت الحاضر، وإن أية عمليات ضد معان يجب التخلي عنها بالضرورة لأن القوات النظامية لا تستطيع أن تفعل شيئاً بدون قادة.

إنني سأكون خائناً لسيادتكم، ولن أعود صديقاً مخلصاً، إذا لم أصرّ في هذا الشأن بكل ما أوتيت من قوة، وإنني أناشد سيادتكم بكل احترام أن تعيدوا النظر في الأمر قبل فوات الأوان، فكل ساعة تمرّ هي ذات أهمية حيوية، وإن الأيام بكاملها تمر في المناقشات، والنزاع في صفوف جيش سيادتكم الشمالي يتزايد ويهدد بالكارثة في الوقت الذي يبدو فيه النجاح في متناول اليد.

مع أخلص الاحترامات.

(توقيع) اللفتنانت كرنل باسيت

FO 371/3411

(١٧٩)

(مذكرة)

كتبها الجنرال كلايتن ـ الضابط السياسي الأقدم ـ القاهرة

دار المقيمية

الرملة — التاريخ: ١٨ أيلول/ سبتمبر ١٩١٨

إن الملك حسين في حالة ذهنية قد تؤدي إلى نتائج وخيمة ما لم يتم تصحيحها.

= كانت فيه خطط الجنرال اللنبي مستندة إلى حركات الجيش العربي وقطع السكة الحديد الوحيدة التي تمون الجيش العثماني في جبهة فلسطين، ولذلك أدت إلى قلق كبير لدى القيادة البريطانية، وتدخل البريطانيون لدى الملك حسين للعدول عن هذا القرار، وبعد اتصالات طويلة نشرت (القبلة) بياناً آخر بمعنى إلغاء البيان الأول، وتسلم جعفر العسكري قيادة الجيش العربي كالسابق.

(ن.ص)

وقد يقدم في أية لحظة على إجراء تكون له عواقب مأساوية على سياستنا العربية. وسنضطر في تلك الحالة إلى التدخل وطريقتنا الوحيدة في السيطرة عليه هي وقف المعونات المالية له. وإذا هددنا بعمل ذلك، فعلينا تنفيذه إلاّ إذا انصاع لرغباتنا. وفي حالته الذهنية الحاضرة لا يستبعد أن يرفض ذلك، وأولى النتائج ستكون استقالته الفعلية التي هدد بتقديمها أكثر من مرة.

إذا استقال الملك حسين الآن، فإن كيان الحركة العربية برمته سيتعرض للخطر. وستكون النتيجة الانحلال الذي ربما يعقبه اشتعال الوضع في أواسط الجزيرة مما سيستغله العدو لفائدته استغلالاً كاملاً، وسيكون له أيضاً تأثير خطير في عملياتنا العسكرية، ناهيك عن الخسارة التي ستلحق بهيبتنا من جراء انهيار سياستنا العربية.

وعليه، فإن من الأهمية الحيوية تصحيح الموقف الذهني الحاضر للملك حسين، والذي يعود بشكل أساسي إلى عدم تأكده من نيات حكومة جلالته إزاءه.

وأمامنا نهجان مفتوحان:

الأول، أن تبلغ حكومة صاحب الجلالة الملك حسين بشكل قاطع أن سياستها المعنية بأواسط وجنوبي الجزيرة العربية موجهة نحو وحدة العرب تحت سلطة ذات سيادة، مع ضمانات كاملة لاستقلال كل رئيس عربي، وتمتعه بالحكم الذاتي، وأن حكومة صاحب الجلالة سترحب بالملك حسين كصاحب تلك السلطة ذات السيادة بشرط أن يقبل به زعماء القبائل الآخرون، وأن يستخدم نفوذ حكومة صاحب الجلالة من أجل تطبيق هذه السياسة بقدر الإمكان بدون اللجوء إلى الإكراه، وأن استخدام أية إجراءات قسرية ضد الزعماء العرب الأصدقاء سيكون مناقضاً لمبادىء حكومة جلالته. ولكن من جهة أخرى يجب أن تصر حكومة صاحب الجلالة على أن استمرار تأييدها لهذه السياسة مشروط بقبول الملك حسين لمشورة حكومة صاحب الجلالة في كل القضايا المتعلقة بالسياسة الخارجية.

عند النظر في هذا النهج، يجب أن نتذكر عهودنا للملك حسين، والالتزام الأخلاقي الذي فرضه علينا مشروعه بالثورة العربية وولاؤه الثابت لبريطانية العظمى.

الثاني: أن نترك الأمور كما هي، ونعرّض أنفسنا للعواقب.

وفي هذه الحالة سنعرِّض أنفسنا لخطر استقالة الملك حسين وهو الشخصية

القيادية الوحيدة في الثورة العربية، التي لابد وأن تنهار حينذاك، أو، في أفضل الأحوال، تنحدر إلى عمليات قبلية متقطعة ضد الأتراك، وفي كل الأحوال فإن الكثير من قيمتها العسكرية ومعظم قيمتها السياسية لابد وأن تزول.

أما بخصوص التسوية التي ستتم في المستقبل في شبه الجزيرة العربية، فإن أفضل ما يمكن أن يرجى هو تشكيل عدد من الدول الصغيرة تحت حكام عرب يفتقرون حتى إلى النفوذ والسيطرة الاسمية التي كانت الحكومة التركية تمارسها سابقاً.

ومن الحيوي اتخاذ قرار قاطع حول هذه المسألة، والسياسة التي يتم إقرارها يجب أن تبلغ إلى كل من يعنيهم الأمر، مع إصدار تعليمات واضحة للتصرف حسب مبادئها، وإن الحال الحاضرة للأمور تعني وجود قدر من الغموض الذي أدى إلى ظهور حالات من إساءة الفهم.

ولن يكون من الضروري، ولا من المرغوب فيه، إصدار أي بيان عام عن سياسة «السيادة» في الوقت الحاضر، لكن تخويل المعتمد السياسي البريطاني في جدة إبلاغ الملك حسين بتبنيها من جانب حكومة صاحب الجلالة، سيكون له أثره في إعادة تطمين الآخر.

وفي حالة توصل حكومة صاحب الجلالة إلى قرار تبني سياسة «السيادة» أقترح ما يلي كمضمون للتطمين الشفوي الذي سيقدم إلى الملك حسين.

إن سياسة حكومة صاحب الجلالة في أواسط وجنوبي الجزيرة العربية موجهة نحو تثبيت حرية جميع الزعماء الحاكمين واستقلالهم ضمن مناطق نفوذهم الخاصة. هذا إضافة إلى أن حكومة صاحب الجلالة سترحب باتحاد جميع الدول المستقلة هذه في أواسط وجنوبي الجزيرة ضمن تحالف عربي، وترحب بأن يكون الملك حسين على رأس هذا التحالف، مع لقب مناسب يتم اختياره فيما بعد.

إن حكومة صاحب الجلالة مستعدة لاستخدام نفوذها من أجل تأمين تحقيق هذه السياسة بقدر الإمكان، بدون اللجوء إلى إجراءات قسرية ضد أي زعيم عربي صديق. وإن استخدام القسر سيكون بمثابة انتهاك للمبادىء الراسخة في حق تقرير المصير للشعوب، والتي عقدت حكومة صاحب الجلالة عزمها على التمسك بها.

والأمر متروك للملك حسين ليثبت لجميع الزعماء العرب المعنيين بأنه كفء

لمركز قيادة التحالف العربي في أواسط وجنوبي الجزيرة.

وبالنسبة إلى سورية والعراق، حيث لا يزال يسودهما وضع عسكري بحت، هو الذي يقرر مصير التسوية، فإنهما يجب أن ينتظرا مؤتمر الصلح الذي سيتمسك الحلفاء خلاله بمبادىء الحرية وحق تقرير المصير للشعوب، كأسس للتسوية.

إن حكومة صاحب الجلالة يجب أن تصرّ، كشرط لاستمرار تأييدها لهذه السياسة، على أن يقدم الملك حسين من جانبه تأكيدات واضحة بأنه سيقبل اتباع نصائح حكومة صاحب الجلالة في كل القضايا المتعلقة بالسياسة الخارجية، وكذلك عند التعامل مع الحكام العرب المستقلين الآخرين، والدول العربية المستقلة.

(موقع) جي.ان.كلايتن
بريغادير جنرال
الضابط السياسي الأقدم

FO 371/3411

(١٨٠)

(كتاب)

من الميجر كورنواليس ـ مدير المكتب العربي ـ القاهرة
إلى المندوب السامي البريطاني ـ القاهرة

سرّي

الرقم: ١٩٨/٧٦١١ — التاريخ: ١٠ أيلول/سبتمبر ١٩١٨

أرفق بطيه أربع نسخ من ترجمة كتاب من الملك حسين إلى سعادة المندوب السامي، مؤرخ في ٢٨ آب/أغسطس ١٩١٨.

وفي الترجمة عن العربية، التي هي متشابكة ولا تكاد تحتوي على نقطة، انصب الاهتمام على نقل المعاني الحرفية للكلمات بدلاً من التصرف بحرية لتقديم المضمون.

ويبين الملك حسين في كتابه أن الغرض الأساسي لثورته هو حماية مكانة العالم

الإسلامي في ضوء ما حل وما سيحل بتركية، ويلفت النظر إلى أهمية اتباع هذا المثل الأعلى بطريقة لا تعرّضه شخصياً ولا حكومة جلالته، إلى الانتقادات. وفي مذكرة ملحقة بالكتاب، يدرج مفهومه للاتفاقية الأصلية مع حكومة جلالته. وقد تمت معالجة ذلك بالتفصيل في مذكرة ملحقة بهذا الكتاب، ويلاحظ منها أن أياً من المواد لا يمكن القبول بها بالشكل الذي هي عليه، وأنه، في الواقع، كرر مجدداً مقترحاته الأصلية، مع إضافة أو إضافتين، وتجاهل تماماً التحفظات التي فرضتها حكومة جلالته في ردودها.

ويعترف الملك، في كتابه، بأن الوقت والأوضاع المتغيرة ربما جعلت من الضروري إدخال بعض التعديلات على الاتفاقية الأولية، ولكنه يعلن أنه سينسحب إذا كانت هذه التغييرات ذات صفة كاسحة بدرجة تدمِّر فكرته الرئيسية. إنه يطلب نوعاً من الإعلان الواضح لصالحه، ويعرب عن استعداده للانتظار حتى نهاية الحرب، إذا لم يكن إصدار الإعلان قبل ذلك ممكناً، رغم أن تأخيراً كهذا سيكون سبباً لمضاعفة اتهامات خاصة وعامة من جديد، أو تزيد من صعوبة مهمته. ويختتم الكتاب، الذي كان بأجمعه جليلاً وموالياً، بالقول بكياسة إنه يفضل وضع مصيره في يد بريطانية العظمى بدلاً من إخضاعه للحلفاء في مؤتمر الصلح.

لم يكن هناك نقص في المؤشرات على أن الملك كان قلقاً وغير متأكد بشكل نزيه حول مستقبله، وأن أعداء له ولنا كانوا يحاولون تسميم أفكاره بالإشارة إلى احتلالنا لأرض الرافدين وإلى الفعاليات الصهيونية في فلسطين، ومطالب فرنسة في سورية، كبراهين على نيتنا في خداعه. وهو يستحق الثناء على إظهاره ولاءً ثابتاً كهذا في وقت لم تكن نحن فيه قادرين على إنكار اتهامات العدو بالحزم الواجب علينا.

إلاّ أنه، على أية حال، انحدر إلى حالة ذهنية تتطلب، كما رأينا مؤخراً، معاملة في غاية الحذر. وما لم يتلق رداً شافياً على كتابه الحالي، فإنه لأكثر من المحتمل أن يستقيل بصورة مؤكدة، وبذلك سيعرض نجاح الثورة للخطر، ويؤثر تأثيراً سلبياً في عملياتنا العسكرية التي ربما تشمل العمليات في الجزيرة العربية، التي ستترك بدون قوة مسيطرة في سنوات حرب ضروس وتسبب لنا خسارة رهيبة ستكون لها ردود فعل مضادة لنا في أرجاء العالم الإسلامي.

وهي قضية سيكون لها أثرها في الهند والعراق بدرجة متساوية مع مصر والبلاد

المجاورة، وقد تصنع أو تدمر سمعتنا في حسن النية في الشرق.

وعلى الملك أن يدرك أنه لن يمارس أبداً أي نفوذ على سورية أو العراق، وكذلك، وبشرط تأسيس نمط ما من الحكومات في هذه البلدان تكون مقبولة لدى سكانها، لن يكون له أساس يستند إليه للتذمر. ونأمل أن توفر صيغة «حق تقرير المصير للشعوب» الحل اللازم، وأن الملك معني بشكل أساسي بجزيرة العرب ويأمل تأمين مستقبله فيها.

وقد سجل الضابط السياسي الأقدم وجهات نظره حول هذه القضية في مذكرة، هي، حسب ما فهمت، قيد النظر الآن من جانب صاحب السعادة[1]. وأقترح أن إرسال كتاب الملك إلى وزارة الخارجية يتيح فرصة مناسبة لرفع المذكرة.

إذا وافقت حكومة صاحب الجلالة على سياسة «السيادة»، كما تم إعطاء الخطوط العريضة لها بموجب هذا الكتاب، فإن ذلك سيرضي الملك ويقنعه بأن مصالحه تؤخذ بنظر الاعتبار فعلاً. وأي شيء أقل من ذلك سيثير شكوكه وربما يسبب استقالته.

وأقترح، في هذه الأثناء، أن يرسل إليه كتاب لإبلاغه بتسلم كتابه، وأن الكتاب بسبيل أن يرسل إلى وزارة الخارجية للنظر فيه، والطلب إليه أن يواصل ثقته بنا كما فعل دائماً، إلى حين تلقي الرد.

إن إرسال رد مفصل على مواد صيغته من الاتفاقية، قبل أن يكون لدينا تأكيد مرضٍ يمكن إعطاؤه، يبدو أنه سيكون خطأً، ولن يؤدي إلاّ إلى مراسلات مطولة وغير مرضية.

أرسلت نسخة من هذا الكتاب ومرفقاته إلى الضابط السياسي الأقدم.

(موقع) كي. كورنواليس

ميجر

مدير المكتب العربي

---

(١) يقصد «المندوب السامي».

FO 371/3411

(١٨١)
(كتاب)
من الملك حسين
إلى السير ريجنالد وينغيت ـ المندوب السامي البريطاني في مصر

التاريخ: ٢٨ آب/أغسطس ١٩١٨

ما رأيته خصوصاً بهذه الأثناء من اعتناء فخامتكم وتأكيداتها في إزالة أسباب دواعي سوء التفاهم الذي لا أرتاب بأن المقصود بذلك الاعتناء هو صيانة تأثير حسيات مخلصكم خاصة لذا ولما تكون المواد البسيطة أيضاً من ذلك المعنى رأيت أن أتبين من حكومة جلالة الملك في الأساس المقرر مع عظمتها في النهضة وما بنيت عليه من مواد الاتفاق المقدم طيه بيانها بأني ما طلبت البلاد أمام حكومة جلالة الملك ما طلبته من المواد التي تعهدت عظمتها بها رغبة مني في تأسيس حكومة أو تشكيل دولة لأستأثر بحاكميتها أو حرصاً على جاهها أو رياستها، ولكن عندما دعتني بريطانية إلى ما دعتني إليه، وعلمت أن مقاصدها بهذا أيضاً تأمين مصلحة المسلمين عامة والعرب خاصة لم يسعني إلاّ الإجابة وطلبها أقله تلك المواد المؤدية في اعتقادي لما يأتي:

أولاً ـ لحفاظ الكيان الإسلامي بالنظر لما حل وما سيحل بتركية.

ثانياً ـ صيانة العظمة البريطانية من الاستهداف مما سترمى به عكس مقاصدها.

ثالثاً ـ سلامتي من الاتهام بالتواطؤ معها ضد الأساس المقصود بالنهضة.

نعم إني لم أجد من جناب الفاضل الأريب المستر استورس عند اجتماعي بحضرته في السنة الأولى بجدة، ثم بعده بحضرة الشهم الهمام السير مارك سايكس ثم في السنة الماضية بالقمندان الهمام هوغارث الموقر ما يشير إلى ما

يخالف أو يخل بتلك المقررات غير أن ما في طبيعة مشروعنا وتتماته الحياتية من الرقة وما يتصادف من بعض حالات يستدعي سياقها زيادة تعين الأمر وتأكد الحقيقة عن الحدود فقط وإلاّ باقي المواد، فإنا نعجز عن أداء شكر الوفاء بها شكراً يملأ الخافقين خصوصاً أمر الإعانة عما لو فهمت الغلط في مقرراتنا المذكورة أساساً، أو حدث ما يوجب تعديلها الأمر الذي لا أقول إنه يمس كيان العالم الإسلامي، ولكن أظن وبعض الظن إثم أنه لا يخلو من شيء من ذلك هذا على فكري الخصوصي فمتى أضفنا عليه تظاهر عجزي بعدم حصول ما كان يؤمل من النتائج يتحتم علي الانسحاب من الأمر والتنازل عنه، لاعتقادي الشخصي أن تعديل مقرراتنا المذكورة، بصرف النظر عما في إخلاله بالغايات المقصودة وعرضتنا لحذر موادنا الثلاثة آنفة البيان وطمس صحيفة تاريخي، فهو يزيل ويسقطني من ثقة واعتماد بلادي وأقوامي الأقربين، حينما يظهر لهم عكس تلك المقررات التي أعلنتها لهم، وصرحت به شفاهاً وتحريراً في ظرف هذه المدة وأسست عليه الأعمال، وأكون خدعت نفسي وغششتكم يا أصدقائي بما وراء هذا من اضطراب البلاد بالفتن والثورات ونحوه، مما لا يمكن لي معه حتى الاستفادة لذاتي وما يزيل كل ظن حكومة جلالة الملك بي، وأكيد إخلاصي يجبرني أن أقول من الآن إن مبادىء هذه الخطرية على وشك التحسس بها بالنسبة للطلبات المتكررة المختلفة عن أمرهم بإعلان استقلال بلادهم، ولم أجد ما أدفعهم به إلاّ قولي إن استقلالي هو استقلال عموم أنحاء البلاد، ولكنهم يقيموا الحجة على دفعي هذا بأوجه آخر، وعليه فإن كان ولا بد من التعديل فلا لي سوى الاعتزال والانسحاب، ولا أشتبه في مجد بريطانية بألاّ يتلقى هذا منا إلاّ أنه أمر يتعلّق بالحياة لا لقصد عرضي أو فكر عرضي، وأنها لا ترتاب في أني وأولادي أصدقاؤها الذين لا يتغير ولاؤهم وإخلاصهم، ثم تعينوا البلاد التي تستحسن إقامتنا فيها للسير إليها في أول فرصة وإن رأت ذلك، ولكن مشاكل الحرب الحاضرة تقضي بتأجيله إلى ختامها، فمعروفها وجميل مكارمها يفرض علينا الثبات أمام ما سيتضاعف علينا من المهمات ونحوه من العموم مما لا مقاومة لدينا أمامها إلاّ حسن النية فالأمر إليها. أما عطف الأمر وتعليقه بمؤتمر الصلح فالجواب عليه من الآن بأن لا علاقة لنا به ولا مناسبة بيننا وإياه حتى ننتظر منه سلباً أو إيجاباً، ولو قرر المؤتمر المذكور أضعاف مقرراتنا وكان ذلك عن غير وساطتكم وقبلناها فنكن من المطرودين من رحمة الباري جل

شأنه الرقيب على قولي هذا الذي أتوسل إليه الآن أن يتولانا جميعاً بعنايات رأفته الأحدية، وقبول ما أقدمه لفخامتك في الختام من جزيل احتشاماتي هو من سجايا شيمكم.

٢١ ذي القعدة سنة ١٣٣٦
٢٨ أغسطس سنة ١٩١٨

FO 371/3411

(١٨٢)
صورة ما تقرر مع بريطانية العظمى بشأن النهضة

التاريخ: ٢١ ذي القعدة ١٣٣٦
٢٨ آب/أغسطس ١٩١٨

١ ـ تتعهد بريطانية العظمى بتشكيل حكومة عربية مستقلة بكل معاني الاستقلال في داخليتها وخارجيتها، وتكون حدودها شرقاً من بحر فارس ومن الغرب بحر القلزم[١] والحدود المصرية والبحر الأبيض وشمالاً ولاية حلب والموصل الشمالية إلى نهر الفرات ومجتمعة مع الدجلة في مصبها في بحر فارس، ما عدا مستعمرة عدن، فإنها خارجة عن هذه الحدود. وتتعهد هذه الحكومة برعاية المعاهدات والمقاولات التي أجرتها بريطانية العظمى مع أي شخص كان من العرب في داخل هذه الحدود، بأنها تحل محلها في رعاية وصيانة تلك الحقوق وتلك الاتفاقيات مع أربابها، أميراً كان أو من الأفراد.

٢ ـ تتعهد بريطانية العظمى بالمحافظة على هذه الحكومة وصيانتها من أي مداخلة كانت بأي صورة كانت في داخليتها، وسلامة حدودها البرية والبحرية من أي تعدّ، بأي شكل يكون، حتى ولو وقع قيام داخلي من دسائس الأعداء أو من حسد بعض الأمراء، فيه تساعد الحكومة المذكورة مادة ومعنى على دفع ذلك القيام

---

(١) التسمية العربية القديمة للبحر الأحمر.

لحين اندفاعه. وهذه المساعدة في القيامات والثورات الداخلية تكون مدتها محدودة أي لحين يتم للحكومة العربية المذكورة تشكيلاتها المادية.

٣ ـ تكون البصرة تحت أشغال العظمة البريطانية لحينما يتم للحكومة الجديدة المذكورة تشكيلاتها المادية. ويعين من جانب تلك العظمة مبلغ من النقود يراعى فيه حالة احتياج الحكومة العربية التي هي في حكمها قاصرة في حضن بريطانية. وتلك المبالغ تكون في مقابلة تلك الأشغال.

٤ ـ تتعهد بريطانية بالقيام بكل ما تحتاجه ربيبتها الحكومة العربية من الأسلحة ومهماتها والذخائر والنقود مدة الحرب.

٥ ـ تتعهد بريطانية العظمى بقطع الخط من (مرسين) أو ما هو مناسب من النقاط في تلك المنطقة لتخفيف وطأة الحرب عن البلاد لعدم استعدادها.

FO 686/39

(١٨٣)

(كتاب)

من الملك حسين ـ مكة

إلى المعتمد البريطاني ـ جدة

(الأصل العربي)

التاريخ: ٨ ذي الحجة ١٣٣٦
١٤ أيلول/سبتمبر ١٩١٨

سعادة نائب المعتمد البريطاني بجدة الموقر.

برقيتكم بتاريخ أمس وصلت وجواب فخامة النائب كما يأتي:

عزيزي. لست يا عزيزي ممن يشغل ذهنه بالاستقبال والمراسم أو يهتم بها، والذي رأيته في توجهي أمرين أحدهما إذا لم يمنع حركة التقدم وشرطته على فيصل، الثاني رعاية مسلك حكومة جلالة الملك السياسي ما إذا كان ما يقتضي رعايته مما نحسه من الظروف واستفسرنا فيه رأي الفخامة، وعلم أن كلا الحالتين لا تبيح ذلك. ولقد أزحتم عنا مشكلة السفر الذي لا مجبر عليها أحسن التفاهم

وتأمين المصلحة من نتائجه عزيزي. انتهى واقبلوا فائق أشواقي.

٣٦/٢١/٨

مخلصكم
حسين

خلاصة ثورة الحجاز

مع مقدمة بقلم الكوماندر د. ج. هوغارث
(من الاحتياطي المتطوع للبحرية الملكية)

رئاسة الأركان العامة
وزارة الحربية

التاريخ: ٣٠ أيلول/ سبتمبر ١٩١٨

FO 373/3393 (166604)

سري

(١٨٤)
بوادر ثورة الحجاز

إن الأفكار المتواضعة للقومية العربية التي ظهرت في سورية خلال القرن الحالي، عبّرت عن نفسها، بعد إعلان الدستور العثماني سنة ١٩٠٨، بتشكيل جمعيات عربية ذات صبغة أدبية في الآستانة وبيروت إلخ. ومع أن هذه الجمعيات لم تكن لها أهداف سياسية ظاهرة، إلاّ أنها كانت ولا ريب من وحي الآمال الوطنية. ولم يُضع رجال حزب تركية الفتاة وقتهم، متذكرين السياسة التركية المقررة بشأن الجمعيات الأرمنية المماثلة، في تثبيط نشاط تلك الجمعيات بغلق إحداها بصورة قسرية، وهي «الإخاء العربي» في نيسان/أبريل ١٩٠٩. وكانت النتيجة أن ألفت في سورية جمعيات سرّية ابتداء من ١٩٠٩، وكان لهذه الجمعيات غايات سياسية معينة من نوع الحكم الذاتي دون الانفصال في ذلك الحين. وإحداها هي الجمعية المسماة بـ «القحطانية» أنشأت، خلال الحروب التركية مع إيطالية ودول البلقان، شعبة متطرفة نص منهاجها على تشكيل جيش عربي واستحصال الحكم الذاتي (اللامركزية) بالقوة. وضعت هذه الشعبة في نحو سنة ١٩١٢ تحت رئاسة عزيز بك المصري الاسمية. لكن استعادة تركية لأدرنة حدت بكل الجمعيات السرية أن تنكمش، ولم يجر أي عمل عدائي عربي سوى عمل ابن سعود الذي استولى على لواء الأحساء البعيد، ثم أعرب عن بعض الرغبة في الاعتذار عن فعلته.

ولما دخلت تركية في الحرب الحاضرة عادت الجمعيات السرية في الآستانة وسورية إلى الحياة، وزادها حزب السيد طالب (النقيب) في البصرة قوة. طلب الزعماء السوريون الأسلحة والمساعدات الأخرى من مصر في شتاء ١٤/١٩١٥ ولما خاب مسعاهم هناك تقدموا إلى الأمير حسين شريف مكة محاولين أن يكسبوا به حليفاً وربما زعيماً. كان الحسين، الذي عيّنه الباب العالي سنة ١٩٠٨ بعد التشاور مع سفارتنا، قد عاش أعواماً طويلة على ضفاف البوسفور كممثل للشرافة (نقيب الأشراف)، ولم يكن ثمّ احتمال لحصوله على الإمارة التي كان يشغلها ابن أخيه علي الذي كان له أولاد. وكان يتمتع براتب ونفوذ معتدلين. وعند عزل ابن

أخيه وإبعاد أولاده عن الحلول محله ووفاة آخر أعمام الحسين، تغير وضعه. وحالما وصل إلى مكة أبدى من فوره نشاطاً وطموحاً بإحياء سلطة الشريف الخاصة على العشائر البدوية في جزيرة العرب الوسطى والقصيم، وفي سنة ١٩١٠ جمع القوات للعمل في القصيم وعسير كليهما. وفيما يتعلق بعسير كان يعمل في الظاهر مع الأتراك للقضاء على الإدريسي، لكنه هو وأبناؤه أبدوا موقف تمرّد إزاء حلفائهم. وفي سنة ١٩١٣وضع مخططاً مُني بالفشل للحصول على استقلال الحجاز بتوقيف الحجاج حتى ترغم بريطانية العظمى ودول أخرى على الوساطة. وفي أوائل ١٩١٤ أرسل ولده الثاني عبدالله، الذي يمثل مكة في المجلس العثماني (مثل الابن الثالث فيصل نائب جدّة، فاتخذ هناك موقفاً معادياً لحزب تركية الفتاة)، إلى القاهرة ليفهم ماذا يمكن أن نعمل في حالة قيام حركة ثورية من جانبه، وعند نشوب الحرب بيننا وبين تركية أرسل الحسين فيصلاً إلى الآستانة للاستطلاع على حالة الأتراك. وقد جاء تقرير فيصل في غير صالح إمكانياتنا، ولكن، عند عودته بطريق سورية وتبادله كلاماً لطيفاً مع جمال (باشا)، دخل في تعهدات أخرى مع جمعية (العربية الفتاة). ولدى تسلم الحسين تقريره، وكان قد تبادل الرسائل السرية مع لورد كتشنر، اكتفى بتصعيد موقفه نحو السلطات التركية وتخفيض رقابتهم شيئاً فشيئاً إلى درجة الصفر خارج المدن. ولكن في تموز/يوليو، بعد تلقيه مبادرات السوريين كما ذكرنا آنفاً، أعاد فتح المراسلات مع القاهرة متخذاً لنفسه صفة الناطق بلسان القومية العربية.

خلال بقية السنة تم تبادل بطيء وصعب للتأكيدات المقابلة. وفي أوائل ١٩١٦ وصلت هذه إلى مرحلة طلبات معينة لآلات الحرب من جانبه ووعود عن ذلك من جانبنا، على أن تجري انتفاضة مسلحة في الحجاز باسم القومية العربية حالما تنجز الاستحضارات اللازمة. وقد ظن أن هذه المرحلة يتوصل إليها في الخريف. (لأجل الاطلاع على كل المراسلات يرجى مراجعة التقرير المطول الذي وضعه المكتب العربي في القاهرة سنة ١٩١٧).

أوفد فيصل مرة أخرى إلى تركية في أوائل سنة ١٩١٦ وبيّن من هناك أن الاحتمالات صالحة للثورة في الخريف. وفي الوقت نفسه قام أخوه الأكبر علي، بعد تجنيده استجابة للإلحاح عليه كتيبة مجاهدين عربية في المدينة للتعاون مع حملة جمال على قناة السويس، بطلب السيطرة على البلدة مكافأة له. وعاد فيصل إلى المدينة في أوائل أيار/مايو، ولما وجد الاستحضارات متقدمة هناك لإرسال قوة

تركية مختارة إلى جنوب الحجاز، بالتعاون مع البعثة الألمانية إلى اليمن برئاسة فون ستوتزنغن، نصح أباه بسرعة أن يستبق سيرها. وكانت النتيجة أن الثورة نشبت قبل ثلاثة أشهر على الأقل مما كان مخططاً لها أو إنجاز الاستعدادات الكافية.

FO 371/3393 (166604)

(١٨٥)

خلاصة ثورة الحجاز
للمدة من نشوب الثورة إلى آخر سنة ١٩١٧

فهرس

الملحق (ج) ابن الرشيد

الملحق (د) الباشوات جمال

الملحق (هـ) تقرير موريس

الملحق (و) نشاط العدو السياسي

الملحق (ز) الحركة الصهيونية

الملحق (ح) تداخل تركية بين القوات البريطانية الرئيسية والعربية.

الملحق (ط) حصار الكويت

الملحق (ي) موقف عشائر جزيرة العرب الشمالية نحو ثورة الحجاز.

الملحق (ك) فخري باشا في المدينة

الملحقان (ل) و(م) خسائر العدو والقوات التركية.

١ ـ مع أن الشريف[1] لم يصدر منشوره إلى العالم إلاّ بعد أيام قليلة، فإنه يمكن القول إن الثورة العربية في الحجاز بدأت في ٥ حزيران/يونيو حين أقيم نطاق من العرب حول المدينة بقيادة اثنين من أبناء الشريف فيصل وعليّ.

هوجمت سكة حديد الحجاز فوراً في عدة نقاط، لكن العرب، الذين لم تكن لهم خبرة في أعمال التدمير، لم يستطيعوا إلحاق ضرر كبير قبل أن طردتهم جماعات تركية تحمل الرشاشات. ولذلك لم يتعطل النقل بصورة جدية وبقي خط المواصلات التركي مع دمشق سالماً. ولم يكن العرب، فضلاً عن ذلك، وليس لهم إلاّ القليل من السلاح والتجهيزات وعدد صغير من المدافع، يستطيعون أكثر من حصار المدينة من بعيد. لكنهم هجموا على جدة في ٩ حزيران/يونيو فقامت الحامية، المقطوعة من مكة بنتيجة سقوط الحصون على الطريق والمعرّضة للمدافع البحرية والطيارات، بالاستجابة لطلبات الأهلين واستسلمت بعد نحو أسبوع. وبعد نحو ثلاثة أسابيع أيضاً استسلمت الحامية الضعيفة الباقية في مكة، بعد انتقال الوالي إلى الطائف بمناسبة الصيف. وهذه البلدة الأخيرة قاومت إلى ٢٣ أيلول/

(١) راجع الملحق (أ).

سبتمبر بعد أن حوصرت نحواً من ثلاثة أشهر ونصف من جانب الشريف عبدالله ثاني أبناء شريف مكة بقوة مختلطة من البدو وأهالي مكة. ومع أنها كانت ترمى بالقنابل بانتظام فإنها لم تهاجم في الحقيقة.

واستسلمت الأماكن الصغيرة مثل الليث وينبع حالما هوجمت بصورة جدية، وفي آخر أيلول/ سبتمبر١٩١٦ أخلي أكثر أجزاء الحجاز من الجيش [العثماني]، ولو أن السكة الحديد بقيت سالمة.

٢ ـ وفي الوقت نفسه أرسلت تعزيزات تركية بسرعة من الشمال، وتحوّل الوضع في المدينة بصورة أساسية[١]. فالقوات التركية التي قوّيت وأعيد تسليحها وتجهيزها بالمؤن وتثبيتها خلال هذه الأشهر الأربعة الماضية عن طريق الدوريات المتجولة، أصبحت قادرة في أيلول/ سبتمبر على التقدم وطرد العرب أمامها وجعل المدينة آمنة بإنشاء نطاق من المراكز الحصينة على مسافة نحو ٣٠ ميلاً من البلدة على طول الطريق المؤدية إلى مكة. وتمكنت في أحد الأوقات (في نهاية تشرين الأول/ أكتوبر) من التهديد باحتلال رابغ وينبع. ولكن بقوة تبلغ نحو ١٤٠٠٠ لم تشعر حسب الظاهر أنها قادرة على الاحتفاظ بمراكز بعيدة مع خطوط مواصلاتها الطويلة، ومع تحرّك قوات عربية كبيرة من الجنوب والجنوب الغربي، فإنها انسحبت مرة أخرى في أواخر سنة ١٩١٦ إلى ما وراء المراكز الخارجية المحصّنة وإلى البلدة نفسها.

٣ ـ إضافة إلى هذه القوة الموجودة في المدينة والمعروفة بالقوة الاستطلاعية الحجازية، أقيمت قوة مختلطة بقيادة جمال الثالث[٢] مؤلفة (في كانون الثاني/ يناير ١٩١٧) من نحو ٥٠٠٠ رجل، ومقرها في تبوك، وقوة أخرى[٣] مؤلفة (في حزيران/ يونيو ١٩١٧) من أربع كتائب ومقرها في معان. وعهد إلى هذه القوات بالدفاع عن أجزاء معينة من الخط. ووضعت حاميات صغيرة في المحطات المختلفة في مناطقها.

٤ ـ إن القوات العربية، ولو أنها قوية عدداً، لم تكن لها مدافع وتجهيزات،

---

(١) راجع الملحق (م).
(٢) راجع الملحق «د».
(٣) راجع الملحق «م».

وكانت تنقصها الأسلحة الصغيرة والأجهزة والتنظيم. والشريف فيصل الذي قاد القوات الشريفية في منطقة المدينة في وقت نشوب الثورة، كانت له ثلاثة معسكرات يضم كل منها نحو ١٠٠٠٠ رجل، ولكن لم يكن هناك أي معسكر يمتلك ما يصل إلى ٢٠٠٠ بندقية. وكانت جماعات الرجال تلتحق أو تغادر حسبما تراه، وكانت قواته لا تمتلك أية خبرة في فن الحرب الحديثة. اتخذت الخطوات لتنظيم العرب وتسليحهم وتجهيزهم، وفي أواخر ١٩١٦ ألفت منهم ثلاث مجموعات مستقلة، إحداها بقيادة الشريف عليّ تضمّ ٨٠٠٠ رجل تواجه المدينة من الجنوب، وأخرى بقيادة الشريف عبدالله قوامها ٤٠٠٠ رجل تحاصر المدينة من الشرق والشمال الشرقي، بينما كان الشريف فيصل يقود نحو ٨٠٠٠ إلى ٩٠٠٠ رجل من خيرة القوات، وقاعدته ينبع، ويعمل ضد السكة الحديدية، والقيادة العليا، كما تمارس حسب الظاهر، أنيطت بالشريف حسين شخصياً، ومعه عزيز بك المصري وزيراً للحربية.

٥ ـ في كانون الثاني/يناير ١٩١٧ اتضح أنه ليس ثمة إلاّ القليل من الأمل الذي يرجى من محاصرة العرب للمدينة، وأقلّ من ذلك أي هجوم قد يحرص العرب على القيام به تجاه تحصيناتها. والعمليات التي ارتُئي من المحتمل أن تنتج ثماراً طيبة هي الغارات المنتظمة على سكة حديد الحجاز التي يبلغ طولها من المدينة إلى دمشق نحو ٨٠٠٠ ميل بخط منفرد. ولكن لأجل إمكان تنفيذ هذه الغارات ومدّ الثورة في الوقت نفسه إلى الشمال نحو سورية، كان من الضروري إيجاد مزيد من القواعد الشمالية. ولأجل بلوغ هذه الغاية اتخذ الشريف فيصل مع جيشه الشمالي قاعدته في «الوجه» التي سبق أن احتلتها جماعات أنزلت في كانون الثاني/يناير ١٩١٧، ومضى يوسع سيطرته إلى الشمال نحو «ضبا» والمويلح على ساحل البحر الأحمر. وفي الوقت نفسه تحرك أخوه الشريف عبدالله بقواته إلى وادي العيص إلى الشمال الغربي من المدينة، بينما بقي الأخ الآخر «عليّ» في محله القديم إلى الجنوب والجنوب الغربي من البلدة. إن الغارات التي شنت خلال الأشهر الستة[1] التالية بمساعدة بريطانية وفرنسية، خفضت قوة الجيش التركي ومعنوياته في المدينة،

(١) سقطت بغداد في ١١ آذار/مارس. ويظهر أن هذا الحدث لم يكن له رد فعل في وضع الحجاز إلى الدرجة المتوقعة، وذلك حسب المحتمل لعدم ظهور تماسك حتى آب/أغسطس ١٩١٨ بين الزمر المختلفة في بلاد العرب.

واجتذبت عناصر عربية جديدة كثيرة، لكنها لم تعزل تلك المدينة. وثبت أن خط السكة الحديد من الصعب تدميره بصورة دائمية، وأن العدو أكثر استعداداً مما كان متوقعاً لإجراء الإصلاحات، وأن أعمال التدمير، بدون أمل النهب واحتلال نقاط على الخط المدمّر لم تكن مما يجتذب البدو، وظل الأمر إلى خريف ١٩١٧ حين جرى العمل بخطة أخرى مآلها نسف القطارات واجتذاب المغيرين بنهبها بنتيجة ذلك. وهذه أنتجت فوراً نتائج مرضية أكثر، لكن لم يكن تحريض العرب على إكمال تدمير القطار أو الخط الدائمي قبل البدء بالبحث عن المنهوبات.

٦ ـ وفي هذه الأثناء تم احتلال العقبة في ٦ تموز/يوليو بأيدي قوة شريفية يرافقها لورنس[1] وانتقل إليها الشريف فيصل في تموز/يوليو ١٩١٧، وبذلك مدّ العمليات والدعاية إلى أماكن أبعد في الشمال. وخط السكة الحديد شماليّ تبوك، الذي كان حتى الآن غير معتدى عليه، هوجم الآن، ليس إلى معان فحسب، بل شماليّها. وعلى الرغم من النكسة البريطانية في غزّة في آذار/مارس ١٩١٧، فقد هددت القوات العربية معان نفسها وكذلك منطقة الغابة في الهيشة إلى الشمال

---

(١) ترك الكابتن لورنس الوجه في ٩ أيار/مايو ١٩١٧ مع عدد قليل من الرجال والشريف ناصر ناوياً زيارة بعض عشائر الحجاز الشمالي وفتح العقبة، إذا أمكن، لاتخاذها قاعدة تجهيز للقوات العربية.
كان طريقه يفضي إلى الجوف لزيارة نوري الشعلان، ولكن لما سمع لورنس أنه في الشمال، مضى إلى النبك قرب «الكاف» حيث اجتمع بعودة أبو تايه شيخ الحويطات. وقد بقي الشريف ناصر في الكاف لضمّ الرولة والشرارات والحويطات إلى حملة العقبة، بينما ذهب لورنس شمالاً إلى قرب تدمر ومن ثمّ غرباً إلى بعلبك حيث نسف جسراً صغيراً لسكة الحديد، ومن ثم جنوباً إلى نحو ٣ أميال من دمشق. من هناك مضى إلى صلخد في بلاد الدروز، ثم إلى الأزرق حيث قابل نوري الشعلان وابنه نوّاف. وفي أواخر حزيران/يونيو عاد لورنس إلى الالتحاق بناصر، وفي ٣٠ منه تحرّكا إلى الجفر شرقي معان، ثم إلى الكيلومتر ٤٧٩ حيث دمّر خط سكة الحديد على نطاق واسع. ثم ذهبا إلى الفويلة على طريق معان ـ العقبة حيث سبق تدمير مركز الدرك (الجندرمة) بيد مفرزة متقدمة، لكن أعيد إشغاله بالكتيبة الـ ١٧٨/٤ من معان. وقد ضمنا التدمير العملي لهذه الكتيبة في «أبي اللسن» في ٢ تموز/يوليو وأخذ قائدها أسيراً مع ١٦٠ رجلاً ومدفع جبلي. ثم استوليا على المخافر في مريغة والغويرة وأسرا خمسة ضباط و١٠٠ رجل. ثم سارا إلى كثارة ودمّرا مخفراً فيه ثلاثة ضباط و١٤٠ رجلاً، ثم إلى الخضرا شماليّ وادي أثم. ودخلت الجماعة إلى العقبة في ٦ تموز/يوليو ١٩١٧ مع ٦٠٠ أسير ونحو ٢٠ ضابطاً وضابط صف ألمانياً، وكانت قد قتلت نحو ٧٠٠ تركي.
وكانت رحلة لورنس أكثر روعة، لأن رأسه، طول هذه المدة، كان مطلوباً بما يساوي مكافأة ٥٠٠٠ ليرة تركية لأي عربي مجازف.

(هامش في الأصل)

الغربي حيث كان الأتراك يستمدون حطب الوقود للسكة الحديد[1] وكان التأثير على المدينة بارزاً بسرعة، ولو كان الأتراك يستطيعون تخلية الحامية جميعها أو جزء منها والقوة الموجودة إلى شمالها مباشرة بطريقة السكة الحديد. فمن المحتمل أنهم كانوا يفعلون ذلك، وتوقعاً سقوط القدس، وضعت خطة في تشرين الثاني/نوفمبر ١٩١٧ لإجلاء قسم من حامية المدينة وبعد ذلك إجلاء القوة من تبوك.

وتمّ الانتصار البريطاني في بئر السبع وغزّة في أيلول/سبتمبر ١٩١٧. وبظهور التهديد البريطاني على القدس، اعترف قائد القوات التركية في مواقع السكة الحديد بأن وضعها في خطر. وفي ٧ تشرين الثاني/نوفمبر قدم ضابط الركن، الذي تركه جمال الثالث[2] مسؤولاً عن معان خلال غيابه الوقتي، إليه تقريره عن تقديره للموقف. فشبّه موقف العرب بمرض «الغنغرينا»، بدأ في الأصبع (المدينة)، وإذا لم يقطع فينتشر إلى اليد (معان)، وأخيراً إلى الذراع (سورية). وفخري باشا في المدينة أجاب جمال الأول في ١٢ تشرين الثاني/نوفمبر حول إخلاء المدينة المقترح بأن الحركة قد تكون فجر «العهد الرابع». ليس هناك أي شرح صحيح لهذا التعبير، ولكن يعتقد أنه، حسب التقاليد الإسلامية، حين ينتهي «العهد الثالث» فلن تعود تركية تحتل المنزلة العليا في الاسم.

كان المقرر أن يتم إخلاء المدينة خلال ٧٥ يوماً، لكن الأتراك كانوا، ولا يزالون، غير قادرين على تنفيذ ذلك لفقدان قاطرات السكة الحديد ونقص الوقود واستحالة تجميع تجهيزات كافية والانقطاع الدائم للسكة الحديد.

٧ ـ في نهاية سنة ١٩١٧ ضمن فيصل انضمام العرب كل العرب أو حيادهم إلى حدّ معان واتفق مع آخرين في الشمال[3]، وبذلك أصبح في استطاعته النظر في التقدم إلى الشمال في بلاد شرقي الأردن. وقد جمع قوات أكثر من المدربين جزئياً والبدو. وكان أفضل تجهيزاً بالمدافع والأسلحة الصغيرة والخدمات المساعدة من السابق. وقد حاول الأتراك في معان ومنطقة غابة الهيشة أن يطردوه من منطقة

---

(١) كان خط حديدي خفيف ممدوداً من عنيزة (المحطة الثانية شمالي معان) إلى غابة الهيشة [قرب الشوبك] ويستعمل لنقل الوقود لاستعمال المحركات على سكة حديد الحجاز. وقد دمّر هذا الخط في أوائل ١٩١٨.

(٢) راجع الملحق «د».

(٣) هذه المعلومات لا يمكن قبولها محل اعتماد صحيح، لكن السير ر. وينغيت أبدى أنه في سنة ١٩١٦ أرسل إلى مصر ٣٣٤٥ أسيراً وفي سنة ١٩١٧ (١٣٥٤) أسيراً (راجع الملحق «ل»).

البتراء في تشرين الأول/اكتوبر وتشرين الثاني/نوفمبر ١٩١٧، ولكنهم أضعف من أن يستطيعوا توطيد أي فائدة حصلوا عليها. ومن جهة أخرى، كان البرد السائد في هذه المنطقة الجبلية قد عمل ضدّ هجوم قويّ من جانب العرب.

٨ ـ لذلك كان الوضع في نهاية سنة ١٩١٧ كما يلي بإيجاز:

طرد الأتراك تماماً من الحجاز باستثناء السكة الحديد الفعلية. خفضت فعالية الحملة الاستطلاعية للحجاز في المدينة التي أصبحت الآن تضم ١١٠٠٠ رجل وتحملت حرماناً عظيماً وأمراضاً. والقوة المختلطة في تبوك التي انخفضت إلى ١٥٠٠ رجل كانت في حالة مماثلة، والمواصلات بين هذين الموقعين تنقطع دائماً نظراً إلى جهود الشريف علي في المنطقة جنوب غربي المدينة وعبدالله في المنطقة بين المدينة والعلا. وفي الشمال كان الشريف فيصل يقوم بعملياته ضد السكة الحديد في معان وقد عرقل بصورة جدية الحصول على الوقود [الحطب] من غابة الهيشة. ورأى الأتراك ضرورة إنشاء مخفر في تدمر لمنع انتشار حركة العرب إلى الفرات، وإنشاء مراكز خطوط مواصلات في وادي اليرموك وسكة حديد درعا ـ معان.

دخل العرب خلال المدة التي يتناولها هذا التقرير في معارك مع الأتراك في نحو ٥٤ مناسبة وألحقوا خسائر (حسب التقارير العربية) تبلغ ٣٤٠٠ قتيل و٧٥٧ جريحاً واستولوا على ٦٧٦٦ أسيراً و٤٤ مدفعاً و١١ رشاشاً و٢٤١٧ بندقية.

وسجلت التقارير العربية أيضاً ٤٢ هجوماً على السكة الحديدية دمّر فيها ٧ قاطرات و٣ عربات قطار، و٧٧٧٠ خطاً و٣٤ جسراً و١٦ قناة[١].

٩ ـ قبل اختتام الخلاصة لهذه المدة يجب الإشارة إلى حليف تركية ابن الرشيد[٢]، أمير حائل، الذي، بعد حملة فاشلة إلى منطقة الفرات الأدنى في حزيران/يونيو ١٩١٦، عاد إلى حائل[٣]، وفي نيسان/أبريل ١٩١٧ اندحر قرب

---

(١) في كانون الأول/ديسمبر دمّر القطار الذي يحمل سليمان بك رفادة الرئيس الأعلى لعشيرة بلي والمعادي للملك حسين وقتل خمسة ضباط أتراك وسليمان بن رفادة وعدد من أتباعه. ونجح العرب في الاستيلاء على ٢٤,٠٠٠ ليرة تركية من هذا القطار وخمسة رؤوس من الخيل وتدمير كميات كبيرة من الأغذية.

(٢) راجع الملحق «ج».

(٣) في حزيران/يونيو ١٩١٦ حين كانت سمعة تركية في العراق عالية بعد الاستيلاء على الحامية البريطانية في الكويت، كان ابن الرشيد على مقربة من الزبير مع أتباع قليلين. وكان وزيره صالح بن

الحناكية [1] (على بعد ٨٠ ميلاً شمالي شرقي المدينة) أمام قوة شريفية. وقد فقد معظم قواته فهرب إلى الأتراك في مدائن صالح حيث وصل مع نحو ١٠٠٠ رجل في ١٧ آب/أغسطس، وسقطت تيماء أبعد أقاليمه الغربية في أيدي القوات الشريفية. وقد أصبح وجوده في مدائن صالح فوراً مصدر إزعاج للقائد التركي في المدينة نظراً إلى طلبات ابن الرشيد الضخمة للتجهيزات التي لم يكن فخري باشا آنذاك في وضع يمكنه من تقديمها، فإنه لم يكن قادراً على إسعاف قواته إلاّ بصعوبة كبيرة. وعلى الرغم من الاحتجاجات الكثيرة إلى مقر الجيش، فقد صدرت الأوامر إلى فخري باشا في المدينة بأن ينظر إلى ابن الرشيد كحليف موثوق به، ويعامله من كل النواحي معاملة ضيف مكرّم. وفي نهاية ١٩١٧ كان لا يزال في معسكره إلى شرقي سكة الحديد قرب مدائن صالح.

إن الأتراك، وإن لم يتمكنوا من التقدم بصورة حقيقة ضد الحركة العربية، فإنهم بتحريض من الألمان، لم يكونوا ساكنين كلياً في جهودهم لمعالجة الوضع سياسياً خلال هذه الفترة.

عاد الخديو السابق (عباس حلمي) من سويسرة إلى تركية في تشرين الأول/ اكتوبر ١٩١٧ وذهب إلى سورية. وفي الوقت نفسه تقريباً زار موريس [2] وبرلين وسورية قبل ظهوره في العقبة. وأعطى معلومات تدل على أن الألمان كانوا يخافون أن يصلحوا بين الترك والعرب (راجع الملحقين «هـ» و«و»)، وأنشأ الألمان أيضاً «مكتباً عربياً» تحت إشراف «يلديريم» [الصاعقة] في دمشق، وكانت هناك دلائل على أن جهودهم لم تكن كلها خالية من النجاح (راجع الملحق «أ»).

= سبهان قد سبق له أن فرّ منه والتحق بالمعسكر البريطاني في العراق. وصرّح ابن الرشيد علناً بأنه على صلة ودية بالأتراك، وإذا تقدموا نحو الزبير فإنه سيلتحق بهم، لكن إذا لم يتقدموا فإنه مستعد للبقاء على الحياد. ونظراً إلى موقفه غير الودي، فقد عززت قوة الفرسان البريطانية في الشعيبة برتل من كل الأسلحة وصدرت إليها الأوامر بالهجوم عليه ما لم يتحرك فوراً من ذلك الجوار. وفي ٢٥ حزيران/يونيو تقدم ابن الرشيد إلى نحو ٨ أميال من الخمسية على الفرات وهجم هناك على ابن طوالة شيخ أسلم شمّر الذي عزّز عند ذاك بمفرزة من قوة الفرسان الهندية الـ ١٢. وقد دحر ابن الرشيد وعاد إلى حائل.

(١) راجع الملاحظة التابعة للفقرة ٢٤.

(٢) راجع الملحق «هـ».

١٠ ـ كانون الثاني/ يناير ـ كما شرح آنفاً، إن المناخ البارد في كانون الأول/ ديسمبر ١٩١٧ قد أثّر في الحركات الفعالة في المنطقة الشمالية، ولكن في كانون الثاني/ يناير ١٩١٨ أصبح في إمكان قوة فيصل العربية التي قاعدتها في العقبة البدء بالتقدم نحو الأراضي الواقعة في الجنوب الشرقي من البحر الميّت. وفي أول كانون الثاني (يناير) ١٩١٨ أغارت السيارات المسلحة على محطة تل الشحم (المحطة السادسة جنوبي معان) وألحقت الضرر بالمباني ودمّرت بعض القاطرات الحديدية. وفي الثالث منه احتلت قوات فيصل الموقع في أبي اللسن (على بعد ١٥ ميلاً جنوب غربيّ معان)، وفي نحو التاريخ نفسه احتلّ الشريف ناصر مع التوايهة[١] وعشائر بني صخر[٢] الشوبك في منطقة الهيشة، بينما احتل جماعة من العرب أيضاً جسور سكة الحديد جنوبي معان قرب محطة غدير الحج بين ٣ و٧ من الشهر احتلت قوة الشريف ناصر محطة جرف الدراويش (المحطة الثالثة شمالي معان) وبقوا فيها ثلاثة أيام ألحق الضرر خلالها بالقاطرات وأحد الجسور. قتل ٨٠ تركياً وأسر ٢٠٠ معهم مدفع رشاش. وهجوم آخر بين جرف الدراويش والحسا (المنطقة الرابعة شمالي معان) أدّى إلى قتل ٢٥ تركياً وجرح كثيرين، وأسر ٥٠ آخرون في غارة على قلعة عنيزة (المحطة الثانية شمالي معان). وفي ١٤ منه احتلّ العرب الطفيلة (٢٠ ميلاً شمالي الشوبك) وأسروا ١٥٠ أسيراً بينهم القائم مقام نجيب بك. وفي ١٥ كانون الثاني/ يناير قتل ١٤ تركياً قرب قلعة الزرقاء، وفي ٢٢ منه هجمت قوة عربية، بالاشتراك مع ثلاث طائرات بريطانية وفصيل مدفع ١٠ أرطال، على الخط جنوبي معان قرب محطة المدوّرة (المحطة الثامنة جنوبي معان) وأسرت أو قتلت ٢٠ تركياً. وفي ٢٦ كانون الثاني/ يناير فشلت محاولة من جانب الأتراك لإعادة الاستيلاء على الطفيلة، ودحرت قوتها التي تعدّ نحو ٨٠٠ رجل و٢٧ رشاشاً ومدفعين بصورة وخيمة في سيل

(١) فرع من عشيرة الحويطات.

(٢) محل إقامتها من جبل الدروز إلى قرب معان.

الحسا[1].

(١١) في المنطقة الجنوبية أغار الشريف علي على الحفيرة (المحطة الثانية شمالي المدينة) في ١٣ كانون الثاني/ يناير وقتل ٧ أتراك ودمّر كليومتراً واحداً من السكة الحديد وجسراً. وفي ١٨ منه هجمت قواته على قافلة تركية كبيرة على مسافة نحو ٨ أميال شرقي المدينة وأسرت أسرى واستولت على غنائم كثيرة، بضمنها ١٧٠٠ ليرة تركية نقداً. وفي ٢٠ منه قام الشريف عبد الله بهجوم على الخط قرب هدية (المحطة التاسعة شمالي المدينة) ودمّر ١٥,٠٠٠ سكة و٩ قنوات و٦ كيلومترات من خط البرق وأنزل بالأتراك نحو ٦٠ خسارة في الأرواح. وفي ٢٣ منه أسر ١٧ أسيراً في هجوم على مخفر تركيّ بين وادي الأثل ودار الحج (جنوبي تبوك مباشرة).

١٢ ـ خلال شهر شباط / فبراير أسقط العرب طائرة للعدو شرقي محطة عنيزة في المنطقة الشمالية، وفي الجنوب هجم الشريف عبد الله على السكة الحديد جنوبي هدية فقتل ٢٠ تركياً وأسر ٣٠ وادّعى أنه دمّر ٣٠٠٠ سكة و٧ قنوات. وفي هجوم آخر بين بير الجديد وطويرة (المحطة العاشرة شمالي المدينة) دمّر ٧ أميال من سكة الحديد و١٢ قناة، بينما في جنوب وادي الأثل أخرجت من الخط قاطرة ومقصورتان وقتل ٣ رجال وأسر ١٢ مع بعض الحيوانات وبنادق كثيرة.

وهكذا في الشهرين الأولين من ١٩١٨، احتلت قوات الشريف فيصل الشوبك في منطقة وقود الهيشة. أما الطفيلة على مسافة ٢٠ ميلاً إلى الشمال، فقد قاومت بنجاح محاولة قوية من جانب الأتراك لاستعادتها وألحقت بهم خسائر جسيمة في النفوس. وفي الحجاز الجنوبي قام الشريفان عليّ وعبد الله بعمليات عسكرية أصابت نجاحاً كبيراً.

---

(١) في ٢٦ كانون الثاني/يناير هجمت قوة تركية كبيرة من الكرك على العرب في سيل الأحساء حيث جرت معركة شديدة، وكانت النتيجة فوزاً لامعاً للعرب الذين قتلوا ٥٠٠ من رجال العدو وأسروا ٢٥٠ بضمنهم حامد بك قائد الفرقة الـ ٤٨. ولم يستطع الفرار سوى نحو ٥٠ تركياً مضوا إلى جهة الكرك، بينما قتل جميع الضباط أو أسروا. وكانت الغنائم تشتمل على مدفعين جبليين نمسويين قويين و٩ بنادق أوتوماتيكية و٢٧ رشاشاً (منها ١٥ مكسيم ألمانية) و٨٠٠ بندقية. واستولى أيضاً على نحو ٢٠٠ بغل وخيل ووزعت على البدو.

وفي نحو هذا الوقت كتب الملك حسين رسالتين وديتين، ولكن شجيّتين جداً إلى السير ريجنالد وينغيت، لمّح فيهما إلى الانتحار. والظاهر أنه كان منزعجاً جداً من بيانات الحلفاء الميّالة إلى الصهيونيين حول سورية (راجع الملحق «ز») وخشي من الإفلاس السياسي في حالة عدم تمكنه من تبرير الثورة أمام العالم الإسلامي. وأرسلت إليه حكومة صاحب الجلالة رسالة تطمين (أنظر آخر الفقرة ١٣).

١٣ ـ في بدء آذار/مارس حصل تغيير محسوس في معالجة الأعداء للوضع شرقيّ نهر الأردن. ويحتمل أن ذلك يعود إلى توجيه من الألمان والتحقق من التلاحم بين العمليات العربية والعمليات البريطانية في فلسطين. وأجريت تنظيمات جديدة أخرى وأرسلت قوات ألمانية إلى ميدان الحرب، بينما ظهر نايدرماير[١]، الوكيل العشائري الألماني، في عمّان. وكانت النتيجة تجميع قوة ضاربة في جرف الدراويش والقطرانة لها بأس كاف لدفع عرب فيصل إلى الوراء مع الاحتفاظ بنواة من الاحتياطي في عمان، لتأمين حفظ طريق أريحا، حسب المحتمل، بينما تجري التعامل مع العرب. وفي ٢ آذار/مارس تقدم الأتراك من جرف الدراويش والقطرانة برتلين متقاربين في محاولة لإعادة احتلال الطفيلة. وفي ٧ منه أخلى الشريف زيد البلدة وعاد إلى الوراء نحو الشوبك. وخلال التجمّع التركي قصفت معسكراتهم بشدة بالطائرات البريطانية. ولم يحل الثامن من الشهر حتى شغل العرب خطا يمتد تقريباً شرقاً وغرباً من خلال الشوبك، بينما احتل الأتراك الطفيلة في ١٢ منه.

وفي شهر آذار/مارس أظهر الملك حسين مرة أخرى علامات قلق. وكان معلوماً أن الأعداء ينفقون الآن مبالغ كبيرة من النقود وزادت دعايتهم[٢] بين العشائر. وهذا بالإضافة إلى الوضع الصعب لدى الشريف عبد الله الذي كان يلاقي مصاعب جمة في المدفوعات إلى قواته، مما زاد من قلق الملك.

---

(١) انظر الملحق (و). ولا بدّ أن نتذكر أن هذا جرى قبيل الهجوم الألماني الكبير، وليس هناك شك أن الأتراك حملوا الفكرة، مع بعض النجاح، أن الثورة العربية سوف تجد نهايتها في باريس.

(٢) راجع الملحق «ح».

١٤ ـ غير أن تقدم الجنرال اللنبي نحو عمّان[1] الذي كان متوالياً في ٢١ آذار/مارس سبب سحب الرتل التركي المتحرك نحو عمّان والسلط. وفي ١٨ آذار/مارس أعاد العرب احتلال الطفيلة وتقدموا نحو سيل الأحساء، وكان أعظم دليل على أن الأتراك الذين كانوا قد بلغوا الآن هدفهم لتوسيط قوة كافية بين البريطانيين والعرب، ولم يعتزموا ترك أية قوات جنوبيّ خط يمتد من سيل الأحساء إلى القطرانة، ولو أنهم تركوا مفرزة في هذا المحل الأخير للدفاع عن السكة الحديد إلى عمان. وبنتيجة إعادة توزيع قواتهم[2]، بلغ عدد حامية معان في هذا الوقت نحو ٢٨٠٠ بندقية.

١٥ ـ وفي هذا الحين لم تتضرّر السكة الحديد جنوبيّ معان إلى المدينة بصورة دائمية، ولو أنها تعرضت لمهاجمات متكررة والمواصلات لتعطلت جدياً. وكان معدّل السير قطاراً واحداً مباشراً أسبوعياً من كل جهة بين دمشق والمدينة. وقد قسم الخط إلى خمسة مقاطع، وكان عبور كل مقطع يستغرق يوماً واحداً أو مجموع خمسة أيام لكل المسافة مقابل ١١ ساعة قبل الحرب. ومع أن المنهاج الموضوع لإخلاء المدينة قد تعارض حتى استحال تنفيذه إلى النهاية (راجع الفقرة ٦) فإن الإخلاء المبكّر من الحجاز من المدينة إلى معان أعيد النظر فيه، وأجريت الترتيبات لسرعة نقل الوثائق والنقود وآلات البرق إلخ، شمالاً من المدينة ومدائن صالح والعلا وتبوك.

١٦ ـ في نيسان/أبريل كان جيش الشريف فيصل، وقد قسم إلى ثلاثة أرتال، يعمل في منطقة معان كما يلي: احتل الرتل الجنوبي ونسف محطة غدير الحج في ١١ منه ودمّر ١٠٠٠ سكة و٤٠ جسراً وقناة أسلاك، لكن الأتراك أعادوا الاستيلاء على بقايا المحطة في ١٢ من الشهر. وهوجمت محطة بير الشيدية أيضاً، وتضرر الخط جنوبي معان بضرر قدّر العدوّ أن إصلاحه يتطلب شهراً على الأقل[3]. وفي هذه

---

(١) راجع الملحق «ل».

(٢) راجع الملحق «ل».

(٣) لم تجر محاولة لإصلاح الكسر في الخط جنوبي معان حتى نهاية شهر آب/أغسطس. والحقيقة أن في

العمليات بلغت خسائر العدو خمسة ضباط و٢٢٠ جندياً. ودمّر رتل فيصل الشمالي ٢٠٠ سكة شماليّ معان مباشرة، وفي ١٣ منه احتل وأحرق محطة الجردونة وأخذ ٢٠٠٠ أسير ورشاشتين، بينما تم تدمير الجسر فوق وادي الجردونة مع ١٥٩ قضيب سكة حديد.

في ١٣ منه انقضّ الرتل الأوسط على موقع سمنة على مسافة ٥٠٠٠ ياردة إلى الجنوب الغربي من معان واستولى على رشاش و٣٠ أسيراً. واستمر الهجوم في ١٤ و١٥ منه. وفي ١٦ منه طوّقت معان، وفي ١٧ احتل العرب المحطة موقتاً، لكنهم انسحبوا بعد ذلك واحتلوا مراكز الدفاع الخارجية. وتم الاستيلاء على رشاشين آخرين و٧٠ أسيراً خلال العمليات.

وفي نحو ٢٠ نيسان/أبريل استولي على محطات بطن الغول ووادي الرتم وتل الشحم ورملة، جنوبي معان، وأحرقت بيد مفرزة من فرقة الجمّالة المصرية والسيارات المسلحة البريطانية، ودمرت جسور وخطوط برق مهمة. استسلمت محطة تل الشحم مع ٥٢ أسيراً و٤٥٠ صندوق قنابل و٢٨٠٠٠٠ رصاصة للأسلحة الصغيرة. واستولي أيضاً على كمية من المواد الغذائية. وأنتجت هجومات صغيرة من قبل العشائر أسر ٢٨ ورشاش قرب المدوّرة.

في الحجاز الجنوبي دمّر ٧٠٠ سكة وقناتان بين تبوك والعلا، و١٠٠ قضيب آخر و٣ قنوات بين مطالع وأبو طاقة، وقتل ٨ أتراك وأسر واحد في حوالي المدة نفسها. وفي جنوب العلا دمرت فرقة تدمير عربية ٣ سكك وقتلت ٧ أتراك، بينما هجمت قوة تابعة للشريف عليّ على الخط شمالي المدينة مباشرةً ودمّرت جسراً و٢٠٠ سكة.

١٧ ـ على الرغم من كل الهجمات التركية استمر رتل الشريف فيصل الأوسط في الاحتفاظ بموقع سمنة ونجح بذلك في عزل معان تماماً من جهة الجنوب وكذلك عملياً من الشمال. وألحقت بالقوات التركية نحو ١٠٠٠ إصابة في هذه المنطقة خلال نيسان/أبريل/ وأيار/مايو.

١٨ ـ بالنظر إلى عمليات الجنرال اللنبي في شرقي الأردن، لم يستطع الأتراك

= ١٤ تموز/يوليو أمرت «يلديريم» بقلع قضبان السكة الحديد في القطاع جنوبي معان حتى محطة غدير لإصلاح الكسر شماليّ معان.

إرسال قوة كبيرة لمساعدة حامياتهم في الحجاز، لكن قوة صغيرة مرسلة من القطرانة استطاعت إعادة احتلال المحطة في الجردونة، ولو أنها لم تنجح في المرور إلى معان. وفي ١٢ أيار/مايو دمّر العرب بصورة واسعة في بطن الغول (جنوبي معان) ١٥٠٠ سكة مع مقطع واسع. وقد قدّر العدو أن هذه الأضرار تتطلب ٥٠٠ رجل لمدة شهر لإصلاحها، ولكن لما كان هذا التدمير قد أجري على منعطفات ملتوية حادّة فيما كان في الأصل مقطعاً عسير البناء جداً في سكة حديد الحجاز، فالمحتمل أنها مستحيلة الإصلاح لفقدان المواد. وفي الوقت نفسه استمرّ العرب على عملياتهم بعيداً في الشمال فاستولوا على محطتي فريفرة والأحساء (٤٥ و٣٥ ميلاً بالتسلسل شماليّ عمان) حيث جرت تدميرات واسعة بين يومي ٢٥ و٢٨ أيار/مايو، وقد قدّر العدو وجوب عمل ٥٠٠ رجل لمدة ١٥ يوماً لإصلاحها. وهاتان المحطتان احتلهما العرب مرة أخرى في ٣٠ منه.

١٩ ـ كانت حامية معان على هذا الشكل تواجه المصاعب، إذ عزلت من الشمال دون أمل وصول التجهيزات إليها، وليس لديها سوق أرزاق تكفي لأحد عشر يوماً. ويظهر أن المدينة تعاني حقاً نقصاً في التجهيزات لأن فخري باشا قدم تقريراً في ١٨ نيسان/أبريل مآله أن لديه من الأرزاق ما يكفي لشهر ونصف فقط، والتدميرات الواسعة في سكة الحديد جنوبي معان التي جعلت نحو ٦٠ ميلاً منها غير قابلة للاستعمال جعلته فعلاً يعتمد على القوافل[1] من نواح أخرى من جزيرة العرب والمحاصيل المحلية.

وفي الحجاز قام الشريفان عبد الله وعليّ بأعمال تدمير كثيرة. في أول أيار/مايو

---

(١) في هذا الصدد وردت دلائل كثيرة تبيّن أن قوافل كثيرة من التجهيزات من الكويت تصل إلى محلات العدو سواء في الحجاز أو فلسطين. وقد قدم اقتراح لإنشاء نطاق حصار بمساعدة الجيش لكنه وجد غير عملي واتخذت إجراءات أخرى. حذّر شيخ الكويت الذي لم تكن أعماله في هذا الصدد فوق الشبهات، وقدم تأكيدات بأن يعمل ترتيبات ملائمة ويكون مسؤولاً شخصياً عن وقف مثل هذه التجارة، وأن يكون كل تصدير للبضائع من الكويت إلى الداخل تحت رقابة وتنظيم شديدين. وخلال آذار/مارس ونيسان/أبريل ١٩١٨ تم الاستيلاء على خمس قوافل قوامها ١٥٠٠ بعير شرقيّ المدينة من قبل مفارز جيش الشريف عليّ (راجع الملحق «ط»).

في بواط والحفيرة، وفي ١٠ منه في أبو النعم حيث هوجمت الجسور في وادي حمض، وفي ١٤ منه في بير الجديد والطويرة حيث دمرت ٨٠٠ من قضبان السكة الحديد. وفي اليوم نفسه دمر في المديرج ١٥٠٠ قضيب. وفي ١٩ منه قصفت جسور بواط لمدة أربع ساعات وقامت فرقة تدمير فرنسية بتدمير ٥ كليومترات من السكة الحديد. وفي ٢٢ منه في القطاع نفسه دمّرت فرق تدمير فرنسية وبدوية ٦ كيلومترات من قضبان السكة الحديد و٥ قنوات.

٢٠ ـ ابن الرشيد (راجع الفقرة ٩) الذي بقي في مخيّمه قرب مدائن صالح، باستثناء غارة صغيرة من جداحة خلال شباط/فبراير، اشتبه الأتراك بأنه يخادع واحتفظ به سجيناً فعلاً بينما انفضّ عنه عدد كبير من أتباعه. وفي أواخر نهاية نيسان/أبريل أو أوائل أيار/مايو غادر مخيّمه إلى حائل لكن اعترضه بدو الشريف عبد الله قرب تيماء، وفي المعركة التي أعقبت ذلك استولى البدو على كل وسائله النقلية وقتلوا ٣٠ من رجاله وأسروا ٣١، أما هو فاستطاع الفرار إلى حائل.

٢١ ـ في حزيران/يونيو كانت السكة الحديد ما تزال مقطوعة على طول خط معان إلى قطاع المدوّرة، ووقف النقل جنوبي معان منذ ١١ نيسان/ أبريل. أما في شمال معان فإن السكة الحديد بقيت مقطوعة إلى جرف الدراويش، ولكن في ١٢ حزيران/يونيو تجمعت جماعة تركية صغيرة في القطرانة لغرض إعادة فتح السكة. وفي ١٦ منه غادر القطرانة رتل معه تجهيزات وأعاد احتلال فريفرة، وفي ١٨ منه دخل إلى جرف الدراويش بعد أن وجد الأحساء غير مشغولة. وفي ١٩ منه عاد الرتل الذي لقي مقاومة شديدة من العرب إلى فريفرة. وفي الوقت نفسه بقيت معان تحت الحصار، وقصفتها القوة الجوية الملكية ثلاث مرات بين ١٥ و٢٣ من الشهر، كما تعرّضت القطرانة لغارات بمقياس كبير. وتضرّرت ثلاث طائرات تركية بصورة جدية.

٢٢ ـ في ٢٢ حزيران/يونيو هوجم الشريف ناصر قرب الحسا من جانب كتيبتين تركيتين مع رشاشات وبطارية مدافع ميدان، لكنهما ردّتا على أعقابهما إلى فريفرة من قبل العرب بعد معركة شديدة خسر الأتراك فيها ٢٠ قتيلاً و١٥ أسيراً. وفي ٢٤ منه قصفت المحطة والمعسكر في عمان. وفي ٢٧ منه دمّر رتل فيصل الجنوبي جسراً جنوبيّ معان، وفي

اليوم التالي هجم واستولى على المحطة في قلعة الأحمر، وقد استسلمت الحامية. وبعد احتلال هذه المحطة أخليت المدوّرة، المحطة التالية إلى الشمال، من حاميتها التي حاولت الوصول إلى معان، لكن رجالها سقطوا جميعهم فعلاً أسرى في يد العرب.

وفي الحجاز الجنوبي في ٢١ حزيران/يونيو دمّر الشريف عبد الله ٢٠٠ قضيب سكة حديد وجسراً وكيلومترين من خط البرق بين سهل المطر ومشهد، بينما دمر ٥٠٠ قضيب آخر وثلاثة جسور بين اصطبل عنتر وأبو النعم. وفي ٢٩ حزيران/يونيو دمرت ٢١٠ قضبان أخرى وجسران في هذا الجوار.

وقد وردت الأخبار بانتشار مرض الزحار أو (الديزنتيري) في حملة الحجاز (التركية)، وكانت حالة التغذية سيئة جداً، بينما ظهر مرض الأسقربوط في تبوك والمدوّرة.

٢٣ - وفي حوالي منتصف حزيران/يونيو أصبح موقف الملك حسين صعباً مرة أخرى. وقد أبرق إلى وكيله في القاهرة معرباً عن استيائه من نوايا الإنكليز والفرنسيين بشأن سورية، كما ادّعى ذلك جمال باشا في خطابه الوداعي الذي ألقاه في بيروت قبل مغادرته سورية. صرّح الملك حسين أن هذا الخطاب (الذي ألقي في تشرين الثاني/نوفمبر ونقل على أوسع نطاق) لم يقع نظره عليه إلاّ مؤخراً. ومع أنه لم يكن الأمر معروفاً في حينه، فإن موقف الشريف (الملك حسين) قد تأثر كثيراً بعدم الارتياح من الوضع القائم في الخرمة على بعد نحو ٨٠ ميلاً شرقيّ الطائف. وهذه البلدة التي هي بلا ريب في منطقة الإدارة الشريفية، قد أصابتها عدوى انتشار النفوذ الوهابي عن طريق جماعة الإخوان[١] ومركزها في الرياض، وكانت النتيجة أن خالداً حاكم الخرمة قد انضم إلى الوهابيين. وأرسل (الملك) حسين بتحريض من عبد الله قوة تأديبية إلى الخرمة فهزمت هزيمة شائنة. ومع أنه لم يتضح

---

(١) تنظيمات الإخوان مركزها في الرياض. وهي جمعية بدوية غايتها نشر الدين الصافي حسب المبدأ الوهابي بين عشائر جزيرة العرب المختلفة. ومن أهم مبادئها إلغاء كل المنازعات بين العشائر. ويجري تعليم ثلثمائة وأكثر من هؤلاء الإخوان في الرياض ليكونوا معلمين دينيين لدى العشائر المختلفة. ويبلغ عدد الأعضاء، الذين يقبلون في الجمعية بسهولة حسب الظاهر، عدة آلاف في عدد كبير من العشائر المختلفة، والجمعية تؤيد الأسرة الحالية في الرياض.

تماماً أن ابن سعود أمير نجد كان مسؤولاً مباشرةً عن الوضع في الخرمة، فإن خوف الحسين الغريزي من منافسه، كان كافياً لتبيان وجود مخططات وهابية ضد مكة، وشعر الحسين أنه معرّض للخطر بصورة خاصة، بالنظر إلى تخصيص الجزء الأكفأ من قواته للشمال تحت لواء فيصل. ولا شك أن فكر الملك حسين في هذه المدة كان غير مرتاح كلياً، وأن القلاقل الطويلة المضطربة بينه وبين ابن سعود كانت تقارب درجة الغليان.

٢٤ ـ رسائل من ابن الرشيد اعترضها البدو أظهرت أنه، ولو وصل إلى حائل (راجع الفقرة ٢٠)، لم يكن في إمكانه بسبب الاحتياطات البريطانية أن يحصل على تجهيزات من الكويت. وقد شكا شكوى مرة من معاملة الضباط الأتراك له وخصوصاً فخري باشا. وفي جواب على رسالة أرسلها إليه الشريف عبد الله يعرض عليه معاملة طيبة إذا انفصل عن الأتراك، أعرب عن استعداده للانضمام إلى الشرفاء، ولكن طلب مهلة، ربما للتشاور مع عبد الحميد الوكيل السياسي التركي الذي كان في طريقه إليه والذي أشير إليه فيما بعد، ولتوقع وصول وكيله رشيد بن ليلى[1] من دمشق مع مدفعين ورشاشين[2] وهي هدية من الأتراك. (كان وكيله لا يزال في دمشق في تموز/يوليو ١٩١٨). وفي ضوء الحالة الآنفة الذكر في الخرمة يبدو الدافع لمفاتحات

---

(١) رشيد بن ليلى: أول ما سمع به في نحو تشرين الثاني/نوفمبر ١٩١٦ حين زار عجيمي السعدون بصفته وكيل ابن الرشيد، يحرسه نحو ٣٠ جندياً تركياً. وفي كانون الأول/ديسمبر ١٩١٦ اشترى بعض التجهيزات في النجف، لكن لم يستطع ترتيب مرور أمين لها لنقلها إلى حائل بين العشائر النازلة في طريقه. منحه الأتراك لقب باشا لضمان اهتمامه بدعايتهم. وكان عظيم النفوذ في حائل والأمير تحت «إصبعه». كان حاضراً في المعركة بين قوات ابن الرشيد وقوات الشريف قرب الحناكية (راجع الفقرة ٩)، ولو أنه من غير المؤكد إذا كان الأمير نفسه حاضراً. وقدم إلى مدائن صالح مع الأمير في آب/أغسطس ١٩١٧، ثم مضى بعد مدة قصيرة إلى الآستانة وعاد إلى دمشق في ١٢ شباط /فبراير ١٩١٨، ولا يزال هناك في بداية آب/أغسطس.

(٢) نوري الشعلان الرئيس الأعلى للرولة (عنزة) يعتقد أنه الآن قد ظهر علناً بصورة نهائية إلى جانب الشريف ضد الأتراك. كان حتى وقت قصير واقفاً على التل وحاصلاً على فوائد جمة من قوافل التهريب (راجع هامش الفقرة ١٩). ويقال إنه صرّح الآن أنه سيسمح بمرور الرشيد بن ليلى من خلال عاصمته الجوف في طريقه إلى حائل، لكنه سيحتفظ بكل ما معه من مدافع أو عتاد حربي (راجع الملحق «ل»).

عبد الله واضحاً.

٢٥ ـ في ١ و٣ تموز/يوليو قُصفت معان. وفي ٤ منه هجم العرب على الجردونة والسكة الحديد، وتضررت السكة، وأخذ العرب ١٣ أسيراً عدا مفرزة طوارىء تركية. وفي ٥ منه دلّت الأخبار من معان أنه ليس فيها نقد لشراء التجهيزات وعاشت الحامية على أرزاق سيئة لمدة شهرين، فاتسعت حركة الفرار حتى بين الضباط ونفقت الحيوانات يومياً من الجوع. وفي ٦ منه قُصفت البلدة مرة أخرى، كما قُصفت الجردونة في ٨ منه. وفي ١٢ تموز/يوليو وردت الأخبار أن السكة الحديد من الشمال قد أصلحت حسب الظاهر حتى الحسا، وفي ١٤ منه صدرت الأوامر بوجوب إجراء الإصلاحات إلى شمال معان بقلع قضبان السكك من الخط جنوبيّ البلدة المذكورة (راجع الملاحظة في الفقرة ١٨)، لكن لم يتوقع إنجازها رأساً إلى معان قبل نهاية تموز/ يوليو.

٢٦ ـ في ١٧ تموز/يوليو تركّزت قوة تركية مؤلفة من رتلين في القطرانة وسمرة (بالتسلسل) لغرض العمليات العسكرية ضد مفرزة عربية في الشمال الغربي من القطرانة. وادّعى الأتراك أنهم واجهوا هذه القوة وطردوها نحو الجنوب مختلّة النظام، لكن هذا لم يؤكد. وفي هذا التاريخ وردت الأخبار مجدداً عن قضية الطعام الخطيرة في معان. بلغت الأرزاق والعلف المستهلكة يومياً إلى ثلاثة أطنان، بينما كانت القوافل الأسبوعية من جرف الدراويش قلما تحمل أكثر من تسعة أطنان. أحدث السكان قلاقل وطلبوا أن يسمح لهم بالذهاب إلى دمشق إذا لم يمكن الحصول على الطعام في معان. وعقد الشيوخ اجتماعاً واتخذوا قراراً مآله التعاون مع فيصل في حالة هجومه على البلدة. وفي ٢١ منه هجم العرب على الخط بين الجردونة ومعان وشغلوا الخط وتجهيزاته من الماء حتى مساء ٢٣ منه. وكان خسائر العدو جسيمة. وقد التحم العرب برتل إسعافهم المتقدم نحو الجردونة وأرغموه على الارتداد، ولو أن الأتراك ادعوا بإلحاقهم خسائر جسيمة بالعرب (تقاريرنا الرسمية قالت ٧٠ إصابة)، واعترفوا (الأتراك) أنفسهم بوقوع ١١ قتيلاً و٢٠ جريحاً منهم. وحيوانات النقل المعانية

التي كانت في الجردونة في ذلك الوقت تحمل الماء والتجهيزات قتلت جميعها بنار المدافع، فحرمت معان بذلك من النقليات. وفي ٢٠ و٢٣ منه قصفت معان مرة أخرى.

٢٧ - في الحجاز الجنوبي دمّر العرب ٢٥٠ من قضبان السكك وبعض الجسور وخط البرق قرب دار الحمراء في ٣ تموز/يوليو. ودمّر قطاع مهم من الخط وجسران ذوا خمس قناطر قرب هذا المكان في ٥ منه. وفي ١٠ منه فاجأ العرب مفرزة من ٥٠ تركياً فرساناً ومشاة بإمرة عبد الحميد بك المصري (الذي كان قبل ذلك ممثل الجيش الرابع لدى ابن الرشيد) كانوا في طريقهم من المدينة إلى حائل للالتحاق بابن الرشيد (راجع الفقرة ٢٤). وقد قتل أو أسر جميع أفراد المفرزة وكان عبد الحميد المصري بين القتلى. وفي ١٧ منه وصف فخري باشا وضع قواته بأنه خطير وحرج، وشكا بمرارة من الطريقة التي أهملوا بها. وارتأى أن «المدينة قد يمكنها أن تثبت إلى أوائل أيلول/سبتمبر» حين ينضج حاصل التمر الجديد الذي توقع أن يكون جيداً (٢٠٠٠٠٠٠ كيلو) لكنه «يشك في استطاعة القوة الثانية المختلطة في تبوك أن تثبت طول هذه المدة». وفي ٣١ منه قام الشريف عليّ بغارة ناجحة ضد أحد مراكز فخري باشا جنوب غربي المدينة وقتل نحو ٥٠ تركياً.

٢٨ - **في أول آب/أغسطس** وردت الأخبار بأن نشاط العرب ضد السكة الحديد شمالي معان قد استمرّ، وأعدت الترتيبات لمدّ العمليات نحو الشمال في الخريف. ولإدراك هذا الهدف كانت جماعتان من قوة الجمّالة الأمبراطورية في طريقهما إلى العقبة. وفي **٥ آب/أغسطس** كان تجمع العدو في القطرانة لا يزال جارياً. فقد نجح رتل تركي صغير مع رشاشات وقافلة مؤلفة من ٥٠ حيواناً في الوصول إلى معان حوالي نهاية تموز/يوليو. واستمر إصلاح الخط المتضرّر بين جرف الدراويش والجردونة. وقدّم قائد الجردونة اقتراحاً بالهجوم من ذلك المكان على الطفيلة لغرض جمع كميات الحبوب الكبيرة في هذه المنطقة وطرد العرب، لكن الاقتراح لم يحظ بموافقة قائد فيلق الجيش الثاني الذي طعن في أي هجوم يجري بعيداً عن السكة الحديد بأنه سابق لأوانه، وارتأى أن أهم من ذلك طرد العرب من الخط في قطاع معان

إلى عنزة. ولم تجر أية محاولة حتى الآن لإصلاح السكة الحديد جنوبي معان (راجع هامش الفقرة ١٦). وقد أنشأ الأتراك مطاراً في تبوك لغرض إرسال أدوية ونقود إلى حملة الحجاز العسكرية بطريق الجوّ. تحسّن وضع التموين في معان وقتياً بوصول قافلة من الجردونة، وفي ٢٩ تموز/يوليو قيل بوجود تموين يكفي لستة أيام، وكان لنجاح الأتراك في الدفاع عن الجردونة أثر كابح في شيوخ معان، لكن مؤامرة اشترك فيها ضباط أرمن وعرب اكتشفها الأتراك واعتقل فيها عدة رجال.

وفي ٨ آب/أغسطس استولت مفرزة قوة الجمّالة الأمبراطورية على محطة المدوّرة (راجع أيضاً الفقرة ٢٢) وقتلت ٣٥ تركياً وقبضت على ١٢٠ رجلاً مع مدفعين و٣ رشاشات.

بعد احتلال المدوّرة أخليت حارة العمارة المحطة التالية إلى الجنوب في ٩ منه. وفي اليوم نفسه قرر فيلق الجيش الثاني (التركي) القيام بهجوم في منطقة معان وأصدر الأوامر بتجميع طعام وعلف يكفي لـ ١٥ يوماً لـ ٣٠٠ رجل و٥٠٠٠ حيوان في الحسا وجرف الدراويش. وتقرر أن يكون رتل الهجوم مؤلفاً من ٢/ الـ ٧٣ و٣/الـ ٧٣ و١/الـ ٧٥ و٢/الـ ٧٥، وكتيبة بغالة من المتطوعين بينما تقوم كتيبة أخرى، وهي ١/الـ ١٢، بتعزيز حامية معان.

وفي ١٠ منه أرسل فخري باشا[1] رسالة وداع، فقد رأى، نظراً إلى سقوط المدوّرة، أن المدينة محكوم عليها بالسقوط. وفي ١١ منه تسلم ضابط المشتريات لحملة الحجاز العسكرية في دمشق أوامر بغلق حساباته والكفّ عن الشراء.

في ١٢ آب/أغسطس أتلف الشريف عبدالله بشدّة سكة الجديد بين طويرة وبير الجديد ودمّر ٢٠٠٠ من قضبان السكة وأسر ١٧ رجلاً.

وفي اليوم نفسه أرسل فخري باشا رسالة يائسة أيضاً. ارتأى أن «يلدريم» هي المسؤولة أساساً عن حالته وصرّح أنه يفضل الاستسلام أو الموت جوعاً على أن يندحر أمام العرب في المدينة. وقد قدّر أنور باشا الصعوبات التي يلاقيها فخري وارتأى أن مسؤولية فتح السكة الحديد تقع ليس على الحملة العسكرية الحجازية بل

---

(١) راجع الملحق «ك».

على «يلدريم» (جيش الصاعقة).

ووردت أخبار أن العدو يبدي اهتماماً كبيراً بحركة الإخوان[1] المتركزة في الأرطاوية، على مسافة ٥ أيام شرقي عنيزة في القصيم. ويقال إن الرجال النجديين في خدمة (الملك) حسين يعتبرهم الإخوان كفاراً، وهم ينسبون إلى حسين تأخير حجّ سنة ١٩١٨.

٢٩ ـ كان الوضع على سكة حديد الحجاز في أواخر آب/أغسطس كما يلي:

قطعت مواصلات سكة الحديد شماليّ معان مع الشمال بصورة وقتية. وكان العدو يحاول إعادة هذه المواصلات بالقوات والمواد الموجودة محلياً، وكان العدو يحاول إعادة هذه المواصلات بالقوات والمواد الموجودة محلياً، وكان يحتمل أن ينجز هدفه مع مضيّ الوقت. واستطاعوا أن يحسنوا الوضع بتسيير قوافل نقل عبر الجزء المخرب من سكة الحديد، من جرف الدراويش إلى معان.

أما في جنوب معان فالمحتمل أن مواصلات السكة الحديد قد قطعت نهائياً مع الشمال لمدة طويلة جداً، إذا لم يكن ذلك دائمياً[2]. لكن هذا لا يبرر بالضرورة توقع سقوط المدينة فعلاً، وحاميتها[3] قد احتلت الآن وظائف السكان المحليين

---

(١) راجع الفقرة ٢٣ والهامش.

(٢) راجع الفقرة ١٨ والهامش.

(٣) بالرغم من صعوبة وضعهم احتفظ الأتراك بمعنوياتهم ونظامهم إلى درجة ما. ويعود ذلك خصوصاً إلى نشاط ومقدرة قائدهم في المدينة فخري باشا، وهو تركي من المدرسة القديمة. وفي آذار/مارس ١٩١٨ حين ترك عاطف بك آمر القوة الثانية المختلطة في تبوك منصبه ومضى إلى الشمال في ظروف غريبة نوعاً ما، بذل فخري جهوده لجعله يحاكم أمام المجلس العرفي بتهمة الجبن. وفي مناسبة ترك حامية المدورة لمخفرها (راجع الفقرة ٢٢) حاكمهم فخري أمام المجلس العرفي وصدرت أحكام ثقيلة على الضباط المعنيين. في آب/أغسطس ١٩١٨ اكتشفت مؤامرة في معان اشترك فيها عدة ضباط في محاولة للاتصال مع قوات الشريف فيصل. وقد قبض على زعماء المؤامرة وأرسلوا للمحاكمة في دمشق. ولم يترك الأتراك فكرة إعادة الاتصال مع عسير حيث عزل الفيلق الحادي والعشرون. وفي آذار/مارس ١٩١٨ أصدرت الأوامر بأن هذا الفيلق المؤلف من نحو ٦ كتائب مع ٢٠ مدفعاً يجب تأليفه ليكون فيلق الجيش الثالث والعشرين. وكان ثمة دليل قوي يدل على إرسال رسل من حين إلى حين من المدينة إلى عسير. وقد قبض على واحد من أهم هؤلاء الرسل أشرف بك من قبل الشريف عبد الله في كانون الثاني/يناير ١٩١٧ مع ٢٠,٠٠٠ ليرة تركية بينما كان في طريقه إلى الجنوب عن طريق حائل.

الذين تم إخلاؤهم جميعاً تقريباً من المنطقة، وقد تستطيع المدينة إطعام نفسها من الإنتاج المحلي للحبوب والتمور لمدة غير معينة. إن العرب لن يهجموا على المدينة نفسها، لكن من الممكن أن كل المراكز والحاميات التركية الخارجية قد تسقط في أيادي العرب.

فيما يتعلق بالوضع السياسي، إن التوتر الذي خلفته قضية الخرمة قد اشتد بخبر ورد من فيلبي الذي كان مع ابن سعود مؤرخ في ٢٥ حزيران/يونيو مآله أن جماعة غازية كبيرة من الإخوان بإمرة «تركي» نجل ابن سعود قد غادرت نجداً إلى جبل شمّر في نهاية شهر رمضان. إن النزاع بين قريش[1] والجماعات الوهابية تاريخي، والحسين يرى سعوداً بصورة طبيعية أهم معارض لرفعته الشخصية ولمشروعه لتوحيد جزيرة العرب. وقد رأت حكومة صاحب الجلالة ضرورة التدخل، فأرسلت رسالة شديدة إلى الزعيمين كليهما توصي باللين وتشرح سياسة حكومة صاحب الجلالة في مصادقة كلا الطرفين. ويظهر أن هذه الرسالة حققت نجاحاً ولو مؤقتاً بتهدئة مخاوف الملك، وقدّم التأكيدات بأن سياسته في منطقة الخرمة تنحصر بإعادة النظام محلياً ولا يفكر في اتخاذ أي عمل عدائي ضد ابن سعود. ولكن في نهاية تموز/يوليو طلب فجأة أن يسمح له بالتنازل عن العرش والاعتزال مع أسرته من ميدان السياسة العربية. فأرسلت إليه حكومة صاحب الجلالة رسالة تؤكد الثقة به، وسحب طلب التنازل. وقد وعد أن يكتب إلى ابن سعود بعبارات مرضية، وكدليل على حسن نيته، عرض أن يزوره ويبحث معه شخصياً في نقاط الاختلاف.

في ٢٢ آب/أغسطس ورد الخبر بأن رسائل مؤرخة في ١٣ تموز/يوليو كتبها الشريف عبدالله إلى اثنين من شيوخ عتيبة. كانت هذه الرسائل غير ودية بالنسبة لابن سعود واقترحت تجمّع عتيبة وعشائر أخرى في آبار شذوب(؟) على مسافة يوم واحد شرقي الخرمة. كتبت هذه الرسائل بدون الرجوع إلى الملك حسين الذي طلب إليه بشدة أن يصدر تعليماته إلى الشريف شاكر بأن لا يقوم بعمل عدائي شرقيّ الخرمة، وطلب من عبدالله أن يحصر نشاطه في محاربة الأتراك.

وجاء في تقرير مؤرخ في ٨ آب/أغسطس من المستر فيلبي، الضابط السياسي

(١) راجع هامش الملحق «أ».

لدى ابن سعود، أن تدخل حكومة صاحب الجلالة كان له أثر طيِّب في ابن سعود، الذي أعرب في جواب تحريري تناول الكثير من التاريخ الحديث، عن اتفاقه الودي مع شعور حكومة صاحب الجلالة. وقد ترك تسوية كل القضايا المختلف عليها لرأي الحكومة البريطانية سواء كان في الوقت الحاضر أو فيما بعد، على أن لا يقوم أي من الطرفين خلال هذه المدة باستفزاز الطرف الآخر بأي عمل عدائي.

٣٠ ـ **العمليات في المنطقة الشمالية في ٣ أيلول/سبتمبر** غادر رتل تركي متحرك من الفرقة الـ ٦٢، مؤلف من أربع كتائب مشاة وكتيبة خيّالة، قلعة الحسا لغرض العمل في الجنوب والتحرّك وراء المواقع العربية المواجهة لمعان. وفي ٨ أيلول/سبتمبر احتل هذا الرتل الطفيلة. وفي ليلة ٧/٨ أيلول/سبتمبر خرجت الحامية للهجوم، فردّها العرب. وفي ١٣ **أيلول/سبتمبر** تحركت مفرزة مؤلفة من ٣٠٠ من مشاة جيش الشريف إلى الشوبك لاعتراض الرتل المتحرك التركي الذي يتقدم من الطفيلة، لكن الأتراك احتلوا الشوبك في **حوالى ١٥ أيلول/سبتمبر**. غير أن العدو، إزاء القوات العربية الكثيرة، أخلى البلدة حوالى **١٣ أيلول/سبتمبر**.

وفي هذه الأثناء، فيما يتعلق بهجوم الجنرال اللنبي في فلسطين، تجمّعت قوة عربية مؤلفة من ٤٥٠ جندياً نظامياً شريفياً من المشاة الجمالة، وبطارية سيارات مسلحة خفيفة، وبطارية مدافع جبلية ٦٥ مم فرنسية وجماعات تدمير من الغوركا(*)، والجيش المصري، يقودها الشريف فيصل ويرافقه الكرنل لورنس، في قصر الأزرق بتاريخ ١١ **أيلول/سبتمبر**. وفي ١٧ **أيلول/سبتمبر** كانت هذه القوة قد دمرت جسر السكة الحديد في تلّ عرار بين درعا والغزالة وأتلفت السكة إلى مسافة ٤ أميال من درعا واحتلت محطة مزيريب حيث دمّرت المحطة وخزانات الماء ونسفت جسر تلّ شهاب ودمرت السكة الحديد بيت مزيريب ودرعا وألحقت ضرراً جسيماً بالسكة الحديد بين نصيبين والمفرق. وفي ١٨ **أيلول/سبتمبر** دمرت هذه القوة محطة نصيبين وجسرها وبذلك عزلت درعا من الشمال والجنوب والغرب.

(*) الغوركا (Gurkha) إحدى الطوائف الهندوسية الحاكمة في النابال، وهم مقاتلون أشداء، جندهم البريطانيون منذ سنة ١٨١٥ في الجيش البريطاني ومقر كتيبة الغوركا هو في هونغ كونغ.
(ن.ف.ص)

نظراً إلى نجاح عمليات الجنرال اللنبي الرئيسية، قرّر الأتراك سحب حامية معان والفرقة الـ ٦٢ إلى الشمال، ولم يأت يوم ٢٣ **أيلول/سبتمبر** إلاّ واحتلت قوات الشريف معان. وفي الوقت نفسه صدرت الأوامر إلى حملة الحجاز الاستطلاعية بإشغال المدينة.

في ٢٤ منه احتل العرب الجردونة ولاحقوا الأتراك المنسحبين.

في منطقة درعا استمرت قوة فيصل على تدمير السكة الحديد، وتعاون معها الرولة والدروز. وفي ٢٥ **أيلول/سبتمبر** قدم ضابط الاستخبارات المرافق لقوة فيصل تقريراً بأن سكان حوران قد انحازوا إلى العرب. وفي ٢٦ **أيلول/سبتمبر** استولت قوة فيصل التي تركّزت شرقيّ درعا حوالي المتاعية على محطتي أزرع والغزالة، وفي ٢٧ **أيلول/سبتمبر** احتلت شيخ سعد ودرعا وأسرت نحو ١٥٠٠ أسير. ثم انضمت هذه القوة مع فرقة الخيّالة الرابعة وتحركت القوتان إلى الشمال نحو دمشق، والقوة العربية على الجناح الأيمن.

في ٢٩ **أيلول/سبتمبر** استسلمت قوة تركية، وفي ضمنها حامية معان، في زيزياء (١٨ ميلاً جنوبي عمّان).

الحجاز الجنوبي ـ في نهاية آب/أغسطس دعا الملك حسين، بناء على طلب السير ريجنالد وينغيت، فخري باشا إلى تسليم المدينة ومنحه مع جيشه صك الأمان إلى مصر.

وقد أجاب فخري الأمير علي فوراً بأنه سيقدم جوابه خلال ثمانية أيام ونقل عرض الحسين إلى أنور باشا وجيش «يلديريم». وفي ٢ **أيلول/سبتمبر** أجاب أنور فخري بأن لا يستسلم بل عليه أن يدافع عن المدينة. أما يلديريم فاقترحت في ٣ **أيلول/سبتمبر** إرسال الجواب بصيغة التحدّي.

في بداية أيلول/سبتمبر فرّ ضابطان و٣٠ جندياً إلى العرب من مشهد.

في أول **أيلول/سبتمبر** قامت مفرزة جزائرية فرنسية تعمل مع قوة الشريف عبد الله بتدمير قاطرة قطار تجهيز تركي وقتلت ١٦ تركياً وأسرت ١٠. وفي ٢ أيلول/سبتمبر فاجأت دوريّة الأمير علي شرقيّ المدينة قافلة للعدو واستولت على ٥٠٠ ليرة تركية ذهباً و٤٢٠ رأس غنم. وفي اليوم نفسه قتل في الحفيرة ٨ أتراك. وفي ٣ **أيلول/سبتمبر** قتلت قوات عبد الله ٩ أتراك آخرين وأسرت ٤٣، وبعد

ذلك قتل في عملية الدورية قرب البدايع ٦ أتراك واستولى على ٢٥٠ رأساً من الغنم.

في ٢١ **أيلول/سبتمبر** ورد تقرير غير مؤرخ من الشريف عبد الله مآله أنه دمّر قطاعاً واسعاً من السكة الحديد إضافة إلى قاطرة و٤ شاحنات، ولم يعط أي تاريخ أو موقع، لكن تقريراً تالياً صرّح بأن ٧٠٠ قضيب سكة حديد دمّرت قرب طويرة وقتل ١٨ تركياً وأسر ٧.

وفي أواسط أيلول/سبتمبر عزّزت منطقة تبوك بإرسال قوة تركية تتضمن ٢٠٠ جماعة جمّالة من المدينة.

في ٢٤ **أيلول/سبتمبر** أخبر السير ر. وينغيت بأنه، بنتيجة النجاح البريطاني في فلسطين، حثّ الملك حسين مرة أخرى على محاولة الحصول على استسلام المدينة، وكتب هو نفسه إلى فخري باشا ضامناً حسن المعاملة وسلامة النقل للحامية التركية.

٣١ـ شؤون سياسية ـ حسين: في ٢٨ آب/أغسطس اقترحت وزارة الخارجية على السير ر. وينغيت أنه قد يحصل خير كثير إذا أمكن ترتيب اجتماع بين حسين وابن سعود يتمّ بإدارة جيدة، وارتأت تأليف لجنة بريطانية قويّة ومحايدة للنظر في خلافاتهما محلياً، ودعوة حسين و(ابن) سعود للاجتماع بهذه اللجنة في محل مناسب، وإذا أمكن، محايد.

في ٤ **أيلول/سبتمبر** أجاب السير ر. وينغيت أنه لا يرى فائدة في مثل هذه اللجنة التي سوف تجد نفسها متدخلة في متاهة من السياسة العشائرية والخلافات المذهبية، وأن انسحاب الملك حسين من الإدارة الشخصية لشؤون الحجاز خلال المدة اللازمة لإنجاز الاجتماع مع ابن سعود قد يؤدي إلى مخاطرة شديدة.

في ١٠ **أيلول/سبتمبر** اقترحت وزارة الخارجية بديلاً وهو أن يلتقي الشريف عبد الله بأحد أخوة ابن سعود، وقد أبلغ هذا الاقتراح إلى الملك حسين. وفي ٢٣ **أيلول/سبتمبر** أخبر السير ر. وينغيت أن الملك حسين لا يحبذ الاجتماع، لكنه أعرب عن استعداده لاستقبال أخي ابن سعود، ولم يذكر أية إشارة إلى حضور ممثلين بريطانيين في المقابلة. وأعرب الملك حسين بصراحة عن كرهه لمذهب الإخوان الذي وصمه بأنه جمعية سياسية تعمل تحت ستار الدين للإضرار بالمصالح العربية. وارتأى السير ر. وينغيت أيضاً أن الانتصارات في فلسطين قد زادت من

احتمال سقوط المدينة، ولذلك لم يكن في الإمكان سحب الشريف عبد الله من مركزه على السكة الحديد في الوقت نفسه.

وخلال شهر أيلول/سبتمبر بقي وضع الخرمة هادئاً. وفي ١٥ منه أخبر السير ر. وينغيت بأنه، حسب آخر الاستخبارات، عسكر الشريف شاكر وقوته البالغة نحو ٢٠٠٠ رجل على مسافة غربيّ الخرمة. وكان أهالي الطائف خائفين وأبدوا بعض الميل للانتقال إلى مكة. وكان الرأي المحلي أن قوة شاكر تبقى في موقف الدفاع، وكان السير ر. وينغيت يرى أن الحسين، ملتزماً باحتجاجاتنا، ومقدراً لخطر التعقيدات، قد أصدر تعليماته بصورة خصوصية إلى شاكر بأن لا يفرض تسوية بالقوة. وارتأى السير ر. وينغيت أيضاً أنه لا حسين ولا ابن سعود لهما تأثير كبير على أهالي الخرمة الذين، كما ادّعى الأول، هم الوسطاء في الاتصالات مع العدو بين المدينة وعسير واليمن.

٣٢ ـ **ابن سعود** ـ في شهر أيلول/سبتمبر كان الموقف تجاه الملك حسين وقضية الخرمة أخفّ قليلاً بسبب الرسالة التي أرسلتها حكومة صاحب الجلالة إلى ابن سعود في ١٥ آب/أغسطس. وكانت هذه الرسالة كما يأتي:

(١) إننا نعترف بواجبنا في استعمال كل ما في استطاعتنا من تأثير لمنع التجاوز على أراضي ابن سعود. لكننا نشعر أنه ليس في الإمكان اتخاذ القرار عن مزايا الحالات الفردية حتى يجري البحث في الحدود الصحيحة لأراضيه وتقريرها حسب نصّ المعاهدة.

(٢) أعطانا الملك حسين تأكيدات شديدة بأن عمله ضد الشيخ الثائر الأمير خالد حاكم الخرمة، هو عمل محلي وليس موجهاً ضد ابن سعود، وأنه ليس لديه أية خطط عدائية ضد هذا الأخير.

(٣) إن الملك حسين يكتب رسالة ودية إلى ابن سعود ويظهر أنه شديد الرغبة في المصالحة. وتشعر حكومة صاحب الجلالة أن هذه المصالحة تكون ذات فائدة عظيمة للطرفين، والعرب عموماً. وقد عرض الملك حسين أن يزور ابن سعود بنفسه لغرض المباحثة في هذه المصالحة.

(٤) إن حكومة صاحب الجلال مستعدة لتقديم مساعيها الطيبة إلى الطرَفين في سبيل هذه المصالحة وإجراء تسوية ودية لمصاعبهما القائمة، لكنها لا

تستطيع إلاّ أن تشعر أن وقت الحرب والتوتر الحاضر غير صالح لإجراء تسوية نهائية لقضايا معقدة مثل التعيين الصحيح للحدود.

(٥) وفي الوقت نفسه يجدر بكل الزعماء العرب أن يتّحدوا ضدّ العدوّ المشترك، وأن يتحلّوا في معاملاتهم بعضهم لبعض بالصبر والتصالح ويبذلوا كل الجهود لجعل الخلافات محلية.

(٦) سوف نعدّل ترتيبات الحصار بشكل يكون مقبولاً لدى ابن سعود. وإذا لم نتمكن من القيام بذلك فإننا لن نعتبره مسؤولاً عن تسرّب التجهيزات.

(٧) سوف نؤكد أن موارد ابن سعود المادية لا تتضرّر بسبب أية معارك يقوم بها بالنيابة عنّا.

قدّم هذه الرسالة المستر فيلبي إلى ابن سعود في ٢٧ آب/أغسطس وأجاب ابن سعود في اليوم التالي تحريرياً للمستر فيلبي. وقد ارتضى ابن سعود الفقرات ١ و٤ و٥ و٦ و٧.

وبالإشارة إلى الفقرة (٢) اعترض بشدة على السماح للملك حسين بالهجوم على الخرمة وأشار إلى أنه حتى إذا سحب اعتراضه هو نفسه فإن أهالي نجد لن يقبلوا الوضع. وقد تنصّل على وجه التخصيص عن المسؤولية إذا سمح للقضية أن تتطور.

وفيما يتعلق بعرض الملك حسين لزيارته (الفقرة ٣) أعرب ابن سعود عن تقديره وشكره وأبدى استعداده للاجتماع بالملك. لكنه يشك فيما إذا كان هذا العمل من جانب الملك لا يتخذ ستاراً لجمع القوات بهدف تحوّل تالٍ ضد الخرمة. ولذلك رغب ابن سعود أن توضع الشروط التالية للزيارة:

(أ) أن يأتي الملك مع أتباع قليلين يكونون لازمين للمحافظة على كرامته.

(ب) أن يرافقه ضابط بريطاني مسؤول.

٣٣ ـ فيما يتعلق بهجوم ابن سعود على حائل[1]، ورد الخبر بأن قوة قوامها

---

(١) يجب أن نتذكر أن كل الأخبار إلى المستر فيلبي ومنه، مع ابن سعود، تستغرق أسبوعين على الأقل للوصول إلى المحل المقصود.

٧٠٠٠ رجل راكبين مع مدافع قد وصلت إلى بريدة حتى ٢ أيلول/ سبتمبر. ولكن ظهر أن هذا الخبر مبالغ فيه لوصول ابن سعود نفسه إلى تلك البلدة. وفي ٢ أيلول/سبتمبر أبرق نائب الملك (في الهند) بأن ابن سعود مرتاب في صدقنا ومتألم من قضية الخرمة ومنزعج لأن الألف بندقية «ونشستر» المرسلة إليه لحملته على حائل قد ظهر أنها غير صالحة للاستعمال. وخشي نائب الملك أن ابن سعود، وهو في هذه الحالة الذهنية، وقد تسربت إليه أخبار نجاحنا في الغرب ببطء، فقد يخرج عن ولائه لنا، فإمّا أن يصالح الأتراك وينضم إلى ابن الرشيد ضد الملك حسين أو يرفع لواء الوهابية ويقدم على حملة خاصة به ضد الحجاز. وطلب نائب الملك أن يعطى ١٠٠٠ بندقية جيدة لتحل محل الألف بندقية «ونشستر» العاطلة.

أجاب الوزير في ١٣ أيلول/سبتمبر أن حكومة صاحب الجلالة، بعد أن نظرت في الموضوع، قررت بالاتفاق مع وزارة الحربية أن يستبقى ابن سعود ساكناً على قدر الإمكان ويمنع من النشاط العسكري أو العمل الهجومي في أية جهة، ولهذا السبب لا ترى زيادة قوة أسلحته أو تشجيعه على مهاجمة ابن الرشيد في الوقت الحاضر. وهو قد يعطى أو لا يعطى ١٠٠ بندقية صالحة كهدية أخرى.

في ١٥ أيلول/سبتمبر، بالنظر إلى تغيّر السياسة بشأن هجوم ابن سعود على حائل، ذلك الهجوم الذي كان المستر فيلبي، على صلة صميمة به، أوصى رئيس الضباط السياسيين في بغداد بأن يسمح للمستر فيلبي بأن يذهب بالإجازة، وأن يحل محله موظف يعينه المندوب السامي في القاهرة، ولو أن شؤون ابن سعود يستمر النظر فيها عن طريق بغداد. وفي ٢١ أيلول/سبتمبر أرسل تقرير من بغداد مآله أن ابن سعود، في ٩ أيلول/سبتمبر، قد رفض رفضاً قاطعاً السماح للمستر فيلبي أن يرافق حملته ضدّ عسير.

٣٤ ـ **وضع العجمان والكويت** ـ (راجع الملحق ط). في ٢٧ آب/أغسطس أبرق نائب الملك (في الهند) إلى بغداد مبدياً موافقته على مقترحات السير برسي كوكس لمعالجة موضوع حصار الكويت وغارات العجمان، ومفترضاً أن الترتيبات تجري مع القائد العام للقوة «د» لإنشاء مركز بريطاني في صفوان.

في **أول أيلول/سبتمبر** كتب المستر فيلبي أن اهتمام ابن سعود قد تحوّل في الوقت الحاضر تجاه العجمان.

وفي نفس الوقت غادر السير برسي كوكس بغداد لتسلم منصبه الجديد في طهران، وخلفه بصورة مؤقتة الكابتن ويلسن بصفة رئيس الضباط السياسيين في بغداد. وأبرق هذا الأخير في **١٦ أيلول/سبتمبر** أن القائد العام للقوة «د» لا يرغب، لأسباب عسكرية، في إنشاء مركز صفوان وأن نائب المندوب المدني في البصرة، بعد المداولة مع كبار رؤساء العجمان والشيوخ الآخرين، يرتاب في قيمة هذا المركز، ويتفق الكابتن ويلسن معه في هذا الرأي. وأوصى مرة أخرى بأن يرسل فوراً إلى الكويت نصف كتيبة مشاة وسريّة خيّالة على أن تؤخذ هذه القوة من مصدر غير القوة «د».

في **١٩ أيلول/سبتمبر** سئل نائب الملك هل لا يزال يؤيد مقترحات السير برسي كوكس بالنظر إلى الأسباب المتقدم ذكرها وهل يمكنه ترتيب القوة اللازمة للكويت.

في **٢٢ أيلول/سبتمبر** أوصى رئيس الضباط السياسيين في بغداد بأن أي قوة عسكرية ترسل إلى الكويت يجب أن توضع في بندر الشويخ على بعد نحو ٣ أميال غربي الكويت. إن وجود القوة هناك يرمي إلى:

(١) حثّ شيخ الكويت على المحافظة على حصار فعّال ومساعدة الضابط السياسي المحلي في جهوده في هذا السبيل.

(٢) التأكيد لابن سعود بأننا نبذل جهودنا حسب الخطوط المشروحة أعلاه وتشجيعه على ترك الأمر لنا لتسوية خلافاته مع الكويت التي أخذت تصبح أكثر شدّة.

لم يكن رئيس الضباط السياسيين يحبّذ أشغال الجهرة ولا صدّ غارات العجمان بواسطة القوة العسكرية. وقد ارتأى أن شكاوى ابن سعود عن هذه الغارات قد ضخمها هو نفسه لأغراضه الخاصة. والآن، وقد قررت حكومة صاحب الجلالة ضدّ استمرار العمليات ضد حائل، فلم يبق سبب لتدخلنا بين ابن سعود والعجمان.

وفي نفس اليوم أبرق رئيس الضباط السياسيين بأن المستر فيلبي قد أخبر بأن

الضباط السياسيين في العراق لا يرون أن العجمان يمكن السيطرة عليهم بمركز عسكري في صفوان أو بأخذ الرهائن أو بتهديدات من ابن سعود لرفض التجهيزات. وقد صرّح كبار الشيوخ عدم إمكانهم ضدّ اتباعهم. وقد أنذروا بأنه إذا استمرّت الغارات فإن إعاناتهم البريطانية الضئيلة توقف نهائياً، ولكن عدا ذلك لا يفكر في اتخاذ أي عمل آخر. ولذلك فابن سعود حرّ في أن يتخذ الإجراءات ضد العجمان بشرط عدم تعرض سلامة سكة حديد البصرة ـ الناصرية للخطر وعدم إجراء معارك مع إمارة الكويت. وأخبر المستر فيلبي أيضاً أن هذا يكون هدفاً مناسباً لنشاط ابن سعود عوضاً عن حائل.

في ٢٦ **أيلول/سبتمبر** أبرق رئيس الضباط السياسيين قائلاً إن النجاحات الأخيرة في فلسطين سوف تجعل الحصار في الكويت بعد مدة قليلة غير ضروري، وأنه في هذه الظروف يمكن تأجيل إرسال القوات إلى الكويت بصورة ملائمة.

الملاحـــــق

الملحق (أ)
الملك حسين

الشريف حسين بن علي حفيد عبد الإله(*) أول أمير (توفي سنة ١٨٥٨) ومن قبيلة قريش(١) عينه أميراً لمكة الصدر الأعظم التركي المحب لبريطانية كامل باشا سنة ١٩٠٨ بعد إقامة طويلة في الآستانة. عين الحسين بوصفه رجلاً مسالماً يحتمل أن يخدم أغراض الباب العالي (الحكومة التركية) وفي الوقت نفسه يحافظ على الصلات الطيبة معنا. وفي سنة ١٩١٠ حمل السلاح بالنيابة عن الأتراك ضد ثورة عسير بزعامة الإدريسي ونجح في استخلاص «أبها» وخفض قوة الإدريسي بصورة جدية. وفي السنة نفسها أرسل حملة عسكرية إلى القصيم لتأمين حقوق عتيبة. ومع أنه، بسبب تخلف ابن الرشيد، اضطر إلى الانسحاب مرتضياً ترتيباً مع ابن سعود تكون عتيبة بموجبه معفاة من دفع الضرائب إلى هذا الأخير، وخزانة مكة وطدت حقها فقط في الحصول على إعانة كبيرة من القصيم، فإن نفوذه قد امتدّ إلى جزيرة العرب الوسطى.

لكن الحسين، بتشجيع من ابنه الثاني(٢) والمشهور أنه خَلَفَه المعينّ عبد الله، قد تبنّى منذ البدء تصميماً لتحرير إمارة مكة من اعتمادها على الباب العالي. على الرغم من أنه، فيما يظهر لم يكن راغباً في الخلافة، فيقال إن عبد الله كان يطمع بها. وقد هيأت له حملاته المبكرة لمصلحة العثمانيين فرصة تنظيم قوة بدوية يستطيع استخدامها عند الحاجة. ومنذ عام ١٩١٣ بدأ الشريف يتبع سياسة معارضة للعثمانيين، معارضاً مد سكة حديد الحجاز، وداعماً رجال عشيرة حرب في

(*) الأمير الذي توفي في سنة ١٨٦٨ هو محمد بن عون وليس عبدالإله.

(١) قريش ـ هي القبيلة التي انحدر منها النبي محمد ﷺ، وشريف مكة يكون دائماً من آل قريش، ولكن منذ انقراض الخلافة العباسية تولى سلاطين تركية منصب الخلافة (كذا) ولو أنهم ليسوا من هذه الأسرة.

(٢) أولاد الملك حسين بترتيب ميلادهم هم علي وعبدالله وفيصل وزيد.

مقاومة هذا المشروع وسائر المشروعات التركية. ومنذ نشوب الحرب الحاضرة رفض بثبات مساعدة الأتراك لتجنيد أهل الحجاز، لكنه لم يستطع إلاّ التنازل بالسماح لابنه علي بتجنيد كتيبة غير نظامية من البدو في المدينة للخدمة في سيناء. واستمر على تنظيم العشائر الحجازية التي اعترفت بسلطته رامياً إلى التمرد في الوقت المناسب، وتصالح مع الإدريسي[1] محاولاً أن يتفق معه ومع يحيى إمام اليمن في هدف مشترك ضد العثمانيين. وقد أرسل ابنه الثالث فيصل إلى الآستانة في أوائل سنة ١٩١٥، وعند عودته إلى سورية اتصل بالوطنيين العرب. ومع أن سياسة فيصل وأعماله في ذلك الحين لم تكن واضحة فالظاهر أنه دعم تصاميم والده بنشر التذمر. وقد أرغم على مرافقة أنور باشا إلى المدينة في شباط/فبراير ١٩١٦، لكنه عاد إلى سورية لمواصلة ذلك العمل. وفي سنة ١٩١٥ أرسل عبد الله الابن الثاني إلى جزيرة العرب الوسطى لمصالحة أميري حائل والرياض وتشديد مطالب الخزانة المكية على القصيم والسدير. لكن هذا الصلح لم يراع من الجهتين على السواء لمدة طويلة (راجع الملحق ب).

ولم يحل ربيع سنة ١٩١٦ حتى أصبح الحسين القوة الحقيقية في الحجاز، مع نفوذ واسع في الخارج يمتد من عسير إلى وادي بيشة، وإلى الشمال إلى عشائر عنزة الجنوبية. في مكة والمدينة كلتيهما (في المدينة وضع ابنه البكر علي ممثلاً له) خفض سلطة تركية إلى الحضيض، وحتى في جدة مارس وكلاؤه أعظم النفوذ. لكن الباب العالي احتفظ بحامياته، على الرغم من الانقطاعات الوقتية لمواصلات السكة

---

(١) الإدريسي - بعد ضغط شديد ومساعدة بالعتاد والمال شرع الإدريسي بالعمل ضد الأتراك في أوائل سنة ١٩١٨، وفي شباط/فبراير نجح في احتلال اللّحيّة والأتن. في نيسان/أبريل جمع الأتراك رجالاً من جميع الأنحاء وتقدموا على موقعه شرقيّ البلدتين المذكورتين ودحروا قواته، لكنهم في ذلك الحين لم يستطيعوا تتبع نجاحهم. وفي ٧ حزيران/يونيو هجموا مرة ثانية وفي ٨ منه استولوا على بعض القرى الخارجية. وفي ١٠ منه احتلوا الأتن، وهي قرية مهمة فيها مصدر الماء الرئيسي للّحيّة، وقد أخلتها قوات الإدريسي بدون إطلاق رصاصة. وبنتيجة فقدانه لمصدر الماء أجبر الإدريسي على إخلاء اللّحيّة بعد أيام قليلة، وقد فعل ذلك بخسارة بضعة مدافع، ومنها ما جعل غير صالح للاستعمال من قبل جماعة نازلة من البحرية البريطانية. وانسحب الإدريسي إلى هبل على بعد ٣٠ ميلاً شمالي لحيّة، وارتئي عدم إمكانه القيام بعمليات هجوم جديدة لبعض الأمد. وفي تموز/يوليو هجم الأتراك على قوات الإدريسي قرب ميدي، لكن الهجوم ردّ بخسائر عظيمة. ثم تجمعت قوات الإدريسي وتقدّمت إلى الجنوب نحو اللّحيّة فاحتلّت البلدة في ١٣ أيلول/سبتمبر كما احتلّت الأتن وغندا. وفي ٢٥ أيلول/سبتمبر قيل إن الإدريسي أخلى اللّحيّة نظراً إلى صعوبات تجهيز الماء، لكنه لا يزال يشغل الأتن وغندا.

الحديد، وتحت حمايتها احتفظ الموظفون العثمانيون بمناصبهم. في أيار/مايو ١٩١٦ فرضت السلطات البريطانية حراسة بحرية شديدة على سواحل الحجاز في سبيل دعم الأمير، لأجل أن تثبت للعرب النتائج التي لا مناص منها لاستمرار الخضوع للاحتلال العثماني. وفي أوائل حزيران/يونيو نشب تمرّد العشائر من جهينة في الشمال إلى حدود عسير في الجنوب، ويضمنها حرب وعتيبة، بقيادة الأمير وأولاده.

في ٢ محرم(٢٩ تشرين الأول/أكتوبر ١٩١٦) تسلم الكرنل ويلسن رئيس ضباط الحج في جدة برقية أرسلها الشريف عبد الله بصفته وزير الخارجية، يخبر حكومة صاحب الجلالة بأن الشريف حسين بن علي قد اعترف به في ذلك اليوم مجمع العلماء في مكة و«وفقاً لرغبة الأهلين» ملكاً للأمة العربية ورئيساً دينياً «حتى يكون المسلمون على رأي واحد حول الخلافة الإسلامية». وتسلم الكولونيل بريمون، رئيس البعثة الفرنسية في جدة، برقية مماثلة. وقد اكتفى هو وممثلنا (كرنل ويلسن) كلاهما بالاعتراف بالتسلم، ومضيا فوراً لطلب التعليمات كل من حكومته. وعُلم بعد ذلك أن البعثة الإسلامية الفرنسية في مكة دعيت إلى المجمع الذي جرت فيه البيعة، لكنها لم تخبر سلفاً بغرض ذلك الاجتماع.

ولو أن الشريف عبد الله، في محادثة مع المستر ستورز قبل ذلك في شهر تشرين الأول/أكتوبر، فتح بصورة تجريبية قضية تقلّد والده لقباً أرفع من لقب الأمير، فإن هذا الإعلان النهائي قد روّع أولئك الذين كانوا مهتمين بشؤون الحجاز، وطلب من الكرنل ويلسن أن يفهم من الشريف عبد الله أسباب اتخاذ هذه الخطوة. وفي الوقت نفسه أعلمت حكومة صاحب الجلالة أن حكومات الحلفاء وبعض الدول المحايدة التي أبلغت مباشرة بالإجراء المذكور برقياً (ذكر في البرقية لقب الملك فقط ولم يشر إلى السيادة الدينية) أخبرت أن «التتويج» سوف يتم في ٤ أو ٥ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩١٦.

إن الأسباب التي أبداها عبد الله والأمير (حسين) كانت كما يلي بإيجاز:

(١) إن الاعتراف باللقب الجديد من جانب حكومة صاحب الجلالة سوف يبرئنا، بنظر العرب، من أية ريبة في وجود مخططات على الأماكن المقدسة، وبذلك يحرر أيدينا لإرسال جيوش لمساعدة الملك.

(٢) كل الحجاز رغب في ذلك كدليل على الاستقلال، فهو بهذه الصورة

يساعد القضية العربية عموماً.

(٣) كان من المرغوب فيه أن يكون النظام الجديد في مكة متميزاً عن حالة التبعية السابقة للأتراك، وتأكيد العودة إلى الحالة السابقة لاستقلال الشريف. والأمير لم يقصد أن يكون لقبه الجديد يعني أية سيادة على الأمراء العرب الآخرين أو التدخل في شؤونهم، وهو يلتزم بكل إخلاص باتفاقياته مع بريطانية العظمى. وإذا كان لهذه الأخيرة أي شك في حسن نيّته فإنه يثبتها بعدم الإلحاح في طلبه.

كان هناك اعتراضات واضحة على اعتراف حكومة صاحب الجلالة بـ «ملك للأمة العربية» بينما كانت هذه الأمة لا تزال في حالة التكوين، والأمير الذي يدّعي بهذا الاعتراف لا يزال بعيداً عن تحقيق ادعائه. ولم تكن معاهداتنا واتفاقياتنا الفعلية مع سائر الأمراء العرب مانعاً فحسب، بل لم يكن من الصحيح أن يتوقع منّا أن نعطي ما هو فعلاً صكاً مفتوحاً عن التنظيم السياسي لجزيرة العرب في المستقبل. وقد شعرت حكومة صاحب الجلالة أن هذا اللقب أمر يجب المراجعة فيه مع حلفائنا (وخصوصاً الحكومة الفرنسية) قبل التمكن من إعطاء اعتراف رسمي بعبارات جليّة، يضاف إلى ذلك أن صلاتنا بسائر الأمراء والشعوب الإسلامية لا بدّ أن تُراعى بكل عناية، فأصدرت تعليماتها إلى الكرنل ويلسن بأن يكتفي بإرسال برقية تهنئة إلى الشريف حسين. وأخيراً كان اللقب الذي اعترفت به حكومة صاحب الجلالة، بعد المباحثة مع حلفائها، هو «ملك الحجاز» والحسين لا يخاطب بـ «صاحب الجلالة» بل بـ «صاحب السيادة».

في كانون الثاني/يناير ١٩١٨ أثار الملك حسين مرة أخرى قضية لقبه وطلب اعتراف حكومة صاحب الجلالة بلقب «ملك العرب»، مصرّحاً أن هذا الاعتراف يفيد قضيته ويساعد على دحض دعاية العدو بشأن أهداف الضمّ التي لدول الحلفاء في البلاد العربية. وفي أوائل شباط/فبراير أجابت حكومة صاحب الجلالة على هذا الطلب قائلة إنها تأثرت كثيراً باستعداد الملك حسين وصراحته إذ أرسل إلى المندوب السامي في مصر رسالة من جمال باشا (الأول) إلى الشريف فيصل وجعفر باشا (راجع الملحق د)، وأن سياسة حكومة صاحب الجلالة وحلفائها هي دعم قضية تحرير الأمم المضطهدة، وهي معتزمة أن تقف إلى جانب الشعوب العربية في كفاحها لإعادة بناء العالم العربي كي يحل فيه القانون مرة أخرى محل العنف العثماني. لكن السؤال الفعلي موضوع البحث قد أهمل.

وفيما يتعلق برسال جمال (الأول) إلى الملك حسين، يظهر أنه ليس ثمة من شك في أن الأتراك ما زالوا، منذ نشوب الثورة العربية فعلاً، يرسلون الرسائل إلى حسين وأبنائه. ولا يعلم هل وصلت الرسائل إلى المحل المقصود أم لم تصل، لكن أولى المعلومات التي تسلمتها السلطات البريطانية عن هذه المراسلات كان في كانون الثاني/يناير ١٩١٨ حين أرسل حسين إلى المندوب السامي في القاهرة الرسائل الآنف ذكرها الواردة من جمال باشا (الأول). وقد ترك الحسين الجواب إلى المندوب السامي، لكنه أخبر ولده فيصل أن الجواب الرسمي إلى الأتراك يجب أن يكون أن السيف هو الحكم الوحيد بين العرب والأتراك.

في حزيران/يونيو ١٩١٨ أخبر حسين المندوب السامي أن رسولاً حاملاً رسالة من جمال (الثاني) قد وصل إلى مقرّ فيصل مصرّحاً أن الكاتب قد تسلم تعليمات من حكومته بالاتصال بالعرب وقبول «الطلبات العادلة» منهم. وقد أبرق الملك حسين إلى فيصل يأمره بالجواب بنفس المعنى في مناسبة مبادرات الصلح السابقة، أي أن «السيف يجب أن يقرر». لكن هناك دليلاً لا يدحض بأن الشريف فيصل أجاب على هذه الرسالة فوراً وكان مستعداً للدخول في «محادثة» مع جمال (الثاني). وقد يدلّ هذا على الرغبة في كسب الوقت لا غير.

في حزيران/يونيو ١٩١٦ أصدر الباب العالي بياناً (فرماناً) بعزل الشريف حسين من إمارة مكة، وفي أول تموز/يوليو عيّن في محله الشريف علي حيدر (من أسرة عبد المطلب الأمير سنة ٥١ ـ ٨٥٦ و٨١ ـ ١٨٨٢ ومن فرع ذوي زيد المعادين للعبادلة، وهم فرع الحسين). ذهب علي حيدر إلى دمشق حيث اهتم بصورة رئيسية بأعمال الدعاية، ثم ذهب إلى المدينة حيث وصل في ٢٦ تموز/يوليو ١٩١٦. وفي ٩ آب/أغسطس أصدر بياناً انتقادياً طويلاً عنيفاً ضد حسين لأنه خلع النير التركي. وفي ١٣ آب/أغسطس كتب إلى ابن سعود يحثّه على اتخاذ إجراءات ضد الشريف حسين.

في تشرين الثاني/نوفمبر ١٩١٦ زار المدينة وفد علماء من الآستانة.

في أوائل آذار/مارس ١٩١٧ غادر علي حيدر المدينة مع أولاده الثلاثة واستطاع العودة إلى دمشق.

وفي نحو نيسان/أبريل ١٩١٨ وردت معلومات عن تفكير الأتراك في إيفاد بعثة خاصة إلى الملك حسين على أن يكون رئيسها شيخ الإسلام السابق أو الحالي.

وكان يُفكّر أن تذهب إلى المدينة وتحاول من هناك الاتصال بمكة وتقديم بعض المقترحات إلى حسين باسم الإسلام. لم تعر السلطات البريطانية هذه البعثة أهمية كبيرة، لأنه تحقق، بالنظر إلى حالة السكة الحديد، أنها لن يكون لها حظ المرور، ويعتقد أنه لم يذهب أيّ عضو إلى أبعد من درعا. وقد عاد شيخ الإسلام إلى بلاده. ومرض مفتي دمشق الأكبر، الذي كان عضواً في البعثة والذي يحتمل أنه يعلم أكثر من زملائه عن حالة السكة الحديد، في الوقت المناسب ولم يحاول أن يبدأ رحلته إلى الجنوب.

الملحق (ب)
ابن سعود أمير نجد

أسست إمارة نجد حوالي سنة ١٧٤٥ أسسها محمد بن سعود الذي يقال إنه من عشيرة (الحساتة) من عنزة ومن سلالة شريفة(*). وقد كان أول رجل مهم اعتنق مبدأ محمد بن عبد الوهاب المحيي الزاهد من حريملة (عيينة)، وبسيفه نشرت الوهابية في واحات نجد.

قام ولده عبد العزيز وحفيده بنشر فتوحاته الدينية بعيداً. وبين ١٧٨٤ و١٨٠٤، تحت حكم عبد العزيز، جدّ ابن سعود، نهب الوهابيون العراق وكربلاء وفرضوا الإتاوة على البحرين، وهددوا عمان، واحتلوا مكة وطهروها، ونهبوا المدينة، وطردوا ممثل تركية. وكان نهب الحديدة في الجنوب أبعد ما وصلت إليه قوة الوهابيين، لكن في سنة ١٨١٠ خرّب الجيش الوهابي حوران وكاد يصل إلى دمشق بينما وصل عبدول (كذا والمقصود عبد الله) بن سعود في غزواته إلى بغداد تقريباً.

ولما مات سعود سنة ١٨١٤ كان قد أصبح معترفاً به (أميراً) في كل أنحاء

(*) هو محمد بن سعود بن محمد بن مقرن بن مرخان من بني مانع المنسوب إلى مرة بن ذهل بن شيبان، من عدنان، وقد توفي سنة ١١٧٩ هـ (١٧٦٥ م)، وهو أول من لقب بالإمامة من آل سعود في نجد، وكان مقامه بالدرعية. وولِيَ الإمارة بعد وفاة أبيه بسنتين (أو بأربع سنين) وذلك في سنة ١١٣٩ وقويت شوكته بعد ذلك (الاعلام للزركلي، ج ٧ الطبعة الثالثة ـ بلا تاريخ ـ ص ٩).

جزيرة العرب تقريباً، عدا اليمن والمناطق التي تقع جنوب الصحراء الكبرى.

التفت الأتراك عند ذلك إلى العائلة الخديوية للمساعدة، فصدّت الانتصارات السعودية بسلسلة من الحملات العسكرية من مصر يقودها إما محمد علي نفسه أو ولداه طوسون وإبراهيم باشا. ولكن في سنة ١٨١٧ اجتاح إبراهيم القصيم، وفي سنة ١٨١٨ أسر الأمير الوهابي عبد الله بن سعود وأرسل إلى الآستانة حيث أعدم. وأنشئت السلطة الوهابية في الرياض سنة ١٨٤٣، لكن القوات التركية أعادت احتلال الحسا وقبل عبد الله بن فيصل بن سعود لقب قائمقام نجد.

إن أساس قوة أمير نجد ديني وزمني على السواء. ويعترف به مدافعاً عن الوهابية، ويحكم أهالي أكثف مناطق جزيرة العرب سكاناً من المتوطنين.

خلال القرن الماضي دار تاريخ جزيرة العرب الداخلية حول التنافس بين أمير شمالي نجد وأمير جنوبيها، ابن الرشيد وابن سعود. ولما كان عبد العزيز الممثل الحالي للأسرة السعودية حدثاً في الخامسة عشرة بلغت قوة ابن الرشيد القمة. فالأمير محمد الكبير (راجع الملحق ج) طرد آل سعود إلى المنفى واحتل عاصمتهم الرياض. وقد تجوّل ابن سعود ١١ سنة في المنفى طالباً ملجأ في أحد الأوقات في البادية السورية في مخيمات عشيرة عنزة الكبرى التي يدعي الانتساب إليها، ولكن في سنة ١٩٠٢ أتاح شيخ الكويت للأمير الشاب فرصته لاستعادة عاصمته. فاجأ ابن سعود، بقوة نحو ٨٠ من الهجانة جهزتهم الكويت، حامية آل الرشيد في الرياض وأعلن ملكه من البلدة المعاد احتلالها. وفي ملاحم تجددت سنة بعد أخرى، استعاد ابن سعود أقاليم أجداده، وفي سنة ١٩١٣ استولى على مقاطعة الأحساء التركية التي كانت في السابق تابعة للرياض وطرد الحامية العثمانية ووطّد حكمه على ساحل الخليج الفارسي [العربي]. لكنه في أيار/مايو ١٩١٤ قبل لقب والي نجد. وكان آنذاك على صلة صداقة شخصية مع الكابتن شكسبير الوكيل السياسي البريطاني في الكويت. وفي شتاء ١٩١٤ ـ ١٩١٥ ذهب الكابتن شكسبير مرة ثانية إلى نجد وانضمّ إلى ابن سعود الذي كان يتقدم إلى الشمال لصدّ هجوم ابن الرشيد الذي دفعه ودعمه الأتراك. وقد التقت القوتان في أواخر كانون الثاني/يناير في معركة غير حاسمة قتل فيها الكابتن شكسبير ولو أنه كان حاضراً بصفة غير محارب.

في ٢٦ كانون الأول/ديسمبر ١٩١٥ عقد ابن سعود معاهدة مع الحكومة

الهندية أبرمت في ١٨ تموز/يوليو ١٩١٦.

وعند نشوب ثورة الشريف في صيف ١٩١٦ كتب ابن سعود قائلاً إنه يرى القضاء على ابن الرشيد ومحو اسمه. في أيلول/سبتمبر ١٩١٦ كان ابن سعود إما غير قادر أو ربما غير راغب في مهاجمة حائل دون مساعدة، أو ربما كان يراعي معاهدته المعقودة مع الأتراك في أيار/مايو ١٩١٤. وفي ١١ تشرين الثاني/نوفمبر اجتمع السير برسي كوكس بابن سعود في العقير. وقد أشار ابن سعود إلى عدم إمكان التعاون مع الشريف على مستوى واسع، لكنه على استعداد لإرسال أحد أولاده مع رجال قلائل علامة تعاطفه مع قضية الشريف. وإذا نال بعض المساعدة فهو مستعد للتظاهر ضد ابن الرشيد. ورافق ابن سعود السير برسي كوكس إلى البحرين والكويت حيث قلّد وسام قائد الأمبراطورية الهندية (K.C.I.E.) في ٢٠ كانون الأول/ديسمبر وألقى خطبة حماسية مؤيدة لبريطانية ومعارضة لتركية ومدح عمل الشريف. ثم رافق السير برسي كوكس إلى البصرة حيث ذكر بالتفصيل المساعدة اللازمة للبدء بالعمليات ضد ابن الرشيد، وهي ٣٠٠٠٠ بندقية وبعض الرشاشات والعتاد اللازم. وأثير أيضاً موضوع الإعانة (المالية). بعد عودته إلى الرياض، أرسل إلى السير برسي كوكس حوالي نهاية السنة كتاباً معنوناً إلى أبيه بتاريخ ١٣ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩١٦ ورد من الشريف وموقعاً باسم «ملك البلاد العربية». وقد اعتبر ابن سعود هذا تبريراً واضحاً لشكوكه في الشريف التي عبّر عنها سابقاً. وفي ٢٤ كانون الثاني/يناير غادر ابن سعود الرياض إلى القصيم وبدأ بالعمليات ضد ابن الرشيد، وادّعى أنه قتل ٤٠ رجلاً واستولى على ٢٠٠ حصان في أواخر شباط/فبراير أو أوائل آذار/مارس. وفي ١٢ أيار/مايو أبلغ السير برسي كوكس بأن ابن الرشيد طلب الصلح، لكنه قال إنه أجاب بأنه لا يستطيع القبول دون أن يعلم رغباتنا. وحوالي حزيران/يونيو كان المستر ر. ستورز على وشك مغادرة الكويت في طريقه إلى الحجاز لتقديم تقرير عن الحالة في جزيرة العرب الوسطى. ولكنه أصيب مع الأسف بضربة شمس ولم يستطع مواصلة مهمته.

في ١٤ حزيران/يونيو ١٩١٧ أبلغ الشريف عبد الله أن ابن سعود كتب إليه رسالة ودية قال فيها إنه ضد الأتراك وموال للعرب وموال للشريف، وأرسل إليه في الوقت نفسه فرساً أصيلة. وفي ١٨ حزيران/يونيو ورد الخبر بصورة وثيقة أن فخري باشا والي المدينة كان يحاول الاتصال بابن سعود ولكن بدون نتيجة، وصرّح أن ابن سعود قد اتصل قبل حين مباشرةً مع الآستانة طالباً نقوداً وأسلحة. وفي

١٢ حزيران/يونيو أرسل الجنرال كلايتن بياناً من الشريف بأنه تسلم معلومات عن أن ابن سعود يستعد للحرب ضده وأنه يُلقي خطباً موالية لتركية، ويوزع الأسلحة التي تسلمها من حكومة صاحب الجلالة على الوهابيين الذين يحرضهم على الشريف، وكذلك أن ابن سعود قد وافق على مرور ٥٠,٠٠٠ ـ ٤٠,٠٠٠ ليرة تركية عن طريق بلاده للقوات التركية في عسير واليمن.

في ٢٨ أيلول/سبتمبر أرسل السير برسي كوكس تقريراً مطوّلاً عن ابن سعود. وأهم النقاط هي أنه، إذا كان الذهب التركي قد مرّ ببلاده إلى اليمن، فذلك يعود إلى تماهل شعب ابن سعود وليس لموافقة الأمير نفسه، وأن الدكتور هاريسن الذي عاد مؤخراً من الرياض أبلغ أن توتر الحرب المستمر على أهالي نجد والقيود الثقيلة المفروضة على تجارتهم أدت بالرأي العام إلى أن يكون معادياً لنا، ولو أنه بالنظر إلى موقف الأمير المخلص نفسه ليس هناك كلام علنيّ ضدنا، وأن المال المغدق على عشائر الحجاز قد أتلف السوق لابن سعود، وأخيراً أن قيمته العسكرية لم يبالغ في تقديرها. ومع أنه أعطي مدفعين وثلاثة رشاشات فإن قيمتها مشكوك فيها لعدم وجود أشخاص مدربين. وفي موسم الحج لسنة ١٩١٧ حاول عبد الرحمن أبو (عبد العزيز) بن سعود القيام برحلة عبر جزيرة العرب، لكنه اضطر إلى العمل إلى أن يكفّ عن ذلك بسبب العجز وترك إكمال مراسم الحج بالنيابة عنه لابنه الأمير محمد الذي حظي بتكريم شريف مكة.

في ٣٠ تشرين الأول/أكتوبر ١٩١٧ أبلغ السير برسي كوكس أنه أوفد المستر هـ. سنت. ج. فيلبي (من الخدمة المدنية الهندية) واللفتنانت كرنل كنليف أوين في مهمة خاصة إلى ابن سعود يرافقهما الكرنل هاملتن ليمثل آراء شيخ الكويت ومصالحه. يظهر أن هذه البعثة قبلت تقديراً مبالغاً فيه لقوة ابن الرشيد وأهميته من ابن سعود. وكان الأمل أن ضابطاً بريطانياً وممثلاً للشريف يأتيان إلى بريدة فيجري البحث في كل القضية المتعلقة بسياسة جزيرة العرب الداخلية. وقد اقترح على الملك حسين أن يكون المستر ستورز الضابط الذي يمثل مصالحه في المؤتمر المقترح. وبعد صعوبات جمة حصل على موافقة الشريف على رحلة المستر ستورز المقترحة، لكن الشريف في النهاية ألغى موافقته ولم يكن في المستطاع حمله على تغيير فكره. وفي الوقت نفسه وصلت البعثة من العراق إلى الرياض، وأبلغ فيلبي في ٢ كانون الأول/ديسمبر أن ابن سعود أظهر غيرة كبيرة من اتخاذ الشريف لقب ملك البلاد العربية، وارتاب في كون موقف الشريف بهذا الصدد موضوعاً على أساس تفاهم

سرّي معنا. ونظراً إلى رفض الشريف السماح للمستر ستورز بالقيام بالسفرة فقد عبر المستر فيلبي جزيرة العرب، وأدى إلى انزعاج حسين السافر وصوله إلى جدّة عن طريق الطائف في بداية كانون الثاني/يناير ١٩١٨. وأرسل الكوماندر هوغارث إلى جدّة من القاهرة وعقدت عدة اجتماعات مع فيلبي والملك حسين.

رفض الملك أن يطمئن عن موقف ابن سعود. فقد خشي منه باعتباره مركزاً لحركة دينية (وهابية) خطرة على الحجاز، وكرهه باعتباره يعارض ادعاءه بأنه ملك العرب. وكانت الاجتماعات ناجحة في نواح أخرى، لكنها خابت في تسوية قضية ابن سعود.

وأخيراً رفض الملك حسين السماح للمستر فيلبي بالعودة برّاً إلى ابن سعود فعاد بطريق البحر.

في نهاية كانون الأول/ديسمبر ٩١٧ أخبر الشريف الميجر كورنواليس، الذي كان في معسكر الشريف عبد الله في وادي العيص أنه كتب إلى ابن سعود في آذار/مارس ١٩١٧ يضمن استقلاله واستقلال سلالته في المستقبل. وقيل إن ابن سعود قرأ هذا الكتاب في مجلسه في الرياض وأرسل اعترافاً مناسباً بتسلمه. وبعد ذلك، حين جاء ابن الرشيد إلى مدائن صالح، كتب عبد الله كتاباً آخر إلى ابن سعود مقترحاً التعاون ضد حائل. وابن سعود اعترف بإيجاز بوصول هذا الكتاب ولكن لم يشر إلى محتوياته.

في بداية نيسان/أبريل ١٩١٨ وردت معلومات موثوق بها مآلها أن ابن سعود متصل بفخري باشا في المدينة، وذلك إذا كانت ألمانية تضمن مدّعياته بمناطق معينة فإنه على استعداد لمعاونة تركية، على أن ذلك لم يؤدّ إلى نتيجة. ولكن عند تنصيب سلطان تركية الجديد في تموز/يوليو ١٩١٨، أمر فخري بإبلاغ تنصيبه إلى ابن سعود. وكان التحرّك الثاني مسألة الخرمة (راجع الفقرة ٢٣)، ولكن هل هي أثيرت من جانب ابن سعود أم لا ذلك ما لم يثبت بوضوح. وكانت النتيجة الفورية إرسال رسالة من حكومة صاحب الجلالة إلى ابن سعود بنفس الخطوط التي جاءت في الرسالة إلى حسين (راجع الفقرة ٢٩).

وقد عرض الملك حسين في آب/أغسطس ١٩١٨ أن يزور ابن سعود لغرض تسوية الخلافات بينهما بصورة نهائية (راجع الفقرة ٢٩).

الملحق (ج)

ابن الرشيد أمير حائل

ابن الرشيد، سعود بن عبد العزيز، لم يزل أمير حائل وجبل شمر منذ سنة ١٩٠٨. أسس هذه الإمارة أحد شيوخ شمر عبدة، عبد الله بن الرشيد الذي عين سنة ١٨٣٥ حاكماً لحائل من قبل فيصل أمير الرياض. كل جبل شمّر كان منذ السنوات الأخيرة للقرن الثامن عشر تابعاً لنجد، وبعد ذلك تحت السيادة المصرية. لكن عبد الله لم يطرح الحكم النجدي فوراً، بل زاد قوته كثيراً خلال اعتقال فيصل في القاهرة لمدة خمس سنوات. ولما مات سنة ١٨٤٧ ترك خلفه طلال حرّاً بالفعل من حكم نجد. وخلف هذا الأخير محمد، أقوى حاكم محلي وجد في جزيرة العرب في القرن التاسع عشر، وطّد أركان إمارته، ولم يحافظ على الاستقلال التام فحسب، بل ألّف أعظم اتحاد للعشائر تمّ جمعه منذ القديم. وفي سنة ١٨٩٢ احتل كل أراضي نجد وحكم بصفة الأمير الوحيد في جزيرة العرب الوسطى إلى وفاته سنة ١٨٩٧. (راجع الملحق ب).

ومنذ ذلك الحين فقد جوف العمر الذي استولى عليه نوري الشعلان، وعلى الرغم من الدعم التركي الفعال سنة ١٩٠٤ ـ ١٩٠٥، لم تضف أية أراضٍ بصورة دائمة إلى ممتلكات شمر. وكانت الإمارة عند نشوب الحرب سنة ١٩١٤ منحصرة بجبل شمّر.

لقد حافظ آل الرشيد دائماً على علاقات أوثق مع الحكومة العثمانية من أي أمير عربي مستقل آخر، وحتى ثورة الحجاز سنة ١٩١٦ كان آل الرشيد على صلات ودية دائمة مع شرافة مكة.

تعتبر أسرة آل الرشيد سيئة السمعة حتى في بلد عنيف مثل جزيرة العرب لضربها الرقم القياسي في الاغتيالات العائلية. وأسرة شمريّة نبيلة أخرى، السبهان، لها علاقة وثيقة جداً بها وتشارك في شهرتها. والأمير الحالي هو ابن عبد العزيز الذي حكم من ١٨٩٧ ـ ١٩٠٦ حين قتل في المعركة ضد ابن سعود أمير نجد. وخلف عبد العزيز ولده متعب الذي اغتيل قبل أن يحكم سنة واحدة، اغتاله ابن عمه سلطان بن حمود الرشيد. ثم اغتيل سلطان بيد أخيه سعيد بن حمود، لكن هذا بدوره اغتيل سنة ١٩٠٨بتحريض حمود بن سبهان الذي جاء بابن

أخته سعود بن عبد العزيز من مكة حيث أرسل لأجل سلامته ونصبه أميراً. يقال إنه حدث غير مسؤول، جلف الطباع، عنيف العواطف، وصعب المراس يقارب الجنون. وهو مشهور بقساوته، وحتى في جزيرة العرب يعتبر متقلباً وغير جدير بالثقة.

كوفئت صداقته مع السلطان العثماني بهدايا كبيرة من الأسلحة والمبالغ النقدية الكبيرة التي أرسلت إليه مع أشرف بك في أوائل سنة ١٩١٥ مع لقب باشا. هناك تقديرات تتراوح بين ٢٠٠٠ و٨٠٠٠ لعدد المحاربين الذين يستطاع إنزالهم إلى الميدان، والتخمين المعقول هو أقل من ١٠,٠٠٠ وأكثر من ٥٠٠٠ مقاتل.

(راجع أيضاً الفقرات ٩ (والهامش) و٢٠ و٢٧.

الملحق (د)
الباشوات جمال

كان هناك ثلاثة باسم جمال باشا لهم علاقة مع سورية وجزيرة العرب:

(١) أحمد جمال (بويوك، الكبير) أو جمال الأول(*).

(٢) محمد جمال (كوجوك، الصغير) أو جمال الثاني.

(٣) محمد جمال أو جمال الثالث.

في سنة ١٩١٦ كان جمال الأول القائد العام للجيش التركي الرابع ووزير البحرية. في شهر آذار/مارس قبل نشوب ثورة الشريف، كان الشريف فيصل معه في دمشق، لكن يبدو من المحتمل أنه كان عمداً، ولو ربما إلى حدّ ما في عقله الباطن، يتودّد إلى ثورة عربية رغبة منه في اتخاذها حجة لسحق العرب.

في سنة ١٩١٦ بعد اكتشاف مراسلة مثيرة للشبهة في القنصلية الفرنسية في بيروت، كان مسؤولاً عن قتل عدد كبير من الوجهاء السوريين في محاولة للقضاء على أية علامات من الثورة. واحتال للأمر بذكاء لإلقاء اللوم في هذه الفظائع على أنور باشا.

(*) عرفه العرب باسم جمال باشا السفّاح (ن.ص.).

كان دائماً ضدّ الألمان في سياسته، فتخاصم مع كل الألمان الذين أرسلوا إلى سورية حيث ظهر بوضوح أنه يطمع في المحافظة على استقلاله بصفة نائب السلطان.

نسب إخفاق بعثة ستوتزنغن إلى جزيرة العرب سنة ١٩١٦ إليه، وأظهر أنانية كبيرة في رفضه مساعدة خليل باشا في العراق خلال التهديد البريطاني لبغداد سنة ١٩١٦/١٩١٧. وعداء جمال لفالكنهاين وامتناعه عن التعاون معه، واعتباره إياه مسؤولاً أدبياً ومادياً عن ضياع القدس، أدّى إلى استدعائه إلى الآستانة، ومن ثمّ زار برلين في نحو آب/أغسطس ١٩١٧. وفي أيلول/سبتمبر عاد إلى سورية يحمل لقب قائد عام لسورية وجزيرة العرب الغربية. وفي تشرين الثاني/نوفمبر، قبل استدعائه نهائياً من فلسطين، كان مسؤولاً عن خطاب مثير شيئاً ما في بيروت شرح فيه سياسته السورية وأكد ضرورة احتفاظ تركية بالمراقبة على عدوتها التقليدية بلغارية. ومضى يشرح بإطناب محاولاته لدعوة الشريف إلى الرجوع إلى ولائه لتركية. فقد كتب إلى الشريف فيصل وإلى جعفر باشا[1] (قائد جيش الشريف النظامي) يدعوهما إلى مؤتمر. وأشار لفيصل إلى ما يحدث للإسلام بنتيجة القدر المقدّر للبلاد العربية وفلسطين وسورية كما ظهر من الأسرار التي أذاعتها الصحافة الروسية. وذكّر جعفر بماضيه البطولي حين كان يؤيد الإسلام لاحتلال مصر.

إن وضع جمال عند استدعائه إلى تركية في تشرين الثاني/نوفمبر كان مثالاً غريباً عن سقوط عظيم لرجل دون أن يتحمل القدر المهيّأ للساقطين. لم يظهر أية مقدرة عسكرية، ومشروعه المصري أفضى إلى سلسلة طويلة من الكوارث. لقد استفزّ العرب، ولم يستطع أن يوقف ثورتهم ولم يستجب عملياً لنداءات فخري المحاصر بسببه في المدينة. وأغاظ سورية ضد الأتراك، وأغاظ الأتراك على حلفائهم الأقوياء. لكنه مع ذلك ظل وزيراً للبحرية، وأبرز رجال الترك في سورية. تخاصم مع أقوى الوزراء والقادة، ودُعي مرة أخرى من قلعته السورية لأداء الحساب في الآستانة حيث إنه لو كان في عهد سابق قريب لتلقفته المشنقة أو الغرق في

---

(١) عربي بغدادي له خبرة أوروبية كبيرة في الحرب الحديثة. قاد القوات التركية التي تعمل مع السنوسي في طرابلس ١٩١٥ ـ ١٩١٦. أسر سنة ١٩١٦ واعتقل في قلعة القاهرة. وبعد محاولة فاشلة للهروب كسرت خلالها إحدى رجليه، تطوّع للقتال لدى الشريف وعين لوظيفته الحاضرة في أيار/مايو ١٩١٧. (جعفر العسكري من أصل كردي، ولكنه نشأ في بغداد ـ ن. فـ. ص).

البوسفور. وأطاع، وحتى ذهب إلى برلين، وكان في كل مكان يقابل بالملق أكثر من التأنيب، ثم عاد قوياً إلى سورية.

ومن الجهة الثانية، كانت إنجازاته إرغامنا على إنفاق الملايين للدفاع عن مصر وتحويل جيوشنا التي تمس إليها الحاجة الملحّة في أماكن أخرى. لقد مشّط سورية حتى لم يبق فيها رأس ولا يد للتمرد. كانت قوته تكمن في انتصاره للإسلام. وبقدر إخلاصه في اتخاذ هذا خطة له في الحياة العامة كان زائفاً في كل شيء آخر إلاّ مصلحته الشخصية. وكان الوحيد الذي انتصر لذلك بين الوزراء البارزين. وعلى الرغم من أن الطورانيين كانوا يرغبون في إزاحته وإزاحة كل الأتراك الآخرين المحبين للإسلام، فإنهم لم يجرؤوا على إقصائه. لذلك بقي جمال الأول في مركز القوة على الرغم من معارضة الألمان ومن دسائس أنور.

عند عودته إلى الآستانة في كانون الأول/ديسمبر ١٩١٧ عاد إلى منصبه القديم وزيراً للبحرية. وقيل بعد ذلك إنه وجد في باطوم على البحر الأسود، وفي آب/أغسطس ١٩١٨ في فيينا.

في سنة ١٩١٧ قاد جمال الصغير (الثاني) فيلق الجيش الثامن. وفي ١١ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩١٧ كان مسافراً في قطار نسفه العرب قرب خربة السمرا شمال عمان وكاد يقتل. وفقد مرافقه ونحو ٢٠ آخرين حياتهم. وفي أوائل ١٩١٨ عهدت إليه قيادة الجيش الرابع، وفي ٢٥ كانون الثاني/يناير ١٩١٨ عين والياً لسورية.

عند تأليف القوة المختلطة في تبوك في أوائل ١٩١٧، عهد إلى جمال الثالث بقيادتها. ولدى إعادة تنظيم المنطقة تولى القيادة في معان في أيلول/سبتمبر ١٩١٧ حتى مرضه في كانون الأول/ديسمبر ١٩١٧، فعاد إلى دمشق ومنها إلى الآستانة.

الملحق (هـ)

تقرير موريس

في نحو بداية كانون الثاني/يناير ١٩١٨ وصل إلى العقبة «موريس» الذي كان في حين ما مستخدماً وكيلاً بريطانياً في مصر وسويسرة وأرسل إلى القاهرة حيث

تم استجوابه. لقد غادر سويسرة في ٢٢ أيلول/سبتمبر ١٩١٧ ووصل إلى برلين في ٢٣ منه، وسافر عن طريق صوفيا إلى الآستانة فبلغها في ٥ تشرين الأول/أكتوبر. سئل في وزارة الحربية ببرلين بدقة عما يعلمه من النوايا البريطانية في سورية والعراق، وسئل عن رأيه في إمكان شراء ابن سعود، وأسئلة أخرى مختلفة عن الثورة العربية. صرّح موريس أن الألمان أعربوا له عن خيبة أملهم في إخفاق الحلف التركي لجلب كل العالم الإسلامي إلى الدول الوسطى. واستجوبه أيضاً فون كهلمان بحضور حقي باشا السفير التركي، وادّعى أنه أثر على الأول بالأسباب التي أبداها للكراهية التي حملها الرعايا العثمانيون العرب للحكم التركي. والأسباب التي ذكرها هي في المقام الأول الفظائع التي ارتكبها جمال باشا الأول في سورية، وخليل باشا في العراق.

عند وصوله إلى الآستانة قال موريس إنه استجوب فوراً من قبل طلعت باشا بشأن القضية العربية. صرّح طلعت أن السلطان نفسه وسعيد حليم الصدر الأعظم كتبا كلاهما إلى الشريف يقترحان الصلح، لكن الأجوبة التي تسلماها كانت غامضة جداً من ناحية الشروط. قال إنه أخذ لمقابلة أنور وجرى البحث معه عن ثورة الشريف. قال موريس إنه أخبر أن مبلغ ٢٠٠٠٠٠ ليرة تركية ذهباً قد أرسل إلى دمشق لغرض الدعاية بين العرب.

أخبره طلعت بعد ذلك أنه كان هناك عرض للسلام من الشريف في ربيع ١٩١٧، لكن لم ينظر فيه لأن أحد شروط الشريف هو أن يصبح خليفة. وحسب قول موريس، إن طلعت رمى كل اللوم في استمرار الثورة العربية على الشريف عبد الله. وقال إن تركية قد توافق على استقلال الشريف ويحتمل أن تنظم الأمور في سورية له، لكنها لا تسمح له أبداً أن يكون خليفة. وقال موريس إنه، قبل أن يغادر الآستانة، كانت له مقابلة أخرى مع أنور الذي طلب إلى موريس أن يشرح للأسر البدوية الكبرى والدروز، حين يصل إلى دمشق، تعلق أنور بهم واهتمامه بمصالحهم.

قال أنور إن تحسين بك والي أرضروم السابق قد عهد إليه بمعالجة الدعاية العربية في دمشق.

في أوائل ١٩١٧ وصل موريس إلى دمشق وقابل جمال باشا الأول مرة أخرى، فأراه جمال غلافين كبيرين معدّين للإرسال إلى الشريف عن طريق الكرك، وقال إنه

كتب مراراً إلى الشريف وإلى فيصل ولكنه لم يتسلم جواباً. ومن المعلوم أن الشريف تسلم هذه الرسائل. ثم قابل موريس والي دمشق تحسين بك الذي صرّح أنه خُوّل بأن ينفق على الدعاية ٥٠٠,٠٠٠ ليرة تركية ذهباً، منها ٢٠٠,٠٠٠ ليرة تركية سبق وصولها.

أطلع تحسين موريس على كتابه إلى نوري الشعلان (راجع الملحق ي) الذي ترك الأتراك ومضى إلى (كاف) مع عشيرته لأن ابنه نوّاف اعتقل في دمشق في تموز/ يوليو وسجن في زحلة. وذكر الكتاب أن نوري يجب أن يعود إلى دمشق مع ٥٠٠ جمّال فيعطى ١٠٠٠٠ ليرة تركية وطعاماً للبدو التابعين له وبنادق مع لقب أمير كاف ووسام عثماني من الدرجة الأولى. قال موريس إنه كتب فوراً إلى نوري يحذّره أن تلك مكيدة، وتبقى الحقيقة أن نوري الشعلان لم يعد إلى دمشق. وخلال كل هذه المدة كان موريس يتظاهر بأنه وكيل تركي يعمل على حثّ العرب للعودة إلى ولائهم للأتراك. وقال إن جمال باشا الأول رفض أن يسمح له بالذهاب بين البدو، لكن أخبره أن عليه أن يعمل مع الوالي وأن مبلغاً قدره ٤٠٠,٠٠٠ ليرة تركية(؟) سيوضع تحت تصرفه لتجنيد جيش بدوي قوامه نحو ١٥٠٠٠ رجل. ويظهر أن وُلاة دمشق وأطنه وحلب وبيروت مع متصرف لبنان قد ألفوا لجنة لهذا الغرض. وحين كان في دمشق سأل شيخان من عشيرة المتولّي، موريس، لماذا لم يتحقق الدعم الذي وعدهم به في زياته السابقة لسورية سنة ١٩١٦. وقال موريس إنه أخبر السلطات المعنية (البريطانية؟ العربية؟) لكن لم يتم عمل شيء، وسيكون الأمر مختلفاً هذه المرة. موريس لم تكن له صلاحية لإلزام السلطات البريطانية على هذه الصورة.

وفي نحو ٧ كانون الأول/ ديسمبر غادر موريس دمشق متنكراً وذهب إلى الحماد بين البدو ودعاهم إلى الثورة على الحكومة التركية. وقال إنه في نحو آخر كانون الأول/ ديسمبر رافق جماعة من البدو بهدف الغارة على تدمر، ولكن يظهر أن الجماعة الغازية بدّلت رأيها بعد وصولها إلى ما يقارب سفر ٦ ساعات من ذلك المكان.

وقال موريس إنه في حوالي هذا الوقت تسلم كتاباً من نوري الشعلان مآله أنه إلى جانب الشريف لكنه لا يستطيع الانضمام إليه لأنه على بعد كبير وله أعداء كثيرون، منهم ابن الرشيد والشرارات وعنزة(؟) لكن إذا جاءت قوات الشريف إلى مكان أقرب (أي أبعد شمالاً) فإنه ينضمّ إليه فوراً إذا أُعطي أسلحة وأعتدة كافية،

مع جميع بني مسلم (٣٠٠٠٠٠ ـ ٤٠٠٠٠٠؟ رجل)، ويهاجم حمص وحماه أو أي محل آخر (راجع الملحق ي ـ الرولة عشيرة نوري الشعلان في آب/أغسطس ١٩١٨ أعلنت نهائياً تأييدها للشريف).

وقال أيضاً إنه تسلم رسائل مماثلة من شيخ الدروز بواسطة سليم الأطرش، مآلها أن قوات الشريف حين تتقرّب فإن الدروز ينضمون إليه ويهاجمون درعا. وقد وصل موريس إلى العقبة في نحو بداية كانون الثاني/يناير ١٩١٨. ويقال إن فيصل لم يقابله مقابلة حسنة.

الملحق (و)
دلائل متجمعة عن نشاط العدو السياسي في جزيرة العرب

أبدى الأتراك، ربما بوحي من الألمان، لأول مرة علامات اتخاذ سياسة أكثر استرضاء للعرب في أواخر سنة ١٩١٦.

برقية من أنور إلى خليل ـ ظهر بدء هذا التغيير تقريباً في نهاية ١٩١٦ في رسالة من أنور في الآستانة إلى خليل باشا في العراق مؤرخة في ٢٧ كانون الأول/ديسمبر ١٩١٦ يقترح أنور فيها التعاون مع ابن الرشيد ويتخلص بإيجاز إلى ذكر سياسة تركية غايتها استمرار سير الأمور إلى نهاية الحرب العالمية للمحافظة على الحلف والحيلولة دون حدوث قلاقل جديدة.

جمال الأول ـ إن وصول فلكنهاين للقيادة في فلسطين بدلاً من جمال باشا الأول خلال سنة ١٩١٧ أشرّ خطوة أخرى في هذا التغيير في السياسة. نظراً إلى أن جمال ظهر دائماً كأنه عدو للعرب، لكن حتى هو نفسه قبل مغادرته قيل إنه «يغازل الدروز»، وفي خطاب ألقاه في بيروت حوالي نهاية تشرين الثاني/نوفمبر تكلم بعبارات لطيفة جداً عن السوريين والعرب عموماً، بينما يظهر اسمه موقعاً على عرض عفو خالص مؤرخ في ١٤ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩١٧ لكل العرب الذين حملوا السلاح للملك الحجاز والذين يسلمون أنفسهم خلال شهر. ويمتدّ هذا العفو أيضاً إلى عوائل الطالبين.

تقرير موريس ـ أعطى تقرير موريس دلالة تستحق الثقة عن يقظة الألمان لضرورة التأثير على تركية في هذا الصدد، وترك الانطباع أن الألمان قد خدعوا تماماً في السابق من جانب الأتراك. وفي ختام الصفحة ٦ قيل إن الألمان قالوا: «كل ما نطلبه هو أنكم، أنتم العرب، تعودون إلى ولائكم للأتراك لأن ذلك السبيل الوحيد لنستطيع أن نعمل شيئاً لكم. ونعاهدكم بأن العرب يرون بعد ذلك تحقيق كل مطامحهم سواء في ما يتعلق بسورية والعراق».

(راجع ص ١٠، الفقرة الأخيرة) ـ مقابلة موريس لكهلمان وحقي باشا، بعد مباحثة عسيرة بالإشارة إلى المجزرة في سورية، قال حقي باشا: «لنترك الكلام على هذه الأشياء، لنجعل ما مضى قد مضى، لنترك الأشياء القديمة ولنبحث في الجديد».

(الصفحة ١١، الفقرة الأخير) ـ «حكومتنا (الحكومة الألمانية) تعتزم الآن مساعدة حكومتكم (العرب) بصورة كاملة».

(الصفحة ١٣، الفقرة ٢) ـ نصح حقي باشا موريس بأن يكلم أنور وطلعت عن الأحداث العسكرية وأن أساليب خليل وجمال باشا أنتجت ضرراً كبيراً.

(الصفحة ١٧، في الوسط) ـ طلعت عن الرسائل إلى حسين، وما بعد ذلك: «قال نعم، نريد أن نكسب صداقة العرب، لقد أخطأنا قبل هذا ونود أن نصلح خطأنا ونسوّي الشؤون العربية».

(الصفحة ٢٠، الفقرة الأخيرة) ـ سعيد بك: «لقد أرسلنا ٢٠٠,٠٠٠ليرة ذهباً إلى دمشق وسنرسل أكثر».

(الصفحة ٢٢، الوسط) ـ جمال إلى موريس: «فيما يتعلق بالدروز، أنا متأكد جداً أنهم ضدنا، وأنا مرغم على معاملتهم كما لو كنت أثق بهم».

(الصفحة ٢٤، نهاية الفقرة الأولى) ـ طلعت إلى موريس عن قضية الخلافة: «منذ ذلك الحين تبادلنا الرسائل والكتب مراراً بين السلطان والشريف».

(الفقرة ٢) ـ «ولكن، إذا أراد الشريف أن يكون مستقلاً فقد نوافق على ذلك وقد ننظم الأمور في سورية له. . . أخوه ناصر هو الآن في الآستانة ويعامل معاملة طيبة جداً، وشيخ الإسلام يزوره مراراً. لقد تفاوضنا مع الشريف بما فيه الكفاية. كذلك الحركة الطورانية الجديدة. . . نأمل أنك تعلم بشدة وتُري الشعب

العربي خطأ أساليبهم وتحاول أن تعيدهم إلى ولائهم لنا».

(الصفحة ٢٥) ـ طلعت عن الخديو السابق: «نعلم أنه تسلم ٣٠٠٠٠٠ ليرة إلى ٤٠٠٠٠٠ ليرة من الألمان وأرسلنا له ٢٠,٠٠٠ ليرة مرة».

(الصفحة ٢٧) ـ مدحت بك: «كان ضرورياً أن نجعل العرب يفهمون أن غرض البريطانيين تقسيم الإسلام، وكان مستعداً أن ينضمّ إليّ في سورية في حملة دعاية لهذه الغاية».

(الصفحة ٢٨) ـ محمد علي باشا عن القلاقل في سورية وجزيرة العرب: «بليّة كبيرة... سئل إذا كان جمال يستطيع استرجاع ثقة العرب... أو إذا أمكن مصالحتهم بإرسال رشيد باشا أو عزت باشا هناك بدلاً من جمال».

(الصفحة ٢٩) ـ أنور باشا: «أنا أحب العرب كثيراً ولو أنهم أغبياء، وإذا كان زميلي جمال باشا مجنوناً فإن ذلك كان ضد مبادئي ورغباتي».

«سوف تذهب إلى دمشق خلال أيام قليلة، وأرجوك أن تشرح لعشائر البدو والدروز الكبيرة ولكل العرب بأنني أميل إليهم ميلاً طيباً جداً... نحن (طلعت وأنور) قد عهدنا إلى تحسين بك بتنفيذ هذه السياسة (تحقيق المطامح العربية)، وعندما تصل إلى دمشق عليك أن تعمل بهمة معه». **(صفحة ٣٠)**.

(الصفحة ٣١ **الفقرة ٣**) ـ سليم، قائم مقام حوران السابق عندما كان قائم مقام كان يتسلم دائماً رسائل تقول له أن يكون متحفظاً أكثر... والامتناع عن عمل شيء يثير سخط الدروز.

(الصفحة ٣٤) ـ سأل كهلمان إذا كان يمكن اجتذاب العرب الذين لم يحملوا السلاح بعد... لقد درسنا هذه القضية، والشيء الوحيد الذي يهتم به البدو هو النقود. والتفت إلى طلعت: «يجب أن تنظر في هذا الأمر».

(الفقرة الأخيرة) ـ ماذا يريد العرب الآن؟ وعلى فرض أن الحكومة التركية سمحت لهم الآن بقدر من الحرية... وأعطتهم مالاً وافراً، ألا يرضيهم ذلك؟

(الصفحة ٣٥) ـ لو فرضنا أن الحكومة تنظر في بقايا هذه الأسر وتعيدهم وتعاملهم معاملة جيدة وتعطي مالاً كثيراً إلى البدو، ألا يكون في الإمكان جلبهم جميعاً إلى جانبنا؟

أنور: «نحن لا نخاف أبداً من البدو، نستطيع أن نسوّي أمرهم بفرقتين سريعاً». كهلمان: «لا، لا! البدو خطرون جداً... لقد عوملوا أسوأ معاملة في الماضي».

(الصفحة ٣٦) ـ سعيد بك: «العرب يكونون راضين كل الرضا، لأن رئاسة القيادة في سورية (العراق أعطيت إلى فلكنهاين)».

(الصفحة ٤٤ الفقرة ٣) ـ جمال باشا: «كتبت مراراً إلى الشريف حسين وابنه الأمير فيصل مقترحاً المصالحة، لكنني لم أتسلم أي جواب». وأرى موريس غلافين كبيرين مختومين بختمه وقال إنه سيرسلهما إلى الكرك لإيصالهما إلى الشريف. وكانت المحتويات رسائل كثيرة من أُسر طيبة من دمشق والبدو تخبر الشريف بأنها لا تريده أن يحارب لأن الحرب مهلكة للإسلام. اقترح جمال أن يكتب موريس إلى الشريف مقترحاً عليه أن يتصالح.

(الصفحة ٤٥) ـ بحث تحسين بك في طريقة وقف الحركة العربية وعقد الصلح مع الشريف. بشأن قضية النقود، قال تحسين إنه لن تكون ثمة صعوبة في ذلك فالباب العالي قد سمح بإنفاق أي مبلغ ضروري ولديهم ٥٠٠,٠٠٠ ليرة ذهباً لسدّ هذه النفقات. وقال أيضاً إن لديهم كميات كافية من الحبوب لتجهيز البدو بها.

أنور يتخاصم مع جمال: «لقد اتخذت تدابير لا لزوم لها (مع العرب) وترى الآن ما حدث بنتيجة ذلك».

(الصفحة ٤٧) ـ الدفع بالذهب إلى شيوخ البدو.

(الصفحة ٤٨) ـ عفو عام عن كل السجناء السياسيين والعسكريين والاعتياديين في كلا بلاد سورية أصدره جمال.

(الفقرة ٢) ـ جمال يعرض وضع ٤٠٠,٠٠٠ ليرة تحت تصرف موريس لتجنيد جيش عربي.

(الصفحة ٤٩) ـ اجتماع بين ولاة أطنة وحلب وبيروت ومتصرف لبنان لعمل كل ما يمكن لإنشاء جيش متطوع من البدو والدروز ولاتخاذ موقف ودّي تجاه أهالي سورية.

(الصفحة ٥٢) ـ عرض جمال عفواً مفتوحاً إلى شكري باشا الأيوبي(*) إذا كان

(*) أنظر نبذة عنه في سجل الشخصيات، ص (٧٥).

يعد بالعمل لحمل العرب على الانضمام إلى جانب الترك.

(الصفحة ٥٣ الفقرة ٥) ـ قال والي دمشق إن الأمير عبد القادر الجزائري حين كان مع الشريف تكلم مع فيصل واعتقد أنه مستعد للمصالحة. وكان قد كتب رسالة إلى الوالي، في اليوم السابق (لكتابته) إلى فيصل، يقترح عليه بالتصالح.

(الفقرة ٧) ـ هناك اتصالات منتظمة إلى درجة ما بين الأتراك والشريف عن طريق الكرك.

(الصفحة ٦٢) ـ مقابلة موريس مع فيصل. موريس عاتب فيصل لدفع مبالغ كبيرة إلى العشائر. أجاب فيصل أنه لا بدّ له من العطاء أو يزايد عليه الأتراك.

(الخديو السابق) ـ عاد من سويسرة إلى تركية في نحو تشرين الأول/كتوبر ١٩١٧. كل التقارير الواردة تدل على أن عودته جرت بتأثير الألمان، والهدف من رجوعه استخدامه الكيد للنفوذ البريطاني في جزيرة العرب ومصر.

ويقال إنه وُضع تحت تصرفه مبلغ مليوني فرنك لهذا الغرض. وجاء في تقرير أن مهمته هي أن لا يعمل وسيطاً بين الباب العالي والشريف، ووُضع تحت تصرفه عدد كبير من الموظفين.

المكتب الألماني ـ العربي ـ أنشىء مكتب ألماني ـ عربي ربما في النصف الأخير من ١٩١٧ وكان القائد آمراً للقسم العربي من مجموعة جيوش «يلديرم» في كانون الثاني/يناير ١٩١٨.

اهتم (فالكنهاين) شخصياً بعرب الفرات في خريف ١٩١٧ حين أوفد الضابط السياسي الألماني بروسّر إلى الفرات الجنوبي. وقد علقت أهمية مبالغ فيها لنفوذ عجيمي (السعدون)، ويظهر أن المقرّ الألماني، بوجه عام، لم يكن مطلعاً اطلاعاً جيداً على القضية العربية.

نيدرماير ـ الضابط السياسي الألماني المعروف الذي استخدم في إيران وأفغانستان سنة ١٩١٦ وصل إلى جوار عمّان في أوائل ١٩١٨. وقد استدعاه فالكنهاين من العراق في خريف ١٩١٧، وكان في جرف الدراويش في ٢٥ شباط/فبراير ووضع بعد ذلك في خدمة مجموعة الأردن الشرقية.

ومساعده هاسه في «أعلا كليسة» حوالي نهاية آذار/مارس ١٩١٨، كما جاء في تقرير، يحتفظ به للخدمة الدائمة في فلسطين.

الدعاية الألمانية في الحجاز ـ جاء في برقية الجنرال وينغيت المرقمة ٥٦٠ أ والمؤرخة في ٢٥ آذار/مارس ١٩١٨ أن الأتراك ينفقون مبالغ كبيرة من المال للدعاية بين بدو الحجاز.

الملحق (ز)
الحركة الصهيونية

لا يكون البحث في الحركة العربية كاملاً دون ذكر الحركة الصهيونية. هذه الحركة أخذت لأول مرة شكلاً ثابتاً عند احتلال بريطانية للقدس، حين ألفت لجنة صهيونية برئاسة الدكتور وايزمان وغادرت إلى فلسطين في آذار/مارس ١٩١٨. كانت أغراضها المعلنة كما يلي:

(أ) مساعدة المستوطنات الصهيونية في فلسطين في الشؤون المادية والتعليمية.

(ب) تصميم التطورات للمستقبل.

(ج) خلق علامات متناسقة مع سكان فلسطين من غير اليهود.

كان المأمول في أول الأمر أن كلاً من الصهيونيين الروس والأميركيين يمثلون في اللجنة، لكن ظهر أن هذا غير عملي، ولو أنه أدخل ممثل فرنسي. وعند وصول اللجنة إلى فلسطين تسلمت العمل من لجنة الإسعاف الصهيونية المؤسسة سابقاً.

ومع أنه، وذلك أمر طبيعي، قد نشأ شيء من شعور القلق لدى الأهالي السوريين والمسلمين، فإن الدكتور وايزمان بمعالجته الحكيمة للوضع قد نجح في تبديد شعور الريبة الناشيء من الخوف من أن اليهود عازمون على الاستملاك أو الشراء، خلال الحرب، لمساحات واسعة من الأراضي التي يملكها المسلمون وغيرهم وإرغامهم تدريجياً على مغادرة البلاد. فقد شرح أنه يطمح إلى رؤية فلسطين تحكمها حكومة ثابتة مثل حكومة بريطانية العظمى وأن حكومة يهودية تكون مهلكة لتصاميمه، وأن رغبته لم تكن سوى إيجاد موطن لليهود في البلاد المقدسة حيث يستطيعون العيش عيشتهم الطبيعية الخاصة ويشاركون في الحقوق

المتساوية مع سائر السكان. ولا شك هناك أن هذا التبيان الصريح للأهداف الصهيونية أنتج تحويلاً جسيماً في الشعور بين الفلسطينيين الذين اتصلوا لأول مرة باليهود الأوروبيين ذوي المكانة الطيبة. لقد فرضت عليهم القناعة بأن الصهيونية جاءت لتبقى وأنها أكثر اعتدالاً في أهدافها مما كان يتوقع وأنها، إذا قوبلت بروح التآلف، فإنهم يحتمل أن يستفيدوا فوائد كبيرة في المستقبل.

في بداية حزيران/يونيو زار الدكتور وايزمان الشريف فيصل في معسكره في القويرة (بين العقبة ومعان) حيث جرى البحث في الصهيونية وأثرها في العرب. وقد عقد وايزمان وفيصل أطيب الصلات الشخصية، وأبدى فيصل رأيه في ضرورة التعاون الوثيق بين اليهود والعرب، خصوصاً في ذلك الوقت، لكنه صرّح أنه هو نفسه لم يكن يستطيع أن يبدي آراء نهائية عن المسائل السياسية لأنه لم يكن سوى مندوب أبيه في مثل هذه الأمور. وانتهى الاجتماع بالإعراب بصورة ودية عن التعاطف المتقابل وبدعوة من فيصل لتجديد الاجتماع بعد زيارة فيصل لأميركة.

إضافة إلى تصميم مشاريع مالية لمساعدة المستوطنات الصهيونية، تولت اللجنة إدارة مدارس هلفسفيرين الموالية لألمانية ووضعت الحجر الأساسي لجامعة عبرية على جبل الطور (جبل سكوبس) وتقدمت تقدماً واسعاً في المهمة العسيرة لتوحيد طائفة اليهود الفقراء في القدس. ووضعت أيضاً مشروعات ضخمة لإحياء الأراضي والريّ. وجُنّد عدد من الشبان اليهود للخدمة ضد الأتراك. لم تغفل الدول العدوة أهمية هذه الحركة الصهيونية، فلم يكد يصدر التصريح البريطاني المؤرخ في ٢ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩١٧ حتى وقع الضغط على الحكومة الألمانية لاتخاذ إجراءٍ ما جواباً عليه. وفي ٣١ كانون الأول/ديسمبر قال طلعت باشا لمراسل جريدة «فوسيشة زيتونغ» إنه مستعدّ لإعطاء الصهيونيين الألمان شكلاً من أشكال شركة مسجلة، وحكماً محلياً ذا طبيعة محدودة جداً، والهجرة إلى فلسطين. وأعقبت ذلك مفاوضات في برلين من جانب ممثله «قره صو» في كانون الثاني/يناير اشترك فيها عدد من المؤسسات اليهودية. وألفت أيضاً مجموعة من الجمعيات اليهودية واسمها (vereinigung judischer organisationen Deutschlands zur wahrung der Rechte des Osten) هدفها الدفاع عن المصالح اليهودية في أوروبا الشرقية وفلسطين. وكانت غاية هذه في الأصل أن تكون جمعية معارضة للصهيونية، لكن انضمّ إليها بعد ذلك الصهيونيون الألمان الذين رأوا منهاجها يمثل الحد الأدنى

فقط. والنسبة المئوية الكبيرة لليهود في الأقطار الأوروبية الشرقية التي تغلغلت فيها ألمانية، جعلت الحكومة الألمانية تواقة إلى الحصول على بعض الامتيازات من الأتراك الذين عقدت معهم مفاوضات جديدة في الآستانة في تموز/يوليو ١٩١٨. وقد مثل فيها صهيونيون بارزون، وأعلنت بعد ذلك امتيازات على الشكل الذي وضعه طلعت باشا. ولكن لا يعتقد أن هذه سوف ترضي الألمان أو الصهيونيين في الأقطار المحايدة الذين مالوا، منذ صدور تصريحات الحلفاء، إلى إظهار تعاطف أكثر مع دول الحلفاء. ولكن لا يتوقع أن تبدي هذه الحركة الصهيونية من الجانب الآخر للخط، نفس الاحترام للأماني والمشاعر العربية مثل تلك التي أوحى بها الدكتور وايزمان.

الملحق (ح)
التدخل التركي بين القوات البريطانية الرئيسية والعرب.

العمليات في عمان في نهاية آذار/مارس ١٩١٨ ـ توقع العدو حركة بريطانية على عمّان، وحين تلقى في ٢٦ آذار/مارس معلومات موثوقاً بها بأن قوة فرسان بريطانية تدخل إلى المدينة في ذلك اليوم، يظهر أنه فوجىء بالأمر، لأن الأوامر التي أصدرت في ١٤ آذار/مارس وبعده لتركيز الإمدادات[١] لم يتم تنفيذها لضيق الوقت. وكانت النتيجة أن الأربعة أركان من جيش ومجموعة وفيلق وفرقة في عمّان لا يحميها فعلاً في أثناء الهجوم البريطاني سوى ١٥٠٠ بندقية، ربما تتضمن بقايا الفرقة الـ ٤٨ والكتيبة الألمانية الـ ٧٠٣.

ولما سمع فؤاد قائد فيلق الجيش الثامن بالتقدم البريطاني، قرر سحب قواته[٢]

---

(١) الكتيبة الـ ١٢٦، كتيبة ام.آي بغّالة، السرية الثانية من كتيبة الخيّالة الـ ٢٩، سرايا الرشاشات الـ ٦٠٧ و٦٠٨، البطارية الـ ٧ من كتيبة المدفعية المختلطة الـ ٢٧ مع سرية رشاشات هذه الكتيبة، مدفعان من البطارية الجبلية القوية من كتيبة المدفعية الـ ٤٤، البطارية الجبلية الـ ٧ كيو اف، كتيبة المدفعية الـ ٨. كل تلك القوة أمرت من الجنوب بالإضافة إلى تلك المذكورة أدناه من الشمال والغرب.

(٢) كتيبة الخيالة الـ٧، الكتيبة ١٥٢/٣ الكتيبة ١٤٨/١؟ (الـ ١٤٦، أرتال جمّالة وبيطرة Hp., Q.F، رتل مدفعية ميدان ومحطة لاسلكي.

إلى الشمال من الكرك ولو أنه كان قلقاً على سلامة القطرانة التي كان يعتبرها مفتاح منطقة تجهيز الكرك.

هوجمت عمّان في السابع والعشرين من الشهر، وفي ذلك التاريخ قطعت مواصلات السكة الحديد. وكان جمال الثاني، قائد الجيش الرابع الذي وصل الآن إلى عمّان وتسلم إدارة الحركات من علي رضا باشا (الذي عين قائداً لمجموعة الأردن الشرقي في ٢٣ آذار/مارس)، قلقاً جداً من الحالة[١]. وقد أصدر الأوامر إلى بعض القوات[٢] التي وصلت إلى قلعة الزرقاء من الشمال لاتخاذ موقع وراء وادي الحمّان واستكشاف مواقع البريطانيين الذين كانوا في غربي الزرقاء وجنوبيها. وقد قرر سحب مجموعة عمّان والتمسك بخط وادي الزرقاء، وارتأى لذلك الغرض ضرورة تخصيص ما لا يقل عن فرقتين قويتين من المشاة وفرقتين من الخيالة[٣].

في ٢٩ منه فهم العدو من بعض السجناء أن كل فرقة «آنزاك»[*] الراكبة قد عبرت نهر الأردن وأنه كان أمام عمّان ما لا يقل عن لواءين من الخيالة البريطانية وربما لواء مشاة واحد من الفرقة الستين، يضاف إلى ذلك جمّالة إلى مسافة أبعد في الجنوب. ومع أن جمال الثاني أبلغ أن مهاجمات شديدة من جانب فرقة «آنزاك» بكاملها وما لا يقل عن لواء واحد من فرقة الستين قد ردّت على أعقابها بخسائر جسيمة في اليومين الأخيرين فإنه كان يشعر بضعف المدفعية، وكان واثقاً من

(١) قطعت مواصلات السكة الحديد في عمان تماماً من الجنوب في ٢٧ آذار/مارس ومن الشمال في ٢٨ منه. والقوة التركية في عمان المؤلفة من ١٥٠٠ بندقية كانت القوات البريطانية المهاجمة تتفوق عليها كثيراً وممكن إمدادها. وكانت المدفعية التركية دون مثيلتها البريطانية وعتادها ناقصاً. ولم تكن كميات الطعام تكفي لغير أيام قليلة. وكان يستحيل الانسحاب ليلاً إلى الزرقاء لأن الخط كان يعج بالبدو.

(٢) سرية مشاة ألمانية، مفرزة هندسة واحدة، سرّية متطوعين، شركس، الكتيبة الـ ١/ ٢٣، الكتيبة الـ ١/ ١٩١ (في طريقها إلى الشام)، ١٢ ضابطاً و٩٠٠ رجل (حاضرون لمغادرة دمشق).

(٣) فرقة الخيالة الثالثة، لواء خيالة مستقل (القفقاسي الثاني)، الفرقة الـ ٤٨، يضاف إليها الكتيبة الـ ١٩١ وفرقة مشاة أخرى.

(*) آنزاك (ANZAC): الاسم الرسمي المؤلف من الأحرف الأولى لقطعات الجيش الأوسترالي والنيوزيلندي (Australian and New Zeland Army Corps) ويسمى يوم ٢٥ نيسان/أبريل يوم (آنزاك) ذكرى اليوم الأول لإنزال قوات الحلفاء في «غاليبولي» التي كانت مؤلفة من تلك القطعات.

(ن.ف.ص.)

وصول إمدادات بريطانية من الوراء وأن هجومهم سوف يتضاعف. وقد شعر بأهمية عمان سواء من ناحية الوضع العشائري إلى الشمال حتى درعا، أو من ناحية سلامة دمشق نفسها. واستمر يرى وجوب تجمّع فوري في الزرقاء لمنع «كارثة وخيمة».

يظهر أن تقرير جمال قد خلق تأثيراً في الأستانة، فإنه في ٢٠ منه، **أنور الذي أعرب في ٢٧ آذار/مارس بأن الهدف سيتم تحقيقه قريباً في الجبهات الأخرى،** وعند ذلك تعطى أعظم مساعدة إلى ساحة الحجاز، أخبر فخري باشا الآن في المدينة أن الوضع في عمان أصبح خطيراً. ونصحه أن ينسحب إذا أمكن، أكبر عدد ممكن من الرجال من منطقته إلى المدينة، بينما أولئك الذين لا يستطيعون الوصول إلى المدينة يجب أن يقاوموا إلى آخر رجل. ويجب أيضاً جلب مواد للسكك الحديد إلى المدينة.

في ٣١ آذار/مارس أبلغ فؤاد أن البريطانيين أخذوا بالانسحاب إلى جهة غربية في ليلة ٣١/٣٠ آذار/مارس وأن التعقيب من عمان سوف يبدأ في صباح ٣١ منه. ويجب مواصلة تركيز القوات من جنوب الجيزة (زيزياء) بأسرع ما يمكن. وقد أيّد أنور هذا الأمر الأخير من الآستانة، وارتأى أنور أن كل القوات التي يمكن توفيرها من حملة الحجاز العسكرية يجب إرسالها إلى الشمال، لأنه إذا عززت القوات التركية في عمان بأسرع ما يمكن، فيحتمل جداً دحر القوات البريطانية هناك. في أول نيسان/ابريل أبلغ جمال الثاني أن ٣٠٠ قتيل بريطاني قد سقطوا حتى ذلك الوقت وتمّ دفنهم في عمان وبقي عدد قليل آخر يجري دفنهم. وأبلغ الشراكسة أن البريطانيين قد انسحبوا بغير انتظام نحو السلط ونحو وادي السير[١]، بينما تحرّكت قافلة جرحى من وادي السير إلى الصالحية. واشترك الأهلون بنجاح في عملية حرس متقدم قرب وادي السير. وقتل هناك ٨ شراكسة وجرح ٣٠، بينما في الكرك وعد ٦٠٠ بدوي موال أن يخدموا مع الأتراك. وفي ٣٠ آذار/مارس، عندما سمع فخري بصدّ البريطانيين، هنأ فؤاد في عمان: «لقد قبلت عتبة

---

(١) وادٍ في البلقاء جنوبي السلط يدخل إلى الأردن باسم وادي نمرين.

(هامش في الأصل)

(الأصح أن «وادي السير» قرية إلى الغرب من عمان تشرف على وادي الأردن).

(ن. ف. ص.)

قبر الرسول، وأنا أصلي بالنيابة عنك وعن جيوشك الشجعان. أقبل عيونك».

والعمليات التالية في منطقة السلط في بداية أيار/مايو أعطت دليلاً جديداً لعزم الأتراك على منع البريطانيين من الاتصال والتعاون فعلاً مع العرب، وإنشاء جبهة موحدة من البحر المتوسط إلى سكة حديد الحجاز.

الملحق (ط)
حصار الكويت

بالنظر إلى ورود تقارير عن وصول كميات كبيرة من التجهيزات إلى العدو من الكويت، ارتأى القائد العام في العراق، بالتشاور مع السير برسي كوكس، في تشرين الأول/أكتوبر ١٩١٧ أن يفرض الحصار على هذا الميناء.

في كانون الأول/ديسمبر ١٩١٧ أشار نائب الملك (في الهند) إلى أن فرض الحصار قد ينفّر الشيخ[١] ولا يزيد على تحويل مواصلات السفن الشراعية المحلية (الدوّ) غير المشروعة، وارتأى من الأفضل إغراء الشيخ لاتخاذ إجراءات كافية بنفسه. وقد قبلت هذه الخطة، وفي أوائل ١٩١٨ تعهّد الشيخ بمراقبة مواصلات القوافل الداخلية. ونظراً إلى الضغط الشديد عليه من جانب تجار الكويت، نشأت مصاعب كثيرة في حمل الشيخ على الموافقة على مراقبتنا لحصاره، ولكن بعد مباحثة صريحة وافق على مقترحاتنا، ومنذ ذلك الحين قبل كل اقتراحات ضابط حصارنا بدون اعتراض. وبنتيجة موقفه الودي تقرر أن يمنح الشيخ وسام نجمة الهند (c.S.i.) وأن يعفى من إعادة دفع «اللكّ»[*] واحد و٨٧٠٠٠ روبية تمّ تسليفها إلى أبيه لإنشاء جهاز تنقية مياه.

في نيسان/أبريل أبلغت مصر عن وصول نحو ٥٠٠٠ جمل إلى دمشق تحمل بضائع من الكويت. وفي بداية أيار/مايو أبلغت بغداد أنه ليس في الإمكان تنفيذ

---

(١) شيخ الكويت الحالي سالم بن مبارك خلف أخاه سلطان في شباط/فبراير ١٩١٧.

(*) «اللك» عبارة هندية الأصل، شاع استعمالها في الخليج العربي والعراق، وهي تدل على مئة ألف». (ن.ق.ص.)

حصار صارم محلياً (ولو أرسلت باخرتان لصاحب الجلالة) وارتأت أن الحصار يجب إمّا أن ينفذ من قبل الحكومة أو يسمح بتعطيله.

لكن الحكومة لم تكن راغبة في إرسال قوات إلى الكويت لتنفيذ الحصار، وعند وصول السير برسي كوكس إلى إنكلترة في منتصف نيسان/أبريل بحث الموضوع معه.

في أيار (مايو) أخبر وزير الهند، نائب الملك، أن وزارة الحربية، بعد المداولة مع السير برسي كوكس، أوصت بأن توقف الصادرات من الهند إلى الكويت عدا (ما يصدر) بإجازة خاصة. وفي ٣ حزيران/يونيو أبرقت بغداد بأن الصادرات من الهند إلى موانىء الخليج الأخرى يجب تحديدها أيضاً، وإلاَّ فالتجارة إلى الكويت ستتحول ببساطة إلى البحرين أو غيرها.

في ٤ حزيران/يونيو أبرقت بغداد أنه في ٣ أيار/مايو كتب الشيخ إلى الوكيل السياسي في الكويت يطلب إلى الحكومة أن تغضّ النظر عن الماضي، ويعد بتعاونه القلبي في المستقبل. وقد وافق أن يكون مسؤولاً شخصياً عن كل ما يحدث في بلاده، وتعهد بأن يطرد كل أعداء الحكومة ويمنع وصول البضائع إلى العدو، وطلب بقاء ضابط الحصار. وقد أخبر الشيخ أن معروضاته تنظر الحكومة فيها بصورة ودية، وبذلك خفّ التوتر المحلي بصورة وقتية.

في ٢٤ حزيران/يونيو أبرق الوكيل السياسي في الكويت أن الاحتلال هو الحل الحقيقي الوحيد لمسألة الكويت، لكن إذا كان ذلك لا يمكن عمله فيجب قبول عرض الشيخ المقدم في ٣ أيار/مايو فوراً. فالاستياء منتشر في البلدة، والتجار الأغنياء يفكرون جدياً بالنزوح، والفقراء يشكون بمرارة من الأسعار المرتفعة. ولذلك، في ٥ تموز/يوليو سلمت رسالة من حكومة صاحب الجلالة إلى الشيخ، مآلها أن الحكومة أسفت جداً لحوادث السنتين الأخيرتين، وهي ترحب بعرضه المؤرخ ٣ أيار/مايو. وإذا كان يظهر نحو الحكومة الروح الودية التي أبداها سلفه فإنه يمنح نفس الحماية والمساعدة، وهو نفسه وخلفاؤه يعترف بهم كالمالكين الشرعيين للكويت وأراضيها. ومن الناحية الثانية يكون مسؤولاً شخصياً عن كل عمل عدائي يقترفه أحد رعاياه، ويتوقف رخاؤه على الاحتفاظ بالصداقة الحقيقية مع الحكومة. ولا يجدد الحصار بشرط أن يتخذ الشيخ كل التدابير الضرورية لمنع وصول التجهيزات إلى العدو. ولكن في المستقبل لن يسمح لأية بضائع بمغادرة

الهند إلى الكويت بالسفن الشراعية (الدوّ) أو بالبواخر دون إبراز إجازة موقعة من الوكيل السياسي في الكويت أو ممثله المفوض حسب الأصول. والوكيل يعطي أيضاً إجازات لبضائع قد تكون ضرورية للمتاجرة المشروعة مع رعايا ابن سعود.

وفي مقابلة مع الوكيل السياسي بعد أيام قليلة من تسلم الرسالة ظهر أن موقف الشيخ قد تغير تماماً إلى الأحسن، ولأول مرة رغب كما يبدو أن يعمل عملاً حقيقياً بنفسه.

وفي ٥ آب/أغسطس أبرق نائب الملك أن خسارة الشيخ المالية فيما يتعلق بالحصار تقدر بنحو ٣½ «لك» وأوصى بإعطاء الشيخ هدية قدرها ٥ ألكاك (اللك يساوي ١٠٠,٠٠٠ روبية هندية) للتعويض عن خسارته لنفوذه وكعلامة تقدير. واقترح إهمال قضية إعفاء القرض الذي عقده أبوه. وأرتئي أن هذه الهدية لا تعيد اعتبار الشيخ فحسب بل تضمن تعاونه المستمر، وبذلك لا تترك لزوماً لبديل الاحتلال العسكري.

وفي الوقت نفسه، في ٨ آب/أغسطس ورد تقرير من المستر فيلبي مؤرخ من مخيّم ابن سعود في ١٨ تموز/يوليو مآله أن عصابة مختلطة من نحو ١٠٠ من العجمان وأسلم شمّر، قد هاجمت بعض أتباع ابن سعود بين القطيف والأحساء، وكانت قبل ذلك قد هاجمت بنجاح قافلة تعود إلى ابن سعود. وقد بدأت الغارة من أرض كويتية، ويرى المستر فيلبي أن الشيخ مسؤول عن الحادث الذي، مع حوادث أخرى، يسبب استياءً عاماً في نجد. وارتأى الوكيل السياسي في الكويت أن عملاً شديداً من جانبنا هو السبيل الوحيد لوقف مثل هذه الغارات، واقترح وضع رتل متحرك وقوات في الكويت. أوصى وكيل رئيس الضباط السياسيين في بغداد، الكابتن ويلسن، بإرسال نصف كتيبة وسريّة خيالة إلى الكويت فوراً. ولم يكن للقائد العام في العراق أي تعليق على هذا الاقتراح بشرط أن لا يطلب إليه تجهيز القوات المطلوبة.

وعند عودته إلى العراق اهتم السير برسي كوكس بالموضوع وأبلغ أن هناك مسألتين في الموضوع تتعلقان بشيخ الكويت: الحصار، وغارات العجمان عن طريق أرض الكويت. فيما يتعلق بالأولى، جاء تقرير المستر فيلبي المؤرخ في ٨ آب/أغسطس على أساس سوء تفاهم، ومنذ رسالة حكومة صاحب الجلالة إلى الشيخ بتاريخ ٥ تموز/يوليو صارت ترتيبات الحصار تعمل بصورة مرضية.

فالصادرات الوحيدة المسموح بها من الكويت، حسب رأي رئيس الضباط السياسيين في العراق، في ٢١ آب/أغسطس، كانت كما يلي:

(١) إلى نجد، بإجازات موقعة من ضابط الحصار، بمستند وطلب من وكيل ابن سعود.

(٢) إلى عشائر العراق بإبراز إجازات من الضابط السياسي المسؤول عنها.

(٣) إلى عشائر شيخ الكويت مؤيدة من الوكيل البريطاني بدقة على أساس الحد الأدنى من المطالب.

ولما كان إرسال القوات إلى الكويت كما يظهر، غير منطقي بالنظر إلى كتاب حكومة صاحب الجلالة الوديّة إلى الشيخ بتاريخ ٥ تموز/يوليو، وبما أنه لم يحدث منذ ذلك الحين أي تصدير غير مشروع ولا غارة، فقد تقرر اتخاذ التدابير التالية:

إشغال آبار صفوان(*) بمخفر بريطاني. ثانياً، إشغال الجهرة (٢٠ ميلاً غربيّ الكويت) وسائر آبار مياه الكويت في جوارها بقوات شيخ الكويت. ثالثاً، إشغال آبار الحفر(**) على حدود الكويت من قبل ابن سعود.

وفيما يتعلق بغارات العجمان، فالغارة التي أشار إليها المستر فيلبي حدثت قبل ٥ تموز/يوليو. فيستدعى الشيخ الرئيسي لكل من ستة أفخاذ العجمان ويشترط عليهم، لأجل استمرار حصولهم على الدعم، أن يوقعوا على تعهدات تحريرية جديدة بالامتناع عن التحرّك عبر الحدود الإنكليزية ـ الكويتية وإعطاء رهائن مقبولين لتنفيذ التعهد حسب الأصول.

وفيما يتعلق بالأسلم، والأفخاذ الأربعة الأخرى من شمّر في منطقتنا، يستدعى شيوخهم الكبار. ومع عدم منعهم من الدخول أو إقامة المخيمات في حدود الكويت، فيطلب إليهم إعطاء تعهد بالامتناع عن شنّ الغارات إلى شرقيّ البطين، وهو الحدود الغربية لأرض الكويت وإلى خط من رأس البطين إلى الزبير. ويطلب منهم رهائن أيضاً كما هي الحال مع العجمان. وإذا كان أي فخذ من العشيرتين الآنف ذكرهما واللتين لهما آنذاك علاقات طيبة معنا، مباشرة أو عن طريق رؤساء يتسلمون إعانة، يرفض قبول هذه الشروط، فتقطع عنه التجهيزات ويعامل الفخذ

(*) ٥٠ ميلاً شمالي الجهرة و٢٠ ميلاً جنوبيّ الزبير.

(**) ١٢٠ ميلاً جنوب غربيّ الجهرة.

كمعاد من جانب ابن سعود وجانبنا.

وقد ارتئي أن الشروط آنفة الذكر تستدعي بصورة طبيعية أن يشترط فرض شروط مماثلة من جانب ابن سعود على العشائر المتنازعة معها.

الملحق (ي)
موقف عشائر شمال الحجاز تجاه ثورة الحجاز

إضافة إلى إمارتي شمّر ونجد وعشائر الحجاز، هناك بعض العشائر الأخرى التي لا يحسن إغفالها من أي تأريخ للجزيرة العربية. وأهم هذه العشائر هي عنزة العمارات، وعنزة الرولة، والدروز.

(١) **عنزة العمارات (أو ضنى وائل)** ـ يشغلون القسم الجنوبي الشرقي من أراضي عنزة التي تمتد إلى الفرات بين كربلاء وهيت. وخلافاً للرولة تحافظ هذه العشيرة على صلات طيبة مع مجموعة شمر الكبرى إلى ناحية الجنوب، لكن ليس هناك أي شكل من الحلف بين الاثنين. وأسرتها الحاكمة هي آل الهذّال ورئيسها الحالي فهد، وقد فات عهد شبابه منذ أمد طويل، وعلاوة على ذلك يشارك سلطته مع محمد بن تركي رئيس آل مجلاذ الذين يحكمون فرقة الدهامشة من العشيرة.

كانت الثورة في الحجاز سنة ١٩١٦ أبعد من أن تؤثر في هذا الفرع من عنزة، لكن فهد ابن هذال أبدى التعاطف مع الملك حسين. وقد قيل إن المراسلات في نهاية ١٩١٦ كانت مستمرة بين ابن هذال وآل الشعلان. وقد حثّ نوّاف (العلان) فهداً على الانضمام إليه في مساعدة الشريف، لكن فهداً أجاب بتحفظ معهود بأنه لا يستطيع القيام بعمل خوفاً من مصادرة الأتراك لأراضيه، ولكن الأمر يكون مختلفاً إذا منحه الإنكليز ما يساويها من الأراضي المحتلة. غير أنه كان هنالك دائماً احتكاك بين ابن هذال ونوري الشعلان بسبب تنافسهما على الرئاسة العليا لكل عنزة. وفي أيار/مايو ١٩١٧ تسلم الشريف فيصل رسائل من ابن هذال الذي قال إنه ينتظر أن يقترب منه للانضمام إليه. وفي الشهر نفسه أبلغت بغداد أن ابن هذّال قدم دليلاً حاسماً على شعوره الودي نحو البريطانيين، وجاء إلى بغداد بعد ذلك وقدم دعمه من صميم قلبه عن نفسه وعشيرته ضد الأتراك.

وفي نحو أيلول/ سبتمبر ١٩١٧ انضم اثنان من الفروع الكبرى لعنزة الشمالية، وهما الفدعان والسبعة (بكسر السين) إلى ابن هذّال، ولكن نظراً إلى بعد المسافة بين بلاده والحجاز، لم يستطع ابن هذّال تقديم خدمات فعالة للملك حسين.

٢) **عنزة الرولة (أو ضنى مسلم)** ـ محالفون للمحلف وولد علي تحت الرئاسة العامة لنوري الشعلان رئيس الدولة الأكبر.

في سنة ١٩١٥ كان الشريف فيصل على اتصال مع نوري الشعلان. وعند بداية الثورة ذاعت إشاعات عن نوري الشعلان أنه متوجه إلى ولاية دمشق مع ١٥٠٠٠من الرولة يساندونه. ولما كانت أسواقه، في الشرق والغرب على السواء، تحت سيطرة الأتراك سنة ١٩١٦ فلم يكن في استطاعة نوري الشعلان أن يتعاون مع الشريف، لكن كان هناك تفاهم كامل بينهما.

وجرى اجتماع بين نوري وابنه نواف وفواز بن فايز من بني صخر في الجوف في كانون الأول/ ديسمبر ١٩١٦، وقد تقرر فيه أن يقطعوا فوراً كل العلاقات مع الحكومة التركية، لكن أعلن أن التعاون الفعال مع قوات الشريف لم يكن ممكناً حتى يصل فيصل إلى العلا، وبذلك يفتح الطريق لمرور التجهيزات إلى الرولة.

وفي نحو هذا الوقت انضم عودة أبو تايه من الحويطات إلى نوري الشعلان وأيّد قضية الملك حسين، وفي نيسان/ أبريل ١٩١٧ جاء مع خمسة من أسرة الشعلان لمقابلة فيصل في الوجه، وجرت هناك الترتيبات للمستقبل.

وكان عودة أبو تايه رئيساً للقوة التي احتلت العقبة في تموز/ يوليو ١٩١٧، وكان بعض رجال عشيرة الرولة يقاتلون تحت لوائه وإن لم يكن معهم أحد من آل الشعلان.

في حزيران/ يونيو ١٩١٧ قابل الكابتن لورنس نوري وابنه نواف في الأزرق وحمل طلباً من نوري أن يسمح لنصف الرولة بالتمون من السوق العراقي الذي نسيطر عليه.

في أيلول/ سبتمبر ١٩١٧ كان نوري في جوار جبل الدروز، وأرسل الشريف فيصل رسالة شديدة إلى نوّاف يطلب إليه تحديد موقفه بوضوح نحو الحركة الشريفية. كان نواف في هذا الوقت إما قد سجن من قبل الأتراك في دمشق أو استطاع التخلص بمشقة من أن يسجن، بينما أُنذر أبوه بأن لا يسقط في مكيدة

دبرها الأتراك له تحت ستار الدعوة إلى دمشق.

في تشرين الأول/أكتوبر ١٩١٧ قام أحد أبناء أخوة نوري بزيارة الشريف عبد الله في الحجاز. وفي تشرين الثاني/نوفمبر ١٩١٧ أوفد نوري أخاه محمد وابني أخويه خالد بن سطام وفرحان بن فهد إلى مكة في بعثة إلى الملك حسين.

خلال الفصل الأول من ١٩١٨، انشغلت أسرة الشعلان، مع محافظتها على موقفها الودي من الحركة العربية، بدعم تجارة التهريب من الكويت إلى دمشق، وكان نواف في الجوف يفرض الإتاوة على القوافل التي تمرّ بعاصمته ويأخذ حصته من النفط الذي تحمله هذه القوافل، بينما كان أتباعه يتولون حراسة القوافل من الجوف إلى جهة الشمال.

في حزيرن/يونيو (؟) أرسل نواف بناء على إلحاح الشريف فيصل إلى زيزياء حيث وضع نفسه مع أتباع مسلحين قلائل تحت تصرّف الأتراك بغية خداعهم عن نواياه. ولكن في تموز/يوليو، بنتيجة خلاف لا يعلم الآن سببه، غادر نواف زيزياء وعاد إلى الالتحاق بأبيه في حازم قرب الأزرق، بينما قام نوري حسب الظاهر بالتخلي عن ولائه للأتراك نهائياً وعرض التعاون الفعال مع فيصل. وجاء إلى مقر فيصل ومن هناك أرسل برقية إلى الملك حسين في مكة يقرّ بولائه له.

يعتبر هذا التصريح سابقاً لأوانه لأن سياسة فيصل كانت ترمي إلى تأجيل إعلان الرولة بصورة علنية لولائها بغية إضافة المفاجأة إلى قيمة تعاونهم حين يحين الوقت لاستخدامهم في نشر الحركة العربية إلى حوران، وثانياً، لينقل من نفسه إلى الأتراك العبء الثقيل لتموينهم في ذات الوقت.

٣) **الدروز** ـ كان موقف الدروز سنة ١٩١٦ من ثورة الشريف موقف فتور. فقد بقي الدروز منفصلين عن جيرانهم دائماً، وعلى الرغم من أن عواطفهم قد تكون مؤيدة للشريف، فإن الأجراء السريع الذي اتخذه جمال الأول بأخذ رهائن من الأطفال واعتقال الكثيرين وتعزيز درعا كان كافياً لإخافة الدروز عن اتخاذ أي عمل. وفي حدود حزيران/يونيو ١٩١٧، يظهر أن جمال الأول حاول اجتذابهم. فقد كرّم رؤساؤهم لمدة شهرين في دمشق واحتفل بهم وعظّموا. وفي آب/ أغسطس ١٩١٧ وردت الأخبار أن الدروز لم يشهدوا قط من قبل مثل هذه الحالة من الرخاء. لقد باعوا حاصلاتهم بأسعار عالية نقداً، وحتى لما قامت الحكومة التركية بمصادرة محاصيلهم تمكنوا من الاحتفاظ بستين في المائة. وطالما استمرت

المعاملة الطيبة فإن الدروز لا يعمدون إلى الثورة، لكنهم يتمردون حين يشعرون بأنهم يفعلون ذلك دون خوف من الانتقام.

حسب المعلومات المستقاة من مصادر مختلفة، إن العدو كان يخشى دائماً أن يثور الدروز تعاطفاً مع الحركة العربية. وفي حزيران/يونيو ١٩١٨ تسلم الكرنل لورنس رسالة محررة بالإنكليزية من أحد أفراد أسرة الأطرش، شيوخ الدروز المقاتلين في صلخد في حوران، تتضمن عبارات الصداقة والولاء. وفي ٣١ آب/أغسطس توقع العدو هجوماً من الرولة والدروز بجوار درعا.

الملحق (ك)
فخري باشا في المدينة

يظهر من خلاصة الرسائل الآتية أن هناك موقفاً مستمراً من القنوط لدى فخري باشا القائد في المدينة منذ خريف ١٩١٧. ويحتمل أنه في بعض الأحيان قد بالغ في انزعاجاته كما أثبتت ذلك حيوية حاميته، لكن من المؤكد أنه لا أمل له في إنقاذه بالنظر إلى فقدان أي تغيير جذري في الوضع.

١) في ٤ تشرين الأول/أكتوبر ١٩١٧ أبلغ فخري، القائد العام في سورية وبلاد العرب الغربية أن تموينه من الحنطة والطعام كاد ينفد، والطلبات بشأن خطوط المواصلات لم تحز جواباً، وصرّح أنه لا يستطيع الاعتماد على سكة حديد الحجاز. وبالنظر إلى قرب حلول الشتاء فقد اعتبر وضعه خطيراً، وما لم ترسل له كميات وافية من التجهيزات فوراً فسيحيق به الخطر.

قيل له في الجواب إنه مسؤول عن الوقود في المنطقة، وفي حالة الضرورة سمح له بهدم المباني في المدينة عدا المباني المقدسة. وفي ٢٦ تشرين الأول/أكتوبر أبلغ فخري أنه لم يبق لديه في المدينة سوى طعام يكفي لشهر واحد، وأن حاصل التمر الذي تنعقد عليه آماله في التموين قد دمّرته العاصفة.

٢) وفي الوقت نفسه تقريباً أرسل فخري رسالة إلى مندوب الخط العام في دمشق، يشير إلى اختلال الترتيبات لإطعام المدينة وأن المؤن الاحتياطي

في المدينة نفد في ١٩ تشرين الأول/أكتوبر. وقد يئس من تسلم تجهيزات كافية في المدينة ووضع المسؤولية الأدبية الكاملة لسقوط المدينة (إذا سقطت فعلاً) على خطوط المواصلات ومندوب الخط العام.

٣) في حوالي بداية تشرين الثاني/نوفمبر أعرب فخري للقيادة التركية العليا عن عدم جدوى إرسال أي شيء إليه بالقطار وأعلن أنه محاصر.

٤) في ١٠ تشرين الثاني/نوفمبر أخبر جمال الأول فخري باندحار تركية في خط غزّة ـ بئر السبع وأنه، في حالة سقوط القدس، تنصرف النية إلى سحب حملة الحجاز العسكرية من المدينة، وفي ١١ منه أرسلت إليه رسالة أخرى تسأل عن طول المدة التي يستطيع الثبات فيها إذا صرف النظر عن قوات المدينة. وقد أجاب فخري جواباً لاذعاً نوعاً ما يسأل هل أن قرار إخلاء المدينة يتوقف عليه أم على الخليفة.

٥) في نفس الوقت كانت ثمة مرارة شديدة في المراسلة بين فخري وجمال الأول. في نحو نهاية تشرين الأول/أكتوبر أخبر فخري جمال أنه لا فائدة في إرسال المواد الغذائية إلى المدينة ما لم تتم تنحية العرب عن جوار الخط. وأجاب جمال بعد ذلك أن فخري مسؤول عن هذا الأمر. وأجاب فخري بمرارة أنه لو كانت له قوة كافية باقية لحفظ الخط لما أرسل رسالته الأصلية.

٦) في نحو أواسط تشرين الثاني/نوفمبر أُخبر فخري أن القرار قد اتخذ بإخلاء حملة الحجاز العسكرية باستثناء حامية صغيرة في المدينة، وأُخبر بعد أمد قصير بالمنهاج لتنفيذ الإخلاء.

٧) في رسالة مؤرخة في ٢٥ تشرين الثاني/نوفمبر احتجّ فخري بعدم إمكانه تنفيذ الأوامر الصادرة من دمشق لسحب قواته الراكبة. ورجا أن جمال الأول لن يحرمه من وسائل دفاعه كما سبق أن حرمه من قوته للمبادرة بالهجوم، وبذلك «يدع حامية المدينة تسحق تحت أقدام العدو».

٨) في منتصف كانون الأول/ديسمبر ١٩١٧ أخلّت حركات الجيش الثقيلة من دمشق إلى درعا بخطة الحجاز. في ٢٠ كانون الأول/ديسمبر وصل إلى المدينة الكرنل فانِنستيل مدير السكك الحديد. وقد تأثر

فخري كثيراً بالتعاطف الذي سمعه من ضيفه الذي «خلافاً للأتراك والمسلمين أصغى إلى همومه بعناية شديدة». وقد اغتاظت دمشق من هذه الرسالة وأجابت أن فاننستيل أرسل إلى المدينة «بفضل الأتراك والمسلمين» للغرض الوحيد في الاستعلام عن حاجات حملة الحجاز العسكرية بصفته المرجع الأعلى في شؤون النقل بالقطار.

٩) في كانون الثاني/يناير ١٩١٨، حسب المعلومات الواردة من البعثة الفرنسية في الحجاز، جرت مبادرة لمفاتحات الصلح من جانب القائد العام للقوة المختلطة الثانية وقدمت إلى الشريف فيصل. وقيل إن القائد التركي (عاطف بك) اقترح تخلية عامة لكل جزيرة العرب بشرط أن يضمن العرب الحرية التامة من المضايقة خلال التخلية. وقد ورد هذا التقرير بتحفظ كلي. واستبدل عاطف بك القائد العام للقوة المختلطة الثانية بعد ذلك بناء على طلبه.

١٠) في نهاية كانون الثاني/يناير ١٩١٨ فهم أن النية تنصرف إلى إشراك هجوم لحملة الحجاز العسكرية مع تحرّك إلى الشمال على الطائف ومكة من جانب فرقة عسير الحادية والعشرين، لكن هذا أجّل إلى أجل غير معيّن.

١١) في منتصف شباط/فبراير ١٩١٨ أقيم رأس جسر في جرف الدراويش (شمالي معان)، ودعا فخري ضباطه المختصين بخطوط المواصلات أن يرسلوا البضائع المرسلة إلى المدينة بالرغم من أوامر القيادة العليا خلافاً لذلك.

١٢) في ١٥ آذار/مارس قدّر فخري لزوم ٥٦٦٠ طناً من الطعام، لتمويل الحامية لمدة سنة التي كان المقصود تركها في المدينة، في حالة تخلية الحجاز.

١٣) في ١٣ نيسان/أبريل صدرت الأوامر إلى حملة الحجاز العسكرية لتأخذ على عاتقها مناطق القوات المختلطة الأولى والثانية التي أمرت بالذهاب إلى الشمال، لكن فخري أجاب بأن مثل هذه الحركة تكون مساوية لتسليم سكة حديد الحجاز إلى العرب.

١٤) في ٣ أيار/مايو يظهر أن فخري قد شعر تماماً بالوضع الخطير الذي

أصبحت فيه القوة المختلطة الثانية وحملة الحجاز العسكرية من جراء قطع السكة الحديد في منطقة معان. فأكد أن وضع المدينة وتبوك يائس واستاء من المعاملة التي عومل بها من جانب رؤسائه الذين أهاب بهم مرة بعد مرة إلى إرسال إمدادات لتعزيز قواته.

١٥) في ٨ أيار/مايو كان فخري متشائماً جداً من الوضع، فقد أبلغ أن احتياطيه من الحنطة والشعير كاد ينفد، وأنه لم يكن لديه جنود يستطيع توفيرهم لإصلاح الخط المعطوب. وقال إنه شرح الوضع بوضوح، والمسؤولية عن أية كارثة في المستقبل لا بدّ أن تقع الآن على عاتق سلطات الجيش الرابع.

١٦) في ١٨ أيار/مايو أخبر أنور باشا فخري أن حملة الحجاز العسكرية وضعت تحت قيادة «يلديريم» وأمره بالاحتفاظ بالمدينة بأي ثمن كان، بينما تكون «يلديريم» مسؤولة عن إصلاح سكة حديد الحجاز وحمايتها فضلاً عن تموين المدينة.

١٧) في بداية حزيران/يونيو أبلغ فخري أن تجهيزات القوة المختلطة الثانية وحملة الحجاز العسكرية تنفذ في نهاية حزيران/يونيو وتموز/يوليو بالتسلسل، بينما حاصل تمر المدينة (الذي يُعرف بأنه يبلغ ٢,٠٠٠,٠٠٠ كيلو) لن يكون جاهزاً إلاّ في أيلول/سبتمبر.

١٨) في بداية تموز/يوليو، عند إبلاغه تخلية المدوّرة إلى دمشق، شرح فخري أنه يرى أن معنويات الجنود الواطئة، التي يعزى إليها دون سواها السبب في هذا السلوك السيىء، منشأها الأساسي عدم وصول إمدادات، وإخفاق القيادة التركية العليا في إعادة فتح مواصلات السكة الحديد بين حملة الحجاز العسكرية والشمال.

١٩) وفي التاريخ نفسه تقريباً أبلغ فخري أنَّ من رأيه أن قوة المدينة قد لا تستطيع الثبات إلاّ إلى بداية أيلول/سبتمبر - موعد حاصل التمور - لكنه يخشى أن لا تتمكّن القوة المختلطة الثانية من عمل ذلك. واشتكى بمرارة من حقيقة عدم إجراء أية محاولة حتى ذلك الحين لإعادة فتح مواصلاته مع الشمال، ولا يستطيع النظر إلى المستقبل إلاّ بأشد القلق.

٢٠) في منتصف تموز/يوليو أمر فخري بأن يتسلم مع قواته الراكبة مقطع

معان ـ المدوّرة من السكة الحديد، لكنه رفض لأنه لا يمكن تقديم تنازل آخر حرصاً على سلامة حامية المدينة حيث كانت قواته الراكبة تؤلف احتياطيّه المتحرّك الوحيد، وأنه حتى إصلاح السكة الحديد لا يمكن المحافظة على قوات راكبة في منطقة معان ـ المدوّرة حيث لا يوجد ماء ولا مرعى، وأخيراً إن حيوانات هذه القوات مخصصة لتكون آخر احتياطيّ الطعام في المدينة.

٢١) في ١٧ تموز/يوليو أرسل فخري نداء قوياً إلى ليمان فون ساندرز القائد العام لقوات يلديريم، سأله فيه أن يوضع فيلق الجيش الثاني بصورة وقتية تحت قيادته، وأن توضع دائرة نقليات السكة الحديد لخط مواصلات دمشق وإدارة سكة حديد الحجاز نهائياً ومباشرة تحت أوامره. وارتأى أنه باتخاذ هذه الإجراءات سريعاً فقط يمكن إنقاذ الوضع الحالي الذي هو خطير جداً. ومن رأيه أن قوته قد أهملت بصورة شائنة.

٢٢) في بداية آب/أغسطس، أبلغ فخري أن حملة الحجاز العسكرية ينقصها الوقود إلى درجة أنه، حتى إذا أصلحت السكة الحديد، فمن المشكوك فيه أن تصل القطارات إلى المدينة.

٢٣) في ١٠ آب/أغسطس أرسل فخري رسالة وداع لأنه، بالنظر إلى سقوط المدوّرة (احتلتها سريتان من فيلق الجمّالة الإمبراطوري في ٨ آب/أغسطس)، فهو يعتبر المدينة محكوماً عليها بالسقوط.

٢٤) في ١١ آب/أغسطس تسلم ضابط المشتريات لحملة الحجاز العسكرية في دمشق أوامر (من فخري؟) بإغلاق حساباته والتوقف عن الشراء.

وفي نفس اليوم كان فخري جزعاً جداً من وضع حملة الحجاز العسكرية وارتأى أن الفاجعة قريبة الحلول. وقد نسب هذا إلى نقص الوقود والبطء في إصلاح السكة الحديد شماليّ معان وعدم اتخاذ القرار بشأن مقطع معان ـ المدوّرة، وحقيقة أن «يلديريم» قد امتنعت عن إرسال إمدادات ولم تضع فيلق الجيش الثاني تحت أوامره، فضلاً عن نقص الشعير والحنطة والنقود، وعدم مقدرته على إمداد أية من حامياته إلى الشمال للنقص في القوات في المدينة.

وارتأى عدم احتمال حصول تحسن في الأشهر القليلة القادمة. وكل القوات المشتركة تحت تصرفه هي كتيبة جمّالة وسريّة رشاش (٣١٠ مقاتلين و٢٩٢ بعيراً)

وكتيبة بغَّالة وسريّة رشاش (١٩٥ مقاتلاً و٢٩ بغلاً و٧٨ بعيراً). ولا يمكن توفير هذه للعمل شمالّي تبوك لأنها الاحتياطي الوحيد الباقي لمنطقة المدينة. وهو يفضل أن يستسلم أو يقضي جوعاً على أن يندحر أمام العرب في المدينة.

يظهر أن الرسالة المتقدمة قد أرسلت إلى أنور باشا الذي أجاب مشاركاً فخري في الرأي عن صعوبة قيام حملة الحجاز العسكرية بحركات فعّالة، وارتأى أن عبء المسؤولية لإعادة فتح السكة الحديد يقع على عاتق «يلديريم» وليس على حملة الحجاز العسكرية، وأنه نظراً إلى الهدوء النسبي في ساحة فلسطين فإن ذلك لا يكون غير ممكن.

الأركان العامة
في ٣١ آب/أغسطس ١٩١٨

الملحق (ل)

خسائر العدو

الأرقام التالية لخسائر العدو منذ نشوب الثورة إلى نهاية آب/أغسطس ١٩١٨ أخذت من مصادر مختلفة ولكنها موضوعة بصورة رئيسية على أساس المدّعيات العربية:

القتلى	الجرحى	الأسرى		المدافع	الرشاشات
		ضباط	أفراد		
٤٦٩٧	٨٧٢	٢٣٠	٨٩١٩	٥٠	٥٩

بالإشارة إلى عدد الأسرى المعتقلين، أبلغ الجنرال وينغيت أنه منذ نشوب الثورة إلى نهاية آب/أغسطس ١٩١٨ أرسل ٥٩٤٠ أسير حرب من الحجاز لسجنهم في مصر.

يدّعي العرب بالتدمير التالي لخط السكة الحديد إلى نهاية آب/أغسطس:

القاطرات	الشاحنات	السكك	الجسور والقنوات
١٥	٢٩ (؟)	٢٨٦٩٢	٢٠٧

دخول دمشق

FO 686/37

(١٨٧)

(برقية)

من الكرنل باسيت نائب المعتمد البريطاني في جدة
إلى الملك حسين

(الأصل العربي)[١]

الرقم: ٦٢٥

التاريخ: ٢٥ ذي الحجة ١٣٣٦
١ تشرين الأول/أكتوبر ١٩١٨

جلالة الملك العظيم

البرقية الآتية من جناب الجنرال اللنبي باسم جلالتكم بتاريخ أمس. يبتدي. يسرّني أن أبلغ جلالتكم أن جنودنا المشتركة قد دخلوا مدينة دمشق الساعة السادسة من صباح اليوم والأسرى أكثر من سبعة آلاف. انتهى.

وإني أرفع لجلالتكم تهاني القلبية بالانتصارات بالأصالة عن نفسي وبالنيابة عن جميع الموظفين البريطانيين بالحجاز مع فائق الاحتشام.

نائب المعتمد البريطاني بجدة
الكولونيل
باسيت

وتقبلوا عظيم تهاني عبدكم

المخلص

حسين روحي

---

(١) المراسلات التاريخية، مصدر سابق، صفحة ١٥٠ و٢١٣.

FO 141/776

(١٨٨)

(برقية)

من المكتب العربي ـ القاهرة

إلى الكرنل باسيت ـ وكيل المعتمد البريطاني في جدة

سرّي

الرقم: AB 548 التاريخ: ٤ تشرين الأول/أكتوبر ١٩١٨.

ما يلي رسالة إلى الملك حسين من المندوب السامي.

تلقيت تعليمات بأن أبلغ سيادتكم بأن الحكومتين البريطانية والفرنسية قد اعترفتا رسمياً بالقوات العربية التي تقاتل العدو المشترك معهما بوصفها قوات حليفة.

سيرسل القائد العام إشعاراً بذلك إلى الأمير فيصل في دمشق التي يرتفع عليها العلم العربي الآن، كما تعلمون سيادتكم.

FO 882/19

(١٨٩)

(برقية)

من اللورد بلفور إلى الشريف حسين

وزارة الخارجية
٥ تشرين الأول/أكتوبر ١٩١٨

يرجى إيصال الرسالة التالية إلى ملك الحجاز:

«إصالة عن نفسي ونيابة عن زملائي في مجلس وزراء الحرب أودّ أن أهنىء سيادتكم على تحرير دمشق من قبل قوات الحلفاء بالتعاون مع جيش الأمير فيصل والعرب السوريين الذين يحاربون لأجل استقلالهم الوطني تحت زعامته».

FO 141/776

(١٩٠)

(برقية)

من السير باسيت ـ جدة

إلى المكتب العربي ـ القاهرة

الرقم: ٣٥ W　　　　التاريخ: ٩ تشرين الأول/أكتوبر ١٩١٨

ما يلي إلى المستر بلفور من الملك حسين. يبدأ.

أشعر أن عملي كله لا يستحق جزءاً من المديح الذي تفضلتم فخامتكم وزملاؤكم بالإعراب عنه نحو فيصل وجيشه وأمتنا كلها. ونحن كأمة نعتبر أنفسنا مدينين لبريطانية العظمى التي تمكنّا بواسطتها من تحقيق المبادىء التي يحارب من أجلها الحلفاء جميعاً. وفي تحقيق هذه الأهداف المجيدة إننا نعتمد بعد الله تعالى على رجال الدولة البريطانيين العظام. فخامتكم وزملائكم. انتهى.

(برقية مفتوحة)

FO 686/39

(١٩١)

(برقية)

من الملك حسين

إلى الكرنل باسيت ـ المعتمد البريطاني في جدة بالوكالة

التاريخ: ١٤ محرم ١٣٣٧
٢٠ تشرين الأول/أكتوبر ١٩١٨

سعادة نايب جناب المعتمد البريطاني بجدة الموقّر

عدد ٨٦

عزيزنا،

بكل إيناس تلقينا محرركم المؤرخ ١٣ محرم ٣٧ الموافق ١٩ أكتوبر ١٩١٨ المبلغين به ابتهاج فخامة نايب جلالة الملك عن تضييق علي وعبدالله على العدو بالمدينة ومن إرسال كتاب فخامته إلى فخري. أما شرف[١] فشرب تندريونت وكان سبب مرضه وحدوث جراحات بحلقه وصدره وبلغ من الضعف منتهاه واقبلوا جزيل أشواقي.

حسين
١٤ محرم ١٣٣٧

FO 141/776

(١٩٢)
(برقية)
من الملك حسين إلى المندوب السامي

الرقم: التاريخ: ١٧ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩١٨

لا أنا ولا البشرية كلها نستطيع أن نشكركم بما يكفي للأفضال التي أبلغت إلينا بواسطة الوكالة المحترمة. إن أكثر ما أستطيع أن أفعله هو أن أتوجه مع من يستطيع أن يصحبني من أولادي إلى لندن (أدامها الله) لأمثّل العرب شخصياً أمام جلالة الملك، الرجل الأول وأمام الشعب البريطاني النبيل.

لماذا لا أطلب هذا؟ إن أقل ما أستطيع أن أقوله في هذا الموضوع هو حرصي على أن لا أكون على اختلاف مع مشاعرها الكريمة في حالات كهذه مما هو شرف عظيم للعرب(؟).

نسخ إلى:

المقيمية ـ القاهرة

الكرنل باسيت ـ جدة

الكرنل كورنواليس ـ دمشق

---

(١) الشريف شرف بن راجح، أحد القادة في جيش الثورة.

قضية إنزال العلم العربي في بيروت

FO 882/17

(١٩٣)

(برقية)

من الأمير فيصل إلى الجنرال اللنبي[١]

قيادة الجيوش العربية الشمالية التاريخ: تشرين الأول/أكتوبر ١٩١٨

إنني لا أرى لزوماً لشرح وإيضاح ما حصل على الراية العربية ببيروت من الحقارة[٢] . الراية التي كنتم بالأمس أخبرتموني أنها حليفة راية الحكومة البريطانية العظمى، راية الأمة التي أخبرتموني بالأمس أن حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى أدخلتها ضمن عداد حلفائها[٣]. مع أنني أعتقد يقيناً أن شخصكم الكريم والجيش البريطاني المعظم الذي حارب لاستخلاص الشعوب من الظلم والاستعباد، يعدّ ما حصل على هذه الراية من كسر الشرف والإهانة هو عائد على رايته بالنفس. ربما أنني أخطأت خطئاً شخصياً في إرسال شكري الأيوبي إلى ذلك المحل، ولكن أظن بل أعلم يقيناً، أن هذه الراية لم ترفع ببيروت بواسطتي أو بواسطة شكري أو أي سلطة عسكرية، بل إنها رفعت من طرف أمة اختارت هذه الراية لنفسها والتحقت بأبناء جلدتها وجنسها، وطلبت منا إرسال حاكماً إليها بدون أي مجبر كان، كما فعلوه أهل اللاذقية وطرابلس، الأمر الذي تحاربون أنتم لأجله، المشروع الشريف الذي تسفك الأمة البريطانية دماء آلاف مؤلفة من أبنائها

---

(١) عن الأصل العربي الذي نشره سليمان موسى نقلاً عن أوراق الأمير زيد، وقد جاءت هذه البرقية بدون تاريخ، ولكن من الواضح أنها أرسلت حوالى ١٥ تشرين الأول/أكتوبر ١٩١٨.

(٢) الحقارة = الإهانة.

(٣) قضية العلم: على أثر وصول فيصل إلى دمشق أوفد أمير اللواء شكري باشا الأيوبي ومحمد رستم حيدر إلى بيروت لإعلان قيام الحكومة العربية فيها، فوصلا بيروت يوم ٦ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩١٨ وتم إعلان انضمام لبنان إلى الحكومة العربية، وعين حبيب باشا السعد حاكماً مدنياً كما أعلن ذلك في اللاذقية وطرابلس وصيدا وصور والمدن الساحلية الأخرى. ولكن السلطات الفرنسية احتجت على هذه الإجراءات استناداً إلى اتفاقية سايكس ـ بيكو، وأيدت بريطانية موقف حليفتها، فأصدر الجنرال اللنبي أمراً بتعيين الكولونيل بياباب الفرنسي حاكماً عسكرياً للمنطقة وطلب إلى الأيوبي أن ينزل العلم العربي وينسحب، فلما رفض الأيوبي ذلك، أمر اللنبي بإنزال الأعلام العربية في بيروت والمدن الساحلية الأخرى عنوة، وأرسل فيصل برقية احتجاج طويلة إلى اللنبي، وعاد شكري الأيوبي ورستم حيدر إلى دمشق.

(ن. ص)

هي وجميع الأمم المعادية للاتحاد الجرماني.

أتعشم يا حضرة القائد العام أن تأخذوا بنصرة المظلوم وأن تنظروا في هذا الأمر بنظر الحاكم العادل.

إن أهل ساحل سورية أرادوا أو فعلاً انضموا إلى إخوانهم العرب، فهل من العدل والإنصاف حرمانهم من أمانيهم؟ هل من الإنصاف تركهم بعد أن أعطيناهم العهود والمواثيق بأنهم سيكونون مختارين في تعيين مستقبلهم؟ فهل يوجد دليل فعلي أعظم مما فعلوه وهو إعلان حكومتهم بعد قبضهم عليها وإلقاء القبض على الأتراك حكامهم السابقين، وهم أحرار غير مسودين من جانب أي قوة كانت؟ إن العدالة الإلهية والشرف الإنساني لا يرضى بذلك.

بصفتي تابعاً لكم في الأمور الحربية، لا يمكنني الإكثار عليكم في هذا الصدد، ولكن بصفتي إنسان ولكوني عربي ولأنني نائباً هنا عن والدي صاحب الراية المهانة من جانب حلفائه، أطلب إعادة شرف تلك الراية بإرجاعها كما كانت وتحقيق أماني أهل بيروت، واعتبار ما فعلوه كقضية مفصولة لا لزوم للمناقشة فيها في الاستقبال. والحكم العسكري هو عائد لكم تفعلون فيه كما تريدون.

وإنني أرفع احتجاجي هذا إلى الحق والإنسانية المتصفة بهما بريطانيا العظمى ومن أخذ بنصرتهما من الأمم. وأتعشم عند مقابلتنا بأقرب وقت أن تنتهي بحل مرضي لها. واقبلوا احترامي.

FO 882/17

(١٩٤)
(كتاب)
من الملك حسين
إلى سعادة المعتمد البريطاني المحترم

الرقم: ٢٨٨ — التاريخ: مكة ٢٦/١١/١٩١٨

بعد واجب الاحترام،

أرسل في طيه الرسائل التي تلقيتها من ولدي الأمير فيصل ولا أرى من الضروري الدخول في أية مناقشة حولها بعد الأحاديث التي أجريتها مع سعادتكم في الموضوع نفسه حينما كنت في جدة باستثناء قضية العلم. ولم يكن ليخطر ببالي قط أن شيئاً كهذا سيحدث خاصة بعد مغادرته إلى باريس. ولكنني أؤكد لسعادتك أنه من الضروري بالنسبة لنا أن نمنع منذ البداية الخطر المتزايد الذي يهدد بفنائنا المعنوي في عيون الشعب، وأن نحافظ على هدفنا الحقيقي من الشر الناشىء عن تكرار نتائج كهذه، وهي نتائج تترك أثراً على ولائي لبريطانيا العظمى، الأمر الذي أشرت إليه أكثر من مرة. إن هذا سيجعل من الضروري لي أن أفعل بما صرح به فيصل في رسالته رقم ٣ والتي تقول «إنني سأترك البلاد وأكون محتجزاً في أحد المعتقلات إلخ». والأسباب التي أعطاها في رسالته رقم ٥ وفيها «إنهم ألقوا المسؤولية علينا... إلخ». لأن هذه أسهل طريقة للتخلص من الخطر والصعوبات.

إن جميع آمالنا ستتحطم نتيجة لهذه المعاملة المهينة لرايتنا، التي تم الاعتراف بها كراية من رايات الحلفاء، خاصة وأن أهل البلاد أنفسهم رفعوها فوق بلادهم.

لقد صرحت في برقيتي الأخيرة إلى سعادة المندوب السامي أنه لن تنفعني معارضة فرنسة أو القيام بأي شيء.

FO 882/17

(١٩٥)
(كتاب)[١]
من الأمير فيصل بن الحسين
إلى الملك حسين

دمشق: ١٤ محرم ١٣٣٧
٢٠ تشرين الأول/أكتوبر ١٩١٨

صاحب الجلالة ولي النعم المعظم نصره الله.

---

(١) عن الأصل العربي الذي نقله الأستاذ سليمان موسى عن أوراق الأمير زيد (المراسلات التاريخية ١٩١٤ ـ ١٩١٨)، ص ٢١٦.

بعد تقبل ثرى مواطىء الأقدام والدعاء بطول البقاء على الدوام. للمملوك مدة طويلة لم أتشرف إلاّ ببعض برقيات. وقد سبق من المملوك جملة عرائض برقية وتحريرية أرجو الله أنها تشرفت بلثم الأنامل الشريفة.

أحوالنا الحاضرة منقسمة إلى ثلاثة أقسام: ١ ـ الأحوال الحربية ـ ٢ ـ الأحوال الداخلية ـ ٣ ـ الأحوال السياسية والخارجية.

أما الأحوال الحربية فهي كما نروم وزيادة، ونحن منتظرين سقوط حماه بأيدينا. وقد توجهت القوات العربية والبريطانية معاً، وسنداوم في الحركات إلى حدود أطنه.

أما الداخلية فهي فوق التصوّر. جميع البلاد من بيروت إلى حد اسكندرون في الداخل أعلنت أنها من أجزاء المملكة العربية ورفعت الرايات، كما فعلت بيروت وطرابلس الشام واللاذقية وصيدا وصور.

أما الأحوال السياسية: فهي مشوشة جداً مع حكومة فرانسا، وبهذه الواسطة حصلت منازعات وتوتر في العلائق بصورة رسمية بيننا وبين انكلترا. أما السبب فلا خافي ولي النعم أن بيروت أعلنت انضمامها للعرب ورفعت الراية قبل وصول الجيش العربي والجيش البريطاني، وأرسلت شكري الأيوبي لينوب عني باسمكم. وبعد توجهه وإعلان الحكومة بكل انتظام وصل الجيش البريطاني ووصل أسطول فرانسا، وأمر القائد العام الجنرال اللنبي شكري الأيوبي بالانسحاب وتسليم مقام الحكومة العسكرية إلى بياباب القائد الفرنساوي مع تنزيل الأعلام التي رفعت على الدوائر الرسمية. وحيث إن الأسلاك البرقية كانت منقطعة ما أمكن المشار إليه مخابرتنا، وأفادهم بأن لا يمكنه تسليم الحكومة وتنزيل العلم إلاّ بأمر يصدر من جانبنا، وحصلت منازعات شديدة بينهم. بالأخير أنزلوا الراية جبراً واستلموا الحكومة، بعد أن قال لهم إنني لا أعارضكم ولكني لا أرضى بما حصل منكم. واحتج عليهم على تلك المعاملة. في خلال هذه المدة أتتني برقية من الجنرال اللنبي يقول بلزوم إعطاء الأمر إلى شكري بالانسحاب. ولكن في ذلك الوقت وهم أجروا ما أجروا واحتجيت عليهم ببرقية هذه صورتها مقدمة. وأرسلت لكم هذه البرقية ولكن أظن أنهم ما أوصلوها لجلالتكم.

أما ادعاء الجنرال اللنبي فهو على هذا النص: يقول ـ إنني قائد جميع القوات المتحالفة وقسمت البلاد إلى مناطق عسكرية، القسم الداخلي يديره الحاكم العسكري

العربي باسمي (أي باسمه هو)، وقسم فلسطين يديره قائد إنكليزي، ومنطقة بيروت أحلتها لقائد فرنساوي، ولا دخل للسياسة في هذه التقسيمات. وأما مسألة العلم فحيث إن جميع البلاد المحتلة غير دمشق ما نصب فيها ولا راية، فلذا انجبرنا على تنزيل البيرق، ومستقبل البلاد سيكون بمؤتمر الصلح.

أما ادعائي فهو مبني على أساس المذاكرة والاتفاق الذي حصل بين جلالتكم وبين مندوبي الدولتين في جدة، وهو إبقاء مستقبل البلاد على رغائب أهلها، ومع علمي أن إرسال من ينوب عنا وإنزال العلم سيؤثر تأثيراً سيئاً على السياسة، وأننا سنلقى معارضات شديدة، فإنني أجريت ذلك لنكسب الحق وليعلم العالم بأسره أن أهل ساحل سورية قد اختاروا مستقبل بلادهم قبل أن لعبت بهم أيادي السياسة.

والجنرال اللنبي ومندوبون الحكومة البريطانية فهم يؤمنوننا تأميناً بليغاً قوياً، ويقولون إنهم معنا، وإن الجنرال اللنبي أعطى الضمانة القوية في مصير البلاد، وإنني أرى منهم أثر تودد خصوصاً الجنرال كليتن باشا فإنني أراه معطيني الحق في كل مدعياتي.

أما فرنسا اليوم في بيروت فهي تحكم باسمها، رغم التأمينات التي وقعت من قبل القائد العام بأن لا اسم للحكومات. واليوم سياسيوهم يبثون الفكرة الافرنسية وأهل البلاد مستائون جداً خصوصاً المسلمين وفريق عظيم من المسيحيين، ومحملينا مسئولية البلاد ومستقبلها، يقولون إننا اخترنا مستقبلنا ولكن أنتم اتفقتم مع فرانسة وسلمتونا لها سلمتوا الساحل فلا بقي للداخل أهمية ما. وإنني مربوط اليدين لا أعلم ماذا أصنع. يمكنني مقاومة فرانسا بالسلاح. ولكن حشمة ومحبة بريطانيا خصوصاً أقوال القائد العام ومواعيده موقفتني من كل عمل. وإنني سأنظر في الحالة فإن رأيت أنها ستعود على البلاد بانسلاخ قسمها الغربي، فإنني عند ذلك سأترك الموقع الرسمي وأدافع عن شرفنا الشخصي ولو بمفردي. أما أهل البلاد فهم طوع أيدينا وهم في ذمتنا، وقد أمنّاهم وأعطيناهم المواثيق بحياتنا وشرف عائلتنا. فلا يمكن أن نتبوأ على سرر مشلولة. إما الحياة السعيدة والشرف وإلاَّ الموت.

فرانسا لا يمكننا أن تسلمها ساحل سورية. والآن هم مهتمون بقلب الأفكار ضدنا ويريدون يكسبون الأكثرية، والأهالي ما يعرفون إلاَّ ما يروه أمام أعينهم. ولذلك أسترحم أن تتداخلوا في الأمر بصورة رسمية وتبتدىء المذاكرات وتفوضوا

الأمير عبدالله وترسلوه إلى هنا لكي يحل هذه المسألة المعضلة. وإلاً إن بقيت عليّ فإنني أقاتل من يريد أخذنا وتمزيقنا، وعلى كل حال الاعتماد على الله جل وعلا. وها أنا مرسل صور بعض التفوهات التي وقعت من مندوبهم، وأنا بصورة موقتة رضيت بأن أرسل من طرفي مندوب ليرى حركات الحاكم الفرنساوي. فإن كان أنه يعمل باسم حكومته فسيرفع الأمر إلى القائد العام. وهذه صورة حل مؤقتة حتى أرى فكركم وتتضح الحالة.

التشكيلات هنا كما هو محرر في ضمن هذا. أرجو التصديق عليه بصورة مؤقتة. ويلزم للبلاد شهرياً مايتان ألف جنيه.

التوقيع المملوك فيصل

FO 882/17

(١٩٦)
(كتاب)
من الأمير فيصل إلى الملك حسين[١]

الرقم: ١ دمشق ٢٣ محرم ١٣٣٧
(١٩١٨/١٠/٢٩)

صاحب الشوكة والجلالة.

بعد تقبيل ثرى مواطىء الأقدام والدعاء بطول البقاء على الدوام. برفقه يرى صاحب الجلالة معروض مؤرخ بتاريخ قديم بقي هنا من عدم وجود وسائط المخابرة. ثم عقبه لم يجدّ هنا ما يجب رفعه سوى دخول جيشكم المظفر حلب في أمام الجيش البريطاني. جيشكم دخل مساء والجيش البريطاني اليوم الثاني صباحاً، وتقدما جميعاً على المسلمية ملتقى خط بغداد، وأمس تاريخه استوليا على ذلك الموقع. ولله الحمد يا صاحب الجلالة على نعمائه. إن هذه لسعادة عظمى أنعمها

---

(١) المراسلات التاريخية، مصدر سابق، ص ٢٢٧. أما النسخة المحفوظة في الملف (FO 882/17) فهي الترجمة الإنكليزية للكتاب.

الله على عبده، وإنني والله سعيد لقيامي ببعض ما هو واجب عليّ. قصدي أتوجه إلى حلب عقب ثلاثة أيام ويرفقني مقدار ألف خيال لإصلاح أحوال تلك الأقطار التي هي من الأهمية في الدرجة القصوى. بقي على المملوك أمر واحد هو مسألة الساحل، وقد أخبرتكم عنها تلغرافياً، وأتاني أمس تاريخه برقيتكم المنبئة باعتراضكم عليهم في شكل إدارتها والأمر على المملوك بالاستقراض. إن هذه لمسألتان مهمتان: الأولى عبدكم احتج عليها احتجاجاً قوياً حتى إنني أخذت كل تهلكة أنصب عيني وسأوصل الأمر إلى نهايته، إن البلاد ما تؤخذ إلاّ بالدم وعار علينا السكوت. أسترحم أن تكون لهجة صاحب الجلالة وطلبه يكون هو إعطاء أهل الساحل الحرية التامة والفرصة لانتخاب مستقبلهم والعجلة في ذلك، كما إن أمكن مجيء سيدي عبدالله ليدير الشؤون الخارجية لمملكتكم هذه.

أما الاستقراض فهو يصعب الآن بالنظر كون علائقنا الآن متوترة جداً مع فرنسا. والبارح تذاكرت مع المعتمد البريطاني هنا وهو الكولونيل (قونوالس) وأفادني بأن حكومة إنكلترا ستعطينا ما يكفينا مدة ثلاثة شهور. ولا أعلم هل ذلك حقيقي أم لا. أسترحم مولاي أن يمدني بمقدار خمسين ألف ليرة معاجلة لكي أتمكن من إصلاح ما هو خارب الآن في هذه البلاد، وبغير ذلك لا يمكنني تشكيل حكومة منظمة. إنني أرى أن جميع مأمورين الحكومة البريطانية معنا قلباً وقالباً، وهم يوصوني بالتؤدة والاعتماد على حكومة إنكلترا، وإنني إلى الآن ما لاحظت عليهم أدنى شيء. إنهم ملقين الخطأ على السياسة أعني سياسة لوندرة مؤملين أملاً كبيراً بإمكان تغير الحالة السياسية، ولذا فإنني ثابت ومصر، حتى إذا اقتضى الحال ورأيت ما يخالف ضميري سأترك الحكومة. وإذا تمكنت ولا رأيت في إنكلترا تغير ربما أحارب فرانسا. هذه خلاصة الأحوال بجهتنا. وعقب يومين سيصل المندوب الفرنساوي الكبير وهو جورج بيقو ومعه هيئة عسكرية. وعقب ثلاثة أسابيع يصل مارق سايقس. وإنني في أمل عظيم بنجاح مسعانا لأننا مخلصين النية نحو الإسلام والعرب. هذا ما لزم عرضه. وأقدامكم مقبلة بكل احترام.

المملوك
(فيصل)

FO 371/3390 (183239)

(١٩٧)

(برقية)

من السير ريجنالد وينغيت ـ القاهرة

إلى وزارة الخارجية (لندن)

الرقم: ١٦١٣ التاريخ: ٤ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩١٨

تسلم ملك الحجاز تقريراً من الأمير عبدالله مفاده أن ابن الرشيد اعترف بسيادة الأول [أي الملك حسين]. ويرجو الحصول على تسهيلات لاستيراد الحبوب من العراق. أجاب الملك أن ابن الرشيد يجب أن يجعل خضوعه علنياً بإرسال وفد من شيوخ العشائر لبحث شروط السلم. وقد أرسل، أو على وشك إرسال، حوالى ١٢٠٠ كيس من الأرز إلى ابن الرشيد، وذلك فيما يبدو لإثبات استعداد الشريف لتلبية الطلب.

مكررة إلى بغداد وسيملا.

FO 371/3384 (183445)

(١٩٨)

(برقية)

من السير ريجنالد وينغيت ـ القاهرة

إلى وزارة الخارجية

الرقم: ١٣٤٠ التاريخ ٨ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩١٨

فحوى ما يلي من لورنس إلى الملك حسين.

سرّي. أعتقد أنه ستجرى خلال خمسة عشر يوماً محادثات بين الحلفاء حول قضية العرب. أبرق الجنرال اللنبي أنكم ستطلبون إرسال ممثل عنكم إليها. إذا كان

الأمر كذلك، أؤمل أن ترسلوا فيصل لأن انتصاراته الرائعة قد جعلت له سمعة شخصية في أوروبا مما سيسهل نجاحه. فإذا وافقتم أرجو الإبراق إليه بأن يستعد لمغادرة سورية حالاً لمدة شهر تقريباً، وأن يطلب إلى الجنرال اللنبي سفينة تقله إلى فرنسة. وفي هذه الأثناء يجب أن تبرقوا إلى حكومات بريطانية وفرنسة وأميركة وإيطالية وتخبروهم أن نجلكم متجه إلى باريس حالاً ممثلاً لكم. انتهى.

يرجى إعلام الجنرال اللنبي والجنرال كلايتن.

FO 371/3384 (186251)

(١٩٩)
(برقية)
من السير ريجنالد وينغيت
إلى وزارة الخارجية

عاجل

الرقم: ١٦٥٥ التاريخ: ٩ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩١٨

برقيتكم المرقمة ١٣٤٠.

أخشى أن هذه الرسالة ستربك الملك بعض الشيء. إنه لم يقدم طلباً بشأن إرسال ممثل بواسطة الجنرال اللنبي. وعلى الرغم من أنه أعرب لي عن (رغبته؟) بالتوجه إن أمكن.. صحبة أولاده جميعاً لبحث الشؤون العربية في لندن. وبانتظار اتخاذ قرار بشأن ما جاء في برقيتي المرقمة ١٦١٦ فإنني لم أتصل به حول الموضوع.

قبل العمل باقتراح لورنس، من المؤكد تقريباً أن الملك سيستفسر مني فيما إذا كان الاقتراح صادراً عن حكومة جلالته مباشرة، وإذا كان الجواب سلبياً، أن أطلب وجهة نظرها.

أعتقد أن هذه النقطة يجب اتخاذ قرار بشأنها قبل إبلاغ الرسالة إلى الملك، ولذلك فإنني أوقفتها بانتظار توجيهاتكم.

FO 371/3385 (187977)

(٢٠٠)

(برقية)

من السير ريجنالد وينغيت إلى وزارة الخارجية

الرقم: ١٦٨٦ التاريخ: ١٣ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩١٨

برقيتي الموقعة ١٥٧١.

أرسل إليّ ملك الحجاز نسخة من تعليماته إلى الأمير فيصل، مؤداها أن فيصل بناء على رغبة حكومة جلالته، يجب أن يتوجه إلى باريس فوراً بعد اتخاذ الترتيبات اللازمة بشأن تأدية أعماله في دمشق. وقد أوعز إلى فيصل أن يتصرَّف في جميع الشؤون السياسية في باريس بانسجام تام مع ممثلي حكومة جلالته وأن لا يعمل شيئاً بدون مشاورات سابقة معهم. يقترح الملك أن الأمير زيد، أخا الملك فيصل، قد يصحب أخاه في بعثته.

التزامات الحكومة البريطانية للشريف حسين

FO 882/13

(٢٠١)

دائرة الاستخبارات السياسية

وزارة الخارجية

خاص ـ ٣

مذكرة
عن
التزامات بريطانية للملك حسين

تشرين الثاني/نوفمبر ١٩١٨

إن التزاماتنا للملك حسين ليست مسجلة في أية اتفاقية أو معاهدة موقعة، ولا هي التزامات يعترف بها الطرفان. ومن هذه الناحية فإنها تختلف عن التزاماتنا تجاه روسية، وفرنسة، وإيطالية وبعض الحكام العرب المستقلين كالإدريسي وابن سعود، ويمكن تحليلها فقط بتلخيص تاريخ تعاملنا مع الملك خلال الحرب، تحت عناوين مختلفة. ومما يعقد الوضع عادة الملك في تجاهل أو رفض ملاحظة الشروط التي نضعها ويعترض عليها، ثم مضيّه وكأن المسألة المعينة قد تمت تسويتها بيننا حسب رغباته.

إن الإشارات في الخلاصة التالية، حيث لا تستند إلى أوراق وزارة الخارجية، فإنها تعود إلى العرض التاريخي المؤرخ في ٢٩ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩١٦ الذي أعده المكتب العربي في القاهرة.

(١) الضمانات العامة ضد إعادة «الوضع الراهن»

كان ممثل حكومة جلالته في مصر على اتصال بالشريف حسين وأبنائه ـ وخاصة عبدالله ـ قبل الحرب.

في ٢٤ أيلول/سبتمبر ١٩١٤ (في الفترة التي كانت بريطانية خلالها في حالة حرب مع ألمانية ولكن ليس مع تركية بعد) أبرقت وزارة الخارجية إلى القاهرة،

بطلب من اللورد كتشنر، بتعليمات لإنفاذ رسول خاص إلى عبدالله للاستفسار عما سيكون عليه موقف الشريف في حالة نشوب الحرب مع تركية. وقد أرسل عبدالله جواباً تحريرياً أعرب فيه عن تفضيله بريطانية على تركية.

«طالما هي تحافظ على حقوق بلادنا، وحقوق شخص سمو أميرنا وسيدنا الحالي وحقوق إمارته واستقلالها من جميع النواحي دون أية استثناءات أو قيود، وطالما هي تعضدنا ضد أي اعتداء خارجي وخاصة ضد العثمانيين، ولاسيما إذا رغبوا في تنصيب شخص آخر لمقام الإمارة بقصد إثارة نزاع داخلي ـ وهو المبدأ الذي تسير عليه حكومتهم ـ وبشرط أن تضمن حكومة بريطانيا العظمى هذه المبادىء الأساسية بوضوح وتحريرياً. وإننا ننتظر تسلم هذا الضمان بأول فرصة»(*).

وقد قوبل هذا الطلب ببرقية وزارة الخارجية المرقمة ٣١ تشرين الأول/أكتوبر ١٩١٤ (وهو اليوم الذي أعلنت فيه الحرب بين بريطانية العظمى وتركية):

«تحيات اللورد كتشنر إلى الشريف عبدالله... إذا ساعدت الأمة العربية إنكلترة في هذه الحرب التي فرضت علينا من قبل تركية، فإن إنكلترة ستضمن أنه لن يحصل أي تدخل داخلي في البلاد العربية وأنها ستقدم للعرب كل مساعدة ضد العدوان التركي.

«وربما تولى الخلافة في مكة أو المدينة عربي صحيح النسب، وبهذا يحصل الخير ـ بعون الله ـ بمكان الشر الذي يحصل الآن»(**).

وكان هذا التصريح قد أبلغ إلى عبد الله برسالة من القاهرة مع الإضافة التالية:

«إذا كان أمير مكة مستعداً لمساعدة بريطانية في هذا النزاع، فإن بريطانية مستعدة لأن تعترف بالمقام المقدس والفريد الذي يحتله الأمير حسين (مع الألقاب) وتحترمه، وأن تضمن استقلال الشرافة وحقوقها وامتيازاتها ضد الاعتداء الخارجي الأجنبي، وخاصة من جانب العثمانيين. لقد دافعنا عن الإسلام حتى الآن في شخص الأتراك، أما من الآن وصاعداً، فسيكون ذلك في شخص العرب

(*) نص الرسالة الكامل في الجزء الأول من هذا الكتاب (١٩١٤ ـ ١٩١٥) الوثيقة تسلسل (١٩٥) من عبد الله بن الحسين إلى ستورز بتاريخ ٢٠ تشرين الأول/أكتوبر ١٩١٤ ص (٤٥٦) /FO 371 .6237

(**) هذه الوثيقة مترجمة في الجزء الأول من هذا الكتاب الوثيقة تسلسل (١٩٣) ص(٤٥٤).

الشرفاء»(*).

وفي الكتاب الذي بعث به الشريف حسين إلى السير هنري مكماهون في تموز/ يوليو ١٩١٥ والذي اقترح فيه بصورة قاطعة عقد معاهدة مع حكومة صاحب الجلالة (البريطانية)، طرح الشروط التالية:

«ثالثاً، لأجل سلامة هذا الاستقلال العربي وتأميناً لأفضلية إنكلترة في المشروعات الاقتصادية، يتعاون الفريقان الساميان المتعاقدان في تقديم العون بعضهما لبعض في أقصى حد تستطيعه قواتهما الحربية والبحرية لمجابهة أية قوة أجنبية قد تهاجم أحد الفريقين. ولا يعقد الصلح دون موافقة الطرفين»(**).

وقد تكرر هذا الشرط بصورة أكثر تأكيداً في رسالة الشريف الثالثة إلى السير هنري مكماهون المؤرخة في ٥ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩١٥:

«(٥) متى علمت العرب أن حكومة بريطانية حليفتهم لا تتركهم عند الصلح على حالهم أمام تركيا وجرمانيا، وأنها تعاضدهم وتدافع عنهم الدفاع الفعلي، فالدخول في الحرب من الساعة لا شك أنه مما يوافق المصالح العمومية العربية»(***).

وجواباً على ذلك، قدم السير هنري مكماهون، حسب تعليمات وزارة الخارجية، الضمان التالي في رسالته الثالثة إلى الشريف بتاريخ ١٣ كانون الأول/ ديسمبر ١٩١٥:

«.. من الضروري جداً أن تبذلوا مجهوداتكم في جمع كلمة الشعوب العربية إلى غايتنا المشتركة وأن تحثوهم على أن لا يمدوا يد المساعدة إلى أعدائنا بأي وجه كان. فإنه على نجاح المجهودات وعلى التدابير الفعلية التي يمكن للعرب أن يتخذوها لإسعاف غرضنا عندما يجيء وقت العمل، يتوقف قوة الاتفاق بيننا وثباته.

«وفي هذه الأحوال فإن حكومة بريطانيا العظمى قد فوضت لي أن أبلغ دولتكم

(*) النص مترجم عن الترجمة الإنكليزية، أما النص العربي الذي تسلمه الشريف حسين (ونشره الأستاذ سليمان موسى نقلاً عن أوراق الأمير زيد) فمنشور في الجزء الأول من هذا الكتاب (تسلسل ١٩٧) هامش الصفحة (٤٥٩).

(**) النص الكامل لهذه الرسالة في الجزء الأول، الوثيقة تسلسل (٢٣٢) ٤٨٩.

(***) أصل الكتاب في الجزء الأول، الوثيقة تسلل (٢٨٢)، ص ٥٩٣.

أن تكونوا على ثقة من أن بريطانيا العظمى لا تنوي إبرام أي صلح كان إلاّ إذا كان من ضمن شروطه الأساسية حرّية الشعوب العربيّة وخلاصها من سلطة الألمان والأتراك»(*). (ص ١٠٣).

وقد سجل الشريف هذا التأكيد في رسالته الرابعة إلى السير هنري مكماهون المؤرخة في ١ كانون الثاني/يناير ١٩١٦:

«الذيّ ثقة كاملة، يرثها الحيّ منا بعد الميت، بتصريحاتكم التي ختمتم بها رقيمكم الموقّر»(**) (ص ١١٣).

وقد كان التأكيد بطبيعة الحال، احتياطياً، ولكن أعمال الشريف منذ ذلك التاريخ قد جعلته فعالاً.

وقد تكرر في رسالة أبرقت من وزارة الخارجية إلى السير ر. وينغيت في ٤ شباط/فبراير ١٩١٨، لإبلاغه إلى الشريف (الذي كان قد أصبح الآن ملكاً للحجاز):

«إن حكومة جلالته، مع حلفائها، تعضد قضية تحرر الأمم المظلومة، ومصمّمة على دعم الشعوب العربية في كفاحها لإعادة بناء عالم عربي، يسود فيه القانون بدلاً من الظلم العثماني، والوحدة بمكان المنافسات المصطنعة التي يثيرها الموظفون الأتراك. إن حكومة جلالته تكرّر العهد الذي قطعته لسموّه بتحرير الشعوب العربية. إن التحرير هو السياسة التي اتبعتها حكومة جلالته وتعتزم اتباعها بتصميم لا يتزعزع، وذلك بحماية العرب الذين سبق أن تحرروا من خطر إعادة احتلالهم، ومساعدة العرب الذين لا يزالون رازحين تحت نير الظالمين لكي ينالوا حريتهم»[1].

علاقات الالتزامات الواردة في (١) برغبات بريطانية

ليس هنالك تعارض، فيما إذا فسرت على ضوء تحفظاتنا في (٣) و(٥).

(*) عن الأصل العربي الذي أرسل إلى الشريف حسين، وصورته الكاملة منشورة في الجزء الأول (الوثيقة تسلسل ٣٠٩، ص ٦٣٩).

(**) النص الكامل لهذه الرسالة في الجزء الأول (الوثيقة تسلسل ٣١١) ص ٦٤٤.

(١) نص الرسالة الكامل في (22108 /146 /18) ٤/٢/١٩١٨.

(٢) الضمانات المتعلقة بالأماكن الإسلامية المقدسة

أصدرت حكومة الهند البيان التالي في ٢٠ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩١٤:

«نظراً لنشوب الحرب بين بريطانية العظمى وتركية، والذي تم مع أسف الحكومة البريطانية نتيجة للإجراءات المتعمدة التي اتخذتها الحكومة العثمانية بناء على نصيحة سيئة، وبدون استفزاز، فإن حكومة صاحب الجلالة خوّلت فخامة نائب الملك بإصدار البيان العام التالي بشأن الأماكن المقدسة في البلاد العربية، بما فيها العتبات المقدسة في العراق، وميناء جدة، لكي لا يكون هنالك أي سوء فهم من جانب رعايا جلالته المخلصين من المسلمين فيما يتعلق بموقف حكومة جلالته في هذه الحرب التي لا دخل للقضايا الدينية فيها. إن هذه الأماكن المقدسة، وجدة، لن تكون عرضة للهجوم ولن ينالها الأذى من قبل القوات العسكرية والبحرية البريطانية إذا لم يحصل أي تدخل ضد الحجاج القادمين من الهند لزيارة الأماكن المقدسة والعتبات المذكورة. وقد أعلنت حكومتا فرنسة وروسية تأكيدات مماثلة بناء على طلب حكومة جلالته».

وهنالك تعهد أكثر مرونة، يشمل الجزيرة العربية كلها، كان قد قدم ببرقية من وزارة الخارجية مؤرّخة في ١٤ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩١٤ إلى المندوب السامي في مصر:

«لا تنوي حكومة جلالته القيام بأية عمليات عسكرية أو بحرية في الجزيرة العربية أو ضد موانيها إلاّ إذا أصبح مثل هذا الإجراء ضرورياً لحماية المصالح العربية ضد العدوان التركي أو غيره، أو في حالة دعم أية محاولة يقوم بها العرب لتحرير أنفسهم من الحكم التركي».

في ٤ نيسان/ أبريل ١٩١٥ أبرقت وزارة الخارجية (استناداً إلى كتاب وجهه السيد علي الميرغني، قاضي السودان الأكبر، إلى السير ر. وينغيت، السردار في ذلك الوقت، وأبلغه الأخير) إلى المندوب السامي في القاهرة:

«أبلغوا السير ر. وينغيت بأنه مخوّل من قبلي أن يعلن، إذا وجد ذلك مرغوباً فيه، أن حكومة جلالته ستجعل من الشروط الأساسية للصلح بقاء شبه الجزيرة العربية وأماكنها الإسلامية المقدسة بأيدي دولة مستقلة ذات سيادة» (ص ٣٠).

وقد أبلغ هذا التأكيد إلى السيد علي الميرغني ومنه، فيما يبدو، إلى الشريف حسين. وبعد ذلك، في أواخر حزيران/يونيو سجل فحواه في البيانات التي وزعت في مصر والسودان والجزيرة العربية.

وفي تشرين الأول/أكتوبر بينما كانت المفاوضات مع الشريف قد تقدمت بصورة مرضية، قدم الفاروقي (وهو عضو إحدى المنظمات القومية العربية في الجيش العثماني، عبر إلى الخطوط البريطانية في غاليبولي، ونقل إلى مصر في تشرين الأول/أكتوبر) مقترحات إلى المندوب السامي بإعطاء ضمانات للشريف، وكان أحدها: «إن إنكلترة ستضمن الأماكن المقدّسة ضد الاعتداء الخارجي وتعترف بحرمتها..» وأبلغ السير هـ. مكماهون هذا إلى السير إدوارد غري في برقية خاصة مؤرّخة في ١٨ تشرين الأول/أكتوبر ١٩١٥ وأرسلت إليه التعليمات ببرقية من وزارة الخارجية مؤرّخة في ٢٠ تشرين الأول/أكتوبر ١٩١٥ وتضمنتها رسالته الثانية، المؤرّخة في ٢٤ تشرين الأول/أكتوبر إلى الشريف حسين. وفي هذه الرسالة نقل حرفياً الضمان الذي اقترحه الفاروقي بشأن الأماكن المقدسة.

وأخيراً جاء التصريح التالي في بيان رسمي نشر في مصر في ٢٩ تموز/يوليو ١٩١٦ بعد ثورة الشريف، بتخويل من وزارة الخارجية:

«ستظل السياسة الثابتة لبريطانية العظمى الامتناع عن أي تدخل في الشؤون الدينية، وأن لا تألو جهداً في حماية الأماكن المقدّسة من أي اعتداء خارجي».

«إن بقاء هذه الأماكن المقدّسة تحت حكم سلطة مستقلة، هو أمر غير قابل للتعديل في السياسة البريطانية:

«إن الوضع الحالي للحرب يضع عدة صعوبات ومخاطر في طريق أولئك الذين يرغبون في أداء فريضة الحج، ولكن الإجراء الذي اتخذه شريف مكة يبعث الأمل بأن الترتيبات قد تتخذ بحيث يتمكن الحجاج في السنة القادمة من زيارة الأماكن المقدّسة في سلم وأمان» (ص ٥٧ القسم ٢).

علاقات الالتزامات بموجب الفقرة (٢) بالرغبات البريطانية

لا يوجد خلاف.

(٣) حدود الاستقلال العربي

في برقية وزارة الخارجية المؤرّخة في ١٤ نيسان/أبريل ١٩١٥ (رقم ١٧٣) إلى المندوب السامي في القاهرة (اقتبست منها في القسم الثاني أعلاه) التزمت حكومة صاحب الجلالة ببيان عام «بأنها ستجعل من شروط الصلح الأساسية بقاء الجزيرة العربية بأيدي دولة مستقلة ذات سيادة». ومع ذلك فقد أضافت أنه «ليس من الممكن أن يعرّف في هذه المرحلة بصورة دقيقة مقدار الأراضي التي يجب أن تدخل في هذه الدولة».

وقد أثار هذه القضية الشريف حسين في تموز/يوليو ١٩١٥ في رسالته الأولى إلى السير هنري مكماهون، إذ كان أول الشروط التي اقترح أن يتعاون مع بريطانية العظمى بموجبها ضد الأتراك هو «أن تعترف إنكلترة باستقلال البلاد العربية ضمن الحدود الآتية: شمالاً خط مرسين ـ أضنة الموازي ٣٧ شمالاً الذي تقع عليه بيره جيك ـ أورفة ـ ماردين ـ ميديات ـ الجزيرة (جزيرة ابن عمر) ـ العمادية ـ إلى حدود فارس، وشرقاً: حدود فارس حتى خليج البصرة (الخليج العربي)، وجنوباً: المحيط الهادي باستثناء موقع عدن الذي يبقى كما هو، غرباً: البحر الأحمر ثم البحر المتوسط حتى مرسين» (ص ٤٠).

ويظهر من تصريح أدلى به الفاروقي (أنظر عنه في القسم ٢ أعلاه) بأن تأكيدات اللورد كتشنر بتاريخ ٣١ تشرين الأول/أكتوبر للشريف عبد الله (أنظر القسم ١) قد بحثت بين الشريف حسين واللجنة العربية القومية المركزية التي كانت في ذلك الوقت في دمشق، وأن اللجنة هذه التي اقترحت على الشريف هذا المطلب الإقليمي[١]. وقد أوفد الرسل من دمشق إلى جدة مع تعليمات بالمساومة حول هذا المطلب بالتفصيل، مع الإلحاح على قبوله من قبل بريطانية بصورة عامة كشرط لاستمرار المفاوضات.

في ٣٠ آب/أغسطس ١٩١٥ أجاب السير هنري مكماهون في رسالته الأولى إلى الشريف حسين عن هذه النقطة إجابة «لم يلتزم فيها بشيء»، مكرراً تعهدات اللورد كتشنر ولكنه أشار إلى بحث موضوع الحدود بأنه سابق لأوانه» (ص ٤٣).

---

(١) 157740 /S وتصريح الفاروقي ص ٤ و١٠.

ومع ذلك، ففي ٩ أيلول/سبتمبر ألحّ الشريف في رسالته الثانية على ضرورة التحديد.

«.. ثم تسمح لي بالإيضاح بأن القصد بالفتور والتردد ما أوردتموه على مسألة الحدود والتخوم بأن البحث والحالة هذه فيها سدى وأن لا طائلة تحته إلاّ إضاعة الوقت وأنها تحت إشغال حكومتها السائدة عليها إلى آخر ما أشرتم إليه، مما هو حريّ أن أحمله على الجفوة وما هو في معناها، لما هو متيقن أن تلك الحدود والتخوم المطلوبة ليست لشخص متعلق إرضاءه والبحث معه فيها عندما تضع الحرب أوزارها، بل أقوامنا رأوا أن حياة تشكلاتهم الجديدة الضرورية القائمين في أمرها مربوطة على تلك الحدود والتخوم، وعقدوا الكلمة عليها، ولذلك رأوا البحث فيها أولاً مع محل ثقتهم واعتمادهم محور النقض والإبرام، ألا وهي الدولة الفخيمة البريطانية» (ص ٤٤).

وقد أبلغ السير هنري مكماهون فحوى هذه الرسالة إلى وزارة الخارجية في ١٨ تشرين الأول/أكتوبر (برقيته المرقمة ٦٢٣)، وفي برقية خاصة بالتاريخ نفسه إلى السير ادوارد غري[1] (ص ٤٩) أبلغ نتائج محادثاته التالية مع الفاروقي. وقد صرح الفاروقي بأن ألمانية كانت قد وعدت الجانب العربي بتحقيق جميع مطالبهم وأنهم كانوا على مفترق الطرق. وقد أعرب عن الرأي الآتي:

«إن احتلال فرنسة لأراضٍ عربية بحتة، وهي حلب وحمص ودمشق سيقاومه العرب بقوة السلاح، ولكنهم باستثناء ما تقدم سيقبلون إدخال بعض التعديل على الحدود الشمالية الغربية التي اقترحها شريف مكة» (ص ٥١).

إن هذا التصريح الأخير للفاروقي مهم، فعلى الرغم من أنه لا يبدو من المؤكد أنه سيحظى بموافقة على بقية جماعة دمشق[*]، وقطعاً لم يوافق عليه الشريف حسين، فإن حكومة جلالته اتخذته أساساً لمفاوضاتها مع فرنسة، وإنه أصل خط التقسيم بين المنطقة الزرقاء والمنطقة (أ).

وقد ورد ذلك في رسالة السير هنري مكماهون الثانية إلى الشريف بتاريخ ٢٤

---

(١) 15/ 153045.

(*) المقصود: «جمعية العربية الفتاة» و«جمعية العهد».

(ن. فـ. ص.)

تشرين الأول/أكتوبر ١٩١٥:

«إن ولايتي مرسين والإسكندرونة، وأجزاء من بلاد الشام الواقعة في الجهة الغربية لولايات دمشق الشام وحمص وحماه وحلب لا يمكن أن يقال إنها عربية محضة، وعليه يجب أن تستثنى من الحدود المطلوبة. ومع هذا التعديل وبدون التعرض للمعاهدات المعقودة بيننا وبين بعض رؤساء العرب، نحن نقبل تلك الحدود، وأما من خصوص الأقاليم التي تضمها تلك الحدود، حيث بريطانية العظمى مطلقة التصرف بدون أن تمس مصالح حليفتها فرنسة، فإني مفوض من قبل حكومة بريطانية العظمى أن أقدم التأكيدات التالية، وأجيب بما يلي على كتابكم:

«مع مراعاة التعديلات المذكورة أعلاه، إن بريطانية العظمى مستعدة للاعتراف باستقلال العرب ودعمه وتؤيد ذلك الاستقلال في جميع الأقاليم الداخلة في الحدود التي يطلبها شريف مكة» (ص ٥٣).

وسيلاحظ أن التحفظ الوارد بشأن المصالح الفرنسية، حتى ضمن الحدود الضيقة للاستقلال العربي المقترحة هنا، هيّأت الأساس لإنشاء المنطقة (أ).

في ٥ تشرين الثاني/نوفمبر وافق الشريف في كتابه الثالث على استثناء مرسين وأطنه، ولكن أكد بصورة رسمية مطالبه فيما يتعلق بالبقية[1]:

«تسهيلاً للوفاق وخدمة للإسلامية فراراً مما يكلفها المشاق والإحن، ولما لحكومة بريطانيا العظمى من الصفات والمزايا الممتازة لدينا، نترك الإلحاح في إدخال ولايات مرسين وأطنه في أقسام المملكة العربية. أما ولايتي حلب وبيروت وسواحلهما فهي ولايات عربية محضة ولا فرق بين العربي المسيحي والمسلم، فإنهما أبناء جدّ واحد...» (ص ٩٢).

ويلاحظ أنه لا يتطرق لذكر ولاية لبنان ولا سنجق القدس ـ وهما منطقتان استبعد كلتاهما من الدولة العربية المستقلة في الاتفاق البريطاني ـ الفرنسي التالي. ولكنه طالب بصورة قاطعة بلبنان في مناسبات أخرى منذ ذلك الوقت، وأن

---

(١) إن هذه الصيغة (وليس خط دمشق ـ حمص ـ حماه ـ حلب) كان قد اقترحها الفاروقي على السير مارك سايكس في أوائل تشرين الثاني/نوفمبر. وكان الفاروقي والشريف يتراسلان بواسطة رسول الشريف إلى القاهرة.

إشارته إلى العرب المسيحيين هنا هو تلميح إلى تحول لبنان.

إن السياسة المطروحة فيما يتعلق بالمسيحيين كانت بصورة واضحة بوحي من لجنة دمشق، لأن الفاروقي، في محادثاته بالقاهرة، بيَّن آثارها في هذه المنطقة كما يلي:

«ستقوم الإمبراطورية العربية الجديدة على أساس قومي وليس ديني. إنها ستكون إمبراطورية عربية وليست إسلامية. وسيكون للعرب المسيحيين، والدروز، والنصيرية، نفس الحقوق التي يتمتع بها المسلمون، ولكن اليهود سيحكمهم قانون خاص»[1].

إن تخلِّي الشريف عن مرسين وأطنه، وضماناته للعرب المسيحيين قد سجل السير هنري مكماهون اطلاعه عليه في رسالته المؤرَّخة في ١٣ كانون الأول/ديسمبر ١٩١٥، ولكنه تجاهل تأكيده لمطالبته بحلب وبيروت (ص ١٠٢).

وفي ١ كانون الثاني/يناير ١٩١٦، في رسالته الرابعة إلى السير هنري مكماهون، أجاب الشريف مصرحاً بأنه لن يلح على مطالبه ضد فرنسة إلى أن تنتهي الحرب، ولكنه أبدى أنه يعتزم ذلك بعدها:

«أما فيما يتعلق بالأقسام الشمالية وسواحلها، فما كان في الإمكان من تعديل أتينا به في رقيمنا السابق. هذا وما ذاك إلاَّ للحرص على الأمنيات المرغوب حصولها بمشيئة الله تبارك وتعالى. وعن هذا الحس والرغبة هما التي ألزمتنا بملاحظة اجتناب ما ربما أنه يمسر حلف بريطانية العظمى لفرنسة واتفاقهما بأن الحروب والنوازل، إلاَّ أننا مع هذا نرى من الفرائض التي ينبغي لشهامة الوزير صاحب الرياسة أن يتيقنها بأن عند أول فرصة تضع فيها أوزار الحرب سنطالبكم بما نغضّ الطرف عنه اليوم لفرنسا في بيروت وسواحلها... (ص ١١٢).

«... وعليه يستحيل إمكان أي تساهل يكسب فرنسا أو سواها شبراً من أراضي تلك المناطق» (ص ١١٣).

أجاب السير هنري مكماهون عن هذا في كتابه الرابع المؤرَّخ في ٢٠ كانون الثاني/يناير بأنه يسجل «رغبة الشريف في تفادي ما قد يمسّ حلف بريطانية

(١) تصريح الفاروقي 15/ 157740.

وفرنسة» ويحذره بأن الصداقة بين البلدين ستظل باقية بعد الحرب (القسم الثاني، صفحة ٥). أما الشريف فإنه من جانبه لم يشر قط إلى قضية الحدود مرة أخرى خلال المفاوضات، ولكن هنالك أدلّة تدلّ على أنه لم يسحب المطالب التي لم توافق عليها الحكومة البريطانية.

فمثلاً رسالة كتبها إليه ابنه الشريف علي في ٢٦ آذار/مايو ١٩١٦ عشية الثورة، تعنى في معظمها بالتفاصيل العسكرية، تختم بما يلي:

«ونأمل أن سيدنا لن ينسى الإسكندرونة وبيروت وتلك المناطق...» (القسم الثاني، ص ٤١).

ومرة أخرى أبدى الشريف عبد الله للكرنل ويلسن في جدة في أول تشرين الأول/أكتوبر سنة ١٩١٦[1] بمناسبة اتخاذ والده لقب «ملك العرب» أن حدود مملكته كانت قد حدّدت قبل الثورة ـ وهو عرض خاطىء للحقائق، إلاّ إذا كان القصد منه ـ والواقع أنه لم يكن ـ أن يكون قبولاً للحدود التي وافقت عليها حكومة جلالته.

في ٢٩ تموز/يوليو ١٩١٧، أعرب الملك حسين للكابتن لورنس عن آرائه في مسألة الحدود[2]:

«كانت النقاط الرئيسية أنه كان يرفض كلياً السماح بأي ضمّ فرنسي لبيروت ولبنان، إنهما قطران عربيان، ولكنني لن أستولي عليهما بنفسي وكذلك لن أسمح لأحد بالاستيلاء عليهما. إنهما يستحقان الاستقلال، ومن واجبي أن أعمل على حصولهما عليه.

«قال إنه رفض بحث قضية الحدود بصورة تفصيلية بحجة أن القتال بين تركية والحلفاء لا يزال مستمراً، وأن جميع المقررات المتخذة الآن ستعدل بالضرورة بموجب النتائج الفعلية للعمليات الحربية، وذلك ما يجب أن يكون مطلق اليدين فيه. وإذا كان ذلك من المستحسن فإننا سنلاحق الأتراك حتى القسطنطينية وأرضروم، فلماذا نتحدث عن بيروت وحلب وحائل».

وقد أفصح عن الحالة الذهنية نفسها في حديث مع الكرنل ويلسن بعد ذلك

---

(١) 222016/16.

(٢) 174974/17.

ببضعة أشهر[1].

واستنتج الكوماندر هوغارث من محادثة معه خلال الأسبوع الثاني من كانون الثاني/يناير ١٩١٨، أنه لا يزال يتوقع حدوث خلاف بين «فرنسة وبريطانية العظمى، وفي تقديره أنه سيستطيع إرغام الفرنسيين بمساندة منا»[2].

وفي ١١ شباط/فبراير ١٩١٨ كتب الكرنل باسيت إلى السير ر. وينغيت أن «الملك حسين قد فهم من (عهود) حكومة جلالته أنها تمنح حدوداً واسعة جداً، وهو يصرّح بأن له ثقة مطلقة بمقاصد بريطانية العظمى وبقدرتها على الوفاء (بالعهد) كما يفسّره..»[3].

علاقات الالتزامات بموجب الفقرة (٣) برغبات بريطانية

إن حدود منطقة الاستقلال العربي التي التزمت بها حكومة جلالته في رسالة السير هـ. مكماهون الثانية إلى الشريف حسين (المؤرخة في ٢٤ تشرين الأول/أكتوبر ١٩١٥) تستثني (أ) محمية عدن البريطانية وأراضيها، وكذلك فيما يظهر: (ب) محمية البحرين البريطانية، طالما كانت مطالب الشريف حسين تجعل «المحيط الهندي» حدوداً لشبه الجزيرة العربية، ولا تتطرق لذكر الجزر (أنظر الرسالة الأولى المرسلة في تموز/يوليو ١٩١٥، المقتبس عنها أعلاه).

ومن جهة أخرى، فإنها تشمل: (حـ) عكا ـ حيفا، و(د) البصرة، على الرغم من أنه في اتفاقية ٦ أيار/مايو ١٩١٦ مع فرنسة، والمراسلات المتبادلة بين وزارتي الخارجية والهند في أوقات مختلفة، كان يبدو من المفروض أن كلا هذين المكانين سيصبحان قطاعين بريطانيين في الدولة العربية المستقلة، ملحقين بطريقة رسمية ما بالإمبراطورية البريطانية، إما عن طريق الضمّ، أو الحماية أو الاستئجار...

وقد أفاد السير مارك سايكس في تقرير له أن الفاروقي صرح خلال محادثاته في أوائل تشرين الثاني/نوفمبر ١٩١٥ بأن «العرب سيوافقون على أن تكون مدينة البصرة وجميع الأراضي الصالحة للزراعة إلى الجنوب منها، منطقة بريطانية»[4]

---

(١) 228069/17.

(٢) 25577/18.

(٣) 42105/18

(٤) P 105; also 23579/16.

ولكن ليست هنالك وثيقة أخرى لتنازل كهذا من جانبه أو من جانب أي ممثل آخر للمنظمات القومية العربية في تركية، كما أن الملك حسين لم يذكر قط إمكانية ذلك، ولم تذكره أيضاً حكومة جلالته في مراسلتها معه[1].

وكذلك فإن حق نقل القوات البريطانية، في وقت السلم والحرب، على سكة حديد تملكها بريطانية، تمتد من عكا ـ حيفا إلى العراق والخليج (الفارسي) قد وافقت عليه فرنسة وإيطالية وروسية فقط، ولكن لم تكن هنالك أية مطالبة به، أو موافقة عليه، في أية مفاوضات بين حكومة جلالته والعرب أنفسهم.

وفي هذه الحالات إذن، تبقى العلاقة بين التزامات بريطانية ورغباتها بدون تسوية.

أما فيما يتعلق بطبيعة الاستقلال العربي، الذي ألزمت حكومة جلالته نفسها به ضمن الحدود التي عيَّنتها رسالة السير هـ. مكماهون المؤرَّخة في ٢٤ تشرين الأول/أكتوبر ١٩١٥، فإنها مقيَّدة بالتحفظات الواردة في الفقرة (٤) بالإدارة الأجنبية في العراق وسورية وفلسطين (٥) علاقات الشريف حسين بحكومة جلالته و(٧) المعاهدات والاتفاقات البريطانية النافذة حالياً مع الحكومات العربية في المنطقة المستقلة. إن العلاقة بين التزامات بريطانية ورغباتها بموجب هذه العناوين، ستبحث في أدناه:

(٤) الإدارة الأجنبية في العراق وسورية وفلسطين

أبدى السير هـ. مكماهون في برقيته الخاصة بتاريخ ١٨ تشرين الأول/أكتوبر ١٩١٥، إلى السير إدوارد غري، أنه «فيما يتعلق بولاية البصرة يوافق الفاروقي على ضرورة اتخاذ إجراءات خاصة من الرقابة البريطانية نظراً لمصالح بريطانية العظمى هنا» (ص ٥١).

وقد أجابت وزارة الخارجية في هذه النقطة في تعليماتها المرسلة برقياً إلى السير هـ. مكماهون في ٢٠ تشرين الأول/أكتوبر ١٩١٥:

«العراق ـ نظراً للمصالح الخاصة في ولاية بغداد، والمنطقة التي هي تحت احتلالنا فعلياً، إن المجال المقترح للرقابة البريطانية، أي ولاية البصرة، ستحتاج إلى

---

(١) أنظر صفحة ٥٧٠ ـ ٥٧٤ من هذه المذكرة.

توسيع. إن هذا بطبيعة الحال لن يسيء إلى مصالحنا مع الشيوخ العرب» (ص ٥٢).

وقد ورد هذا في ٢٤ تشرين الأول/أكتوبر في رسالة السير هـ. مكماهون الثانية إلى الشريف:

«فيما يتعلق بولايتي بغداد والبصرة، فإن العرب تعترف أن مركز ومصالح بريطانية العظمى الموطدة هناك تستلزم اتخاذ تدابير إدارية مخصوصة لوقاية هذه الأقاليم من الاعتداء الأجنبي وزيادة خير سكانها وحماية مصالحنا الاقتصادية المتبادلة (ص ٥٤).

وقد أثار الشريف القضية في ٥ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩١٥ في رسالته الثالثة إلى السير هـ. مكماهون:

«حيث إن الولايات العراقية هي من أجزاء الولايات العربية المحضة، بل هي مقر حكوماتها على عهد علي بن أبي طالب كرَّم الله وجهه ثم على عهد عموم الخلفاء من بعده، وبها قامت مدنية العرب وأول ما اختطوه من المدن والأمصار واستفحلت دولهم، فلها لدى العرب أقصاهم وأدناهم القيمة الثمينة وآثارهم التي لا تنسى، فلا يمكننا إرضاء الأمة العربية وإرضاخها لترك ذلك الشرف. ولكن تسهيلاً للوفاق سيما والمحاذير التي أشرتم إليها في المادة الخامسة من رقيمكم آنف الذكر محفوظيتها وصيانتها من طبقة وضرورة ما نحن فيه وحيازة ما نريد التوصل إليه، فإن أهم ما في هذا هي صيانة تلك الحقوق المزوجة بحقوقنا بصورة وكأنها الجوهر الفرد، يمكننا الرضا بترك الجهات التي هي الآن تحت الإشغال البريطاني إلى مدة يسيرة، البحث فيما يقبل عن قدرها دون أن يلحق حقوق الجانبين مضرّة أو خلل. سيما العربية بالنسبة لأمر مرافقها ومنابعها الاقتصادية والحياتية، وأن يدفع للمملكة العربية في مدة الإشغال المقدار المناسب من المال لضرورة ترتكبه كل مملكة حديثة الوجود. مع احترامنا لوفاقاتكم المشار عنها مع مشايخ تلك الجهات وبالأخص ما كان منها جوهرياً (ص ٩٢).

وفي الوقت نفسه تقريباً، بحث الفاروقي في محادثاته مع السير مارك سايكس، قضية أولوية بريطانية في الاستثمار الاقتصادي والمعونة الإدارية في العراق، وتوفير وضع مماثل لفرنسة في سورية:

«يوافق العرب على ميثاق مع فرنسة يسمح لها بجميع الاستثمارات والتسهيلات في فلسطين وسورية: على أن يكون تعريف الأخيرة بأن حدودها تمتد جنوباً حتى

دير الزور على الفرات، ومنها إلى درعا فمعان، على امتداد سكة حديد الحجاز.

«ويمكن بيع سكة حديد الحجاز حتى معان جنوباً إلى أصحاب الامتيازات الفرنسيين، إضافة إلى موافقة العرب على أن يستخدموا في هذه المنطقة مستخدمين أوروبيين ومستشارين من الفرنسيين فقط. ويجب أن يُلاحظ أن العرب يتعهدون باستخدام الأوروبيين في حالة احتياجهم إليهم فقط. ولكن الفاروقي يبدي أن هدف هذا الشرط هو تفادي أي مظهر للسيطرة عليهم (على العرب). ويوافق العرب على منح اعتراف خاص لجميع المؤسسات التعليمية الفرنسية في هذه المنطقة.

«وفيما يتعلق ببقية البلاد العربية بمفهومها الواسع (العراق والجزيرة وشمال العراق) يوافق العرب على ميثاق مماثل مع بريطانية العظمى» (ص ١٠٤).

في ١٣ كانون الأول/ديسمبر ١٩١٥، تحفَّظ السير هنري مكماهون، في رسالته الثالثة إلى الشريف حسين، بشأن تفاصيل وضع بريطانية في ولاية بغداد، لكي ينظر فيه في المستقبل، قائلاً:

«إن حكومة بريطانية العظمى، كما سبق أن أخبرتكم، مستعدة لإعطاء كل الضمانات والمساعدات التي في وسعها إلى المملكة العربية، ولكن مصالحها في بغداد تتطلب إدارة ودية ثابتة كما رسمتم. على أن صيانة هذه المصالح كما يجب تستلزم نظراً أدقّ وأتمّ مما تسمح به الحالة الحاضرة والسرعة التي تجري بها هذه المفاوضات» (ص ١٠٣).

وفي ١ كانون الثاني/يناير ١٩١٦، سكت الشريف، في رسالته الرابعة إلى السير هنري مكماهون، عن الخوض في مزيد من البحث في شروط الإدارة البريطانية، وترك تحديد التعويضات المالية (التي كان قد اقترحها ولكن حكومة جلالته لم تلزم نفسها بشيء منها) إلى تقدير حكومة جلالته:

«أما ما جاء بالمحررات الموقَّرة فيما يتعلَّق بالعراق من أمر التعويض مدة الإشغال فلزيادة إيضاح وثوق بريطانيا العظمى بصفاتنا في القول والعمل في المادة والمعنى، وإعلامها بأكيد اطمئناننا باعتماد حكومتها المفخمة، ونترك أمر تقدير مبلغه لمدارك حكمتها ونصفتها...».

في ٣٠ كانون الثاني/يناير ١٩١٦ سجل السير هنري مكماهون هذا في كتابه

الرابع إلى الشريف(*) ووعد «بالنظر في ذلك بتمام الاهتمام بعد قهر العدوّ ويأتي الوقت لنهي المسائل السلمية» (ص ٥ القسم ٢).

في ١٩ أيار/مايو ١٩١٧، في حديث مع السير مارك سايكس والمسيو بيكو[١] «اعترف الملك حسين بضرورة المستشارين الأوروبيين لرؤساء الدوائر (الوزارات) وأشار إلى سورية والعراق» ولكنه عارض الاقتراح القائل بأن تكون لهؤلاء المستشارين سلطة تنفيذية. وفي مقابلة جرت في اليوم التالي، قرىء علناً تصريح للملك جواباً عن رسالة من الحكومة الفرنسية سلمها إليه المسيو بيكو، بالمعنى الآتي:

«علم جلالة ملك الحجاز بارتياح أن الحكومة الفرنسية توافق على أماني العرب القومية، وأنه نظراً لثقته ببريطانية العظمى، فأنه سيقنع إذا اتبعت الحكومة الفرنسية إزاء الأماني العربية في البرّ السوري المسلم السياسة التي يتبعها البريطانيون في بغداد».

وفي السياسة نفسها سلم الشريف فيصل الرسالة التالية من والده إلى السير مارك سايكس: «... إننا مستعدون للتعاون مع فرنسة في سورية إلى أقصى حد، ومع بريطانية في العراق...»[٢].

وقد عرض رأي الملك حسين في نتائج هاتين المقابلتين، في تقرير الكابتن لورنس عن محادثة مفيدة معه جرت يوم ٢٩ تموز/يوليو ١٩١٧[٣]:

«إن الملك مسرور جداً لأنه أوقع المسيو بيكو في مصيدة، فجعله يوافق على أن ترضى فرنسة في سورية بالوضع الذي تريده بريطانية في العراق. وهو يقول إن ذلك يعني احتلالاً مؤقتاً للبلاد لأسباب إستراتيجية وسياسية (مع احتمال تقديم منحة سنوية للشريف بمثابة تعويض واعتراف) وامتيازات من قبيل الأشغال العامة. لقد كنت مستعداً، دون أن يطلب إليّ، أن أحافظ على مصالحهم في السكك الحديد الموجودة حالياً، وأن أساعد مدارسهم. ولكن الحجاز وسورية أشبه

(*) رسالة السير هنري مكماهون الرابعة إلى الشريف حسين كانت مؤرخة في ٢ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩١٦، وليس ٣٠ منه كما جاء في هذا التقرير، أنظر الجزء الأول من هذا الكتاب، ص ٦٤٢.

(١) 17/ 104269.

(٢) العراق وحده، أم العراق والجزيرة؟ (أي جزيرة ابن عمر).

(٣) 17/ 174974.

براحة يد واحدة وأصابعها، ولم يكن بوسعي أن أوافق على قطع أي أصبع أو جزء منه دون أن أجد نفسي كسيحاً...».

«وفي الختام أشار الشريف إلى أن المحادثات كانت قصيرة وغير رسمية، وإلى عدم وجود وثائق تحريرية، وأن التغيير الوحيد الذي أحدثه الاجتماع في الوضع، كانت تخلي الفرنسيين عن فكرة الضمّ، أو الاحتلال الدائم، أو السيادة على أي جزء من سورية. ولكننا لم نجد هذا في أية معاهدة رسمية، لأن الحرب لم تنته بعد. وإنني لم أفعل شيئاً سوى الإعراب عن موافقتي على الصيغة التي تقول: **مثل البريطانيين في العراق**، التي اقترحها عليّ مسيو بيكو، لأن السير مارك سايكس أكد لي أن ذلك سيضع خاتمة مرضية للبحث...»(*).

أما فيما يتعلق بفلسطين، فإن حكومة جلالته تعهدت في كتاب السير هنري مكماهون إلى الشريف بتاريخ ٢٤ تشرين الأول/أكتوبر ١٩١٥، بإدخالها في نطاق حدود الاستقلال العربي. ولكنها صرحت بسياستها نحو الأماكن المقدسة في فلسطين والتوطين الصهيوني، في رسالتها إليه بتاريخ ٤ كانون الثاني/يناير ١٩١٨[1].

«إننا مصممون فيما يتعلق بالأماكن المقدسة في فلسطين، أن لا يخضع شعب لآخر، ولكن نظراً للحقائق الآتية:

«(أ) وجود عتبات، وأوقاف، وأماكن مقدسة، في بعض الحالات بالنسبة للمسلمين وحدهم، أو لليهود وحدهم، أو للمسيحيين وحدهم، وفي حالات أخرى مقدسة لاثنين منهم أو للثلاثة كلهم.. وبقدر كون هذه الأماكن محط اهتمام لجماهير واسعة من الناس خارج فلسطين والبلاد العربية، يجب أن يكون هنالك، لإدارة هذه الأماكن، نظام حكم خاص يوافق عليه العالم.

«(ب) فيما يتعلق بمسجد عمر، فإنه سيعتبر قضية إسلامية، ولن يكون خاضعاً، بصورة مباشرة أو غير مباشرة، لأية سلطة غير مسلمة.

«وإنه طالما كان الرأي اليهودي في العالم يؤيد عودة اليهود إلى فلسطين، وطالما وجب بقاء هذا الرأي عنصراً دائمياً، ولما كانت حكومة جلالته، إضافة إلى ذلك،

(*) الإشغال: الاحتلال.

(1) 18/ 245810.

تنظر إلى تحقيق هذا الأمل بعين العطف، فإن حكومة جلالته مصممة على وجوب عدم وضع أية عقبة دون تحقيق هذا المثل الأعلى، بقدر ما هو قابل للتوفيق مع حرية السكان الحاليين من الناحيتين الاقتصادية والسياسية».

وقد سلم الكوماندر هوغارث هذه الرسالة إلى الملك حسين شخصياً، ووصف كيفية تقبله إياها قائلاً:

«إن الملك لن يوافق على دولة يهودية مستقلة في فلسطين، كما أنني لم تكن لديّ تعليمات لتحذيره بأن حكومة جلالته تفكر في قيام مثل هذه الدولة. ولعله لا يعرف شيئاً عن اقتصاديات فلسطين الفعلية أو الممكنة، وأن موافقته الآنية على التوطن اليهودي هناك لا يساوي شيئاً. ولكنني أعتقد أنه يقدّر الفوائد المالية التي تنجم عن تعاون العرب مع اليهود».

وأخيراً، فمن الجدير بالذكر أن الملك انزعج انزعاجاً شديداً للإشارة إلى الاتفاق البريطاني ـ الفرنسي المعقود في ١٦ أيار/مايو ١٩١٦، والتي وردت في خطاب ألقاه جمال باشا في بيروت في ٣٠ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩١٧ ونقلته جريدة «المستقبل» الصادرة في باريس في عددها (١٠١)(١). وقد أبدى جمال أن بريطانية العظمى وفرنسة ستفسّران وضعهما الخاص في العراق وسورية على التوالي بحيث تجعلان سلطة الملك حسين الفعلية قاصرة على الحجاز. ونظراً لموقف الملك حسين المذكور أعلاه من هذه القضية، فإن الأثر الذي أحدثه تلميح جمال فيه كان حتمياً.

علاقة الالتزامات بشأن العراق بموجب الفقرة (٥) برغبات بريطانية

المنطقة: تعهّدت حكومة جلالته «بإجراءات خاصة للسيطرة الإدارية» في ولايتي البصرة وبغداد. وقد أشار الشريف إلى العراق في تصريحه النهائي حول الموضوع في ١ كانون الثاني/يناير، والمعنى واحد.

ملاحظة: في تشرين الثاني/نوفمبر تحدث الفاروقي إلى السير مارك سايكس حول وضع خاص لبريطانية في بلاد ما بين النهرين (Mesopotamia) والعبارة نفسها استعملت في تقرير السير مارك سايكس عن رسالة الشريف حسين إليه في ٢٠ أيار/مايو ١٩١٧.

(١) 123868/18. رسالة الملك حسين المؤرخة في ٥ حزيران/يونيو ١٩١٨ إلى السير ر. وينغيت.

وليس من الواضح ما إذا كان المقصود بهذا التعبير (العراق) فقط، أم أريد به أن يشمل الجزيرة (جزيرة ابن عمر).

الشروط: لم يطرح الشريف حسين أية شروط، باستثناء دفع تعويض مالي له (كممثل للاتحاد العربي Confederation) خلال السيطرة البريطانية. وقد ترك أمر تحديد المبلغ إلى حكومة جلالته. ولم تلزم حكومة جلالته نفسها بدفع هذا المبلغ أو بأي شرط آخر.

المدة: افترض الشريف خلال المفاوضات كلها بأن المدة ستكون محدودة، ويتضح من محادثته مع الكابتن لورنس أنه يعتبر من المفهوم أنها ستكون قصيرة. إن حكومة جلالته، من جانبها، لم تلزم نفسها بتحديد مدة ما، بأي بشكل من الأشكال.

(٥) علاقات الشريف حسين مع بريطانية العظمى

في كتابه الأول المرسل في تموز/يوليو ١٩١٥، عرض الملك حسين أن تتمتع بريطانية بأفضلية في المشروعات الاقتصادية في جميع أنحاء المنطقة الداخلة ضمن حدود الاستقلال العربي الذي يطالب به (المقترح ٢). وفي المنطقة نفسها طلب موافقتنا على إلغاء الامتيازات الأجنبية، ومساعدتنا في الدعوة إلى مؤتمر دولي للمصادقة على ذلك الإلغاء (المقترح ٥).

إن المقترح الخاص بإلغاء الامتيازات الأجنبية تجاهلته حكومة جلالته، ويبدو أن الشريف لم يتطرق إليه مرة أخرى بعد ذلك.

أما فيما يتعلق بأفضلية بريطانية التي اقترح السير هنري مكماهون توسيع نطاقها لتشمل المجال السياسي إضافة إلى الاقتصادي، فإن وزارة الخارجية أصدرت إليه التعليمات الآتية ببرقيتها المؤرخة في ٣٠ تشرين الأول/أكتوبر ١٩١٥:

«ما لم يكن ذلك ضرورياً للحصول على موافقة العرب، يجب أن لا تدخلوا الشرط القائل بأن عليهم أن يعترفوا بأولوية المصالح البريطانية ويعملوا تحت إرشاد بريطانية... إلخ. إن مثل هذا الشرط قد يثير في فرنسة انطباعاً بأننا لا نستهدف تأمين المصالح العربية فقط، بل نرمي أيضاً إلى توطيد مصالحنا نحن في سورية على حساب الفرنسيين» (ص ٥٢).

وفي ٢٤ تشرين الأول/أكتوبر ١٩١٥، فسّر السير هنري مكماهون هذه التعليمات في رسالته الثانية إلى الشريف حسين، كما يأتي:

«عندما تسمح الظروف تمد بريطانية العظمى العرب بنصائحها وتساعدهم في تأسيس ما يكون أكثر أنواع الحكومات ملاءمة في تلك المناطق».

«ومن جهة أخرى، فمن المفهوم أن العرب قرروا أن يطلبوا النصيحة والإرشاد من بريطانية العظمى وحدها، وأن أي مستشارين وموظفين أوروبيين قد تدعو الحاجة إليهم لتأسيس إدارة قويمة، سيكونون من البريطانيين» (ص ٥٤).

وقد أثير هذا الموضوع مرة أخرى في برقية السير إدوارد غري المرقمة ٨٦٠ والمؤرخة في ٢ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩١٥ إلى السير هنري مكماهون:

«أقترح أن يكون الهدف الرئيسي إقناع الحكومة الفرنسية بالموافقة على إدخال مدن حلب وحمص وحماه ودمشق ضمن الحدود العربية.

«ومع ذلك، فلغرض كسب هذه النقطة، يجب أن نكون مستعدين لاستبعاد الشرط القائل بأن الموظفين والمستشارين الأوروبيين لدى الحكومة العربية يجب أن يكونوا من البريطانيين وحدهم، وأن يلجأ العرب إلى بريطانية وحدها بطلب المشورة والنصيحة».

«أود أن أعلم فيما إذا كان هذا الشرط قد أدخل، ليس تلبية لرغبات العرب، بل لمجرد تأمين مصالحنا نحن. فإذا كانت الحالة الأخيرة هي الصحيحة، وإذا كنا بحذفها نحصل على موافقة الحكومة الفرنسية بتقديم وعد للعرب بالمدن الأربع، فإنني سأعتبر نفسي حرّاً للقيام بذلك، بعد التشاور مع المستر تشمبرلين (وزير الهند).

«إن كسب العرب إلى جانبنا، ضد تركية، هو هدفنا الحيوي والرئيسي، وليس الحصول على مناطق نفوذ جديدة لأنفسنا..» (ص ٦٠).

وقد أجاب السير هنري مكماهون عن هذا في ٧ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩١٥:

«إن البند المتعلق بنصيحة وتوجيه بريطانية وحدها، وبأن يكون جميع المستشارين والموظفين بريطانيين، قد أدخل بطلب صريح من العرب. إنهم لا يرحبون بالنفوذ الفرنسي في مناطق المدن الأربع وكانوا حريصين على الحصول على مستشارين بريطانيين... إلخ هناك. والواقع أنهم رغبوا في أن يطبق هذا البند على البلاد

العربية كلها...».

إن هذا الرأي كان قد ثبّت في مقطع من رسالة مؤرخة في ٢٨ كانون الأول/ ديسمبر ١٩١٦ من الشريف حسين إلى السيد علي الميرغني:[١]

«يستحيل علينا أن نعترف بدولة أخرى غير بريطانية في اتصالاتنا وتعاملنا. أقول هذا من وجهة نظر اقتصادية بحتة، ولكن من وجهة النظر العسكرية لا يتجاهل أحد منا أننا سنكون بالتأكيد في حاجة عظيمة لقوة بريطانية العظمى لإخماد أي اضطراب قد ينشب في داخل البلاد خلال المراحل الأولى من تغيير كبير كهذا، وبصورة أخص لأن أصدقاءنا[٢] لن يترددوا في إثارة أنصارهم بكل الوسائل الممكنة ضدنا لأغراضهم الخاصة، على الرغم من أنه سيكون عليهم الدفاع عن مصالحهم في الخليج (الفارسي) والبحر المتوسط، إلى أن نصبح أقوياء بدرجة تكفي للدفاع (عنهم) بأنفسنا. ولذلك فمن الضروري اتخاذ الإجراء اللازم لحماية المصالح البريطانية، والذي يحفظ في الوقت نفسه حقوق الاستقلال كلها» (ص ١١٧).

وبعد ذلك، وبمناسبة زيارة البعثة الفرنسية الأولى إلى الحجاز في مطلع تشرين الأول/أكتوبر ١٩١٩، استشار الشريف حسين حكومة جلالته بواسطة عبد الله بشأن صيغة جوابه على التحية التي حملتها البعثة إليه من الحكومة الفرنسية[٣].

وفيما يتعلق بالموضوع نفسه، فإنه أبلغ الكرنل ويلسن في جدّة «أنه يفضل كثيراً أن لا يساعده أحد غير الحكومة البريطانية»[٤]. ومرة أخرى، في محادثة هاتفية في أول تشرين الثاني/نوفمبر ١٩١٩ وفي ٢ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩١٦، حول موضوع اتخاذ حسين اللقب الملكي، أشار عبد الله إلى بريطانية العظمى بأنها «حليفتنا الوحيدة والمحترمة» كما أن الملك نفسه علّق قائلاً: «لو أن حكومة أخرى طلبت إليه أن يفعل ما يفعله الآن لما وافق على ذلك، ولكنه لعلمه أن الحكومة البريطانية محبوبة وعادلة، فإنه قبل أن يضطلع به».

إن مثل هذه التصريحات يجب عدم الاكتراث بها نظراً للظروف التي أدلي بها

---

(١) 30674 /16.

(٢) «ترى هل يقصد الحكام العرب المستقلين الآخرين؟». (هامش ورد في الأصل).

(٣) 201319 /16.

(٤) 220970 /16.

خلالها، ولأنها صادرة عن شرقيين. ولكن ليس هنالك شكُ كبير في أنها تمثل الرغبة الحقيقية للملك حسين وأولاده.

علاقة الالتزامات بموجب الفقرة (٥) بالرغبات البريطانية

لم تلزم حكومة جلالته نفسها تجاه الملك حسين بموقف خاص يتعارض مع اتفاقاتها مع فرنسة. وطالما كانت العلاقات الطيبة مع فرنسة لا تتأثر، فإن من مصلحتنا، بصورة واضحة، أن يكون لنا مركز متميّز لدى الملك حسين وأي حكام عرب آخرين في المنطقة المستقلة. ومن جهة أخرى، فإن واحداً من أقوى حوافز الملك في حرصه على وضعنا في مكانة خاصة تجاهه، بصفته ممثلاً للحركة العربية في جميع أنحاء المنطقة المستقلة، هو الفكرة القائلة بأنه قد يستطيع في النهاية أن يساومنا تجاه فرنسة. ويظهر هذا، مثلاً، في المقطع التالي حول قضية الحدود في رسالته الرابعة إلى السير هنري مكماهون المؤرخة في ١ كانون الثاني/يناير ١٩١٦:

> «ولا أرى لزوم لأن أحيطكم بما في هذا أيضاً من تأمين المنافع البريطانية وصيانة حقوقها هو أهم وأكبر مما يعود علينا. وأن لا بد من هذا على أي حالة كانت ليتمّ للعظمة البريطانية أن ترى أخصاؤها في البهجة والرونق التي تهتم أن تراهم فيه، سيّما وأن جوارهم لنا سيكون جرثومة للمشاكل والمناقشات التي لا يمكن معها استقراراً لحالة، عدى أن البيروتيين بصورة قطعية لا يقبلون هذا الانفصال ويلجئونا على حالات جديدة تهمّ وتشغل بريطانية بصورة لا تكون بأقل من اشتغالها الحالي بالنظر لما نعتقده ونتيقّنه من اشتراك المنفعة ووحدتها، وهي الداعية الوحيدة لعدم التفاتنا لسواكم في المخابرات»(*).

وهكذا فإن حرصه على التعامل معنا فقط، له جانبه المحرج أيضاً.

(*) النص الكامل للرسالة في الجزء الأول من هذا الكتاب، وثيقة رقم (٣٠٨) ص (٦٤٠).
(ن.ص)

٦ ـ لقب الشريف حسين

أعلن الملك حسين تكراراً، في مراسلاته مع السير هنري مكماهون، بأنه يتكلم باسم الشعب العربي، وقد أعيد تأكيد هذا الادعاء في كل رسالة من رسائله الأربع، وكذلك في رسالته المؤرخة في ٢٨ كانون الأول/ديسمبر ١٩١٥ إلى السيد علي الميرغني. وربما كان أكثر تلك التصريحات تأكيداً على ما يلي:

> «لولا التصميم الذي أجده لدى العرب على تحقيق أهدافهم، لفضلت أن أختلي بنفسي على قمة أحد الجبال ـ ولكنهم، أي العرب، قد ألحوا على أن أقود الحركة لهذه النتيجة..» (ص ٩٥).

وبشأن قضية حدود الاستقلال العربي، بذل جهوداً خاصة ليجعل من الواضح أنه لا يطرح مجرد طلبات شخصية، بل إنه يعمل كمنتدب من قبل السكان العرب في المناطق موضوع البحث.

كان هذا الادعاء يقوم على أساس علاقاته مع المنظمات القومية العربية، المدنية منها والعسكرية، التي ظهرت في الولايات العربية من الدولة العثمانية، وكان مركزها في دمشق، وكانت في صيف سنة ١٩١٥ (حينما كانت قوة الأتراك العسكرية قد تركزت في الدردنيل في الطرف القصيّ الآخر من الإمبراطورية) عاملاً سياسياً أكثر تأثيراً من أي وقت قبل ذلك الوقت أو بعده.

ونعلم من تصريح الفاروقي[١] أن لجنة دمشق قد أبدت ولاءها للشريف حسين قبل افتتاحه المفاوضات مع السير هنري مكماهون، وأن الشروط التي طرحها (وخاصة حول قضية الحدود) كانت إلى حد كبير باقتراح منها. وقد صرح بهذا فعلياً في رسالته الرابعة إلى السير هنري مكماهون في ١ كانون الثاني/يناير ١٩١٦:

«... وقوف حضرتك بعد وصول أحمد شريف (الفاروقي) وحظوته بالجناب، بأن كلما أتينا به في الحال والشأن ليس بناشيء عن عواطف شخصية أو ما هو في

---

(١) 15/ 152729، 15/ 157740 برقية من الجنرال ماكسويل إلى اللورد كتشنر بتاريخ ٢٦ تشرين الأول/ أكتوبر ١٩١٥.

معناها مما لا يعقل، وأنها قرارات ورغائب أقوامنا، وأنا لسنا إلاّ مبلغين أو منفذين لها بصفتنا التي ألزمونا بها.

«إذ هذه عندي من أهم ما يجب وقوف شهامة الجناب عليه وعلمه به».

وهذا يفسّر الادعاءات العريضة (التي يصعب فهمها بخلاف ذلك) التي بدأها الشريف، ولم يتخل عنها قط. ولكن قبل أن تبدأ ثورة الشريف في الحجاز، كان الأتراك قد سخنوا الحركة في سورية، تلك الحركة التي جاءت منها مبادرته. ويبدو من تصريح الفاروقي أن الجناح العسكري قد تحطم في حدود آب/أغسطس ١٩١٥، بينما أعدم معظم الزعماء المدنيين أو تمّ نفيهم في شباط/فبراير ١٩١٦[١]. وفي رسالته الخامسة إلى السير هنري مكماهون بتاريخ ١٨ شباط/فبراير ١٩١٦ ذكر الشريف أن الحركة السورية كانت قد قمعت عملياً (ص ٦ القسم ٢)، وفي رسالة أخرى مؤرخة في ٢٩ آذار/مارس ١٩١٦، صرح أن السوريين الآن غير قادرين على العمل[٢]. إن حكومة جلالته لم تشجع الشريف على سياسة فعالة في سورية في عشية الثورة، وذلك لاعتبارات عسكرية، وكذلك خوفاً من تعقيدات سياسية مع فرنسة[٣].

وهكذا تضاءلت الأهمية بالنسبة للحركة السورية خلال الفترة بين بدء المفاوضات في تموز/يوليو ١٩١٥ ونشوب الثورة في الحجاز في تموز/يوليو ١٩١٦، في حين أن أهمية حركة الشريف قد تزايدت. وحينما أثيرت قضية إرسال الفاروقي و(عزيز علي) المصري إلى البصرة كممثلين للحركة، للاتصال مع العرب في الجيش التركي في الجبهة، أشارت حكومة جلالته إلى ادعاء الشريف بتمثيل الأمة العربية، وبينت سياستها كما يأتي:[٤]

«بينما ليس هنالك دليل واضح على مدى اتفاق هذا الادعاء مع الحقائق، فإن حكومة جلالته لم تناقش ذلك. وإذا كان الادعاء قائماً على أساس صحيح، فإن إعطاء تأكيدات مستقلة إلى العرب الآخرين الذين يفترض أنهم أقل شعوراً

---

(١) الرواية التركية للحركة العربية وردت في كتاب «Verité sur la question Syrienne..» (الحقيقة عن القضية السورية) الذي نشرته قيادة الجيش الرابع.

(٢) 16/ 72430.

(٣) 16/ 76013.

(٤) 16/ 54229: برقية وزارة الخارجية رقم ٢٦٢ المؤرخة في ٥ نيسان/أبريل إلى السير هنري مكماهون.

بالمسؤولية، لأمر يجب التفكير فيه».

ولذلك، حينما نبذ الشريف حسين ولاءه لتركية، وجد أن سيادته الفعالة قاصرة على الحجاز الذي كان، بوصفه أميراً لها، واحداً من عدة حكام عرب مستقلين يتقاسمون فيما بينهم ولاء العشائر والواحات في شبه الجزيرة العربية. إن عرب سورية والجزيرة الذين كان ولاؤهم له سيجعله الزعيم الذي لا ينازع للحركة القومية في الأقطار العربية (الآسيوية)، كانوا لا يزالون تحت وطأة الحكم التركي وبدون أمل في التحرر القريب. ولكن لقب الزعامة الذي مكنوه من اتخاذه رسّخته العلاقة التي دخل فيها مع حكومة جلالته. وكان هذا، إلى جانب مكانته كالحامي الوراثي للمدن المقدسة، قد جعل من الصعب عليه أن يقبل كأنداد له في مرتبة الشرف ابن سعود والإمام والإدريسي.. إلخ. ممن كانوا، في الواقع، مساوين له.

إن هذه الحقائق تفسر المشاكل التي ظهرت بشأن لقبه وعلاقاته مع الحكام العرب المستقلين الآخرين.

في ٥ آب/أغسطس سنة ١٩١٦، وفي برقية شكر إلى جلالة الملك على تهانيه بنجاح ثورة الحجاز، وقع الحسين اسمه بصورة صحيحة تماماً: «شريف مكة وأميرها»(١). وظهر التوقيع نفسه تحت بيان أصدره في الشهر التالي إلى شعب العراق(٢).

وفي ٢٩ تشرين الأول/أكتوبر ١٩١٦، قدم الوزراء والوجهاء والسكان والعلماء في مكة مذكرة إلى الشريف حسين، أبدوا فيها، بعد مقدمة طويلة:

«إننا نعلن جلالته سيدنا ومولانا الحسين بن علي، **ملك العرب**، ليحكمنا على شريعة الله وسنّة رسوله، وإننا نقسم لك يمين الولاء والطاعة، سراً وجهراً، وإضافة إلى ذلك فإننا نعدك المرجع الديني النهائي، وهو ما اتفقنا عليه بانتظار قرار مسلمي العالم بشأن الخلافة»(٣).

---

(١) 16/ 153580.

(٢) 16/ 205733.

(٣) 16/ 249121. (مترجمة عن جريدة «القبلة» الصادرة في ٣٠ تشرين الأول/أكتوبر ١٩١٦ ـ الرسالة مترجمة أيضاً في تقرير الكرنل ويلسن المرقم ١٢ والمؤرخ في ٣١ تشرين الأول/أكتوبر ١٩١٦ إلى

وصرح الشريف من جانبه:

«إن مشاعر الولاء هذه لا تقتصر على أهل هذا البلد، بل إن عرب العراق وسورية يتطلعون إلى الاتحاد معنا لاستعادة حريتهم ومجدهم، وقد تسلّمت رسائل من وجهائهم بهذا المعنى».

وفي اليوم نفسه أبرق الشريف عبد الله بما يلي إلى السير هنري مكماهون وإلى حكومات جميع الدول الحليفة والمحايدة[١]:

«يسرني جداً أن أحيطكم علماً بأن وجوه البلاد وعلماءها وجميع طبقات السكان فيها، على أثر اجتماعهم اليوم، بايعوا بالإجماع جلالة الشريف الأكبر حسين بن علي «ملكاً للحجاز والأمة العربية»، وعلى ذلك فقد أصبح جلالته الملك الشرعي للعرب مكرّساً ولاءه الكامل لخدمة وطنه ونشر ألوية المعرفة والعدل في جميع المناطق العربية التي تحرّرت من زمرة الاتحاد والترقي.

«إن الدولة العربية ليحدوها الأمل بأن تعترفوا بها عضواً فعّالاً في الأسرة الدولية وأن يكون هذا الاعتراف مستمراً بعناية الله وتوفيقاته الصمدانية.

«وتفضلوا. . . .

(توقيع)
الشريف عبدالله
(وزير خارجية الحكومة العربية)

وقد تُوّج الشريف حسين «ملكاً للعرب» في مكّة في ٤ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩١٦[٢] وجرى في الوقت نفسه احتفال في جدة، ولكن لم يحضره ممثلا فرنسة وبريطانية[٣].

في ٢ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩١٦، اقترح السير هنري مكماهون، في برقيته

= السير هنري مكماهون (16/ 233117)، فيما يتعلق بالاحتفال قارن رواية الكولونيل بريمون المستقاة من الضباط المسلمين في البعثة الفرنسية الذين كانوا حاضرين (16/ 220734).

(١) 16/ 217652.

(٢) 16/ 222840.

(٣) 16/ 242008.

المرقمة ٩٦١ إلى وزارة الخارجية، أننا نظراً لمعاهداتنا التي نعترف فيها باستقلال الحكام العرب الآخرين، نستطيع الاعتراف بالشريف حسين «ملكاً للحجاز» فقط[١].

وفي ٣ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩١٦ أبرقت وزارة الخارجية إلى السير هنري مكماهون (رقم ٨٨٠) بأن الشريف يمكن تهنئته، ولكنه لم يعترف به بعد، وأن الحكومة الفرنسية ترغب في تنسيق إجراءاتها مع ما تتخذه حكومة جلالته[٢].

وفي ٦ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩١٦ أبرقت وزارة الخارجية إلى السير ر. وينغيت (في الخرطوم) بالتعليمات التالية بشأن الجواب الذي يرسل إلى الشريف عبدالله باسم حكومات بريطانية العظمى وفرنسة وروسية[٣]:

«إن الحكومة البريطانية وحكومتي فرنسة وروسية، وإن كانت تعترف، وستستمر في الاعتراف، بسموّه رئيساً اسمياً للشعوب العربية في ثورتها على سوء الحكم التركي، وأنها سعيدة بأن تعترف أيضاً بسموّه حاكماً شرعياً وواقعياً للحجاز، فإنها لا تستطيع أن تعترف باتخاذه أي لقب ملكي قد يثير الفرقة بين العرب في الوقت الحاضر وبذلك قد يضر بالتسوية السياسية النهائية للبلاد العربية على أساس مرضٍ. إن تلك التسوية، لكي تكون دائمة يجب أن يتم التوصل إليها بالاتفاق العام بين الحكام العرب الآخرين، وليس هنالك ما يدلّ على وجوده في الوقت الحاضر، وأنه يجب أن يأتي بعد الانتصار العسكري وليس قبله».

في ٢٩ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩١٦ أبرق السير هنري مكماهون إلى وزارة الخارجية (برقم ٩٩٩) معترضاً على عبارة «الرئيس الاسمي»، واقترحت الحكومة الفرنسية استبدال عبارة «العنصر العربي» بعبارة «سكان الجزيرة العربية»[٤].

وفي ١٥ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩١٦ أبرق اللورد برتي[*] قائلاً إن الحكومة

---

(١) 16/ 220339.

(٢) 16/ 220832، انظر أيضاً 16/ 222021.

(٣) 16/ 221869.

(٤) 16/ 227374، و16/ 228969.

(*) السفير البريطاني في باريس.

الفرنسية قد أصدرت تعليماتها إلى الكولونيل بريمون بعدم مخاطبة الشريف بلقب «صاحب الجلالة»[١].

وفي ٢٧ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩١٦ اقترحت الحكومة الفرنسية على حكومة صاحب الجلالة، بواسطة سفيرها في لندن، أن يكون لقب الشريف حسين «ملك الحرمين» وأن يخاطب بـ «سيادة»[٢].

وفي ٤ كانون الأول/ديسمبر ١٩١٦ أبرق السير ر. وينغيت (برقم ٥٣) أنه في الجواب الذي أوصله من جلالة الملك إلى الشريف، خاطبه بلقب «صاحب السيادة»، ولكنه انتقد لقب «ملك الحرمين» المقترح بسبب ملابساته الدينية المحتملة[٣]. كما اعترض عليه أيضاً، وللأسباب نفسها، كل من السير هنري مكماهون ووزارة الهند[٤] واقترحا، كل على حدة، لقب «ملك الحجاز» الذي كان اقتراح السير هنري مكماهون الأصلي.

وبموجب ذلك أرسلت إلى السير ر. وينغيت برقية توعز إليه بمخاطبة الشريف بلقب «سيادة ملك الحجاز» وقد روعي هذا اللقب عندئذ[٥]. وفي الوقت نفسه صدرت التعليمات إلى الكرنل ويلسن، باقتراح من وزارة الهند، أن يشرح للشريف أن تحديد اللقب لا يؤثر في الاتفاق القائم بينه وبين حكومة جلالته[٦].

ولم يناقش الشريف قرار حكومة جلالته (وربما كان ذلك لأنه يعلم أنه كان مخطئاً في التصرف بدون علمها، ولكن من الواضح أنه يعد اللقب الأوسع هو لقبه الصحيح).

وعلى سبيل المثال يبدو أنه حرر في كانون الثاني/يناير ١٩١٧ رسالة ثانية إلى شعب العراق وقعها بعنوان «ملك البلاد العربية وشريف مكة وأميرها»[٧]، وكذلك

---

(١) 16/ 230285.

(٢) 16/ 240161.

(٣) 16/ 244179، لا يبدو أن هنالك نسخة في وزارة الخارجية للنص النهائي لهذه المذكرة كما وضعت مسودتها في الخرطوم بموجب تعليمات وزارة الخارجية (أنظر:

(٤) 16/ 246846.

(٥) 16/ 251737 (مذكرة مؤرخة في ١١ كانون الأول/ديسمبر ١٩١٦ من قبل السير ر. غراهام).

(٦) 16/ 250438 و16/ 253937.

(٧) 17/ 33292.

لما طلب إليه الكوماندر هوغارث في كانون الثاني/يناير ١٩١٨[1] أن يعدّ رسالة موجَّهة إلى عرب القدس، اقترح أن يوقِّعها باسم «ملك العرب» أو «ملك الأمة العربية»، وحينما تخلّى عن هذا التوقيع، كتب مسودة الرسالة بطريقة توحي بهذا اللقب بحيث كان لا بد من حمله على إعادة كتابتها.

وكتب الكوماندر هوغارث في تقريره إلى السير ر. وينغيت عن مهمته هذه أن «من الواضح أن الملك يعتبر الوحدة العربية مرادفة لملوكيته، وأنها عبارة لا طائل تحتها ما لم تعتبر كذلك».

«وبينما وافق الملك، بدون اعتراض، على تصريح حكومة جلالته في هذا الشأن، كما جاء في برقية وزارة الخارجية المرقمة ٦ والمؤرَّخة في ٥ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩١٦ الموجهة إليكم، فلم يترك لديّ شكاً كبيراً أنه يعتبر هذا، بصورة سرّية، أمراً يجب إعادة النظر فيه بعد عقد الصلح، على الرغم من تأكيداتي بأنها ستكون ترتيباً نهائياً. لقد شبهنا، نحن وإياه (بأسلوبه الطبيعي المعتاد) بشخصين سيسكنان داراً واحدة، ولكنهما لم يتفقا بعد على الطابق أو الغرف التي سيشغلها كل منهما. وفي كثير من الحالات خلال محادثاتنا تكلَّم بابتسامة عن حسابات سيسدِّدها بعد الحرب، وأنه لن يلح على شيء بعد التسوية. وإنني أشك في أن تكون لديه أية خطة مقررة، أو فيما إذا كان لديه تصوّر للطريق التي سيسلكها، ولكنني واثق من أنه، في ذهنه هو، لا يتنازل عن مطالبه الأصلية نيابة عن العرب، ومع حلول الوقت، عن مطالبه لشخصه».

علاقات الالتزامات بموجب الفقرة (٦) برغبات بريطانية

تحاشت حكومة جلالته منح الشريف حسين لقباً لا يمكن التوفيق بينه وبين التزاماتها نحو الحكام العرب المسلمين الآخرين، في حين أن اللقب الذي اعترفت به لا يتعارض مع ادعاءات الشريف حسين الأوسع التي وافقت عليها في المفاوضات السابقة.

ولكن على الرغم من أن موقف حكومة جلالته من هذه القضية قد يكون مرضياً على الورق، فإنه بعيد عن أن يكون مرضياً في الواقع. إن الضرر الناجم عن «الانقلاب» الذي قام به الشريف في ٢٩ تشرين الأول/أكتوبر ١٩١٦ لم تتم

---

(١) 25577/18.

إزالته بعد. إن حكام العرب الآخرين لم يطمئنوا في دخيلتهم بتحديدنا للقب الشريف في الحجاز، في حين أنه، من جانبه، لم يقبل هذا التحديد إلاّ باعتباره مؤقتاً.

لقد أجّلت المشكلة، ولكنها لم تحل.

(٧) المعاهدات والاتفاقات بين حكومة جلالته والحكام العرب الآخرين في المنطقة المستقلة

إن حدود الاستقلال العربي التي صادق عليها السير هنري مكماهون في ٢٤ تشرين الأول/أكتوبر ١٩١٥ في رسالته الثانية إلى الشريف حسين تضمنت ليس فقط: (أ) المناطق العربية التي لا تزال خاضعة للأتراك، بل أيضاً (ب) أقاليم الحكام العرب المستقلين، مثل سلطاني مكلا ومسقط، وشيوخ الساحل المتصالح، وشيخ الكويت، الذين ترتبط حكومة جلالته معهم بمعاهدات يعود بعضها إلى ما قبل أكثر من نصف قرن و(جـ) أقاليم الحكام العرب، مثل ابن سعود والإدريسي اللذين اعترفت بهما حكومة جلالته قبل الحرب على أنها داخلة في نطاق تركية، ولكننا عقدنا معهم بعد ذلك الوقت اتفاقات أو كنا على وشك عقدها (المعاهدة مع الإدريسي وقعت في ٣٠ نيسان/أبريل ١٩١٥، قبل أن يفتتح الشريف المفاوضات معنا، والمعاهدة مع ابن سعود وقعت في ٢٦ كانون الأول/ديسمبر ١٩١٥ قبل الانتهاء من تلك المفاوضات).

ولذلك فإن السير هـ. مكماهون أبدى في رسالته «أننا نقبل هذه الحدود والتخوم بدون تعرّض للمعاهدات المعقودة بيننا وبين بعض رؤساء العرب».

ويبدو أن هذه النقطة لم يثرها الشريف حسين إلاّ في رسالته الثالثة المؤرّخة في ٥ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩١٥ التي أبدى فيها، خلال الحديث عن الإدارة البريطانية في العراق، أنه قد يوافق عليها «لمدة يسيرة، البحث فيما يقبل عن قدرها دون أن يلحق حقوق الجانبين مضرة أو خلل، سيما العربية بالنسبة لأمر مرافقها ومنابعها الاقتصادية والحياتية... مع احترامنا لوفاقاتكم المشار عنها مع مشايخ تلك الجهات وبالأخص ما كان منها جوهرياً»[*] (ص ٩٣).

(*) رسالة الشريف حسين الثالثة إلى السير هـ. مكماهون في الجزء الأول من هذا الكتاب (الوثيقة رقم ٢٧٩ ص ٥٩١ ـ ٥٩٣).

في ١٠ كانون الأول/ديسمبر ١٩١٥ عرضت وزارة الخارجية في برقية تتضمن تعليمات إلى السير هنري مكماهون:

«يجب أن يوضح للشريف أننا حين تكلمنا عن تثبيت اتفاقاتنا القائمة مع الشيوخ، كنا نشير إلى الجزيرة العربية بصورة لا تقل عن إشاراتنا إلى العراق» (ص ١٠٢).

وفي رسالته الثالثة المؤرَّخة في ١٣ كانون الأول/ديسمبر ١٩١٥ عبَّر السير هـ. مكماهون عن هذه التعليمات بما يلي:

«.. في قولكم إن العرب مستعدون أن يحترموا ويعترفوا بجميع معاهداتنا مع رؤساء العرب الآخرين، يفهم منه طبعاً أن هذا يشمل جميع البلاد الداخلة في حدود المملكة العربية، لأن حكومة بريطانية العظمى لا تستطيع أن تنقض اتفاقات أبرمت بينها وبين أولئك الرؤساء».

لقد تجاهل الشريف هذا الشرط في رسالته الرابعة المؤرَّخة في ١ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩١٦، ولا يبدو أنه أشار إليه مرة أخرى خلال المفاوضات.

وبعد قيام الثورة والقضاء على الحاميات التركية في مكّة وجدّة والطائف يبدو أن عبدالله، بصفته وزيراً للخارجية «الشريفية» بعث برسائل إلى حكام العرب المجاورين يعلن فيها النصر. وقد أجاب عنها ابن سعود، ورئيس اتحاد حاشد وبكيل بأجوبة كانت في غاية المجاملة وإن لم يكن فيها أي التزام»[(١)].

وكان ابن سعود قد أحيط علماً أيضاً بثورة الحجاز من قبل حكومة جلالته، وذلك بواسطة السير برسي كوكس، وفي جوابه[(٢)] المؤرَّخ في ٢٠ تموز/يوليو ١٩١٦ (أو ٢٥ تموز/يوليو ١٩١٦) إليه أعرب (ابن سعود) عن سروره للحادث باعتباره ضربة للأتراك ونجاحاً لحكومة جلالته، ولكنه أعرب عن شكوكه في نوايا الشريف حسين، ذاكراً أنه كان في حالة حرب مع الشريف لسنوات بشأن قضايا تأشير الحدود والولاءات، وأشار إلى أن «الإشارة إلى العرب في البيان الرسمي جاءت وكأنهم مجموعة صغيرة».

ويبدو أن الشريف حسين كتب رسالة ثانية إلى ابن سعود في أوائل آب/

---

(١) الترجمات في 16/ 242002.

(٢) 16/ 182436 والترجمة الكاملة في 16/ 231939 (رقم ٥٢).

أغسطس ١٩١٦ طالباً «التحالف» و«المساعدة». وقد أبلغ ابن سعود هذا إلى السير برسي كوكس في رسالة مؤرَّخة في ١٥ آب/أغسطس ١٩١٦ وأعرب عن مزيد من القلق لنوايا الشريف[١]. وأبدى السير برسي كوكس أن حكومة جلالته يجب أن تؤكِّد لابن سعود أن معاهدتها معه ستستخدم، وأنها يجب أن تبلغ الشريف بشروطها. وقد تم تبني كلا اقتراحي السير برسي كوكس[٢]. وأبلغ نص معاهدة حكومة جلالته مع ابن سعود إلى الشريف من قبل الكرنل ويلسن في ٣ تشرين الأول/أكتوبر ١٩١٦[٣].

وفي ١ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩١٦ وصف عبدالله وضع الحكام العرب المستقلين خلال اتصاله التلفوني مع الكرنل ويلسن[٤] حول إعلان والده «ملكاً للعرب» قبل ذلك بيومين، فقال:

«أما فيما يتعلق بابن سعود، فإنه أحد شيوخ العرب، وإن الشريف لا يدخل في عمله أو أرضه، وليحكم كلٌّ القسم الخاص به، ولن يختلف الأمر».

«أما الإدريسي، فإنه رجل لم يعترف له أحد بشيء. وقد جعل من نفسه شيخاً، ونزل في أماكن لم يكن يحكمها أحد».

«وأما الإمام يحيى، فدعه يحكم القسم الخاص به، ولكنه لن ينكر الحقيقة الواقعة بأن أمير مكة يجب أن يكون حاكماً للحجاز وملكاً للعرب».

«أما فيما يتعلّق بالقبائل العربية فلن يعترض أحد منها على إعلان الشريف ملكاً للعرب».

«إن تاريخ أمير مكة يعود إلى عهد العباسيين».

«وليس من المهم هل يوافق هؤلاء الناس أم لا يوافقون».

وفي حديثه التلفوني في وقت لاحق من اليوم نفسه أضاف التأكيدات التالية التي هي مرضية أكثر نوعاً ما، ولكنها لا تزال غامضة:

«ابن سعود والإدريسي.. إلخ. حكام في أماكنهم، وإننا لن نتدخل في

---

(١) 16/ 180581.

(٢) 16/ 183725، و16/ 187737.

(٣) 16/ 219296.

(٤) 16/ 242002.

أمرهم. إنهم محترمون، وإذا ما هاجمهم أحد فعلينا أن نساعدهم».

«إن حدودنا قد سوّيت قبل الانتفاضة، ولذلك ليس لدينا طموح آخر، لأن الشروط قد عقدت قبل ذلك بأن مملكة الشريف ستمتدّ إلى العراق».

«إن احترامنا لهذه المعاهدة التي عقدت بيننا وبين بريطانية العظمى يمنعنا من معارضتها، وهذا أمر تعرفونه جيداً».

وقد أكد الشريف حسين نفسه هذا الموقف في كتاب إلى الكرنل ويلسن مؤرّخ في ٤ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩١٩، ودافع عنه بأن أرفق به نسخاً من رسائل وردته من ابن سعود ورئيس اتحاد حاشد وبكيل، المشار إليه أعلاه. إن هذه الرسائل لم يكن لها، بطبيعة الحال، علاقة باتخاذ لقب «ملك العرب» لأنها كتبت قبل ذلك بعدّة أشهر، بمناسبة ثورته على الأتراك.

وفي ٦ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩١٦ أخذت حكومة جلالته تأكيدات عبد الله بعين الاعتبار، مهما كانت قيمتها، وذلك في التعليمات التي أصدرتها إلى السير ر. وينغيت بشأن الجواب الرسمي على برقية عبدالله التي أعلن فيها اتخاذ اللقب الملكي[١].

والظاهر أن ابن سعود خلال ذاك قد رد على رسالة الشريف الثانية إليه بالإعراب عن استعداده للتعاون، ولكنه طلب ضمانات بأن الشريف سيكف عن التدخل فيما يعتبره ابن سعود دائرة نفوذه العشائرية.

وأعاد الشريف هذا الكتاب بدون جواب وأرفقه برسالة «رعناء أبعد ما تكون عن المجاملة»[٢]. وكذلك أرسل أجوبة غير مرضية بالدرجة نفسها على كتب التهنئة من شيخي المحمرة والكويت[٣].

وعلى إثر تسلمها تقريراً عن هذا من وزارة الهند، أبرقت وزارة الخارجية بالرسالة الآتية إلى السردار في ٢٥ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩١٦ (رقم ٢٤)[٤] لإبلاغها إلى الشريف:

---

(١) 221869/16.

(٢) 236884/16 برقية بتاريخ ٢١ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩١٧ من السير برسي كوكس.

(٣) ليس من الواضح هل كانت التهاني بمناسبة تتويج الحسين أم لحادث سابق آخر.

(٤) 236884/16.

«علمت حكومة جلالته بأسف عظيم أن ثلاثة من كبار شيوخ العرب، وهم شيخا المحمرة، والكويت، وابن سعود، لديهم من الأسباب ما يجعلهم يشعرون بالحزن لكيفية استقبال الشريف لمبادراتهم. إن حكومة جلالته مقتنعة أن مثل هذا الحادث مناقض تماماً لرغبات ونوايا الشريف نفسه، وإنه بلا شك يعود إلى إغفال بعض مرؤوسيه. ولكن لا بد لها أن تلاحظ أنه نظراً للموقف المرضي جداً للشيوخ الثلاثة المذكورين، فإن مصالح الشريف نفسه، فضلاً عن مجاملة حكومة جلالته، تستدعي أن يستجيب لمبادرات حلفاء الملك بلطف، بل بمودّة. إن حكومة جلالته تمارس كل نفوذها لضمان التعاون الودي من جانب جميع العرب مع الشريف، ولكن جهودها لن تكون مجدية إذا كان الشريف نفسه يصدّ أولئك الذين اجتذبتهم حكومة جلالته إلى تأييده».

وعلى سبيل الاستجابة لهذه الرسالة، أرسل الشريف برقيتين إلى الشيوخ الثلاثة، يهنئهم في إحداهما بدوره على مؤتمرهم مع السير برسي كوكس في الكويت، في تشرين الثاني/نوفمبر[١]، ويصحح في الأخرى تصرفه السابق بدرجة مقبولة[٢].

وفي البرقية الثانية شرح علاقته بالحركة العامة للاستقلال العربي بالعبارات التالية التي هي في الواقع مطابقة للعبارات التي استعملها خلال مفاوضاته مع حكومة جلالته:

«إننا ـ أنتم وأنا ـ أصدقاء وحلفاء للحكومة البريطانية، صديقة العرب القوية، وعلينا أن نتّحد ونتعاون مع بعضنا لطرد الأتراك المخادعين، أعدائنا وأعداء الحق، وتطهير البلاد العربية من فسادهم وشرورهم، هذا أول الواجب والباقي سيتبعه. وليس لي طموح شخصي من وراء هذا. إن غايتي هي ضمان سلامتنا (أنتم وأنا) وكرامة البلاد العربية وتنقيتها من الشرور ومن سلسلة أكاذيب الأتراك المخادعين».

وفي ١٢ كانون الأول/ديسمبر ١٩١٦ أرسل شيخ الكويت جواباً مناسباً، وأغلقت هذه القضية المعينة[٣]. على أن علاقات الشريف حسين مع الإدريسي وابن سعود، مع ذلك، قد سببت لحكومة جلالته صعوبات متواصلة.

---

(١) 16/ 241296.

(٢) 16/ 243796.

(٣) 16/ 251680.

ففي أيار/مايو ١٩١٧، وبمناسبة الاجتماع الذي عقد بين الشريف والمسيو بيكو والسير مارك سايكس في جدة[١] أبلغ فيصل السير مارك سايكس بالرسالة التالية من أبيه:

«إننا مستعدون للتعاون مع فرنسة في سورية إلى أبعد الحدود، ومع بريطانية في العراق، ولكننا نطلب مساعدة إنكلترة مع الإدريسي وابن سعود دون الانتقاص من استقلالهما بأي وجه من الوجوه. وإننا نسترحم أن تعمل بريطانية العظمى على إقناعهما بالاعتراف بمركز الملك زعيماً للحركة العربية».

وتداولت وزارة الخارجية مع وزارة الهند حول مدى الاعتراف الذي يمكن الحصول عليه من الإدريسي وابن سعود بموقع الشريف حسين الخاص كزعيم للحركة العربية[٢]. وأحيلت القضية إلى كل من المقيم في عدن والسير برسي كوكس، فأبدى كلاهما أن الوقت غير مناسب، ولم يتابع الموضوع بعد ذلك[٣].

إن المشاكل بين الشريف والإدريسي بشأن «القنفذة» في آب/أغسطس ١٩١٦[٤] وبينه وبين ابن سعود بشأن «الخرمة» في صيف سنة ١٩١٨، لا تدخل في نطاق هذا الفصل. وقد كانت من حيث الأساس خلافات تتعلّق بتحديد الحدود والولاء بين الشريف، بوصفه حاكماً عربياً محلياً، وجيرانه الأقربين، وإن قضية رتبته وعلاقته بالحركة العربية لم تكن داخلة في الموضوع من الناحية الفنية. ومع ذلك، فليس هنالك شك أن هذه وغيرها من المنازعات المماثلة قد ازدادت وستزداد مرارة بوجود هذه القضية الأكبر منها في الخلفية.

علاقة الالتزامات بموجب الفقرة (٧) مع الرغبات البريطانية

إن جميع الالتزامات التي تعهدت بها الحكومة البريطانية حتى الآن إلى الشريف حسين من جهة، وإلى الحكام العرب المستقلين الآخرين من جهة أخرى، تبدو وكأنها قابلة للتوفيق بعضها مع البعض.

---

(١) 17/ 104269.

(٢) 17/ 117999.

(٣) 17/ 141413: 17/ 137978؛ 17/ 126081 (الادريسي)
و 17/ 119702؛ 17/ 118989؛ 17/ 152629 (ابن سعود).

(٤) 17/ 215155 و16/ 182183 (الرقم ١٤٢).

ومن جهة أخرى، فإن الحفاظ على حسن نية الشريف، وضمان الوضع الذي تتطلبه الرغبات البريطانية والفرنسية في العراق وفلسطين وسورية، مع الاحتفاظ في الوقت نفسه، بثقة شيوخ العرب المستقلين الآخرين، تبقى مشاكل غير محلولة.

(٨) الخلافة

في ٣١ تشرين الأول/أكتوبر ١٩١٤ كتب اللورد كتشنر، في رسالته الثانية إلى الشريف عبدالله:

«قد يكون أن عربياً صحيح النسب سيتولى الخلافة في مكة أو المدينة، وسيأتي الخير بعون الله من كل الشرور الواقعة الآن».

استناداً إلى هذه الرسالة، وبمناسبة تتويج الملك حسين في تشرين الثاني/نوفمبر ١٩١٦، ورسالة التهنئة التي بعثت بها حكومة جلالته في تلك المناسبة، أبرق عبدالله باسم الحسين إلى الكرنل ويلسن في جدة، مبلغاً الشكر إلى الحكومة البريطانية «التي خاطبته مرة بالخليفة»[1]. وحين ألحَّ عليه في هذا الأمر، اعترف عبدالله في محادثة هاتفية بعدم توجيه أي رسالة إلى الشريف بلقب خليفة، ونقل نص رسالة اللورد كتشنر بدقة كافية[2].

إن تلك الرسالة لم تلزم حكومة جلالته، بطبيعة الحال، بأكثر من الأمل بأن قضية الخلافة ستعالج بطريقة ما من قبل المسلمين أنفسهم، ولكن الحادثة المذكورة أعلاه تظهر مدى خطورة أية إشارة، مهما كانت شديدة الحذر، إلى الخلافة من قبل حكومة جلالته، وإنه لخطر سيتزايد كلما اقتربنا من تسوية الصلح.

إن أي غموض محتمل في رسالة اللورد كتشنر قد أزاله تصريح حكومة جلالته، الأكثر تفصيلاً بالمعنى نفسه، والمبلغ ببرقية وزارة الخارجية المرقمة ١٧٣ والمؤرَّخة في ١٤ نيسان/أبريل ١٩١٥ إلى السير هنري مكماهون:

«إن حكومة جلالته تعتبر قضية الخلافة مما يجب أن يبت فيه المسلمون أنفسهم بدون تدخل من جانب الدول غير الإسلامية، وإذا قرر أولئك (المسلمون) قيام خلافة عربية فإن حكومة جلالته ستحترم ذلك القرار بطبيعة الحال، ولكن القرار

---

(١) 16/ 224429 و16/ 226649.

(٢) 16/ 226649.

يعود للمسلمين أنفسهم».

وقد أوحى هذا التصريح بمذكرة مهمّة، مؤرَّخة في ٦ أيار/مايو ١٩١٦، من السيد علي الميرغني، قاضي السودان الأكبر، دافع فيها عن كون الشريف حسين أنسب مرشح للخلافة، وأنه إذا حصل على دعم مخلص من حكومة جلالته، فلديه إمكانية جيِّدة للحصول على اعتراف أكثرية من المسلمين.

في تموز/يوليو ١٩١٥، طالب الشريف حسين في رسالته الأولى إلى السير هـ. مكماهون إنكلترة «بأن توافق على إعلان خلافة عربية للمسلمين». وفي هذا بلا شك وجد تشجيعاً من رسالة اللورد كتشنر، وحفّزه طموحه الشخصي إلى المنصب، ولكن يبدو أنه كان مدفوعاً أيضاً ـ كما كان في قضية الحدود ـ من قبل اللجنة الوطنية في دمشق. وقد ذكر الفاروقي في تصريحه الذي أدلى به في القاهرة في تشرين الأول/أكتوبر ١٩١٥[1] أنه حينما كان مركزه في القاهرة (في أوائل شتاء سنة ١٩١٤ ـ ١٩١٥ فيما يظهر، وقبل الهجوم التركي على القناة) وجد أن اللجنة المدنية هناك «كانت قد تعهدت بالولاء لشريف مكة كخليفة، ونبذت ولاءها للسلطان رشاد التركي، ولذلك فإن أول إجراء لنا بعد انضمامنا إلى تلك الجمعية كان إرسالنا ضابطاً إلى شريف مكة، وقد قدم له الولاء نيابة عن جميع الضباط في حزبنا ونبذ ولاءنا لرشاد».

وصرح إضافة إلى ذلك أن أحد الأهداف الرسمية للحزب العربي هو «أن يكون الحسين شريف مكة خليفةً وسلطاناً للإمبراطورية الجديدة».

وفي حديث مع الجنرال كلايتن أضاف أن:

«أعضاء الجمعية أقسموا اليمين على القرآن بأنهم سيفرضون هدفهم ويؤسسون خلافة عربية في الجزيرة العربية وسورية والعراق مهما كلف الأمر ومهما كانت الظروف، مضحين لأجل هذه الغاية بجهودهم وأموالهم وإذا لزم بأرواحهم».

وحينما تطرح قضية الخلافة لغرض تسويتها قد يكون على شيء من الأهمية أن الشريف قبل دخوله في مفاوضات معنا، عرضت عليه الخلافة من قبل جمعية قد يحق لها إلى حد كبير في ذلك الوقت أن تدّعي بأنها تمثّل العرب في الولايات

---

(١) 15/ 157740.

العثمانية، وفي سورية على أي حال.

في ٣٠ آب/أغسطس أجاب السير هنري مكماهون في رسالته الأولى إلى الشريف عن مطالب الشريف بشأن الخلافة مكرراً رسالة اللورد كتشنر إلى عبدالله. وقد فسر هذا بأنه كان «موافقة على الخلافة العربية حينما يتم إعلانها». وأضاف: «إننا نعلن مرة أخرى أن حكومة جلالته سترحب باستعادة الخلافة من قبل عربي صحيح النسب» (ص ٤٣).

وفي ٢ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩١٥[١] قام آغا خان بزيارة إلى السير ادوارد غري[*]، واحتج على فكرة قيام خلافة عربية باسم مسلمي الهند، فقدم له السير ادوارد غري تطمينات على الأسس التالية:

«قلت إننا كنا مستعدين لتأييد قيام دولة عربية مستقلة، وذات حكم ذاتي، في الأقطار التي يسكنها العرب، ولكن أي شيء وعدنا العرب به، أو أي إجراء نتخذه لدعمهم، سيكون ذا طابع سياسي، ودنيوي. إننا نعد الخلافة أمراً يقرره المسلمون لأنفسهم، ويجب أن لا نتدخل فيه نحن ولا أية دولة غير مسلمة أخرى».

وقد أعرب آغا خان عن ارتياحه التام، ولكنه طلب أن يكون موقف حكومة جلالته في جميع الاتصالات بالعرب، واضحاً جداً. وقد أرسل محضر لهذا الحديث إلى السير هـ. مكماهون وإلى السير ر. وينغيت.

وفي ١٧ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩١٥ بعد أن تسلمت وزارة الخارجية من السير هنري مكماهون خلاصة منقحة لرسالة الشريف الثالثة المؤرَّخة في ٥ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩١٥، أبرقت إلى الأول (الرقم ٨٨٧)[٢]:

«لابد أنك ستتذكر بكل دقة طبعاً، تحاشي أي احتمال للتورط في أية قضايا تتعلق بالخلافة».

وبموجب ذلك تجاهل السير هنري مكماهون الموضوع في المفاوضات التالية.

ومع ذلك فقد قدم الشريف حسين إشارة واضحة لسياسته في الموضوع بكتابه

---

(١) 15/ 164776.

(*) وزير الخارجية البريطاني.

(٢) 15/ 172416.

المؤرخ في ٢٨ كانون الأول/ديسمبر ١٩١٥، إلى السيد علي الميرغني[١]:

«لم أدّعِ سابقاً بأني الرئيس المؤهّل للأمراء (الخليفة) ولكنني شرحت لهم أكثر من مرة استعدادي لأن أمدّ يدي إلى أي رجل يتقدّم ويتسلّم مهام السلطنة. ولكنني، مع ذلك، كنت منتخباً في جميع الأوساط، بل أجبرت على معالجة قضايا مستقبلهم، ولذلك لا أجد سبباً لفرض شروط أخرى، كالموافقة الجماعية من الأمراء والعشائر المذكورة، وخاصة «الشيعة»، أي الفرس، الذين يفتقرون إلى المؤهلات الضرورية وكل حق آخر (للبت في قضية خليفة الإسلام المنتخب).

وتضفي الفقرة أعلاه أهمية خاصة على التصريح الوارد في الكتاب المقدم إلى الشريف حسين في ٢٩ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩١٦ من قبل «وزراء مكة ووجهائها وسكانها وعلمائها»[٢] والذي أفاد «أننا نقسم يمين الطاعة والولاء والإخلاص إلى حسين بن علي، ونعدّه زعيمنا الديني إلى أن يصبح العالم الإسلامي كله على رأي واحد بشأن الخلافة الإسلامية». وقد أكد الشريف عبد الله على هذا الإعلان في برقيته القصيرة المؤرَّخة في ٢٩ تشرين الأول/أكتوبر ١٩١٦ إلى الكرنل ويلسن، معلناً ملكية والده على الحجاز».

وفي حديث هاتفي مع الكرنل ويلسن في ١ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩١٦[٣] أوضح عبدالله أن:

«جلالة الشريف حسين قد ترك قضية الخلافة لرأي العالم الإسلامي، ولذلك فإنه أعلن أنه ليست هنالك خلافة أعلن عنها مسبقاً، ولكن القضية كلها متروكة للرأي العام الإسلامي، وأن علماء القبلة قرروا رفض الخلافة التركية، وأن القضية كلها ستعود إلى أصلها فيما بعد».

وفي محادثة مماثلة جرت في اليوم التالي، صرح الملك حسين نفسه:

«لقد تخليت عن الخلافة كلياً وبصورة رسمية، تاركاً إياها لرأي أولئك الذين يعرفون قواعدها، إلى أن ينتخب المسلمون شخصاً واحداً ليكون خليفتهم.

«وأكرر أن عدم إعلاننا الخلافة لن يضعنا في أية شبهة، إلى أن يجمع المسلمون

---

(١) 16/ 30674.

(٢) 16/ 233117، انظر أيضاً 16/ 249121 (مقتبس من جريدة «القبلة»).

(٣) 16/ 242002.

على رأي واحد. إنها قضية فصل المسلمين عن الأتراك...».

وفي ٦ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩١٦ أبرقت وزارة الخارجية إلى السير ر. وينغيت بتعليمات بشأن الإجابة عن رسالة عبد الله[١]، وفي هذه البرقية طرحت مرة أخرى سياسة حكومة جلالته حول الخلافة، كما يأتي:

«إنه يجب أن يؤكد للشريف بقوة أن مصالحه هو تتطلب ترك قضية الخلافة مفتوحة إلى ما بعد الحرب، وأنه سيكون من المستحيل تماماً على دول مسيحية، يوجد بين رعاياها مسلمون يبلغ عددهم الملايين، أن تعرض نفسها لتهمة التحيز إلى جانب أو آخر في الشؤون الإسلامية، وفرض خليفة بدل آخر بالقوة، وأن هذا الدعم سيكون من شأنه أن يضعف ادعاءاته في أعين العالم الإسلامي».

وقد أبلغ الملك حسين أخيراً بجواب في هذا المعنى أرسله الكرنل ويلسن[٢].

في محادثته مع الكرنل ويلسن في ٢ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩١٦، المقتبسة أعلاه، أشار الشريف حسين إلى الخلافة مرتين باعتبارها (معلّقة) وذكر أن في حوزته كتاباً لمؤلف وهابي أثبت فيه هذا، وأنه سينشره إذا لزم الأمر.

وقد طوّر هذه الفكرة أكثر من ذلك، في حديث له مع الكابتن لورنس في ٢٨ تموز/يوليو ١٩١٧، وتكوَّن لدى الأخير انطباع بأن الشريف حسين ينفر فعلاً من إحياء المنصب من أجل شخصه، ويبدو أنه يفضِّل أن تستبدل «خلافة العثمانيين المزيَّفة» بزعامة روحيّة للإسلام في عائلته مع لقب من قبيل «أمير المؤمنين» فيما إذا عرض عليه ذلك بصورة حقيقية مخلصة. ويبدو أيضاً أنه يرى أن الزعيم الروحي للإسلام يجب أن لا يستهدف أن تكون له السلطة السياسية في العالم الإسلامي كله، بل يجب أن تصحب هذا المنصب سيادة دنيوية صغيرة ـ كالحجاز ومدنه المقدَّسة مثلاً ـ لكي يضمن لمن يشغل ذلك المنصب الاستقلال الضروري لمكانته.

وعلى ما جاء في هذه المحادثة، فإن الشريف، في الواقع، يهدف إلى وضع مشابه جداً لوضع البابا حينما كان يمتلك السلطة الدنيوية على ممتلكات الكنيسة.

وإذا كان هذا هو الرأي الحقيقي للشريف، فإنه يبدو مختلفاً بصورة لافتة للنظر

---

(١) 221869/16.

(٢) لا يبدو أن في وزارة الخارجية أثراً للنص النهائي لهذه المذكرة التي ترك أمر إعداد مسودتها لتقدير السير ر. وينغيت والكولونيل بريمون والكرنل ويلسن 17/ 174974.

عن التيار (الشوفيني) للآراء التي تبدو أكثر شيوعاً بين المسلمين في الوقت الحاضر بشأن الخلافة. ولا يعرف كيف ينظر إلى لقب الخليفة إذا أصبح في متناول يده فعلاً.

علاقة الالتزامات بموجب الفقرة (٨) برغبات بريطانية

لقد نجحت حكومة جلالته حتى الآن في أن تجعل من الواضح أنها تعتبر الخلافة قضية إسلامية بحتة، بدون أن تجعل الشريف حسين يشك في حسن نيتها تجاه أمانيه في هذا الموضوع.

ولدينا رغبتان سلبيتان كلّياً: تفادي الإساءة إلى الرأي العام الإسلامي من جهة، وإلى الشريف من جهة أخرى، ولا بد من التوفيق بين هاتين الرغبتين. وقد تحاشينا حتى الآن إقحام أنفسنا في أي من الاتجاهين بطريقة تسيء إلى علاقتنا بالطرف الآخر.

FO 371/4183 [32931]

(٢٠٢)
(ترجمة كتاب)
من الملك حسين ـ ملك الحجاز
إلى المندوب السامي البريطاني في مصر

سرّي

الرقم: ٢٥٢/١٨ التاريخ: تشرين الأول/أكتوبر ١٩١٨

يا صاحب السعادة،

إن التأكيدات المعطاة مؤخراً لسعادتكم والمشقة العظيمة التي تحملتموها لإيضاح كل سوء التفاهم يشجعني أن أكون أكثر وضوحاً في مناقشة أساس اتفاقي مع حكومة صاحب الجلالة. وأود أن أشير أن الشروط التي اقترحتها والتي قبلتها حكومة صاحب الجلالة لم تكن إلاّ لسعادة البلاد. لم يكن لديّ طمع شخصي ولا

رغبة في إنشاء أسرة مالكة جديدة أو الحصول على سيادة لنفسي. ولم يكن إلاّ حين عرضت بريطانية العظمى مقترحاتها التي كانت، في رأيي، في مصلحة المسلمين عموماً والعرب خصوصاً إذ شعرت بأن عليّ أن أجيب على النداء وأطلب فقط الشروط التي أراها تؤدي إلى الأهداف الآتية:

أولاً، الدفاع عن الإسلام بالنظر إلى ما اعتور تركية وما كان مهيّأً لها.

ثانياً، الحفاظ على اسم بريطانية العظمى الطيب لئلاّ تفسّر أغراضها الحقيقية تفسيراً خاطئاً.

ثالثاً، الدفاع عن دوافعي الشخصية ضد أولئك الذين قد يدّعون أن اتفاقي مع الحكومة البريطانية إنما كان مضراً بالهدف الحقيقي للحركة العربية.

وفي الحقيقة إن في المحادثات التي جرت لي في جدة مع المستر ستورز وبعد ذلك مع المرحوم السير مارك سايكس وفي السنة الماضية مع الكوماندر هوغارث، لم ألاحظ لأدنى درجة أن هناك ميلاً لتغيير شروط الاتفاق. لكن طبيعة مشروعنا ومعالجته الدقيقة لبلوغ تحقيق مرضٍ وبعض الأحداث التي قد تنشأ، تحتاج إلى معلومات أكثر صحة عن قضية الحدود.

لا أستطيع أن أعبّر حقاً عن شكري لتحقيق سائر الشروط ولا سيما الإعانة. لكن أي سوء تفاهم بصدد الشروط الأساسية للحدود التي سبق الاتفاق عليها، أو أية تعديلات فيها قد يمسّ مصلحة جميع العالم الإسلامي. وهذا مما يجبرني، بلا ريب، على إلغاء الاتفاق والانسحاب، لأنني أعتقد بإخلاص بأن أي تعديل في الشروط تفضي إلى إخفاق المشروع وتكون مضرة بالأهداف الثلاثة المشروحة أعلاه. بل تكون أكثر من ذلك لطخة على اسمي في التأريخ وتنزل قدري في عيون شعبي وأقاربي حين يجدون أن كل شيء قد جاء معاكساً تماماً لما صرّحت به وكرّرته لهم سواء شفهياً أو بتصريحات وبيانات تحريرية. إنني أكون بذلك قد خدعت نفسي وخدعت أصدقائي، ولا أقول شيئاً عن الفتن والثورات التي تثار بكل تأكيد في البلاد ـ ومن واجبي إزاء حكومة صاحب الجلالة أن أشير إلى أن الشكوك كادت تثار في البلاد كما يظهر من الأسئلة الكثيرة المقدمة بصدد استقلال البلاد المقبل. أنا لا أستطيع إرضاء مطالب الشعب إلاّ بالقول بأنه استقلال ناجز لكل البلاد، لكن لديهم حججهم أيضاً، ولكن إذا لزم حصول أية تعديلات فإنني أجد نفسي ملزماً بالانسحاب. لا شك أن بريطانية العظمى بشهامتها سوف تقبل

ذلك مني بروح الودّ الخالصة. إن الأمر بالنسبة إلينا هو قضية حياة وممات لا قضية مطامع أو غير ذلك. وأملي أيضاً أن بريطانية العظمى لن تشكّ في إخلاصنا وصداقتنا الدائمة من أولادي ومني. نحن نترك لحكومة صاحب الجلالة تعيين البلد الذي نذهب للإقامة فيه. ولكن إذا سقطت الحكومة البريطانية لا تفكُر أن ذلك ملائم خلال الحرب فإننا نشعر بأننا ملزمون بسبب واجب الامتنان بمواصلة الكفاح على الرغم من كل التهم المعنوية التي توجه إلينا بصورة متزايدة. أما بشأن إحالة قضيتنا إلى مؤتمر السلام القادم فأصرّح منذ الآن أنني لا علاقة لي مهما كان نوعها بالمؤتمر أو بأية سلطة أخرى. وحتى إنني أرى أن مؤتمر السلام إذا عمل ترتيبات أفضل ولم تبلغ إليّ بوساطة حكومتكم فإنني إذا قبلتها أحرم من رحمة الله.

هدانا الله إلى سواء السبيل.

CAB 27/37 (B 297)

(٢٠٣)
(مذكرة)
عن السياسة البريطانية في جزيرة العرب
أعدت في وزارة الهند

٢٠ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩١٨

١) إذا أريد لمفاوضات السلام بشأن الشرق الأوسط أن لا تفشل فيبدو لي من المهم تماماً أن تضع حكومة صاحب الجلالة للوفد البريطاني، بدون مزيد من التأخير الخطوط الأساسية لسياستها. وأجرؤ على تأكيد الموضوع بشدة نوعاً ما لأن هناك علامات بارزة للتضحية بالعراق والمصالح البريطانية والمحلية هناك في سبيل المطالب الدبلوماسية في سورية. ووزارة الهند هي المسؤولة في الوقت الحاضر عن مصالح العراق.

٢) إن النقاط الضرورية لاتخاذ قرار على أساسها هي كما يأتي:

أ ـ **حالة ملك الحجاز: هل تكون له السيادة على جميع الأراضي العربية** كما هي مشروحة في مفاوضاتنا معه وفي اتفاقية سايكس ـ بيكو؟ أم هل يكون **الأول بين متساوين فقط**. إذا كان الجواب على هذه النقطة يأتي على الأساس المحلي فمن المؤكد أنه ما من أحد في الجزيرة العربية (عدا ابن الرشيد حسب المحتمل والقليلين في العراق) يصوت لسيادة الملك حسين.

ب ـ **حالة العراق**: فيما يتعلق بهذه النقطة وافقت حكومة صاحب الجلالة على المقترحات المقدمة في مذكرة السير برسي كوكس المؤرّخة في ٢٢ نيسان/أبريل الماضي كأساس لسياستها في العراق. لقد اقترح السير برسي كوكس (على فرض أن الضمّ مستبعد تماماً) أن «الحكومة المثلى تكون بوجود مندوب سام يساعده مجلس مؤلّف جزئياً من رؤساء أهم دوائر الدولة، وفي الجزء الآخر أعضاء ممثلين غير رسميين من بين السكان» وأن تكون العلاقات الخارجية في أيدي بريطانية. ولكن «إذا تقرّر أن يكون لدينا ثمة رئيس اسمي للإدارة ليقوم بأعماله الخاصة تحت الإرشاد البريطاني... قلنا في شخص نقيب أشراف بغداد وعائلته عنصر سلالة يتولى الحكم المعنوي اللازم في ولاية بغداد بلا شك، وحسب رأيي، في العراق بأسره. وأعتقد أن النقيب وأسرته يمكن أن يحملوا على ربط أنفسهم بالمصالح البريطانية». إن حكومة صاحب الجلالة لم تقرّر قبول أحد هذين الخيارين، ولكن عليها أن تقرّر أيهما تفضل وأيهما ترغب في عرضه على المؤتمر. لذلك فالمسألة مستعجلة. ولسبب آخر أيضاً. فالتصريح البريطاني ـ الفرنسي يفترض أنه يحتم علينا أن نأخذ أصوات ممثلي الطوائف المختلفة في البلاد. وعلى ضباطنا أن يمهدوا السبيل لتأمين الحصول على التصويت الذي نريده، ولذلك يجب أن تكون لديهم تعليمات. والضرورة المحتمة لذلك تظهر في برقيتي المندوب الملكي المرقمتين ٩٩٠٦ بتاريخ ١٦ و٩٩٢٦ بتاريخ ١٧ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩١٨ اللتين لا تعربان فقط عن الارتباك الذي حصل له ولأقسام السكان الموالية لبريطانية بسبب التصريح الإنكليزي ـ الفرنسي، ولكن تبيّن في الوقت نفسه **أننا** إذا لم نمهّد الطريق فالآخرون يفعلون ذلك («الأشراف المسلمون

المحليون. . . أخذوا يعلنون لليهود والمسيحيين أنهم سيرون أنفسهم قريباً مرة أخرى تحت الحكم الإسلامي» إلخ).

٣) يظهر أنه ليس من غير المحتمل من هذه الدلائل أن نحصل على محمية بريطانية (بمعنى البديل الأول الذي ذكره السير برسي كوكس) تكون مقبولة في العراق إذا عملنا لها فوراً. ولكن يفترض أن علينا أن نفكر في الأثر الذي تحدثه في العلاقات الفرنسية ـ العربية في سورية والمنطقة الفرنسية. إن محمية بريطانية في العراق قد يفسرها الفرنسيون بأنها تمنحهم الحق بإنشاء محمية في سورية إذا استطاعوا أن يحملوا العرب على التصويت لها. والعرب يرجعون علينا بتهمة خيانتهم لدى الفرنسيين[1]. وهذا اعتبار مهم، لكنني أبدي أنه ليس حماساً، فإن المصالح المادية المرتبطة بالعراق أعظم كثيراً من إمكان المناورة بها لا لشيء سوى لأن ذلك ملائم دبلوماسياً. إننا لم نتعهد للملك حسين بمنع الفرنسيين من إنشاء محمية، فتعهداتنا تتعلق فقط بالمناطق التي نستطيع العمل فيها دون مساس بالمصالح الفرنسية، ويجدر بنا أن نتخذ موقفنا على الأرض بثبات ولا نسمح لنفسنا بأن يستعملنا العرب لضمان مصالحهم في سورية على حساب الفرنسيين. لكن هذا هو ما نعمله في الوقت الحاضر، وبعملنا ذلك نجازف بضياع ثمار الحرب العراقية لأجل سواد عيون الملك حسين وأبنائه الماكرين.

٤) غير أنه قد لايكون ممكناً لأسباب أخرى أن نقترح على مؤتمر السلام محمية بريطانية مصرحاً بها. وفي تلك الحالة علينا أن نعمل لأجل البديل الثاني الذي اقترحه السير برسي كوكس ـ سيطرة بريطانية حقيقية وراء واجهة حاكم عربي، وعلينا أن نوجد مرشحنا حاضراً ونتخذ الخطوات اللازمة لضمان قبوله في العراق.

إن المرشح الموجود في الميدان في الوقت الحاضر هو نقيب أشراف بغداد، ولكن في آخر ساعة جاء اللفتنانت كرنل لورنس باقتراح لتنصيب أحد أبناء الملك

(١) إن فكرة استطاعتنا إخراج الفرنسيين من سورية بالاحتكام إلى الخيار المحلي بموجب التصريح البريطاني ـ الفرنسي تظهر لدي بأنها خيالية ما لم تقم عصبة الأمم أو قوة خارجية أخرى بفرضها عليهم، كما أنني لا أرى أن لنا مصلحة خاصة في إخراج الفرنسيين من سورية.

حسين ملكاً على العراق، وتنصيب ابن آخر ملكاً للعراق الشمالي على أن تكون عاصمته في الموصل أو رأس العين. ومع أني لا أعلم بحدوث شيء ما منذ قبلت اللجنة الشرقية اقتراح السير برسي كوكس في الربيع الماضي لحملها على تغيير قرارها، فلا بد من أن يقال شيء عن اقتراح الكرنل لورنس.

٥) وفي المقام الأول، وبدون أية رغبة لنبخس قيمة إنجازات الكرنل لورنس وعبقريته التي لا شك فيها، يجب أن يقال عنه إنه لا يمثل قطعاً ـ ولا يدعي، كما أعتقد، أنه يمثل ـ الآراء المحلية لبلاد الرافدين الشمالية والعراق. والحقيقة أنه، لا يمتلك فعلاً أية معلومات محلية عن العراق، فإذا أرادت حكومة صاحب الجلالة أن تعلم شيئاً عن هذا القطر فإنها بطبيعة الحال تلتفت إلى المندوب الملكي وضباطه.

٦) أما بشأن آرائهم فلا يسودها شك كبير. لقد سئل السير برسي كوكس السؤال المعينّ: «هل يمكن العثور على سلطة عربية، سواء كانت عائلية أو ممثلة، تكون لها المنزلة الأدبية اللازمة في [العراق] ككل؟ أي دون الملك حسين أو أسرته لدى العرب المحليين؟» جوابه عن السؤال الأول سبق ذكره ـ لقد وجد أن نقيب أشراف بغداد وأسرته لهم المؤهلات اللازمة، وأجاب عن السؤال الثاني: «لا يملك الشريف حسين وأسرته أي وزن في العراق، ولا ينال غير اهتمام بعيد جداً»، وقال: «إنني لا أرى أقل مبرّر أو حاجة لتقديم أحد أبناء الأسرة» كعاهل محلي. وكنت ألمس بل إن الاعتراف الممنوح للشريف «هو من أضعف الأنواع، والاحترام الذي يثره اسمه بلا ريب أعطي له بوصفه شخصية دينية كبيرة، وهو الأول في الإسلام، وليس كزعيم سياسي». وهي تشير إلى أنه «وإن كانت هنالك أمثلة فريدة اعتبر فيها [الشريف] مركزاً للوحدة العربية، فإنها لم تحدث بين السكان الحضريين المثقفين بل بين العشائر و«السادة» القرويين وبين الشيعة الذين يريدون عاهلاً يظن أن ميوله الشيعية أكثر من مجرد شبهات. وإذا كانت هذه الآراء صحيحة ـ وليس ثمة سبب للشك فيها ـ فمن الواضح أن عبدالله، الذي لم يكن معروفاً شخصياً في العراق، لن يجد في سمعة أبيه سوى دعوى ضعيفة جداً للقبول. وإذا كان مشروع اللفتنانت كرنل لورنس، كما يظهر، يفترض إضافة إلى ذلك أن يخلف «عليّ» ـ الذي لا شك في

سنّيته الأصولية ـ أباه عندما يحين الوقت، فإن تلك الدعوى الضعيفة ستزول أيضاً».

٧) والحقيقة أن ذلك المشروع يفترض سلفاً تضامناً غير موجود وليس من مصلحتنا أن نشجعه. إن النظرة بين بلاد العرب الشرقية والغربية مختلفة تماماً في هذا الصدد. تقول المس بل: «حين يكتب شيوخ بني حسن عن توحيد الأمة العربية، يمكن التأكيد بكل ثقة أن الكلمات لا تعبّر عن مفهوم سياسي معينّ. فهم في الحقيقة ليسوا في وضع لاقتباس الفكرة. فأفقهم السياسي محدود ببغداد والكوفة. وحتى العمارة والبصرة هما خارج نطاق اهتمامهم ولا نقول سورية أو مراكش. ولكن في بغداد نفسها حيث يوجد فيها وحدها رجال لهم معرفة سماعية عن العالم العربي بعيداً عن العراق، توجد غيرة عميقة من العرب غير المولودين محلياً». وتضرب مثالاً لعدم محبتهم السوريين وتضيف قائلة: «إن الوطنية كما يمكن أن تلاحظ في أية ناحية من المحافظات العربية هي محلية محضة حين تخرج عن عالم الكلام وتأتي إلى التطبيقات العملية». ويمكن أن نقارن بهذا ما يقوله الكابتن ويلسن في برقيته المرقمة ٩٩٢٦ والمؤرَّخة في ١٧ تشرين الثاني/نوفمبر: «إذا أريد معالجة مستقبل الوضع في هذه البلاد بنجاح فأنا واثق من وجوب معالجته مستقلاً عن المشاكل العربية في الأماكن الأخرى. إن عرب العراق لن يقبلوا بأن عرباً من بلاد أخرى يكون لهم شأن في أمورهم سواء جاؤوا من سورية أو من الحجاز. وهم فعلاً يكرهون هؤلاء كلهم ولا يثقون بهم. إن معنى الوحدة الوطنية لديهم هو العراق الموحَّد وليس الاتحاد مع سورية أو الحجاز». وقد قال السير برسي كوكس من قبل: «يعتبر نقيب بغداد نفسه أرفع مكانة من الشريف في نقاء نسبه ونبله، وليس أقلّ منه أهمية. وإن إدخال أحد أقرباء شريف مكة رئيساً للدولة العراقية يكون، في رأيي، غير مفهوم تماماً وموضوع الاستياء لدى النقيب وأسرته، وبذلك يفضي إلى استبعاد أعظم عنصر فعال لنفوذنا على عرب العراق».

٨) تلك هي آراء ضباطنا المسؤولين، وإذا كانت هذه الآراء صحيحة (وليس هناك أي دليل يجعلها أقل صحة منذ أن وافقت اللجنة الشرقية

على مقترحات السير برسي كوكس في شهر نيسان/أبريل الماضي) فإن الشريف عبدالله لن يجد قبولاً لدى عرب العراق بصفة ملك ويحرجنا حقاً. ولذلك فإن ترشيحه لا يبدو فيه ما يبرر التوصية به.

٩) فيما يتعلق باقتطاع مملكة في شمال العراق برئاسة الأمير زيد، فلا دليل لدينا عن شعور العرب المحليين، العشائر منهم والحضر، نحو شخصه. لكن إنشاء مملكة منفصلة مستقلة أو شبه مستقلة يكون أمراً غير مناسب بلا ريب. لقد أكد الكابتن ويلسن مؤخراً العلاقة الاقتصادية والسياسية الوثيقة القائمة بين ولايتي الموصل وبغداد. وإنه لمن سوء الحظ حقاً أن اتفاقية سايكس ـ بيكو عهدت بولاية الموصل إلى فرنسة، ويجب القيام بمحاولة شديدة لإخراج فرنسة منها. لا ريب أن مملكة عربية تحت رعاية إنكلترة تكون أقل عدم تناسب منها برعاية فرنسة، لكن يمكن ذكر ثلاثة أضرار خطيرة: (١) لا نعلم حتى الآن ما ستكون عليه درجة سيطرتنا على هؤلاء «الملوك» العرب، وعلى كل حال نحن نعمل بصراحة لوقت تزول فيه هذه السيطرة كلياً: فإذا كانت الموصل مملكة منفصلة فلن يكون ثمة ضمان كافٍ للتعاون الودي الوثيق الضروري لتأمين أهم مصالح بغداد والبصرة (مثلاً الريّ). (٢) يجب ازدواج آلة السيطرة أو الإدارة البريطانية كلها. (٣) إن اتفاقية سايكس ـ بيكو قسمت كردستان إلى ثلاثة أقسام، وهذا التقسيم غير المرغوب فيه يبقى. لا ريب أن مركز السيطرة يقع بطبيعة الحال في مملكة الموصل، لكن الأكراد يمتدون على طول المملكة العراقية. وهذا يقف حائلاً دون توحيد كردستان أو تحالفها، وهو أمر مهم للسلام في أرمينية والعراق كليهما.

١٠) لذلك نعرض أن مشروع الكرنل لورنس لا يجد ما يبرره فيما يتعلق ببلاد الرافدين والعراق، مهما يكن مناسباً لترضية المطامع المربكة لولدي الملك حسين الآخرين، بعد تنصيب علي في مكة وفيصل في دمشق.

١١) لقد وردت برقيتا الكابتن ويلسن المرقمتين ٩٩٠٦ و٩٩٢٦ والمؤرّختين في ١٦ و١٧ تشرين الثاني/نوفمبر بعد كتابة القسم الأول من هذه المذكرة. ولا حاجة بي للقول إنني أشارك مخاوفه فيما إذا كان التصريح

البريطاني ـ الفرنسي يعني ما يعتقده. وعلى كل حال، إن المسؤولين الآن عن شؤون العراق لا بد لهم من الاحتجاج على أية تضحية بمصالح عرب العراق لأجل عرب سورية أو غيرها. وكما سبق القول لا أستطيع أن أرى أننا متعهدون بالشرف أو المصلحة للدفاع عن العرب ضد الفرنسيين، وفيما إذا كان الفرنسيون يسمحون لأنفسهم بالعزل من سورية بأي خيار محلي بموجب التصريح ـ أو أنهم إذا فعلوا ذلك يسمحون لنا بالحلول محلهم كما يتخيَّل البعض ـ فذلك غير معقول حقاً. إن سورية محفورة حفراً عميقاً في قلب فرنسة إلى درجة لا تسمح بذلك. وإذا أيدنا العرب في هذه القضية فإننا نتحمل حقد فرنسة بينما علينا أن نحيا ونعمل مع فرنسة في كل أنحاء العالم. لا مصالح خاصة لنا في سورية أبداً تضاهي مصالحنا في العراق. ولو كانت لنا مصالح كتلك وكنا نستطيع إبعاد الفرنسيين لصالحنا، هل في وسعنا أن نتولىَّ السيطرة على سياسة سورية وإدارتها إضافة إلى مسؤولياتنا في العراق والجزيرة العربية؟

١٢) وإذا كنا لا نستطيع استبعاد الفرنسيين من سورية فلا نستطيع أيضاً إضعاف سيطرتهم هناك دون إضعاف سيطرتنا على العراق مثل ذلك. وإذا كان المقصود إعمار العراق فيجب أن تكون سيطرتنا على الإدارة الكاملة، إذ لن يتيسر المال اللازم لهذا الإعمار إلاَّ بهذا فقط (على أقل تقدير). والآن، كما تجرَّأت على القول حين كتبت أول مرة عن هذا الموضوع قبل أربع سنوات تقريباً، «إن الدولة التي تفصل هذه الأقطار عن الإمبراطورية العثمانية لا يمكنها أن تقف عند هذا الحدّ. فإنها بعملها قد جعلت نفسها مسؤولة أدبياً أمام الإنسانية والمدنية عن تطويرها وإعمارها. أي أنها إما أن تقوم بالعمل بنفسها أو تهيىء للآخرين القيام بذلك». ويجوز أن عصبة أممية قد تقرر عن البديل الأخير. ولكن في الوقت نفسه لا نتجاسر على المقامرة بمسؤوليتنا في سبيل أحلام الآخرين في سورية.

١٣) ولكن في الحقيقة لا يوجد أي شيء غير متناسب بين التصريح البريطاني ـ الفرنسي ومقترحات السير برسي كوكس التي قبلتها اللجنة الشرقية. وأبدي أن حكومة صاحب الجلالة يجب عليها أن تصرح فوراً

بموجب ذلك لإرشاد الوفد البريطاني في مؤتمر السلام والمفوض المدني في بغداد كليهما، وأن تصدر التعليمات إلى هذا المندوب بالبدء بالدعاية حالاً في سبيل الحصول على الموافقة المحلية، وإذا أمكن، طلب الإدارة البريطانية لولايات البصرة وبغداد والموصل للتوصل إلى الحكم المحلي في المستقبل.

أ.هـ.
٢٠ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩١٨
(آرثر هيرتزل)

FO 371/4189 [3058]

(٢٠٤)

(كتاب)

من الجنرال ريجنالد وينغيت ـ المندوب السامي في القاهرة إلى السير آرثر جيمس بلفور ـ وزير الخارجية

الرقم ٣٣٨ التاريخ: ٢٩ كانون الأول/ديسمبر ١٩١٨

سيدي،

إشارة إلى برقيتي المرقمة ١٩٠٣ والمؤرخة في ١٨ كانون الأول/ديسمبر ١٩١٨ أتشرف أن أقدم مذكرة للكرنل ويلسن عن محادثته مع الملك حسين في جدة حول موضوع الإعانة المالية.

وأتشرف إلخ...

ريجنالد وينغيت

FO 371/4189 [3058]

(المرفق)
مذكرة عن الإعانة المالية
من الكرنل ويلسن ـ المعتمد البريطاني في جدة

الآن وقد انتهت الحرب قلت لن يكون من غير المحتمل لحكومة صاحب الجلالة أن تدعو لإعادة النظر في قضية الإعانة في المستقبل القريب. وسألت عن آراء الملك عن مطالب حكومته بعد الحرب فيما يتعلّق بالمساعدة المالية. هل يستطيع أن يزوّدني ببيان مفصَّل عن المدفوعات المنتظمة التي يجب منحها لبعض العشائر كما كان الأمر في العهد التركي، والميزانية تبين الإيراد والنفقات المتوقعة تحت أبواب الإدارة المختلفة. تلقَّى سيادته الموضوع بكل اهتمام وقال إنه كان يفكُر في هذا الموضوع بعناية كبيرة منذ أمد. أولاً فيما يتعلّق بسورية يجب علينا أن نستشير فيصل، فهو في الوقت الحاضر لا يستطيع إبداء أي رأي مفيد. من الذي يستطيع أن يقول ماذا يلزم حينما يكون مستقبل تلك البلاد كله مجهولاً؟ لقد أعلم فيصل أنه لا يحسن فرض ضرائب من أي نوع كان في سورية لمدة لا تقل عن سنة واحدة لتمكين البلاد من الشفاء من تخريبات الحرب. وقد اقترح فيصل الإعفاء لمدة ثلاثة أشهر فقط، لكن الملك يرى هذه المدة قصيرة. بعد نحو شهر واحد من سقوط المدينة يمكن تخفيض الإعانة للحجاز تخفيضاً جسيماً. وهو يعلم أن النقود قد جهزت في الأساس لغرض تنفيذ الحركات العسكرية، والزيادات المتعددة التي أجبر على طلبها من حين لآخر كانت كلها تعود إلى الحاجة الملحّة لمنح الإعانات للبدو. وفيما عدا تلك الإعانات للعشائر كالتي كان الأتراك يدفعونها في السابق، لحماية السكة الحديد والحجّ إلخ، فإن هذه المدفوعات الكبيرة للبدو يمكن أن تنتهي تماماً.

إن الحاجات الأساسية لميزانية الإدارة معروفة لسيادته وفي استطاعته أن يقدم ميزانية في أي وقت كان. لكن هناك بعض الأمور التي لا يمكن تقريرها حتى تستسلم المدينة وتطهر السكة الحديد من العدو، مثلاً ما هي المراكز العسكرية والإدارية التي يجب إنشاؤها في نقاط مختلفة على خط السكة نفسها. واللوازم المالية

في هذا الصدد لا يمكن تخمينها إلاّ بكثير من الغموض في الوقت الحاضر، لكن خلال شهر أو شهرين بعد استسلام الأتراك النهائي تعهد عظمته بتقديم بيان مفصّل عن الوضع المالي.

وسئل هل يستطيع إعطاء فكرة عن مقدار التخفيض الذي يمكن إجراؤه، حسبما يرى هو نفسه، حدد الملك مبلغ ١٢٠,٠٠٠ باون بأنه يكون الإعانة الشهرية بعد الحرب التي يرى أنها ضرورية. وقد أبديت عجبي لهذا الرقم الكبير، فشرح عظمته أنه ذكر هذا المبلغ باعتباره المبلغ الذي عينه السير هـ. مكماهون كواجب الدفع تعويضاً عن الاحتلال الوقتي لولاية البصرة. قلت إنني لم أعلم بأنه تم الاتفاق على مبلغ في أي وقت كان. قال الملك حسين إن السير هـ. مكماهون دعاه إلى تعيين رقم لكنه رفض تاركاً الأمر كله لحكومة صاحب الجلالة، وقد كتب السير هـ. مكماهون قائلاً إن المدفوعات قررت بمبلغ ١٢٠,٠٠٠ باون شهرياً. ولقد ذكر الملك في مناسبات سابقة أنه يرى الإعانة (أي المبلغ الأصلي وقدره ١٢٥٠٠٠ باون شهرياً) تعويضاً عن احتلالنا الحالي للبصرة. ولا شك أن النقاش كله لا أساس له (راجع مذكرة الميجر كورنواليس المؤرّخة في ١٠ أيلول/سبتمبر الماضي عن تصريح الملك حسين بصدد الاتفاقية المعقودة بينه وبين حكومة صاحب الجلالة سنة ١٩١٥ ـ ١٩١٦). لم أتابع الموضوع أكثر من ذلك، لكنني طلبت إلى الملك أن يقدم تخميناته المفصلة بأسرع ما يمكن بعد استسلام المدينة والسكة الحديد. وقد تعهد سيادته بأن يفعل ذلك.

F0 371/4144

(٢٠٥)

(برقية)

من الملك حسين إلى المعتمد البريطاني في جدة

الرقم ١٧٨ — التاريخ: ٣ كانون الأول/ديسمبر ١٩١٨
(٢٩ صفر ١٣٣٧)

تسلمت بمزيد من الامتنان كتاب سعادتكم المؤرخ ١ كانون الأول/ديسمبر

١٩١٨ (٢٧ صفر ١٣٣٧ هـ) الذي تخبرونا فيه بأن حكومة صاحب الجلالة ستكون مسرورة حين تعلم أنني أمرت شاكر بتفادي القتال بقدر الإمكان على الرغم من كل شيء. وأبلغ سعادتكم بكل احترام أنه لم يعد هنالك أي مجال للصبر مطلقاً بعد أن قاموا بمهاجمتنا في محل غير بعيد عن أبواب مكة.

إن الحفاظ على المصالح المشتركة تجعلني أقول إن الأمر الآن هو بيد بريطانية العظمى.

المخلص

(توقيع) حسين

(الأصل العربي)

FO 686/16

(٢٠٦)

(تقرير)

كتبه محمود القيسوني
وزير الحربية في الحكومة العربية
إلى المعتمد البريطاني في جدة
عن رحلة الملك حسين إلى الأخيضر
بتاريخ ٢٨ كانون الأول/ ديسمبر ١٩١٨

حضرة صاحب السعادة المعتمد البريطاني

جدة

أتشرف بأن أرفع إلى مقامكم الكريم تقريري هذا عن رحلتي مع جلالة الملك المعظم إلى الأخيضر.

تحرك ركاب جلالة الملك من هنا يوم السبت ٢٨ كانون الأول/ديسمبر ١٩١٨ قاصداً جهة الأخيضر الواقعة في الجهة الشرقية لمكة على الترتيب التالي:

من مكة الساعة ١٢ ظهراً وصلنا الزيمة الساعة ٨ مساء
في جهة السير، ٧ س

من الزيمة الساعة ٩,٣٠ مساء محل المبيت الساعة ١,٣٠ صباح يوم الأحد ٤

من محل المبيت الساعة ٦ صباحاً السيل الساعة ٨,٣٠ صباح يوم الأحد ٢ ١/٢

من السيل الساعة ١٢,٣٠ مساء محل المبيت الساعة ٦,٣٠ مساء الأحد ٥

من محل المبيت الساعة ٦ صباحاً الأخيضر الساعة ٧,٣٠ صباح الاثنين ٣٠ م. ٢/١ ١

وقد كان متوسط السير أربعة أميال في الساعة والطريق متجه للجهة الشرقية عند وصول جلالة الملك لمعسكر الأخيضر خرج سمو الأمير عبد الله باشا وسيادة الشريف محسن ومن معهم من مشايخ قبائل هذيل وثقيف وحرب وبيشة لمقابلة جلالة سيدنا في ركب من الخيالة نحو العشرين حصاناً وصار (العرض) ولما نزل جلالة الملك إلى الصيوان المعدّ لجلالته حضرت الأمراء والأشراف هناك للتحية ثم حضرت القبائل بالترتيب الآتي:

هذيل وعددهم تقريباً سبعماية

حرب وبيشة وحوالي مايتان

بني سفيان نحو خمسماية وهم الذين أرسلوا الأخيضر من الطايف قبل وصول الملك بأيام. وصاروا يعرضون أمام جلالة الملك قبيلة قبيلة وتغني لهم شعراءهم بأغاني حماسية يرددونها والحماسة بادية عليهم مما يدل على تفانيهم في الإخلاص لجلالة الملك حتى جاء دور قبيلة بني سفيان وغنت شعراهم بأغاني ضمنوها بعض معاني تدل على رغبتهم في كثرة وجود الخيالة معهم وكذلك كثرة الهجن فاستاء لعباراتهم جلالة الملك وأمرهم بالانصراف فانفضوا جميعاً آسفين مما بدى على وجوههم من الندم ودخل جلالة الملك إلى الصيوان وحضرت شيوخهم وصاروا يعتذرون مما فرط من شاعرهم الجاهل بكل أميال القبيلة وأكدوا لجلالة الملك أنهم ما آلوا إلاً طائعين مختارين الموت للفداء عن جلالة الملك والمملكة بدون أي شرط أو قيد فقبل اعتذارهم وصفح عن هفوة شاعرهم وأرضى خواطرهم بأن زاد لهم بعض الأشياء التي يرغبونها.

بناء على هذه الأرقام تكون جهة الجنود الذين نظرتهم أنا في هذا اليوم نحو الألف وخمسماية ولكنني سألت الأمير عبد الله باشا عن جملة القوة التي تحت قيادته فقال لي إنها تربو على ثلاثة آلاف محارب مسلح بمقتضى دفتره ولكنهم مشتتين بين المعسكر وما جاوره.

وقد صرف جلالة الملك باقي يوم الاثنين في نصح وإرشاد القوم. في يوم الثلاثاء ٣١ منه وردت أخبار من الشريف شاكر تفيد بأن شيوخ عتيبة الذين كانوا يحاربون مع العصاة انشقوا عليهم لأنهم طلبوا من زعيمهم أن يقطعهم شيئاً من أراضي الخرمة فتعلل بأن أراضي الخرمة تابعة لقبيلة سبيع (أي المدّينة) وقال لهم لا بد من استشارتهم أولاً وفعلاً استشار مشايخ سبيع في الأمر فرفضوه بتاتاً فآل هذا الرفض بتفرق عتيبة عنهم وكذلك بلغني ولكن من خبر غير موثوق به أن خالد العاصي ذهب بمن معه من أهله وعياله وحلاله إلى جهة في شرق الخرمة لم يذكر اسمها ليدع الأهل والحلال هناك ولم يؤكد الراوي إن كان ينوي الرجوع للخرمة أو يبقى بعيداً عنها.

بلغني أيضاً أن بن رشيد غزا بعض فخوذ عتيبة الذين كانوا في شرق الخرمة الذين منهم أيادي المساعدة لخالد وأتباعه وخربهم ونهبهم.

أدلى بعض كبراء الأشراف هنا أن عدد العصاة مع خالد لا يزيد عن ألفين وأنه لا يخلوا في يد قوية تؤيده غير أنه مساع إرسال إمدادات في الوقت الحاضر من بن سعود في الظاهر.

علمت أيضاً من الأمير الذي كان أميراً على القوة التي كانت بعشيرة أن العصاة هجموا عليها قبل نحو شهر وكان عددهم نحو الثلاثماية. ثمانين منهم خيالة والبقية هجانة أتوا من الخرمة رأساً إلى «عشيرة» فبددوا من كان بها من جنود جلالته وأخذوا مدفعان جبليان قطر ٧,٥ وبلغ عدد أكياس الدقيق والأرز التي أخذوها ثمانماية كيس وسطوا على السوق الذي كان هناك معمولاً ببعض بياعين صغار من أهالي الطايف فذبحوهم جميعاً وأخذوا ما كان في أيديهم وهذا مؤكد لأنني أعرف الرجل حق المعرفة وأخذوا حصانين من خيل رجال جلالته وصرفوا يومان في «عشيرة» وحملوا ما طاب لهم حمله وحرقوا الباقي وانصرفوا. وأكد لي أن جملة من ذبحوهم في هذا السطو بلغ نحو الخمسة عشر.

اليوم كلفني جلالة الملك بأن أذهب يوم باكر إلى الطائف ثم لمناظرت المساكن

العسكرية بها.

وقد حضر أهالي الطايف الأعيان والموظفين وعددهم نحو الخمسين لأداء التحية لجلالة الملك وجاؤا بمكتوب من الشريف حمود أمير الطايف لجلالته (تفيد) أن قبيلة بني سعد مجتمع منها ألف وثمانماية محارب بالطايف متطوعون إلى المعسكر بالأخيضر للانضمام على القوة. يوم الأربعاء أول نيسان سنة ١٩١٩. صرّح لي جلالة الملك بالذهاب إلى الطايف وأخبرني بأن جلالته يعود إلى مكة حوالي يوم الاثنين أي بعد باكر بعد تمشية الجنود إلى جهة الخرمة لاحتلالها ومحاربة من فيها إذا لم يسلمون ويأتي خالداً صاغراً.

قمت في الأخيضر الساعة ١٢ ظهراً وقد تركت جلالة الملك بغاية الصحة ومنشرح للغاية فوصلت الطايف في أربعة ساعات ونصف وهناك واقعة في جنوب الأخيضر تقريباً.

قابلت الشريف حمود بن زيد أمير الطايف وأخبرني أنه ورد عليه أمراً من جلالة الملك بإرسال ستماية نفر من قبيلة بني سعد واستعرضهم أمامي هؤلاء تملأهم الحماسة وولاءهم لا ريب فيه وكان ينوي إرسال هؤلاء الستماية يوم أمس الذي قمت فيه في الطايف فلا بد أنهم أرسلوا أمس إلى مقر المعسكر بالأخيضر.

فإذا اقتصر الحال على ستماية نفر من بني سعد فقط فسيكون عدد المحاربين حسبما ذكرت ثلاثة آلاف وستماية من القبائل المذكورة مع هؤلاء في الجيش النظامي وأحد ضابط وثلاثين جندي مدربين تدريباً جيداً على استعمال ماكينة الرشاش.

أكد لي الشريف حمود أن جميع بني سعد راغبين، تماماً في الذهاب إلى الحرب ولكنهم غير مسلحين معظمهم.

وأخبرني أن لا خوف على الطايف من تعدي العصاة عليها إذ إن القبائل الموجودة بينهم وبين الخرمة لا يسمحون بمرورهم وإن الطايف تبعد عن الخرمة ثلاثة مراحل أي ثمانين ميلاً تقريباً. وختاماً أتشرف بتقديم فائق احتراماتي لمقامكم الكريم.

وكيل الحربية العربية
محمود القيسوني

FO 371/4162 [605]

(٢٠٧)

مقابلة في لندن بين الشريف فيصل والسير إدوين مونتاغيو ـ وزير الهند

في ٢٧ كانون الأول/ ديسمبر ١٩١٨

١ ـ زار الشريف فيصل، يصحبه اللفتنانت كرنل ت ئي لورنس، وزارة الهند يوم الجمعة ٢٧ كانون الأول/ديسمبر ١٩١٨، واستضافه الوزير على الشاي. خلال محادثة مبدئية في غرفة المستر مونتاغيو اشترك فيها الوزير (إدوين صموئيل مونتاغيو) والسير ت. هولدرنس، والسير ج. دنلوب سميث فقط، وقد تكلم الشريف بإسهاب عن تضامن الحركة العربية والوحدة الضرورية للعرب. وتبع ذلك مباحثة أكثر تعميماً حضرها لورد إيزلنغتن والسير آرثر هيرتزل والسير هاملتن غرانت والمستر شكبره، إضافة إلى أولئك الذين سبق ذكرهم وترجم الكرنل لورنس خلال كل الوقت للشريف فيصل.

٢ ـ ابن سعود ـ بحث الشريف العلاقات بين ابن سعود أمير نجد والسلطات الحجازية. وشرح طبيعة الحركة الوهابية التي يرأسها ابن سعود ويمثل روحها الموجه. ومن ناحية العقيدة ليس له اعتراض ما على الوهابيّة. لكنها في جوهرها عقيدة محاربة، وأنها تتخذ لخدمة أغراض سياسية. إن الوهابيين غير متسامحين مع أي كان، ومع كل شيء خارج مذهبهم. فمثلاً إذا استولوا على الأماكن المقدسة فإنهم سيمنعون غير الوهابيين كلهم من الحجّ وما دامت الوهابية منحصرة في نجد فلا أحد في الحجاز يرغب في التعرض له. ولكن الحجازيين لا يستطيعون التسامح في ظهوره في المنطقة المأهولة غربيّ البادية. وهذا هو معنى حادث الخرمة. إن الخرمة أول قرية مأهولة غربيّ البادية، وما دامت باقية تحت تأثير ابن سعود فإنها تؤلف قاعدة خارجية للوهابية في المنطقة المأهولة. إن الشريف فيصل عازم على طرد «الإخوان» (أي الوهابيين المقاتلين) من القرية. وإنه ينوي أن يفعل ذلك في المستقبل القريب بقوة السلاح. وهو سيدير المعركة شخصياً ولا يتوقع أية صعوبة في تحقيق غرضه. إن القضية بسيطة، ولا تستحق أن تثير قلق حكومة

صاحب الجلالة. إنه سيكتفي تماماً بطرد الوهابيين وإعادتهم إلى البادية ولا رغبة له في نقل المعركة إلى أراضي ابن سعود. وهناك بديل واحد، وهو: أن يعتنق أهل الحجاز أنفسهم المذهب الوهابي. وأن فيصل مستعد تماماً لاتخاذ هذا الطريق إذا رغبت الحكومة البريطانية. لكن ذلك يعني غلق سبيل الحج أمام غير الوهابيين في المستقبل.

٣ ـ سورية ـ شرح فيصل الظروف التي أدت إلى الثورة العربية سنة ١٩١٦. كانت الحركة العربية قبل الثورة تتمثل بلجان عربية محلية في أنحاء مختلفة من العالم العربي. وفي الولايات الشمالية (سورية، العراق... إلخ) كان العرب تحت رحمة الأتراك، ولذلك كانت اللجان المحلية لا حول لها. وكان العمل ممكناً في الحجاز فقط، ولذلك بدأت الثورة في الحجاز. لكنها وجّهت منذ البدء إلى تحرير الولايات الشمالية مثل الحجاز نفسه. وقد توجه أصحاب الثورة بصورة طبيعية إلى الحكومة البريطانية للمساعدة لأنها الحكومة الأوروبية الوحيدة التي اتبعت سياسة مستنيرة نحو الأقوام المستعبدة. لقد شعر العرب، ولا زالوا يشعرون، بالثقة التامة ببريطانية العظمى. وضرب مثلاً بموقفه الخاص بصدد العراق، وهو الموضوع الذي لم يقل فيه، ولا يعتزم أن يقول كلمة واحدة، فإنه كامل الثقة بأن الحكومة البريطانية تعمل ما هو صحيح. غير أنه قلق جداً من جراء بعض التطورات الحديثة، وخصوصاً بشروط اتفاقية سايكس ـ بيكو التي لم يبلّغ هو بفحواها إلاّ بعد مدة طويلة من عقدها. ولم تكن له فكرة، حين كان مشغولاً بالنضال ضد الأتراك، عن وجود أي اتفاق من هذا النوع أو بأن حقوق العرب في سورية قد جرت المساومة عليها وبيعها سلفاً. إن سورية هي مخزن حبوب الحجاز ـ والحجاز نفسه بلد قاحل ولا قيمة له ـ وإن امتلاكها (سورية) ضروري كل الضرورة للعرب. وإذا كان النفوذ الفرنسي يسود في سورية فإنه سيمتدّ بلا ريب إلى الحجاز نفسه. والعرب لا يحبون الأساليب الفرنسية ولا يثقون بها. (شبّه فيصل الفرنسيين بنوع مؤذ جداً من العلق الموجود في الآبار العربية). إنهم يرون نتائج السياسة الفرنسية في شمال أفريقية حيث لم يجر شيء قط لتشجيع الثقافة العربية، وليس لهم رغبة في الدخول تحت نفوذ أمة يرون حضارتها ليست أرفع من حضارتهم بأي وجه. وهم يعترفون تماماً بمقتضيات التحالف الإنكليزي ـ الفرنسي والتزام بريطانية العظمى بالمحافظة على صداقتها مع حليفتها. لكن هذا الواجب يجب أن ينفذ على حساب بريطانية العظمى نفسها وليس على حساب العرب. ولدى تذكير فيصل

بالتصريح الإنكليزي ـ الفرنسي الأخير، قال إنه يقدّر تأثير هذا التصريح في تعديل اتفاقية سايكس ـ بيكو. لكنه فهم من مقابلة في وزارة الخارجية بأنه إذا أصرت الحكومة الفرنسية على حقوقها بموجب الاتفاقية فلن تكون بريطانية العظمى في موقف يمكنها من الرفض. ولمّح أنه في تلك الحالة ستكون حرب بين العرب والفرنسيين في المستقبل القريب. لقد لاحظ بشيء من خيبة الأمل خلال مكوثه في إنكلترة ما ظهر له من علامات الضعف من جانب الحكومة البريطانية. وقد تعهد المستر مونتاغيو بأن يضع بيانات الشريف أمام زملائه.

٤ ـ **فلسطين** ـ سئل فيصل خلال المباحثة عن موضوع فلسطين، فأشار إلى أن العرب مثقلون بأفضال بريطانية العظمى وأنه لن يليق بهم أن يضعوا العراقيل في قضية يرون الحكومة البريطانية خير حكم فيها. ويعترف العرب بأن هناك مصالح متضاربة كثيرة تتركّز في فلسطين، ويقرّون بادعاءات الصهاينة الأدبية. وهم يعتبرون اليهود أقارب سيسرهم أن يروا ما هو عادل من مطالبهم تستجاب، إنهم يشعرون أن مصالح السكان العرب يمكن أن تودع بأمان في أيدي الحكومة البريطانية.

FO 882/18

(٢٠٨)

(تقرير)

الملازم جي. أي. جونستون
(معسكر الأسرى في التل الكبير)

٢٩ كانون الأول/ ديسمبر ١٩١٨

استجواب عدد من أسرى الحرب

لجنة اللامركزية العربية

بعد تأسيس حزب الاتحاد والترقي في تركية، تزايد الاستياء بين المواطنين

العرب. إن الإصلاحات التي جاء بها الدستور لم تشمل العرب. فمثلاً ذهب الشبان العرب إلى المدارس والكليات في القسطنطينية، ولاحظوا أن الحكومة التركية كانت تنوي سرّاً إبقاءهم جهلاء وخاضعين. وقد وضعت الحكومة العقبات دون تقدمهم وحرمتهم من التسهيلات الممنوحة مجاناً للرعايا الأتراك للحصول على فوائد التعليم في أوروبا. ولذلك عاد هؤلاء الطلاب العرب إلى سورية والبلاد العربية يغمرهم الشعور بالكراهية نحو الأتراك، وكان لهم في محيطهم نفوذ أشبه بخميرة لفكرة الاستقلال.

وبعد انتهاء حرب البلقان، أتاح ضعف تركية فرصة لتحقيق الأماني العربية، ولذلك ذهبت لجنة تمثل العرب السوريين إلى باريس لبحث موضوع استقلال العرب. هذه اللجنة كانت مؤلفة من:

١ ـ عبد الحميد الزهراوي (حمص) رئيساً.

٢ ـ رشدي بك الشمعة (دمشق).

٣ ـ رفيق بك العظم (دمشق).

٤ ـ حقي بك العظم (دمشق).

٥ ـ عبد الغني العريسي رئيس تحرير (المفيد) البيروتية، وهي أداة دعاية عربية.

٦ ـ شبلي شميّل طبيب وفيلسوف لبناني.

٧ ـ فؤاد حنتس (بيروت) مساعد رئيس تحرير (المفيد).

٨ ـ العقيد أركان الحرب سليم بك الجزائري (تونس) وحوالي ٣٠ شخصاً آخرين.

وفي باريس أرسلوا بياناً إلى الحكومتين الفرنسية والبريطانية بتفاصيل مساوئهم [مساوىء الأتراك] وطالبين مساعدتهم في استقلال العرب مع تأسيس خلافة في مكة، وإمبراطورية عربية مع سلطان في دمشق.

وخلال هذا بلغت أخبار هذه الفعاليات أسماع الحكومة التركية (ويشك الأسير في أن الفرنسيين كانوا مصدراً لها) فأرسلت جمال باشا وآخرين إلى باريس للتحقيق. وقام جمال بمقابلة الزهراوي سرّاً، وناشده في الأمر مستنداً إلى سببين:

١) لأسباب دينية، لأن الأتراك والعرب ينتمون إلى ديانة واحدة، ويجب أن يظلوا متحدين في السياسة لتعزيز مصالح الإسلام.

٢) أن لا يتصل العرب بالأوروبيين، بل يعلموا الحكومة التركية بمطاليبهم بحرية، وأن الحكومة التركية ستستجيب لكل طلب معقول.

وقد نجح جمال ـ بواسطة وعود عظيمة بالإصلاح ـ في إقناع الزهراوي، وعن طريقه إقناع اللجنة كلها، بالعودة إلى الآستانة، وقد جرت المباحثات بينهم، وتم التوصل إلى النتائج الآتية:

١) الاعتراف باللغة العربية لغة رسمية في الدوائر الحكومية والمدارس في الولايات الناطقة باللغة العربية.

٢) تتمتع الولايات الناطقة باللغة العربية بـ «استقلال محلي» ويكون الوالي عربياً في كل حالة.

٣) يعين الزهراوي عضواً في مجلس الوزراء وتسند إلى أتباعه مناصب حكومية مهمة.

وقد تم تنفيذ الشرطين الأول والثالث فعلاً ولكن «الاستقلال المحلي» لم يمنح بأي صورة صحيحة.

وعلى أثر نشوب الحرب هرب عدة أعضاء من لجنة باريس، بمن فيهم رفيق بك العظم وحقي بك العظم وشبلي الشميّل، إلى القاهرة.

وفي نهاية عمليات «غاليبولي» نظراً للاضطرابات العربية التي سادت سورية على نطاق واسع، عُيِّنَ جمال باشا والياً مستقلاً (مفوضاً) في سورية، وقد منح سلطات عليا، عسكرية ومدنية، ولكن العمليات العسكرية كان يديرها فعلاً (فون كريس). وقد قصر جمال اهتمامه في معظم الأحوال على الشؤون المدنية والسياسية.

وفي هذا الوقت كانت فروع «الجمعية العربية اللامركزية» توجد في جميع المدن والقرى السورية تقريباً. وقد أفشى هويات زعماء هذه الجمعيات العربية لجمال باشا، الشيخ أسعد الشقيري من عكا، والأمير شكيب أرسلان، الزعيم الدرزي، وواحد أو اثنان آخران.

وكانت النتيجة أن أعدم جمال حوالي ١٥٠ زعيماً عربياً شنقاً أو رمياً بالرصاص، ونفيت نساؤهم وأطفالهم إلى الأناضول، وصودرت أموالهم.

(معلومات أخذت من الأسير الطالب العسكري حمدي بن عبد الرحمن)

(وهو عربي من طرابلس (سورية))

القيادة العليا (الفرقة الثانية)
١٩١٨/١٢/٢٩
موقع
أي. تي. اجرتن
ملازم
نسخة إلى: المكتب العربي.

FO 371/4144 [1181]

(٢٠٩)
(كتاب)
من السير ريجنالد وينغيت
المندوب السامي في القاهرة
إلى المستر جيمس بلفور
وزير الخارجية

الرقم: ٣٢٨ التاريخ: ١٥ كانون الأول/ ديسمبر ١٩١٨

إشارة إلى برقيتي المرقمة ١٨٨١ بتاريخ ١٤ كانون الأول/ ديسمبر ١٩١٨ أتشرف بأن أقدم نسخاً من تقرير الكرنل ويلسن ورسالة من الملك حسين يشكو فيها من غارة شنها الإخوان على قاعدة تموين الأمير شاكر في دغابجه.

أرسلت نسخ من هذا الكتاب ومرفقاته إلى الهند وبغداد.

وتفضلوا... إلخ.

ريجنالد وينغيت

FO 371/4144 [1181]

(٢١٠)

المرفق ١

(كتاب)

من المعتمد البريطاني في جدة الكرنل ويلسن
إلى المندوب السامي في القاهرة الجنرال وينغيت

الرقم: ٢٠ التاريخ: ٤ كانون الأول/ديسمبر ١٩١٨

الخرمة

سيدي،

أتشرف بأن أرسل طياً ترجمة لكتاب وبرقية من الملك حسين إليّ أشير إليها في برقيتي رقم و/٥٠٣ بتأريخ ٣ كانون الأول/ديسمبر. والكتاب الأصلي يرسل الآن إلى المكتب العربي بهذا البريد.

شعرت أن من المرغوب فيه جداً إخبار سعادتكم بصورة كاملة، حسب الإمكان وبتأريخ مبكّر، ولذلك أبرقت آرائي مطولاً (و/٥٠٤ بتأريخ كانون الأول/ديسمبر) لأن هذه الرسالة لن تصل إلى القاهرة حتى ١٣ كانون الأول/ديسمبر.

يظهر أن الملك حسين في حالة عصبية حقاً من نتائج نشاط الإخوان الحاضر، ومن المحتمل أن يكون هذا هو السبب في مطالبته بالتأييد البريطاني. وتصريحه بأن بريطانية العظمى قد وافقت على تأييده، كما أفهم، ليست حقيقة (ملاحظة من اللفتنانت كرنل كورنواليس مؤرخة في ١٠ أيلول/سبتمبر على كتاب الملك حسين إلى سعادتكم بتأريخ ٢٨ آب/أغسطس ١٩١٨).

يظهر أن هناك طريقتين مفتوحتين فقط:

١) أن ترسل حكومة صاحب الجلالة أوامر شديدة إلى ابن سعود بسحب كل الإخوان من الخرمة وتخبره أنه في حالة رفضه توقف حكومة صاحب الجلالة تجهيزاته وإعانته، وقد تصبح مضطرة إلى قطع العلاقات معه تماماً. وفي الوقت نفسه تخبره بضمان الملك التحريري

(راجع رسالتي رقم ٢٠ بتأريخ ٢٤ تشرين الثاني/نوفمبر إلى سعادتكم) وتنصحه بقبول مبدأ السيادة (رئيس أعلى).

٢) أن يترك الملك حسين وابن سعود يحتربان فيما بينهما على القضية.

هاتان الطريقتان هما في الحقيقة مماثلتان للبدائل المذكورة على الصفحة الثالثة من مذكرتي المقدمة إلى سعادتكم في أول أيار/مايو ١٩١٨. وأعتقد أن الأخذ بالبديل الأول يجب أن يحظى بموافقة حكومة صاحب الجلالة على «سياسة الرئيس الأعلى»، أما قبول البديل الثاني فمن المحتمل أن يؤدي إلى اضطراب عام في جزيرة العرب، ويجعل أية تسوية في المستقبل القريب صعبة جداً.

إذا لم يفرض ضغط قوي وناجح على ابن سعود الآن فإنني أبدي أن الملك حسين لا مناص له من أن ينزل إلى الميدان ضد ابن سعود كل القوات التي يستطيع جمعها، والموقف يتطور إلى حالة وخيمة له بحيث لا يستطيع مواصلة سياسته الدفاعية لمدة أطول. فقد خسر الملك حسين بذلك كثيراً من النفوذ والمكانة، ويرى العرب ذلك نتيجة للخوف والضعف، وكلما استمر عليها لمدة أطول التحق مزيد من العرب بالإخوان، إما بسبب الضرورة أو لأنهم يرون ابن سعود في الجانب الرابح، وكذلك سيزداد الإخوان اقتراباً إلى مكة. ولا بد أن نتذكر دائماً أن قوات الأمير شاكر إذا لقيت هزيمة ساحقة فيحتمل أن يصل الإخوان إلى قرب جوار مكة، ويستولون على الطائف، فإنهم الآن لا يبعدون أكثر من نحو ٩٠ ميلاً من البلدة الأولى.

وجدير بالملاحظة أن الوهابيين المطّلعين، الذين لا يحبون الملك حسين، مثل محمد نصيف وأولاد الفضل (الذين كانوا في السجن في مكة) يقولون إنهم يفضلون حكم الملك حسين كثيراً على حكم ابن سعود ويبدون رأيهم (الذي كما يقولون يشارك الناس عامة فيه) أن سبب التزام الملك حسين جانب الدفاع واتخاذه سياسة ضعيفة في مسألة الخرمة يعود إلى محاولته المخلصة لمنع الاحتراب بين العرب مما يعرض للخطر تحقيق كفاحه للوحدة العربية في المستقبل.

خلال السنتين ونصف الأخيرتين عمدت في رسائلي إلى الملك حسين وفي محادثات عديدة معه «بتبييض صفحة» ابن سعود وحثثت الملك حسين دائماً على التصالح.

أي إثبات حقيقي أعطاه ابن سعود لبيان إخلاصه التام لبريطانية العظمى؟ على العكس ـ كما ذكرت في رسالتي رقم ٢٠ بتأريخ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩١٨ إلى سعادتكم ـ يظهر أنه هدّد بقطع العلاقات معنا في بعض الأحوال.

ولو كان ابن سعود خلال هذه المدة كلها مخلصاً ومستقيماً معنا تماماً فما أصل المعلومات التي أعطيت ضده في أنحاء جزيرة العرب من عدن إلى الشام والتي تم الحصول عليها من مختلف أنواع المصادر المستقلة؟

أعرض أن من المحتمل جداً أن ابن سعود كان يحاول «سرّاً» أن «يركض مع الأرنب ويقنص مع كلاب الصيد». والتفسير الآخر الوحيد (وهو تفسير غير محتمل بتاتاً) هو أن هناك نظام دعاية حسن التنظيم جداً يعمل ضده في أنحاء جزيرة العرب.

إن الخدمات العظيمة التي أدتها ثورة الملك حسين لقضية الحلفاء معلومة، وأبدي أنه قدّم براهين عديدة على إخلاصه الثابت لبريطانية العظمى، ولم أسمع قطّ اتهاماً له بمخادعتنا حتى من أعدائه. واتهامهم الوحيد هو أنه صادق ومخلص لنا أكثر مما ينبغي.

هذان هما الرجلان اللذان ـ كما يبدو لي ـ يجب أن تختار حكومة صاحب الجلالة بينهما وأن تختار سريعاً.

أتشرف أن أكون، سيدي،
خادمكم المطيع
(التوقيع) سي. ويلسن
كرنل

FO 371/4144 [1181]

(٢١١)

المرفق ٢

(كتاب)

من الشريف حسين إلى المعتمد البريطاني في جدة

عدد ٣٣٢ التاريخ: ٢٨ صفر ١٣٣٧
٢ كانون الأول/ ديسمبر ١٩١٨

سعادة المعتمد البريطاني بجدّة الموقّر

عزيزنا

بعد بيان ما يجب بيانه من التوقير بكل أسف أفيد سعادتكم أن التجاوز الذي أشار إليه شاكر بأنه مأمول وقوعه من الإخوان المدينة على أهل دعيجة وقع على مركز ذخايرنا العمومي الذي يبعد عن مكة أربعة مراحل وعن الطائف مرحلتين شمال ولمصادفة سوق مقدار مهم منها لشار لم يوجد بالمركز المذكور إلاً مقدار جزئي لا يتجاوز تقريباً من الثلاثماية والخمسين إلى الأربعماية قطعه تمكنوا من أخذها وأخذ أدوات المحافظين عليها بعد تكبدوا خساير مهمة ورجعوا. وما يقال عن الحالة بأني لو كتبت لابن سعود الكتاب المطلوب لما توسع الأمر وعلى هذا فلا مؤاخذة إن قلت بأنه ليس كتاب أرده عليه أو أمتنع عن تحريره لكن كل يعلم أن حضرته عندما قتل عفاس أحد شيوخ الروقة وبعث بالأربعة الخيل التي أهداها عقبه واضجها أحد كبار رجاله المعروف بصالح العذال ورددتها عليه ولم أقبل الكتب التي معه وذلك على مرأى من عموم العرب ولم يمض شهر ونصف على ذلك حتى عمل الترضية وتاب واستغفر كافي للحكم على الحالتين. وخاصة الحالة التي أشرت إليها في أحد برقياتي الأخيرة ستبتدىء وذكر معاضدة بريطانيا العظمى لنا عند حدوث قيام أو اختلال داخلي في البلاد إما حسداً من بعض الأمراء أو دسيسة من الأعداء في مقرراتنا الأساسية يثبت أن ظهور مثل هذه الحالات مقصور من مبادىء الأمر ولا القصد من ذكر هذه المادة الآن إلاً لإثبات إدراكنا لحالات البلاد واستعداداتها. لذا فإما بريطانيا العظمى تبلغ ابن سعود بأنه إذا لم يفرّق المديّنة

كما توضح في مذكرتي الأخيرة ويمنع عتيبة من مواصلتهم لقرايا نجد بأي صورة كانت في ظرف ٣٥ يوماً فهي تقطع مواصلاتها فعلاً معه أو تقبل انسحابه بصورة قطعية وهذا ما يمكن عمله وضروري إن مدارك سعادتكم السامية ستتلقى هذا بنظر الأهمية والاعتبار وتفضلوا بقبول جزيل توقيراتي واحترامي.

مخلصكم
(موقع) حسين

القسم الثاني

نجــد

١٩١٧ ـ ١٩١٨

FO 141/734/70

(٢١٢)

(برقية)

من السير برسي كوكس
(بواسطة مقر القيادة العام ـ البصرة)
إلى المندوب السامي ـ القاهرة

الرقم: ٢٦٢ T التاريخ: ٣ كانون الثاني/ يناير ١٩١٧

ابن الرشيد.

في الربيع الماضي، حين فاتح ابن الرشيد مخفرنا المتقدم من الجانب الصحراوي، كان معه صهره ووزيره سعود بن صالح السبهان، لكن علاقاتهما أصبحت متوترة، وبسبب ذلك، على ما أفادت التقارير الواردة حينئذ، كان موقف ابن الرشيد المتصلّب إزاءنا والذي استهجنه سعود بشدة. وبعد عودتهما إلى حائل زادت مشاعر الكراهية بينهما مما أدّى إلى ظهور تقارير دورية عن قتل أحدهما للآخر. وقبل بضعة أسابيع وصل رسول من «سعود» إلى ابن طوالة، زعيم تجمّع قبلي ودّي تجاهنا للاستفسار مني هل أنه سيحظى بدعمنا إذا قتل ابن الرشيد ونصَّب نفسه مكانه. أجبت بأن الاغتيال ليس من أساليبنا، وإذا كان مجموع قبائل شمّر ممتعضين من الأمير الفتي الحالي، ولا يوافقون على نزعاته الموالية للأتراك، فإن الأمر متروك لهم للتخلص منه. وانفصل «سعود» الآن نهائياً عن ابن الرشيد، وجاء مشايعاً لابن طوالة ومعه أتباعه الشخصيون، ويضع نفسه تحت تصرّفنا من أجل الغزو أو أغراض أخرى. وهو يدّعي أنه قادر على جمع معظم شمّر تحت رايته. وإننا نتذكّر أن فرع (أسلم) معنا من قبل، وكذلك فإن إسماعيل المشار إليه في برقيتي رقم ٢٣٢ يعبّر عن الرأي القائل بأن «سعوداً» قادر على ضم «العبدة» إليه، وأن ذلك سيترك فرع سنجاره فقط مع ابن الرشيد. وهذه هي حال القبائل.

ومن المعروف للجميع أن الأمير دون العشرين من عمره، وهو شاب متهوّر ومولع بالخصام والقتال، وخاضع تماماً للعدو الذي ينظر إلى أتباعه على أن لهم أهمية قصوى.

إن الوجهات الآتية تطرح نفسها كمقترحات يمكن اتباعها الآن:

١ ـ إذا كانت أسلم بزعامة ابن طوالة والعبدة مستعدتين لدعم سعود وإعلانه أميراً، فعلينا إعطاء الحركة دعمنا المعنوي، على أمل تخلّي شمّر عن الأمير الحالي. وقد نساعد ابن سعود مالياً، ولكن يجب أن نوضح له تماماً أن تحريك قواته لنجدته أمر غير ذي موضوع.

٢ ـ أو، ثانياً، بدون تقديم سعود كأمير يجب علينا السعي لترسيخ تفاهم بينه وبين ابن سعود بهدف شن هجوم على الأمير الحالي.

٣ ـ أو، ثالثاً، بإمكاننا الاستمرار في استخدام سعود على هذا الجانب للسعي إلى إبعاد شمّر عن ابن الرشيد، وذلك لوضع ابن سعود في موقع أفضل يمكنه من مهاجمته من الشرق، وابن شعلان من الغرب. إنني لا أعتقد أن الكثير من النتائج يمكن توخيها من ٢ أو ٣ في ضوء المدافع التركية التي قيل إنها بحوزة ابن الرشيد.

وفيما يتعلق بـ (١)، نحتاج إلى أن نتذكّر أن شمّر مستقلة عن نجد منذ سبعين عاماً فقط، وليس هذا بمعيار لمدى أمل أو طموح ابن سعود في استعادة السيطرة عليها، لكي (يصبح) دعمنا للأمير الجديد مقبولاً لديه.

وفي ذات الوقت، فإن ابن الرشيد وحائل يشكلان الاحتياطي والحصن الحصين الوحيد المتبقي للأتراك في (أواسط) الجزيرة، وسيكون من مصلحتنا ومصلحة الشريف بدرجة عظيمة (التخلّص منه؟).

إني سأقابل ابن سعود وسبهان قريباً، وسأكون ممتناً لسماع مؤشرات على وجهات نظر السلطات العليا لكي أعرف أي خط أتخذه معه.

معنونة إلى الخارجية. مكررة إلى وزير الهند والمندوب السامي.

FO 371/3046

(٢١٣)

(برقية)

من وزارة الهند
إلى نائب الملك في الهند
(مكررة إلى السير برسي كوكس)

التاريخ: ٩ كانون الثاني/يناير ١٩١٧

خارجية. سرّي. برقية كوكس رقم ٢٦٣. إن دعوى ابن سعود في المطالبة بجبل شمّر لا تبدو قوية بدرجة تكفي للحيلولة دون تقديمنا الدعم المعنوي للسبهان لو كان هناك احتمال معقول في إمكانية فصل شمّر عن ابن الرشيد واستخدامنا إياهم لما فيه الفائدة لنا عسكرياً. أقترح أن يتأكد كوكس من قدرة السبهان على تعبئة شمّر، إما لجر قبائل الفرات الواقعة جنوب النجف ودحر عجيمي، إلاّ إذا جاء الأخير إلينا بمحض إرادته، أو بدلاً من ذلك مهاجمة ابن الرشيد وإلحاق الهزيمة به. وبذلك إفساح المجال لابن سعود للتحرّك على المدينة.

FO 371/3044 (35392)

(٢١٤)

(مذكرة)

من السير برسي كوكس
الضابط السياسي الأقدم ـ البصرة
إلى المكتب العربي ـ القاهرة

الرقم: ٢ التاريخ: ١٢ كانون الثاني/يناير ١٩١٧

العلاقات مع ابن سعود

عبد العزيز بن سعود، حاكم نجد الحالي، يمكن أن يقال عنه إن بداية حكمه

كانت في ١٩٠١، حين أعلن والده عبدالرحمن تعيينه حاكماً للرياض. وكانت عائلة سعود في ذلك الوقت في المنفى، بعد أن طردها من المناطق الخاضعة لسلطتها عدوها الوراثي، ابن الرشيد، في ١٨٩١. في عام ١٩٠٢ استعاد عبدالعزيز الرياض، بمساعدة من مبارك بن الصباح، شيخ الكويت، في غزوة جريئة قادها بنفسه. وبحلول العام ١٩٠٦ أعاد سلطان آل سعود القديم، وبلغ بمعاركه أبواب حائل. وخلال السنوات التي أعقبت عودته إلى الرياض، عمل بتحالف وثيق مع شيخ الكويت الذي كانت لديه كل الرغبة في الحدّ من نفوذ ابن الرشيد. وسبب ذلك هو أن آل الرشيد كانوا حلفاء، وبقبول طفيف لمعنى المصطلح، أتباعاً للإمبراطورية العثمانية، يموّلون ويدعمون من القسطنطينية، وكانوا يمثلون في الجزيرة العربية السياسة التركية في المركزية، تلك السياسة التي كان الشيخ يقاومها سرّاً في بلاده. إن موقعه الجغرافي على سواحل الخليج الفارسي جمعته بعلائق مع الحكومة البريطانية، وكان لنا معه منذ عام ١٨٩٩ تفاهم ودي، وكنا قد وعدنا بدعمه ضد الاعتداء العثماني. لكن وجود هذه الصلة جعلنا غير راغبين في رؤيته ينجرف إلى نزاعات مرتبكة وغير معروفة النتائج في داخل الجزيرة، وعملاً بالمبدأ المعلن في عام ١٨٩٧ والقائل بأننا «لن نحاول التدخل أكثر من القدر الضروري للحفاظ على السلام العام في الخليج الفارسي»، فلم نشجعه على توريط نفسه في قضايا وسط الجزيرة العربية. إن ابن سعود، على الرغم من أهميته المتنامية، كان خارج نطاق مصالحنا، وحدد موقعه على هذا الأساس، ولم يكن حتى عام ١٩١١ حين بدأت تقاريرنا الرسمية تشير إليه باهتمام خاص. وفي ذلك العام التقى به في الصحراء الكابتن شكسبير، الوكيل السياسي في الكويت أثناء جولة كان يقوم بها ونزل بضيافته في مخيمه. وأعرب ابن سعود له عن رغبته في علاقة معترف بها مع بريطانية العظمى، وأشار إلى زيارة الكولونيل بيلي إلى الرياض في عام ١٨٦٥، وإلى مبادرات والده عبدالرحمن إلينا في عام ١٩٠٤ عند تعيين أول وكيل سياسي بريطاني في الكويت. وتحدَّث بلهجة قوية عن الكراهية التي يكنّها العرب للأتراك، وعن امتعاضه الشخصي من احتلالهم للأحساء، وهي منطقة كان متلهفاً لاستعادتها بشكل خاص، لا لأنها تشكّل جزءاً من مناطق نفوذ أسلافه فقط، بل لأنها ستعطيه أيضاً منفذاً إلى البحر وسيطرة على القبائل من الرياض إلى الساحل. ونظر بتخوف شديد إلى السياسة العدوانية للنظام الجديد في تركية وكان سيرحب، في حالة استعادة الأحساء، بتعيين وكيل سياسي بريطاني في أحد الموانىء التابعة له، وأضاف كذلك أن تجارتنا ستستفيد من ازدياد الأمن الذي

سيقوم هو بالمحافظة عليه في الطرق التي تستخدمها القوافل. ولم يكن بمقدور الكابتن شكسبير الرد على ما أدلى به سوى القول بأن الحكومة البريطانية تقتصر حدود مصالحها على الساحل فقط، وأنها لم تعترض أبداً على ادعاءات تركية المتعلقة بترتيب الأوضاع في وسط الجزيرة، والتي لسنا معنيين بها، وأن لنا بالإضافة إلى ذلك علاقات ودية مع تركية ويجب أن نكون بعيدين عن أي شيء ذي طبيعة تآمرية ضد الحكومة العثمانية. ولكن في معرض تعليقه على التقرير الخاص بهذه المقابلة، أشار السير برسي كوكس أنه لما كان الباب العالي يبدو ميّالاً إلى التصلُّب في تنسيق الأمور المتعلقة بالمصالح البريطانية في الخليج، فلن يكون في وسعنا أن نتجاهل موقف ابن سعود. إن سلطته الشخصية قد ازدادت إلى حد بعيد، وسيكون من المفيد إقامة علاقات ودية معه، ولو عن بعد. ومع ذلك، فإن وزارة الخارجية قرَّرت أنه سيكون من المستحيل في ذلك الوقت أن نحيد عن سياستنا في عدم التدخل بصورة قاطعة.

وبعد سنتين، وبدون المساعدة التي حاول الحصول عليها منا، زعم أنه قد نسب إليه في أرجاء الجزيرة العربية أنه حصل عليها، اكتسح ابن سعود الأحساء وطرد بسهولة الحاميات التركية الصغيرة، ورسَّخ مركزه على السواحل في القطيف والعقير. إن الكابتن شكسبير عند عودته إلى إنكلترة في حزيران/يونيو ١٩١٤ من رحلة طويلة مخطط لها في الجزيرة زار خلالها الرياض، كان شاهد عيان لسيطرة ابن سعود الشخصية القوية، والتي أوجدتها شخصيته القيادية النشيطة، وكان واضحاً أيضاً من تقارير أخرى أنه يعتبر الرجل المقبل على الشهرة حتى في ما وراء حدوده. وقد برهن على أنه أكثر من صنو كفوء لمحاولات الأتراك العاجزة لاستعادة الأحساء. وقد لجأوا إلى الدبلوماسية ودخلوا في مفاوضات معه بواسطة السيد طالب من البصرة. وفي أوائل شهر أيار/مايو صاغ طلعت بك في حوار شخصي في السفارة البريطانية توقعات الحكومة العثمانية، بكيفية بدت لسامعيه وكأنها تتفق كثيراً مع الظروف الحقيقية. وقد اقترح إنشاء حدود موسعة بشكل دقيق بين ابن سعود وابن الرشيد، ووضع مبعوثين عن السلطان في الرياض وحائل، والاعتماد على مكر هؤلاء الموظفين بدون الاعتماد على القوة للسيطرة على أعمال الأميرين. أما بالنسبة للأحساء، فإن ابن سعود سيعيَّنُ متصرِّفاً للواء، ولكن جمع المكوس سيبقى بيد الأتراك وسيتم استبدال الحاميات التركية في الموانىء.

ولم يكن هناك ما كان مؤكداً أكثر من أن ظهور ابن سعود في الساحل لا بد أن

يؤدي في آخر المطاف إلى دخوله في اتصال مباشر معنا سواء رحبنا بذلك أو حاولنا تحاشيه، وأن هذا القلق عزَّز وربما عجل في تحرك الباب العالي. ولكن المخاوف التركية في تلك اللحظة لم تكن مستندة إلى أساس. فقد كان اهتمامنا منصباً كله على إنهاء مفاوضات طال أمدها في القسطنطينية، تمسّ المصالح في العراق والخليج التي كانت لها أهمية حيوية، وكنا أقل ميلاً من السابق، لو كان ذلك ممكناً، نحو المغامرة العربية. وقد قدمنا عرضاً ودياً للتوسط جوبه بالرفض، ولما قابل الأمير في نيسان/أبريل ١٩١٤ الوكيل البريطاني، كرنل غري، خارج الكويت، أفهم الأمير بأننا قد توصلنا في الآونة الأخيرة إلى اتفاقية شاملة مع تركية ولم يبدر منا ما يوحي بالأمل في تقديم المساعدة له.

وجعل هذا ابن سعود يعود إلى الاعتماد على موارده الخاصة، ولم تكن هذه الموارد قليلة، والمعاهدة السرية التي وقعت بينه وبين والي البصرة في أيار/مايو كانت أقل من توقعات طلعت بك. وقد قبل ابن سعود لقب الوالي والقائد العسكري في نجد والذي عرض عليه وعلى سلالته طالما أنهم استمروا في ولائهم ورفعوا العلم التركي. ولكنه كان سيتولى الإشراف على الضرائب الكمركية، نيابة عن الحكومة العثمانية، ويفرض ضرائبه الخاصة به، ويوفر الحاميات للطائف والعقير.

وكان العجز في ميزانية نجد سيسدّ من الرسوم الكمركية ولن يدفع إلى القسطنطينية شيء من أي دخل محلي إلى الوقت الذي يكون فيه هناك مبلغ فائض. وهو احتمال مشكوك في حدوثه. ولكن في الوقت الذي يمارس فيه سلطته في المناطق التابعة له، وهي سلطة حاكم مستقل في كل شيء عدا الاسم، فإن مراسلاته مع الدول الأجنبية كانت ستجري عن طريق الباب العالي فقط، وفي حالة وقوع الحرب كان عليه أن يساعد السلطان.

إن ما كان سيشكل فحوى معاهدة عبرت بشكل ناقص عن قناعات الطرفين المتعاقدين، أمر لا يكاد يقبل الشك. فالسمة الهادية لطبيعة ابن سعود هي ما يجب أن يسمى عنصرية أكثر منها وطنية، ولم يكن من المحتمل أن يثير هذا الشعور تعاطف زعماء الاتحاد والترقي الذين كانوا مصممين تصميماً أعمى على «عثمنة» العرب. وبصفته وهابياً ملتزماً نظر والي نجد الجديد باشمئزاز إلى المبادىء الدينية الرخوة للأتراك، ولم يكن ليعترف بادعاءاتهم بشأن تمثيل الإسلام وإدارة شؤونه. وكان في أحاديث أجراها مع الكابتن شكسبير قد تكلم عن هذه النقطة بعنف غير

متوقع قائلاً، إن الكافر بنظره قد يفضل على التركي، لأن الأخير خالف الشريعة التي اعترف بأنه سيتبعها، في حين أن الأول عمل بموجب قانونه هو، وقد اعترف للشخص بأنه لم يوافق على شروط الاتفاقية إلاّ بعد التأكيد له بصورة شخصية أنه لن يطالب حتى بإجراءات السيادة الصغيرة التي منحت لتركية. إن معاهدة الكويت وضعت في محك الاختبار عند نشوب الحرب الأوروبية، وظهر أنها ناقصة.

إن الموقف المقلق الذي اتخذته تركية عند نشوب الحرب بين ألمانية ودول الوفاق أدّى إلى تعديل عميق في سياستنا تجاه الباب العالي، وأصبح من الضروري أن نعرف ما لدينا في الجزيرة العربية. وفي بداية تشرين الأول/أكتوبر صدر الأمر إلى الكابتن شكسبير، الذي كان في إنكلترة، بالعودة إلى الخليج (الفارسي) والاتصال بابن سعود، ليحول إن أمكن دون حدوث اضطرابات في المناطق الداخلية من الجزيرة، وفي حالة وقوع الحرب مع تركية أن يضمن عدم تقديم أية مساعدة من تلك المنطقة. وقبل وصوله كانت الحرب قد أعلنت، فبعثت إلى ابن سعود رسالة تخبره بزيارة الكابتن شكسبير المرتقبة، وتعترف بمكانته في نجد والأحساء، وتضمن سلامته ضد الأعمال الانتقامية من البحر أو البر إذا هو تعهد بوضع اسمه في لائحة أعداء تركية. والأتراك من جانبهم لم يضيعوا وقتاً في الاتصال بأمراء وسط الجزيرة العربية. وقد أظهرت خطتهم التي تضمنت دعم ابن الرشيد للحملة ضد مصر، في الوقت الذي يعارض فيه ابن سعود الزحف البريطاني في العراق - أنهم كانوا غير مدركين للمشاعر السائدة بين العرب تجاههم، بقدر جهلهم بظروف الصحراء، حيث لا تسمح شبكة العداوات القبلية، لأحد بسحب قواته إلى حملة بعيدة بدون الخوف من تعرّض ممتلكاته المتروكة بدون حماية إلى الهجوم. ويبدو أن ابن سعود بقصد كسب الوقت، استغل عداوته القديمة لابن الرشيد، وشنَّ عليه هجوماً سافراً. وقد حاول أنور باشا عبثاً أن يثنيه عن نزاعاته الخاصة، وأرسل إليه هدية نقدية لتغطية كلفة تعاونه مع جيوش السلطان، وأخيراً عهد إلى السيد طالب بمهمة تحقيق مصالحه، وفي هذه المرحلة كان السيد طالب مشغولاً عن طريق وساطة الشيخ خزعل وقنصل جلالته في المحمرة، بعقد صفقة مع الحكومة البريطانية تقضي انضمامه إلينا في حالة الحرب مع تركية، ولكن الشروط التي قدمها كانت مبالغاً فيها بحيث كان قبولها مستحيلاً، وكان لا يزال متردداً بشأن نصيحة الشيخ خزعل إليه بتخفيفها، بعد أن تركه إعلان الحرب في عزلة.

ثم حدث أن وجد في انتدابه المقترح إلى نجد وسيلة أرسلتها العناية الإلهية للهرب من البصرة، حيث أصبح مركزه الآن محفوفاً بالمخاطر إلى حد كبير. وقد غادر على عجل قاصداً معسكر ابن سعود عن طريق الزبير. وفي هذه الأثناء التمس الزعيم الوهابي عذراً في رده على إلحاح الأتراك بأنه لا يستطيع الاستغناء عن أية قوات لإرسالها إلى العراق قبل إخضاع ابن الرشيد. وأجاب عن رسالة بريطانية أن رغبته القديمة في إقامة علاقات وثيقة معنا لم تتزعزع. ولكنه لم يكن متردداً بصورة غير طبيعية للمساهمة معنا بصورة مكشوفة حتى يتأكد من أن تغييرنا لموقفنا تجاهه سيكون دائمياً، وعلى الرغم من ثقته الشخصية بالكابتن شكسبير، فإنه لم يوافق على زيارته إلاّ بشيء من الارتياب. وقد تمت المقابلة في ٣١ كانون الأول/ ديسمبر في «الخفسة» في المجمّع في السدير. وقد تحدث ابن سعود بصراحة عظيمة، وقبل أن يتخلّ عن موقفه مع الأتراك كلياً طلب تجسيد تعهداتنا بالمساعدة في معاهدة رسمية كانت مسودتها قد وضعت مسبقاً. وقد تضمنت تعهداً من جانبنا له بالاستقلال الكامل، وتعهداً من جانب ابن سعود بأن لا تكون له اتصالات بدول أخرى إلاّ بعد الرجوع إلى الحكومة البريطانية. وقد أخبر الكابتن شكسبير أنه كان على اتصال بالشريف (حسين) ومع رؤساء عنزة الشمالية، وأنهم اتفقوا على الوقوف صفاً واحداً. وكان يحتجز وفداً مؤلفاً من أربعة مندوبين أرسلهم الأتراك لحثه على الانضمام إلى ابن الرشيد، وحركة الجهاد ضدنا، ولكن بعد التشاور مع الكابتن شكسبير أطلق سراح الوفد التركي مع جواب مآله أن قوات ابن الرشيد تعسكر على مسيرة يومين من ابن سعود، وأنه لا مجال للصلح بينهما. وفي كانون الأول/ ديسمبر وصل رسول من مكة حاملاً رسالة من عبدالله نجل الشريف، الذي كتب أن الشريف قد دُعي إلى إعلان الجهاد، وأنه يماطل حتى يسمع ماذا يقترح ابن سعود القيام به. وقد أجاب ابن سعود أنه لا يرى فائدة تعود على العرب في الانضمام إلى الحكومة العثمانية، وأنه نفسه قد صرف وفداً تركياً وأرجعه صفر اليدين.

وبناء على التقارير التي أرسلها الكابتن شكسبير من معسكر ابن سعود، فإن السير برسي كوكس كان مخوّلاً بالمضي في المفاوضات لأجل المعاهدة، ولكن القتال نشب في كانون الثاني/ يناير بين ابن سعود وابن الرشيد، ولقي الكابتن شكسبير الذي كان غير مسلّح، وحضر كشاهد فقط، حتفه. إن رواية ابن سعود لهذه الكارثة أنه سقط قتيلاً برصاصة بندقية من شمّر، ولكن هذا التصريح على أي حال

يستند فقط على معلومات غير مباشرة، إذ لا نزاع في أن الكابتن شكسبير كان قد اتخذ موقعاً في جانب آخر من ميدان القتال حيث كان مضيفه موجوداً. ومنذ ذلك الوقت رويت عمّا حدث روايات متنوعة ومختلف بعضها عن بعض، ولم تكن إحداها أكبر قيمة من الأخرى، ولكن يستخلص من القرائن أنه جرح أولاً في ساقه ففقد قدرته على الحركة، ثم قتل على أثر ذلك بيد فرسان ابن الرشيد الذين سيطروا على الجناح الذي كان موجوداً فيه. وفي حالة الهياج التي أعقبت ذلك، حيث حاول كل شخص أن ينجو بنفسه، يخشى أن يكون قد تُرك أو نُسي، ولكن التفاصيل الدقيقة لموته السابق لأوانه ربما لن تعرف على وجه التأكيد. وقد أعرب ابن سعود عن أسفه العميق لفقد هذا الشخص الذي كان يعتبره أخاً، ويذكره دائماً بالاحترام والمحبة.

إن العملية لم تكن حاسمة؛ وقد ادّعى كلا الطرفين أنه كان المنتصر، وأصيب كلاهما بالعجز، وأجبرا على الانسحاب. وكانت النتيجة غير متوقعة، وباعثة على الإرباك نوعاً ما، لأن استعدادات ابن سعود كانت قد اتخذت على نطاق استثنائي، وقيل إن قواته كانت تفوق قوات ابن الرشيد في عددها، وإن كان فرسانه أقل عدداً. وإن روايات العرب تعزو اندحاره إلى خيانة العجمان. إن شجاعة ابن سعود الشخصية لا جدال فيها، إلاّ أنه ـ وهذا أمر لا يخرج عن المألوف ـ ضعيف في الناحية التاكتيكية، وقد وصفه مبارك (شيخ الكويت) بأنه ليس قائداً قديراً في المعركة. ولكنه إذا لم يسدد إلى ابن الرشيد ضربة قاصمة، فإنه على الأقل جعله غير قادر على العمل، وحال دون انضمامه إلى الأتراك وذلك ما كان ينوي أن يفعله بلا شك. إن تدخل ابن الرشيد في المرحلة المبكرة من حملة العراق ربما كان سيزيد في صعوباتنا. ومع ذلك فإن موت الكابتن شكسبير كان ثمناً باهظاً يدفع لقاء شل حركته.

وبقي الزعيمان بعيدين عن بعضهما دون مزيد من الاقتتال حتى الصيف، حين عقدت بينهما اتفاقية مؤرّخة في ١٠ حزيران/يونيو. واعترف ابن الرشيد بادعاءات ابن سعود، باستثناء السيادة العليا التي كان من المستبعد أن يعترف بها، وتعهد بعدم القيام بلعبة خيانية نحو الحكومة التركية، بل الانحياز إلى أية حكومة تكون حليفة لابن سعود. وقد قصر سلطته على حائل وقراها وعلى عشائر شمّر.

في حين أن ابن سعود حصل على اعتراف نجد كلها من الكهف إلى الدواسر. ولا شك أن المقصود بالكهف هو (الكهفة) في خريطة «هنتر»، وهي تقع قرب

خط العرض ٢٧ إلى الشمال. ولا يمكن في بلاد قبلية ضبط الحدود بدقة كبيرة، ولكن من الواضح أن ابن الرشيد تخلّى عن جميع ادعاءاته بالقصيم. وهي منطقة انتقلت ملكية واحاتها الغنية من يد إلى يد مراراً كثيرة. ومن المثير للانتباه ملاحظة أن العشائر التي تعد من رعايا ابن سعود هي المطير، وعتيبة، وحرب، وبنو عبدالله وعجمان، وآل مرّة، والمناصير، وبنو صخر، وسبيع، وساحول، وقحطان والدواسر، ولكن هذه القائمة يجب أن لا تعتبر دقيقة لأن المطير يكونون معظم الوقت في أراضي الكويت، كما أن القسم الأعظم من عتيبة وحرب يقعان تحت سيطرة الشريف.

بعد موت الكابتن شكسبير أرسل ابن سعود طلباً فورياً لاعتماد ضابط آخر لديه، وبخلاف ذلك أن تستمر المفاوضات بواسطة وكيله في البصرة عبداللطيف المنديل. ولم يتوفر ضابط مناسب، ولكن ابن سعود نصح بأن يوقع اتفاقية مبدئية على الأسس الواردة في مسودة الكابتن شكسبير وترك جميع التفاصيل لتتم تسويتها فيما بعد. وقد وقع المسودة الجديدة التي أرسلت إليه وأعادها، ولكن مع تعديلات مهمة وجد من الأفضل تأجيل أية مباحثات أخرى بشأنها إلى حين ترتيب لقاء مع الضابط السياسي الأقدم. ولذلك فقد تأجل إبرام المعاهدة نظراً لانشغال ابن سعود كلياً بالشؤون الداخلية، وكان موقفه في بلده خلال هذه الحقبة غير مأمون. وقد عانت سمعته بين العشائر بسبب العمليات الفاشلة ضد ابن الرشيد التي مني خلالها بخسائر كبيرة في المواد والمعدات، وخلال الجزء الأعظم من سنة ١٩١٥ كان مشغولاً بانتفاضة خطيرة في الأحساء من جانب العجمان. وكان هو شخصياً يعتقد أن التمرد كان بتحريض من الأتراك وابن الرشيد، ولكن من المشكوك فيه أن يكون رأيه صحيحاً. وكان مبارك شيخ الكويت مقتنعاً بأنه ليس هنالك دليل يثبت صحة ذلك. ولكن مبارك، خلال السنوات القلائل الأخيرة من حكمه لم يكن ناقداً متساهلاً إزاء الصعوبات التي يواجهها ابن سعود.

إن الرأي الذي كان يحمله حتى الآن هو أن المشاكل مع العجمان قد بدأت فيما يظهر مع احتلال الأمير الأحساء في سنة ١٩١٣، وحتى ذلك الوقت كانت القبيلة على علاقات طيبة، وكانت بصورة عامة تعترف بسيادته، ولكن امتداد سلطته إلى الأحساء، التي هي مقرهم، قد أثقل كاهل ولائهم. وقد حاول أن يفرض عليهم ضريبة رؤوس، وأن يمنعهم من استيفاء رسوم من القوافل التجارية المارة عبر البلاد، وهي رسوم اعتادوا فرضها منذ أيام الأتراك. إن استياء «العجمان» قد

هيَّجه أفراد من عائلة ابن سعود الذين كانوا معادين له منذ مدة طويلة، العرايف، وهم أحفاد عمه سعود. إن اثنين من أبناء عمومة عريف، فهد بن سعود وسلمان بن محمد، كانا قد التجآ إلى شيخ البحرين. وقام الشيخ بمحاولة غير متحمسة لتحقيق مصالحة في سنة ١٩١٤، ولكن العرايف رفضوا وساطته وطلبوا حماية شيخ أبو ظبي الذي تلقوا منه بعض التشجيع عندما تجدَّد القتال مع ابن سعود في سنة ١٩١٥. ولما اتخذ التمرد أبعاداً خطيرة أرسل ابن سعود بطلب مزيد من القوات من الرياض كما طلب مساعدة الكويت، ولكن قبل وصول أية تعزيزات من هذين المصدرين أغار على العجمان ليلاً قرب الهفوف وواجه نكسة، وكانت تعود جزئياً إلى جبن مجندي الهفوف الحضريين. وقد قتل أخوه سعد كما أنه جرح، وكانت أموره لفترة ما سيئة جداً، وكان بحاجة إلى المال والسلاح، وكان في جميع الاعتبارات العملية محاصراً في الهفوف. وانتهز ابن الرشيد الذي كان يجهل أمر الاتفاقية الموقع عليها حديثاً، الفرصة للإغارة على القصيم ولكن تقدمه أوقف بسهولة، وإن وصول قوة من الكويت بقيادة ابن الشيخ، حوَّلت الميزان في الأحساء. وقد تم اقتلاع العجمان في أيلول/ سبتمبر وخلال انسحابهم إلى الشمال تعرَّضوا للمضايقة بواسطة هجمات متكرّرة شنَّها عليهم بنو خالد واضطرتهم إلى اللجوء إلى الأراضي الكويتية، حيث ظلوا إلى وفاة مبارك في كانون الأول/ ديسمبر. وقتل فهد بن سعود أثناء الانسحاب، وعقد سلمان صلحاً مع ابن سعود في نهاية السنة. وكنا خلال الصراع قد سهَّلنا إرسال العتاد إلى ابن سعود من البحرين، وعملنا ما في وسعنا لكبح جماح «أبو ظبي». وفي تشرين الأول/ أكتوبر قدمنا لابن سعود ألف بندقية وأعطيناه قرضاً مقداره ٢٠,٠٠٠ جنيه. ولم يكن الأتراك قد يئسوا كلياً من كسبه إلى جانبهم. وفي تموز/يوليو، وقبل غارة ابن الرشيد، اتصل به مبعوث تركي هو صالح الشريف الحسني واقترح عقد لقاء، ولكن طلبه قوبل بالرفض، وفي ٢٦ كانون الأول/ ديسمبر قابل ابن سعود السير برسي كوكس في القطيف وأكملت المعاهدة التي طال تأخرها وتم التوقيع عليها. وقد زودت المعاهدة ابن سعود، مع تحفظات معينة، ضماناً ديناميكياً لسلالته في الأماكن التي هي في حوزته الآن، ووعدته بدعم الحكومة البريطانية في حالة وقوع اعتداء بدون استفزاز من جانب دول أجنبية، ومن جانبه تعهد ابن سعود بعدم الدخول في مراسلات مع أية دولة أجنبية وعدم منح امتيازات للأجانب وإبقاء الطرق إلى الأماكن المقدَّسة مفتوحة، وعدم القيام بأي عمل عدواني على الشيوخ الآخرين الذين هم تحت حمايتنا.

إن ابن سعود لم يكن على علم بأمر المراسلات السرّية للغاية التي كنا نجريها مع الشريف خلال شتاء سنة ١٩١٥ ـ ١٩١٦، ولكن النتائج التي أدَّت إليها لم تكن لتتركه عديم الاهتمام بها. فالعلاقات بين الحجاز ونجد كانت تمليها المشاعر المتضاربة. وكانت لدى الشريف أسباب أكثر من ابن سعود للخوف من الأتراك. ولكنه كان يشعر بالحسد من مكانة ابن سعود كزعيم عربي، وكان هذا الشعور يقابل بالمثل في الرياض.

إن تقلب الولاءات بين القبائل مصدر شرّ للخلافات في الجزيرة العربية، وإن عدم وجود أية حدود معيَّنة يعزِّز الشكوك في الادعاءات والالتزامات. في سنة ١٩١٠ قام الشريف عبدالله، الذي صرَّح بأنه يعمل نيابة عن الحكومة العثمانية، بغارة على حدود القصيم لغرض إعادة السلطة التي ربما كانت قد أصبحت من آثار الماضي، والتي لا بد وإن كانت في أحسن الأحوال مشكوكاً فيها. النتائج الملموسة التي حققها الهجوم فيما يبدو لم تكن أكثر من إعادة الإلحاح على سيادة الشريف على أفخاذ بعيدة من عتيبة، وهي قبيلة كانت يوماً ما خاضعة لابن سعود، ولكن معظمها انضمّ إلى الشريف. وقد فرض عبدالله قبل انسحابه إتاوة صغيرة تدفع لمكة من قرى القصيم، ولكن ليس من المحتمل أن تكون قد دفعت قط. ومنذ سنة ١٩١٣ أظهر الشريف نزعات قوية مناهضة للأتراك، وقبل نشوب الحرب تقارب مع ابن سعود، وكانت المراسلات بينهما جارية حينما قام الكابتن شكسبير بزيارته الأولى إلى الرياض في ربيع سنة ١٩١٤. وفي كانون الثاني/يناير ١٩١٥ كانا يعملان بانسجام، وأفضى ابن سعود إلى الكابتن شكسبير برأيه في أن الخلافة ستعود إلى عائلة الرسول، التي كان الشريف يمثلها، فيما إذا خرجت من يد سلطان تركية. وفي تشرين الثاني/نوفمبر ١٩١٥ ظهر عبدالله في نجد مرة أخرى، ولكن هدفه من وراء ذلك لم يكن واضحاً. إن تفسيره الشخصي كان أنه أرسل بمهمة إلى ابن سعود، مع غرض آخر هو جمع الضرائب في القصيم وسدير. وعدا عن سياسة مشكوك فيها على الأقسام المتنقلة من عتيبة، لا يبدو أن للشريف في تقدير البدو حقوقاً في أي من المنطقتين. إذ إن حدوده شرقاً تقع في مكان ما بين خطي الطول ٤٤° و٤٥° في شعرا والدوادمي وجبل ضريع وجبل النير. وتفيد التقارير أن عبدالله لم يتقدم أبعد من شعرا كثيراً، وقد جمع الضرائب من عتيبة، وأخضع الأقسام الصغيرة المتحالفة من بريح (وأصلهم من المطير) وعاد إلى الحجاز؛ ولكن ابن سعود الذي لم يكد يخرج من منازلة محفوفة بالمخاطر في

الأحساء، اعتبر الحملة في غير محلها، بل مشبوهة، ولم يكن ذلك غير معقول (وقد انعكست هذه المشاعر في أحاديثه مع السير برسي كوكس في كانون الأول/ ديسمبر. فقد ذكر الضابط السياسي الأقدم بأن الوهابيين لا يعترفون بخليفة بعد [الخلفاء] الأربعة الأوائل، واهتم بأن يضيف أنه فيما إذا تبنى الشريف هذا اللقب فإن ذلك لن يغير شيئاً من وضعه بين الحكام الآخرين). في حزيران/ يونيو من السنة التالية قام الشريف بثورة مكشوفة ضد الأتراك وأعلن استقلال العرب. وابن سعود الذي كتب إلى الضابط السياسي في تموز/ يوليو اعترف بأنه تسلم منه الأخبار الرسمية المتعلقة بالحجاز، معرباً عن ارتياحه لمتاعب الأتراك، ولكنه طرح مخاوفه هو بأن يمضي الشريف فيدعي بالسلطة على أقسام نجد. وتأييداً لهذا الخوف لاحظ أن الشريف، في إعلانه استقلال «العرب»، كان يظهر وكأنه يعاملهم كمجموعة مجملة، وهو موقف نظر إليه [ابن سعود] بعين القلق.

وفي آب/ أغسطس كتب مرة أخرى، قائلاً إنه تسلَّم الآن كتاباً من الشريف يعلن فيه الأخير احتلال مكة ويطلب مساعدته، وأعطى ابن سعود خلاصة جوابه كما تم تسلمه نسخة من الكتاب بعد ذلك. وأكد ابن سعود للشريف أنه سيقدم له كل ما في وسعه من المساعدة، ولكنه طلب تعهداً خطياً بأن الشريف سيمتنع عن التجاوز على أراضيه أو التدخل في شؤون رعاياه. ومضى ابن سعود يسأل السير برسي كوكس فيما إذا كانت علاقاته مع الشريف أمراً يخص الحاكمَين وحدهما، أم أنها تمس مصالحنا، وفي تلك الحالة فإنه سيسترشد برغباتنا. واستناداً إلى تقارير عربية تم تسلمها في الكويت كتب الشريف إلى ابن سعود ثلاث مرات، يطلب المساعدة، وأنه في مناسبتين اثنتين أرسل إليه ٢٠٠٠ جنيه. وليس من المستبعد صحة ما أشيع من دفع مبالغ صغيرة.

وكان أقل ما يمكن أن يقال في جواب الشريف المؤرَّخ في ١٥ أيلول/ سبتمبر عن كتاب ابن سعود، أنه لا يدل على رغبة في التوفيق وأثار استياءه الكبير. إن كتابه بالتعهد الخطي الذي أرسل معه لاستحصال موافقة الشريف عليه، أعيد مع ملاحظة تقول إن طلب ابن سعود لا يمكن أن يصدر إلاَّ عن رجل معتوه. وفي الوقت نفسه تقريباً تسلم ابن سعود كتاباً من علي حيدر يخبره فيه بتعيين الحكومة العثمانية إياه شريفاً بدلاً من الشريف [حسين]، ويدعوه إلى الاشتراك في الجهاد، ولكن ابن سعود أعرب في رده عن الكراهية التي يشعر بها العرب تجاهه وتجاه الأتراك.

تناول الضابط السياسي الأقدم قضية الحجاز بالتفصيل في رسالة إلى ابن سعود مؤرَّخة في ١٩ تشرين الأول/ أكتوبر. وقد أشار إلى مدى الأهمية التي يحتلّها بالنسبة للقضية العربية ـ التي تهدف سياسة الحكومة البريطانية إلى دعمها ـ أن يعمل جميع الزعماء العرب الكبار سوية وبالتعاون معنا في مهمتنا المشتركة في طرد الأتراك من جزيرة العرب. أما فيما يتعلق بمركز ابن سعود الشخصي، فلا داعي لأن تساوره أية مخاوف، بعد أن اعترفنا به حاكماً مستقلاً وعلى الشريف أن يعترف بكل ما تقضي به المعاهدة، وليس لدى الحكومة البريطانية سبب للاعتقاد بأن الشريف يبيت أية نوايا عدوانية ضد قبائل نجد وأراضيها.

في المفاوضات التي أجريت في كانون الأول/ ديسمبر ١٩١٥ بشأن المعاهدة، بحث السير برسي كوكس مع ابن سعود إمكانية تقديمه لنا مساعدة ضد ابن الرشيد. وعندئذ كان يُظن أن ابن الرشيد إما أن يلتحق بنا، أو يحافظ على حياد صارم، ومع ذلك، إذا أظهر عداوة فعالة، فإن ابن سعود سيهاجمه ويثير قبائل عنزة الشمالية ضده. ومع ذلك فإنه لم ينفذ هذه النية، وخلال ربيع سنة ١٩١٦ وصيفها كان مشغولاً بتمرّد آل مرّة، الذي أعقب، وربما كان ذا صلة، بتمرد العجمان الذي عرض مواصلاته مع الأحساء إلى الخطر. وعلى الرغم من أن نسبة كبيرة من مقاتلي شمّر كانوا قد ذهبوا شمالاً مع ابن الرشيد ضد العراق، فلم يشن هجوم مؤثّر على حائل خلال غيابهم. وفي أواخر حزيران/ يونيو أو أوائل تموز/ يوليو أغار نجل ابن سعود، تركي، على جبل شمّر، وربما عجلت هذه الأخبار في انسحاب ابن الرشيد من مناطق حدودنا. وفي أيلول/ سبتمبر أو تشرين الأول/ أكتوبر جدَّد تركي العمليات القتالية ضد بعض شيوخ شمّر وقطاع متحالف مع بني حرب، ولكن العملية أسفرت فقط عن الاستيلاء على كمية صغيرة من الغنائم، وإن طبيب ابن سعود أثناء مروره بالبحرين حمل رسالة مؤداها أن الأمير لا يستطيع أن يقوم بشيء ضد شمّر طالما بقي اللاجئون «العجمان» في جناحه. إن السبب الحقيقي لعدم فعاليته كان بلا شك عدم شعوره بالأمن الداخلي، لكن عداءه الشديد تجاه العجمان الذين لا يعدهم متمردين فقط، بل قتلة أخيه سعد، كان يهدد بأن يصبح مشكلة على جانب من الصعوبة.

لما توفي الشيخ مبارك في كانون الأول/ ديسمبر ١٩١٥ ضغط ابن سعود على ابنه وخليفته في الكويت، جابر، أن يطرد «شيوخ العجمان»، وكان رد جابر فاتراً. فهو لم يكن راغباً في طرد العجمان خشية أن يؤدي ذلك إلى إلقائهم في

معسكر الأعداء، ولكنه لم يكن قادراً أيضاً على الاستمرار في مقاومته لإلحاح ابن سعود بدون إحداث أي صراع بينهما، فطرد القبيلة في شباط/فبراير ١٩١٦، وحدث ما توقعه، فالتجأوا إلى عجيمي طالبين حمايته أولاً، ثم حماية ابن الرشيد بعد ذلك. ولكنهم في أيار/مايو طلبوا إلى شيخ الزبير الإذن وحصلوا عليه، للاستقرار بهدوء قرب صفوان، وأعقب ذلك محاولات من عدد من كبار شيوخهم للتقرب إلينا. ولما عاد ابن الرشيد إلى (حائل) لم يبق مع عجيمي سوى اثنين من شيوخ العجمان، ولم يكن لهما سوى قلّة من الأتباع، وربما لا أحد. إن رغبة ابن سعود الملحة في توجيه نشاطه إلى إبادة هذه القبيلة لم تكن مما تتعاطف معه مطلقاً، وفي هذه المرحلة على أي حال.

إن الشيخ جابر، الذي كان حديث عهد بمنصبه، لم يكن ليأمل أن يمارس على ابن سعود نفس النفوذ الذي كان لوالده، ذلك الدبلوماسي المتمرس، ذي الوزن الثقيل؛ إضافة إلى ذلك، فإن العلاقات بين الرياض والكويت كانت تزداد برودة منذ بضع سنوات سبقت وفاة مبارك. وقد شعر ابن سعود باستياء مرير تجاه موقف مبارك خلال المفاوضات بينه وبين الحكومة العثمانية في ربيع سنة ١٩١٤. واستناداً إلى رواية ابن سعود فإن الشيخ كان قد نصحه في البداية بقبول العروض التركية، ولكنه حينما وصل إلى الكويت في نيسان/أبريل أخذ مبارك يضرب على وتر آخر، بدون إعطاء تفسير، ونصح ابن سعود بعدم قبول تسوية مع الأتراك رافضاً في الوقت نفسه أن يكون حاضراً في اجتماعاته مع الوفود. وقد بلغ من استياء الأمير أنه اشترط على الكابتن شكسبير حالاً أن لا يستشار مبارك في المفاوضات معنا. إن اللجوء الذي منح للعجمان كان سبباً آخر للشكوى، وفي سنة ١٩١٦ شكا ابن سعود من عبء رسوم الترانزيت التي كانت تجبى من الكويت منذ أقدم الأزمنة.

وفي الوقت الذي أظهر فيه قلق ابن سعود تجاه طموحات الشريف، وزيادة تباعده في الكويت، أن الزعماء المتحالفين معنا لم يكونوا قد توصلوا إلى تفاهم مرض فيما بينهم، كانت هنالك مؤشرات بأن الأتراك كانوا لا يزالون نشيطين في الجزيرة العربية. وقد جاءت الأنباء من ابن سعود، ومن مصادر أخرى، عن إرسال وكيل هو (محمد) توفيق بن فرعون الدمشقي لغرض شراء أباعر للحكومة العثمانية، وكان اختيار هذا المبعوث جيداً لأنه كان صديقاً شخصياً لابن سعود، وقد سبق له أن زار نجداً بالمهمة نفسها في السنة السابقة. ولكن الأمير في هذه المرة تعرض لضغط من جانبنا لمنعه من الحصول على الأباعر. وعلى ذلك فقد

اعتقل ابن فرعون، وصادر ٧٠٠ جمل كانت قد اشتريت في الداخل، وأرسلها إلى الكويت، وقد أشارت تقارير مختلفة، جاء بعضها من ابن سعود، أن محاولة أخرى تعد لتحريض ابن الرشيد علينا. إن الرشيد بن ليلى، ممثل ابن الرشيد في القسطنطينية، التحق به في حائل، مع عدد من الضباط الألمان والأتراك، وجماعة صغيرة من الجنود الأتراك وبعض المدافع؛ وقد اختلفت الروايات حول تشكيلة البعثة بالضبط، ولكن وجودها بشكل من الأشكال في حائل كان مؤكداً. وكتب ابن سعود في أيلول/سبتمبر قائلاً إنه سيكون سعيداً للقاء الضابط السياسي الأقدم شخصياً لبحث مسألة التعاون مع الشريف، أو اتخاذ إجراء هجومي ضد ابن الرشيد، وفي تشرين الأول/أكتوبر كرر طلبه بشكل عاجل، وكانت الاعتبارات جميعاً تدل على أن الاستجابة له كانت مستحسنة. وقد قابله السير برسي كوكس في العقير في ١١ تشرين الثاني/نوفمبر. شرح ابن سعود له موقفه بالتفصيل، وكان قد تكبَّد في قتاله مع ابن الرشيد في كانون الثاني/يناير سنة ١٩١٥ خسائر لا يستهان بها في الرجال والأموال، وكان منذ ذلك الوقت في ساحة القتال بلا انقطاع تقريباً، أولاً ضد العجمان، ثم ضد آل مرّة، وإن معظم تجارة نجد الاعتيادية كانت مع سورية، وقد اعتادت القبائل على بيع جمالها لتجار دمشق، كما أن الحصار الصارم الذي فرضه ابن سعود؛ والاستيلاء على جمال ابن فرعون شاهد على حقيقته ـ زاد في إثارة النقمة؛ فقد تذمر النجديون، وقلقت القبائل، وتساءل الجميع ما هي الفائدة التي يعود بها عليهم موقف رئيسهم، وأصبحت السيطرة عليهم تزداد صعوبة. أما فيما يتعلق بالشريف فإن السير برسي كوكس كان قادراً على إعطاء ابن سعود تطمينات كاملة، فإن معاهدتنا مع الأمير كانت قد أبلغت إلى مكة، وحينما أبدى لنا الشريف نيته في إعلان نفسه ملكاً للعرب في ٥ تشرين الثاني/نوفمبر، ألححنا على إقرار رسمي منه بأنه لا يدعي أية سلطة على الحكام المستقلين. إن أخبار التتويج في مكة لم تكن قد وصلت إلى قلب الجزيرة العربية بعد، ولم تبحث. وخلال الحديث مع الضابط السياسي الأقدم في البصرة أبدى ابن سعود ملاحظة عابرة حول تسمية الشريف نفسه «سلطاناً»، غير أنه أصبح مطمئن البال كلياً حين علم أننا نحمي حقوقه وأن الشريف قد نفى بصورة باتة أن لديه أية مطامع في استقلال ابن سعود أو من كان في مثل وضعه.

وبعد أن أعرب ابن سعود للضابط السياسي الأقدم، أثناء لقائهما في العقير، عن رغبته في القيام بزيارة قصيرة للشيخ جابر في الكويت قبل عودته إلى بلاده،

شجعه السير برسي كوكس على مشروع الزيارة بصورة ودية باعتبارها مناسبة جداً، واقترح السير برسي كوكس أن يتم تقليد وسام «فارس الإمبراطورية الهندية» (K.C.I.E.)[1] في «مجلس» يعقد في الكويت حيث سيقلد الشيخ وسام نجمة الهند (C.S.I.)[2]. وحين أسر السير برسي كوكس لابن سعود بأنه سيمنح هذا الشرف، فإنه كان مخولاً بإبلاغه في الوقت نفسه بأن حقوقه قد حفظت بعناية في جميع اتصالات الحكومة البريطانية خلال تعاملها مع الشريف، وقال ابن سعود في معرض رده إنه مرتاح كلياً من هذه الناحية.

انعقد المجلس في ٥ تشرين الثاني/نوفمبر، وجاء شيخ المحمرة إلى الكويت لحضور المناسبة، وكان العديد من البدو حاضرين، بمن فيهم الشيوخ الأصدقاء لشمّر أسلم، والظفير، وشيوخ المطير. وألمح الضابط السياسي الأقدم أثناء تقليده الأوسمة، إلى ارتياحنا لأن نشعر بأن زعماء العرب الكبار عاقدون العزم معنا من أجل هدف مشترك، وأعقبه شيخ المحمرة بعبارات مؤيدة لبريطانية بحرارة، وضرب ابن سعود على الوتر الحساس للقاء في كلمة كانت تلقائية بقدر ما هي غير متوقعة. قال إن الأتراك قد جعلوا أنفسهم خارج حظيرة الإسلام بالمظالم التي ارتكبوها بحق المسلمين الآخرين، وقارن سياستهم مع سياسة بريطانية التي تناقضها قائلاً إن الأتراك سعوا إلى إضعاف العرب بتأجيج خلافاتهم، في حين أن الحكومة البريطانية شجعتهم على الاتحاد من أجل مصلحتهم. وقد امتدح عملية الشريف، وحث على التزام العرب الحقيقيين جميعاً التعاضد معه لخدمة القضية العربية. وعندما أنهى خطابه بخاتمة بليغة، أقسم الشيوخ الثلاثة، أي شيوخ الكويت والمحمرة وابن سعود، معاً على العمل معنا لتحقيق غاية مشتركة.

وقد ترك هذا المشهد انطباعاً عميقاً لدى الحاضرين من وجهاء المنطقة وشيوخ البدو، الذين لا شك في أنهم سينشرون النبأ بين القاصي والداني. وخلال حفل الاستقبال في الكويت، أظهر ابن سعود في جميع ما أبداه، مدى إدراكه بوضوح المبدأ الذي يوجه علاقاتنا مع الجزيرة. وقد استشهد، كمثال على سياستنا الخيرة تجاه القضية العربية، بأننا كنا مستعدين لتشجيع المصالحة بينه وبين ابن الرشيد فيما إذا تخلّ الأخير عن موقفه العدائي. وقد أضفى وصول أباعر ابن فرعون السبعمائة

---

(١) Knight Commander (of the Order) of the Indian Empire.

(٢) Companion (of the Order) of the Star of India.

البديعة، وكل منها يحمل وسم ذلك التاجر المعروف، خاتمة دراماتيكية بلغت باجتماع الكويت ذروته من الكمال.

ومن الكويت ذهب ابن سعود إلى المحمرة ضيفاً على الشيخ خزعل الذي تعاون من الأعماق في السعي لجعل زيارة ابن سعود مفيدة له. ووصل الزعيمان إلى البصرة مساء يوم ٢٦ تشرين الثاني/نوفمبر، وفي الصباح الباكر من اليوم التالي، صعد الضابط السياسي الأقدم، يصحبه ممثلان عسكريان كبيران لقائد الجيش المرابط في البصرة، إلى سفينة الشيخ، وقدما لابن سعود سيف الشرف، ورسالة الترحيب من قائد الجيش. وقضى اليوم في اطلاع ابن سعود على معسكرات القاعدة وتنظيمها وعلى أحدث المكائن الحربية بما فيها الطائرة التي أظهر اهتماماً كبيراً بها. وكان ضاري بن طوالة، ومحمود السويط من شيوخ شمر اسلام والظفير حاضرين، في حين أن شيخ الزبير، إبراهيم، وعدة وجهاء من السنة في البصرة، واللاجئين من بغداد، قابلوا ابن سعود على متن السفينة.

إن حفلة الكويت الرسمية، وزيارة ابن سعود إلى البصرة، قد وضعتنا في مركز فريد من القوة، إذ صرح ثلاثة من الزعماء الأقوياء علناً بصداقتهم بعضهم نحو بعض، وبثقتهم بالحكومة البريطانية. وقد وصلت برقية من الشريف يهنئهم فيها على حماستهم للقضية العربية، ويعرب عن أسفه لعدم تمكنه من إرسال ممثل عنه إلى الكويت بسبب ضيق الوقت، ويؤكد وحدة أهدافه مع أهدافهم. وفي رسالة تالية اعتذر لأي تقصير في رسائله السابقة بسبب أنه بينما كان في غمرة انفعال الحرب، ربما قصر عن غير قصد، في مراسلاته. إن حلم الوحدة العربية الذي راود خيال أحرار دمشق خلال السنة التي سبقت الحرب، بات أقرب إلى التحقيق مما يتسنى للأحلام، ولكن دور العبقري الذي يتولى الرئاسة، قد أعيدت إناطته، وبدلاً من السيد طالب الألمعي، الذي لا رادع له، ويدور حول محور لهيب طموحاته الشخصية، فقد اتحد زعماء الجزيرة العربية شرقيها وغربيها، بمبادرة من الحكومة البريطانية.

إن لقاء الكويت، إضافة إلى توثيقه التقارب بين القادة العرب، فقد تمخض عن نتائج فورية معينة. تم، أولاً، الاتفاق على مدى وطبيعة نصيب ابن سعود في الصراعات التي تحدث في المستقبل مع ابن الرشيد، فيما إذا وقعت. وقد تعهد بإبقاء ٤٠٠٠ رجل تحت السلاح، وإذا تحرك ابن الرشيد بقواته باتجاه العراق، فإنه سيتحرك في خط مواز له نحو الزبير وينضم إلى القبائل الصديقة وإلى كتيبة من

الكويت. وقد أخبر الشيوخ الأصدقاء أنه سيسندهم إذا هدد ابن الرشيد بمهاجمتهم بقواته. ولكن إذا بقي ابن الرشيد في حائل، فإن ابن سعود ـ مع ذلك ـ سيضايقه ويهاجمه عندما تسنح الفرصة، متخذاً القصيم قاعدة له. ونظراً للأعباء التي تحمَّلتها موارده خلال العامين الماضيين، فقد منح ٣٠٠٠ بندقية مع العتاد، إضافة إلى ٤ مدافع رشاشة، كما منح دعماً مالياً قدره ٥٠٠٠ جنيه إسترليني شهرياً لتغطية النفقات التي سيتحملها لأجل إدامة رجاله في الميدان. وارتُئي أن تعاون ابن سعود الفعلي مع الشريف لم يكن عملياً، ولكن ابن سعود كان على استعداد لإرسال أحد أنجاله مع نحو أربعين رجلاً، كعلامة تدل على حسن نيته، إذا وصله طلب خاص من الشريف بذلك.

وفي المقام الثاني، كتب ابن سعود رسالته، باسم الزعماء الثلاثة، إلى عجيمي بن السعدون يحثه فيها على إدراك مدى الضرر الذي يلحقه موقفه الحالي بالقضية العربية، ويوجه إليه الدعوة للدخول في اتصالات معهم، ويعده برعاية ودية، وبإتاحة الفرصة له للاستسلام بشرف.

وأخيراً، وبتعاون الشيخ جابر، شيخ الكويت، والمهارة الدبلوماسية لشيخ المحمرة، الذي قدم طوال الوقت أجلّ الخدمات للضابط السياسي الأقدم، فقد تم التوصل إلى حل مرض للمشكلة الدقيقة الناجمة عن وجود العجمان بين القبائل الصديقة، وقد تم الاتفاق على هدنة بين ابن السعود والعجمان خلال فترة الحرب، ووضعت مسودة التعليمات للدفاع عن وضع الشيوخ اللاجئين بالنسبة لجميع القبائل التي هي تحت حمايتنا. وقد استدعى السير برسي كوكس، عند عودته إلى البصرة، شيوخ العجمان وكانوا منزعجين انزعاجاً عميقاً لمجيء ابن سعود، لظنهم بأن ذلك كان نذير شرّ لهم، ولكن رئيس القبيلة وبعض شيوخها قابلوا السير برسي كوكس في الزبير، ووافقوا على العروض المقدمة، وتلقوا لقاء ذلك وعداً بتخصيص معونة مالية شهرية أسوة بتلك التي يتسلمها غيرهم من الشيوخ الموالين في الشامية. وقد نفوا بوضوح وجود أية شكوك لديهم من أن بقية شيوخ العجمان، وبضمنهم اثنان لا يزالان مع عجيمي، سينضمون إليهم فور سماعهم بالنهاية السعيدة.

وقد كتبت رسائل إلى فهد بك بن هذال، تخبره عن اجتماع الكويت، وتدعوه إلى الانضمام إلى عصبة الشيوخ العرب في طرد الأتراك. وقد أرسلت هذه الرسائل بواسطة رجل من مضارب فهد بك كان موجوداً في البصرة أثناء زيارة ابن سعود

لها، وذهب لمقابلته في المحمرة، حيث تلقى فيها النصائح والتعليمات الكاملة من الشيخ خزعل. وقد عهد إليه أيضاً بحمل رسائل من الشريف كانت تنتظر الفرصة لإرسالها إلى فهد بك، حاجم المهيد، وعلي السليمان من الدليم وآخرين، مع هدايا مالية لتوجيه قرار فهد بك وتشجيع الموقف الودي لشيخ الدهامشة جزاع بن مجلاد. وهنالك اتصالات أخرى بسبيل أن تتخذ مع عطية أبو كلل من النجف، ومحمد علي كمونة في كربلاء.

FO 371/3044

(٢١٥)

(برقية)

من السير برسي كوكس ـ البصرة
إلى المكتب العربي في القاهرة
(مكررة إلى سكرتير وزير الخارجية)

الرقم: ٧٦٦ التاريخ: ١ شباط/فبراير ١٩١٧

وردت عدد من الرسائل إليَّ وإلى شيخ المحمرة من ابن سعود تحمل تواريخ من ٢٤ كانون الأول/ديسمبر إلى ١٠ كانون الثاني/يناير وبضمنها نص برقية عربية إلى الشريف، كما ذكرت في برقيتي ت/ ١٨٥ بتأريخ ٢٨ كانون الأول/ديسمبر.

يؤكد ابن سعود الأخبار التي وردت سابقاً بأنه أصيب بالمرض في طريقه من القطيف، لكنه يقول إنه أرسل ابنه وأخاه إلى القصيم وسوف يتبعهما بعد يوم أو يومين حالما يستطيع السفر. لم يسمع حين كتب بموافقة الحكومة على قبول مطالبه.

تتضمن رسائله النقاط التالية الجديرة بالاهتمام:

(١) يرسل أصل رسالة معنونة إلى أبيه (كذا) من قبل الشريف الأكبر في ١٥ تشرين الثاني/نوفمبر وهي موقعة «ملك البلاد العربية». ولدى طلبه مني ملاحظة التوقيع، يقول إنه يرسل الرسالة لمجرَّد إثبات صحة شكه الذي أعرب عنه. وفيما عدا ذلك هو يعتمد على الله وعلى

التأكيدات المعطاة له مني بالنيابة عن الحكومة.

(٢) يقول ما يلي: المدعو السيد محمد عبدالله الأفق، من أهل اليمن، الذي كان في الآستانة عند نشوب الحرب ثم حاول أن يمضي إلى اليمن قد اعتقل في المدينة. وبعد أن بقي هناك مدة طويلة يظهر أنه استطاع أن يحمل الشريف علي حيدر على السماح له بمغادرة البلد على شرط أن يسلم بعض الرسائل إلى حائل. وقد وافق السيد محمد، ولكن عند مغادرته المدينة تجنّب حائل ووصل إلى القصيم حيث اعتقله وكيل ابن سعود في انتظار تلقي الأوامر من سيّده. أرسل إليّ ابن سعود الرسائل الثلاث الأصلية المعنونة إلى حائل والتي كان السيد يحملها وكذلك رسالة من السيد إليه. وكانت الرسائل الأولية معنونة بالتعاقب إلى ابن الرشيد وابن ليلى والمدعو سيّد زيد بك، وهو على ما يظهر وكيل للشريف حيدر لدى ابن الرشيد. والرسالتان الأوليان تضمنتا مجرّد طلب مساعدة المعنون إليهما للسيد في سفره. والرسالة الثالثة، التي هي مهمة بلا ريب، أمرت المرسل إليه أنه إذا وجد من المحتمل أن ابن الرشيد يؤخر لمدة أطول التحرّك نحو المدينة فعليه أن يأتي بدونه ولكن دون إغضاب ابن الرشيد. ورسالة السيد إلى ابن سعود تشرح ظروف مغادرته للمدينة. ثم يكتب أن الأتراك يشعرون الآن بأهمية ابن سعود ويأسفون كثيراً لمعاداته، وهم ينسبون تمرّد الشريف إلى تلك الحقيقة ويجدون ابن الرشيد قصبة مكسورة ولا فائدة منه لهم. وهم على استعداد الآن «لإعطاء ابن سعود نصف ما يملكون» لاستعادته إلى جانبهم. وليس له إلاّ أن يقول ما يريده فيحصل عليه فوراً. ولكن الكاتب يذكّر ابن سعود كيف أن الأتراك خدعوا العرب بصورة عامة ويشير إلى ابن سعود أنه لن يكون (مستثنى؟). وفي الختام يكرر رغبته في الاجتماع به شخصياً لأن لديه أموراً يريد أن يشرحها.

ويظهر من ذلك أن السيد أرسل بمهمة إلى ابن سعود. وإذا كان الأمر كذلك فقد تكون له صلة ببعثة قيل إنها أوفدت من المدينة لغرض الاحتجاج لدى ابن سعود على الاستيلاء على إباعر ابن فرعون. لكن ليس في الرسائل أية إشارة خاصة إلى هذه النقطة.

FO 371/3054

(٢١٦)

(برقية)

من السير برسي كوكس
إلى وزارة الهند

الرقم: ١٨٣٧ التاريخ: ٢٤ أيار/مايو سنة ١٩١٧

ما يلي من السير مارك سايكس مؤرخ في ٢٢ أيار/مايو.

«زرت جدة لغرض تقديم المفوض الفرنسي إلى ملك الحجاز وتزويده بالنقاط الرئيسية للسياسة البريطانية ـ الفرنسية فيما يتعلق بالمنطقة العربية. كان اللقاء مرضياً بدرجة لا بأس بها. زوّدني فيصل بعد اللقاء بالرسالة الخاصة التالية منه:

«إننا مستعدون للتعاون مع الفرنسيين في سورية إلى أقصى حد ومع بريطانية العظمى في العراق، ولكننا نطلب أن تساعدنا بريطانية مع ابن سعود والإدريسي، دون أي مساس باستقلالهما أو حقوقهما أو حريتهما، إننا نلتمس من بريطانية أن تحاول إقناعهما للاعتراف بصفة (والدي) كزعيم للحركة العربية».

«سيوضح ستورز وجود حزب وحدة عربية في مكة مع ميول مبالغ فيها حول ملكية الشريف، ولكنه هو وابنه في الواقع معتدلان جداً في آرائهما، إذا استطاع ابن سعود أن يبلغ الملك بطريقة ما، إنه يعتبره زعيماً اسمياً للقضية العربية دون أي إلزام لنفسه أو للوضع المحلي أعتقد أن ذلك سيعود بنتائج جيدة جداً.

من المحتمل أن تسفر زيارة ستورز إلى الجنوب فرصة طيبة.

«يرجى تكرار هذه البرقية إلى مصر إذ ليست لدينا شفرة يمكنني إبلاغهم بها».

FO 371/3054

(٢١٧)

(برقية)

من وزير الخارجية

إلى السير برسي كوكس

(مع نسخة إلى مدير الاستخبارات العسكرية)

الرقم: التاريخ: ٣١ أيار/مايو ١٩١٧

سرّي. برقيتكم يوم ١٨٣٧ المؤرّخة في ٢٤ أيار/مايو التي تبلغ رسالة من سايكس. ما هي آراؤكم فيما يتعلق بالاتصال بابن سعود حسب اقتراح سايكس؟ إن من المرغوب فيه تعزيز موقف الملك إزاء كل من أنصاره المتطرفين والفرنسيين.

FO 371/3054

(٢١٨)

(برقية)

من السير برسي كوكس

إلى وزارة الهند

(مكررة إلى البصرة)

الرقم: ١٩٧ التاريخ ٢ حزيران/يونيو ١٩١٧

برقيتكم المؤرخة في ٢١ أيار/مايو.

لدى الكتابة إلى ابن سعود ـ بواسطة ستورز ـ لا أشعر أننا نستطيع أن نقدم أي

اقتراح محدد لابن سعود يفيد أنه يجب أن يقدم للشريف نوعاً من الاعتراف القاطع بوضع الشريف، لأن ذلك سيجعله يشك في إخلاصي فيما أبديه، وربما يحمله على الذهاب في الاتجاه المعاكس. ولكنني طلبت إليه أن يرسل أحد أقربائه مع ستورز إلى الشريف بصفة ضابط ارتباط. وقد قررنا أن أي شيء آخر في الاتجاه الذي يرغب فيه كوكس يجب أن يترك لمهارة ستورز ودبلوماسيته خلال مناقشته مع ابن سعود.

FO 371/3057

(٢١٩)
(كتاب)
من الأمير عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود
حاكم نجد وملحقاتها
إلى السير برسي كوكس
الضابط السياسي الأقدم في العراق

التاريخ ١٢ شعبان ١٣٣٥
٣ حزيران/ يونيو ١٩١٧

بعد التحيات

أود أن أبدي أنني ذكرت في رسالتي الأخيرة أخبار ابن الرشيد بالقدر الضروري، وقلت إنني سأحيطكم علماً بنتيجة الاتصالات بيني وبينه.

كما تعلمون سعادتكم أنه بعث إليّ برسول مع كتاب يعرب فيه أنه ينوي السلم. أجبته أنه يستطيع أن يصبح صديقاً لنا بشرط أن يظهر الصداقة نحو صديقتنا الحكومة البريطانية وحلفائها من رؤساء العرب، كالشريف، وأن لا يقوم بأي شيء لا ترضى عنه الحكومة البريطانية أو ضدها. وسترون الشروط التي فرضت عليه في رسالتي المرفقة نسخة منها. وعندما سلمت الرسالة إلى ابن الرشيد

من قبل رسولي فإنه أعقبها بجواب كتبه إلينا رافضاً فيه هذه الشروط، كما ترون من رسالته (المرفق أصلها).

إنني لم أستهدف الصلح معه لأي غرض شخصي بل من أجل مصالح الحكومة البريطانية والشريف فقط. إننا نرغب في وحدة العرب، وإلاّ فإن علاقاتي مع ابن الرشيد ليست خافية على سعادتكم. وسيثبت لصديقتي الحكومة البريطانية، والحمد لله، أنني قمت بالواجب المترتب عليّ بشأن حقوق العرب، وأننا لا نهدف إلى مصالحنا بل نحمي مصالح صديقتنا وسعادة أصدقائها أمثال الشريف.

إن ابن الرشيد ولله الحمد ضعيف جداً، ولكن الحكومة التركية أجبرته على معارضة العرب وأغرته بإعطائه كمية كبيرة من السلاح ومقداراً لا يحصى من الأموال، ولا شك أنه سيرسل كتابي الذي يحتوي على هذه الشروط إلى الحكومة التركية اللئيمة بقصد إظهار ولائه وكسب امتنانها بما يرويه من أكاذيب. ومن المؤكد أن الشخص المذكور غير قادر على مساعدة الأتراك مطلقاً بسبب ضعفه وضغطي عليه، وإن هدفه في رفض الشروط كان الحصول على المكاسب، أبادهم الله جميعاً.

إن من المهم جداً اتخاذ الإجراءات الفعالة لقطع سير قوافل ابن الرشيد مع العراق والأماكن التابعة للحكومة البريطانية. وعلينا أن نلجأ إلى الوسائل الضرورية لوقف ذلك. إن الخطوة الدارجة في الوقت الحاضر لم تؤدّ إلى النتائج المرغوبة، كما يبدو من الأسباب التي سبق ذكرها لكم بأن ابن الرشيد وأعرابه من شمّر كانوا طيلة هذه المدة يحصلون على احتياجاتهم من هذه الأماكن بدون أية صعوبة.

وفي منتصف رجب (٧ أيار/مايو ١٩١٧) غادرت الكويت وضواحيها قافلتان وذهبت قافلة إلى عين السيد وضواحيه، ولا أعلم هل وصلت الجهة التي تقصدها أم لا. إن القافلة التي اتجهت إلى الكويت مرّت من لينة بالتأكيد، كما أن الأخرى التي قصدت عين السيِّد مرَّت من الحاصول سالمة. إن الرفيق الذي صحب القافلة كان ينتمي إلى عشيرة ابن هذال. فإذا رأيتم إهمال الأمر، فرأيكم هو الأفضل، ولكن إذا كان رأيكم عكس ذلك، وإذا سألتم عن رأيي، فقد ذكرت في رسالتي السابقة أن وضع العراق لا يمكن تصحيحه إلاّ باتخاذ إجراءات قوية وبالتحفظ ضد الأعداء. فإذا قررتم طرد ابن الرشيد وعشائره ومعاقبتهم مراعين مصالح كلا الطرفين، فذلك هو رأيي، ورأيكم هو الأعلى طبعاً.

واسمحوا لي أن أبدي أنني سبق أن رجوت سعادتكم أن ترسلوا لنا مدرّباً، يُرينا كيفية استعمال المكائن التي نخشى أن نطلبها ولكن لا نعرف كيفية استعمالها.

وقد أخبرت سعادتكم أيضاً عن العتاد الخاص بالمدافع، فقد نفد كل ما كان عندي في معركتي مع العجمان ولم يبق معنا شيء الآن. وقد أملتمونا بإرسال المدافع التي صودرت من الأتراك، ولا بد أن الحكومة لديها المدافع الرشاشة التي قد نحتاج إليها، وإنني أطلب إلى سعادتكم إما أن ترسلوا لي المدافع المذكورة أو العتاد الذي يصلح للمدافع الموجودة لدينا حالياً، إذ نخشى أننا سنضطر إلى استعمالها قريباً، ورأيكم هو الأفضل.

أرجو مواصلة رعايتكم لهذا الصديق المخلص والتفضل بتزويدي بالأخبار الطيبة عن الموفقيات التي حققتها الحكومة البريطانية وحلفاؤها في ميادين الحرب. هذا ما لزم بيانه لسعادتكم ودمتم.

عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل السعود
(مترجم عن الترجمة الإنكليزية بتاريخ ١٧/٦/١٩١٧).

FO 371/3057

(٢٢٠)
(برقية)
من السير برسي كوكس
الضابط السياسي الأقدم ـ بغداد
إلى المكتب العربي ـ القاهرة

(مكررة إلى وزارة الخارجية ووزارة الهند ونائب الملك في الهند)

الرقم ٢٠٩٣ التاريخ ١٢ حزيران/يونيو ١٩١٧

ما يلي من نائبي في البصرة، بتاريخ ١١ الجاري:

«وصل كتاب من ابن سعود مرفق به نسخ من مراسلات مع ابن الرشيد، فحواها ما يأتي:

«ابن الرشيد كتب إلى ابن سعود يعرض عليه السلم. أجاب ابن سعود بأن السلم معه يجب أن يتضمن التحالف مع بريطانية وملك الحجاز. ابن الرشيد رفض هذه الشروط».

يضيف ابن سعود أن القوافل تصل إلى ابن الرشيد من الكويت والعراق، ويطلب تعليمات من أجل رشاشات وعتاد».

FO 371/3054

(٢٢١)
(كتاب)
من وزارة الهند
إلى وزارة الخارجية

الرقم P. 2330 التاريخ ١٥ حزيران/ يونيو ١٩١٧

سيدي،

لاحقاً لكتابي المؤرخ في ١٢ حزيران/ يونيو ١٩١٧ والمرقم P. 2152 حول علاقات ابن سعود والسيد الإدريسي مع ملك الحجاز، أوعز إليّ وزير الهند أن أشير إلى برقية السير برسي كوكس المرقمة ١٩٧٠ بتاريخ ٢ الجاري حول الموضوع، وأن أبدي أنه على قدر تعلق الأمر بابن سعود لا يمكن اتخاذ أي إجراء مفيد آخر في هذه المرحلة.

إن التأخير في تزويد وزارتكم بنسخ من برقية السير برسي كوكس يعود إلى الشكل المشوّه الذي وصلت به البرقية أولاً، مما استوجب اتصالاً برقياً بالبصرة

حتى أصبح معناها واضحاً.

وأتشرف. . . إلخ.

جي. اي. شكبره

FO 371/3054 (W. 117999)

(٢٢٢)
(كتاب)
من وزارة الخارجية
إلى وزارة الهند

الرقم: التاريخ: ١٨ حزيران/يونيو ١٩١٧

جواباً عن كتابكم المرقم p. 2152 والمؤرخ في ١٢ الجاري. حول الاعتراف بوضع الملك حسين ملك الحجاز من قبل ابن سعود والسيد الإدريسي، أوعز إليّ الوزير المستر بلفور أن أبدي أنه يتفق مع اقتراح الوزير المستر تشمبرلين باستشارة المقيم في عدن في الأمر بموجب الاقتراح الوارد في الفقرة الأخيرة من جوابكم.

وتفضلوا. . . إلخ
التوقيع ر. غراهام

FO 371/3062

(٢٢٣)
(برقية)
من السير برسي كوكس ـ المقيم السياسي في الخليج (بغداد)
إلى وزير الهند (لندن)

الرقم: ٤٠٤٥ التاريخ: ٣٠ أيلول/سبتمبر ١٩١٧

(معنونة إلى وزير الهند ـ مكررة إلى سكرتير حكومة الهند ـ سيملا والمندوب

السامي ـ القاهرة).

أرجو مراجعة برقيتي المرقمة ٤٠٣٥.

تسلمنا البرقية التالية بعد ذلك التاريخ من المعتمد السياسي في البحرين:

تبدأ. وصلتني رسالة شفوية لإبلاغها إليكم من ابن سعود بواسطة أخيه، الذي هو وكيله هنا، وقد عاد لتوّه إلى الرياض.

يبدي ابن سعود أنه يواجه صعوبات، إذ إن عليه أن يقدم هدايا كبيرة إلى البدو وغيرهم ممن يزورونه، كما أنه مضطر لأن يدفع إلى رجاله ٥ أو ٦ ليرات شهرياً (القوة التركية وحدها تكلفه ١٠,٠٠٠ شهرياً).

إن دفع الشريف مبالغ أكبر يؤدي إلى انفضاض رجاله عنه. الشريف الآن يجمع من «حرب» و«عتيبة» الضرائب التي كان ابن سعود يجبيها سابقاً. إن السبب الوحيد لعدم اتخاذه إجراءات مقابلة هو صداقته معنا. إن الشريف في قلبه لا يضمر صداقة نحوه. إنه حريص جداً على زيارة الضابط الخاص الذي وعدتم بإرساله. انتهى.

FO 371/3057

(٢٢٤)

(برقية)

من السير برسي كوكس ـ بغداد
إلى حكومة الهند

(مكررة إلى وزارة الهند والمندوب السامي في القاهرة)

الرقم: ٥٠٦٤ التاريخ: ١٢ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩١٧

برقيتي المؤرخة في ٢١ تشرين الأول/أكتوبر رقم ٤٤٨٨ ـ تسلمنا الرسالة التالية من الكرنل هاملتن عن طريق الكويت:

«وصلت إلى بريدة في ٣٠ تشرين الأول/أكتوبر، واستُقبلت بحفاوة عظيمة من

قبل تركي ابن سعود والأمير وأهل المدينة. تركي أرسله الأمير إلى هنا لمراقبة ابن الرشيد ومقاومة دسائسه في القصيم، ومراقبة العشائر المسافرة، والحيلولة دون غزو العشائر التي ترسل إمدادات لمساعدة الشريف. وقد أوعز إليه أن يحاول بالطرق الدبلوماسية إغراء شمّر للانفصال عن ابن الرشيد. يقال إن ابن الرشيد موجود في المدينة مع فخري باشا، وإن ابن ليلى في دمشق مع جمال باشا. وكلاهما يحاولان استدرار المال والسلاح من الأتراك.

«تركي بن سعود يقول إنه ليس من الممكن الاستيلاء على حائل بهجوم مباغت، وإن كان ابن الرشيد ضعيفاً، وذلك لأن الأتراك حصنوا إحدى ضواحي حائل ووضعوا فيها حامية قوية، وأن التغلب عليها يستغرق وقتاً طويلاً، ويتطلب وسائل فرض الحصار. أما فيما يتعلق بتموين حائل والمدينة، فإن تركي يقول إن إجراءات صارمة تتخذ لمنع التسرب من القصيم، والآن يؤخذ معظم الأشياء مباشرة من العراق والكويت من قبل أسلم... (٣ جمل تعذّر حلها) وهذّال. إنه يرغب في أن الرسالة التي أعطاها إلى شمر الذين نزلوا (جملة غير مفهومة) مع قافلة كبيرة في القسم الأخير من أيلول/ سبتمبر كان رخصة مرور للمسابلة. وكان يقصد بها أن تكون وثيقة مرور بأمان لبضعة أشخاص من شمّر يمرون بين عشائره.

«أقترح أن يوضع في الكويت فوراً ضابط حصار خاص، مع مؤسسة صغيرة بموافقة رسمية، لغرض فحص جميع رخص المرور، والتأكد من أن البضائع المارة لا تذهب إلى بلاد العدو.

«إنني مغادر إلى الرياض اليوم، وسأبرق عن طريق البحرين بعد مقابلة الأمير».

فيلبي وكنليف أوين غادرا البصرة في ١٠ تشرين الثاني/ نوفمبر إلى بريدة.

FO 371/3389

CAB 27/28

(٢٢٥)

B. 286

ابن سعود

ملاحظات للكرنل هاملتن، المعتمد السياسي في الكويت، تستند إلى محادثات جرت في الرياض في تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩١٧

- ١ -

لقب ابن سعود

إن ابن سعود غالباً ما يشار إليه من جانبنا بصاحب السعادة، أو صاحب السيادة أمير نجد (أو وسط الجزيرة). وفي مناطق نفوذه يتحدث عنه الأشخاص المحترمون واصفين إياه بالإمام، في حين أن البدو يدعونه بلا تكلف «عبد العزيز» أو حكّام (جمع حاكم). أما في الرياض فهناك احتمال التعرض إلى سوء فهم عند تسميته بالإمام، حيث إن ذلك هو نفس لقب والده عبد الرحمن. إن ابن سعود لا يحب تسميته بالأمير، لأن هذا هو لقب المجاملة الشائع إطلاقه على رؤساء المدن والقرى. وهو يفضل أن يدعى رسمياً حاكم نجد. وعليه، يبدو أن أفضل لقب رسمي له هو صاحب السعادة حاكم (حضرة الحاكم) نجد.

- ٢ -

العلاقات مع القبائل (عجمان، إلخ)

إن موقف ابن سعود تجاه العجمان لم تطرأ عليه أية تغيرات. وهو يعتبر أن من المتعذر ترتيب أي تفاهم معهم، لأنهم يولدون ويبقون أعداء له، وأنهم مشهورون حتى بين الأعراب بالخيانة وعدم الاكتراث بالعهود. إنهم لا يطيعون شيوخهم وكثيراً ما يستخفون بتقاليد قبلية ذات أهمية جوهرية. أضف إلى ذلك، أن العجمان لم يمتثلوا للاتفاق الذي فرضته عليهم الحكومة، بعلم ابن سعود وموافقته، حسب الصيغة التي وضعت في الكويت في تشرين الثاني/نوفمبر ١٩١٦. وحالما شرع ابن سعود في جمع العشائر للزحف على ابن الرشيد، التحقت عجمان، تحت قيادة كل

شيوخ (ابن حثلين) بابن الرشيد، وبتمركزهم في الجناح، شلوا حركة جزء كبير من قواته، وساهموا مساهمة كبيرة في فشل هجومه المقصود. وقد انضموا إليه الآن فقط لنقص في المؤن لديهم. ويعتبر ابن سعود، ولن يقنعه أي شيء بعكس ذلك، أن سماح ابن الصباح (سالم من الكويت) لهم بدخول أراضيه هو عمل غير ودي لا ريب فيه، ومفهوم على هذا الأساس من كل العرب. وخلافاته مع ابن الصباح ترجع أسبابها كلية إلى العجمان. وحتى فرضه للضرائب على العوازم (الذين، حسب قوله، مع كل قبائل الصحراء ينتمون في الحقيقة إلى تحالفه) هو، كما لمّح، رد على سلوك ابن الصباح المعادي له في إيوائه أعداءه من العجمان. ويكنّ ابن سعود كراهية عظيمة لسالم شخصياً، على الرغم من أن سالم صارم في إسلامه، ومتزمت بشدة تجعله وهابياً كأي وهابي من عامة نجد. ويقول ابن سعود إن سالم بخيل، لكنني أشك أن هناك سبباً آخر، وهو شعور متبادل بالغيرة، وهو شعور يتمثل في سالم بدرجة أعظم منها في ابن سعود. وكما تذمر ابن سعود بالضبط من أننا أظهرنا من ناحيته تحيزاً مفرطاً نحو الشريف، فإن سالم يسأل لماذا ندعم ابن سعود مالياً لحد يبلغ ٥٠٠٠ ليرة في الشهر، ملمحاً، رغم أنه لا يقول ذلك طبعاً، إلى أننا لا نفعل شيئاً له.

وقد ناقشت القضية لصالح العجمان في عدة لقاءات مطولة، ولكنني فشلت في حمل ابن سعود على تغيير موقفه أو أن يلين أكثر من تقديم الشروط الآتية لعجمان:

البديل (١): إن على القبيلة أن تتحرك فوراً بشكل جماعي لمساعدة ابن عبد الله وعنزة الشمالية.

البديل (٢): إن على عدد من كبار شيوخ القبيلة الحضور إلى الرياض والاستسلام وترك رهائن لضمان حسن سلوكهم في المستقبل. وبإمكان القبيلة بعد ذلك الانتقال إلى القصيم، وديرة العتيبة، والبقاء هناك بهدوء.

ولن يسمع ابن سعود مطلقاً اقتراحاً بإعادة توطين العجمان في الأحساء. ويقول إن ذلك سيجعل مواقعه الخلفية وخطوط اتصالاته مع الأحساء والساحل غير آمنة لدرجة لن يعود بمقدوره معها القيام بأية تحركات بعيداً عن العاصمة.

ويمكن أن يقال الكثير عن موقف ابن سعود إزاء هذه القبيلة. فمنذ أزمان سحيقة والعجمان عصاة. وقد اضطر ابن سعود وأسلافه، للمرة بعد المرة، إلى

إنزال العقاب الشديد بهم، ولكنهم برهنوا على أنهم غير قابلين للإصلاح واستمروا كعصاة طبيعيين. فهم ضرب من الإيرلنديين المحليين، لا دواء ناجع لهم سوى الإبقاء خارج النطاق. إن هناك اتفاقاً بين جميع الأطراف على أن العجمان لا يطيعون شيوخهم في الأوقات الاعتيادية، رغم أنهم يبدون استعداداً كافياً لاتباعهم والانصياع المطلق لهم عند الحرب. وإن أفضل أصدقائهم، ومن تربطهم بهم رابطة الدم، مثل ابن الصباح، يعترفون بأنهم لا يعتمد عليهم، وأنهم لصوص وقطاع طرق سيئو الصيت معروفون حتى بين الأعراب. وقد تمنيت في السنة الماضية لو أن القبيلة أدركت الضرورة لاتباع نهج ودي والخضوع للحكومة البريطانية، وكذلك لو أنها بقيت مسالمة في قطعة الأرض المخصصة لها بين الكويت والزبير. ولكنهم، على أية حال، اختاروا السير وراء ضيدان، صديق عجيمي وشمّر، الذي أفضى إليهم وإلى غيرهم بأن الأتراك على وشك إرسال ٣٠ ألف رجل من ضفة الشامية لنهر الفرات لنجدة أنصارهم. وزعم ضيدان والعجمان لي أن سبب مغادرتهم الكويت والزبير كان الخوف من قبائل ابن سعود عندما بدأت بالتحرك، وكذلك الحاجة إلى الكلأ لترعى منه ماشيتهم وقطعانهم. وربما ينطوي القول الأخير على بعض الحقيقة لأن جميع القبائل أسرعت إلى الكلأ الرائع الذي توفر بين القصيم وجبل شمّر هذا العام، وإن العشب إلى الشمال من هذه المنطقة كان ذا نوعية رديئة. إن محادثاتي مع ابن سعود، على أية حال، أقنعتني بأن العلاقات الودية بينه وبين الكويت لو أريد لها الاستمرار، أو حتى لو أردنا استمرار ثقته الكاملة بنا، فيجب انتقال العجمان من مواقعهم الحالية عبر خطوط الاتصالات بين القصيم والكويت. وإنني، كذلك، قد توصلت إلى القناعة بأننا ما لم نستجب، لو اقتضت الضرورة، بفرض الضغط على شيخ الكويت لحمله على طرد القبيلة، أو بقبولنا بإعلانهم الطاعة لنا وفق شروط ذكرت أعلاه، فليس لنا أن نتوقع نشاطاً فعالاً من جانب ابن سعود، وأقل من ذلك أن يرمي بنفسه قلباً وروحاً في مهمة تحطيم ابن الرشيد، وربما بعد ذلك الانضمام إلى الشريف لإخراج الأتراك من الجزيرة وجنوب سورية. ويجب أن نتذكر أن ابن سعود يواجه صعوبة عظيمة في تدبير شؤون التحالف الكبير بين القبائل التي تعترف بزعامته الدينية والدنيوية. وحسب قوله، إنها تتألف من المطير، العوازم، بني هاجر، المناصير، العجمان، بني خالد، بني عبد الله، قحطان، الدواسر، سبيع، السهول، عنزة، العتيبة، وحرب. وبعبارة أخرى، وعملياً، جميع القبائل في وسط الجزيرة وشماليها. إن نفوذ ابن سعود على بعض هذه القبائل مهم بلا شك، وكذلك، وبقدر تعلق الأمر بحرب

على الأقل، متنازع عليه مع الشريف. وعلى أية حال فإن ابن سعود قد يستطيع جر كل هذه القبائل معه بسهولة لتحرك كبير فيما لو ارتقى إلى المستوى المتوقع، وتم تزويده بالمال اللازم لمشروع كهذا. كما يجب ترك حاميات وراءه في الأحساء والرياض والمدن الإقليمية، ووضع الترتيبات اللازمة للسيطرة على النظام بين القبائل خلال فترة غياب الحملة الرئيسية، وهذه مهمة جسيمة، ولكنها، لحسن الحظ، مهمة يمكن لابن سعود إيجاد أشخاص موثوق بهم للقيام بها من بين مختلف المخلصين والكفوئين من آل بيته.

ولذلك فإذا كان من المرغوب فيه أن يتكفل ابن سعود بالقيام بحركة على نطاق كبير، فإن علينا ترتيب إزاحة العجمان جانباً أو انتزاع أنيابهم بطريقة مؤثرة ما. وسيكون من المستحسن حينذاك استدعاء شيوخ القبائل إلى البصرة أو الكويت ليسمعوا قرار الحكومة ويختاروا بين الخضوع لابن سعود وفق الشروط المدرجة أعلاه، أو مغادرة جميع الأراضي التابعة للقبائل الصديقة للحكومة.

وبعد أن بحثت مسألة الخضوع لابن سعود مع ضيدان شخصياً وسمعت من فمه أن القبيلة تفضل الترحال إلى الأبد في ديار غريبة على العودة إلى ابن سعود، فإن لديّ القليل من الأمل بأنه سيبرهن على الاستجابة في موقفه، وأنه ربما سيأخذ القبيلة معه إلى ديرة شمّر في الوقت الحاضر. ويقول ابن سعود إن القسم المتمرد من عجمان لن يستطيعوا جمع أكثر من ١٥٠٠ رجل مقاتل، وإذا لم يمتلك ابن الصباح أو الزبير القوة الكافية لطردهم، فإنه مستعد لأخذ المهمة على عاتقه. إن ابن سعود يعلم باحتمال أن نطلب إليه تطبيق كلامه هذا، وهو على استعداد للتحرك بعد تلقي الإشارة منا. وفي رأيي، أن العجمان الذين أصبحوا ضعفاء الآن نتيجة لكثرة تنقلاتهم، سيرضخون لابن سعود، إلاَّ إذا آوتهم قبيلة شمر، أو تحملنا نحن مسؤوليتهم في الزبير أو في مكان آخر.

-٣-
مسألة الاستيلاء على حائل

يقول ابن سعود إن هذه قضية كبيرة. فقد كان هو وأسلافه يقاتلون طيلة السنوات العشر الأخيرة وفي بالهم هذا الهدف، وكانت المحصلة النهائية للنتائج صفراً بعد تعاقب انتصارات جزئية وكوارث شديدة. وإنهم لم يقتربوا أبداً لدرجة تجعل فتح حائل وشمر وشيكاً. إن قوة هذه القبيلة تكمن في عدة عوامل، وإن

من الضرورة بمكان تذكر ذلك. ولنبدأ القول إنها قبيلة واحدة متضامنة، وثانياً، أن ابن الرشيد نفسه هو شيخ من شيوخ شمر، وثالثاً، بإمكان حائل دوماً الاعتماد على دعم الحكومة التركية الذي كان في متناول اليد في جميع الأوقات. وقد تلقى ابن الرشيد الكثير من التشجيع من لدن الأتراك خلال الحرب، وكذلك المزيد من الأموال والأسلحة وحتى الجنود لحماية حائل. وطالما سيطر الأتراك على المدينة وخط سكة الحديد، فلا بد أن يكون مركز ابن الرشيد قوياً دائماً. وقد كان مع فخري باشا في المدينة مؤخراً، ولعله تسلم معونات مالية جديدة. أضف إلى ذلك كله أن شمر مقاتلون أشداء، وعلى استعداد دائم لقبول تحدي أعداد تفوق عددهم من العشائر النجدية المختلطة. وهم خصوم مروّعين، وفي حالة كامل قوتهم، حيث يكونون كذلك كلما تعرضت حائل لمحاولة جدية لاحتلالها، يصبح من المشكوك فيه قدرة أي تجمع من القبائل على إلحاق الهزيمة بهم، وعلى الأقل في أطراف جبل شمّر. وفي حالة عدم حدوث هجوم مباغت، فإن حالة من الحصار المفكك قد تنشأ حول المدينة والتلال. وقد يقدم الأتراك الإغاثة من الحصار، وعلى أية حال، وبدون دعم قوات نظامية، ففي حكم المؤكد أن اتحاداً من البدو ترتبط أجزاؤه ارتباطاً رخواً فيما بينها سيصيبه الوهن سريعاً من هذه المهمة.

وحسب تصور ابن سعود فإن الضغط الاقتصادي بواسطة حصار صارم سيكون الوسيلة الأكثر تأثيراً لكسب شمر إلى جانبه. ومع ذلك فإنه يدرك أن «الأسلم» وغيرها من فروع القبيلة مستثنون من الحصار ومنهمكون طوال الوقت في كسر الحصار، مما يجعل هذا الحل غير عملي. إذا عاملنا شمر كجماعة متحدة، ورفضنا أن تكون لنا أية علاقات أخرى مع ابن طوالة والفروع الأخرى التي تتظاهر بأنها ودية إزاءنا لحين خضوع كامل القبيلة، فليس هناك أدنى شك في أنهم سيجدون أنفسهم في عزلة تبلغ حداً لن يجدوا معه بديلاً سوى الاستسلام. ويجب أيضاً فرض ضغط بشأن عنزة، أي، يجب معاملتهم كجزء متحد وليس كأقسام. ويقترح ابن سعود وضع جزء أكبر من السيطرة على حركة المرور في وسط الجزيرة في يده، وأن يكون له وكيل في كل من مدن الأسواق الرئيسية الواقعة تحت الاحتلال أو السيادة البريطانية، ويجب استشارة هؤلاء الوكلاء قبل منح أية إجازات مرور للصادرات.

ـ ٤ ـ

الموقف من الملك حسين

إن ابن سعود يتآكله الحسد من الشريف حسين، ملك الحجاز، وإن هذا الحسد قد تأجج مؤخراً ليتحول إلى لهيب يحرق عندما اتخذ الأخير لقب ملك العرب (ملك البلاد العربية، أو، بلاد العرب). وكان الشريف ولا يزال يتسلم معونات مالية كبيرة منا، وجمع حوله ليس قبائل الحجاز والمناطق المجاورة فحسب، بل واجتذب أيضاً كل قبائل عتيبة وحرب التي يزعم ابن سعود أنها تنتمي إليه. وفي الآونة الأخيرة، اتجهت أعداد كبيرة من أبناء العقيلات ونجد شرقاً صوب الشريف من عنيزة وبريدة وشعرا ومذنب، منجذبين بالمبالغ العالية التي يدفعها الشريف. ويمثل رجال عقيل بعضاً من أفضل المقاتلين في البلاد. وأكد لي أمراء عنيزة ومذنب أن ما لا يقل عن ٤٠٠٠ رجل منهم انضموا إلى قوات الشريف من القصيم وحدها، ولا يشتمل ذلك على البدو.

وناشد ابن سعود أثناء المحادثات معه وبشكل متكرر مساواته في المعاملة مع الشريف. وهو ينوه بأننا تركناه في عزلة في حين أننا نفعل كل ما في وسعنا لغريمه. ويشكو من أننا لم ننسب إليه ما يستحقه من فضل لمناصرته لقضيتنا ومعاداته للأتراك بلا هوادة. بل وإنه يدعي لنفسه الفضل أنه بدون موقفه الخيّر من الشريف وإبقائه شمّر تحت مراقبته، لما كانت لثورة الأخير أية فرصة في النجاح. وقال إنه قاوم كذلك عدة عروض مغرية من الأتراك الذين حاولوا دائماً إعادة فتح المفاوضات معه. وكدليل على قوله الأخير هذا، فقد أطلعني على كتاب من فخري باشا قائد المدينة، يسأل فيه عن سبب عدم إجابته على كتاب ودي أرسله في السنة الماضية. وقد رأيت أيضاً الكتاب المشار إليه. وبدا كلا الكتابين أصيلين. وإذا كان ابن سعود يكيد أية مكائد فإنها تكون مع رؤساء فخري باشا في دمشق وغيرها من الأماكن. وقد دارت شائعات، وساد اعتقاد شامل بأنه تسلم معونات مالية من الأتراك، وحين كنت أسير عبر (وشم) قيل لي إن فريقاً من تسعة ضباط أتراك وألمان قد خرجوا لتوّهم من الرياض ومرّوا على مقربة في قرب (شقرة) ذاهبين في الاتجاه المعاكس. وإنني أستبعد ذلك تماماً، وفي الحقيقة، فإن ذلك غير مرجح حدوثه تماماً رغم أن البعض من حاشية ابن سعود مؤيدون للأتراك، أو أنهم، في كل الأحوال، يميلون إلى نهج عدم إعطاء جواب قاطع ضد احتمال عودة الحكومة

العثمانية. إنه ليس من غير المألوف، كما شاهدنا في العراق، عند وجود شيخين أو فئتين متخاصمتين، أن يقف أحدهما إلى جانبنا، وأن يلجأ الآخر إلى الأتراك. وفي قضية ابن سعود والشريف فقد صادقنا الاثنين، رغم أننا طبيعياً فعلنا الأكثر للشريف، الذي قدم خدمات عظيمة للقضية. إن ابن سعود، على أية حال، يعتقد أننا يجب أن نعاملهما على قدم المساواة. وإن تفكير ابن سعود يضرب على وتر واحد وهو مسألة أوضاع ما بعد الحرب، ويتأرجح بتألم بين المساوىء التي ستلحق به استناداً إلى النتيجة التي يجب أن تنتهي إليها الحرب بانتصار للحلفاء أو القوى المركزية. وكنا نفكر في بعض الأوقات أن امتلاكه للأحساء، وهي ذات أهمية عظيمة لإمارته، والتي طرد منها الأتراك قبل وقت قصير من اندلاع الحرب، ستكون حجة دامغة لصالحنا: وهي أن أمله الوحيد في الاحتفاظ بها يكمن في تعلقه بأثوابنا. ولكن القضية، كما أبلغت من مصادر موثوق بها، ليست كذلك في الواقع. وأياً كان الطرف المنتصر، فهو لا يظن أنه سيسمح له بالاحتفاظ بالأحساء لوقت طويل، في ضوء ما هو معروف جيداً عن جشع الدول العظمى وميلها إلى الحيازة، والأمر المؤكد هو، لو انتصر الحلفاء وتم طرد الأتراك من الجزيرة، فإن ابن سعود سيواجه عار مشاهدة غريمه الشريف وقد ترسخ مركزه بحزم كملك قوي ومؤثر وقادر على الاعتماد على دعم بريطانية العظمى والعالم الإسلامي، في حين أنه (ابن سعود) سيبقى مجرد زعيم قبيلة بدوي كما كان قبل الحرب، ولكن مع فقدان عنزة الشمالية إلى غير رجعة، وإعلان الشريف سيادته على عشائر الحدود. ومن جهة أخرى، إذا انتصرت دول المحور، وذلك ما يعتقد ابن سعود أنه سيحدث، فإنه سيشعر بالارتياح لرؤية سقوط الشريف حسين، في حين أن وضعه هو سيعتمد على فطنته السياسية للتوصل إلى صفقة مع الأتراك.

إن هذا لا يعني أن ابن سعود مؤيد للأتراك. فهو يكره الأتراك مثل كره أسلافه لهم، ويكنّ الحب والإعجاب للبريطانيين وإن كانوا كفرة. ولكن القضية سياسية، وحين يتعلق الأمر بالسياسة فإنه لا بد وأن ينظر إلى القضية كلية من منظور المصلحة الخاصة، أي مصالح سلالته والمذهب الوهابي. وإنه من غير الممكن إغراؤه للقيام بأي عمل إلاّ إذا كان للغرض ما يبرره بشكل أساسي في هذه المصالح، وبعبارة أخرى فإنه قد أدخل في ذهنه فكرة عدم التخلي عن مصالحه من أجلنا أو من أجل أي كان. وربما يكون هذا سبب عدم إقدام ابن سعود على القيام بأية محاولة جادة للاستيلاء على حائل أو قيامه بعمل بطولي يستحق الملاحظة

أثناء الحرب. ويأمل عندما تنضب معوناتنا المالية، أن تعود القبائل التي تساند الشريف حالياً إلى سابق ولائها. ويقول إن الشريف الآن على خلاف مع بعض فروع قبيلة حرب، وقال لي في أحد الأيام بسرور واضح إن فرع برقة من عتيبة قد تحول إلى (الإخوان)، وهي أخوّة دينية يعمل ابن سعود بأقصى قدرته على رعايتها.

إذا كانت الفكرة التي سعيت إلى إعطائها عن سياسة ابن سعود صحيحة، فسيصبح بالإمكان مشاهدة مدى الحمق في توقع أي تعاون شامل من جانبه حتى لو قدمنا له معونات مالية أكبر. وفي الواقع، إن من المحتمل تماماً أن يستخدم معونات مالية أخرى ندفعها له من أجل إعادة شراء ولاءات الشيوخ الذين يقفون الآن مع الشريف. إن الوسيلة الوحيدة التي يؤدي إليها تفكيري لإغرائه على القيام بتحرك واسع بالنيابة عنا هي إعطاؤه ضمانات تتعلق بمستقبل حدوده، الإقليمية والقبلية، وإرضاؤه من ناحية مكانته الشخصية، كأمير إزاء ملك الحجاز، ويجب بعد ذلك إعطاؤه بسخاء أسباب القدرة على الحرب، المال والسلاح، ماذا سيستطيع هو، حينذاك، أن يعطينا بالمقابل؟ من خلال ما لاحظته من الاحترام الذي يحظى به عبدالعزيز في وسط الجنوب الأوسط من الجزيرة، أعتقد أنه يستطيع، لو وضع همته في ذلك، أن يثير البلاد كلها.

ـ ٥ ـ

رغبات ابن سعود

إن الشروط الآتية سترضي ابن سعود تماماً:

(١) أن نلتزم إزاءه بنفس نهج الائتمان والثقة الذي نتبعه في حالة الشريف.

(٢) معاملته على قدم المساواة مع الشريف، والاعتراف بهيمنته على نجد، ووسط الجزيرة وتوابعها، بنفس الطريقة التي أضفينا بها على الشريف طابع ولقب صاحب السمو ملك الحجاز، ونعلنه كصاحب السمو حاكم نجد.

(٣) إن كل التخصيصات المالية التي نقدمها لقبائل وسط الجزيرة، وبضمنها قبائل عنزة وعتيبة ومطير وسبيع وبنو حجر وقحطان والدواسر والمناصير وآل مرّة وبنو عبدالله وساهول والعجمان وشمّر وظافر، يجب أن تدفع من خلال ابن سعود، بالإضافة إلى اعتماد مقيم سياسي

بريطاني لديه.

(٤) أن تمثل الحكومة البريطانية بشكل دائم بواسطة مقيم سياسي.

(٥) أن يتم تفويض السيطرة على مرور القوافل إلى الداخل من كربلاء والسماوة والخميسية والزبير والكويت وقطر والأسواق الأخرى، إلى ابن سعود ومقيمه البريطاني، على أن يحتفظ ابن سعود بوكلاء له في كل هذه الأسواق.

(٦) أن يمنح المعونات المالية ومواد الحرب وإعارة خدمات المهندسين والمدربين بالتناسب مع حجم العمليات التي يتوقع منه القيام بها أو حجم القوات المسلّحة التي يتطلّب منه الإبقاء عليها.

(٧) أن نساعده في إعادة إنشاء تبادل تجاري في موانىء الأحساء، وذلك بترتيب خط بحري منتظم لسفينة تجارية مع الهند.

(٨) أن يتم تلخيص بنود أية اتفاقية في وثيقة رسمية أو معاهدة على غرار المعاهدة الموجودة. وأن يتم تعريف مركز عبدالعزيز بن سعود في هذه المعاهدة وضمان خلافة من يرثه، وأن يوافق ابن سعود من جانبه على التصرف بتعاون خاضع لنا، ضمن تحالف دفاعي أو هجومي، والتعهد خاصة بعدم الدخول في أي نوع من العلاقات مع أية قوة أخرى عدا البريطانيين، أو مع أي زعيم عربي أو دولة بغض النظر عن كونه تحت حمايتنا أو حماية قبيلة أخرى.

ملاحظة:

يمثل هذا الحد الأقصى، وإن ترتيباً معدلاً كثيراً على غرار هذا، سيكون مقبولاً.

CAB 27/23

(٢٢٦)

مجلس وزراء الحرب
لجنة الشرق الأوسط

سرّي

الرقم: N.E.C.23

موقف ملك الحجاز من ابن سعود

مقتطفات من كتاب خاص من الميجر كورنواليس، مدير المكتب العربي، إلى الكابتن أورمزبي غور، أرسل من معسكر الشريف عبد الله في وادي العيص بتاريخ ١٤ كانون الأول/ ديسمبر ١٩١٧.

«قابلت الملك حسين عدة مرات في جدة، وهو رجل لطيف كبير السن، وإنني واثق من أنه قد اتخذ قراره بشأن ما سيصنعه عند سقوط المدينة، وأنه يستطيع أن يحوّل اهتمامه إلى جيرانه العرب. على أنني خائف نوعاً ما من أنه ينوي القيام بشيء فيه حماقة، لقد تحدّث باستمرار عن ابن سعود والإدريسي بعبارات الازدراء والإهانة، بطريقة لا تبشّر بفأل حسن للمستقبل.

«وقد أشار إلى ابن الرشيد بأنه مغفَّل، وإن كنت أعتقد أنه مستعد تماماً لأن يراه يعود لو جاء، وكانت آراؤه في الإمام يحيى بلا لون، ويبدا أنه يعتبر موقفه المشكوك فيه طبيعياً.

«إن ما لم يعجبني في محادثته كان الافتقار الواضح إلى أي محاولة للعمل من أجل الوحدة العربية.

«إن الشريف عبدالله مختلف تماماً، فهو يدرك كل الإدراك أن أباه يجيد ما يفعله في الجزيرة العربية باسترضاء الأمراء الآخرين، وهو من الحكمة بدرجة يستطيع أن يقدر معها أن صداقة رئيس قوي، هي ثروة عظيمة له. وهو يريد أن يرى كل واحد من الأمراء الكبار يحكم نفسه في أراضيه، ويعترف بالسيادة الاسمية لوالده

كملك للعرب. إنه يشك كثيراً في حسن نية ابن سعود، ولكنه مستعد لأن يكون منطقياً بشأنه. إنه سيقبل بابن الرشيد إذا جاء الأخير إلى جانبنا ضد الأتراك، وإلاّ فإنه سيضع بمكانه شخصاً آخر من أعضاء عائلته.

«إنه كريم نحو الإدريسي بشكل غريب، ويرى فيه أداة صالحة تبشّر بالخير لتحقيق الوحدة.

«إنه لا يثق بالإمام يحيى، ويقول إنه سيشن حملة عليه فيما بعد إذا لم ينصبع ويسلك السلوك الصحيح. وهو مصيب في هذا، وأعتقد أننا يجب أن نفعل كل ما في وسعنا لإسناده.

«أما حجر العثرة فقد يكون الملك الشيخ، ولكن عبد الله سيذهب إلى مكة حالما تسقط المدينة، وآمل أن ينجح في إقناعه بآرائه. ولا بد للملك أن يصاب بخيبة الأمل فيما يتعلّق بسورية، لأنه مهما حدث هناك، فالملك سيظل خارج الموضوع. إنه طالما كان يتوق إلى دمشق. وأعتقد أننا يجب أن نصنع كل ما في وسعنا لمكافأته على المعونة التي قدمها لنا في الحرب، وذلك بمساعدته لتحسين وضعه في الجزيرة العربية ـ وبدون توجيهنا هنالك كل فرصة لانجراف الجزيرة العربية إلى حرب داخلية مهلكة بعد الحرب. ولكننا إذا عملنا بموجب سياسة مقررة، لاستطعنا في رأيي أن نحمل الأمراء الآخرين على الاعتراف بالملك، والحفاظ على السلم العالمي. وقد كنت أشك في ذلك وأنا في القاهرة، ولكن إذا أطلقت يد عبدالله بقدر مناسب من الحرية، فإنني أؤمل أن يكون تحقيق ذلك ممكناً.

«ماذا تفكّر وزارة الخارجية عن الموضوع كله. لا أتذكّر أنني سمعت آراءها».

ك. كورنواليس

FO 371/3061 (203558)

(٢٢٧)

(برقية)

من وزير الهند (لندن)

إلى نائب الملك في الهند ـ سيملا

كذلك إلى: مدير الاستخبارات العسكرية

السير مارك سايكس

الميجر ستورز

التاريخ: ٢٠ كانون الأول/ ديسمبر ١٩١٧

سرّي. خارجي. برقية كوكس المرقمة (٤٠٣٥) المؤرّخة في ٢٨ أيلول/ سبتمبر وبرقية القاهرة المرقمة ١٠٣٦ والمؤرّخة في ٥ تشرين الأول/ أكتوبر حول ابن سعود. وافقت حكومة جلالته على البعثة المقترحة. على كوكس أن يتخذ حالاً الخطوات لإيفاد ضابط سياسي واتخاذ الإجراءات اللازمة لإبقائي والقاهرة على علم. متى سيكون بإمكان الضابط البدء بالسفر؟ يجب إرسال جهاز لاسلكي مع البعثة إلاّ إذا ارتأى كوكس مانعاً دون ذلك.

(مكررة إلى كوكس)

FO 371/3056

(٢٢٨)

(برقية)

من السير ريجنالد وينغيت ـ القاهرة

إلى وزارة الخارجية

عسكري

الرقم: ١٣٩٠ التاريخ: ٢٣ كانون الأول/ ديسمبر ١٩١٧

إشارة إلى برقيتي السير برسي كوكس المرقمتين ٦١٨٥ و٦١٨٦.

الوضع الداخلي في الجزيرة العربية يبدو عليه بعض المظاهر التي تدعو إلى القلق، ويبدو من الضروري القيام بتنسيق دقيق للسياسة إذا أريد تفادي وقوع اصطدام بين العرب الذين هم تحت حمايتنا.

إن تعاظم شأن الشريف حسين وامتداد نفوذه إلى عتيبة وعنزة.. إلخ قد أثار مخاوف ابن سعود والشيوخ الآخرين الذين يطلبون ضمانات ودعماً مادياً ضده. ويبدو أن سياسة الشريف هي تأجيل تطور العلاقات مع جيرانه إلى أن يزال الخطر التركي عن الحجاز وينجح فيصل في الشمال. ابن سعود يفزعه تصاعد هذه السياسة التي إذا نجحت فإنها ستكون في غير صالحه، وإن نهضة وهابية ـ وردت عنها التقارير من جهات مستقلة ـ قد تشجع من جانبه لموازنة توسع الشريف.

ويبدو أن الشريف قلق بصورة صادقة بشأن الحركة الوهابية التي قد تشكل في بعض الظروف خطراً على الحجاز.

وبينما يصعب تقدير قوة كل من نفوذ الشريف والتعصب الوهابي، فإنني أرى أن اتجاهات الأخير، للقضاء على المؤسسات التقليدية، تشكل خطراً أعظم احتمالاً، وأصعب سيطرة عليه، من طموحات الشريف الأكثر دنيوية. لا يمكننا أن نسمح بقيام نزاع بين العرب بالقرب من الأماكن المقدّسة، مما يمكن أن يثيره أنصار إحياء الوهابية على الرغم من تهديداتنا بغلق أسواقهم في العراق والخليج. ومن جهة أخرى، فإن الوضع الجغرافي للحجاز، واعتماد الشريف على مساعداتنا المالية، يجب أن يمكّنانا من كبح جماحه دون اتخاذ إجراء اعتدائي.

أما ابن الرشيد فقد فقد مكانته في أنظار العرب. ومع تدهور قوة تركية، فإن نفوذه الشخصي قد يختفي. وفي تلك الحالة إذا نجح فيصل فإننا قد نرى مرشح الشريف يكون مقبولاً بدلاً عنه. ونظراً لروح مفاوضاتنا الأولية مع الشريف فلا أظن أننا نستطيع أن نعارض في هذا.

إنني أقدّر ضرورة إبقاء ابن سعود إلى جانبنا، ومنحه المعونة المالية والمواد التي تجدونها ضرورية من حيث الوضع العسكري والسياسي في العراق؛ ولكنني أبدي أن مساعدته على النطاق المقترح الآن ستكون ذات خطر. إن قوة نجدية مؤلفة من ١٥,٠٠٠، جيدة التجهيز، مع جمهرة من المتحمسين الوهابيين قد تكتسح الحجاز وتربك سياستنا العربية والإسلامية.

مكررة إلى الهند وبغداد.

FO 371/3056

(٢٢٩)

(برقية)

من السير برسي كوكس ـ بغداد
إلى وزارة الخارجية

الرقم: ٦٣٤٧ التاريخ: ٢٥ كانون الأول/ ديسمبر ١٩١٧

ما يلي من المكتب العربي في القاهرة. مكررة للمعلومات.

«ما يلي فحوى برقية من ويلسن:

«كتب الملك أن بعض شيوخ عتيبة في مكة أبلغوا عن هجوم قام به الوهابيون التابعون لابن سعود برئاسة سلطان بن نجاد، على العتيبة الموالين للملك قرب الغطغط، حيث كان سلطان يرفع العلم الوهابي.

«الشيوخ أخبروا الملك أنهم سيتخذون إجراء إذا رفض هو القيام بذلك. يطلب الملك أن يضغط كوكس على ابن سعود، إنه لا يثق بابن سعود ويعتقد أنه يجب حثه على أن يثبت بخطوات عملية عطفه على القضية العربية وعداوته للأتراك.

«كل من الملك والشريف عبدالله يعتبران الأمر خطيراً».

FO 371/3056 (244776)

(٢٣٠)

(برقية)

من السير ريجنالد وينغيت
إلى وزارة الخارجية

عسكري

الرقم: ١٤٠٦ التاريخ: ٢٨ كانون الأول/ ديسمبر ١٩١٧

إن الحقائق الواردة في برقية السير برسي كوكس المرقمة ٦٢٨٣ لا تجعلني أعدل

من الرأي الذي أعربت عنه في برقيتي المرقمة ١٣٩٠ بأن تسليح ابن سعود على نطاق واسع سيعجّل في النزاع بينه وبين الملك حسين.

إن وصف ابن سعود لقوة ابن الرشيد لهو أكبر جداً مما لدينا من معلومات تدلّ على أنه مستاء من الأتراك، وبمثابة سجين، ويشعر بميل إلى الاتفاق مع الملك، وضعيف في الرجال، والمال، والسلاح، والعتاد.

إن تقدير كوكس للعلاقات بين الملك وابن سعود مطابق لتقديري من حيث الأساس، وليس لديّ سبب للشك في حسن نوايا ابن سعود. ومع ذلك فإنني أخشى أنه إذا حصل (منا) على الأسلحة والأموال المطلوبة، فإن ضغط أنصاره الوهابيين، ومعرفته بعداوة الإدريسي الصريحة للملك، قد يحملانه على اتخاذ قرار بتسوية خلافاته مع الملك بقوة السلاح. إن أهداف ابن سعود في الاستيلاء على حائل، والإطاحة بابن الرشيد، هي أهداف مرغوب فيها بالتأكيد، ولكنها ليست مهمة بالدرجة التي تبرر إعطاءنا إياه ما يشابه صكاً مفتوحاً ليقوم بتحقيقها.

الملك يدرك تماماً أننا نكره اتخاذه إجراءات عسكرية ضد حليفنا ابن سعود والإدريسي، وأن سياستنا هي أن لا نضع العربي ضد العربي.

وحالما يخرج الأتراك من الجزيرة العربية، أرى أن سياستنا ستكون الحفاظ على توازن القوى بين كبار الشيوخ مع الملك، القيِّم الرسمي على حماية المدينتين المقدستين ـ على أن يكون الأول بين متساوين.

إنني أستنكر بشدة مساعدة ابن سعود في قضية المسكوكات. وقد قاومنا حتى الآن اقتراحاً مماثلاً من الملك على أساس أنه سيكون من غير العملي في ظروف الحرب، وإن الوسيلة المقترحة في الفقرة الأخيرة من برقية بغداد ستثير حتماً المنافسة بينهما.

مكررة إلى الهند وبغداد.

FO 371/3056 (245415)

(٢٣١)

(برقية)

من السير ريجنالد وينغيت ـ القاهرة
إلى وزارة الخارجية

عسكري

الرقم: ١٤٠٧ التاريخ: ٢٨ كانون الأول/ ديسمبر ١٩١٧

برقية السير برسي كوكس المرقمة ٦٣٥٠.

إن برقيتي المرقمة ١٣٩٠ والمؤرَّخة في ٢٣ كانون الأول/ ديسمبر كانت قد كتبت مسودتها قبل تسلُّم برقيتكم المرقمة ٦٢٣٠ ولكنها أرسلت بعد ذلك.

إنني لم أعلّق على البرقية الأخيرة، لأنني وقد أعربت عن خوفي من نتائج تقوية وضع ابن سعود العسكري أكثر مما ينبغي، لم تكن لديّ رغبة ولا معلومات أستطيع الاستناد إليها في تقديم اقتراحات أخرى.

إنني أقدر أن من المرغوب فيه إعطاء ابن سعود شيئاً من المساعدة الإضافية، وأنكم في وضع يمكّنكم من اتخاذ قرار بشأن ما يحتاجه ويستطيع استعماله دون تعريض السياسة العربية العامة للخطر.

إنني أرسل إليكم بالبريد القادم مذكرة حول الأخير طالباً ملاحظاتكم عليها.

مكررة إلى الهند وبغداد.

CAB 27/23

(٢٣٢)

(برقية)

من السير برسي كوكس إلى حكومة الهند
(مكررة إلى وزير الهند ـ لندن)

التاريخ: ١٤ كانون الثاني/يناير ١٩١٨

البرقية التالية المؤرّخة في ٩ كانون الثاني/يناير وصلت من فيلبي:

التفاصيل التالية عن الاجتماع أرسلها هوغارث إلى مصر برقياً:

«(١) إن إلحاح الملك بعناد على خيانة ابن سعود لم يزحزحه ما أبديته بشأن الرسائل التي أظهرت بصورة قاطعة أن ابن سعود لم يرد على مبادرات فخري. إن عدم إمكان إقناعه بحقيقة يجب أن نقبلها، وعلينا أن نترك القضية هكذا، في حين أننا ومصر مقتنعون بدرجة كافية بعدم وجود دليل على سوء نية من جانب ابن سعود.

(٢) لقد شرحت أهمية احتلال حائل من وجهة نظر بغداد، وأشرت إلى صعوبات فرض الحصار، والتهديد من جانب العجمان. وقد اعترف الملك أن هذه وجهة نظر جديدة، ولكنه اقترح أنه تجاه هذه الظروف يجب حث ابن سعود على اتخاذ إجراءات ضد العجمان. وجواباً على سؤال مباشر عما إذا كان لديه مانع شخصي دون احتلال (ابن) سعود لحائل، إذا فرضنا حصاراً عليها، اعترف بشيء من التردد أنه ليس لديه أي مانع، وعرض مساعدته، وأخيراً جعل عرضه قاصراً على تعهد باحتلال حائل شخصياً، ولكنه حين طلب إليه القيام بذلك خلال فترة ثلاثة أشهر، تراجع إلى الموافقة على قيام ابن سعود بالمهمة خلال تلك المدة، ووعد بأن يأخذ العمل على عاتقه فيما بعد إذا فشل ابن سعود. ومن الواضح تماماً أنه غير مستعد للموافقة على قيام ابن سعود بالمهمة، ولكنه عاجز عن تبرير موقفه.

(٣) وسأل، مع شيء من الشك، فيما إذا كنا نفكّر في أي تغيير في

اتفاقاته (أو المقررات) مع الحكومة البريطانية. وكرر هذه النقطة عدة مرات، ولكنني أكدت له أن التفكير أو البحث في أي تغييرات من هذا النوع لم يكن جزءاً من هدف البعثة.

(٤) جواباً على مطالبته بأن يشرح ماذا كان معنى إلحاحه وإلحاح أبنائه على وجوب حث ابن سعود على القيام بشيء عملي، صرح بأن إرسال راية مع قوة صغيرة من الرجال، للتعاون مع عمليات الحجاز كان أمراً غير قليل. مظهر ظاهري مشهود بأن ابن سعود يقبل بزعامته أو سيادته، هو ما يريده في الحقيقة بدلاً من أي عمل مستقل من جانب ابن سعود بوصفه حليفاً له أو لنا.

(٥) استفسر عن السبب في تراجع ابن سعود عن القصيم في رمضان الماضي، فأشرت إلى كتاب عبد الله الذي يبدو أن الملك يصرّح بأنه لم يرسل قط. قلت في الشأن إنه نظراً لعدم وجود المراعي فالسبب في القيام بالعمليات الفعلية قد زال. ويجب ملاحظة هذا كتعليق إضافي ولكنه مهم لم تتطرق إليه البرقية الخاصة بالموضوع.

(٦) بحثت أمور أخرى، مثلاً: حصار القصيم، وطموحات الوهابيين، وأخبرني بصورة تلقائية عن اتخاذه لقب «ملك بلاد العرب». إن هذا اللقب، وإن لم يكن معترفاً به منا، فإنه يؤكد لكل العرب حقيقة ملوكيته. وقد صرح أن «ملك الحجاز» وهم لا معنى له.

والنتيجة أن المقابلة لم تسفر عن إضافة شيء كثير إلى معلوماتنا الحالية عن الوضع. وتكمن أهميتها بصورة رئيسية في عدم قدرة الملك على أن يبرز بصورة ملموسة أي اعتراض على استيلاء ابن سعود على حائل. وإن كان من الواضح أنه لا يرغب في هذا. ولا أستطيع في هذه الظروف أن أرى لماذا يجب أن يمتنع عن. . . وأعتقد أن النقاط التي هي في صالح الموضوع وحده قد أبرزت تماماً، مؤملاً أن يتم التوصل إلى قرار بأقرب وقت ممكن. وما لم يكن الأمر مستحسناً، ألا يمكن أن يترك لي إبلاغ ابن سعود لدى عودتي، لأن خيبته ستكون عظيمة ومن المهم اختبار موقفه».

هوغارث تسلم نسخة من الرسالة أعلاه.

FO 371/3389 (10203)

(٢٣٣)
(برقية)
من فيلبي (في بغداد)
(بواسطة السير ب. كوكس)
إلى السكرتير السياسي، وزارة الهند ـ لندن

الرقم: ٣٨٧ التاريخ: ١٤ كانون الثاني/يناير ١٩١٨

ما يأتي من فيلبي رقم م ٢٢ بتاريخ ٩ كانون الثاني/يناير.

أقترح بكل تواضع أن برقية الخارجية (رقم ١٧ س) تدل على شيء من سوء الفهم للوضع الفعلي في وسط الجزيرة العربية، كما توقعت إلى حدّ ما في الرسالتين الأخيرتين، الأولى أن مقدرة ابن الرشيد على إيقاع الأذى لا تزال كما كانت حين غادرت البعثة بغداد لتحريض ابن سعود على العمل ضد حائل، بينما الأتراك، بالرغم من الانتصارات (البريطانية) في فلسطين، لم يقض عليهم بأية صورة، ولا أرى دليلاً فورياً على الانهيار. ولذلك فإن احتلال حائل في الأشهر الثلاثة القادمة سيكون ضربة شديدة يحتمل أن تؤدي إلى نتائج قوية في جميع النواحي. الثانية من الخطأ التصوُّر أن ابن الرشيد يتيح الاحتلال لابن سعود.

لقد سبق أن أشرت إلى أن ابن سعود لم يتحرَّك بعد، والواقع أنه أكثر قلقاً بسبب مطامح الشريف، ولا يرغب في التصرّف بصورة تخدم مصالحه بإحراج وضع ابن الرشيد إلاّ بعمل يكون لفائدته الشخصية بصورة واضحة، مثلاً احتلال حائل بنفسه. لا أظنه غير مهتم تماماً بالأمر، أو أنه يحكم حصار القصيم إلاّ إذا كان يتوقع شيئاً مهماً يكسبه.

ثالثاً، أتجاسر فأنتقص بشدة فكرة الاحتفاظ بعدو صريح مثل ابن الرشيد لحفظ توازن القوى بين حليفينا(؟) إن هذا الوضع سوف يطيل الصراع في بلاد العرب الوسطى ويحتمل أن يدخلنا في مساعدة مسلحة لابن سعود بموجب ما تفرضه معاهدتنا ضد الاعتداء عليه من جانب ابن الرشيد بإيحاء محتمل من الشريف.

وعلينا أن نقدّر دائماً أن ابن الرشيد والشريف كليهما معاديان لابن سعود.

رابعاً، أن إنشاء دولتين قويتين ترتبطان بمعاهدة معنا وإن كانتا متعاديتين، هي طريقة أسلم ولو أنها تمثل طريقة جسورة. فلا تستطيع إحداهما الهجوم على الأخرى دون أن تتحمّل غضبنا ونتائجه، وعلينا أن نكون في موقف قوي لإرغام حصول التحكيم في كل المنازعات. الخطر الأكبر للسلام المقبل في بلاد العرب يكون في تنازلنا عن الثقة القوية الحالية في بريطانية العظمى لدى الملك وابن سعود كليهما. وفيما يتعلق بابن سعود فإن ذلك ينتج فوراً فشل البعثة لتحقيق(؟) جواب عملي من قبل الحكومة لتعهده النهائي بخدمة أهدافنا العسكرية.

وفي هذه الأحوال لا أتوقع أنه يبرهن على أي عداء فوري للشريف، لكن حصار القصيم يفقد فعاليته ولا نستطيع أن نتوقع استمرار الصلات الودية الحاضرة بعد أن يخفق في إقناع الوهابيين (كلمات لا يمكن حلّها) بالفرصة السانحة للفائدة العملية الكبيرة للحلف البريطاني.

النتيجة سوف تنسب بلا ريب إلى مكائد الشريف. وفيما يتعلق بالشريف فإن الثقة تزول إذا كان اتفاقنا معه، الذي لا أعلم محتوياته، قد تضمن الوعد بأية وسيلة لمساعدته على الاندفاع إلى نجد أو حائل. لا قضية للشريف في حائل، ولكن يظهر أن له مطامع فيها. وإذا كان افتراضي صحيحاً فإنه لا يستطيع ولا يثير فعلاً أي اعتراض علني على معالجة مشكلة حائل حسب استحقاقها العسكري.

وأخيراً حسب رأيي إن الاعتبارات السياسية المقبلة والعسكرية الحاضرة، تجتمع لتأكيد ملاءمة القيام بهجوم فوري على حائل من قبل ابن سعود بمساعدتنا. وكل قرار غير هذا يؤثر تأثيراً سيئاً في وضعنا في نجد، بينما القرار الملائم يعد بتحقيق أحد أهدافنا العسكرية ـ مع عائق واحد صغير وهو خيبة أمل للشريف لا يتجاسر على ذكرها علناً ولا يتمكن من تبريرها بصورة جدية.

هوغارث لديه نسخة (انتهى).

معنونة إلى الخارجية ومكررة إلى سكرتير الدولة للهند.

FO 371/3389 [14184]

(٢٣٤)

(مذكرة)

عن وضع ابن الرشيد أمير حائل في علاقاته مع سائر الحكام العرب

التاريخ: ١٧ كانون الثاني/يناير ١٩١٨

بالنظر إلى اختلاف المصالح الظاهر الآن بين ملك الحجاز وابن سعود، فمن المناسب أن نشرح بإيجاز الادعاءات التاريخية التي يقدمها ابن سعود بشأن عودة حائل (إلى حكمه).

إن سلالة ابن الرشيد أمير حائل حديثة النشأة. فقد بدأت الأسرة كوكلاء عامين لبني سعود خلال منتصف القرن الماضي أي قبل نحو ٧٠ سنة.

إن آل سعود أنشأوا سلالة كانت في مبدأ القرن التاسع عشر، بصفتها زعيمة الوهابيين، تحكم جميع أنحاء جزيرة العرب الوسطى ومدّت فتوحاتها إلى مدن الحجاز المقدّسة. وهذه الأسرة القوية، آل سعود، قد تضاءل عددها أولاً بالحروب التي استعرت بتحريض الأتراك لمحمد علي أول ولاة مصر، وأكثر بعد ذلك بالتوسع التدريجي لقوة واستقلال وكلائها آل الرشيد في حائل.

إن الفضل في إعادة السلطة إلى آل سعود يعود كله إلى نشاط ابن سعود الحالي وميزته، وقد كان حتى سنة ١٩٠٢ لاجئاً في الكويت. وفي سنة ١٩٠٢ كانت الرياض، عاصمة ابن سعود الحاضرة، جزءاً من إقليم ابن الرشيد تحت حكم حاكم الرشيدي. لكن في تلك السنة نجح ابن سعود الحالي، يرافقه عدد قليل من الأتباع من الكويت، في مفاجأة الحاكم الرشيدي وعزله. وفي سنة ١٩٠٤ اعترف به (كأمير) في جميع المناطق الجنوبية الشرقية التي كانت خلال ٣٠ سنة تحت سيطرة ابن الرشيد، وفي تلك السنة تقدم إلى جهة الشمال الغربي إلى القصيم، غير أن قوة تركية أرسلت للتعاون مع ابن الرشيد أرغمته على الانسحاب. بيد أنه عاد إلى القصيم سنة ١٩٠٦ وأخضع ملك المنطقة منذ ذلك الحين.

في سنة ١٩١٠ تقدم عبد الله نجل ملك الحجاز الحالي نحو القصيم، لكنه لم

يجد تعاوناً من ابن الرشيد، الذي تصالح أخيراً مع ابن سعود فانسحب إلى مكة مشترطاً أن تقدم بلدان القصيم المهمة إلى خزانة مكة مبلغ ٤٠٠٠ جنيه سنوياً، وأن تكون حرة في اختيار حكامها بدون تدخل من جانب ابن سعود. ولما كان ابن سعود آنذاك قليل الموارد فقد أرغم على قبول هذه الشروط.

في سنة ١٩١٣ أعطت حرب البلقان والاختلافات الداخلية في أسرة ابن الرشيد فرصة جديدة لابن سعود لكنه، بدلاً من التقدم إلى القصيم، أخذ بحكمة يزيد موارده الدائمة بضم مقاطعة الأحساء التركية التي تقع على طول الخليج (العربي) إلى ممتلكاته. وقد استطاع إنجاز هذا المشروع بالنظر إلى تأييد بريطانية.

في سنة ١٩١٤ اجتمع (ابن سعود) بممثلين اثنين لحكومة الهند ودعا وكيلاً بريطانياً إلى بلاده، ثم أسرع بعد نشوب الحرب الحاضرة إلى إعلان ولائه لنا ضد الأتراك.

في أوائل سنة ١٩١٥ تقدم ابن الرشيد بتحريض من الأتراك إلى بلاد ابن سعود، شمال شرقيّ الرياض، ونشبت معركة كبيرة قتل فيها الوكيل البريطاني[١]. وفي خريف ١٩١٥ أرسل ملك الحجاز، وهو آنذاك شريف مكة، (ابنه) عبد الله مع قوة كبيرة للوساطة بين الأميرين آنئذ، وفي الوقت نفسه لتنفيذ المادة المالية من اتفاق ١٩١٠ السابق ذكره.

يطمح ابن سعود بطبيعة الحال إلى استعادة حائل التي كانت تشكل جزءاً من ممتلكات آبائه، والتي لم تستقلّ إلاّ في سنة ١٨٤٧. تشغل حائل موقعاً ذا أهمية جغرافية كمركز للطرق المتشعبة التي يمرّ بها تيار القوافل في ذهابها عادة كل سنة إلى دمشق تحت زعامة العقيلات الذين يقع مركزهم في القصيم.

وفي الوقت نفسه تطمح قوة عربية ثالثة أن تسيطر على حائل، تمثلها أسرة الشعلان، الرئيس الأكبر للرولة، الذي تمتد منطقته من الجانب الشرقي لجبل الدروز جنوباً إلى واحة الجوف. وهذه الواحة المهمة كانت لمدة نصف قرن جزءاً من ممتلكات ابن الرشيد، لكن استولى عليها منه نوري الشعلان سنة ١٩١١ وأصبحت مقرّه منذ ذلك الحين.

---

(١) الإشارة إلى معركة «جراب» التي قتل فيها الكابتن شكسبير.

لا يزال ابن الرشيد يحتفظ بممتلكاته في الواحة المهمة غربيّ حائل، وتدعى تيماء، التي تقع جغرافياً على حدود الحجاز. ولا شك أن ملك الحجاز وابن سعود والشعلان كلهم يريدون الحصول على حائل.

وتذكر كلمة أخيرة عن الأشخاص:

ابن الرشيد شاب عمره ٢٥ سنة وليست له قوة أخلاقية كبيرة.

نوري الشعلان شيخ في السبعين من عمره، ولكن له ولداً (نواف)، وهو رجل فعّال وقدير في الأربعين من عمره.

ابن سعود مثل طيب من العرب في نحو الثالثة والأربعين، ذو مطامح عظيمة، ومن الواضح أنه حريص على زيادة موارده ونفوذه بكل وسيلة تقع في يده. وهو يبذل جهوده لإحياء الوهابية بإنشاء مدارس دينية (الإخوان) من النوع العربي البروتستاني (كذا) البارز.

(التوقيع) الكابتن و. أورمزبي غور
١٩١٨/١/١٧

FO 371/3389 (113716)

(٢٣٥)
(كتاب)
من عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود
إلى الشريف حسين

رجب ١٣٣٦
(نيسان/أبريل ١٩١٨)

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى الشهم الهمام سليل الدوحة النبوية الطاهرة الأمير الجليل والعون الكريم سيدنا وأبينا، عظمة الشريف حسين بن علي، أمير مكة وشريفها حفظه الله ومتعه

بكلّ خير آمين.

تحيات خاصة لشخصكم الكريم. أكتب هذا مستفسراً عن صحتكم. أما حالتنا، فهي ولله الحمد جيدة، وتسرّكم من جميع النواحي. ولم يحدث ما يستحق الذكر. تسلمت رسالتكم الكريمة بكل احترام، وفهمت ما جاء فيها. وفيما يتعلّق بتحريضنا على الأصدقاء وأبناء عمومتهم، أعتقد أن معلومات خاطئة قد وصلتكم عنها. ومعظم الناس يقولون الحق وهم ينوون إظهار الأمور باطلة «وإذا كان المتكلّم جاهلاً فإن المستمع قد لا يكذب».

كيف نستطيع أن نمنع أنفسنا عن أداء واجباتنا، وكيف يمكن أن نأمر خمسة من البدو ونقول لهم أن يفعلوا كذا وكذا.. وهذا أمر يجب أن تعرفوه وتقدّروه، لأنه ليس في صالح ديننا ولا سياستنا. وقد أخبرتكم عن القضية الأصلية بواسطة مندوبكم «بوقران» وأعلمتكم بكل ما حدث لئلا تقع أمور لا نريدها.

وقد استمرّ الأشرار في شرورهم إلى أن أخذوا أطفال أبناء عمهم واعتدوا على الحقوق المشروعة، وقتلوهم. وإنني بحمد الله لست ضعيفاً، والكل تحت إمرتي وفي يدي، وباستطاعتي أن أعالج أمرهم جيداً، واستحصال حقوقي منهم. وإنني والله لم أتركهم وشأنهم إلاّ لسببين: أولاً، خفت أن أساعدهم لأن ذلك قد يفقدهم حقوقهم تجاه الغامدي وأمثاله. وسيقول الناس إن ابن سعود ينوي شيئاً ضد الغامدي. ثانياً: إنني لا أريد الإخلال بالسلام بين العرب مهما كلّف الأمر، لأن السلم والأمن ضمانة للعرب وإبعاد للضعف. هنا ابن شليويح والخماس يتقاتلون منذ ثلاث سنوات ولم يقل أحد شيئاً عنهما، ولكن كليهما خبيثان ومن أعوان الشيطان الذي تخيبه أعماله. فهم يوماً أشرار يزهقون الأرواح وينهبون الأموال والممتلكات ويعيثون في الأرض فساداً. وهم في يوم آخر يتركون الشر ويولّون وجوههم إلى الله ويطيعون أوامره وأوامر رسوله ﷺ.

أنت تعلم أنني لا أتوقع منهم جزاء ولا شكوراً. ولكن من يأتيني قائلاً إنه يطيع الله فإنني مستعد للتضحية بمالي وبنفسي لأجله. ومن جهة أخرى أنت تقدر أن الله أوكل إليّ حكم نجد، وامتحنني بأن ابتلاني بالمصائب وبالناس. ولكن الله نجّاني منهم وساعدني ضد كل وغد وشرير من العرب وغيرهم. وليس هنالك من هو ضدي، ولكن قد يكون هنالك جاهل يقول ضدي أشياء أكثر مما يقول ضدك. وإننا نبتعد عن كل من لا يطيع الله ورسوله، ومن وصف أحداً بالكفر فعليه أن

يثبت هذا وإلاّ كان هو الكافر. وكافر أيضاً من يعصي أمر الله.

ولكنني أرى الناس غير محقين نوعاً ما، فما هو عدد الأديان الموجودة: المسيحية، اليهودية، الصابئية، الوثنية، المجوسية... إذ لم يشتم أي من هذه الأديان إلاّ «الوهابية» (إنهم يجبرونهم على الإيمان بالله تعالى).

إنك تثور وتلتفت إلى أقوال بدوي جاهل أحمق ينقل أقوالاً زائفة.

إن علماءنا، ونحن، لا سمح الله، لا نعدّ كافراً من لم يجعله الله كذلك، نعمد إن من قال عنه الله ورسوله إنه كافر فنحن نعده كافراً، ومن قيل إنه مؤمن فنحن نعده مؤمناً، ومن قيل إنه مسلم فنحن نقول إنه مسلم. وهذه، حفظك الله، ليست قضية حق من حقوق الملكية التي نستطيع أن نتصرف فيها حسب أهوائنا.

إذا كان الأمر يصعب عليكم حله فهنا كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ، وأقوال صحابته وآله وأتباعه في الطريق القويم إلى يوم الدين.

إنك في هذه الأيام بمكان الأب. علماء مكة يشيرون إلى علماء نجد ويبحثون في الشؤون الدينية لوجه الله، وأنت وأنا بإذن الله قد نكون على صواب، وستسند بعضنا بعضاً بوجه الباطل. ولكننا، أبقاك الله، نريد أن ننظر في الأمر باختصار.

إذا كان أهل الحجاز، بخاصة أهل مكة، قد اعتبروا «الوهابيين» كفرة، وقالوا هذا علناً، ولعامة الناس، وإذا كانوا أيضاً قد أعلنوا هذا في بيت الله على منبر الوعظ والخطابة، فإننا لم نثر، بل قلنا (لا حول ولا قوة إلاّ بالله) وإذا اعتبرونا مخطئين، وكان الخطأ منا، فإننا لا نقول سوى (حسبنا الله ونعم الوكيل)، ولنا أسوة حسنة بالأمين العادل ﷺ، إنه عدّ كاذباً، وعومل بالطريقة التي يعرفها كل فرد، وسمّي ساحراً ومشعوذاً.. إلخ. ولكن هنالك، أطال الله عمرك، طريقتين لمعالجة هذا الأمر. أما بحث هذه الأمور الدينية، فعلينا أن نتبع الحق في أي جهة كانت، وإلاّ فإننا، نحن وأنتم، سنكون مجبرين على اتباع ما حصل بين هذه الأمم والمذاهب صواباً كان ذلك أم خطأً.

ومن جهة أخرى فإننا سنتعامل بصورة ودية في أمور دنيانا معتبرين بمصالح

الناس، وفضح كل تقليد باطل، لتستريح النفوس، وتتضامن القلوب، وتنتصر على العدوّ.

أما فيما يتعلّق بقضية العتيبة مع أبناء عمومتهم فقد لاحقتهم وخيّرتهم بين أربعة أمور: إما أن يأتوا إلى أي واحد من العلماء الذين يختارونهم في نجد ويصغوا إلى ما يحكم به، وينفذوا ذلك بضمانتي ـ أو أن يجلبوا خصومهم، ويوافقوا على أن أصالحهم بنفسي، وسأحرم من ثروتي. أما النقطتان الأخريان فهما: إن من يدّعي أنه في خدمة الشريف وتحت أمره، فيجب أن ينال حقه إذا أخذ منه بلا وجه حق وإذا كان الشخص على حدود الشريف، والأمر عندئذ بين الشريف وبيننا. ولكن على من يسافر عبر نجد أن يكون حذراً، وإذا حدث وأن انتهك فإنه سيعامل بصورة عادلة بهذا القانون الديني. أنت تعلم أننا لا نحكم قط (لا لأنفسنا ولا لرعايانا) إلاّ بأمر الله ورسوله. إضافة إلى ذلك، فقد اقترحت سابقاً القيام بأحد أمور ثلاثة: الأول أن لا تعير أي اهتمام لما تسمعه من بعيد أو قريب، لأنك ستفهم أن الخير وعكسه متساويان للعربي وغيره. الثاني: أنك ستعلم حقاً أنني لا أطمع بأي شيء هو تحت حكمك، لا البلد ولا الناس، وإنك لكذلك أيضاً. الثالث أن القضية بيننا ليست معروفة. إنني أجد شيئاً حسناً فيك إذا كتبت إليّ كتاباً، ولكنك تكتب الشيء نفسه للسفلة والأشرار. وستجد أن ما أرسل إليّ أنه أيضاً يماثل نفس الرسالة التي كتبتها إلى ابن معمر بأن يحذر أهل القصيم والوشم، وهذا مخالف للحكمة والدين. وإذا كان هنالك أي غضب فالنقاش والتشاور في هذا هو بيني وبينك، ولا علاقة للناس، كبارهم وصغارهم، بهذا. وإذا كانت هنالك نية لإيذائي، فإن الرعايا يجب أن لا يصابوا بأذى، وعلى الحاكم أن يدافع عن رعاياه. إن شعب نجد ضعيف، وهم بيد الله، وتحت أمري. إنهم لا يستطيعون أن يفعلوا شيئاً لأنفسهم، أو يديروا أمورهم بدون هذه الوسائل. والجريمة التي عزوتها إليهم مستحيلة، ولا أساس لها. وإنني لا أقول إن أهل نجد لا يرغبون أن يذهبوا ويصرفوا نفوذهم في كل بلد، ولكنهم يخافون منا، ونحن مجبرون على منعهم بسبب مصالحنا من وجهتين: الأولى هي أن هؤلاء الناس الذين تقول إنهم يساعدون الأتراك، أو إن آل الرشيد هم أعداء لنا ولآبائنا وأجدادنا، قبل أن يصبحوا أعداء للبريطانيين أو لك. ومن هذه الجهة إننا لا نوافق على مساعدتهم أو على الاستفادة منهم. والحقيقة التي يعرفها جيداً العاقل والجاهل، ولا يفكّر أحد قط أننا نفعل العكس. والثانية أننا على اتفاق مع بريطانية العظمى،

فكيف إذن نستطيع أن نقبل القيام بعكس ذلك. يجب أن ننظر في الأمور بدقة مع مراعاة إلى مصالحنا، ومصالح رعايانا، ونضع الأمور في نصابها الصحيح.

أؤمل أنك ستفهم كل شيء إنشاء الله، والواقع أنني كتبت كثيراً وأطلت الرسالة، ولكنني مضطر أن أفعل ما لا بد منه.

إنك ستقدر إنشاء الله وتصدق، وتتأكد، من أننا معكم ضد أعدائكم، إلاّ إذا اضطررتمونا إلى القيام بما لا بد منه. وهذا لمعلوماتكم حفظكم الله.

أمير نجد والأحساء والقطيف ورئيس عشائرها
عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود
(مؤرخ في رابغ ١٣٣٦)
ملاحظة: الترجمة رديئة في بعض المواطن[1].

FO 686/39

(٢٣٦)

(كتاب)

من الملك حسين إلى عبدالعزيز بن سعود

التاريخ: ٧ أيار/ مايو ١٩١٨

سري

جواباً على كتابه المؤرخ في رجب ١٣٣٦.

من الحسين بن علي إلى الشهم الهمام الزعيم الكريم الفذ الأمير عبدالعزيز بن عبد الرحمن الفيصل.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

تسلّمت رسالتك المؤرّخة في (؟) رجب ١٣٣٦ ولم أفهم السبب لغضبك علينا

(١) المقصود ترجمة الكتاب من الأصل العربي إلى الإنكليزية. وعن تلك الترجمة أعيدت ترجمة هذا الكتاب إلى العربية.

وغيظك منّا كما يبدو من رسالتك، عدا ما قلته لك في رسالتي السابقة التي أرسلت صورتها إلى العتيبة. هذا أمر لا تستطيع إنكاره، يا ابن عبدالرحمن.

لقد سلّحتهم وتركتهم يذهبون عند عتيبة. وفي وسعي أن أقول لك بصراحة علناً إنك والشيوخ مسؤولون عن الدم الذي أُريق ويراق ولا نستطيع أن نجد لذلك عذراً. أنت وهم تعلمون جميعاً صحة كلامي هذا وأنها ستقع عليكم، إن شاء الله، لأنكم تعلمون أنكم ولا ريب فيكم سواء في داخل البلاد أو خارجها لتبرير منح السلاح على هذا الوجه. إن الحالة تدل على أمان بلادكم وسلامتها في كل هذه السنين من كل سوء. إن خير العرب ومصالح بلادهم تجبرني أن أضمن هذه السلامة.

أيها الأمير إذا تذكرت وفكّرت في نزول عبد الله إلى الشعرا بعد هزيمة جراب، ومغادرتك نجداً إلى الأحساء ووضعك ابنك هناك حتى يستطيع ابن الرشيد العودة إلى بلده، والاستيلاء على الأعلام مع كل أسلاب جراب، حين جلبتها شمّر وعرضتها في أسواق المدينة ضد رغباتهم ورغبة الأتراك، فإنك سوف ترى صحة ما ذكرته.

إن نوايانا ورغباتنا بشأنك وشأن بلادك قد تظهر لك. أما بخصوص سؤالك بأننا، لا سمح الله تكلمنا ضد أهالي نجد من منابر مكة، فإن لطف الله يمنعنا ولا يسمح لنا بعمل ذلك أو أقل من ذلك ضد أي شخص أو فرقة من المسلمين، لأننا لسنا جاهلين بالنتيجة الدينية لهذه الأعمال. إن الصلاة التي تقال على منابر مكة معلومة لدى كل الناس في الشرق والغرب، وهي: «فليمحق الله الكافرين» (الذين لا يؤمنون بالله) و«الرافضة» و«المبتدعة» (الذين يبتدعون مذاهب جديدة) و«المشركين».

هذه صلاة منابرنا، ونحن في ذلك بفضل الله ورحمته، لا نشك، حاشا لله، في أية من الشرائع التي علينا أن نبحث فيها ونراجعها كما تشاء.

إن رسائل عتيبة إليك التي أرسلتها، ورسالتي التي أرسلت صورتها إليهم، وسائر الرسائل التي أشرت إليها، لا أعتقد بأنها تستحق المناقشة، عدا أن عتيبة وغيرهم هم في حماية الله وتحت رعايتي حيثما كانوا ومهما يكونوا ـ إخواناً أو رعايا. وهذا لن يتبدل على مدى الزمن ـ أياماً وسنين.

أنت، يا أبا تركي، لن تجد مثقال ذرة مما قد حدث منّا ضدّ كرامتك وشرفك

كل هذه السنين. كل رسائلك، يا ابن عبدالرحمن، من تاريخ رجوعك من الأحساء بعد حروبك مع العجمان حول طلباتك التي ساعدنا الله على إرسالها إليك، كلها موجودة لديّ. الحمد لله وله الشكر. يا عبدالعزيز، إننا لسنا كالذين يعضون ظهورهم، لسنا نفهم سبباً لثورات أهل الفروث(؟) ضدنا وقتلهم العميدي، سوف تعلم أن قتال عنيزة وبريدة وسائر الحضر في جراب يعود إلى ابن الرشيد، وليس جديراً برجل مثلك ولا يحسن بك. لكن كل ما في ذهنك، أيها الأخ الأنور، لك أن تبديه ولن يمنعك أحد من أي سوء تريد عمله. قرّر في ذهنك واعمل كما تشاء.

أنا أعلم كل شيء عن أمر خالد بن لؤي والآخرين. ليست الحيل جديرة بك. في وسعك أن تقرر وأن تعمل كل ما تراه صالحاً. هدانا الله إلى ضياء العقل.

٢٦/٧/١٣٣٦ (٧/٥/١٩١٨)

صورة إلى: الكرنل سايمس

الكرنل ويلسن والدائرة السياسية، بغداد.

FO 371/3381

(٢٣٧)
(كتاب)
من الملك حسين
إلى المندوب السامي البريطاني في القاهرة

الرقم: مكة ٢٦ شعبان ١٣٣٦
٥ حزيران/ يونيو ١٩١٨

تحيات واحترامات

لقد سبق لي أن أعربت لفخامتكم عن استعدادي لغض النظر عن الأحداث التي تقع، وتستحق غض النظر عنها، وكذلك لبذل أقصى جهدي لتكييف نفسي مع

الظروف الحالية حتى تنقضي الأزمة، كما أعربت عن الشيء نفسه للمعتمد البريطاني في جدة. وقد أخبرت فخامتكم أيضاً أنني أعتبر أعمال الأمير ابن سعود داخلة في هذا التصنيف، أي تلك الأحداث التي يجب الإغضاء عنها. ومع ذلك، فإنه ذهب إلى الحد الذي أصبحت معه الآن تؤثر في عملياتنا العسكرية ـ كما سيظهر لفخامتكم من المراسلات التي بعثت بها إلى الوكالة في جدة. إنه ينكر كون المواد الغذائية تهرّب إلى المدينة وحائل، على الرغم من أن الموظفين الذين يفترض أنهم يقومون بالمراقبة قد اعتقلوا عدة قوافل، وهي حقيقة معروفة جداً للوكالة في جدة. وكانت إحدى القوافل المذكورة برئاسة إبراهيم البسّام الذي كان في البصرة وهرب حينما أمر الموظفون بتعقيب القافلة واعتقالها، والتجأ إلى حائل. إن التجاءه إلى حائل يظهر أنها تتجمع ضدنا، ومع الأتراك. أما كون أيّ النهجين هو الأكثر حكمة والأوجب اتباعه، فإنني أترك اتخاذ القرار فيه إلى حكومة جلالته وأود أن أعرف رأيها في ذلك.

لقد أرسلت الورقة إلى المعتمد البريطاني في جدة. وكذلك كلمت الوكالة شفهياً حولها، وذلك لأنني أقصد أن الأمر يجب أن يثار مع ابن سعود، بل لمجرد جلب انتباه حكومة جلالته. وإنني لن أثير المشاكل لأن هذا مخالف لمبادئي، وكذلك لأنني أعتقد أن القيام بذلك سيكون عملاً دنيئاً. وقد أخبرني المعتمد البريطاني أن غض النظر عن هذه المسألة سيكون أكثر حكمة. وعلى أي حال فالتأثير سيكون عاماً، كما أنه سيؤدي إلى عرقلة الخطوات التي نتخذها للتوفيق بين أعمالنا والظروف الراهنة. وليس ذلك وحده، بل إنه سيؤثر حتى في الاتفاقات الرئيسية المعقودة مع الحكومة البريطانية، والتي تحفظ سجلاتها في خزانتكم، وهي تتعلق بحركتي الاستقلالية، وحدود البلاد التي تجعلني عظيم الامتنان للأعمال النبيلة للحكومة البريطانية، وكذلك لجهود فخامتك للحفاظ على مكانتي وقدري في أعين المسلمين والعالم بصورة عامة.

ولذلك يصعب على صديقك المخلص أن يرى الثمرة الوحيدة التي سيكسبها في حياته معرَّضة للخطر. ويضاف إلى ذلك، ما نشرته جريدة (المستقبل) التي تصدر في باريس في عددها ١٠١، ومهما فسرنا كيفية نشر مثل هذا الأمر، فإنني أعتقد أنه كان بالإمكان تفادي ذلك. ونظراً لأن حكومة جلالته كانت منذ مدة طويلة تخاطبني كملك الحجاز، فإنه سيجعل الأمر أكثر خطورة، إلاّ إذا نشرت الحكومة البريطانية نفياً لما يتعلق بها من المقالة المذكورة. وإلاّ ـ فكما يقول الناس ـ فلماذا

تنفق الحكومة البريطانية هذه النفقات الضخمة، ولماذا يتحمل صديقكم المخلص عبئاً ثقيلاً كهذا.

إن المعونة البريطانية، وهي المعونة التي يفترض أن النتائج المطلوبة ستأتي بنتيجتها، يجب أن لا تقتصر على إنفاق ملايين الجنيهات، بل يجب أن تمتد أيضاً إلى الجانب المعنوي، أي اتخاذ الخطوات لمنع التردد في الاعتقاد بما أعلنه، لأن مثل هذه البيانات ستثير المشاعر العامة في هذا الاتجاه نفسه. إنني حينما عقدت اتفاقاتي مع الحكومة البريطانية لم أفعل ذلك لمنفعتي الشخصية ولا لتحقيق ميراث لأبنائي. ولذلك وما لم يتم ذلك، فإن أول ما سيكون باعثاً على حزني هو أن الملايين العديدة تكون قد أنفقت عبثاً، وكذلك تلك التي ستنفق، وإنني لن أكون قادراً على تسديد ما أدين به لبريطانية العظمى، وإن العار الذي سأشعر به بسبب فشلي سيكون كارثة عظيمة لي، هذا إضافة إلى الهجوم الذي وجّه إليّ من وجهة النظر الدينية في المقالة المشار إليها. إن أثر ما نشر ونتيجته ستظهر لفخامتكم من الرسالة التي كتبها ابن الرشيد إلى أنصاره، والتي أبلغتها إلى الوكالة في جدة، وفيها يقول تكراراً «إنني حافظت على دياناتي». وقد أبلغت فخامتكم قبل هذا مرتين عن تأثير هذا عليّ شخصياً. إن بريطانية العظمى ستصبح أكثر ثقة وأقوى اعتقاداً بصداقتي الحقيقية لها وتمسكي بها حينما تسمع بالنتيجة التي أسعى إليها للحيلولة دون إحداث الاضطرابات، واتهامي أنني مصدر الخلافات الشخصية.

وفقكم الله.

المخلص

(موقع) حسين

FO 371/3389

(٢٣٨)

(كتاب)

من الجنرال السير ريجنالد وينغيت ـ المندوب السامي في القاهرة إلى المستر آرثر جيمس بلفور ـ وزير الخارجية

المقيمية

الرملة

الرقم: ١٠٩ التاريخ: ٧ حزيران/يونيو ١٩١٨

(٥١٧٢)

سيدي،

أتشرّف بإبلاغكم أنه خلال مقابلة أجراها الكرنل ويلسن في الشهر الماضي مع ملك الحجاز، أشار الأخير بشيء من الإسهاب إلى علاقاته مع أمير نجد. وقد افتتح الموضوع بأن أبرز كتاباً كان قد تسلمه من الأمير، ولفت انتباه الكرنل ويلسن إلى مقطع أنكر فيه ابن سعود تغاضيه عن عمليات التهريب مع الأتراك. وبطيه ترجمة للكتاب، ثم أطلعَ الكرنل ويلسن على كتاب من أحد الشيوخ يعطي فيه تفاصيل عن قافلة ألقى القبض عليها رجال العشائر المنتمية إلى الشريف وهي في طريقها من حائل إلى المدينة؛ وثبت اعتقاده أن تأكيدات ابن سعود لم تكن صادقة. ذكر أن ابن سعود يجبي الزكاة من رجال عشائر عتيبة الذين هم من رعايا الحجاز، وقال إن الوضع السياسي الراهن في مناطق نجد والقصيم والكويت، حسب معلوماته، سيء جداً. وقال إنه، لعلمه التام بأن ابن سعود هو حليفنا، تحاشى كل سبب للاحتكاك، وسأل الكرنل ويلسن أن يصرِّح بصورة قاطعة فيما إذا كانت حكومة صاحب الجلالة [البريطانية] ترغب في أن يحافظ تجاه أمير نجد على موقفه غير الملتزم، والودي، من أمير نجد.

أجاب الكرنل ويلسن إن هذه كانت رغبتنا فعلاً، وإننا نرغب في تأجيل تسوية القضايا المختلف عليها إلى ما بعد الإطاحة نهائياً بالسيطرة التركية على البلاد

العربية، ومشاهدة التماسك بين كبار رؤساء العرب، وقد تحقق أخيراً.

صرح الملك بأسلوب فيه تأكيد شديد، أنه سيلتزم بكل إخلاص، بسياسة حكومة جلالته هذه.

ولما سئل عن حادثة الخرمة (أنظر برقيتي المرقمة ٥١٥ المؤرخة في ٢٥ أيار/ مايو) أوضح الملك أن شيخ الخرمة (وهو أحد الأشراف) قد تحول وهابياً، وشجب حكم الملك حسين، وبذلك أحدث انشقاقاً بين السكان. وعلى أثر ذلك زار مكة وفد من الحزب الشريفي المحلي طالباً العون والحماية. فأوعز إليهم الملك أن يفصلوا أنفسهم مع عوائلهم وجماعتهم عن «متمردي» الخرمة، وكذلك أرسل قوة صغيرة لضبط الأمن في المنطقة وتوفير سلامة الموالين. وكان الموالون خلال ذاك، وقبل وصول قوات الشريف، قد طردوا شيخ الخرمة، وأطلقوا سراح اثنين من رسل الملك كان قد سجنهم. وعزا الملك الحادثة كلها إلى النفوذ الوهابي الخبيث.

إن تحيز الملك حسين القوي ضد أمير نجد واضح بدرجة جعلتنا حتى الآن لا نأخذ بمزاعمه ضد حسن نية الأمير. وفي الوقت نفسه ليس هنالك سبب للافتراض بأن الملك وجه هذه المزاعم وكررها وهو يعلم أنها ليست صحيحة. وإن معلوماتنا الأخيرة بشأن الحركة المتزايدة لمرور القوافل بين الكويت وسورية (أنظر برقيتي المرقمة ٩١٠ والمؤرخة في ٦ حزيران/يونيو) والتقرير التفصيلي الوارد من عدن حول اتفاقية بين ابن سعود والأتراك بشأن افتتاح المواصلات مع اليمن، تجعل من المستحسن الشروع في تحقيق دقيق من العراق حول فعاليات ابن سعود السياسية والتجارية الحالية.

سترسل نسخ من هذا التقرير إلى سيملا وبغداد.

وأتشرف. . . إلخ.

ريجنالد وينغيت

FO 371/3389

(٢٣٩)

(برقية)

من السير ريجنالد وينغيت
المندوب السامي في القاهرة
إلى وزارة الخارجية

الرقم: ١٠٥٠ التاريخ: ٩ تموز/يوليو ١٩١٨

العلاقات بين الملك حسين وابن سعود تتوتر بصورة متزايدة وقد تؤدي إلى نشوب اقتتال بين أتباعهما أو حتى إلى قطيعة سافرة. وليس من الممكن تقدير نقاط الخلاف بينهما بدقة، ولكنني أعتقد أن توجيه تحذير لا تحيّز فيه ضد الاستفزاز إلى كل منهما، سيكون مفيداً. وإنني أقترح، إذا وافقتم، إبلاغ الرسالة التالية بصورة رسمية من القاهرة وبغداد إلى الملك حسين وابن سعود (على التوالي):

«إن حكومة جلالته تلاحظ بأسف المشاعر غير الودية بين الملك حسين والأمير ابن سعود كما ظهرت في مراسلاتهما، وتعتبر ذلك مضراً بمصالحهما وبالقضية العربية. إن حكومة جلالته تنظر بعدم الارتياح الشديد إلى أي إجراء من جانب أحد الطرفين أو اتباعهما، يهيج الوضع أو يستفز على العدوان».

فإذا وافقتم، فسأبلغ الملك حسين حالاً بما جاء أعلاه، مع إعلامه بأن بغداد ستوجه تحذيراً مماثلاً إلى ابن سعود.

إنني بسبيل إصدار التعليمات إلى الكرنل ويلسن لمحاولة إقناع الملك حسين باستدعاء الأمير عبد الله إلى مكة، وعبد الله قادر على مساعدة الملك الذي هو في حالة عصبية، وسيكون على صلة أوثق بنا في مكة.

FO 371/3389 (121208)

(٢٤٠)

(برقية)

من السير ريجنالد وينغيت ـ القاهرة
إلى وزارة الخارجية ـ لندن

الرقم: ١٠٥٥ التاريخ: ٩ تموز/يوليو ١٩١٨

برقيتي المرقمة ١٠٥٠.

قدم لي الكرنل ويلسن تقريراً غير مرضٍ إلى حد كبير عن الوضع في الحجاز.

إن العمليات الحربية المحلية ضد الأتراك لا تسير على ما يرام، ومن الضروري إعادة تنظيم وتوزيع المجندين الشريفيين، وإذا أمكن الحصول على موافقة الملك حسين على ذلك لتحسنت الأمور.

ليس هنالك ما يدعو إلى الشك في ولاء الملك لتحالفه معنا: ولكنه في حالة عصبية ومتعب، وبالتالي صعب التعاون معه.

إن ذهنه منشغل بقضية ابن سعود، ولهجة مراسلاتهما الأخيرة قارصة جداً.

هنالك نقاط عديدة تختلف عليها بينهما ولكن الأساس الحقيقي للخلاف هو أن الملك يعتبر ابن سعود المعارض الرئيسي لسيادته الشخصية ومشروعه لتوحيد الجزيرة العربية. وقد تضاعف قلقه بسبب عدم تأكده من مدى استعدادنا لأن ندعم دبلوماسياً وجهات نظره تجاه ابن سعود ورؤساء العرب الآخرين (أنظر تقريري المؤرخ في ٧ أيار/مايو).

إن حالته الذهنية الراهنة قد تؤدي به إلى انهيار عصبي أو القيام بشيء ما، وإلى هذا السبب جزئياً يعود اقتراحنا عليه استدعاء عبد الله إلى مكة.

وفي هذه الأثناء، وإلى أن نكون قادرين على إصدار تصريح أكثر تأكيداً بشأن سياستنا تجاه مستقبل الجزيرة العربية، فلا يسعنا إلاً أن نتخذ موقفاً مهدئاً، ونحث جميع الأطراف أن يضعوا خلافاتهم المحلية جانباً حتى يتم دحر تركية.

أؤمل أن الخطوات تتخذ لاستكمال الذهب المخزون في مصر (أنظر برقيتي

١٠٣١ بتاريخ ٣ تموز/يوليو) لأن عدم إرسال معونة شهر آب/أغسطس في نهاية تموز/يوليو سيؤثر في الوضع بصورة خطيرة، ويؤدي إلى توقف الفعاليات العسكرية العربية فوراً.

FO 371/3390

(٢٤١)

(برقية)

من السير ريجنالد وينغيت ـ القاهرة
إلى وزارة الخارجية ـ لندن

الرقم: ١٢٥٤ التاريخ: ٢٢ آب/أغسطس ١٩١٨

أعلمتني بغداد عن رسالتين مؤرختين في ١٣ تموز/يوليو كتبهما الأمير عبد الله إلى اثنين من شيوخ عتيبة أرسلتا مع كتاب إلى ابن سعود.

هاتان الرسالتان غير وديتين تجاه ابن سعود وتقترحان تحشيد رجال من عتيبة وغيرهم من العشائر في آبار شدهوب التي تقع على مسيرة يوم واحد شرقي الخرمة، حيث سيتوجه عبد الله للالتحاق بهم. إن مبادرة عبد الله مؤسفة جداً، وأعتقد أنها اتخذت بدون الرجوع إلى الملك حسين. وقد أبلغت الأخير بما جاء أعلاه، وطلبت إليه أن يوعز على الفور وبصورة مستعجلة إلى الأمير شاكر بعدم القيام بأي عمل اعتدائي شرقي الخرمة وإلى عبد الله بأن يقصر نشاطه على قتال الأتراك.

بعثة نجد

(٢٤٢)

(تقرير)

عن عمليات بعثة نجد
من ٢٩ تشرين الأول/ أكتوبر ١٩١٧
إلى ١ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩١٨
كتبه سنت جون فيلبي رئيس بعثة نجد

خلاصة المحتويات

الفقرة

L/P&S/10/390

إلى - اللفتنانت كرنل أي. تي. ويلسن
القائم بأعمال المفوض المدني للمناطق المحتلة في العراق

الرقم: ٢١٨ التاريخ: ١٢ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩١٨

سيدي،

أتشرف بتقديم تقرير عن عمليات البعثة التي كان لي شرف رئاستها إلى وسط الجزيرة العربية للتعامل مع سعادة الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل آل سعود (K.C.I.E) حاكم نجد وملحقاته، في أمور معينة ذات أهمية متبادلة، بالنسبة له وللحكومة البريطانية، وذلك عملاً بتعليمات حكومة جلالته المبلّغة إلى السير برسي كوكس ببرقية وزير الهند المؤرخة في ٢٠ تشرين الأول/ أكتوبر ١٩١٧.

إن تقريري يغطي فترة سنة تقويمية كاملة تقريباً، تبتدىء بمغادرة البعثة بغداد في ٢٩ تشرين الأول/ أكتوبر ١٩١٧، وتنتهي في أول تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩١٨، يوم وصلت بغداد عائداً من وسط الجزيرة العربية لدى انتهاء عمليات البعثة.

وقد وجدت من الأفضل التخلي عن محاولة عرض أعمال البعثة بالتسلسل

التاريخي، مفضلاً مناقشة كاملة ومستقلة للمشاكل المختلفة التي استوجبت النظر فيها خلال الفترة التي يغطيها التقرير. إضافة إلى ذلك، منعتني اعتبارات حجم التقرير من أن أدخل في هذا العرض أي وصف تفصيلي لرحلاتي في الجزيرة العربية، أو للنتائج الجغرافية أو العرضية الأخرى التي حصلنا عليها خلالها، إلاّ بمقدار ما كان ضرورياً لإيضاح الأمور التي كانت البعثة معنية بها بصورة مباشرة. وقد سبق لي أن كتبت أوصافاً مختصرة لبعض رحلاتي لتنشر في «النشرة العربية»، وإنني لأتطلع إلى فترة راحة وفراغ لكي أعدّ للنشر أكداس الملاحظات التي جمعتها عن موضوعات مختلفة مثيرة للاهتمام خلال إقامتي الطويلة في الجزيرة العربية.

٢ ـ العلاقات السابقة بين بريطانية ونجد

لم تكن هنالك قبل نشوب الحرب العظمى اتصالات كثيرة بين السلطات البريطانية وحكام نجد، وذلك لأسباب واضحة. ففضلاً عن عدم ترحيب الشعب نفسه، بسبب تعصبه وانطوائه على نفسه، فإن الصداقة القائمة منذ زمن طويل بين بريطانية وتركية حالت دون أي نوع من الاعتراف السياسي من جانب بريطانية بتلك المنطقة الثائرة والمستقلة في تركية.

والواقع أن المناسبة الأولى التي قام فيها موظف بريطاني بزيارة نجد بصفة رسمية تمت قبل ٩٩ عاماً، حينما اجتاز الملازم سادلير، موفداً من حكومة الهند، المناطق المدمرة للإمبراطورية الوهابية، ليقدم إلى من قام بتدميرها تهاني الحكومة على ما أنجزه، وليحثّه على اتخاذ الاحتياطات الشديدة ضد إعادة إحياء السلطة الوهابية. ولحسن الحظ لم يكن إبراهيم باشا والذين يعمل نيابة عنهم ممن يقبل النصيحة الجيدة، وإذا كان هدف بعثة الملازم سادلير أصبح معروفاً في الجزيرة العربية، فإنه قد أصبح منسياً بالتأكيد عند زيارة البعثة البريطانية التالية للرياض.

كان ذلك في سنة ١٨٦٥، حينما عهد إلى الكرنل لويس بيلي (Lewis Pelly) بوصفه مقيماً سياسياً في الخليج، بمعالجة الأمور الناجمة عن القرصنة والاتجار بالرقيق على الساحل العربي من الخليج، وقد قرر بمبادرة منه أن يزور السلطان الوهابي مع بعثة صغيرة حسنة الأطلاع. وكان استقباله من جانب فيصل بن سعود ووزيره غير مشجع. وعادت البعثة البريطانية إلى الساحل وهي تدرك أنه على الرغم من أنها تعلمت الكثير، فلم ينجز غير القليل في اتجاه تأسيس علاقات ودية دائمية مع البلاط الوهابي.

وأعقب ذلك انقطاع طويل في التعامل الرسمي بين بريطانية ونجد التي كانت شؤونها خلال تلك الفترة قد تعرضت لهزة قاسية بنتيجة عدوان سلالة آل الرشيد التي ظهرت في حائل حديثاً. وقد احتل محمد بن الرشيد الرياض وجميع المناطق التابعة لها، ولجأ آل سعود إلى الكويت وإلى أماكن أخرى على الساحل حيث ظلوا في المنفى حتى سنة ١٩٠٢، وقد أعقبت وفاة محمد بن الرشيد في سنة ١٨٩٨ واستعادة الرياض والمناطق التابعة لها على يد الحاكم الحالي، فترة من التعزيز والتوحيد اتجهت خلالها مطامح ابن سعود نحو الأحساء، وجعلته الصعوبات التي واجهها مع الأتراك ينظر نظرة الود إلى الدولة التي كان قد عرف أنها حامية الكويت، ولم يجد الكابتن و. هـ. س. شكسبير، المعتمد السياسي في الكويت، صعوبة كبيرة في تأسيس علاقات صداقة شخصية مع حاكم نجد بسلسلة من الزيارات إلى منطقته، توجت برحلة عن طريق الرياض والقصيم عبر الجزيرة العربية إلى السويس في الشهور الأولى من سنة ١٩١٤، ولذلك فلما نشبت الحرب كان السبيل ممهداً لاستئناف العلاقات الرسمية بين السلطات البريطانية وابن سعود، واعتمد شكسبير لدى البلاط الوهابي. إن تاريخ عملياته، وما ترتب عليها، مدون بتفاصيل كافية حتى نهاية سنة ١٩١٦ «خلاصة عن علاقات الحكومة البريطانية وابن سعود» قدمت إلى الحكومة البريطانية صحبة مذكرة السير برسي كوكس المرقمة (٢) والمؤرخة في ١٢ كانون الثاني/يناير ١٩١٧، ولا بد لي في هذا المقام أن أقوم بأكثر من إضافة شهادتي الشخصية عن الخسارة العظيمة التي لحقت بالحكومة البريطانية بنتيجة وفاة الكابتن شكسبير. إن اسمه يذكر ويقدر بأعلى مراتب الشرف في الجزيرة العربية من جانب كل من اتصل به، ولا يخامرني شك في أنه لو كتب له أن يعيش لسقطت حائل منذ مدة طويلة، ولقام ابن سعود، بمساعدة منا على نطاق أسخى مما كان مألوفاً خلال الأيام الأولى من الحرب، في العمليات ضد العدو بدور أبرز مما كان ممكناً، أو ضرورياً له أن يقوم به.

إن إشارة إلى المذكرة المقتبس عنها أعلاه ستظهر أن موت الكابتن شكسبير في كانون الثاني/يناير ١٩١٥ في معركة جرّاب، حيث كانت قوات ابن سعود قد جُندت لأجل قضيتنا، ضد قوات ابن الرشيد التي أعلنت انحيازها إلى تركية، وحيث سارت الأمور على غير ما يرام بالنسبة لحليفنا، قد تبعته فترة من عدم الفعالية من جانب ابن سعود. ومع ذلك فقد مرت هذه الفترة بصورة نافعة في تعزيز علاقاتنا معه، وأسفرت عن معاهدة مرضية جداً بالنسبة لكلا الطرفين في

اجتماع للحكام في الكويت، حيث قلد السير برسي كوكس ابن سعود وسام فارس الإمبراطورية الهندية (K.C.I.E)، ثم في زيارة قام بها ابن سعود إلى البصرة، وأتيحت له خلالها كل فرصة ليس للاطلاع بنفسه على معدات الحرب الحديثة ونتائج الاحتلال البريطاني للبصرة فقط، بل للحصول على إضافة مستحبة لأسلحته، ومعونة مالية شهرية منتظمة تمكّنه من تجديد العمليات الفعالة ضد عدوه وعدونا ابن الرشيد.

وهكذا أسفرت سنة ١٩١٧ عن فجر أمل باهر للمستقبل، وكانت ضرورة إرسال موظف يمثله في نجد محل اهتمام جدّي من السير برسي كوكس. ولكن الفرصة لتحقيق خططه في هذا الشأن لم تسنح إلاَّ في أيار/مايو وكان المستر (الآن السير) رونالد ستورز قد وصل إلى بغداد بزيارة نيابة عن المندوب السامي في مصر، وقد تقرر، بموافقة الأخير الفورية، أن يعود إلى مصر عبر الجزيرة العربية، ويزور بطريقه ابن سعود في القصيم، لكي يوفر للسير برسي كوكس المعلومات المباشرة عن قوة ابن سعود وإمكاناته، مما هو ضروري لتمكينه من اتخاذ قراره بشأن النهج الذي يجب اتباعه لجعل العمليات في وسط الجزيرة العربية مساهمة أساسية في الفعاليات العامة لقواتنا العسكرية في ساحة الحرب مع تركية. وكان على المستر ستورز، بهذه المناسبة، أن يحاول تحقيق ما يمكن تحقيقه من تحسين العلاقات بين ملك الحجاز والحاكم الوهابي، اللذين كانت الشكوك وعدم الثقة المتبادلة بينهما تصبح ظاهرة بدرجة متزايدة.

وبعد إعداد الترتيبات الضرورية غادر المستر ستورز الكويت في ٩ حزيران/يونيو ١٩١٧ مع إحدى القوافل، ولكنه عاد إلى الكويت بعد أربعة أيام إذ أصيب في اليوم الثالث من رحلته بضربة شمس. ولم يكن بإمكانه أن يفكر في تكرار المغامرة والعودة إلى الصحراء في مثل هذا الموسم، فعاد إلى مصر بحراً.

والآن أصبح من غير العملي بصورة واضحة تجديد محاولة الاتصال بابن سعود حتى اعتدال الجوّ، واستمرت حرارة الجو، وإذا بابن سعود يتظاهر بشبه محاولة نوعاً ما لتهديد حائل من القصيم حتى حلول رمضان، حين ترك تركي، ابنه البكر، في قيادة القوات التي لم تتفرق وعاد إلى الرياض للصيام. وفي هذا الوقت أصبح الوضع في الجزيرة العربية الوسطى مبهماً بصورة متزايدة، ولم تظهر علامات لسقوط المدينة في أيدي جيش الشريف، والأتراك ما زالوا مسيطرين على سكة حديد الحجاز ويقومون بإصلاح الخلل فيها عند حدوثه، بينما كانت الصلات بين

حليفينا العربيين الرئيسيين، الشريف وابن سعود، آخذة بالتوتر والتعسّر بسرعة، وتوقف نشاط ابن سعود يعطي الشريف حججاً لاتهامه بالفتور في تعهد قضيتنا وحتى بالتزام حياد ضمني ذي طبيعة خيرية نحو ابن الرشيد والأتراك.

وفي هذه الظروف في نهاية أيلول/سبتمبر ١٩١٧ جدّد السير برسي كوكس مشروع إرسال بعثة إلى ابن سعود. وبما أنه تمّ الاتفاق عموماً على وجوب بذل مجهود جدي للقضاء على ابن الرشيد أو دفعه إلى الحياد في سبيل إمكان تسهيل عمليات الشريف وإزالة أسباب الاحتكاك القائم بينه وبين ابن سعود، فقد وافقت حكومة صاحب الجلالة على إيفاد بعثة ذات حجم أكبر مما كان في الإمكان خلال حرارة الجو السابقة. والحقيقة أنه ارتُئي أن تكون البعثة ممثلة إلى درجة كافية لجميع المصالح لكي تستطيع إنهاء الخلافات السياسية والتحاسد بين حلفائنا العرب المختلفين، وأن تكون في الوقت نفسه ذات صفة شبه عسكرية لكي تبدو المقترحات التي قد تقدمها حول المساعدة العسكرية المطلوبة من ابن سعود ذات وزن نافذ، ولكي يكون من المحتمل، في حالة تقرر القيام بعمل وإتمام تنفيذه، أن تتولى مهمة المستشار للزعماء الوهابيين.

وافقت حكومة صاحب الجلالة على إيفاد البعثة ببرقية مؤرخة في ٢٠ تشرين الأول/أكتوبر ١٩١٧، وذهبت البعثة من بغداد بعد تسعة أيام.

٣ ـ أشخاص البعثة

إن المقترحات التي قدمها السير برسي كوكس في بادىء الأمر إلى حكومة صاحب الجلالة ارتأت تشكيلاً أعظم طموحاً وأشمل تمثيلاً للبعثة مما حقّق فعلاً. كان المؤمل أن المندوب السامي في مصر وعظمة ملك الحجاز يستطيعان إرسال ممثلين للاشتراك في مداولاتها. وارتُئي أن اللفتنانت كرنل ر.ئي.آ. هاملتن، الوكيل السياسي في الكويت، الذي كان في ذلك الوقت في طريقه إلى نجد لشأن آخر، يكون قادراً على الخدمة في البعثة لتمثيل مصالح الشيخ سالم، شيخ الكويت. وكان الأمل إضافة إلى ذلك أن يكون طبيب موجوداً. وأخيراً، لما كان غرض البعثة أساساً ذا صبغة عسكرية، كان المفهوم أن ضابطاً عسكرياً مسؤولاً يوفد من جانب القائد العام لحملة العراق لفحص الوضع العسكري في جزيرة العرب الوسطى وتقديم تقريره. وختاماً كان المعتقد من الضروري، في سبيل مساعدة عمل البعثة وتسريعه، أن تلحق بها مفرزة لاسلكي صغيرة إذا وجدت.

هذا المشروع الطموح نوعاً ما، كما ذكرنا آنفاً، لم يتحقق. وقد أوفد اللفتنانت كرنل ف. كنليف أوين CMG من مدفعية الميدان الملكية) لتمثيل القائد العام، ورافقني من بغداد إلى الرياض حيث بقي، خلال مدة غيابي الطويلة في جدة والقاهرة، مسؤولاً عن عمل البعثة المحلي إلى شباط/فبراير ١٩١٨، وفي هذا التاريخ عاد إلى الساحل وذهب في إجازة قصيرة قبل استئناف واجباته العسكرية. وقد تفضل اللفتنانت كرنل ر. ئي. هاملتن، الذي كان في الرياض عند وصول البعثة، فبقي عدة أيام لإعطائي آراءه ومشورته قبل العودة إلى عمله في الكويت.

وعدا هذين الاستثناءين كانت هيئة بعثة نجد طيلة المدة التي يتناول هذا التقرير تتألّف منّي فقط. ولدى إعادة النظر في تلك المدة إنني أميل إلى التفكير بأن هيئة الموظفين التي ارتُئي تأليفها مبدئياً كانت شديد الطموح. ومع أن وجود التركيبات اللاسلكية مفيد فإن وجود عدد كبير من العاملين البريطانيين في هذا البلد الماحل والمتعصب كان مصدر قلق دائم. ووجود طبيب كان بلا ريب ذا قيمة كبيرة في المساعدة للتخفيف من الموقف المتعصب للأهلين تجاه كل الأشياء الأجنبية عدا تجهيزات الطعام والأقمشة والأسلحة والأدوية، وقد أبديت لكم مؤخراً أن المستحسن معالجة هذا النقص المحسوس. إن هذه القضية، ولو أنها أصبحت الآن ذات قيمة نظرية لا غير فيما يتعلق بالبعثة نفسها، لا بدّ أن تؤخذ بنظر الاعتبار بصورة جدية في حالة تعيين ممثل سياسي دائم لدى البلاط الوهابي فيما بعد. ولكن بالنظر إلى التفكير في وقت ما بأن الممثل الطبي للبعثة التبشيرية الأميركية في الخليج الفارسي [العربي] قد يحمل على ملء الفراغ، مع عدم القول بوجود ميل لا شك فيه إلى جهة قيام سلطات البعثة بتمديد نشاط التبشير في جزيرة العرب، أرى من الضروري تحذير الحكومة من أن جلب طبيب من هذا المصدر لا يكون مقبولاً لدى ابن سعود ورعاياه، ويجب بذل أقصى الجهود لعدم تشجيع تقديم الخدمات الطبية في أقاليمه من جانب البعثة الأميركية. ومن الإنصاف لابن سعود أن أقول إنه وجَّه دعوة ودية جداً إلى الدكتور هاريسن التابع لتلك البعثة لزيارة الرياض للعمل الطبي في صيف ١٩١٧ وإن عمله إنما أنهي بصورة مفاجئة بسبب خطئه هو نفسه. وليس من الضروري أبداً تغليف حبوب الدواء بكراريس الدعاية المسيحية.

وختاماً بالنظر إلى موقف الشريف من ابن سعود فإنه لم تكن هناك أية فائدة من إيفاد رسول شريفي للتعاون مع البعثة، لكن الكلمات لا تعبِّر بصورة كافية عن

أسفي لأن الظروف حرمتني من التعاون مع ممثل المندوب السامي في مصر ـ وخصوصاً مع شخص كالمستر (الآن كرنل) ر. ستورز CMG الذي ليس هنالك شخص آخر يكون مقبولاً لدى ابن سعود أكثر منه، بالنظر إلى زيارته المزمعة لنجد قبل هذه السنة كممثل للسير برسي كوكس. إنني أعلق أهمية كبرى على هذه النقطة، ويجب أن ندرك بأنني، **من وجهة نظر ابن سعود**، ذهبت إلى مصر كمدافع عن قضيته، وعدت مدحوراً من جانب المدافعين عن الشريف. وعلينا أن نصف الوضع بصورة مختلفة نوعاً ما، لكن النتيجة هي واحدة لابن سعود ولنا.

٤ ـ أهداف البعثة

لاحظ السير برسي كوكس، وهو يلخص الوضع فيما يتعلق بشؤون ابن سعود في برقيته المرقمة ٤٠٣٥ والمؤرَّخة في ٢٣ أيلول/سبتمبر ١٩١٧، أنه كان يأمل «أن بعثة المستر ستورز المزمعة في شهر حزيران/يونيو السابق ومجيئه إلى الشريف يرافقه رسول من ابن سعود كان سيؤدي إلى تبديد جوّ عدم الثقة السائد في المحافل الشريفية، وتمكيننا في الوقت نفسه أن نقرّر فيما إذا كان في وسعنا أن نجعل ابن سعود مفيداً بصورة فعّالة أكثر».

وفي نهاية البرقية نفسها، بينما أعرب عن رأيه، بأننا إذا كنا نريد أن نستعين بابن سعود عسكرياً بدرجة أكبر، «فعلينا في الحقيقة أن نبحث في الموضوع جدّياً ونعيره بطارية هندية أو مصرية»، تساءل السير برسي كوكس عن قيمة مثل هذه التجربة إلاّ إذا رغبت السلطات المصرية في ذلك. لكنه ارتأى في كل حال أن تزور نجداً بعثة مختلطة تمثل القائد العام والمندوب السامي وهو نفسه «لتقديم مقترحات تتفق مع الإمكانيات العملية».

ولدى قيام المندوب السامي بمصر بتبليغ خبر البعثة المقترحة إلى ملك الحجاز «أكد قصداً صفة البعثة العسكرية ودورها في الإشارة على ابن سعود حول الإجراءات التي تتخذ ضدّ الأتراك وابن الرشيد». وفي الوقت نفسه، مع ملاحظة «الوضع الذهني المتصلِّب» للملك حسين والتخفيف من أية محاولة سابقة لأوانها لتسوية المسائل السياسية الواسعة القائمة بينه وبين ابن سعود، فإنه عبَّر عن أمله «بأن الوقت ونجاح البعثة الذي ينتج، كما يؤمّل، قيام ابن سعود، بهجوم فعّال على العدوّ، سوف يثبت للملك سخافة سياسته الحاضرة المبنية على الريبة، وحكمة التصالح مع جاره القريب القويّ».

وأخيراً بعد مباحثات شفهية لا نهاية لها عن الوضع العربي وعلاقته بعمل البعثة المقترح، لخَّص السير برسي كوكس تعليماته لي في مذكرة تحريرية مؤرخة في ٣١ تشرين الأول/أكتوبر ١٩١٧، وخلاصتها كما يلي بإيجاز:

١) «غرض البعثة الأساسي والرئيسي» هو المباحثة الكلّية مع ابن سعود وتكوين الرأي عما إذا كان يستطيع اتخاذ أي عمل آخر بصورة مفيدة لدعم القضية المشتركة ضد العدو، وفي حالة الإيجاب ما هو هذا العمل؟

٢) «محاولة تصفية الجوّ السائد في علاقات ابن سعود مع الشريف وشيخ الكويت».

٣) «إيجاد حل دائمي أو مؤقت لقضية العجمان».

٤) «المباحثة مع ابن سعود حول طلبه الحاضر للسماح له بضرب نقد نحاسي لنجد».

٥) «البحث في قضية تعيين معتمد سياسي بريطاني دائم في نجد».

وإضافة إلى تلك الأمور طلب إليَّ السير برسي كوكس البحث في شؤون منها تقييد المتاجرة بالنظر إلى مستلزمات الحرب، واستحالة تقديم تسهيلات شحن بحري لموانيء الأحساء خلال الحرب، وتقييد تنقلات الحجّ. تلك حرفية التعليمات وروحيتها التي مضت البعثة بموجبها بحراً لأداء مهمتها. وفيما يتعلَّق بشخصي لم أغفل قط حقيقة أن الهدف الأساسي والأولي للبعثة هو دعم القضية المشتركة ضد العدوّ بعمل ناجح ضدّ ابن الرشيد.

٥ ـ برنامج البعثة

غادرت البعثة بغداد بعد ظهر ٢٩ تشرين الأول/أكتوبر ١٩١٧ ماضية بزورق بخاري إلى البصرة حيث وصلت في منتصف ليلة ٢ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩١٧. قضت ثمانية أيام في البصرة في جمع التجهيزات واللوازم، وقد انتهزت الفرصة خلال هذه المدة من وجود عدد من زعماء عشائر البادية المجاورة في الزبير لأطلع على شؤونهم في سلسلة مقابلات شخصية معهم.

وفي صباح ١١ تشرين الثاني/نوفمبر كان كل شيء جاهزاً للبدء بالسفر، وغادرت البعثة على ظهر الباخرة الملكية «لورنس» التي تفضل بوضعها تحت

تصرفها وكيل الأميرال سي. ست. ويك .C.B آمر القوات البحرية في الخليج الفارسي [العربي] والعراق.

وفي ١٣ تشرين الثاني/نوفمبر وصلنا إلى البحرين حيث وجدنا أن الوكيل السياسي كابتن بي. جي. لوخ (من الجيش الهندي) قد تفضّل باتخاذ الترتيبات لرحلة البعثة إلى العقير بسفينة شراعية محلية (ضوّ).

وفي الساعة التاسعة من صباح اليوم التالي ركبت البعثة السفينة، رافعة علم ابن سعود. ولما كان الكابتن كروزير (من الباخرة الملكية لورنس) قد تلطف فوضع زورقه البخاري تحت تصرّفنا لسحبنا في جزء من الطريق لغياب الريح، فقد تقدمنا بصورة جيدة إلى فم مضيق البحرين.

إن الرحلة من البحرين إلى العقير تمتدّ عادة سبع ساعات أو ثمان، بالسفينة الشراعية، لكن بعد ترك الزورق البخاري انجرفنا بيسر بقية ذلك اليوم، وفي اليوم التالي عند مغيب الشمس رسونا على رصيف العقير في ١٥ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩١٧.

من العقير، حيث استقبلنا بالنيابة عن ابن سعود الأمير المحلي عبدالرحمن بن خير الله، ذهبنا إلى الأحساء وبلغنا الهدف في ١٩ تشرين الثاني/نوفمبر. استضافنا هنا بالنيابة عن ابن سعود عبدالله بن جلوي حاكم الأحساء، ثم غادرنا الهفوف في ٢٢ تشرين الثاني/نوفمبر إلى الداخل ووصلنا إلى الرياض حوالى ظهر يوم ٣٠ تشرين الثاني/نوفمبر.

في الرياض، كما ذكرت سالفاً، استقبلنا اللفتنانت كرنل ر. ئي. أي. هاملتن المعتمد السياسي في الكويت، وقابلنا بكل ودّ سعادة عبدالعزيز بن سعود وأبوه الإمام عبدالرحمن بن فيصل.

خلال الأيام التالية انشغلت البعثة في المباحثة عن أهداف زيارتها مع ابن سعود. وقد وجدت فيه رجل عمل لا يتعب، وعلى الرغم من ميله إلى الخروج عن نقطة نقاشه ببلاغته القرآنية، رأيته ذا مقدرة عملية طيبة، ومطلعاً بصورة معتدلة على الشؤون العالمية، متفهماً تماماً لتعقيدات السياسة العربية، ولو أنه لم يكن مشاهداً غير منحاز لها، وفوق كل شيء معتقداً حقاً ضرورة التحالف مع بريطانية باعتباره الضامن الوحيد لمصالح بلاده وشعبه الآن وفيما بعد.

وفي منتصف ليلة ٥ كانون الأول/ ديسمبر، بعد أن قضيت ما لا يقل عن ٢٤ ساعة من الـ ١٣٢ ساعة التي مرّت منذ وصولي، في مباحثات مع ابن سعود، دون ذكر مقابلات ثانوية مع ابن عمه أحمد بن ثنيان الذي ظهر أنه يحوز ثقته التامة، وكان في كثير من الأحيان يرسل لتمهيد السبيل لبحث موضوعات دقيقة يحتمل أن تثار خلال المقابلات التالية، شعرت أنني مطلع بصورة كافية على حقائق الوضع الأساسية بحيث أستطيع شرح مقترحات نهائية تكون محلّ نظر الحكومة.

وفي الوقت نفسه ظهر جلياً أن ملك الحجاز يبذل قصارى جهده لإحباط عمل البعثة، بالحيلولة دون وصول ممثل عن المندوب السامي في مصر إلى نجد. وقد اتفقنا، أنا وابن سعود، على أن حضور مثل هذا المندوب ليرى بنفسه أحوال هذه البلاد ضروريّ في مصلحة جميع من يتعلق بهم الأمر. وعلى هذا، حين بلغني الخبر بأن الملك قد رفض نهائياً منح خطّ أمان للمستر ستورز بحجة أن الطرق من الحجاز إلى حائل ـ ربّما قصد بريدة ـ لم تكن آمنة، قرّرت بموافقة ابن سعود الآنية ضمان إعادة النظر في القرار، بإثبات أن الخطر المزعوم لم يكن موجوداً إلاّ في مخيّلة الملك.

وعلى ذلك قصدت الطائف في ٩ كانون الأول/ ديسمبر تاركاً اللفتنانت كرنل «كنليف أوين» مسؤولاً عن أعمال البعثة وواثقاً من عدم إمكان إصدار أوامر نهائية عن مقترحاتي الرئيسية وتبليغها إلى الرياض قبل عودتي.

وصلت إلى البلد المقصود عصر يوم عيد الميلاد، فكنت مذعوراً نوعاً ما لأنني لم أجد المستر ستورز هناك ليقابلني، وليس ذلك فحسب بل وجدت أنه لم يبلغ الملك بوصولي المتوقع. وكان ذلك بلا ريب مقلقاً حقاً. ولا شك عندي أن الملك افترض أن وصولي بدون إعلان، هو نتيجة مؤامرة لإحباط معارضته لمفاوضاتنا مع ابن سعود. ولا أعلم هل اقتنع بعد ذلك أن الإغفال السيء الحظ لإبلاغه لم يكن سوى أمر عارض. وأنا نفسي لا أعلم هل كان ذلك عارضاً.

ومهما يكن الأمر فقد أحسن الشريف حمد وكيل أمير الطائف ضيافتي إلى ٢٨ كانون الأول/ ديسمبر حين وردتني دعوة لطيفة من الشريف فغادرت إلى جدّة، لكنني احتطت بترك نصف قافلتي وكل حقائبي الثقيلة في الطائف.

وفي آخر يوم من السنة ركبت إلى داخل جدّة حيث تفضل اللفتنانت كرنل «باسيت» وضباط البعثة العسكرية البريطانية بإسكاني واستضافتي خلال الأسبوعين

التاليين. وبعد أيام قليلة قدم الكوماندر د. ج. هوغارث (من الأسطول الملكي) إلى جدة، ليرأس بصفته الممثل الخاص للمندوب السامي بعض المؤتمرات مع الملك ـ تلك المؤتمرات التي كان الكرنل باسيت يحاول ترتيبها. وأخيراً جاء الملك إلى جدة بعد أن ترك الأمر مشكوكاً عن مجيئه أو عدمه، وذلك بعد يومين من قدوم الكوماندر هوغارث. وخلال الأيام التالية حضرت سلسلة محادثات كان موضوعها الرئيسي العلاقات بين ابن سعود والملك. وحسبي أن أقول هنا إنه حالما ظهر أنه لم تبق فائدة في مواصلة البحث في هذا الموضوع، بالنظر إلى موقف الملك العدائي المتصلّب، قرّرت بموافقة الكوماندر هوغارث والكرنل باسيت أن أستأذن صاحب العظمة بالذهاب. وهناك بعض الدلائل التي أعدّتني سلفاً لما تبع ذلك، وهو رفض الملك الحاسم السماح لي بالعودة برّاً. وكانت جهود الكوماندر هوغارث والكرنل باسيت للضغط على الملك عبثاً، ولم يبق لي إلاّ العودة إلى عملي بحراً.

وقد انتهزت الفرصة بموافقة السير برسي كوكس لقبول دعوة المندوب السامي اللطيفة لزيارة القاهرة في طريقي، وعلى ذلك رافقت الكوماندر هوغارث عند عودته على ظهر البارجة «هاردنغ» التي أبحرت من جدة في ١٤ كانون الثاني/يناير ١٩١٨. مررنا بينبع والوجه والعقبة في طريقنا ووصلنا إلى السويس في ٢٠ كانون الثاني/يناير. وفي نفس المساء وصلت إلى القاهرة حيث بقيت، بعد فاصلة قصيرة رافقت خلالها الكوماندر هوغارث في زيارة لفلسطين والقدس، حتى ١٦ شباط/فبراير، وكنت أبحث الشؤون العربية فيما يتعلق بعمل البعثة مع المندوب السامي والضباط المسؤولين عن المكتب العربي.

في ١٦ شباط/فبراير، وقد سارت الأمور في طريقها إلى الحلّ النهائي، غادرت القاهرة عائداً إلى البصرة عن طريق السويس وكراتشي وبومبي ووصلت البلد الذي أقصده في ٢٤ آذار/مارس ١٩١٨.

وفي هذا الوقت كان السير برسي كوكس قد سافر في طريقه إلى مصر وإنكلترة، فقرّرت البقاء في البصرة حتى وصول أوامر حكومة صاحب الجلالة بشأن المقترحات النهائية المقدمة في برقيته المرقمة ب ـ ٢٩ والمؤرَّخة في ٩ آذار/مارس ١٩١٨ من مسقط.

في ٢٦ آذار/مارس تسلَّمت برقية منكم تخبرونني بأن مقترحات السير برسي كوكس حظيت بموافقة حكومة صاحب الجلالة، وهكذا أصبحت حراً للعودة إلى

ابن سعود لإبلاغه بنتيجة مفاوضاتي.

كانت نيتي الأصلية أن أعود إلى ابن سعود، الذي قيل إنه كان آنذاك في الأحساء، عن طريق الكويت. لكن وصول رسل من ضاري بن طوالة المقيم آنئذ في الحفر، وفقاً لتعليماتي السابقة، حملني على السفر إلى البطين شمالاً إلى مخيم ضاري ومن ثمّ جنوباً إلى ابن سعود.

واستناداً إلى ذلك سافرت في ٢٨ آذار/مارس ١٩١٨ بالقطار إلى الزبير، وفي صباح اليوم التالي توغلت إلى الداخل. وصلت إلى مخيم ضاري قرب الحفر في ٢ نيسان/أبريل فاسترحت هناك في اليومين التاليين باحثاً في شؤون البادية، وفي ٥ نيسان/أبريل استأنفت سفري يرافقني ضاري نفسه جنوباً إلى ابن سعود.

وصلت إلى شعيب شوقي على هضبة الأرما (؟) في ١١ نيسان/أبريل ووجدت أن ابن سعود وصلها في اليوم نفسه قادماً من الأحساء. وهنا بقيت إلى ١٦ نيسان/أبريل أبحث في الأمور مع ابن سعود، ثم رافقته إلى الرياض التي وصلناها في ١٩ نيسان/أبريل.

كانت نتيجة مباحثاتي مع ابن سعود صدور تعهد من جانبه بالتحرّك للعمل ضد ابن الرشيد في شهر رمضان القادم (حزيران/يونيو ـ تموز/يوليو)، وصرف المدة الباقية في إحضار التجهيزات اللازمة وعمل الاستحضارات الأخرى لعملياته العسكرية.

إن توقع البقاء بلا عمل في الرياض إلى منتصف تموز/يوليو لم يكن جذاباً، وكنت سعيد الحظ في الحصول على موافقة ابن سعود الفاترة شيئاً ما لأن أقضي قسماً على الأقل من هذه الفترة في زيارة لحدود نجد الجنوبية. وعلى ذلك خرجت من الرياض في ١٦ أيار/مايو عن طريق الحائر والخرج والأفلاج وسليّل إلى وادي الدواسر، ومن هناك رحلت عن طريق هضبة طويق وزرت الحدّار والحمر وستارة والغيل والحوطة، ثم عدت إلى الرياض في ٢٤ حزيران/يونيو بعد غياب ٥٠ يوماً تماماً.

وفي ٥ آب/أغسطس (وقد سبق لتركي الابن البكر لابن سعود أن قام بمحاولة غير ناجحة لافتتاح الهجوم على شمّر) كان كل شيء جاهزاً لبدء الحملة الرئيسية. وقد رافقت ابن سعود من الرياض عن طريق وادي حنيفة والوشم والصرّ والمذنّب وعنيزة إلى بريدة، فوصلناها في ٢٥ آب/أغسطس ١٩١٨.

وهنا نشأ تأخير آخر إذ تجمعت الفصائل المختلفة لقوات ابن سعود الضاربة، ولم يكن إلاَّ في ٩ أيلول/سبتمبر ١٩١٨ أن قام ابن سعود نفسه، وقد رفض السماح لي بمرافقته لأسباب سيأتي ذكرها، بالمضيّ للهجوم على حائل. وقد بقيت خلال مدة غيابه في عنيزة، ثم التحقت به في قصيبة بعد عودته من حائل في ٢٨ أيلول/سبتمبر ١٩١٨.

ولما كان تكرار الهجوم فوراً على حائل غير عملي، فقد عدنا مع كل القوة البالغة نحو ٥٠٠٠ رجل إلى الطرفيّة ومنها إلى بريدة، حيث تسلمت فيها في ٤ تشرين الأول/أكتوبر التعليمات المزعجة نوعاً ما من حكومة صاحب الجلالة لغلق العمليات، فقررت بهذا الخصوص المضيّ إلى الساحل، ووصلت الكويت عن طريق الشماسية والزلفى وديجاني والقرعة في ١٦ تشرين الأول/أكتوبر.

لقد قضيت في كل حال نحو تسعة أشهر من المدة التي يتناولها التقرير على الأرض العربية فعلاً، وفي خلال تلك المدة اجتزت زهاء ٢٦٠٠ ميل[١] في السفر. وكان القسم الأكبر من سفري[٢] من الرياض إلى وادي الدواسر والعودة (إلى الرياض) قد مرّ خلال بلاد لم يسبق لأوروبي أن زارها ـ كما أعتقد ـ بينما مكّنتني ظروف سفري، حتى في أراضٍ معروفة أكثر كالوشم والصرّ والقصيم نفسها، من زيارة قرى تقع خارج الطريق الذي سلكه الرحالون السابقون. وقد قام اللفتنانت كرنل «سي رايدر» مدير المساحة في الحملة العراقية بوضع تخطيطات لجزء من خريطتي.

٦ ـ شيوخ منطقة الزبير الداخلية

عند وصول البعثة إلى البصرة حيث كان التأخير القصير ضرورياً لغرض تجميع المؤن والتجهيزات، وجدت أن دعوات قد أصدرت إلى الأصدقاء من شيوخ منطقة الزبير الخلفية لحضور سباق خيل نظّم ليقام في البصرة خلال الأسبوع الأول من تشرين الثاني/نوفمبر.

---

(١) وفقاً لحسابي التقريبي على أساس ٣ أميال للساعة على الأرض الصالحة و٢/١ ٢ إلى ٤/٣ ٢ ميل للساعة في الأراضي الوعرة أو الصعبة المرور.

(٢) عدا منطقة الخرج التي زارها اللفتنانت كرنل كنليف أوين في كانون الثاني/يناير ١٩١٨ خلال مدة غيابي عن الرياض.

بدت الفرصة ملائمة للبحث معهم في شؤون البادية القريبة وعشائرها كمقدمة للأعمال التي قد تدعى البعثة إلى إجرائها في الداخل، وخصوصاً أن المراسلات بين البصرة وبغداد دلّت في حين مضى من الوقت على ضرورة تدقيق مزايا رؤساء شمر والظفير المختلفين الذين يظهرون العواطف الودية والذين تمتعوا زمناً طويلاً بهباتنا السخيّة دون أن يقدموا مقابلاً كافياً في عمل ضد أعدائنا المشتركين.

كان رئيس هؤلاء الشيوخ سعود بن صالح السبهان الذي ترك ابن الرشيد قبل نحو اثني عشر شهراً وانضمّ إلينا فلقي ترحيباً حاراً كحليف، وأُعطي إعانة سخيّة قدرها ٥٠٠٠ روبية شهرياً إضافة إلى السلاح والعتاد والتجهيزات بأمل أن يثبت نفسه مفيداً في قطع طريق القوافل التي تقصد حائل وسائر أماكن العدو. وقد أشيع في وقت ما أنه يعبث بنا ولم يكن ثمّة ريب أنه لم يعمل شيئاً حتى الآن ليستحق الإعانة المفتوحة له والتي خفضت إلى ٣٠٠٠ روبية شهرياً قبل أمد قصير من مغادرة البعثة لبغداد.

ويأتي بعد سعود الصالح في الأهمية ضاري بن طوالة شيخ الأسلم (شمّر) الذي يقبض إعانة ١٠٠٠ روبية شهرياً. وقد كان يسير بسرعة للحلول محل سعود في تقدير الضباط المتعاملين مع البادية، وقد وردت الأخبار مؤخراً فقط بأن سخاءه نحو أتباعه قد أدّى إلى حصوله على أتباع أكثر عدداً تحت إمرته، وأدعى إلى الثقة من منافسه.

وثالث الشيوخ المحليين حمود بن سويط شيخ الظفير الذي كان يتسلم إعانة حكومية أيضاً، وقد عهد إليه بواجب مراقبة سكة حديد البصرة ـ الناصرية من جهة البادية ومنع خروج المهربين من تلك الناحية وتسلّل الأعداء.

في ٥ تشرين الثاني/نوفمبر رافقت جماعة نظمها المستر (الآن لفتنانت كرنل) ثي.بي. هاويل نائب المفوض المدني في البصرة إلى الزبير حيث تولى ضيافتنا الشيخ إبراهيم. وقد تم تعريفي إلى ضاري بن طوالة وحمود بن سويط ومحمد بن سبهان الأخ الأصغر لسعود الصالح، الذي ربما كان شاعراً بنواقصه السابقة، فأرسل اعتذاراً من حضور السباق شخصياً بحجة المرض. لقد كانت لي مع هؤلاء الشيوخ محادثة أولية عن موضوعات ذات فائدة متقابلة ورتّبت معهم أن يأتوا إلى البصرة للقيام بمحادثات أطول في أحد الأيام في المستقبل القريب. وفي الوقت نفسه

التمست من محمّد أن يوفد رسولاً خاصاً إلى أخيه للتأكيد عليه بأن من المستحسن قدومه شخصياً.

في ٧ تشرين الثاني/نوفمبر جاء ضاري وحمود ومحمد إلى البصرة يرافقهم ابراهيم شيخ الزبير، وكان لي مقابلات مطوّلة مع كل واحد منهم بدوره، عدا محمد الذي أخبرته بأنني أحتفظ بالمباحثة عن شؤون أخيه حتى يأتي بنفسه. والحقيقة أن سعود الصالح لم يأت قطّ.

كان الشيخ عظيم الفائدة لي في البحث بصورة سرية في مزايا الأشخاص المختلفين الذين أتعامل معهم. وقد كان متحمساً للشيخ ضاري وتوقع الاستعانة به على وجه مفيد لدعم مصالح الحكومة البريطانية. لكنه كان مناوئاً لسعود الصالح الذي وصفه كدجّال لا رغبة له في خدمة أحد بأمانة سوى نفسه. أما بشأن حمود فقد وقف موقفاً مشوباً بعدم الاهتمام لأن رئيس الظفير الحالي لا قيمة شخصية له وهو خلف قليل الأهمية لسلسلة شيوخ جعلوا اسم ابن سويط محترماً ومهيباً في الماضي.

بعد مباحثة تامة وحرة مع إبراهيم وضاري وحمود وبالتشاور مع المستر هاويل انتهيت إلى الاستنتاجات التالية، وهي:

(١) إن سعود الصالح لا يحتمل أن يكون ذا خدمة فعلية لنا ويجب وقف الإعانة التي نعطيها له بدون فائدة أو إنقاصها إلى مستوى شخصي بسيط يدفع بشرط إقامته في مكان واقع في منطقة تابعة لرقاباتنا الفعالة.

(٢) بما أن الظفير الذين يقيمون منذ القديم في قسم البادية الذي يجتازه خط السكة الحديد الآن، فإن حمود بن سويط ورجال عشيرته يمكن استخدامهم بمزيد الفائدة في محل سكناهم ولا يمكن دفعهم لأية غاية مفيدة للقيام بعمليات في الداخل.

(٣) إن ضاري الذي أخذت خلال معرفتي القصيرة له أعلى الانطباع عنه قد يمكن استخدامه بمزيد الفائدة فيما يتعلق بنشاطات بعثة نجد.

وعلى ذلك أبرقت في ٨ تشرين الثاني/نوفمبر بالمآل المتقدم مقترحاً:

(١) خفض إعانة سعود إلى ٥٠٠ روبية شهرياً وسحب الأسلحة المقدمة له

قبلاً وإصدار التعليمات إليه شخصياً بالإقامة في الزبير أو البصرة أو المحمرة.

(٢) ترك حمود على وضعه في أداء المهمة المعهودة إليه.

(٣) وزيادة إعانة ضاري من ١٠٠٠ إلى ٣٠٠٠ روبية شهرياً ووضع خدماته منذ الآن تحت تصرّف البعثة النجدية ـ وتسليم البنادق المسحوبة من سعود إليه.

نظراً إلى احتمال قيام عجيمي (السعدون) بأعمال عدائية ضد خط السماوة ـ الخميسية، وحقيقة كون سعود الصالح لا يزال في نظر العدو عاملاً ذا قيمة في جانبنا، فإن السير برسي كوكس لم يكن في وسعه قبول مقترحاتي بشأنه، وقد قرر إرجاء النظر في الأمر إلى فرصة أكثر ملاءمة.

أما مقترحاتي الأخرى فقد حظيت بالموافقة. وقبل مغادرة البعثة للبصرة كانت لي عدة مقابلات طويلة مع ضاري بن طوالة، ورتبت معه أخيراً أن ينتقل جنوباً مع أتباعه خلال مدة تقارب الشهر إلى جوار حفر الباطن، وأن يرسل من هناك رسولاً إليّ إما إلى الرياض أو بريدة لتلقي أوامر جديدة. وقد دفعت إلى إصدار هذه التعليمات بالرغبة في أن يكون ضاري ورجال عشائره على مقربة من مخيّمي في حالة حصول إمكان، بعد محادثة جازمة مع ابن سعود، لدمجهم في مخطط عمل عام قد يقرر تنفيذه. وفي الوقت نفسه يقوم (ضاري) بقطع كل المواصلات بين حائل والشرق والغارة على أية قافلة قد تحاول التسلّل هناك.

إن الأحداث التي جاءت بعد ذلك حالت دون اتصالي بضاري خلال أشهر الشتاء، ولكن حين وصلت البصرة مرة أخرى في آذار/مارس ١٩١٨، وجدت رسولين قدما للبحث عني وقبض متأخر إعانة ضاري الشهرية. وقد رافقتهما إلى مخيم ضاري فوجدته قد نفذ أوامري تماماً حتى إنه، وأنا أيضاً، قد رأينا عدداً كبيراً من أتباع شمّر قد نصبوا خيامهم خلال بضعة الأشهر الماضية على مقربة من آبار الحفر. لم أستطع الحكم على أعماله الفاترة في قضية القوافل المستولى عليها أو التي غزيت: هل كانت تعزى إلى (عدم حصول) الفرص المعقولة أو فتور الإرادة. وأخشى أن يكون الأمر الأخير، ولو أنه حتى هذا التاريخ (ابتداء شهر نيسان/أبريل) يستحق أن يحسم الشك لصالحه نظراً لفقدان الدليل على أية خيانة من جانبه.

والحق أن الانطباع الحسن الذي أخذته عنه عند أول التعرّف عليه قد زاد في المدة القصيرة التي قضيتها في مخيّمه، وخلال الرحلة التالية إلى شعيب شوقي التي رافقني فيها، وكانت لي الفرصة الكافية للتآلف معه. وقد خاب أملي شيئاً ما حين وجدت أنه لم يكن أقلّ بخلاً من سائر أمثاله، لكنني فكرت في تحويل هذا النقص إلى فائدة.

وبعد أن دفعت له مؤخر إعانته المستحقة له لما يقارب الأشهر الخمسة الماضية، وافقت أن أدفع له سلفاً مخصصات الأشهر الثلاثة التالية استناداً إلى التفاهم بأن يبقى في الحفر وأن يقوم بحملة واسعة ضد كسر الحصار. وبالإضافة إلى ذلك وزعت هدايا سخية إلى ضاري نفسه والرؤساء المختلفين لفروع العشائر المقيمين في مخيّمه وإلى جميع أعضاء الجماعة المرافقة التي لم يكن لكثرتها لزوم والتي ارتأى ضرورة لمرافقتها إياي.

لما وصلت إلى شعيب شوقي استشرت ابن سعود حول استخدام ضاري لدعم القضية المشتركة، ومع أنه كان شاكاً نوعاً ما في حسن نيّته فقد وافق على أن التجربة تستحق الاختبار وأن الحفر تكون أفضل مركز للقيام بعمليّاته. خلال الأيام القليلة التي بقي فيها ضاري في مخيّم ابن سعود انتهزت كل فرصة سانحة للتأكيد عليه بأن استمرار معاملة الحكومة السخيّة له تتوقف تماماً على جهوده لدعم قضيتنا المشتركة، وأسرّ إليه ابن سعود نفسه ببعض مخططاته للهجوم على شمّر المعادية في رمضان، وأنه في تلك الحالة يتوقع من ضاري أن يقطع خط انسحاب العدو. وبعد هذه المعاملة السخيّة التي عومل بها والتعليمات الصادرة إليه بدقة عن «الدور» الذي سيقوم به، عاد ضاري إلى الحفر معرباً بكل حرارة عن شكره وعزمه على التنفيذ بإخلاص للترتيب المتفق عليه.

خلال شهر من وصوله إلى الحفر غادر مركزه وانتقل إلى صفوان حيث استقبل حسب الظاهر بالترحاب ودون سؤال ما. وبعد مدة قصيرة، عملاً بخبر من الوكيل السياسي في الكويت عن كوني مقطوع الاتصال به، نقل من منطقة عملي بدون الاستفسار مني. وفي الوقت المناسب وصل إلى حائل نحو ٥٠٠ بعير محملة ببضائع من الزبير أو الكويت ومارّة عن طريق ضاري ـ والدليل الذي لديّ على ذلك لا يترك مجالاً للشك.

ولم يكن ذلك فحسب، بل إنه حين هجم تركي نجل ابن سعود على شمّر قرب

آبار عجيبة حسب المنهاج المقرر سابقاً، انسحب العدو سالماً إلى آبار بعيدة، إذ إن آبار الحفر كانت في ذلك الوقت مشغولة بالنيابة عن ضاري من جانب فرع الوهاب من شمّر، وهم معادون لابن سعود، ولم يعارضوا إخوانهم المنسحبين.

ومن الواضح تماماً أن ضاري، وقد علم الآن أن هجوم ابن سعود المزمع سوف يرغمه على التنازع مع إخوانه الشمّريين، قرّر التحرّك من منطقة الخطر دون تأخير. وجريمته لا يمكن اغتفارها، وهي تمثل عبث وضع الثقة في شمّر التي كان تضامنها القبلي مشهوراً في كل أنحاء الجزيرة العربية.

على أي أساس أخبر الوكيل السياسي في الكويت أن اتصالي كان مقطوعاً مع ضاري؟ ذلك ما لا أعلمه. لقد جاء لا يحمل أي دليل على مجيئه بإذن مني، فكيف سمح له بالنزول في صفوان والمضيّ إلى أسواق الزبير والكويت؟ أنا لا أفهم ذلك. ومهما يكن من الأمر فإنه، وقد خسر ثقتي بعمل خياني، لم يجد صعوبة في الحصول على ثقة السلطات في البصرة. ومن ذلك الحين، في مركزه الآمن في صفوان، قام بالاتفاق مع العجمان المقيسين في الكويبدة تحت الحماية البريطانية، وبذلك مصونين من هجوم ابن سعود المباشر، باتخاذ موقف مؤذ لشعب نجد، وأصبح أخوه سطام بن طوالة شخصاً بارزاً ومتزعماً لعدة غارات من شمّر عجمان على أقاليم ابن سعود خلال الأشهر التالية.

إن احتجاجاتي في هذا الموضوع لم تؤثر في إعادة النظر في الأوامر التي صدرت، بل أدت إلى خفض راتب ضاري من ٣٠٠٠ روبية إلى ١٠٠٠ روبية شهرياً. وبعد بضعة أشهر وجد الصقافة ليكتب إليّ محتجاً على تخفيض مخصصاته وطالباً تدخلي في الموضوع، لكنه لم يتسلّم أي جواب. وهذه القضية مثل قضايا أخرى كثيرة لا أهمية لها إلاّ من الناحية الأدبية، لكنني وجدت من الضروري ذكرها ببعض التفصيل، نظراً إلى أثرها السيء على الرأي العام في نجد في وقت كانت فيه الإشاعات الكاذبة المختلفة بكثرة في الكويت تثير الشكوك في مصير الحرب النهائي. وكان يقال بحرية إننا كنا نخاف أن نتخذ عملاً شديداً ضد الأعداء المحتملين، وعلى استعداد لاسترضائهم بأية صورة كانت. ومغزى ذلك واضح: فإن سياسة ابن سعود المتّسمة بالصبر على احتمال الإهانات وحتى التهجمات أصبح موضع الانتقاد وعدم القبول علناً.

إن تعاملنا مع شمّر لم يرفعنا حقاً في تقدير الشعب النجدي. ولعلّ ذلك قد

أوحت به ضرورة الاعتبارات العسكرية، لكن هذا الأمر في نفسه يعتبر اعترافاً بضعف من الخطر إظهاره أمام شعب جاهل ومعاد عموماً.

وقد قال الإمام عبد الرحمن نفسه وأيّد كلامه المرجع الوهابي الأعلى: «إما أن الحكومة البريطانية تستطيع ولكن لا تساعدنا، أو إنها تريد ولا تستطيع ـ وفي كلا الحالين يجب أن نكون مستعدين لمساعدة أنفسنا».

٧ ـ عناصر شمّرية أخرى

في القسم السابق تحدثت طويلاً عن ضاري بن طوالة الذي قام، مع سعود الصالح السبهان، بتجميع عناصر كثيرة من شمّر على مقربة من الزبير وصفوان حيث كوّنوا تهديداً دائماً لابن سعود، وعلى كل حال مصدر تجهيز صعب لإخوانهم من رجال العشائر في حائل وحواليها. ولكن، من وجهة نظر هجوم ابن سعود المرتقب ضد حائل، دفعوا إلى الحياد عدداً كبيراً من الناس المحتمل انضمامهم إلى قضية ابن الرشيد.

وعناصر شمّرية أخرى، مثل فروع العبدة وتومان، ممن لم يكن لي اتصال مباشر بهم، شغلوا وضعاً مماثلاً في أهوار الفرات إلى الشمال وهناك أصبحوا تحت إشراف وكيل اللفتنانت كرنل جي.ئي ليتشمان الضابط السياسي في البادية.

عبّر ابن سعود من حين إلى آخر عن خوفه من أن هذه العناصر، بينما تستفيد من قبولها في أسواق العراق، هي في الحقيقة تنتظر الوقت المناسب للانضمام إلى ابن الرشيد حالما يتقدم هجومه. وقد وجدت من الصعب نوعاً ما تبرير سياستنا في هذا الموضوع له. ومع أنني شرحت له الفائدة الفورية والواضحة لتحييد ابن عجيل وأتباعه من العبدة بالسماح لهم بالدخول إلى أسواقنا على مستوى ضيّق جداً، فقد كنت أحثّه على الهجوم بينما أولئك بعيدون، أملاً في أن الكرنل ليتشمان يستطيع تقييد نشاطهم في حالة فتح الهجوم.

في الوقت نفسه كان ابن سعود نفسه يغازل فرع سنجارة تحت رئاسة عدوان وغضبان بن رمال اللذين أظهرا علامات استطلاعية لقبول عرضه ملجأ لهما في البادية بين الكويت والدهناء.

وعلى كل حال خلال بضعة الأشهر الأخيرة للمدة التي يتناولها هذا التقرير بقي وضع شمّر غامضاً ومعقداً، ولم يكن في المستطاع تكوين تقدير لعدد رجال العشائر

الذين يحتمل تجمّعهم للدفاع عن حائل في حالة قيام ابن سعود ببدء الهجوم والمحافظة عليه.

وفي الظروف المتغيّرة لا فائدة الآن من تخمين ما قد كان يمكن حدوثه ـ وكل ما نستطيع قوله بصورة أكيدة هو أنه، حين قام ابن سعود أخيراً بتوجيه ضربته الأولى ضد ابن الرشيد، وجد الميدان خالياً من العناصر المعادية وأن مواصلة المعارك أصبحت لا لزوم لها قبل أن يعلم الجواب الذي تقدمه العناصر الشمّرية على حدود العراق لدعوة ابن الرشيد العامة إلى السلاح للدفاع عن حصنها العشائري.

٨ ـ العلاقات بين نجد والكويت

كما قلت قبل هذا، إن اللفتنانت كرنل هاملتن، الوكيل السياسي في الكويت، كان في الرياض منذ نحو ثلاثة أسابيع قبل مجيء البعثة. لقد ترك الكويت حوالى أوائل تشرين الأول/أكتوبر في مطاردة قافلة شمّرية كبيرة حصلت على تجهيزات واتجهت إلى حائل خلال غيابه الوقتي في بغداد. وقد فرّت القافلة، ومضى الكرنل هاملتن إلى القصيم حيث كان تركي، أكبر أبناء ابن سعود، غلاماً في التاسعة عشرة تقريباً، يقود القوات النجدية مهدداً جبل شمّر، ورحل من هناك إلى الرياض.

عند وصول البعثة إلى الرياض أتيحت للكرنل هاملتن ولي فرص كثيرة للمباحثة في كل الأمور التي كانت موضع جدال بين ابن سعود وسالم شيخ الكويت، وبناء على طلبي بقي في الرياض لكي تفيد البعثة من خبرته ومشورته حتى حصول تسوية نهائية للصعوبات الموقوفة بين الحاكمين، أي إلى ٥ كانون الأول/ديسمبر، حين عاد إلى الكويت.

كان واضحاً منذ البداية أن إحدى المسائل ـ مشكلة العُجمان ـ كانت ذات أهمية شديدة وأن البعثة ـ سواء لأسباب عسكرية وسياسية ـ لا تكاد تأمل النجاح في مهمتها الرئيسية، وهي حث ابن سعود على القيام بعمليات عسكرية كبيرة ضدّ ابن الرشيد وجبل شمّر ما لم تحل هذه المشكلة، وحتى يتم ذلك بصورة مرضية. وفي الوقت نفسه كان مما يبعث على الارتياح أن نلاحظ خلال مقابلاتنا الدائمة والمطوّلة مع ابن سعود، أنه كان يميل إلى المجيء إلى أكثر من نصف الطريق للاتفاق معنا في تسوية القضايا الصغرى، وهي فرض حصار فعّال على حائل، وحق فرض الضريبة على عشيرة العوازم ـ إذا تمكن من حلّ المشكلة الرئيسية بصورة مرضية له.

وهذا كان الأسهل لنا لأنه على فرض أن عداء عشيرة العجمان لابن سعود شديد ومتصلب كعدائه لها، فإن الاعتبارات العسكرية وحدها جعلت من الضروري إزاحة القبيلة من أي وضع يتيح لها تهديد جناحه أو مواصلاته في حالة تجريده حملة للحرب ضد حائل.

قبل البدء ببحث هذه المشاكل المختلفة يكون من الصواب محاولة ذكر موجز عن العلاقات القائمة بين أسرتي ابن سعود وابن صباح حتى هذا الحين.

خلال العقدين الأخيرين من القرن التاسع عشر، حين خضعت بلاد الوهابيين لحكم ابن الرشيد، أقامت بقايا آل سعود المشرّدة في المنفى في الموانىء المختلفة لساحل الخليج الفارسي [العربي]. وقد طلب عبد الرحمن أصغر أبناء فيصل آل سعود الكبير، اللجوء إلى الكويت بعد محاولة فاشلة لاستعادة حكمه في بلاد آبائه، فأجيب طلبه فوراً وأكرم مثواه في بلدة الكويت، حيث عاش هو وأسرته النامية تحت حماية محمد أولاً، ثم مبارك بن صباح، ينتظر تبدل الحال الذي لا بدّ من حلوله. ومبارك الذي اعتلى عرش الكويت على اثر قتله أخاه، سرعان ما تم الاعتراف به كقوة يحسب لها حساب في جزيرة العرب. لقد كان سياسياً ودبلوماسياً داهية، وكان كفؤاً لسعدون الكبير ولم يفقه في القوة سوى محمد بن الرشيد الذي كان في ذلك الوقت يحكم جزيرة العرب الوسطى كلها. والتنافس بين هؤلاء الثلاثة أدّى بطبيعة الحال إلى الحرب المستمرة، وقد رأى مبارك بحكمته السياسية في أسرة سعود المنفيّة مصدراً محتملاً للقوة في منازعاته مع منافسيه وخصوصاً مع ابن الرشيد.

وفي بداية هذا القرن، أي في ربيع ١٩٠١، بعد أن دخل مبارك في حلف مع سعدون، خرج ترافقه قوة نجدية بإمرة الإمام عبد الرحمن بن سعود للحرب فصلاً للأمر مع عبد العزيز بن الرشيد الذي ارتقى مؤخراً العرش الذي خلا بموت محمد الكبير. وفي الوقت نفسه سار عبد العزيز بن سعود حاكم نجد الحالي بقوة قدرها ١٥٠٠ رجل لفرض الحصار على الرياض.

خيّم مبارك وحلفاؤه في الطرفيّة بينما نزلت شمّر في الصريف. وكانت المعركة المعروفة بوقعة الصريف، ولو أنها حصلت في الطرفيّة، إحدى المعارك الفاصلة في تاريخ البدو. وقد هرب مبارك الذي اندحر في معركة دموية مع بقايا قوته، بينما رفع عبد العزيز الحصار عن الرياض بسرعة وعاد مسرعاً إلى الكويت. لكن عبد

العزيز بن الرشيد عجّل مصيره هو نفسه بالفعل الذي فعله بانتصاره، وأتبعه بالعقاب القاسي الذي أنزله بمدن وقرى السدير وسائر أنحاء نجد.

وفي السنة التالية استعاد عبد العزيز بن سعود، ومعه أتباع لا يزيدون على ١٥ رجلاً، الرياض بحركة جريئة حقاً، وخلال سنوات قليلة أعيدت الحدود القديمة للأقاليم الوهابية في جزيرة العرب الوسطى إلى سابق حالتها. وقد لقي عبد العزيز ابن الرشيد مصرعه في معركة مع ابن سعود في روضة المهنّا سنة ١٩٠٨ وانقلبت أوضاع ابن الرشيد وابن سعود في جزيرة العرب الوسطى.

هذا التقلب المفاجىء في الحظ وتأسيس حكومة ثابتة وبقوة وسرعة في نجد بيد حاكمها الشاب، لم يكن مستحبّاً لدى مبارك الذي أمّل بلا ريب زيادة نفوذه الشخصي بكسر قوة ابن الرشيد، بينما في الحقيقة أضيف عامل رابع إلى الزعماء العرب الثلاثة السابقين، وأظهر الرابع بسرعة أنه يماثل أيّاً من منافسيه في القوة والثبات.

غير أن مظهر الصداقة الخارجي بين نجد والكويت يبدو أنه حوفظ عليه في حياة مبارك، بينما قال لي ابن سعود إنه في أكثر من مرة طلب الإفادة من خبرة مبارك ومشورته الناضجة خصوصاً فيما يتعلق بالخط الذي يتّبعه نحو الحكومتين البريطانية والتركية. وحدثني عن الفائدة التاريخية فقط ودون شعور عدائي عن المحاولات التي أجراها مبارك أحياناً ليجتذب إلى نفسه ولاء العشائر النجدية بالمكائد السياسية التي كان فيها أستاذاً بارعاً.

وحين خلف جابر مبارك سارت العلاقات بين نجد والكويت سيراً حسناً في أعقاب الأوضاع السابقة. كان الحاكمان ثابتين في صداقتهما للحكومة البريطانية ـ وذلك دافع إضافي لهما للاحتفاظ بالصلات الودية بينهما ـ لكن كان من المعروف أن سالم، أخا جابر، ولي عهد المشيخة لم يكن معادياً فحسب لحاكم الكويت الجديد بل كانت له ميول قوية نحو الأتراك، بينما جعل تعصبه من ابن سعود والوهابيين أعداءه الخصوصيين.

لذلك كان من سوء الحظ لجميع أصحاب العلاقة أن مات جابر فجأة، وخلفه سالم في الكويت. والحقيقة أن هذا الأخير أعلن ولاءه لبريطانية وعزمه الثابت للعمل في سبيل القضية المشتركة، لكن سلوكه منذ البداية جاء مخالفاً لما أعلنه.

إن الكويت التي كانت دائماً وإلى حدّ ما بصورة لا يمكن منعها، منفذاً لتهريب

البضائع إلى أماكن العدوّ، أصبحت بسرعة مشهورة كمصدر التجهيز الرئيسي للعدو. ويجب الاعتراف بأنه على أكثر الاحتمالات يمرّ كثير من المواد التي تصدّر على هذه الصورة خلال القصيم إلى حائل لمنفعة التجار في القصيم. وكانت احتجاجات السلطات البريطانية لدى الشيخ سالم تقابل بالجواب الآني بأن ابن سعود، وليس هو نفسه، المسؤول عن حالة الأمور المؤسفة، بينما الاحتجاجات لابن سعود قوبلت بالجواب بأن الشرّ يجب أن يوقف في مصدره، أي الكويت.

وهكذا كان تعارض المصالح السياسية ـ فضلاً عن المالية ـ قد أثار النهج الذي أعدته الكراهية الدينية، وحل العداء محل الصداقة التقليدية بين آل سعود وآل صباح، وهو عداء حقيقي مهما يكن خفياً، احتراماً لأوامر دولة أقوى من الطرفين ومتحالفة مع الاثنين.

ثم عقبت الاتهامات المضادّة بشأن الحصار أعمال عداوة سياسية مقنّعة. وكانت عشيرة العجمان الهاربة من انتقام ابن سعود قد طلبت اللجوء إلى إقليم الكويت ونالته قبل ارتقاء سالم لسدّة المشيخة بترتيب من الحكومة البريطانية اشترك فيه ابن سعود وجابر، وكان أحد شروطه الأساسية أن تسلك العشيرة مسلكاً حسناً وأن رؤساءها الذين التجأوا إلى حائل أو مع عجيمي بن سعدون لا يسمح لهم بالدخول إلى إقليم الكويت. مع ذلك قام سالم، وقد رأى في هذه المشكلة وسيلة لإزعاج ابن سعود، بإظهار حمايته للعشيرة بصورة علنية لا حاجة لها، ورحب بعودة الرؤساء المبعدين. وردّ ابن سعود على ذلك بفرض الضريبة على عشيرة العوازم التي يدعي ابن صباح حق السلطان الوحيد عليها حين عبرت حدوده بحثاً عن المرعى.

والخلاصة أن البعثة حين وصلت إلى الرياض وجدت العلاقات بين حليفينا على أشدّ ما تكون من التوتر ـ مع سالم في موقف أقوى نوعاً ما في الوقت الحاضر نظراً إلى التفور الطبيعي من جانب السلطات البريطانية لزيادة عدد أعدائها بالإصرار على طرد العجمان من إقليم الكويت إلى محلهم الممكن الوحيد ـ وهو إقليم حائل المعادي، والبادية بينه وبين الفرات.

٩ ـ مشكلة العجمان

لكي نفهم بصورة صحيحة موقف ابن سعود من قبيلة العجمان وأثر المشكلة في السياسة النجدية، لا بدّ من الرجوع إلى سنوات الستين والسبعين من القرن

الماضي، حين تبع وفاة فيصل بن سعود كفاح دمويّ شديد على الحكم بين ولديه الكبيرين عبد الله وسعود، وانتهى بكارثة ليس لسعود الذي سقط قتيلاً في المعركة فحسب ولكن للأسرة السعودية نفسها التي مضت بقاياها إلى المنفى، بعد أن احتل أقاليمها محمد ابن الرشيد حامي عبد الله الاسمي وسيده الفعلي.

سجّل بالكريف (Palgrave) الانطباع الذي حصل لديه في زيارته للرياض سنة ١٨٦٢ عن الكراهية غير المقنّعة القائمة بين الأخوين حين كان فيصل لا يزال حياً، للتفريق بينهما. وقد خلف عبد الله الابن الأكبر أباه، لكن سعود لم يتأخر كثيراً في رفع لواء الثورة فانضمّ إليه أتباع كثيرون، ومعظمهم من العجمان عشيرة أمه.

لا ضرورة هنا لتتبع تقلبات الكفاح الذي انتهى، كما ذكرنا آنفاً، ولكن ليس قبل نجاح سعود في الاستيلاء على الحكم من عبد الله ليحظى به لأمد قصير ـ وتلك ظروف شديدة الأهمية في السياسة النجدية لأن في هذه الفترة المؤقتة التي تولى فيها جدهم الحكم، وكون خط الوراثة في آل سعود يؤول إلى أكبر الأسرة سناً على قيد الحياة ـ ولما كان عبد الله قد مات دون عقب ـ فقد وضع أبناء سعود دعواهم على أساس كونهم أصحاب الحق في حكم نجد. وهذه الدعوى التي عزّزت فعلاً بثورة علنية، ولكنها غير ناجحة، على الحاكم الحالي، في أكثر من مناسبة واحدة.

إن المطالبين بالحكم كانوا دائماً أعضاء فرع سعود الذين ينحدرون من سلالة العجمان من جهة أمهم ـ وهذه الحقيقة تمكنهم من الاعتماد على الدعم المخلص من جانب هذه العشيرة القوية والمحاربة، في كل محاولة يقومون بها ضدّ الفرع الحاكم الحالي، الذي يعتمد حقه في الحكم على ضربة استرجاعه لبلاد آبائه من المتغلب القريب وليس على أقدمية سلالته لأن عبد الرحمن أبا الحاكم الحالي رابع أبناء فيصل.

وأخطر محاولة للسلالة المطالبة بالحكم لاسترجاع «العرش» حدثت في نحو سنة ١٩١٠ حين كان ابن سعود محاطاً بالأعداء فعالج حالة خطيرة ببراعة فائقة. ولا حاجة للقول بأنه كان في ذلك الوقت مشغولاً بالحرب مع ابن الرشيد الذي طلب بنجاح تعاون شريف مكة. وتقدم الشريف إلى التلال حوالي الكوّى (؟) وفاجأ قوة وهابية صغيرة برئاسة سعد أخي (عبد العزيز) ابن سعود، فأسره قبل أن يستطيع (عبد العزيز) أن يأتي لنجدته. وفي الوقت نفسه هدّد ابن الرشيد القصيم في

الشمال، ووردت الأخبار بسرعة أن المناطق الجنوبية قد أعلنت ولاءها للمطالبين بالحكم من العرايف(*) الذين وجدوا الفرصة ملائمة لضربة جريئة.

كان ابن سعود في وضع خاسر مع الشريف نظراً إلى أن هذا كان يحتفظ بأخيه المفضل سعد أسيراً، فوافق على شروط في غير صالحه، وحصل على إطلاق سراح أخيه، ثم سار لمقابلة ابن الرشيد. وهنا أيضاً جرت المفاوضات التي أدّت إلى الهدنة وأنقذت ابن سعود من الأخطار الفورية، وسمحت له بشنّ معركة قصيرة في المناطق الجنوبية استطاع خلالها دحر المطالبين بالحكم، وإنزال العقاب الشديد على البلدان التي ساعدتهم.

ومرة أخرى في بداية سنة ١٩١٥، حين كان ابن سعود يرافقه الكابتن شكسبير ويتصرف كحليف لنا، قابل ابن الرشيد في معركة جراب. وكان ذلك، كما قال، يعود كلاً أو جزءاً لخيانة فريق العجمان وانشقاقهم في وقت كان دعمهم المستمر يعطيه على كل احتمال نصراً مؤزراً، فلم يسعه إلاّ الاكتفاء بحرب متكافئة ذهب فخرها بلا ريب إلى ابن الرشيد، ولو أن هذا لم يستطع أن يستفيد منها عملياً.

وهذا يأتي بنا إلى الفصل الأخير من مأساة العجمان، الذي مثّل في الحساسنة سنة ١٩١٦ حيث قاد ابن سعود قواته للانتقام من العشيرة بسبب انشقاقهم الخياني عنه في موقعه جراب وسائر أعمالها العدائية. ووجد العجمان أنفسهم أقلّ عدداً، وطلبوا هدنة، فوافق عليها ابن سعود تكرماً منه، على شرط أن يلتقي الفريقان المتنافسان في الغداة للنظر في ترتيب سلم نهائي. وكان سعد أخو ابن سعود غائباً عند الموافقة على الهدنة، فلما عاد في مساء اليوم نفسه استاء إذ وجد أن المعارك قد أوقفت. وقد اغتاظ من هذا التساهل من جانب أخيه، فوضع مشروعاً لهجوم فجائي على رجال العشيرة الذين لم يخامرهم أي شك واستسلم ابن سعود في ساعة ضعف لإلحاحه الشديد.

حارب العجمان الذين فوجئوا وكانوا قلّة في العدد كالوحوش الضارية المغلوبة على أمرها. وكانت النتيجة أن خيرة قوات ابن سعود تأذت في المعركة. وأكثر من

(*) يعرف أحفاد سعود بن فيصل بهذا اللقب لأنه، بعد معركة روضة المهنا (١٩٠٨) التي اندحر وقتل فيها عبدالعزيز ابن الرشيد من قبل ابن سعود، وقد وجد المنفيون من سلالة ذلك الفرع بين الأسرى المستولى عليهم في المخيّم المتروك. وتستعمل عبارة «عريف» أو «عرافة» عموماً للدلالة على الحيوانات، ولاسيما «الأباعر» المفقودة والتي تسترجع مع العدو.

ذلك وجد سعد بين الأموات، وجرح ابن سعود نفسه، في حين أن رجال العشيرة المنتصرين لم يضيعوا وقتهم والتجأوا إلى داخل حدود أراضي الكويت فارين من الانتقام الذي كان سيلحق بهم على وجه التأكيد.

وهذا سبب المشكلة كلها: ولكن لا شك أن العجمان الذين ظهروا إلى آخر الأمر أنهم هم الأنذال في المسرحية كان الحق إلى جانبهم في الحل النهائي، وأن سعداً بتوصيته للقيام بعمل خياني معيب قد استحق القدر الذي أصابه.

مع ذلك لا يمكن أن يتوقع ابن سعود أن يرضى بحكم القدر حكماً نهائياً، ولا نية له أن يفعل ذلك إذا استطاع المرء أن يحكم من الطريقة التي يعرض بها في كل مناسبة علنية أيتام أخيه المحبوب لديه لأنظار العموم، وينطق بخطب مؤثرة عن ضرورة الانتقام للسوء الذي حصل، ليس لهم ولنفسه بحسب، ولكن للشرف أيضاً ـ متناسياً بما عرف عن البدو من الافتقار إلى المنطق، الاعتبار المهمّ بأن مسؤولية هذه المأساة كلها لا تقع على أحد سواه.

ومهما يمكن من أمر فإن مجيء العجمان لاجئين من غضب ابن سعود في داخل حدود الأراضي الكويتية، كان أمراً خطيراً لا تستطيع السلطات البريطانية تجاهله. وقبول الثوار ـ وهذا حقيقة كيانهم ـ بدون شرط في ظل الحماية البريطانية لم يكن إلاّ ليؤثر في علاقاتنا بحليف عربي مهمّ، في حين أن مطالب العدل العام وخصوصاً العرف العربي، كانت تتطلب أن يمنح اللاجئون حق اللجوء، على الأقل بصورة وقتية، حتى يتم النظر في مزايا القضية والمصالح المتداخلة.

وعلى ذلك تذاكر السير برسي كوكس حول الموضوع مع ابن سعود وشيخ الكويت بمناسبة الاجتماع الذي عقد في الكويت في تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩١٦. وبالنظر إلى المصالح الكبرى المتداخلة بمناسبة الحلف المبرم حديثاً بين الحاكمين العربيين والحكومة البريطانية لتنشيط الحرب ضدّ العدو المشترك، وضع حلّ وسط وافق عليه ذوو العلاقة جميعهم، وقد تعهد ابن سعود بموجبه بأن لا يضرب العجمان في منازلهم الجديدة بشرط أن يمتنعوا بدورهم عن ضرب عشائر نجد وأن يقطعوا كل صلة مع الفروع التي نزعت إلى حماية العدوّ.

وكان المزمع أن يبقى هذا الاتفاق نافذاً إلى نهاية الحرب، كما كان المؤمل أن يكتفي العجمان بالأمان الذين حصلوا عليه بهذه الصورة تحت حماية الحكومة

البريطانية ويقوموا من جانبهم، بمراعاة الشروط المفروضة عليهم بمزيد الإخلاص.

لكن عدم الاستقرار الفطري للخلق العربي لم يلبث أن جعل الآمال المعقودة على هذا الاتفاق عبثاً. ويصرّح ابن سعود ـ ولا يمكن معرفة مدى صدقه ـ أن حركة مزمعة من جانبه ضد قوات شمّر خلال صيف ١٩١٧ وجب صرف النظر عنها بسبب حركة مفاجئة من العجمان هددت جناح قواته. وليس ثمة من ريب أن العجمان تحرّكوا إلى الجهة التي ذكرها ابن سعود، ولكن ليس هنالك ما يدعو إلى الاعتقاد بأن عملهم قد سببه دافع سوى ضرورة التحري عن مراعٍ جديدة لقطعانهم وأباعرهم. ومع ذلك كانت تلك الحركة إخلالاً باتفاق تشرين الثاني/نوفمبر ١٩١٦، ولو أن ابن سعود كان آنذاك لا يزمع الهجوم على شمّر فإن حركة العجمان كانت للأسباب العسكرية وحدها، كافية لإيقافه، في حين أن تخلّف الشيخ سالم عن الإصرار على مراعاة ضيوفه للاتفاق عاد على الحكومة البريطانية بتهمة الإخلال بالثقة.

لم يفوّت ابن سعود الفرصة لتقديم احتجاج عن الطريقة التي روعي فيها الاتفاق من جانب الموقعين الآخرين عليه عداه. وحصلت فرصة أخرى بسرعة، في اليوم السابق لمغادرة البعثة من العراق، وذلك بوصول ضيدان بن حثلين، أحد شيوخ العجمان المنفيين بموجب أحكام الاتفاق، إلى الكويت.

ومن الحق أن يقال إن التماسه للّجوء قد أجاب عليه السير برسي كوكس مشترطاً لأجل الموافقة عليه وجوب إبراز كتاب توصية من ابن سعود. لكن على الرغم من ذلك جاء ضيدان وأتباعه للإقامة في الأراضي الكويتية بدون تلك التوصية وبموافقة شيخ الكويت. وترك الأمر للبعثة لتجد الترتيب الذي يمكن التوصل إليه بالتشاور مع ابن سعود.

ولما وصلت البعثة إلى الرياض وجدت أن ابن سعود، على أساس الأسباب الأدبية وحدها، له قضية لا يمكن ردها، لأنه كان في وسعه أن يشير إلى حادثين منفصلين للإخلال بالاتفاق الذي أبرمته الحكومة البريطانية ولم تحاول تنفيذه، بينما قام هو نفسه بمراعاته نصّاً وروحاً. يضاف إلى ذلك أن البعثة، ومهمتها الرئيسية حثّ ابن سعود على الهجوم الفعال على العدو، لم يكن في وسعها أن تغضّ النظر عن التأثير المحتمل للوجود الإيجابي أو السلبي لقوة كبيرة معادية إلى جناح جيش

ابن سعود أو وراءه. وقد قررنا، لأسباب عسكرية فقط، أن ابن سعود لا يتمكن من التحرّك طالما بقي العجمان في الأراضي الكويتية. ومن جهة ثالثة، ارتأينا، لأسباب سياسية أقلّ قبولاً، أن من المستحسن استرضاء ابن سعود على حساب عشيرة ليس لها، على كل حال، أي حق على اعتباراتنا الوديّة، إذ إن هذا الاسترضاء كفيل بأوفر النتائج من نواح أخرى. مع ذلك، وقد قررنا لأسباب أدبية وعسكرية وسياسية أن العجمان يجب أن يغادروا الأراضي الكويتية، بذلنا قصارى جهودنا لدى ابن سعود للحصول لهم على أفضل الشروط الممكنة. وفي سبيل هذه الغاية شرحنا له أنه ليس من الحكمة، لأسباب عسكرية فقط، زيادة عدد أعدائنا المتغالين إذا أمكن تحاشي الأمر بضمان حياد أولئك الذين لا يمكن أن يكونوا أصدقاء لنا ولكنهم لا رغبة لهم في معاداتنا.

وافق ابن سعود على ذلك بعد نقاش طويل، وتقرر أخيراً أن يترك العجمان ليختاروا أحد هذه البدائل، ولكل منها مزية مزدوجة لإخراجهم من الأراضي الكويتية وتقليل أحد المصادر الممكنة للاحتكاك بين ابن سعود وابن صباح، وهي:

(١) أن تنتقل العشيرة بأجمعها إلى الشمال وتنضمّ إلى فهد بن هذال حليفنا زعيم عنزة (العمارات) وتبدي حسن نواياها لقضية الحلفاء بالعمل معه أو البقاء على الحياد الودّي.

(٢) أن يأتي كبار مشايخ العشيرة فيعرضوا الخضوع الرسمي لابن سعود الذي تعهد بالعفو عن جريمتهم السابقة بشرط إقامتهم بسلام في المحل الذي يعيّنه.

(٣) إنه في حالة عدم قبولهم للبديلين السابقين، يجب أن يتحوّلوا فوراً من أية أراض بريطانية أو كويتية يكونون فيها ويعاملوا بعد ذلك معاملة الأعداء حيثما وجدوا.

لقد نقلت هذا الترتيب ببرقيتي المرقمة م ـ ٤ والمؤرخة في ٢ كانون الأول/ ديسمبر ١٩١٧ وأخبرت السير برسي كوكس في الوقت نفسه بأنه، إذا وافق على ذلك، يعلن الكرنل هاملتن عند عودته إلى الكويت هذه الشروط المفروضة على العشيرة لرجالها.

لست على علم واضح بما تم من تعامل الكرنل هاملتن مع الرؤساء العشائريين، لكن كان جلياً من مذكرة كتبها في أيلول/ سبتمبر ١٩١٨ الكابتن

بـ .جي. لوخ، وكان آنذاك الوكيل السياسي في الكويت، أن مفاوضاته انقطعت، وأجريت محاولة أخرى لإيجاد تسوية للمصاعب في شباط/فبراير ١٩١٨ حين وقع اتفاق بين الكرنل هاملتن والشيخ سالم وضيدان بن حثلين كبير شيوخ العجمان (المنفي سابقاً) الآنف ذكره ينص على منح العشيرة ملجأ على مقربة من الزبير وفقاً للشروط الآتية:

(١) أن تقيم العشيرة كلها في داخل الأراضي المحتلة، أي الزبير أو محل آخر يتم تعيينه.

(٢) أن لا تعود العشيرة بأي حال من الأحوال إلى الدخول في حدود الأراضي الكويتية. يضاف إلى ذلك، وإن لم ينصّ على ذلك حرفياً في الاتفاق، أن من الواضح أنه فرض على العجمان بهذه الشروط واجب الامتناع عن كل اعتداء على أراضي ابن سعود أو عشائره ـ أي أن العشيرة لم تكن تستطيع حقاً أن تغزو نجد دون المرور بالأراضي الكويتية وبذلك تخلّ بالشرط الثاني الوارد أعلاه.

وهكذا دخلت الحكومة البريطانية مرة أخرى في اتفاق مع عشيرة العجمان، وظهر منذ البداية أن الترتيبات مصيرها إلى الإخفاق.

في المحل الأول، بعد التوقيع على الاتفاق، وجد أن العجمان لم يكونوا على عجل للانصياع لشرط الإقامة في الزبير، والشيخ سالم لم يبذل جهوداً قوية لتنفيذ أو تسريع مغادرتها لأراضي الكويت، وقدم ابن سعود شكاوى مستمرة حول استمرار وجودها في الكويت، وقمت أنا بتقديم احتجاجات مماثلة إلى المعتمد السياسي.

وفي الوقت المناسب أخذت العشيرة تظهر بعض العلامات على الجلاء عن أراضي الكويت، ولكنها لم تكد تستقر في محلها الجديد قرب الكويت حتى أقدمت على جعل الإقليم الكويتي ممراً بسلسلة من الغارات على نجد، وجرت هذه الغارات في فترات قصيرة خلال كل شهور الصيف. كانت الغارات الأولى على مضارب (السبيع) في الأحساء، وغزيت أيضاً مخيمات المطير، وفي حوالى نهاية مدة هذا التقرير، بدأ الغزاة يذهبون بعيداً إلى حفر العطش والمبيّض وأماكن أخرى لا تبعد كثيراً عن عاصمة ابن سعود نفسها.

لا ضرورة للبحث بإسهاب في هذه الغارات التي أصابت نجاحاً محدوداً

وسبّبت، في الوقت المناسب، غارات مقابلة من جانب المطير والسبيع والعشائر الأخرى حتى أصبحت منطقة السمّان بأسرها، في حوالى نهاية مدة هذا التقرير، في اضطراب وهياج. وقد مررت بها عند عودتي إلى الساحل، وحصلت لي الفرصة السانحة لمقابلة الأمن السائد في كل أراضي ابن سعود تقريباً مع الخطر والهياج المنتشر في حدود أراضي الكويت.

وكان ابن سعود خلال كل هذه الأشهر وهو بموجب اتفاقه معنا ممنوع من اتخاذ الخطوات لمعالجة إزعاج العجمان، وكنت أنا أحثه على غض النظر عن كل الشؤون البسيطة في سبيل تنفيذ الهجوم العنيف على حائل، في موقف تبرّم دائم، وكان محقاً نوعاً ما على أي حال، وكنت أبلغ ذلك بانتظام، ولكن بدون نجاح.

كان واضحاً أن نائب المفوض المدني في البصرة الذي كان في نهاية الأمر مسؤولاً عن تنفيذ الاتفاق الرسمي مع العجمان، لم يكن متهيئاً لمعالجة القضية (التي كان يراها جزءاً من اللعبة المنتظمة للغارات العشائرية والغارات المقابلة) بصورة جدية، ولا كان في وضع يمكنه من تنفيذ أجزاء الاتفاق البغيضة إلى العجمان. وفي هذه الأحوال لم تلبث الأمور أن بلغت مأزقاً لا حلّ معقول له حسب الظاهر.

وفي الوقت نفسه كان ابن سعود يستعدّ لبدء هجومه على حائل، وأكّدت على وجوب أخذ رهائن من العجمان للحيلولة دون قيامهم بحركة معادية ممكنة من جانبهم. ولكن حتى هذا الأمر وجد غير عملي، وأخيراً اعترف بأنه لا يستطاع عمل شيء لتنفيذ مراعاة العجمان للشروط المفروضة عليهم. وفي هذه الظروف تقرر ما يلي:

أولاً، أن ينذر العجمان بأنه، في حالة استمرار الغارات، تقطع الإعانات عنهم ويمنع دخولهم إلى الأسواق المحلية.

وثانياً، أن تعطى الحرية لابن سعود للتعامل مع العشيرة بشرط عدم تعريض سلامة السكة الحديد للخطر.

وقد شعرت بالارتياح الشديد في تبليغ ابن سعود بهذه الأوامر. كنت مدركاً أنه لن يكون فوراً في وضع يستطيع فيه الاستفادة من حريته المكتسبة في القضية، في حين أن زوال ظلامة كبيرة سيكون موضع الترحيب في وقت كان وضع الشريف يهدد في أي دقيقة بالتفاقم.

إن مشكلة العجمان قد سببت للحكومة كثيراً من المصاعب والقلق الذي لا لزوم له، وذلك ربما كان يعود إلى رغبة مغلوطة للتساهل إزاء عنصر يحتمل أن يكون معادياً. ولكن في ضوء الخبرة الحاصلة يظهر أن من الصعب تحاشي الاستنتاج بأن كثيراً من الوقت والإزعاج والقلاقل كان يمكن توفيره بقبول الإنذار النهائي الذي قدمته البعثة منذ زمن بعيد، أي في شهر كانون الأول/ ديسمبر الماضي، دون تلكؤ، وتبليغه إلى العشيرة. وقد اضطرت الحكومة (البريطانية) أن تعود إلى ذلك الإنذار النهائي بعد عشرة أشهر من البحث الذي لا جدوى منه عن بديل أفضل، وخلال هذه المدة أدّت رغبتها في خدمة مصالح قبيلة غير مستحقة إلى ضياع كثير من السمعة الحسنة في جزيرة العرب الوسطى وزيادة، دون مبرّر، لعدد الأمور التي تهيء لابن سعود التبرّم بحقّ ظاهر.

١٠ ـ مشكلة العوازم

كانت قضية العوازم، خلافاً لمشكلة العجمان، ذات أهمية عابرة ولم تولّد صعوبة كبيرة. اعترف بالعوازم منذ عهد عهيد بأنهم من العشائر التابعة لسلطة الكويت، وفي العهد السابق حين جعلت صداقة مبارك وابن سعود تحديد الحدود بين الكويت ونجد لا لزوم لها، فكانت هذه القبيلة حرة في التنقل بين المراعي على طرفي الحدود بينما هي تدفع الضرائب للكويت وحدها.

لكن الخلافات المؤسفة بين الشيخ سالم وابن سعود، وخصوصاً الحماية التي قدمها شيخ الكويت للعجمان الثائرين، أنهت الوضع السائد، وقام ابن سعود، رداً على استفزاز الشيخ، بالتجديد والتأكيد الفعلي لطلبه المسكوت عنه طويلاً في فرض الضريبة على رعاة العوازم كلما دخلوا أراضيه في البحث عن المرعى، أو بكلمة أخرى سنوياً، لأن الحدود الضيقة لسلطة الكويت لا تهيء مرعى كافياً لسدّ حاجات قبيلة بدوية طوال السنة.

وكان ابن سعود في تنفيذه لهذا الطلب يعمل ضمن حدود الحق الناشىء عن سيادته، وفي الوقت نفسه لم يكن لديه ما يتذمر منه ضد قبيلة العوازم ولا رغبة للضغط عليها بلا مبرر، لأن هذه القبيلة وضعت دون خطأ منها في الوضع المؤسف لدفع ضرائب مضاعفة، وكانت مستعدة تماماً للموافقة على أي ترتيب معقول وحتى صرف النظر عن حقه في فرض الضريبة على العشيرة ـ ولكن بشروط.

كانت تسوية قضية العجمان بطرد العشيرة من أراضي الكويت نهائياً أمراً ضرورياً تمهيداً لإجراء أي ترتيب (في شأن العوازم). وفي الوقت نفسه تعهد ابن سعود، بعد مباحثة مع البعثة، بأنه، إذا كتب الشيخ سالم إليه بعبارات مناسبة مذكّراً بالترتيب الودي الذي كان فيما مضى يعفي العوازم من دفع الضرائب إلى خزانة نجد وطالباً العودة إلى السياسة القديمة، فإنه يقابل ذلك بالجواب بعبارات مماثلة والتنازل عن طلبه فرض الضريبة على العشيرة بعد ذلك.

والحقيقة أن الكتابين المقترحين لم يتم تبادلهما، والشيخ سالم امتنع عن المقابلة بالمثل في قضية العجمان، بينما قامت عناصر من العوازم في أكثر من مناسبة واحدة بتغطية حركات غارات العجمان وشمّر في غزواتهم على الأحساء. مع ذلك فإن مشكلة العوازم حلت نفسها، ويذكر لمفخرة ابن سعود أنه توقف عن فرض الضريبة على قطعان العشيرة وأباعرها دون أن يحصل على شيء مقابل ذلك.

١١ ـ الحصار

على الرغم من أن أعداءنا في هذه الحرب قد تمتعوا بلا ريب بفوائد تاكتيكية منّا ومن حلفائنا من جراء تماسكهم الجغرافي، فإن كونهم واقعين ضمن دائرة حاجز ومحاطين بحلقة كاملة من الأعداء تقريباً، فرض عليهم عجزاً خطيراً إذ انقطعوا عن الاتصال بالأسواق العالمية وأخذوا يعتمدون على حسن نوايا المحايدين وأطماع الآخرين للحصول على تجهيزات عسيرة من المواد الضرورية، التي لم يكن في استطاعتهم إنتاجها بكميات كافية في نفس أراضيهم.

ولأجل جعل التجهيز أكثر صعوبة، وحتى قطعه مرة واحدة، أصبح ذلك بطبيعة الحال في مقدمة أهداف الحلفاء العسكرية، وكانت الأداة المستخدمة لتحقيق ذلك هي الحصار.

أثارت مشكلة الحصار في العراق صعوبات خاصة لأنه كان من أهم مرامي سياستنا الحصول على تعاطف العرب مع قضيّتنا. ولذلك اعتبر دائماً من المهم تقديم كل التسهيلات المعقولة لهم لتجهيز أنفسهم بضروريات المعيشة، وفي الوقت نفسه ضمان عدم وصول هذه الضروريات إلى العدو. لكن العرب أنفسهم، بعدم مقابلتهم لنا بالمثل على الروح التي قابلناهم بها، فرضوا على السلطات البريطانية ضرورة إيجاد وسائل لتنفيذ الحصار بدقة.

لا حاجة بنا هنا لذكر الصعوبات التي تمت مواجهتها في أراضي العراق المحتلة. وحسبنا أن نقول في ضوء الخبرة أنه أمكن إيجاد مشروع حصار فعّال إلى درجة ما، ظهرت آثاره على العدو يوماً بعد يوم.

في سبيل النجاح الكامل للمشروع العراقي الذي يتضمن، فيما تضمّن، حصاراً كاملاً على الجزء الشمالي من جزيرة العرب بإنشاء حزام على طول خط الفرات، كان ضرورياً أن تتسرب التجهيزات عن طريق الأقطار المجاورة المحايدة أو الصديقة التي ليست تحت سيطرتنا، وفي هذا الصدد كانت جزيرة العرب الشرقية والوسطى بمداخلها على ساحل الخليج الفارسي [العربي] لأمد طويل موضع اعتبار خطير.

لا شك أنه من السخافة توقع العرب غير المسيطر عليهم ـ سواء كانوا من البدو أو الحضر ـ أن لا يستفيدوا من الأرباح الضخمة التي يمكن استحصالها بالاستجابة لطلبات العدو للتجهيزات. وفي الوقت نفسه لم يكن في الإمكان اتخاذ ذريعة سهلة بمحاصرة موانىء الخليج لأن هذا العمل يؤثر في أصدقائنا تأثيره في أعدائنا. فكانت الطريقة المتخذة اجتذاب التعاون الفعّال للحكام العرب المتحالفين معنا، أي ابن سعود وشيخ الكويت، ليمنع أحدهما تسرب التجهيزات من خلال حدوده إلى العدو، وليوقف الآخر وكلاء شراء العدو من الدخول إلى أسواق الكويت. وتُركت الترتيبات الرامية لتحقيق هذه الأهداف كلياً إلى إرادة الحاكمين نفسها، وفقاً لسياستنا الثابتة في الامتناع عن التدخل في الترتيبات الداخلية للدول المحلية، إلاّ إذا جعلت الظروف ذلك التدخل ضرورياً تماماً.

لكن التجربة كانت مع الأسف محكومة بالإخفاق منذ البداية، وقد أخفقت ـ وكانت نتيجتها الفعلية لا تزيد على زيادة شعور المرارة والكراهية الذي كان موجوداً بين ابن سعود وابن صباح.

والواقع أنه قبل سفر البعثة من بغداد بمدة، اتضح من المعلومات الواردة من مصادر متحيّزة وغير متحيّزة أن الكويت أخذت، بنتيجة تشديد حصار العراق، تتمتع باحتكار مربح كمصدر لتجهيز العدو، بينما كان القصيم يربح من التمتع بنفس المزية كمركز توزيع. وقد بلغت القمة حوالى نهاية أيلول/سبتمبر ١٩١٧ حين قدمت إلى الكويت قافلة مؤلفة من ٣٠٠٠ من أباعر العدو عن طريق القصيم تحمل إذناً موقعاً من «تركي» أكبر أبناء ابن سعود، وكان آنذاك قائداً للقوات التي تعمل اسمياً في منع تسرّب التجهيزات إلى العدو. وتمّت الكارثة بالسماح لهذه القافلة

بالخروج محملة بالتجهيزات من الكويت بموافقة الشيخ نفسه أو تواطئه على الرغم من الأوامر الصارمة المبرقة من بغداد بوجوب حجزها إلى حين النظر في الموضوع.

وقد طارد الكرنل هاملتن القافلة دون نتيجة، ولا شك أن العدو تسلم بالترحيب هذه الإضافة لمخزوناته. غير أن الأمور بدت الآن خطيرة حقاً وأظهر حلفاؤنا أنفسهم في غاية الضعف، وعلى ذلك صدرت الأوامر إلى البعثة لبحث موضوع الحصار مع ابن سعود وتقديم مقترحات لتشديد تنفيذها، بينما اتجهت الأنظار إلى قضية إمكان إنشاء مركز ملائم للحصار على خطوط العراق مع الكويت.

وجاءت حادثة قافلة شمّر المشار إليها أعلاه نعمة خفيّة لأنها أعطتني حقيقة ثابتة وبيّنة لأضع على أساسها شكوى فيما يتعلق بالماضي وإنذاراً نهائياً بخصوص المستقبل.

واعترافاً بحق ابن سعود يجب القول إنه لم يحاول جدياً الدفاع عن وضعه الحرج. وفيما يتعلق بعمل تركي قال إن الإذن الممنوح للقافلة لم يكن القصد منه منح تسهيلات للتصدير من الكويت ـ إنه كان صك أمان لا غير للمرور بين العشائر النجدية في الطريق، لكنه لم يستطع أن يفسّر كيف يعطى رعايا العدو حتى مثل هذا الامتياز. ولا شك أن تفسير الشيخ سالم لإمرار القافلة المعادية غير مقنع بنفس الدرجة، وفيما يتعلق بالقافلة نفسها، أقرّ ابن سعود بأنها ذهبت إلى العدو، وبخصوص تجارة العدو عموماً ندّد بشيخ الكويت بقوة معتبراً إياه متداخلاً شخصياً ويعمق في أعمال التهريب التي يحصل منها على الأرباح الوافرة. وأكّد أن معظم تجارة المرور يذهب مباشرة من الكويت إلى حائل أو دمشق مبتعداً عن حدوده نفسها، لكنه اعترف أن تجار القصيم أيضاً لهم دخل في التهريب إلى درجة ما. وعند قولي إن هذا لا يتفق مع تعهداته الوثيقة أقرّ بالتهمة ولم يزد على تبرير نفسه بأنه ما دام التهريب على مستوى واسع يجري في الكويت لمنفعة التجار المحليين، فلا يعقل أن يتوقع منه معاقبة التجار في أراضيه ـ والحقيقة أنه لا يستطيع أن يفعل ذلك إلاّ بالمجازفة بإغضاب القصيم.

وقد اقترحنا، الكرنل هاملتن وأنا، أن يوضع نظام إجازات تمنح بموجبها تسهيلات التصدير من الكويت فقط للأشخاص الذين يحملون مثل هذه الإجازات، موقعة من ابن سعود أو أمرائه المحليين ومشهود بها أنهم من رعايا ابن

سعود وأشخاص موثوق بهم، وعلى شرط أن ابن سعود نفسه يقبل المسؤولية الشخصية بأن البضائع المصدرة على هذا الوجه لا تخرج من حدود أراضيه.

وقد اعترض قليلاً على ترتيب جديد بالنسبة للأفكار العربية، وعرض بديلاً عن ذلك أن يتعهد بمراقبة حدود الكويت. لكن مثل هذا الترتيب الذي يعني طلب السماح له لإزعاج وإغضاب شيخ الكويت وشعبه بكل حرية، لا يمكن قبوله. ولعدم وجود أي بديل ملائم آخر ألححنا على قبول مقترحاتنا الأولية، فوافق عليها ابن سعود ـ بعد أن تأكد الآن من حصول تسوية مرضية لقضية العُجمان ـ عالماً أن الحكومة البريطانية سوف تتخذ خطوات جدّية لمنع كل تهريب مباشر من الكويت نفسها إلى العدو.

وعلى ذلك تم إجراء الترتيبات كما يلي:

(١) أن يتعهد ابن سعود بفرض حصار شديد على أراضي العدو، ويقبل المسؤولية الشخصية عن أن التجهيزات التي تدخل أراضيه لن تغادرها إلى محل للعدو.

(٢) أن ترتب الحكومة البريطانية نظام حصار فعال في الكويت.

(٣) أن لا تمنح إجازة للتصدير من الكويت لمن لا يحمل إجازة بتوقيع الأمير في محل إقامته.

(٤) أن لا تمنح مثل هذه الإجازة بأية حال من الأحوال حتى إلى عناصر شمّر الودية، ما لم يكونوا مصحوبين بممثل مسؤول لابن سعود نفسه.

وأخيراً

(٥) أن توضع بدون تأخير صيغة إجازة، تم التوصل إليها خلال مباحثاتنا، ويطلب إلى حامل الإجازة أن يقدمها إلى السلطات البريطانية في الكويت لتقوم بتظهيرها مع ذكر الكمية التي تصدّر من كل مادة، وعند وصوله إلى المحل المقصود، يحضر أمام الأمير المحلي الذي يظهّر على الإجازة الكميات من كل مادة التي جلبت إلى المحل المقصود. وهذه الوثيقة تعاد في نهاية الأمر مظهّرة وموقعة على هذه الصورة إلى السلطات البريطانية في الكويت لغرض التسجيل.

لم نكتف بعقد هذا الاتفاق بل إننا لم نفلت الفرصة لنؤكد على ابن سعود أن مصالحه، هي مرهونة (بهذا الترتيب) بدرجة لا تقل عن ارتباط مصالح الحكومة البريطانية بها، وأن منع وصول التجهيزات إلى العدو أمر بالغ الأهمية. وعلى ذلك أرسل كتباً إلى أمرائه، وخصوصاً إلى الذين في القصيم منهم، تشرح لهم الضرورة القصوى لإطاعة أوامره وتنفيذها بشكل صارم ـ مضيفاً إلى ذلك أنه دخل في تعهد رسمي مع الحكومة البريطانية في هذا الخصوص، وأن الفوائد التي سيحصل عليها رعاياه سوف تظهر في الوقت المناسب.

عاد الكرنل هاملتن إلى الكويت لاتخاذ الترتيبات لتنفيذ الخطة المتفق عليها، وحصل بعض التأخير في وضع التفاصيل الضرورية وإزالة الصعوبات التي تكتنف إنشاء مركز حصار في الكويت. وفي الوقت المناسب عيّن ضابط حصار في هذا المركز وأصبح كل شيء حاضراً لتنفيذ مشروع عقد الأمل عليه لإنجاز ضرب نطاق يمنع العدو من أي مدخل إلى أسواق العالم الخارجي.

هكذا كان الوضع حين عدت إلى ابن سعود في نيسان/أبريل ١٩١٨. وحسب العادة انتهزت القوافل الكبيرة من الداخل فرصة الربيع للذهاب إلى الساحل بغية جلب تجهيزات للصيف. وفي حوالى نهاية الشهر وردت الأخبار المقلقة بأن كل القوافل أعيدت فارغة في ظروف تبعث على الذعر. ولا مبالغة في القول إن نجد كلها واجهت على حين غرّة احتمال قضاء الصيف بدون تجهيزات فكانت في حالة غليان. والاحتياطات العسكرية (ويضمنها وضع مدافع رشاشة على سقف مسكن الوكيل السياسي في الشويخ وإنزال فصيل من الجيش) التي اتخذت للحيلولة دون حدوث اضطرابات بخصوص إعادة القوافل، فسّرت عموماً كعمل عدائي تجاه الشعب النجدي، وأصبحت سياسة ابن سعود بالصداقة مع الحكومة البريطانية مثار انتقادات معادية كثيرة.

إن السلطات في الكويت عجزت عن إدراك هذه الناحية من الأمور أو ضرورة إعلامي بعملهم، وكانت النتيجة أن الشكاوى التي تكاثرت على ابن سعود وأحيلت عليّ حسب الأصول، جعلتني غير قادر على تقديم إيضاح عن العمل المتخذ، أو الأسباب الداعية إليه.

ولكن كان واضحاً لديّ أن خطأً ما قد حدث. ونظراً إلى الخطر الذي قد ينشأ من التأخير، فقد شعرت بأن لا سبيل لي سوى إعطاء بعض التعهدات عن المستقبل

بالنيابة عن سلطات الكويت.

وعلى ذلك رتّبت مع ابن سعود بأن جميع القوافل النجدية يحسن أن يرافقها رسل خصوصيون بالنيابة عنه، وأن وكيله في الكويت عبد الله النفيسي يعين ممثله الخاص فيما يتعلق بالجماعات العشائرية التي لم تكن تستطيع أن تأتي للحصول على رسل خاصين، مثلاً العشائر الشرقية كالمطير وسبيع، وأخيراً إن كل قوافل المدن النظامية تحمل إجازات موقعة من الأمراء المحليين. نقلت هذه الترتيبات فوراً إلى الوكيل السياسي في الكويت مؤكداً لابن سعود في الوقت نفسه أن القوافل التي أعيدت تستطيع العودة الآن لجلب التجهيزات، وهذه لن ترفض بشرط أن الترتيبات المتعلقة بالإجازات والرسل تلاحظ بدقة. وأشرت في الوقت نفسه للوكيل السياسي، أولاً، أنه ليس من المعقول تقييد الصادرات إلى الداخل من الكويت على أساس تجارة ما قبل الحرب لأن الداخل في تلك الأيام كان يجلب المؤن من مكة والشام والبصرة وأماكن أخرى، بينما في الظروف الحاضرة، وبتقييد التجارة البحرية إلى موانىء الأحساء، أصبحت الكويت مصدر التجهيز الوحيد لنجد. وثانياً، إنه بالنظر إلى الترتيبات التي أجرتها البعثة مع ابن سعود بالتشاور مع الكرنل هاملتن، صارت مسؤولية سلطات الكويت محدودة لمنع الصادر المحرّم وغير المسموح به فقط، بينما يكون ابن سعود مسؤولاً عن عدم تسرّب أية بضاعة مصدّرة إلى نجد بإجازة صحيحة من أراضيه إلى أي محل للعدو.

وحسبي أن أقول هنا إن الترتيبات التي اقترحتها قُبلت فوراً، وإن إمرار القوافل النجدية التي أعيدت سابقاً خلق انقلاباً مرضياً في الشعور خلال أقاليم ابن سعود جميعها، وإن حادثة سبّبت شعوراً سيئاً أفادت في تذكير أهالي نجد بما تستطيع الحكومة البريطانية أن تفعله، وقد عملته فعلاً، في حالة إساءة استعمالهم الفوائد المقدمة لهم.

وعليّ، وأنا بصدد هذا الموضوع، أن أذكر أن «كارثة» الكويت نسبت من لدن الجميع في نجد إلى مكائد الشيخ سالم الذي كان، في هذا الوقت، غاضباً بلا ريب لفرض رقابة بريطانية فعالة على الحصار، ولم يكن ليجد سلاحاً أحسن لمعارضتها من جعل الترتيبات تثقل كاهل أهالي نجد الذين لم يمكن الوثوق بالتزامهم الصمت أمام هذه الإثارة. والبيان الذي أصدره ـ كان يظهر بناء على طلب السلطات البريطانية ـ والطريقة غير المستحبّة التي طبّق بها، أيدا التهم التي تفوّه بها النجديون.

ومهما يكن من الأمر فإن قبول مقترحاتي أعاد الثقة في نجد، وأقدم ابن سعود بسرعة على العمل لضمان وقف التهريب من القصيم بصورة فعالة ـ وكان أول عمل في هذا الشأن عزل أمير زلفى، الذي اشتهر باشتراكه في أعمال التهريب، وبمصادفة غريبة لم يكن الشيخ سالم جاهلاً بها، كان المذكور الشخص الوحيد المخوّل بتصدير المؤن من الكويت حين أعيدت بقية القوافل النجدية ـ وكل شيء أصبح جاهزاً لإنشاء حصار فعّال في كل المنطقة.

كان الشخص الوحيد الذي لم يرض بالأمر هو الشيخ سالم، وليس هنا محل الكلام على مكائده لقلب الترتيبات المذكورة أعلاه. وفي ٢٨ حزيران/ يونيو كان في وسعي أن أقول إن ابن سعود كان راضياً تماماً عن كون مصالح شعبه في قضية الحصار محافظاً عليها بدقة، وفي الوقت نفسه، عبّرت عن أملي في المحافظة على الحصار الرسمي باعتباره يقدم الأمل الوحيد لقطع المؤن عن العناصر المعادية. والخلاصة كل شيء بدا سائراً سيراً حسناً لحلّ مرض لمشكلة الحصار حين وردتني الأخبار، في أواسط تموز/ يوليو أن الحكومة قررت مرة أخرى وضع ثقتها في الشيخ سالم وترك تنفيذ الحصار جميعه في يده، بشرط قبوله خدمات ضابط بريطاني لمساعدة موظفيه المسؤولين عن الحصار. وتقرر في الوقت نفسه تنظيم الواردات إلى الكويت من الهند وسائر الأقطار على أساس اللوازم الشهرية المعقولة للكويت والعشائر التابعة لها. وقام الوكيل السياسي في الكويت في ٤ تموز/ يوليو بإرسال كتاب إلى الشيخ سالم بالنيابة عن حكومة صاحب الجلالة يبلغه بموافقة الحكومة على هذه الترتيبات.

لا شك أن أخبار هذا التطور في الوضع كانت غير مستحبّة قطعاً لابن سعود، الذي وجد الشيخ سالم مرة أخرى يمنح الحرية لتشجيع التهريب إلى العدوّ ولجعل الحصار، على الحالة التي بقي فيها، مزعجاً لأهالي نجد. وقد أبلغت فوراً، حين كانت هذه الترتيبات قيد العمل، أن بعض قوافل العدو كانت حاضرة فعلاً في الكويت، وفي الوقت نفسه بالنظر إلى تنصّل ابن سعود من المسؤولية لتسرّب المؤن، تنبّأت بعودة الاحتكاك بين الحاكمين لأن أول من يستفيد من «النظام» الجديد هم أهالي نجد الذين يكون تنفيذ القيود الجديدة ضدهم مثيراً للشكاوي والمراسلات التي لا نهاية لها. وقد انتقدت المشروع بالتفصيل واقترحت أنه، إذا كانت أهمية حفظ العلاقات الحسنة مع شيخ الكويت جعلت الإصرار على المشروع لا محيد عنه، فالأفضل غلق أسواق الكويت نهائياً بوجه جميع النجديين وإجراء

الترتيبات لتجهيز حاجات المناطق الداخلية عن طريق موانىء الأحساء التي يسيطر عليها ابن سعود سيطرة قوية وموحّدة.

وعند عرض هذه المقترحات كنت منطلقاً من سوء الفهم بأن نظام الإجازات قد أوقف، لكن الأمر لم يكن كذلك. وعلى الرغم من هذا بقي الاعتراض من جهة أن قوافل نجد تحتاج إلى طلب الإجازات ليس كما في السابق إلى الموظف البريطاني المسؤول عن الحصار بل إلى ممثل الشيخ سالم. وكان واضحاً لديّ أن هناك احتمالات لا نهاية لها للاحتكاك، وبالنظر إلى تفاقم دقة موقف الشريف (حسين)، فقد كنت على أشد الرغبة لإزالة كل المصادر الصغيرة الممكنة لعدم الرضا في سبيل التمكن من معالجة الشؤون المهمة عند بروزها.

ولا بدّ أن نذكر بأنه في هذا الوقت، بينما كانت قضية الخرمة تهدد السلام في جزيرة العرب بصورة جدّية، كنت أحاول صرف نظر ابن سعود عنها لشنّ الحرب على حائل. وقد واجهتني من كل النواحي سلسلة صعوبات تافهة ذات طبيعة مزعجة، تجعل ابن سعود وشعبه مستائين من السياسة العامة للحكومة البريطانية إزاء الحساسيّات النجدية. كانت سياستنا إزاء شمّر تسبب عدم رضا، وتعرّضنا للتهمة بأننا لم نكن جدّيين في رغبتنا للقضاء عليهم. وتعهداتنا فيما يتعلق بالعُجمان مالت بسرعة إلى الانهيار، وذلك قد أدّى إلى القلاقل وتوتّر الأعصاب في نجد. والآن مرة أخرى وضعت مصالح نجد التجارية تحت رحمة الشيخ سالم، بينما تجمعت الدلائل بسرعة أن مهرّبي شمّر صاروا يحظون بحياة جديدة.

لقد اعترف بقوة مناقشتي العامة، أولاً من جانب الوكيل السياسي نفسه الذي حثّ، وقد وضعت الترتيبات الجديدة مع الشيخ على سياسة الثقة، على إعطاء الشيخ فرصة أخرى لإبراز تمسّكه بالسياسة البريطانية بإخلاص، وأنه إذا فشل ذلك فتتخذ الإجراءات لتحويل تجارة نجد إلى موانىء الأحساء كما اقترحت أنا. وثانياً، من جانب السير برسي كوكس الذي، عند وصوله إلى الكويت في آب/أغسطس ١٩١٨ لدى عودته من إنكلترة، وضع بالتشاور مع السلطات المحلية والشيخ سالم ترتيباً، بأن الإجازات لنجد يجب أن تصدر كالسابق من قبل ضابط الحصار، وأن تحدّد عمليات الحصار التابعة للشيخ للعناصر الأخرى فقط.

إن هذه الترتيبات هي في الحقيقة العودة إلى الترتيب الذي تقرر على أساس احتجاجاتي في شهر أيار/مايو السابق. وفي ٤ أيلول/سبتمبر ١٩١٨ كان في

وسعي أن أذكر أن ابن سعود قد عبّر مرة أخرى عن رضاه الكامل للنظام المعدّل.

ومن هنا إلى نهاية المدة التي يتناولها التقرير، حين أوقف الحصار عملياً، بنتيجة بيان السلام الصادر من القائد العام في بغداد، بقيت مشكلة الحصار ساكنة، ولو أنني استطعت أن أبلغ عن عدد من قضايا التهريب من الكويت حدثت في أيلول/ سبتمبر بعد قبول الشيخ سالم للمسؤولية عن الترتيبات الجديدة، وهذا الشيخ قد استمر على اللعبة المزدوجة في التظاهر بتنفيذ الحصار والمساعدة الفعلية للمهربين من الأعداء.

وعند تلخيص نتائج تلك السنة، أجد من الصعب التخلي عن الاستنتاج بأن ابن سعود، بوجه عام، بذل جهوده بإخلاص وهمّة لغلق أراضيه بوجه عمليات وكلاء الشراء للعدو، وكانت النتيجة أنه باستثناء حادث تهريب بسيط أبلغ لي في تموز/ يوليو، لم يصل إلى سمعي أي حادث مؤكد. ومن الجهة الأخرى أبلغت حوادث كثيرة لمرور قوافل من الكويت إلى حائل بين الحين والحين، وجاءت الدلائل عن تجميع المخزونات في حائل ونقلها بعد ذلك بقوافل قوامها ١٠٠٠ بعير إلى دمشق، بينما كان هناك أخيراً سبب جيد للاعتقاد بأن نوري ابن شعلان الذي كان له اتصال بالعقبة يستفيد من مركزه لجني الأرباح من تجارة التهريب.

إذا أمكن القول، فيما يتعلق بالكويت، بما كان يجوز أن يكون دواء فعالاً لوضع لا يحتمل، فإنني أفكر أن ذلك كان يتم بتحويل تجارة نجد إلى موانىء الأحساء، كما اقترحت. لكن بلا ريب كانت قلة البواخر سبباً لعدم قبول الاقتراح عند تقديمه. وهذا هو شأن آخر وأكثر دواماً يستحق شرحاً موجزاً قبل أن أنتقل من هذا الموضوع.

يجب أن نتذكر أنه منذ عاد ابن سعود لتثبيت نفسه في أراضي آبائه سنة ١٩٠٢ ظل منشغلاً في أعمال الدعم السياسي الذي بلغ قمته في الاستيلاء على الأحساء من الأتراك في ربيع ١٩١٤ حتى لم تبق لديه فرصة من الوقت للنظر في تقدم بلاده تجارياً. وأخيراً في سنة ١٩١٤، حين وجد نفسه في وضع يسمح له بتوجيه اهتمامه إلى هذا الموضوع، وفرضت عليه احتياجاته المالية أن يبحث عن طرق وأساليب لتحسين موارده، التفت بأنظاره إلى موانىء الأحساء وأصبح في مقدمة مطامحه تطوير هذه الموانىء وجعلها المراكز الاعتيادية لتجارة نجد.

وفي هذا الحين نشبت الحرب ونشأ عنها تحديد الشحن البحري فانهارت آماله

واعترف، بكياسة لا بدّ منها، بأن الحكومة البريطانية لا تستطيع في الوقت الحاضر دعم خططه لتهيئة بواخر الشحن.

لكنه مع ذلك لم يغفل قطّ هذا الأمر، وحين برزت صعوبات الحصار في الكويت، وجد فيها سبباً جيداً لتأكيد مطالبه للاعتراف بموانئه. وفي هذا الوقت كان يمنى بالخسارة في موارده الكمركية ولم يكن في وسعه التخلي عنها. فالبضائع الواردة إلى البحرين لإعادة التصدير إلى نجد تفرض عليها الرسوم الكمركية في هذا الميناء بدون تخفيض أو إعادة الرسوم عند إثبات إعادة التصدير. ومع أن ابن سعود يستوفي رسماً كمركياً قدره ٨ بالمائة عن البضائع التي تنزل في موانىء الأحساء فإن الرسم المزدوج يشكل مانعاً جدياً لاستعمال طريق البحرين. والأمر في الكويت أسوأ فيما يتعلق بابن سعود: فبينما كل البضائع التي تنزل في هذا الميناء، سواء كانت تمرّ في طريقها إلى الداخل أو لا، تدفع رسماً كمركياً لشيخ الكويت، فإنه ليس من الممكن في الظروف الحاضرة، بل حتى في أية ظروف كانت، أن يرتب ابن سعود نطاقاً كمركياً على جهة البرّ لاستيفاء رسوم ـ ولذلك فهو لا يستوفي شيئاً عن البضائع المستوردة إلى أراضيه عن طريق الكويت. ولما كانت هذه البضائع تخضع لتعرفة واحدة، فإن ميناء الكويت يتمتع بفوائد جزيلة تتفوق على موانىء الأحساء فيما يخص التجارة الداخلية.

ومن الواضح أن ابن سعود، بعد الحرب، وقد وطّد حكمه على طول نجد وعرضها بما فيها القصيم، لن يستمر على قبول ضياع واردات وفيرة كهذه بهدوء، والبديل المفتوح لديه هو إمّا أن يقدم رسوماً أوطأ وتسهيلات أخرى عن البضائع التي تستورد رأساً إلى موانىء الأحساء فيدخل إيرادها كله إلى خزائنه، أو تتخذ ترتيبات تعرفة كمركية مرضية بالتقابل مع شيخي البحرين والكويت. وبذلك تدفع له نسبة معقولة من إيراد كمارك تلك الموانىء.

وبالنظر إلى الارتفاع السريع في مستوى المعيشة في جزيرة العرب الوسطى خلال السنوات الأخيرة التي تدفقت فيها النقود على البلاد، وخصوصاً من الغرب، وإلى الطلبات الوافرة على الأقمشة والأغذية وسائر المواد التي ستتبعها في عهد السلام الآتي، فإن قضية تجارة نجد والتقسيم المعقول للأرباح الناشىء عنها تستحق الاهتمام الجدي لحكومة صاحب الجلالة. وفي هذا المجال لا يمكن عمل أكثر من ذلك لإيضاح المسألة في أبسط مظاهرها.

١٢ ـ عمليات ابن سعود ضد حائل

كان الوضع العسكري في جزيرة العرب الوسطى في نهاية تشرين الأول/أكتوبر ١٩١٧ غامضاً جداً. فمنذ وفاة الكابتن شكسبير في موقعة جراب في كانون الثاني/يناير ١٩١٥ ترك ابن سعود للاعتماد على موارده فقط، فتخلّى عن مواصلة الحرب التي أوقفت في بدايتها. إن الحافز الذي أعطي لهمّته المثبّطة خلال المحادثات سنة ١٩١٦ مدعوماً بمنحه إعانة منتظمة وإضافة كبيرة إلى سلاحه صرف بدون نتيجة تذكر. وكان معلوماً أن ابن الرشيد غادر عاصمته والتحق بالأتراك في الهجر قرب مدائن صالح على سكة حديد الحجاز، بينما كان وكيله المؤتمن ابن ليلى قد ذهب إلى دمشق بحجة مشاورة القيادة التركية العليا حول شؤون سيده. وقد تركت حائل لحراسة حاميتها تحت قيادة عبد موثوق به. وأخيراً كان ابن سعود، حسبما قال هو نفسه، يوالي الضغط على جبل شمّر منتظراً الفرصة للهجوم إلى بداية رمضان، حين عهد بقيادة قواته في القصيم إلى ابنه تركي وعاد إلى عاصمته. لم يعمل تركي شيئاً، ولم يكن من المحتمل أن يعمل.

وفي الوقت نفسه أصبح شجب الشريف لفتور ابن سعود في سبيل قضية الحلفاء يتزايد ويتعاظم يوماً بعد يوم، ولم يكن من الهينّ تكذيبه بالنيابة عن حليفنا. وعبّر المندوب السامي في مصر عن رأي جميع السلطات ذات العلاقة إذ قال: «إن الوقت ونجاح البعثة في مهمتها وما ينتج عن ذلك، كما يؤمل، في هجوم فعال ضد الأتراك من جانب ابن سعود، سوف يثبت للملك (حسين) سخافة سياسة الشك الحاضرة وحكمة التوصل إلى مصالحة مع أقرب جار قوي له».

لذلك كانت المهمة الأولى لبعثة نجد دفع ابن سعود إلى حملة من الهجوم الفعال ضد الأتراك، وقد فسّرتها أنا، لكل الأغراض العملية، أنها تعني معركة ضد ابن الرشيد وهدفها الأساسي احتلال حائل. والمفترض أن الحكومة لم تنوِ أو ترغب في تعهد ابن سعود لهذه المغامرة دون توافر المواد الكافية. وكان حقاً لتحاشي مثل هذا الواقع أن ألحق ضابط عسكري مسؤول بالبعثة لتتمكن من التحدث بخبرة عن الشؤون العسكرية، ولتقدر إذا اقتضى الأمر مقدار المساعدة اللازمة لجعل موارد ابن سعود كافية لأداء المهمة المطلوبة.

فكان مخيّباً للأمل قليلاً أن نجد أخيراً «القطار محملاً» وحاضراً لإطلاق النار،

لكن الحملة المقترحة لم تعتبر مفرطة فحسب، بل أثيرت الشكوك حول قيمة الهدف نفسه. كان واضحاً، والحق يقال، أن تحقيق الهدف المقصود من جانب ابن سعود سوف يؤكد سخافة الملك، ويجعل الصلح بينه وبين أقرب جار قوّى له غير ممكن. وإذا كان الأمر كذلك فالفوائد العسكرية الخالصة التي يحتمل كسبها من احتلال حائل لم تكن من الأهمية بحيث تستلزم جهداً جدياً من جانبنا.

ومهما يكن من الأمر، وجهت الجهود الأولى للبعثة إلى مهمة أخذ فكرة عن القوة النسبية للرئيسين في جزيرة العرب الوسطى في الرجال والسلاح. وفيما يتعلق بابن سعود فقد عملنا منذ البداية أنه كان قبل نحو اثني عشر شهراً، قد تسلم منّا أربعة مدافع جبلية تركية، وأربعة مدافع مكسيم و٣٠٠٠ بندقية مع كميات مناسبة من العتاد. وأربعة من رجاله درّبوا في البصرة في استعمال الرشاشات.

وفي مبدأ رحلتنا، أي في العقير، تعجّبنا كثيراً حين وجدنا كل أفراد الحامية المحلية ـ نحو ٥٠ رجلاً ـ مسلحين ببنادق حديثة، وأخبرنا أن الحامية في القطيف قد سلّحت أيضاً من هدية قصد منها غرض آخر. لكن صدمة أسوأ قابلتنا في الهفوف حيث سمح لنا الحاكم المحلي عبد الله بن جلوي، بعد تردّد طويل، أن نفتش الأجهزة العسكرية المخزونة في القلعة. هنا وجدنا أن كل مدافع مكسيم ما زالت في صناديقها التي وصلت بها قبل سنة، مع اثنين من المدافع الجبلية وكمية كبيرة من البنادق[1] والعتاد. ولزيادة خيبة أملنا، أخبرنا أن ثلاثة من الرجال الأربعة الذين دربوا على استعمال الرشاشات في البصرة قد ماتوا، بينما أوضح الرابع، الذي كان حاضراً، بتجربة عملية أجراها أمامنا أنه نسي كل ما تعلمه[2].

إن المعلومات التي حصلت في الهفوف كانت مربكة إلى درجة غير قليلة، وبدت كأنها تدل على أن ابن سعود كان يوفّر موارده العسكرية لمواجهة تطورات ما بعد الحرب. لكنني أعتقد على العموم أن هذا الرأي لم يكن عادلاً بالنسبة لابن سعود، خصوصاً وأننا لم نكن نعلم آنذاك شيئاً يذكر عن الحالة الداخلية لأقاليمه.

---

(١) من المعلومات التي استطعت الحصول عليها، قدّرت العدد الكامل للبنادق الحديثة في الأحساء والقطيف والعقير بـ ٦٠٠ أو ٧٠٠، وأعتقد أن العدد قد يكون أقرب إلى الألف.

(٢) هو وبضعة رجال آخرين أفادوا بعد ذلك من تدريب الكرنل كونليف أوين وأصبحوا مختصين إلى درجة ما باستعمال الرشاشات.

مثلاً، ظهر جلياً بعد ذلك أن الأحساء لم يكن في الإمكان تركها بدون حماية بينما كان العجمان مستمرين على تهديد حدودها الشمالية. على الرغم من ذلك كانت ترتيبات ابن سعود معرضة حقاً للانتقاد بأنه، مهما تكن سياسته، لم يستفد استفادة تامة من الإضافة إلى أسلحته التي تسلّمها منّا. وكان واضحاً أن تقديم هذه الهدايا إليه بدون التعهد باستعمالها بصورة فعالة إنما كان تبديداً للموارد.

لم أدع الفرصة تفوت دون انتقاد ابن سعود على إهماله الموارد الموضوعة تحت تصرفه للغاية المنشودة، كما قلت، وهو تمكينه من بدء الهجوم على العدو المشترك. فأجاب أن هديتنا في السنة السابقة لم يصحبها شرط من هذا القبيل ـ وحسب ما استطعت أن أعلمه منذ ذلك الحين كان على حق في هذا الخصوص ـ لكنه أقرّ بالتهمة العامة وقبل اقتراحي بأن الرشاشات، على كل حال، تكون فعالة أكثر في العمليات الإيجابية ضد العدو مما هي عليه في صناديقها في قلعة الهفوف. وقد وافق أن يرسل في طلبها، فوصلت إلى الرياض وصحبت ابن سعود في الوقت المناسب إلى بريدة، ولكن ليس أبعد من ذلك.

فيما يتعلق بسلاحه عموماً، وجدنا لدى السؤال من ابن سعود وغيره أنه، بالإضافة إلى الرشاشات التي ذكرناها، يوجد ١٠ أو ١٢ مدفعاً من النوع الجبلي التركي (٧ أرطال) تصلح للاستعمال ولكنها غير فعالة لعدم وجود رجال مدربين، ومن هذه نحو ستة في الأحساء أو القطيف. بخصوص البنادق، أي الأسلحة الحديثة، اعترف ابن سعود بأن لديه نحو ٦٠٠٠، بضمنها تلك التي تسلمها منّا، مع كميات كافية من العتاد. لكنني افترضت أن أرقامه هي دون الحقيقة، لأنه، والحق يقال، يربح كثيراً ولا يخسر شيئاً بتقليل موارده وتضخيم موارد عدوه. ولذلك وضعت في تخميني ٨٠٠٠ بندقية حديثة بالإضافة إلى الأسلحة التي هي أقل فعلاً مما تظهر عند الحاجة بأعداد كبيرة.

أما المعلومات الموثوق بها عن أسلحة ابن الرشيد فكانت قليلة. وكان معلوماً أن قلعة حائل تتضمن عدداً من المدافع، غير أن المعلومات التي تمكنت من الحصول عليها وتؤيدها الاحتمالات الصحيحة في الموضوع، حملتني على رفض معلومات ـ صادرة كما أعتقد من مصر ـ مؤدّاها أن حصون البلدة في حالة خراب[1]. وابن

(١) تحقق رأيي في الموضوع لأنه، حين وصل ابن سعود بعد ذلك إلى حائل، وجدت التحصينات هائلة لا يمكن اقتحامها إلاّ بالاستعانة بالمدفعية.

سعود نفسه نسب إلى ابن الرشيد امتلاكه لأربعة أو خمسة مدافع جبلية تركية ولا أقل من ٢٠٠٠٠ بندقية حديثة. وهذا الرقم الأخير كما يظهر مبالغة واضحة بالنظر إلى أن ابن سعود نفسه قدّر مجموع رجال حائل وعشائرها بـ ١٥,٠٠٠ فقط. وقد ارتأيت من الصواب أن أخفض قوة العدو إلى ١٢٠٠٠ رجل مسلحين ببنادق حديثة وخمسة مدافع.

وعلى هذا الأساس بدا للبعثة أنه، بينما كان ابن سعود بلا ريب قديراً على قيادة رجال يفوق عددهم كثيراً العدد الذي يستطيع العدو تجنيده، فإنه دونه كثيراً في عدد بنادقه ومساو له على وجه التقريب في المدافع، هذا إذا راعينا حقيقة كونه لا يستطيع المخاطرة بسلام بتجريد كل بلاده من تحصيناتها في حين تكون كل قوة شمّر وسلاحها موجودة للدفاع عن عاصمتها، وذلك دون قول شيء عن أي توسع في القوة قد يستطيع ابن الرشيد بعد ذلك استجلابها من الأتراك في مواجهة تهديد خطير لبلاده.

وبشأن الرجال والسلاح توصلنا إلى الاستنتاج بأنه، لأجل الهجوم على حائل مع احتمال معقول للنجاح أو، على كل حال، بدون خطر وقوع كارثة في حالة الإخفاق، يجب على ابن سعود أن ينزل إلى الميدان مع ما لا يقل عن ١٥٠٠٠ رجل ومدافع أكثر مما لديه. وقد قام الكرنل كونليف أوين، بناء على طلبي، بتقييم الوضع، فاستعرض الدلائل الموجودة لدينا وبيّن ما يرى أنه يلزم عسكرياً بصورة معقولة لابن سعود لكي يتاح له إنجاز المهمة المتوقعة منه.

ولا بدّ بعد ذلك من النظر في المطالب المالية وسائر نواحي الوضع، إذ إن ابن سعود أوضح منذ البداية بأنه، نظراً إلى نقص الشحن وهبوط أسعار التمر بنتيجة ذلك، والتمر يؤلف واحداً من مواد التصدير القليلة في نجد (وخصوصاً الأحساء)، ونظراً إلى أسباب متصلة أخرى، فإن موارده المالية الحاضرة، وفي ضمنها الإعانة التي يتسلمها من الحكومة [البريطانية]، لم تكن كافية للسماح له بالاحتفاظ بقوة كبيرة في الميدان لمدة طويلة. هذه النقطة قدّرتها حق التقدير لأنه من المعلوم أن في صدد الرواتب وحدها، دون أن نقول شيئاً عن المؤن إلخ. . .، تكلف قوات الشريف ٥ أو ٦ جنيهات لكل رجل شهرياً. وفي الوقت نفسه لاحظت بارتياح أن صعوباته المالية بدت أعظم في عينه من نواقصه في السلاح، وكانت حقاً ذات طبيعة خطيرة ومستعجلة، لأن الضيافة الملكية في القصر سواء في العاصمة أو المخيم والتي تشمل إطعام معدّل لا يقل عن ألف شخص حسب

المحتمل مرتين في اليوم، تضع ابن سعود تحت التزامات تجاه دائنيه، وكان محقاً في شعوره بعدم الارتياح لعجزه عن التسديد. يضاف إلى ذلك أن الإعانات العشائرية كانت تؤلف عبئاً ثقيلاً على موارده ـ وهي أثقل بالنظر إلى المنافسة التي أخذ يشعر بها أخيراً من الشريف.

حسبما استطعت أن أعلم إن معظم موارد ابن سعود تتألف من الإيراد الذي يأتي من مصادر ثلاثة، هي:

(١) الرسوم الكمركية في موانيء جبيل والقطيف والعقير، وقدرها نحو ٤ ألكاك من الروبيات سنوياً[١].

(٢) إيراد الأرض على التمور والحنطة والرزّ إلخ في مناطق الأحساء والقطيف، وقدره نحو ٦ ألكاك من الروبيات سنوياً.

(٣) الإعانة البريطانية وقدرها ٥٠٠٠ جنيه شهرياً، وهي تساوي ٩ ألكاك من الروبيات سنوياً.

وبالإضافة إلى مصادر الإيراد هذه يقبض إيراداً من ضرائب الأراضي في القصيم، ولم أستطع الاطلاع على التفاصيل الكاملة، بينما تصريحه هو نفسه مآله أن إيراد الضرائب السنوية التي تجبى على الأباعر والأغنام، تقل عمّا يقابلها من الإعانات العشائرية. وقد قبلت ذلك بأنه صحيح حقاً.

قبل مغادرتي البصرة حرصت على التزود بمبلغ كبير من المال، ووجود هذا المبلغ المخزون جزئياً في العقير والرياض نفسها، جاء عاملاً قوياً في المفاوضات التالية مع ابن سعود. وقد أقرضته، كسلفة على ما قد يتوقع الحصول عليه في حالة تعاونه الفعال معنا في العمليات العسكرية، مبلغ ١٠,٠٠٠ باون بضمان الدفعات المقبلة لإعانته، قبل أن أغادر الرياض في سفرتي إلى الطائف.

فإذا جرت المحاولة للقيام بحركات عسكرية جدية، فمن الواضح أن واجب تمويلها لا بدّ أن يقع على عاتق الحكومة البريطانية التي كانت تتحمل من قبل ذلك نفقات الشريف على مقياس باذخ. ولذلك، لكي تؤخذ فكرة عن مقدار المال المطلوب، افترضت أن مبلغاً يكون مطلوباً لشراء دواب الحمل والمؤن مبدئياً للمراحل الأولى من الحرب على كل حال، وأن مخصصات شهرية منتظمة تكون

---

(١) اللك مئة ألف روبية هندية. (ن.ص.).

ضرورية لتمكين ابن سعود من الاحتفاظ بقواته في الميدان. لقد قدّرت المبلغ الأول بـ ٢٠,٠٠٠ باون يصرف نصفه على شراء ألف جمل بمتوسط سعر ١٠ جنيهات للجمل والنصف الآخر على شراء أرزّ وسائر الأغذية اللازمة. وحسبت المخصصات الشهرية على أساس حدّ أدنى من قوة ١٠,٠٠٠ رجل يكونون دائماً في الميدان بمعدل راتب ٥ باونات للرجل شهرياً لتغطية:

(١) مخصصات العائلة، وبدونها العربي (البدوي) لا يخرج إلى الميدان.

(٢) رواتب القوات.

(٣) كلفة المؤن إلخ.

وبذلك توصلت إلى فكرة واضحة إلى حدّ ما عما يكون مطلوباً حقاً بشأن السلاح والمال للحرب المزمعة، ولم يبق إلاً أخذ تعهد نهائي من ابن سعود بأنه يُقدم على القتال إذا منح التخصيصات على المستوى المذكور. وهذا المستوى كان في الحقيقة أقلّ كثيراً مما توقعه ابن سعود، لكنني أكّدت له أن لا فائدة من تقديم اقتراحات أكثر سخاء بالنظر إلى الآمال المعقودة على عمليات الشريف وهجومنا نحن في فلسطين، بينما أكّدت عليه أن التردّد من جانبه في هذه المرحلة قد ينتهي بعدم حصوله على شيء ما.

ويكفي القول إن ابن سعود، بعد تقليب الرأي في القضية، وافق أخيراً على القيام بعمليات فعالة إذا زيدت موارده إلى المستوى الذي توصلنا إلى تحديده. وكنت إذ ذاك في موقف أستطيع به تقديم مقترحاتي إلى السير برسي كوكس للنظر فيها، وهي كما يأتي:

(١) أن يزوّد ابن سعود بمدفعَي حصار ومدفَعَي ميدان مع مقدارٍ كافٍ من العتاد والرجال الذين يتيسّر وجودهم، ويحبّذ أن يكونوا أسرى حرب من العرب.

(٢) أن يزوّد بـ ١٠,٠٠٠ بندقية حديثة مع العتاد اللازم لها.

(٣) أن يُعطى إعانة مبدئية قدرها ٢٠,٠٠٠ باون لشراء حيوانات النقل مع إعانة شهرية قدرها ٥٠,٠٠٠ باون لثلاثة أشهر - وهي المدة التي قدرت أن تستمر خلالها الحملة العسكرية.

وعند وصولي إلى جدّة وجدت الوضع العسكري قد تغيّر مادياً بانكسار القوات

التركية في غزّة واحتلال القدس، بينما تعقدت الحالة السياسية المحلية بغيرة الشريف الذي كان يبذل جهده، مدفوعاً بالخوف من أننا نقوم بشد أزر منافسه، بتشويه سمعة ابن سعود في نظر الحكومة البريطانية والحيلولة دون تحقيق مخططات البعثة لشن هجوم على حائل.

صرف وقت طويل في المباحثة بين السلطات المختلفة ذات العلاقة، بينما كنت أنا باقياً في القاهرة. ولا ريب أن الهجوم على حائل، الذي كان في مقدمة منهاج البعثة في تشرين الثاني/نوفمبر، قد أصبح قليل الأهمية بأحداث فلسطين. يضاف إلى ذلك حصول الشك فيما إذا كان تنفيذ هذا الهجوم لا ينتهي إلى قطيعة لا يمكن إصلاحها بين ابن سعود والشريف بالنظر إلى موقف هذا الأخير المتصلّب. وكان رأيي أنه، بينما يكون القضاء على ابن الرشيد باحتلال حائل أمراً قد لا يشكل ضرورة عسكرية سريعة، فإن ذلك ينتج فوائد عسكرية جمة في إضعاف وضع الأتراك على سكة الحجاز، وقد يتطور إلى حركة عربية مشتركة كبرى ضد الحدود السورية فيما إذا استلزمت الحالة في أي وقت بذل الجهود في تلك الناحية. يضاف إلى ذلك، وإنه بالنظر إلى عدم التآلف الأكيد والمتنامي المتبادل بين مطامح الشريف وابن سعود، فقد شعرت بالضرورة القصوى لإيجاد عمل فعّال لصرف أفكار ابن سعود عن الوضع الشريفي.

كان المندوب السامي مدفوعاً بالخوف من إمكان ظهور نهضة وهابية للانتقاص من أي عمل يحتمل أن يقوّى ابن سعود، وكانت حكومة صاحب الجلالة تميل نحو هذا الرأي نفسه. وعلى ذلك، تقرر بعد المباحثة التامة بأنه، نظراً إلى عدم اللزوم أو الرغبة في منح ابن سعود مساعدة عسكرية على المستوى الذي اقترحته البعثة، يخوّل السير برسي كوكس أن يرى رأيه للموافقة على منح إعانة تتفق والغاية المقصودة من أشغال ابن سعود انتظاراً للتطورات الآتية في الوضع العسكري. وأضيف إلى ذلك أن السير برسي كوكس يقدر بلا شك أهمية عدم السماح لابن سعود أو غيره أن يرتاب في أن حكومة صاحب الجلالة قد أصبحت فاترة في عدائها لابن الرشيد.

إن البيانات التي قدّمها السير برسي كوكس لإعادة النظر في هذا القرار في ضوء المعلومات الإضافية قوبلت بإعادة تأكيد الأوامر التي سبق إصدارها. وقد أبدت حكومة صاحب الجلالة رأيها بأنه لن يكون من الصعب أن يوضح لابن سعود أننا، مع رغبتنا في إسناده بكل الطرق المعقولة، لم نكن في هذا الوقت في

وضع يسمح لنا بالتعاون معه في الإقدام على عمليات عسكرية موسعة.

أنا أعترف أنني نظرت بشيء من الكراهية وبغير قليل من الخوف إلى المهمة التي كلفت بها لشرح الأمور لابن سعود على الوجه المتقدم. ومع أنه لم تكن ثمة حاجة عسكرية حقيقية الآن للقضاء على ابن الرشيد، فإنه لم يكن هنالك في الوقت نفسه اعتراض عسكري على الاستيلاء على حائل من قبل ابن الرشيد (كذا، والأصح ابن سعود). ومن الصعب إغفال الاستنتاج بأن كفّة الميزان هبطت بابن سعود لاعتبارات تتعلق بالوضع الشريفي ـ الخوف، الذي أراه خيالياً، من إحياء وهابي متطرف وقلق الحكومة التي لا تريد إزعاج الشريف أو إعطاءه حجة للشكوى. وعلى كل حال كنت أعتقد أن ابن سعود يتخذ القرار المتوصل إليه على هذا الوجه ـ ولم أكن مخطئاً في هذه النقطة ـ وتوقعت بقلق شديد النتيجة المحتملة لاستيائه في حالة عدم تمكني من إبقائه عاملاً فعالاً بالوسيلة الضئيلة الموضوعة تحت تصرفي.

لكن أوامر الحكومة كانت نهائية، ونظراً إلى علمي بالضيق المالي لابن سعود، أملت الحصول على أفضل ما يمكن من المعالجة الحكيمة لحرية التصرف المالي المسموح به لي. وعلى ذلك مضيت في طريق العودة إلى ابن سعود لتبليغه بأوامر الحكومة التي كانت كما يلي:

(١) إن حكومة صاحب الجلالة يسرّها أن توافق على جعل مبلغ ١٠,٠٠٠ باون الذي قدّمته إلى ابن سعود كسلفة قبل أن أغادر الرياض، هدية.

(٢) إن حكومة صاحب الجلالة، إذ هي لا تستطيع أن تجهز مدافع وأسلحة خفيفة وموظفين على المستوى المقترح، يسرّها أن تهدي إلى ابن سعود ١٠٠٠ بندقية و١٠٠,٠٠٠ رصاصة.

(٣) إن حكومة صاحب الجلالة، مع اعترافها بأن العمليات على المستوى المزمع القيام به في السابق هي غير ممكنة قطعاً، ترغب أن يستمر ابن سعود بالضغط على شمّر ويفرض الحصار الشديد، وهي لذلك مستعدة لإعطائه مبلغاً مقطوعاً كبيراً من المال ـ والمبلغ الذي ذكرته فعلاً لابن سعود كان ٥٠,٠٠٠ باون ـ ومضاعفة إعانته الحاضرة البالغة ٥٠٠٠ باون شهرياً في حالة استيلائه على حائل بالوسائل التي تحت تصرّفه.

لا جدوى في الزعم أن ابن سعود لم يكن مستاء من هذا التخفيض للمنهاج

الأصلي. وقد نسب تغيير رأي الحكومة البريطانية إلى مكائد الشريف. وقد جلب مرافقي الذي عاد من جدة إلى الرياض بدوني، قصصاً فظيعة ومفرطة عن موقف الشريف من ابن سعود. لكن أهم نقاطه كانت أن حالته المالية لا تمكنه من القيام بعمليات فعالة في الميدان ضد ابن الرشيد، ولذلك فإن قرار الحكومة معناه ترك مخططاتها الأصلية للتعاون الفعال معه ضد العدو. والوعد بمعاملته بسخاء في حالة تنفيذه مهمة لا قبل له بالقيام بها، ولا فائدة عملية له منها، وأوضح بجلاء أنه، إذا كان التبليغ الذي قدمته له يمثل أوامر الحكومة النهائية المقررة، فلا مناص له من قبول قرارها وإبداء الأسف لعدم إمكانه تقديم مساعدة فعلية بعد هذا.

إن موقف ابن سعود لم يفاجئني، لكنني كنت أواجه احتمال إنهاء مهمتي، وأنا شاعر أن ترك ابن سعود إلى شؤونه الخاصة، وهو في مزاج كئيب ومستاء، قد يؤدي إلى نتائج وخيمة فيما إذا أصبحت علاقاته مع الشريف حرجة. فقررت أن أحافظ على مركزي على كل حال حيث كنت، ولهذا الغرض، أخذت المسؤولية على عهدتي لإعطاء ابن سعود قرضاً من المال الموجود في العقير، وقدره نحو ٢١٠٠٠ باون، بشرط قيامه بالتحضيرات لحشد القوات لحرب ضد ابن الرشيد.

هذه الترتيبات ساعدت على تمضية الأشهر الأولى من الصيف ووضعتني في مركز قوي، فإنه ما دام حقي في البقاء مع ابن سعود لا ينكر حين يكون غير قادر على تسديد القرض، فقد كان في وسعي أن أعارض استياءه إزاء استفزاز الشريف والعجمان إلخ بالقول إن دواء كل أدوائه إنما يكون في تنفيذ هجومه بشدة على حائل بعد أن وضعته في وضع يستطيع معه القيام بالهجوم. وقد ساءت الحالة السياسية شيئاً فشيئاً خلال الصيف وأصبح أهالي نجد متململين من جراء هجومين شنهما الشريف على إخوانهم في المذهب في الخرمة وغارات العجمان المتواصلة وصعوبات الحصار إلخ. ولكنني بلغت نهاية مواردي ولم يكن لديّ إلاّ الإصرار على الهجوم على حائل، وفي ذلك شفاء لكل داء. وقد تحقق ابن سعود أن عليه أن يباشر العمل إذا شاء أن يستحق مساعدة جديدة. وفي هذا الوقت أفادت التحضيرات للهجوم التي باشرها بكل همة ونشاط في صرف أنظاره عن الشريف.

بدأ تركي، أكبر أبناء ابن سعود، الهجوم على شمر في شهر تموز/يوليو من آبار «عجيبة»، لكنه لم يظفر بفريسته لأن شمّر انسحبوا قبل تقدمه وأصبحوا خارج قبضته. وقد كان لتخلّف ضاري بن طوالة أثر شديد في مساعدة شمّر على الفرار.

ولم يستطع ابن سعود أن يستعدّ قبل ٥ آب/أغسطس للخروج بقوته الرئيسية، وضربت الضربة الأولى على حائل حوالى نهاية أيلول/سبتمبر حين كان ابن سعود، أول من بلغ أسوار حائل كعدو، من سلالته، وقد فقد بوسائله المعوّقة فرصة ذهبية للقبض على ابن الرشيد ورجاله في العراء، أغار على ضواحي البلدة، ولما لم يستطع الإمساك بابن الرشيد في حصن «عويج البقاع» المحاط بالتلول فقد سقط على رعاة شمر خارج حائل وقتل نحو ثلاثين منهم وعاد بغنيمة كبرى تتضمن ١٥٠٠ بعير و١٠,٠٠٠ رصاصة وكثيراً من غنم ولوازم المخيمات.

رفض ابن سعود رفضاً باتاً أن يسمح لي بمرافقة الحملة بسبب تعصب قواته المؤلفة كلها عملياً من عناصر الإخوان، ولسبب آخر بلا ريب، وهو شكوكه التي لم يستطع إظهارها حول نتيجة المعركة وتذكره مصير الكابتن شكسبير في آخر مناسبة حاول فيها إنهاء الخصومة مع ابن الرشيد. وقد التحقت به في قصيبة عند عودته من حملة حائل في ٢٥ أيلول/سبتمبر ووجدته واثقاً من نتيجة حملته حتى إنه تخلّى عن كل اعتراض آخر على بقائي معه. وفي هذا الوقت حصلت على موافقتكم ـ بالنظر إلى ضرورة جعل ابن سعود مشغولاً فعلاً ـ لمساعدته بالمال إلى حدّ ١٠,٠٠٠ باون شهرياً. وكان لإبلاغه الخبر أطيب أثر حتى أن ورود خبر في نفس اللحظة تقريباً عن محاولة ثالثة خاسرة للاستيلاء على الخرمة من جانب قوات الشريف لم تخفف من حماسته. وقد كان واثقاً من دحر ابن الرشيد بالجهود التي ينوي الاستمرار عليها بشدة حتى يحقق ذلك الهدف.

ولم يكن يعلم ـ ولا أنا أعلم ـ بخيبة الأمل المقدرة له. وحينما كنّا في طريقنا إلى الطرفية للاستعداد للضربة القادمة على حائل، كانت قوات تركية العسكرية تنهار، وفي الأيام الأولى من تشرين الأول/أكتوبر تسلمت خبراً دون شرح للتغييرات التي حلت آنذاك، بأن حكومة صاحب الجلالة ترغب أن يمتنع ابن سعود عن عملياته، وأنه في هذه الظروف لا تعتزم إعطاءه الـ ١٠٠٠ بندقية الموعود بها بدلاً من عدد مماثل من أسلحة رديئة سلّمت له سابقاً.

جاءت هذه الأوامر بدون شرح فخلقت شعوراً يماثل الذعر. وشك ابن سعود في قيام الشريف بمكائد جديدة ناجحة ضده وأعرب عن خيبة أمله المرة من المعاملة التي عاملته بها الحكومة البريطانية. والهجوم الأخير على الخرمة صار في نظره شيئاً آخر، وأخيراً وردت رسائل من فخري باشا قائد القوات (التركية) في المدينة يهنئه فيها على انتصار الإخوان على الشريف، ويعرض عليه تجهيزه بالسلاح

والعتاد والمال ليقوم بحرب ضد الشريف.

يجب الإقرار بأن الظروف السائدة عند تسلّم هذه الأوامر كانت سيئة كل السوء، وأن الأوامر نفسها بدت وكأنها قطع علاقات رسمي مع ابن سعود الذي شعر بخيبة أمل مرّة لمنع الأسلحة الموعودة عنه وبارتباك من تغيير حكومة صاحب الجلالة خططها تجاه حائل. وقد أعرب عما يمكن عملياً أن يعتبر إنذاراً نهائياً، فقال: «من الذي يثق بكم بعد هذا؟ إن أهالي نجد الذين انتقدوا دائماً سياستي الرامية إلى التحالف معكم قد بررت الحوادث موقفهم. بماذا أجيبهم الآن؟ ليس هناك سوى بديلين مقبولين لديّ ـ ولتقم الحكومة البريطانية باختيار أحدهما: إمّا إعادة حلفنا الفعال ضد العدو، وتقوم حكومة صاحب جلالته بدورها في مساعدتي بالمال والمواد لمواصلة الحرب بشدة أو، إذا رغبت الحكومة البريطانية أن أبقى عاطلاً، فإنني مستعد حقاً لألبّي رغبتها بشرط أن يضمنوا بقائي تجاه هجوم أعدائي الشريف، ابن الرشيد، وشمّر، والعجمان، وشيخ الكويت».

لم أر من الصواب السماح لابن سعود بكتابة هذا الإنذار النهائي والأسباب التي دعته إلى تقديمه، لأنني رأيت من المستحسن أن أمنعه من القيام بأي عمل لا يمكن الرجوع عنه أمام قومه. ولذلك تم الاتفاق بعد مداولة طويلة أن أذهب إلى الساحل فوراً للاحتجاج لدى الحكومة في هذا الشأن. وفي الوقت نفسه أفهمني ابن سعود أن البديلين المشروحين أعلاه يمثلان أدنى مطالبه، وأن الحكومة إذا كانت لا تستطيع تعديل قرارها، فإنه يعتبر نفسه حراً في اتخاذ أي عمل تفرضه الظروف لحماية مصالحه وأنه لا يتوقع مني أن أعود.

لقد انهار عمل سنة كاملة أمامي. ولم يكن لديّ إلاّ القليل من الأمل بأن الحكومة تعدّل إلى درجة محسوسة قراراً بلّغ بعبارات مؤكدة. وقد افترضت أنها ترغب، أو أنها على استعداد، لقطع العلاقات مع ابن سعود كأسوأ خطوة للخروج من مشكلة جزيرة العرب الوسطى. وتنبّأت بنشوب المعارك بسرعة بين جموع الوهابيين المستائين من المنع الطويل الأمد وبين قوات الشريف.

لم أسمع إلاّ عند وصولي إلى الكويت أخبار التغيير العظيم الذي حل فجأة في الوضع الحربي في كل مكان ولا سيما فيما يتعلق بتركية. أصبحت أوامر الحكومة الآن مفهومة لديّ، وورود موافقتكم ـ الصادرة توقعاً لمصادقة حكومة صاحب الجلالة ـ بإطلاق الـ ١٠٠٠ بندقية لإرسالها إلى ابن سعود أزالت مصدر الاستياء.

وقد صرت قادراً على كتابة رسالة تطمين إلى ابن سعود شارحاً الأمور التي بدا أنها كانت في السابق تعطي معنى مختلفاً تماماً. وكنت مقتنعاً فوق كل ذلك أن ابن سعود سيكون أول من يعترف بأن أوامر حكومة صاحب الجلالة كانت النتيجة المحتومة لانتصاراتهم على العدو ولم تعن قط أية رغبة من جانبها في إنهاء العلاقات الودية معه.

١٣ ـ الشريف وابن سعود

تسنّت لي الفرصة في الفصل السابق للإشارة بإيجاز إلى عدم إمكان التوفيق بين مطامح الشريف وابن سعود. ولم يكن الموضوع عظيم الأهمية فيما يخص عمل بعثة نجد خلال المدة التي يتناولها هذا التقرير فحسب، بل يستحق النظر بصورة جدية فيما يتعلق بخطط حكومة صاحب الجلالة لمستقبل العالم العربي.

حين وصلت إلى الرياض في كانون الأول/ديسمبر ١٩١٧ اتضح فوراً أن ابن سعود كان مدفوعاً بحسد أكّال للشريف، وخوف حقيقي من زعم الشريف السافر بأنه السيّد، إذا لم يكن الحاكم الفعلي، لكل الأقطار العربية بحكم وضعه كرئيس ديني أعلى في الواقع للإسلام السنّي، وقد أضفى على ادعاءات الشريف في هذا الخصوص تعبيراً حقيقياً اتخاذه لقب «ملك بلاد العرب». ولم يخف ابن سعود ريبته بأن اتخاذ هذا اللقب يقوم على بعض التفاهم السري مع حكومة صاحب الجلالة، وعدم رغبته في قبول الوضع الذي يستوجبه هذا الادعاء، وقلقه من أن تعهدات حكومة صاحب الجلالة إزاءه هو نفسه، كما عبّر عنها في المعاهدة التي وقعها السير برسي كوكس سنة ١٩١٦، تتأثر تأثراً سيئاً بالترتيبات التي اتخذتها الحكومة مع الملك (حسين). وقد أسرعت فأكدت لابن سعود أن حكومة صاحب الجلالة لا تعتزم أبداً التخلي بأية صورة كانت عن مسؤولياتها الناجمة عن المعاهدة نحوه، وأن اتخاذ الشريف للقب المبحوث عنه لم تسمح به حكومة صاحب الجلالة. وقد كنت قادراً مرة أخرى على تطمين ابن سعود بشأن هذه النقاط عند عودتي من مصر، حيث أتيحت لي الفرصة الكاملة لبحث الموضوع، فأفاد ذلك كثيراً في حمله على الرضا بلا تذمّر بتعديل المقترحات العسكرية لحكومة صاحب الجلالة التي كانت لديّ أوامر لإبلاغها إليه.

وخلال المحادثات مع الشريف في جدة في كانون الثاني/يناير ١٩١٨ أثار اهتمامي كون غيرة ابن سعود من الشريف وارتيابه به، مساوياً لموقف هذا الأخير

المتصلّب نحو ابن سعود الذي كان يرى فيه العقبة الكأداء لتحقيق مطامحه في الرئاسة في كل جزيرة العرب. وهذه هي الحالة التي كان عليها فعلاً، ولا يزال، وسيبقى عليها دائماً. ولكن قد لا يكون من العبث التساؤل ألم يكن بإمكان الشريف في المراحل الأولى من الحرب أن يحصل على اعتراف من ابن سعود بلقبه، لو أنه تبنّى سياسة أكثر ودية؟

كان ابن سعود دائماً في حاجة إلى المساعدة المالية والمادية. وليس من غير الممكن الاعتقاد بأنه مقابل ذلك لا يكون مستعداً لوضع موارده الخاصة تحت تصرف الشريف لإنجاز عملياته ضد العدو المشترك، كما فعل أو حاول أن يفعل بعد ذلك معنا خلال مدة نشاط البعثة. لكن الشريف سار على سياسة تجريد ابن سعود من الموارد وتحطيم سلطته بتقديم السلاح والمال إلى رجال العشائر النجدية كرشوة لحثهم على التخلّي عن ولائهم لابن سعود. وبهذا العمل أثار غيرته وفاز بكراهيته الدائمة، بينما قام في الوقت نفسه بزيادة قوته زيادة عظيمة بتسليح أناس ما كادوا يحصلون على التجهيزات والمؤن حتى انقلبوا بطبيعة الحال إلى ابن سعود يطلبون إرشاده.

ومرة أخرى كان ابن سعود، الذي صرف كل مدة حكمه في توطيد سلطته في أراضيه، وحصل من حكومة صاحب الجلالة على الاعتراف باستقامته واستقلاله المطلق في داخل تلك الحدود، بشرط تحديد تلك الحدود فيما بعد، حكيماً في الاعتراف بأنه ليست لديه القوة الكافية، ولن تكون له أبداً، وفقاً للأحوال العصرية السائدة لتوسيع حدوده، فأخذ على نفسه أن يوطد حكمه على أساس النظام الوهابي داخل حدود هي واسعة فعلاً. وقد تظاهر الشريف بأنه يجد في سياسة التوطيد هذه تهديداً لأمنه هو نفسه ـ والحقيقة أنها لم تكن، في أسوأ حالاتها، أكثر من ضمانة ضد التهديد الموجه إلى الكيان الوهابي ضمن ادعاءاته ـ . وبدلاً من أن يسعى للعمل على إخماد حركة الإحياء الوهابية باللطف، مضى يهيّج تعصب أهالي نجد باضطهاد الجماعات الوهابية التي في متناول يده ـ مثلاً حادثة الخرمة وإرهاب النجديين المقيمين في الحجاز وغلق أسواق الحجاز بوجه التجارة النجدية.

من الصعب إغفال الاستنتاج بأن الشريف، على الرغم من الفوائد الكثيرة التي تمتع بها بحكم منصبه الديني، والموارد التي وضعتها تحت تصرفه دولة كبرى تميل لمساعدته بكل صورة على تحقيق الوحدة العربية المثالية، قد أظهر في إدارة صلاته

بـ «أقرب جار قويّ له» افتقاراً مؤسفاً للكياسة والمهارة اللتين هما أبرز صفات الملوك. وفي هذا الصدد وبالنظر إلى الخطة العامة للسياسة البريطانية فيما يتعلق بالشؤون العربية، كما أستطيع أن أقدّرها، فليس في إمكاني تلخيص المتاعب التي تبدو وكأنها تكتنف طريق حكومة صاحب الجلالة في تعاملها في المستقبل مع جزيرة العرب بكلمات أكثر معنى وأشدّ تنبُّؤاً من تلك التي تظهر على الصفحة ٢٠٣ من كتاب المستر ج. وايمان بيوري «بلاد العرب غير السعيدة»[1]:

«إن أحد المبادىء الأولى لسياسة الدولة في التعامل مع الشرقيين هو عدم منح حاكم واحد تفضيلاً على الآخرين ما لم يكن، بصفاته ووضعه وموارده، مهيئاً لحمل السلطة العليا. ومعنى هذا إذا كان الحاكم لا يستطيع الحكم بدون مساعدة فلا جدوى من محاولة دعمه بقوة ظاهرة بين شعوب محاربة، لأن مجرد وجود مساعدة مسلحة أجنبية تخلق أعداء له حتى يصبح موصل صاعقة نوعاً ما للعواصف السياسية وينال سيّده الصدمة».

إنني أمضي بشيء من التردد لعرض نظرة الشريف إلى الأمور لأني أشعر أنني أراه من خلال نظارات نجدية كمجسّم لمثل أعلى لا يدرك، لكن لي ميزة السماع من نفس شفتيه خططه لإعادة بناء العالم العربي، والحد الأدنى الذي لا سبيل لتخفيضه لمطالب الوضع، وشيئاً من الطرائق التي يأمل أن يحقق بها خلاص العنصر العربي. وفي الوقت نفسه رأيته، من الجهة الثانية للستار، يقيم ضد نفسه، ربما بمحض إرادته وربما بسبب عدم خبرته في الإدارة والسياسة، عقبة كأداء لتحقيق أهدافه. وقد يجوز لي أن أقول فوراً بأنني لا أشارك الرأي بأنه مدفوع برغبة قلبية وغير أنانية لسعادة العنصر العربي والدين الإسلامي أكثر من دوافع الطموحات الشخصية لنفسه وآله. لكن هذا الأمر قليل الأهمية.

إن الشريف، وهو يبحث أصل ثورته في التاريخ والدوافع التي أوحت بها، تكلم بحرية عن بعض الوثائق الغامضة التي بحوزته والتي لم أستطع أن أحصل على معلومات بشأن محتوياتها من مصدر آخر ـ إن مجرد وجودها أو صدقها يبعثان كما يظهر على الشك. وصرّح أن هذه الوثائق تؤلف ميثاق حقوقه، وسوف

---

(١) G. Wayman Bury, *Arabia infelix*, p. 203.

يخرجها في اللحظة النفسانية المناسبة. وهو متأكد أن الحكومة البريطانية لن تتراجع عما تعهدت به.

وقال ما معناه إن هذه الوثائق تعني ضمناً، الاعتراف بادعائه أن يكون ملك الشعوب العربية. وينفذ هذا الادعاء عند تحرير كل الشعوب العربية من النير التركي. وذلك ما يؤثر في وجود الوحدة العربية. واللقب المحدود «ملك الحجاز» الذي اعترفت به علناً الحكومة البريطانية وحدها كان خيالاً لا معنى له وغير مقبول لديه. وأقرّ بأن تعديلات صغيرة للسياسة قد تحدث، وهي في الحقيقة لا محيد عنها، كما في قضية فلسطين التي تم احتلالها مؤخراً. لكنه لن يرضى بأقل من الاعتراف الوافي بمطمحه الرئيسي، وفي حالة إخفاقه في ضمان ذلك فإنه يفضّل الاعتزال بشرف في ظل الحكومة البريطانية على القبول بسيادة محدودة. وفي هذا الوقت أكّد على شيئين: أولاً، علينا بقدر الإمكان الامتناع عن المغازلة مع عناصر عربية أخرى سواه، وعن أي تعامل مع حكام عرب مستقلين كالإدريسي وابن سعود لأن ذلك يجعل من الصعب تحقيق خططه، وهو متأكد أن لديه مشروعاً محكماً لإزالة كل العقبات عن طريقه وطريقنا، حين تترك له نهاية الحرب مع تركية الحرية لتحويل اهتمامه إلى ناحية أخرى. وثانياً، بالنظر إلى أن من الضروري للشعوب العربية المختلفة أن يكون لديها مثل أعلى محسوس للاتحاد، ويجب على هذه الشعوب أن تثقف نفسها لبلوغه، وأن تركز اهتمامها عليه، فإنه يجب أن يعترف رسمياً باللقب الذي اتخذه لنفسه «ملك الديار العربية». والحلقة المفرغة، كما أشار إليها الكوماندر هوغارث بصورة ملائمة، الداخلة في هذه السلسلة من الجدال، تركته فاتراً ـ فقد فكر أنه ليس من الصعب في أن يصبح ملك العرب بمخاطبته بذلك من استحقاقه لحق هذا الخطاب بكونه فعلاً ملك العرب.

ومهما كان الأمر، فإن حكومة جلالته، على الرغم من احتجاجات الملك المتكررة، وجدت نفسها غير قادرة على الموافقة على قضية اللقب، غير أنها، حسب علمي، لم تثر اعتراضاً رسمياً على استمراره في استعمال اللقب غير المسموح به في مراسلاته الرسمية ـ والقضية كانت قليلة الأهمية ـ إلاّ من حيث إن ابن سعود بينما اعترض بصورة مفهومة على لقب «ملك الحجاز» فإنه على الرغم من بياناتي حول الموضوع، اهتم بأن يجيب «شريف مكة» حين خاطبه بلقب «ملك البلاد العربية». أما فيما يتعلق بالنقطة الأولى، فإن حكومة صاحب الجلالة بتعديلها

أفكارها في موضوع عمليات حائل قد أذعنت بصورة واضحة لادعاءات الملك بأنه المتسلم الوحيد لاحترام الحكومة [البريطانية] السامي وكرمها.

وقد ركز الملك معظم نشاطه على محاولاته للحصول على الاعتراف بمركزه الديني، وحسبما أذكر لم يذكر موضوع الخلافة إلاّ قليلاً في المحادثات التي جرت في جدة. فهذا الأمر لم يكن ليجابهه بأية صعوبة، بل يأخذه في طريق سيره. وادعاؤه الروحاني بصفته أعظم الأحياء من سلالة النبيّ لم يكن موضع نقاش. وعلى كل حال لن يرفض منصب الخلافة من جانب المؤمنين لخلف سلطان تركية في دور أكبر دولة إسلامية مستقلة ـ والحقيقة أن اسم الحسين بن علي أخذ منذ هذا الحين في أنحاء مختلفة من العالم يملأ الفراغ الذي كان يشغله السلطان العثماني في خطبة الجمعة الرسمية. ولكن يبدو من الضروري ذكر تحفظ في الموضوع بخصوص العنصر الوهابي في جزيرة العرب الوسطى. لقد صرّح السير برسي كوكس، في مؤتمر عقد في القاهرة في آذار/مارس ١٩١٨ واطلعت على محضره حديثاً بأن من رأيه أن ابن سعود إذا كان لا يعترف أبداً بالشريف رئيساً أو سيداً زمنياً له، فإنه قد يكون مستعداً لقبول ادعائه بالخلافة. هذا صحيح، ولكن بتحفظ مهم. فمع احترامي لرأي السير برسي كوكس، أرى من الضروري ذكر هذا التحفظ. إن ابن سعود، ولو كان يقرّ أن ادعاء الشريف بخلافة المسلمين من السنة يماثل، بل يفضل، ادعاء أي شخص آخر، وحتى سلطان تركية بسبب انحداره المباشر من النبي ـ فإنني في الحقيقة أشك فيما إذا كان الآن، بالنظر إلى ما قد حصل خلال السنة الماضية، يلزم نفسه بهذا الإقرار. فهو يرى الإسلام السنّي نفسه انحرافاً عن سنّة الرسول الصحيحة التي يمثلها المذهب الحنبلي أو الوهابي فقط. ومع أنه لا يعترض على إشغال الشريف أو أي واحد غيره لمنصب الخلافة فإنه لا يقرّ بأية حال بزعامته الروحية عليه وعلى شعبه.

ويبدو لي من المؤكد، بقدر تأكدي من أي شيء إنساني، أن الشريف، ما لم يستعمل القوة، لن ينال السيادة على نجد. وقد أوضحت آنفاً كيف أنه، لو اتخذ سياسة أخرى، لأمكن تغيير تاريخ البلاد إزاءه، ولعلّي قلت ما فيه الكفاية بأن الأمل الأخير للوحدة العربية قد غاب مع الهجوم الشريفي الأول على الخرمة، إن لم يكن قبل ذلك.

وعلى كل حال إنني فهمت أن المثل الأعلى للوحدة العربية تحت حاكم واحد، ذلك المثل الذي برز في المراحل الأولى للمفاوضات مع الشريف، قد صُرف النظر

عنه نهائياً من جانب كل دارسي المشكلة الجدّيين. مع ذلك تبقى الحاجة إلى إيجاد حلٍّ ما للمشكلة العربية ـ أي أننا إذا لم نكن على استعداد نهائياً لترك الجزيرة العربية إلى وسائلها الخاصة مع احتمال حصول نزاع متواصل وإراقة دماء ـ والمراسلات الحديثة تدل على إحياء المثل الأعلى السابق بشكل معدّل، ملخصاً في صيغة «الأولوية للملك حسين دون إخلال بالحقوق الإقليمية لسائر الرؤساء العرب» ـ تلك الصيغة التي وردت في برقية المندوب السامي المؤرّخة في ١٢ آب/أغسطس ١٩١٨.

لست واثقاً هل أن المقصود بهذه السياسة أن تكون مرادفة لما يسمى «سياسة الرئاسة» كما جاءت من المندوب السامي في كتاب حرّر في أيار/مايو وأرفق به مذكرة طويلة للكرنل سي.ئي. ويلسن، الوكيل البريطاني في جدة، لأنظار حكومة صاحب الجلالة، وقد شرحت في هذه المذكرة تفصيلاً فكرة إقامة الملك حسين رئيساً (سيداً) لكل الحكام العرب وترويض هؤلاء لقبول هذا المشروع.

إن المثل الأعلى للأسبقية والسيادة يعني في الحقيقة شيئاً واحداً. ومهما حدث فلا شك أن الملك حسين، بسبب نشاطه خلال الحرب، والأقاليم التي يسيطر عليها مباشرة كما هو المظنون، والموارد الكبيرة التي تحت تصرفه، ووضعه العالمي في الشؤون الروحية، سوف يكون دائماً أهم رجل في العالم العربي. لكن من الواضح أن المندوب السامي يهدف إلى أكثر من ذلك، كما هو بلا ريب ما يرغب فيه الملك حسين، وهو أن سيادته العامة تفرض الضغط السياسي أو سواه على جميع الحكام الآخرين الذين نستطيع التأثير عليهم.

أنا أعترف بأنني أرى هذا المثل الأعلى طوباوياً ـ مهما يكن مرغوباً فيه من وجهة نظر الملك حسين وحكومة صاحب الجلالة ـ وكلمة المستر بيوري التي ذكرت آنفاً، يجب أن تكون إنذاراً كافياً ضد أية محاولة لفرض تسوية مشكلة الجزيرة العربية بالقوة، إن لم يكن بسبب إلاّ لتفادي إثارة معارضة عظيمة ضد الشريف، بحيث يصبح وضعه غير قابل للدفاع عنه، وتجد الحكومة البريطانية نفسها مدعوّة للمداخلة لحفظ السلام ـ بل وحتى للحفاظ على مكة.

ليس للشريف إلاّ أن يشكر نفسه على المرارة القائمة بينه وبين ابن سعود، فهجومه المتكرر على الخرمة سوف يغور لأمد طويل في صدور أهالي نجد كمثال لأساليبه في المصالحة. وابن سعود، معترفاً بمصلحته الخاصة في المحافظة على

الصلات الودية مع الشريف بسبب وضعه الخاص في تأييدنا له، قد التزم السكوت طويلاً على الرغم من الاستفزاز، وحتى إنه قدم غصن الزيتون بشكل كتاب ودّي كتبه حسب اقتراحي ضد رغبته الصادقة، ولكن في النهاية بصورة عفوية نوعاً ما، أعيد ذلك الكتاب غير مفتوح، وعومل الرسول نفسه بالإهانة وحتى بالتهديد، وتكلم الملك بكلمات شديدة وغير ودية عن ابن سعود.

وإزاء هذا التصرف من جانب الشريف، يبدو لي أن من العبث الادعاء بأن له أقل رغبة في الحفاظ حتى على شكل من العلاقات الودية مع ابن سعود. وليس في الإمكان التفكير في إهانة أكثر علانية وأشد إغاظة، وإن احتمال قبول ابن سعود طوعاً بسيادة الملك أو الاعتراف بمركزه الأعلى بأية صورة كانت، ذلك ما يترك إلى تصوّر السامع.

لهذه الأسباب أرى حتى المثل الأعلى المعدّل لـ «سياسة السيادة» غير قابل للتحقيق، والبديل الآخر لخلق دولة لها سيادة على كل بلاد العرب عدا نجد، أغفله أيضاً باعتباره مبدئياً يثير مصاعب مماثلة. إن ابن الرشيد، بالرغم من كل جهود الشريف وأبنائه لاسترضائه خلال الأشهر القليلة الماضية، أراه أكثر احتمالاً للانضمام إلى ابن سعود لأجل الحماية المتبادلة ضد مطامع الشريف من قبول سيادة هذا الأخير. ومسقط والبحرين ودول الساحل المهادن أقل احتمالاً للاندماج بمحض رغبتها في بلاد عربية موحدة. والإدريسي والإمام لا يكسبان شيئاً بالانضمام إلى الشريف ـ ولنذهب إلى أبعد من ذلك، ليس هناك، حسب خبرتي الشخصية، من سبب للافتراض بأن شعب العراق يخضع لسيادة الشريف إلاً بالقوة وبتردد كبير.

أنا أعلم حقاً بأن انتقاداتي لها طابع تخريبي خالص، وليس فيها بذور سياسة بناءة، وليس لي إلاً أن أقول إن مصالح الدول العربية المختلفة التي تؤلف العالم العربي هي مختلفة اختلاف مصالح مقاطعات الهند وأقسامها، وهي مثلها لا يمكن التحامها لتكون وحدة سياسية مؤتلفة إلاً إذا تمَّ ذلك بنفوذ قوة خارجية شديدة تستطيع على الأقل حفظ السلامة العامة بين طوائف متنافرة ومصالح مختلفة.

إن الوحدة العربية كمثل أعلى في أوسع حدود المعنى مقضي عليها بالاختناق من قلة الحيوية، ونفوذنا وتأثيرنا في بلاد العرب الوسطى قد ابتلي بنقص خطير، ولا أقول متعذر للعلاج، خلال محاولاتنا لمنحه الحياة. أنا لا أستطيع أن أجد حلاً

معقولاً للمشكلة التي تواجهنا إلاّ بالاعتراف بالدول العربية التي نراها تتمتع باستقلال سياسي، ولا يمكنني أن أتصوَّر دوراً في المستقبل يكون أشرف وأضمن للمطامح البريطانية من السيطرة على مقدرات دول جزيرة العرب المستقلة تحت سيادة سياسية طليقة مسؤولة ـ إذا استثنينا المسؤولية الأدبية لأنفسنا وللدول نفسها لاستثمار مواردها ـ عن جعل النزاعات داخلية محضة وحفظ السلام حيثما تكون مصالح الأكثرية مهدّدة.

أصبحت حكومة صاحب الجلالة خلال السنوات القليلة الماضية معتادة على النظر إلى الشريف كأنه أقوى سلطة في جزيرة العرب ومالت ـ ربما من جراء تواضعها بلا وعي ـ أن تقلل الدور الذي تقوم به، في عمليات الشريف العسكرية الفعلية، القوات والموارد، إذا أغفلنا ذكر خدمات الضباط البريطانيين، الموضوعة تحت تصرّفه. ولذلك فليس من غير الضروري بالمرة استرعاء النظر إلى قوة نجد المتنامية القائمة على أساس التأثير الموحِّد (بكسر الحاء) لعقيدة صارمة ومتعصبة، يوثقها بعد سنوات من الجهد الصابر أمير يشغل اليوم في تقدير العرب المحل الذي كان يشغله بالأمس محمد بن الرشيد. وعلى كل حال يقع على عاتق حكومة صاحب الجلالة أن تمتنع عن استفزاز تلك القوة للعمل، وإن الإنسان ليأمل أن اعتناق مثل هذه السياسة لا يكون على كل حال غير ملائم، مع الاعتراف بالدور الكبير الذي يؤديه الشريف خلال سنوات الحرب هذه.

١٤ ـ بعث الوهابية

أتيحت الفرصة للكرنل هاملتن خلال سفرته إلى الرياض في تشرين الأول/ أكتوبر ١٩١٧ أن يمرّ على مسافة رحلة يوم واحد من الأرطاوية أحد مراكز الحركة الوهابية الجديدة التي تسمَّى بـ «الإخوان». وقد أعجب كثيراً بما سمع عن عقائد هذه الفرقة المتعصبة وقبل، بدون تحقيق، احتمال صحة تقدير محلي يضع عدد سكان البلدة بـ ٣٥٠٠٠ نفس. وأنا واثق أن تفكيراً قليلاً كان من شأنه أن يمنع الكابتن هاملتن من إبلاغ ما سمعه دون تحقيق آخر، ومن المحتمل أنه لم يتوقع أن يحمل ما أبلغه محمل الجد. ففي المحل الأول أنه لم يكن محتملاً بصورة واضحة أن بلدة تبلغ ضعف أكبر بلدة في جزيرة العرب الوسطى، قد ظهرت في مدة سنوات قليلة، وفي المحل الثاني ـ وهذه النقطة في ذهني نهائية ـ أن التقديرات المحلية للنفوس لا يمكن الاعتماد عليها بدرجة قطيعة، وكان من المفيد في هذه القضية

قبول خطة [الرحالة] داوتي في تخفيض مثل هذه التقديرات بنسبة ٩٠ بالمائة. وقد رأيت البلدة من مسافة حسنة، في تشرين الأول/أكتوبر ١٩١٨، وأنا مقتنع بأن سكانها لا يمكن أن يزيدوا على ١٠,٠٠٠ إلى ١٢,٠٠٠ نفس.

ومهما يكن من الأمر، وجدت عند وصولي إلى جدة والقاهرة أن بلاغ الكرنل هاملتن قد نشر رسمياً وحاز قدراً مزعجاً من التصديق، مسبباً قلقاً غير قليل وحاملاً السلطات المسؤولة عن الشؤون العربية على إعارة أهمية أكبر مما قد تسمح به الحقائق لبلاغات صادرة عن مصادر متحيزة حول نموّ الإحياء الوهابي وأغراضه. وقد نشر تقرير كتبه اللفتنانت كرنل ت.ئي. لورنس، ويدّعي أنه يعبّر عن آراء الشريف فيصل، و«النشرة العربية» (العدد ٧٤ لسنة ١٩١٧). وآراء الشريف عبد الله أعطيت محلاً بارزاً في الوقت المناسب في النشرة نفسها. وقد شعرت أن الموضوع يجري الحكم عليه مسبقاً ـ إذا لم يتم ذلك فعلاً ـ على أساس معلومات ناقصة تماماً. لقد استنكرت إعارة أهمية أكثر من اللزوم لآراء أشخاص متميزين حقاً، وبذلت جهدي للحطّ من قيمة الرأي الخطير الذي ينظر فيه إلى الوضع من جانب السلطات العليا. لكن المحافل الشريفية جسّمت الخطر الموهوم وعرضت إحياء الوهابية كعامل تهديد فوري للسلام والأمن في جزيرة العرب.

حدثت حادثة فريدة ـ لمرة واحدة خلال ١٢ شهراً، حسب علمي، للفوران الفعلي للحركة الوهابية المتطرفة الباعثة على الخوف ـ في هذا الوقت لتأييدالقصص المنتشرة على أفواه أبناء الملك. إذ دخلت جماعة من رجال عشيرة عتيبة، من غير الوهابيين، ويضمنها أحد الشيوخ، في نزاع مع الإخوان في الغطغط حيث ذهبوا حسب الظاهر للغزو أو السرقة ودفعوا حياتهم ثمناً لجرائمهم.

وقد اندفع الأقارب الذين أصابهم الأذى إلى الشريف طالبين دفع ظلامتهم، ورسم هذا الأخير صوراً مقلقة لانتشار دعاة الوهابية بضرورة الحدّ من الحركة في أعلى مراحلها. واتهم ابن سعود بتشجيع الحركة لدعم مطامعه السياسية الشخصية.

ويكفي القول إنه، من هذا الوقت وصاعداً، لعب الخوف من النهضة الوهابية دوراً كبيراً في حمل حكومة صاحب الجلالة على النظر بصورة سلبية في أي اقتراح يحتمل أن يزيد من قوة ابن سعود العسكرية. والأزمة التي خلفها هجوم الشريف المتكرر على رجال العشائر الوهابيين في الخرمة والاحتمال المتزايد لحصول قطيعة علنية بين ابن سعود والملك، ذلك الاحتمال الذي عتّم جوّ القسم الأخير من المدة

التي يتناولها هذا التقرير، ثبّتت الحكومة [البريطانية] في نفورها من تسليح ابن سعود، ولو اعترف بضرورة إبعاد اهتمامه عن شؤون الشريف، باستخدامه بصورة فعالة ضد العدو.

والدراسة التي أجريت للوضع في بلاد العرب الوسطى فيما بعد، حملتني على تثبيت رأيي بأن الخطر الوهابي على هذا الوجه هو خيال الأذهان المتحيّزة. وأصبحت واثقاً أن ابن سعود يسيطر سيطرة تامة على الحركة. وفي الوقت نفسه ظهر بوضوح أن العامل المقلق في الوضع إنما هو عزم الشريف البارز على استفزاز ابن سعود لتحريك قوى الوهابية ضدّه، إما لإقناع حكومة صاحب الجلالة بصدق إنذاره أو، في أسوأ الأحوال، إرغام الحكومة على الاختيار بينه وبين ابن سعود ـ وتلك مشكلة لا يمكن حلها حقاً إلاً باختيار جهة واحدة. وهذه الحقيقة ربما كانت غير معروفة إلى درجة كافية ـ فإصرار الشريف بشأن الخرمة، وهي غير مهمة بحدّ ذاتها، لم يكن له غرض سوى استفزاز ابن سعود ليقوم بعدوان سافر. كان هذا الأمر جلياً لأي عمل يقوم به لتأكيد حقوقه بالقوة، وعزمه على تحاشي اجتذابه إلى النزاع في قضية لم يشعر شعوراً قوياً بأهميتها، كان مساوياً للمصاعب التي عاناها في إقناع رعاياه بوجوب الصبر. ولحسن حظه كان أهالي الخرمة قادرين على مساعدة أنفسهم، فإن اندحارهم أمام قوات الشريف ما كان إلاً مؤدياً إلى القتال.

ثمة صعوبتان كبريان اعترضتا منذ عهود بعيدة طريق أولئك الذين حاولوا حكم الجزيرة العربية ـ عادات عشائرها الرحالة، وعدم وجود قطب جامع للتآلف. فقد كان آل الرشيد إلى درجةٍ ما قادرين على التغلب على هذه الصعوبات بسبب التكوين الخاص لقبيلة شمّر التي يؤكّد تضامنها بوجود عاصمة مشتركة لها وحاكم تجري دماؤها في عروقه. أما فيما يتعلق بآل سعود فالأمر كان مختلفاً ـ أسرة حاكمة غريبة عنهم، تقيم في مركز خلقته هي نفسها وتحكم مجموعة عشائر مستعدة في أي وقت لخلع ولائها متى وجدته غير ملائم.

والحروب الأهلية، إذا كان لنا أن نستعمل هذه التسمية، لعشرات السنين التي تبعت وفاة فيصل (آل سعود) تمثل حقاً هذه النقطة، وحاكم نجد الحالي لم يكد يلي الحكم في الرياض حتى وجد نفسه مدعواً لمواجهة الصعوبة نفسها، والمطالبون بالحكم من نفس أسرته رفعوا لواء العصيان عليه وحصلوا إضافة إلى ذلك على دعم قويّ، بين عشائر نجد وبلدانها. لكن عبد العزيز بن سعود أثبت أنه رجل صلب البنية ـ وقد قضى السنوات الأولى من حكمه في طرد الغزاة الأجانب من حدوده

البعيدة، ثم عقب ذلك زمان اضطر فيه إلى مواجهة ادعاءات مرشحين منافسين لحكمه، وبعد ذلك قام بجهد ناجح قصير الأمد لتوسيع أراضيه على حساب الإمبراطورية العثمانية. أخيراً جاء عهد الإعمال الذي اتّبع بثبات ولو أخّرته الحرب. والآن أصبحت نجد، كما لم تكن قبلاً، وحدة سياسية متجانسة تعترف بحكم ابن سعود.

وعندما قام عبدالعزيز في مباشرة مهمة التوطيد الذي واجهه، لم يقصّر في التأثر بمثالين من تاريخ جزيرة العرب الوسطى. فمحمد بن الرشيد نال قوته من الخواص التي جعلت شمّر على ما كانوا ولا يزالون عليه ـ قبيلة بدوية مؤسسة على بلدة بدويّة ـ أما جده القديم سعود بن سعود فقد حمل سلاحه المنتصر إلى أبعد أركان جزيرة العرب بفعل مزجه الحكيم للدين والسياسة، وذلك سرّ قوّته.

أما ابن سعود فلم يتبع أياً من المثلين بصورة كلية، بل باشر مزج الاثنين، وكانت النتيجة حركة الإخوان التي تكون خواصّها الأساسية كما يلي:

(١) كانت الحركة قاصرة على البدو الذين، وإن كان معظمهم تابعين للمذهب الحنبلي اسمياً أو، كما أصبحوا يسمّون بعد ذلك، للمذهب الوهابي، فإنهم مقسومون فعلاً في ولائهم بين هذين المذهبين وبين أصول العرف غير المكتوب الذي ينظم حياتهم. وأهل البلدان النجدية الذين يسودهم بقوة طغيان الرأي العام المنظم في شؤون الدين، يعتقد ضمناً أنهم وهابيون أتقياء، ولذلك لا يحتاجون إلى اهتمام خاص.

(٢) «المطوّعون» أو، كما سمّاهم بحق [الرحالة] بالغريف [المتعصبون] [المتحمسون] الذين يعيّنون من بين علماء المدن لغرض خدمة الاحتياجات الدينية للبدو، وتعليمهم مبادىء المذهب الوهابي البسيطة، والإشادة بمزايا حياة تتخذ حياة الرسول قدوة، وشجب شرور عادات المجتمع البدوي، والتبشير بالمباهج المادية في الجنّة، وغرس واجب الشهادة في سبيل الدين في الأذهان باعتباره أضمن طريقة للدخول مباشرة إلى جنة الراحة والهناء. وقد عمل «المطوعة» في البداية بين البدو الرّحل، ثم واظبوا على تمجيد المزايا السياسية للحياة الاجتماعية في خدمة الله.

(٣) هكذا سار العمل لتفتيت الصفات الأساسية للمجتمع البدوي،

واتخذت المواقع المناسبة لإنشاء أماكن استقرار دائمي، وبرز عدد من القرى أو القصبات خلال السنوات الخمس أو الست الأخيرة في أنحاء مختلفة من نجد، وتلك ظاهرة لإحلال رابطة الأخوّة الدينية محل الروابط العائلية ـ وهكذا بينما احتفظ «الإخوان» من المطير بالنسبة إلى نفس رجال عشائرهم من الإخوان بحقوق المجتمع العشائري وامتيازاته، فإنهم حصلوا، مع الإخوان المنتمين إلى عشائر معادية فيما مضى، على كل الحقوق والامتيازات للأخوّة الدينية.

(٤) إن الإخوان، وقد جمّعوا على هذا الوجه في مراكز ملائمة وأصبحوا متحمسين لإيمانهم الجديد، أبدوا فوراً الرغبة في قطع صلاتهم القديمة مع زملائهم العشائريين الذين لم يعتنقوا المذهب، لكن ابن سعود، بفطنته السياسية النادرة، لم يشجع هذا الميل، وبذلك توثقت رابطة قوية من المصالح المشتركة بين أهمّ أفخاذ جميع العشائر النجدية الكبرى. وقد شيّد ابن سعود على هذا الأساس دعامة سلطته السياسية، معتمداً على العناصر البدوية في مجتمعاته الجديدة إلى جانب الحضريين الذين سبق لهم الاستقرار، وأصبح الآن قادراً على إعفاء هؤلاء إلى درجة بعيدة من الواجب المنهك الذي كانوا يؤدّونه لأمد طويل في الاشتراك في حروب حكامهم.

(٥) بعد توطيد الأمن والسلام في أراضيه بلزوم ترك عادة الغزو القديمة كما هو مفروض على الأخوّة الجديدة، أصبح ابن سعود قادراً على الاستعانة بالطاقة الاحتياطية للإخوان الذين نذروا أنفسهم منذ الآن للقتال في سبيل الدين فقط أو في الدفاع ضد الهجمات، لتكون جيشه الدائم. وعليهم دون غيرهم وزّع الأسلحة والعتاد الذي في حوزته، وعليهم صار اعتماده ليكوّنوا العمود الفقري لجيشه في الحرب. وقد جمع هؤلاء الإخوان صلابة البدو إلى استقرار الحضر، وخدمة المصالح الاقتصادية بدون إضاعة.

والخلاصة يمكننا القول إن غرض ابن سعود في تشجيع حركة الإخوان هو زيادة قوّته العسكرية، بنشر عبء الخدمة العسكرية على عدد أكبر من رعاياه، والتقليل من عناصر الضعف الفطرية في دولة بدوية وجيش بدوي، ولتوفير موارده بإحلال أمل المكافأة محل اعتبارات الارتزاق.

ويجوز التساؤل لأي هدف نهائي خلق ابن سعود هذا النظام وهل هناك ضمان لمقدرته على السيطرة على الحركة. أنا أجيب عن السؤال أن دافعه لم يكن سوى الرغبة في خلق دعامة قوية دائمية ضد الاعتداء الخارجي في المستقبل والطموح الغامض لجلب جبل شمّر مرة أخرى تحت حكم أسرته. وفيما يتعلّق بمطامعه في نواح أخرى ـ لأنه لا يمكن أنه لم ينظر في احتمال مدّ الحدود الوهابية مرة أخرى إلى أبعد أنحاء جزيرة العرب ـ فلا يمكن القول أكثر من أنه ينظر إلى الحكومة البريطانية كعقبة كأداء ودائمة لتحقيق مثل هذه الأحلام، وهو مستعد لقبول هذا الوضع.

أما الجواب عن الجانب الآخر من السؤال فهو أشدّ صعوبة، أعتقد أن في الإمكان الجواب إيجاباً بصورة سرية على قدر ما يتعلق بأية سياسة محتملة في المستقبل، ولكن يكون من العسير التوقع من نظام موضوع على أساس التعصب، أن يستطاع السيطرة عليه حسب الإرادة في حالة استفزاز ذلك التعصب بصورة خطيرة بهجوم عدائي. إن هذا الاحتمال، الذي يصبح أشدّ خطراً في حالة غياب ابن سعود نفسه عن المسرح، يجعل من المرغوب فيه لأجل مصلحة السلام المقبل في جزيرة العرب عدم تشجيع أي عمل هجومي من جانب الشريف أو العناصر الأخرى التي تحت سيطرتنا. وقد يمكن النظر إلى «عش الزنابير» الوهابي برباطة جأش ما دام يبقى دون إزعاج، لكن آخر الأخبار من الجزيرة العربية الواردة قبل أيام قليلة فقط، تدل على أن الشريف يهيء هجوماً جدياً على الخرمة.

إن احتمال المصادمات بين ابن سعود والشريف لا يصحّ في الظروف المتغيّرة أن تسبب لنا قلقاً على أنفسنا، لكن يجب أن نشعر، قبل أن يصبح الأوان متأخراً، أن الخرمة ليست سوى حادث في معركة أشدّ تأتي فيما بعد. وعلى حكومة صاحب الجلالة أن تقرّر هل هي مستعدة أو غير مستعدة لترى مكة مهاجَمة ومغلوبة مرة أخرى من جانب الوهابيين. وأنا أميل إلى الاعتقاد، بصورة عامة، بأنه ما دامت الخرمة غير مغلوبة على أمرها، كما تدل على ذلك الأسباب الراهنة، فلا خطر من امتداد النشاط الوهابي بعيداً، لكنني واثق بأن اندحار خالد بن لؤي يكون علامة لانفجار العاصفة.

١٥ ـ حادث الخرمة

حين مررت بقرية الخرمة الصغيرة الواقعة في منخفض وادي سبيع في كانون

الأول/ديسمبر ١٩١٧ بطريقي إلى الطائف، شعرت بوجود القلاقل، لكن مناورات عشائر السبيع والبقوم لم يكن فيها ما يدلّ على حدوث عاصفة في ذلك المحل الذي هيّء ليكون، إذا أمكن القول، محور السياسة في جزيرة العرب الوسطى. وظروف عمل البقوم تحت إمرة أمير تربة الممثّل الرسمي لملك الحجاز هي وحدها التي خالفت العمليات التي شاهدتها عن الغارات الدائمة لعتيبة وحرب وقحطان في السهل الواسع في الغرب.

وحسب المعلومات التي تمكّنت من جمعها في جزيرة العرب الوسطى إن الخرمة التي كانت جزءاً كسائر بلاد العرب من الإمبراطورية الوهابية الواسعة وحصلت من سعود نفسه على إعفاء من واجب دفع الضرائب إلى الخزينة المركزية، استقرّت تحت رؤسائها من الأشراف الذين سادوا منذ عهد بعيد على الملاكين من السبيع والزراع العبيد في بساتين نخيل القرية ويتمتعون باستقلال ذاتي عملي تحت سيادة نجد الغامضة. وفي تاريخ لاحق انتقلت الخرمة إلى سيادة تركية الغامضة أيضاً، ومورست السلطة بلا ريب باسم السلطان من قبل ممثله شريف مكة. ولكن خلال عشرات السنين الأخيرة من القرن التاسع عشر، حين اعترفت نجد بأسرها بحكم ابن الرشيد، يظهر أن هناك سبباً للاعتقاد بأن ابن الرشيد استحصل من السلطات التركية على اعتراف كبير بسلطته وقبول خط وادي العقيق حدوداً بين أراضيه ومنطقة السلطة التركية المختارة، وهي الحجاز. وبهذا الترتيب تكون الخرمة داخلة ضمناً في أراضي ابن الرشيد، ولدى طرده من نجد، في أوائل القرن الحالي، عاد ابن سعود إلى حكم أقاليم أجداده.

إن الحقائق المهمة للقضية هي أولاً، أن الخرمة، حسبما تمكنت من التحقيق، كانت دائماً فيما مضى لا أهمية لها لتكون موضوع نزاع بين السلطات المختصة أو تذكر بصورة خاصة في أي اتفاق عام. وثانياً، إنها بقيت دائماً تتمتع بحكم ذاتي واستقلال فعلي. وأخيراً، إنها كانت على كل حال تعتمد بصورة طبيعية على نجد بالنظر إلى ولائها للمذهب الوهابي. ويظهر أن هذا الولاء لم تجر أية محاولة للتدخل فيه قط، ولا أرى سبباً للارتياب في صحة بيان ابن سعود بأن الشريعة طبقت دائماً في الخرمة لصالح أهاليها على أيدي موظفين دينيين من المذهب الوهابي، ومنهم القاضي الذي يشغل منصبه في الوقت الحاضر والذي خلف أباه هو أيضاً نال منصبه من فيصل بن سعود منذ مدة لا تقل عن ٥٠ عاماً.

المصدر والأصل للموضوع ـ وهذا على أساس بعض الرسائل التي كتبها

الشريف عبد الله نفسه لرؤساء السبيع العشائريين ـ هو محاولة من جانب الشريف في صيف ١٩١٧ لفرض قاض تقليدي على أهل الخرمة بدلاً من القاضي الوهابي الذي خدمهم لمدة طويلة، أو، بكلمة أخرى، للتدخل في حرية الجماعة الدينية. وهذه المحاولة كانت موضع استياء شديد ومعارضة قوية من أهل الخرمة الذين يرأسهم الشريف خالد بن لؤي أميرهم. ولم يسمح للقاضي الجديد بتسلم منصبه، فتحرّكت قوات الشريف لإرغام الجماعة الثائرة على الانصياع لأوامره.

والشريف، وقد نسب إلى ابن سعود نشاطات غير معيَّنة وبالتأكيد خيالية هدفها تقويض سلطته في منطقة الخرمة، أعلن نيته للسلطات البريطانية في إرسال قوات لإخضاع السبيع، وبدأت الفاجعة في حوالى أول حزيران/يونيو ١٩١٨ بهجوم على معسكر السبيع، وكانت نتيجتها اندحار القوات الشريفية مع فقدان مدفعين وبندقيتين أوتوماتيكيتين .

أبلغ ابن لؤي انتصاره إلى ابن سعود بالطريقة البدوية الاعتيادية، وكنت أنا في الرياض في خير وضع لتقدير أثر بلاغ الانتصار المتفاخر للمذهب الصحيح على الكافر، على الأذهان الصارمة للوهابيين المتعصبين المتحجّرة بقسوة رمضان المؤذية في منتصف الصيف.

مرّ رسل الخرمة في طريقهم بالمستوطنة الوهابية المهمة «غطغط»، وقد استجاب سكانها دون تأخير إلى الدعوة بطلب المساعدة، فأرسلوا فريقاً قوياً إلى مسرح الأحداث. وضجَّت الرياض تطلب الحرب مع الشريف، وحسب ما تمكنت أن أحكم عليه، نالت ضجتها تأييداً قوياً من الإمام عبدالرحمن نفسه رئيس الوهابيين الديني الأعلى. لكن ابن سعود، مع اعترافه بخطورة الوضع في محادثاته معي، قاوم الضغط المشدّد عليه واستدعى فريق الغطغط وأرسله للعمل مع تركي ضد شمّر، وكتب، حسب طلبي، إلى خالد بن لؤي مؤكداً له أنه قائم بالاحتجاج لدى الحكومة البريطانية حول الموضوع وموعزاً له بالامتناع عن أي عمل جديد، ثقة منه بقدرته وعزمه على حماية حدوده من كل هجوم.

والشريف، في خلال المباحثة التي تبعت ذلك، برّر عمله على أساس أن خالد بن لؤي قد عيّن أميراً للخرمة من قبله ـ وهذا الادعاء، حسب المعلومات التي لديّ، مشكوك فيه إلى حدّ كبير، لأن خالد خلف ابن عمه غالب في صدد الوراثة الاعتيادية عند موت هذا الأخير قبل نحو من أربع سنوات. وأن الخرمة

نفسها تقع داخل حدوده. وفي الوقت نفسه لم ير الشريف ضرورة لوقف عملياته العسكرية ضدّ المتمردين وأسرع بإنجاز الاستحضارات لتجديد الحملة. وهوجمت الخرمة مرة ثانية في تموز/يوليو، ودحرت قوات الشريف مرة أخرى، وفقدت مدفعين وبندقيتين أوتوماتيكيتين. وقد أبلغ الأمر إلى ابن سعود بكتاب من خالد ألحّ فيه بطلب المساعدة، وهدّد بأن يأخذ الأمور بيده إذا وجد ابن سعود نفسه لا يستطيع دعمه، وذلك بإرسال نسائه وأطفاله لإثارة نجد وحملها على العمل. وفي الوقت نفسه لم يبق مجال للشك في أن عشائر الجنوب أخذت تتجمع للدفاع عن الخرمة، وأن السلطات التركية تراقب باهتمام تطور الوضع. والرسائل من رؤساء عسير وفخري باشا المشار إليها في قسم آخر من هذا التقرير، أعطت تأكيداً كافياً للمقترحات المتعلقة بالموضوع والتي قدمتها في تقاريري.

بذلت قصارى جهدي لإقناع ابن سعود بمباشرة المعارك الفعالة مع شمّر وذلك بغية صرف اهتمامه عن اضطرابات الخرمة وضمان القسم الأكبر من قواته المتوفرة حسب الإمكان. وقد أكد بطبيعة الحال على خطورة الوضع، واحتجّ على اعتداء الشريف بدون استفزاز، وكتب إلى ابن لؤي مؤكداً له أنه، لما كانت الحكومة البريطانية لم يتوفر لها الوقت الكافي للنظر في احتجاجاته قبل حدوث الهجوم الثاني، فإنه لا يتورع عن المضي لمساعدته في حالة توقع حصول هجوم ثالث.

لم أكن في وضع يساعدني على العمل أكثر من أن أضمن لابن سعود أن الحكومة البريطانية لن تتحمل أي اعتداء على سلامة أراضيه، لكن المراسلات التي تلت ذلك أظهرت أن مثل هذا الضمان لا معنى له. وقد أكّد ابن سعود مرة أخرى أن أهالي الخرمة لا يأخذون بسياسة هجومية، وأنذرني أنه تعهد بالمضيّ لمساعدتهم في حالة حصول هجوم آخر، وتخلّى عن كل مسؤولية عن النتائج إذا أصرّ الشريف على الطريقة التي سار عليها. وفي الوقت نفسه اقترح عرض النزاع المبحوث فيه على الحدود بدون تحفظ لتحكيم الحكومة البريطانية، متعهداً بقبول قرارها مهما يكن هذا القرار. وعند تبليغ هذه المحادثة أكدت وجوب تسوية قضية الحدود، أو في حالة عدم إمكان إجراء ذلك في ظروف الحرب، فيلزم أن تفرض على الفريقين حدود مؤقتة من مرّان إلى تربة على طول خط شعيب شابا، الذي يشكل الحدود الطبيعية بين عشائر السبيع والبقوم.

لقد عقدت أعظم الأمل على أنه لا بدّ من مضيّ بعض الوقت قبل أن يستطيع الشريف تجديد عملياته. وشعرت بالثقة بأن حكومة صاحب الجلالة سوف تصرّ

على إيقافه عند حدّه بينما يجري النظر في موضوع النزاع. لكنني كنت مخطئاً في ذلك. فالشريف عارض فكرة التحكيم في قضية لا يشك هو في حقها، وحكومة صاحب الجلالة، في رسالة تهدئة لابن سعود، دون التعهد من جانبها بأي قرار معين في موضوع النزاع، قبلت رأي الشريف القائل بأنه لا يعتزم السماح لعملياته الموجّهة ضد أمير الخرمة «المتمرّد» وحده بالتوسّع إلى معارك شرقيّ الخرمة ضد أراضي ابن سعود.

وهذه الرسالة التي أغفلت موضوع النزاع كله لم تكن لتؤاسي ابن سعود الذي اعترض كل الاعتراض على عبارة رسالة الحكومة المتعلقة بالقضية، وكرّر عدم قدرته على تحمل نتيجة أي عمل هجومي جديد من جانب الشريف. وهكذا انحدرت الأمور حتماً نحو الحرب. وكانت حكومة صاحب الجلالة قد طمأنت ابن سعود بشأن توقعاته في حالة قيامه باتخاذ إجراءات فعالة ضد ابن الرشيد. وقد أكدت أشدّ التأكيد على هذه الرسالة لحثّه على العمل، شاعراً أن ذلك سباق مع الشريف شاكر الذي عرف أنه يهيّء لهجوم آخر على الخرمة.

والحقيقة أن خبر الهجوم الثالث على الخرمة الذي اتخذه شاكر، حسب المعلومات التي تسرّبت من بعض الفارّين من قواته، بنتيجة تسلمه أوامر قاطعة من الشريف للعمل أو التنازل عن قيادته، والذي انتهى مثل سابقيه بهزيمة القوة الشريفية وخسارة مدفعين وبندقيتين أوتوماتيكيتين، ورد (الخبر) في اليوم الذي التحقت بابن سعود في القصيبة بعد غارته الناجحة على حائل.

وابن سعود، الذي كان مسروراً من نجاحه بالعرض الذي أصبحت الآن قادراً أن أقدمه له، حسب موافقتكم، بمنحه إعانة منتظمة قدرها ١٠,٠٠٠ باون شهرياً ما دام يستمر في عملياته الفعالة ضد جبل شمّر، وكان فوق كل شيء واثقاً بنتيجة الهجوم الثالث على الخرمة من مقدرة ابن لؤي على حفظ ثغوره بدون مساعدة أحد، تلقّى الخبر بهدوء دون أن يضيع الفرصة السانحة للاحتجاج مرة أخرى على عداء الشريف السافر والفعال، وأوضح أنه سيكون الآن مشغولاً بعملياته ضد حائل فلا يستطيع الاهتمام بشؤون أخرى.

كان الوضع على هذه الصورة حين انتهت الحرب مع تركية على حين غرّة، وأراحت الحكومة البريطانية من كل قلق فوري فيما يتعلق بتطور الحالة في جزيرة العرب الوسطى. وكما أشرت إليه في القسم الأخير (من هذا التقرير) لم يزل

الشريف شاكر يواصل تهديده للخرمة، لكن الفصل الأخير من هذه القضية، مهما يكن ومهما يؤدّ إليه من نتيجة لسيادة السلام في الجزيرة العربية، يقع خارج نطاق هذا التقرير.

وقد قيل ما فيه الكفاية لتوضيح أن قضية الخرمة كانت في الحقيقة امتحاناً لحسم ادعاء الشريف للسيادة على نجد أو على قسم غير صغير منها. والحكومة البريطانية متعهدة بموجب معاهدة لتحديد حدود الإقليم الذي يعترف بابن سعود فيه حاكماً مستقلاً. وهذه المشكلة يجب أن تحظى باهتمام حكومة صاحب الجلالة في عهد ما بعد الحرب لإعادة البناء، وهذا العهد قريب الحلول. ولن يكون خارج الصدد النظر بإيجاز في بعض النقاط المهمة للمشكلة، وعلى كل حال اقتراح الخطوط التي تعالج بها.

إذا خفضنا المشكلة إلى أدنى حدودها فهي أن ابن سعود، بينما هو يطالب بالاستقلال التام وسلامة الحكم في كل أنحاء نجد، فإن الشريف قدَّم ادعاءات بالسيادة على جميع عشائر عتيبة وحرب والقسم الغربي من السبيع.

على المرء أن يتفهم أن العتيبة يعيشون في تلال نجد والسهل الغربي من خط الدلقان والسرّ والنفود إلى داخل خط الحجاز، وأن عشيرة حرب تمتد مساكنها في حدود البطين إلى المدينة على كل صحراء القصيم الأعلى، وأن القسم الغربي من مستنقعات السبيع والبقوم على خط شعيب شابا في الغرب، ومع عتيبة على طول خط وادي نعيم إلى الشرق. وإذا تحققنا من ذلك فإن الشريف في الحقيقة يدّعي السيادة على جزيرة العرب الوسطى إلى غربيّ خط يمتد من ثمامة، في النهاية الغربية للبطين، على طول وادي ريمة ومن هناك إلى الجنوب تقريباً على الحدود الشرقية لمناطق المذنب والصرّ إلى سرّة النفود، جنوبي تلال نجد، وهكذا غرباً إلى مقربة من وادي رانية. وهكذا يدعي الشريف بكل مناطق القصيم والسرّ وتصل حدوده الشرقية تقريباً إلى حدود إقليم الكويت.

ولا حاجة للقول بأن مثل هذا الادّعاء ينازعه ابن سعود بقوة، وهو يدّعي السيادة على كل أنحاء نجد وعلى أقسام العشائر الآنفة الذكر التي تقيم فيها. وهو يرفض إمكان إجراء تسوية على أساس العشائر، ويؤيده التاريخ في هذا الجدال. فالتاريخ حسب علمي لم يسجل تضامن عشائر عتيبة وحرب في ولائها لحاكم واحد.

وعلى كل حال، إن من الجليّ أن كل ادعاء من جانب الشريف يتضمن الحصول على القصيم والسّرّ سخيف في طبيعته، وهذه الحقيقة وحدها تجعل حل المشكلة على أساس عشائري غير ممكن. والحل البديل الوحيد هو في حدود الأراضي والاعتراف بسلطة كل حاكم على جميع العشائر والأشخاص المقيمين في جهته من هذه الحدود.

وليس من السهل إيجاد مثل هذه الحدود، لكن ذلك ليس صعباً كما يظهر، لأن الجزيرة العربية الوسطى تمتاز بظواهر طبيعية واضحة تمتد من الشمال إلى الجنوب بين خط نفود السرّ شرقاً وغرباً، وهذا الخط تقف دونه منطقة وادي الدواسر وحدود جبل شمّر. وخط الحدود المشار إليه قد يرفض بأنه غير عملي. فقسمه الجنوبي على طول نفوذ الدلقان الذي يستمر إلى جهة الشمال على طول الحدّ الغربي للسرّ والقصيم هو أيضاً غير عملي لأنه يضع كل مرتفعات نجد الحقيقية التي هي الآن والتي كانت دائماً تحت حكم ابن سعود الفعلي، (يضعها) تحت سيادة الشريف، والخط الممكن الآخر هو وادي نعيم الذي يجري تقريباً إلى الجنوب من سجاح. وأبعد من ذلك إلى ناحية الغرب خط شعيب السبعان، ثم أبعد منه خط وادي العقيق.

بين هذه الخطوط الثلاثة ـ ويبدو أنه ليست هنالك أية خطوط ممكنة أخرى ـ يجب أن يكون القرار في الوقت المناسب. والخط الأخير، ولو أنه يتمتّع بشيء من الدعم التاريخي، قد يرفض لأنه يمنح ابن سعود أكثر مما يطالب به، والخط الأول معرّض للاعتراضات، أو، إنه يضع القسم الغربي من عشائر السبيع وعاصمته الخرمة تحت سيادة الشريف، وبذلك ينفي مبدأ حق تقرير المصير للطوائف الضعيفة التي يحق لها، على الأقل، أن تحترم، وثانياً، أنه يترك جزيرة وهابية في منطقة تقليدية، وبذلك يفتح باب الاحتكاك الديني في جزيرة العرب. والبديل الوسط هو في رأيي الخط الأنسب لمطالب الأحوال المحلية، الخط الذي يجد أفضل قبول للشعب الذي يتعلق الأمر به بصورة حيوية، الخط الذي يأتي أقرب ما يكون لإتاحة خط حدود بين التسمية الجغرافية الغامضة قبلاً: نجد والحجاز، والوحيد الذي يتبع حدوداً عشائرية معترفاً بها لقسم كبير من طوله. ومع شرط إجراء تعديلات صغيرة في التفاصيل، يكون جريانه على طول مياه حمض ربما في حرّة خيبر إلى الحناكية (التي تشكل على ما أرى مجمعاً مناسباً لحدود الحجاز ونجد والجبل وشمّر)، ثم يمرّ رأساً خلال السهل إلى مرّان، ومن هناك إلى نقطة في

شعيب السبعان حيث تلتقي حدود عتيبة والسبيع والبقوم، ثم في مجرى الشعيب إلى نقطة صدوره من وادي سبيع، ومن هناك يتبع الخط الوادي إلى تربة. وهل يجري الخط من تربة إلى بيشة شرقاً أو غرباً من صقع رانية ـ ذلك سؤال لا أستطيع أن أدلي برأي فيه، ويجوز تركه ليقرر حسب الظروف.

والنقطة الوحيدة التي لا يمكن أخذها بنظر الاعتبار في رأيي ـ وقد سبق لكم التعبير عن الرأي نفسه ـ في تقرير المناطق التي تكون تحت سيادة الشريف وابن سعود هي في الخدمة العسكرية الكبرى التي قدمها الشريف لقضية الحلفاء خلال الحرب. ورغبات الأهالي الذين يتأثرون بالقرار واستحسان عدم ترك منفذ لحدوث احتكاك ديني في المستقبل هي اعتبارات عملية ذات أهمية قصوى، والنواحي التاريخية والجغرافية للقضية التي تكون لها لواحق مهمة لكن دونها اعتباراً.

حين يضاف إلى هذه الاعتبارات التفكير بأنه، مهما تكن المزايا المجرَّدة للنزاع بين الشريف وابن سعود على حدودهما، فإن أعمال الشريف خلال السنة الماضية قد نفَّرت عواطف أهالي الخرمة حتى إنهم لا يرتضون الخضوع لحكمه مهما تكن الظروف، فإن صعوبة المهمة التي تواجه حكومة صاحب الجلالة في المستقبل القريب يمكن تصورها على حقيقتها. ومن الجهة الثانية إذا تنازلت الحكومة عن مسؤولية التقرير الجسيمة وعن فرض قرارها في تسوية النزاع، فإنها تجد نفسها على القمة الأخرى من المشكلة في تقرير الموقف الذي ينبغي اتخاذه في حالة نشوب المعارك بين الشريف وابن سعود، وذلك في رأيي لا بدّ منه ونتائجه وخيمة وبعيدة الأثر.

١٦ ـ ابن سعود والأتراك

وقد قيل من وقت لآخر إن ابن سعود لم يكن بريئاً من التواطؤ مع الأتراك. وخاصة في مناسبة واحدة معينة، عند مرور إرسالية من النقود ـ بصورة مؤكدة فيما يبدو ـ من المدينة إلى القوات التركية في اليمن، وذلك في صيف سنة ١٩١٧ كما أعتقد. والشريف لا يكل من التأكيد على هذا الأمر. ومهما تكن الحقيقة حول هذه الإرسالية من النقود، أنا واثق أنها، إذا كانت قد مرَّت، فذلك لم يكن بعلم ابن سعود، لأن مرورها خلال سهل عتيبة الواسع، والافتراض بأن ابن سعود أعطى صك الأمان للناقلين إلخ، فإنني لا أتردد في استبعاد الأمر لأنه سخيف ولا أساس له من الصحة. يجوز أنه لم يشعر بما فيه الكفاية بأنه، مهما

تكن تعقيدات السياسة في بلاد العرب الوسطى، فإن الأتراك هم أعداء ابن سعود الطبيعيون، ليس لأن الوهابيين يعتبرونهم كفاراً فحسب، ولكن لأنهم لا يمكنهم أن يوافقوا على ضياع الأحساء أبدياً إذا قدّر لهم البقاء بعد الحرب في وضع يمكنهم من التغلب على قرار القدر.

حين كنت في جدة أكّد الشريف بشدّة، كحقيقة مثبتة لديه بدليل لا يمكن ردّه، أن ابن سعود كان يراسل فخري باشا، قائد حامية المدينة، سراً لأمد طويل. والحقيقة أنني عندما كنت في الرياض أخبرني ابن سعود بتسلمه رسائل من فخري باشا، وليس ذلك فحسب بل سلمني ثلاث رسائل أصلية، وقد بيَّنت إحداها، على كل حال، بصورة نهائية أن ابن سعود لم يجب قط على الرسالتين الأخريين. ولما عبَّر الشريف عن هذه التهمة وعرض أن يأتي بالدليل ـ أعتقد أنه شاهد من الناس ـ أخبرني بطبيعة الأدلّة التي أملكها بأن قوله لا أساس له. وفي اليوم التالي حين أبرزت الرسائل نفسها وبدأت بقراءتها علناً لمعلوماته، رفض بعناد الاستماع إليها وصرّح أنه محق في رأيه عن ابن سعود ـ لكنه لم يذكر شيئاً عن إبراز دليله القاطع.

إنني أذكر القضية هنا لأنها تبين موقف الشريف تجاه ابن سعود، ولأنها دليل مرض بما فيه الكفاية على أن السلطات التركية، ولو أنها كانت تشعر شعوراً حقاً بفوائد عزل ابن سعود عن قضيتنا، فإنه هو لم يقدم لها أقل تشجيع. وكان فخري باشا على كل حال قد خاب أمله بنتيجة خبرته وانقطع عن إرسال رسائل إلى ابن سعود حتى أصبحت الأمور حرجة حقاً بين هذا الأخير والشريف بشأن مسألة الخرمة، فانتهز الفرصة في أيلول/سبتمبر ١٩١٨ للكتابة بحجة تزويد ابن سعود بالأخبار المتأخرة عن وفاة السلطان[1] وخصوصاً لتهنئته بانتصارات الإخوان في الخرمة على حملات الشريف العسكرية، وفي الوقت نفسه عرض استعداده لتزويده بأي شيء يطلبه ابن سعود من سلاح وعتاد ومال لمباشرة الحرب ضد الشريف. وهذه الرسائل أيضاً سلمها ابن سعود ليدي بالأصل. ومع أن عرض تزويد السلاح إلخ.، جاء في لحظة حرجة حين كانت علاقة ابن سعود مع الشريف متوترة جداً، وأعربت حكومة صاحب الجلالة عن عدم إمكانها تجهيزه بالسلاح

(١) السلطان محمد رشاد الخامس. (ن.ق.ص).

لمعركة حائل، فيذكر لمفخرة ابن سعود أنه قاوم الإغراء لإرسال الجواب إلى فخري باشا.

وقد وصلت رسالة تركية أخرى في آب/أغسطس فعاملها بازدراء مماثل ـ وهي رسالة موقعة من أربعة رؤساء كبار لعشائر عسير، ولكن يظهر من إنشائها وفحواها أنها ليست على وجه التأكيد من محيي الدين بك القائد التركي ومتصرف عسير، وقد ذكَّر فيها ابن سعود بالفوائد الحاصلة لمقاطعة عسير من الحكم التركي ودعاه للانضمام إلى الموقعين في الدفاع عن الدين الحقيقي.

حسبنا هذا عن المراسلات المعروف أنها وجهت إلى ابن سعود من قبل السلطات التركية أو بالنيابة عنها. وفي شهر حزيران/يونيو ورد خبر صادر من عدن يدل، على أساس وثيق حسب الظاهر، أن ابن سعود والأتراك أتمُّوا ترتيبات ترمي إلى السماح لبعض الضباط بالمرور إلى اليمن لدراسة الشؤون المالية للقوات التي تخدم تحت إمرتهم، لكن هذا الخبر لم يظهر لي قط أن يكون سوى خيال أناس متحيزين. وعلى كل حال فإن الأمر غير ممكن أساساً، ولم أسمع شيئاً بعد ذلك عن نتائج الترتيبات المزعومة.

والمناسبة الوحيدة التي حاول فيها ضباط أتراك المرور بنجد حدثت حسب علمي في نيسان/أبريل، حين أخبرني ابن سعود عند عودتي إلى الرياض بأنه تسلم معلومات عن مرور أحد الدراويش بطريق الرياض، فأوقف الرجل واعتقله وظهر أنه المدعو قول أغاسي[١] قدسي أفندي، ضابط في جيش اليمن، وكان يحاول الذهاب من صنعاء وأبها عن طريق الرياض إلى المدينة والآستانة (إستانبول) مع مبلغ كبير (٣٤١ ليرة تركية) بأوراق نقدية تركية وعدد من الرسائل الخصوصية حوت القليل مما يكون مفيداً أو مهماً عدا المعلومات بأن ضابطاً آخر غادر أبها قبل نحو ثلاثة أسابيع قبل قدسي أفندي قاصداً المكان نفسه. أما هل استطاع هذا الضابط المرور، أو مات في رحلته، فذلك ما لا يعرف، لكنه لم يعترض من جانب ابن سعود.

فيما يتعلق بقدسي أفندي الذي بقي معتقلاً في الرياض إلى نهاية المدة التي يتناولها هذا التقرير، أعربت عن رغبتي في مشاهدته عند رجوعي من وادي

---

(١) قول آغاسي: مقدّم (رتبة عسكرية).

الدواسر، وذلك لأجل ترتيب إرساله إلى الساحل لسجنه لدى السلطات البريطانية. ولما أبلغ برغبتي في رؤيته أوضح بأنه، وإن يكن لا يستطيع رفض رؤيتي إذا أصرّ ابن سعود على ذلك، فإن اشمئزازه من الكفار وكرهه لم يجعله يستحسن أن يجنّب هذا العذاب. وفي هذه الظروف احترمت رغباته ولم أره. ولكنني، وقد سمعت من مصدر آخر أنه مسجون في ظروف عسيرة وغير مريحة جداً، التمست من ابن سعود أن يحسّن حالة سجنه. إن القول أغاسي قدسي أفندي، مع كل تعصبه غير المعقول، صار لديه ما يجعله مديناً بالشكر لأحد الكفار على التخفيف بصورة كبيرة من الأحوال السيئة التي كان يعيش فيها في زنزانات قلعة الرياض منذ نحو شهرين.

١٧ ـ الأسلحة في نجد

بالنظر إلى تردد حكومة صاحب الجلالة لأكثر من مرة في تزويد ابن سعود بالأسلحة، وإصرار المندوب السامي (في مصر) على عدم استحسان تقوية القوات الوهابية نظراً إلى احتمال تزايد التهديد الوهابي، فمن المهم الملاحظة أنه، بينما كانت سياسة الحكومة في هذا الصدد قد أثرت في استبعاد عواطف ابن سعود إلى درجة ما، فإنها أخفقت في هدفها الأساسي بالنظر إلى سخاء الشريف في توزيع الأسلحة والعتاد بين عناصر غير مسؤولة من أهالي نجد معتقداً اعتقاداً خاطئاً بأنه بذلك يضمن ولاءهم. ويمكن أن نضيف إلى ذلك التجارة غير المشروعة بالسلاح والعتاد ـ تلك التجارة التي جنى منها أرباحاً طائلة، دون أي شك، بعض موظفي الشريف المسؤولين عن مخزن الأجهزة العسكرية.

جرت المتاجرة بالسلاح والعتاد في نجد على مستوى الجملة، واسترعت بعض القضايا نظري في نقلها داخل نجد إلى ساحل الخليج الفارسي [العربي]. وقد أجبر ابن سعود على منع تصدير العتاد من أراضيه واتخاذ التدابير لشراء الكميات الزائدة الموجودة لاستعماله الخاص. وكانت النتيجة أنه، خلال الأشهر الأخيرة من المدة التي يتناولها هذا التقرير، اشترى كمية تزيد كثيراً على ٣٠٠,٠٠٠ رصاصة، بينما قدّر وجود كمية مماثلة على الأقل من المجموع الذي يملكه الأفراد. وكان ابن سعود يرتضي ترك البنادق في أيدي الأشخاص الذين يملكونها عالماً بأنهم يكونون دائماً جاهزين لخدمته، ولذلك لم يكن في المستطاع الحصول على أقل تخمين للعدد المستحصل عليه من المصادر الشريفية. لكن من المعلوم أن المتطوعين النجديين كانوا

يجهزون مجاناً بالأسلحة ويجيئون بصورة منتظمة بالمعدات التي يحصلون عليها بعد الفرار من الجيش. وفي هذه الظروف يمكن الظنّ بأن نجداً قد حصلت بطريقة ما على كميات كبيرة من السلاح يمكن تقديرها بما لا يقل عن ٥٠٠٠ بندقية إذا افترضنا نسبة تقريبية لبندقية واحدة لكل ١٠٠ رصاصة تمّ جلبها.

وكانت نتيجة سياسة الشريف، وحتى سياستنا أيضاً، هي إضعاف ابن سعود أمام رعاياه وتركه أقل قدرة في السيطرة على الحركة الوهابية من قبل، وفي الوقت نفسه زيادة قوة العشائر زيادة كبيرة.

وابن سعود، وهو شاعر بأن معنى ذلك في الأحوال الاعتيادية، إنماء لقوته، لم يكن غافلاً عن تاريخ أسرته ولا عن الاعتراضات ضد تسليح عشائره بلا تمييز. ولهذا السبب، أكثر من سواه، ألحَّ بشدة على تجهيزه بالأسلحة، بالنظر إلى مستلزماته الفورية لحرب ابن الرشيد. فكل بندقية يتسلح بها تعني تجهيز أحد «الإخوان» وإضافة جندي نظامي واحد لجيشه، وأسمح لنفسي بالقول إنها كانت سياسة خاطئة إبقاؤه ضعيفاً في السلاح ما لم يكن اتخاذ تدابير كافية لمنع تسليح عشائره بالجملة.

وكما هي الحال عليه الآن، إن ابن سعود، حتى إذا حسبنا له رجال العشائر الحاملين لأسلحة الشريف، قد يكون الآن أضعف من جهة السلاح من ابن الرشيد الذي، بالإضافة إلى ما تسلمه من الأتراك في المراحل الأولى، تسلم، في أواخر المدة التي يشملها هذا التقرير، قسماً على الأقل من إرسالية أسلحة وعده بها حلفاؤه. والشريف بلا شك متفوق بدرجة لا تقاس من حيث التسليح بالنسبة لكلا منافسيه في جزيرة العرب الوسطى، لكن الاستمرار على أساليبه الحاضرة في التحقيق والسيطرة سوف يرجّح كفة الميزان لصالحهما مع الزمن.

١٨ ـ زيارة الأماكن المقدسة الشيعية

لاحظت في القسم الرابع من هذا التقرير أن البعثة قد أوعز إليها بالبحث مع ابن سعود، ضمن أمور أخرى، في قضية القيود المفروضة على زيارة العتبات المقدسة الشيعية والتي كانت ضرورية بسبب حالة الحرب.

لكن في أول مراحل عملي شعرت أن هذا القسم من مهمة البعثة وضع على أساس سوء تفاهم، فإنه إذا كان هناك موضوع يشعر به ابن سعود بقوة فذلك هو

البدعة الشيعية وكل شيء يتصل بها. ولذلك استعملت حريتي لتجنب كل إشارة إلى هذا الموضوع فيما يتعلق بمهمتي، ولو أن هذا الموضوع كان مدار حديث ابن سعود والتعبير عن رأيه فيه في المباحثات العامة.

يظهر أن أصل سوء التفاهم هذا هو تقرير للكابتن لوخ وضعه في آب/أغسطس ١٩١٧ بخصوص زيارة الدكتور هاريسن للرياض كما أشير إليه سابقاً. والدكتور هاريسن، في أثناء كلامه عن موقف ابن سعود منا، ذكر أن إخفاقنا في فتح وسائط نقل نهرية عامة إلى بغداد كان موضع انتقاده، وأضاف الكابتن لوخ، بنتيجة ملاحظاته الخاصة في القطيف والبحرين، أن القيود المفروضة على زيارة الشيعة أثارت أيضاً انتقاداً مماثلاً. وقد استنتج السير برسي كوكس بالطبع أن كلا هذين الموضوعين يثيران اهتمام ابن سعود، بينما أنا الآن واثق أنه لا يشعر أبداً ولم يعبر حسب المحتمل عن أي اهتمام بأي منهما. وكان هذان موضوعين مهمين إلى درجة ما بالنسبة للطوائف التجارية والشيعية في الساحل العربي، والأخبار المحلية وجهت في ظروف قد تثير سوء التفاهم.

وابن سعود نفسه، وهو وهابي ملتزم، وسلطته في جزيرة العرب الوسطى قائمة على أساس هذا المذهب الذي أعاد إحياءه بنفسه، يجد نفسه في وضع دقيق إزاء العناصر السنيّة والشيعيّة التابعة له في القصيم والأحساء على التوالي. والاعتراف الرسمي بسلفية الأولين أو كفر الآخرين يعرّضه لتهمة الضعف غير المقبول لدى أتباع المذهب الصحيح، وهو لذلك غير عملي، بينما يؤدي اضطهاده لأي منهما بلا ريب إلى فقدان أغنى مقاطعاته، وهو لذلك غير ملائم. وبحكمة سياسية نادرة، وضع ابن سعود سياسة، بينما تكون مرضية للعنصر الوهابي بمنع إظهار مذاهب غير مقبولة علناً، فهي مستحسنة بصورة كافية لأتباع هذه المذاهب بالنظر إلى تسامحها تجاه الاحتفال بطقوسها بصورة خاصة دون عائق أو مانع.

في مناسبات قليلة اضطر إلى التدخل في حالات نزاع فعلي، والأمثلة التي استرعت نظري تبينً أنه كان شجاعاً في منع أي تدخل لا مبرر له في الشؤون الدينية من جانب الوهابيين المتطرفين. ففي إحدى المناسبات مثلاً، كان جماعة من الرجال من عنيزة يدخنون حول نار معسكرهم، فصادف أن مرَّ بهم خمسة من الإخوان، وأخذوا على عاتقهم تأديب المذنبين، فلم يكادوا يذهبون أكثر من مرحلة الشجب أو اللوم حتى نهض بعض رجال عنيزة وقتلوا لائميهم، ولما راجع

أقرباؤهم بلاط ابن سعود مطالبين بثأرهم أجابهم بإيجاز أن من واجبه هو أن يصلح رعاياه المخطئين وليس من واجبهم.

ينظر ابن سعود إلى سياسة تسامح لتحقيق اعتناق كل رعاياه للمذهب الصحيح في الوقت المناسب، ولكنه لا يفعل ولا يستطيع أن يفعل أكثر من ذلك. وزيارة العتبات الشيعية المقدّسة لا تشجّع، لكن العائدين من الزيارة لا يتعرضون للتفتيش ـ مع ذلك لا يكون أحد مسروراً كابن سعود إذا جعلت الزيارة إلى كربلاء والنجف مستحيلة بصورة دائمة، ولا أحد كان مرتاحاً أكثر منه لمعاقبة «كفار» النجف التي جرت مؤخراً.

إن الحج إلى مكة المأمور به في القرآن نفسه يختلف اختلافاً بيّناً، وهو لا يعتبر مسموحاً به فحسب بل يرى ملزماً لكل الوهابيين. والأمر الملازم له بزيارة قبر الرسول في المدينة محرّم ويندّد به بشدة. أما الاحترام الذي يبدى للأولياء من السنة وقبورهم، كزيارة قبر عبد الله بن عباس في الطائف مثلاً، تلك الزيارة التي تقوم بها في الغالب النساء العواقر، فيعتبر عملاً من أعمال الشرك. غير أن ابن سعود لا يكلّ من التنديد بالشريف لسماحه بالتهاون في الأخلاق مما يجعل مكة نفسها موضع التقوّلات.

في سنة ١٩١٧ رتّب ابن سعود حجاً تقليدياً حافلاً على مستوى واسع من نجد ركب فيه أبوه وأخوه محمد. وعودة الأب بسبب المرض قبل وصوله إلى مكة بدون سبب ما، فسّر في المحافل الشريفية بأنه يدلّ على الخوف أو البغض، بينما كانت تجارب محمد ورفاقه الحجاج، والدقة المتنامية للوضع السياسي قد حملت ابن سعود على القرار بعدم السماح لحج رسمي من نجد خلال السنة التي يتناولها التقرير. ولا مبرر لي لتصديق أخبار صادرة من مكة مآلها أن ابن سعود هدّد بمعاقبة المخالفين لذلك عقاباً شديداً ـ فإن أوامره وحدها كانت كافية. وقد عمل ما هو ممكن بصورة معقولة لتسهيل سفر حجاج الكويت الذين مروا ببريدة حين كنت هناك في نهاية آب/ أغسطس.

وأرى على كل حال أن قرار ابن سعود بعدم إرسال حجاج من نجد هذه السنة كان احتياطاً حكيماً ضد القلاقل، فإن أعمال الشريف وبياناته العلنية في هذا الوقت لم تكن في هذه الحالة محسوبة بأن تجعل الحج من نجد خالصاً من احتمال اضطرابات خطيرة.

١٩ ـ مقرّ الوكيل السياسي في نجد

إن قضية إيجاد محل لإقامة وكيل سياسي في البلاط الوهابي، الأمر الذي أوعز إليّ الاستفسار عن رأي ابن سعود فيه، كانت قضية دقيقة للبحث فيها خصوصاً بالنظر إلى عدم الرضا المتزايد من جانب ابن سعود عن معاملة حكومة صاحب الجلالة له. وآسف أن أقول إن الفرصة المعقولة لم تسنح لي لتقديم هذا الاقتراح حين انتهت مهمتي بظروف لم تترك مجالاً للشك بأن ابن سعود لن يوافق عليها بدون تحفظ.

كان ابن سعود تجاهي صريحاً وودوداً بدون استثناء. كنت أراه يومياً وفي بعض الأحيان أكثر من مرة في اليوم الواحد، وكان يظهر سروره في أن يعرب لي عن آرائه أو يناقش في السياسة والتاريخ وشؤون العالم عموماً. غير أنه كان جلياً لي أن وجودي معه كان أمراً يتطلب تفسيرات مستمرة لمستمعين منتقدين ومعادين. وحسب بيانه هو نفسه إنه يعارض التعليقات المخالفة من العنصر الوهابي الصارم شارحاً أن وجودي، ولو طال، كان وقتياً وقد استلزمه الموقف الشريفي والحصار فقط، ولذلك وجد من الضروري أن يكون على صلة وثيقة بالحكومة البريطانية. ولم يسمح قط بأن يفترض لدى العموم بأنني مهتم بوجه ما بعملياته ضد حائل.

وفي الوقت نفسه أوضح لي بجلاء أنه يرى وجودي ضرورياً جداً ومفيداً له حقاً، ولم يقترح قط أن أذهب حتى أخبرني بصراحة في الظروف التي سبق شرحها بأن حكومة صاحب الجلالة، إذا لم تكن ميّالة إلى تعديل سياستها الأخيرة نحوه، فإنه لا يتوقع أن أعود أو يحل أحد محلي.

إن الرأي العام يكون بلا ريب معادياً لإقامة ممثل بريطاني بصورة دائمية في نجد. لكن ابن سعود على ما أعتقد يكون على استعداد لمعارضة رأي رعاياه إذا كان حضور هذا الممثل، يحتمل أن يكون لمصلحته السياسية. وذلك سوف يعتمد على خط السياسة الذي تقرر اتباعه حكومة صاحب الجلالة في الوقت المناسب.

وعلى كل حال، إذا افترضنا أن سياستنا في المستقبل ستكون حمل ابن سعود على الموافقة على وجود ممثل دائمي لحكومة صاحب الجلالة في بلاطه، فإن طبيعة الوكالة التي تؤسس ستكون أمراً يتطلب اعتباراً جدياً. إن غيرة نجد وانعزالها يجعل في رأيي عدم إمكان إنشاء وكالة حسب الخطوط الاعتيادية السائدة في الموانىء على ساحل الخليج الفارسي [العربي] مع كل لوازم إنشاءات المكاتب من

حرس وأعلام. فإن إبراز القوة الأجنبية يلقى عدم ترحيب الوهابيين مثل قدوم الموظفين الغرباء. وحتى وجود الكتاب والخدم المسلمين من الخارج يكون موضع الريبة والقلق لابن سعود مما يؤدي إلى إزعاج فحوى علاقاتنا معه.

لهذه الأسباب أنا واثق على كل حال أنه، لأعوام عديدة قادمة، على حكومة جلالته أن تستهدف جعل تمثيلها في البلاط الوهابي غير بارز، مع بقائه ملائماً للفعّالية. وعلى الوكيل البريطاني في الرياض أن يكون راضياً بالعيش مثل الأهالي، وأن يقبل ارتداء لباسهم، وفوق كل ذلك، أن يخضع للقيود، المزعجة شيئاً ما، المفروضة على الاتصالات الاجتماعية بتعصب الأهلين وغيرة حاكمهم. وقد يكون من الحكمة في أول الأمر ترتيب الأمور بحيث يكون وجود الممثل البريطاني في الرياض متقطعاً وغير دائم، وذلك بالقيام بسلسلة زيارات في فترات معقولة تفضيلاً على الإقامة المستمرة.

٢٠ ـ اعتراف بالفضل.

إن هذا التقرير لم يكن ليكمل بدون محاولة مني للإعراب عن شكري للمساعدة السّخية والتعاون الذي حصلت عليه من جهات مختلفة.

لا أستطيع أن أعبر عن شعوري بالدين العظيم للكابتن بي.جي.لوخ (من الجيش الهندي) الوكيل السياسي في البحرين وبعد ذلك في الكويت الذي وقع على عاتقه عبء ثقيل من العمل من أنواع مختلفة فيما يتعلق بالبعثة. وكنت أستطيع الاعتماد عليه دائماً لإنجاز أي عمل مهم بسرعة والتعاون الحماسي بطرق مختلفة.

وعليّ دين من الشكر المماثل للمستر منغافين واللفتنانت مالكولم الذي خلف الكابتن لوخ في البحرين والكويت (على التوالي).

وقد أرغمت على طلب طلبات ثقيلة خلال وجودي في جدة من اللفتنانت كرنل باسيت الوكيل البريطاني في جدة وضباط مكتبه، وبصورة أخص الكابتن دكسن واللفتنانت غري، اللذين اعتمدت على معاونتهما الكريمة في حل الرسائل الرمزية، فأنا مدين لهما على ضيافتهما اللطيفة ومعاونتهما السريعة في عملي.

وأخيراً، إذا لم يكن ذلك جرأة مني، أنتهز هذه الفرصة لتقديم الشكر على الضيافة واللطف والاعتبار الدائم الذي لقيته خلال إقامتي في مصر وفلسطين على

يد سعادة المندوب السامي لمصر وضباط أركانه، والكوماندر هوغارث والضباط والموظفين في المكتب العربي بالقاهرة، والبريغادير جنرال كلايتن وموظفي الإدارة في فلسطين الذين اتصلت بهم.

(التوقيع) هـ. سنت جون فيلبي
(من الخدمة المدنية الهندية)
رئيس بعثة نجد

---

(٢٤٣)

الملاحق

الملحق (أ) خلاصة العلاقات مع ابن سعود[1]

الملحق (ب) المعاهدة مع ابن سعود

الملحق (جـ) بيان الأسلحة والعتاد المعطاة إلى ابن سعود

الملحق (د) بيان بجميع المبالغ النقدية المدفوعة إلى ابن سعود منذ نشوب الحرب.

الملحق (ب)
معاهدة مع ابن سعود
بسم الله الرحمن الرحيم
ديباجة

الحكومة البريطانية السامية، من جهة، وعبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل آل السعود، أمير نجد والأحساء والقطيف وجبيل والمدن والمرافىء التابعة لها، نيابة عن نفسه وعن ورثته وأخلافه ورجال عشيرته، نظراً لرغبتهما في توطيد وتقوية العلاقات الودية القائمة بين الطرفين منذ مدة طويلة، وفي تعزيز منافعهما المتبادلة،

---

(١) الملحق «أ» هو مذكرة السير برسي كوكس عن «العلاقات مع ابن سعود» الموجهة إلى المكتب العربي بتاريخ ١٢ كانون الثاني/يناير ١٩١٧ المدرجة في الوثيقة تسلسل (٢١٤) فيرجى مراجعتها في موضعها.

فقد عينت الحكومة البريطانية اللفتننانت كرنل السير برسي كوكس (K.C.S.I., K.C.I.E) المقيم البريطاني في خليج العجم، مفوضاً عنها لعقد معاهدة لهذا الغرض مع عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل آل السعود

(١)

تعترف الحكومة البريطانية وتقبل بأن نجداً والأحساء والقطيف وجبيل وملحقاتها وأراضيها التي ستبحث وتقرر فيما بعد، والمرافىء التابعة لها على سواحل خليج العجم، هي بلاد ابن سعود وآبائه من قبله، وهي بهذا تعترف بابن سعود المذكور حاكماً مستقلاً لها ورئيساً مطلقاً لعشائرها، ومن بعده أبناؤه وسلالته بالوراثة، ولكن اختيار الشخص يكون بترشيح خلفه (أي الحاكم الذي هو على قيد الحياة) بشرط أن لا يكون شخصاً معادياً للحكومة البريطانية في أي شأن من الشؤون، وعلى سبيل المثال، في المبادىء الواردة في هذه المعاهدة.

(٢)

في حالة وقوع اعتداء من دولة أجنبية على أراضي ابن سعود المذكور وأعقابه بدون إعلام الحكومة البريطانية، وبدون منحها فرصة للاتصال بابن سعود وتسوية الخلاف، فإن الحكومة البريطانية ستساعد ابن سعود إلى الحد وبالطريقة التي ستجدها، بعد التشاور مع ابن سعود، أكثر تأثيراً في حماية مصالحه وبلاده.

(٣)

إن ابن سعود يوافق بهذا ويتعهد بالامتناع عن الدخول في أية مراسلات أو اتفاقات أو معاهدات مع أية دولة أجنبية، وبأن يشعر السلطات السياسية لدى الحكومة البريطانية حالاً بأية محاولة من جانب أية دولة أخرى، للتدخل في المناطق سالفة الذكر.

(٤)

يتعهد ابن سعود بصورة قطعية بأن لا يتخلى ولا يبيع ولا يرهن ولا يؤجر ولا يتخلى بأية طريقة أخرى عن المناطق المذكورة أعلاه أو أي جزء منها، وأن لا يمنح امتيازاً في تلك الأراضي لأية دولة أجنبية، أو رعايا أية دولة أجنبية، بدون موافقة

الحكومة البريطانية، وأن يتبع نصيحتها بلا تحفظ، بشرط عدم إضرارها بمصالحه.

(٥)

يتعهد ابن سعود بهذا بإبقاء الطرق المؤدية إلى الأماكن المقدسة ضمن أراضيه مفتوحة، وأن يحمي الحجاج خلال ذهابهم إلى الأماكن المقدسة، ورجوعهم منها.

(٦)

يتعهد ابن سعود، كما فعل والده من قبله، بأن يمتنع عن كل اعتداء أو تدخل في أراضي الكويت والبحرين وأراضي شيخيْ قطر وساحل عمان اللذين هما تحت حماية الحكومة البريطانية، والذين لهم معاهدات مع الحكومة المذكورة، وستقرر حدود أراضيهم فيما بعد.

(٧)

الحكومة البريطانية وابن سعود يتفقان على عقد معاهدة تفصيلية أخرى فيما يتعلق بالشؤون التي تخص الطرفين.

مؤرخ في ١٨ صفر ١٣٣٤ الموافق ٦ كانون الأول/ديسمبر ١٩١٥

(موقع ومختوم) عبد العزيز آل سعود

(موقع) ب. ز. كوكس

المقيم السياسي البريطاني في الخليج الفارسي

(موقع) تشلمز ـ فورد

نائب الملك والحاكم العام في الهند

تم إبرام هذه المعاهدة من قبل نائب الملك والحاكم العام في سيملا في ١٨ تموز/يوليو ١٩١٦.

موقع أ.هـ. غرانت
سكرتير حكومة الهند ـ الدائرة الأجنبية والسياسية

الملحق (ج)

بيان الأسلحة والعتاد المعطاة إلى ابن سعود

(١) الأسلحة

أيلول/سبتمبر ١٩١٥	٣٠٠ بندقية تركية
	٤ رشاشات
	١٠٠٠ بندقية طويلة ٠,٣٠٣
	٢٠٠٠ قربينة ٠,٣٠٣
نيسان/أبريل ١٩١٧	٢ مدفعان تركيان (٧ أرطال)
تموز/يوليو ٩١١٨	١٠٠٠ بندقية ونشستر
تشرين الأول/أكتوبر ١٩١٨	١٠٠٠ بندقية ٠,٣٠٣ (طراز ١٩١٤)[١]

(٢) العتاد

كانون الأول/ديسمبر ١٩١٦	٥٠٠٠٠ رصاصة S.A.A.
تموز/يوليو ١٩١٨	١٠٠,٠٠٠ رصاصة S.A.A. (ونشستر)
آب/أغسطس ١٩١٨	٢٥٠,٠٠٠ رصاصة S.A.A.[٢]
تشرين الأول/أكتوبر ١٩١٨	١٠٠,٠٠٠ رصاصة S.A.A.

ملاحظة: بالإضافة إلى كمية من العتاد للمدافع التركية (٧ أرطال) المرسلة إلى ابن سعود.

---

(١) في محل الـ ١٠٠٠ بندقية ونشستر أصدرت في تموز/يوليو ولم تقبل.

(٢) لتحل محل العتاد الصادر في كانون الأول/ديسمبر ١٩١٦ والذي وجد عاطلاً (ربما كان ذلك بسبب خزنه مدة طويلة دون عناية).

الملحق (د)

بيان بكل المبالغ النقدية المدفوعة إلى ابن سعود منذ نشوب الحرب

التاريخ	دولار	ليرة تركية
كانون الأول/ ديسمبر ١٩١٧	٣٠,٠٠٠ (أ)	٥٠٠٠ (أ)
نيسان/ أبريل ١٩١٨	١٥٤,٠٠٠ (ب)	-
تموز/ يوليو ١٩١٨	١٠,٠٠٠ (ب)	-
تشرين الأول/ أكتوبر ١٩١٨	٧٠,٠٠٠ (أ)	-
المجموع	٢٦٤,٠٠٠ (ج)	٥٠٠٠

(أ) هدية

(ب) قرض (يشطب كهدية)

ملاحظة ـ هذه المدفوعات البالغة ٤٢٥٠٠ باون تقريباً عدا الإعانة الشهرية المنتظمة البالغة ٥٠٠٠ باون التي تسلمها ابن سعود منذ كانون الثاني/ يناير ١٩١٧. وبالإضافة إلى المدفوعات النقدية تسلم ابن سعود في تشرين الأول/ أكتوبر ٣٠٠٠ كيس من الحنطة و٢٠٠ كيس من السكر ومثلها من القهوة. ووافقت حكومة صاحب الجلالة أيضاً على إهداء ٦٠ خيمة وسوف ترسل إليه عند وصولها.

FO 371/3390

(٢٤٤)

(برقية)

من السير ريجنالد وينغيت ـ القاهرة

إلى وزارة الخارجية ـ لندن

الرقم: ١٩٥٨ التاريخ: ٢٧ كانون الأول/ ديسمبر ١٩١٨

برقيتي المرقمة ١٩٢٧.

إشارة إلى تقرير فيلبي الممتاز عن بعثة نجد ومناقشة قضية الخرمة معه، لديّ أيضاً محضر للمباحثات المطولة حول الموضوع نفسه بين الملك حسين والكرنل ويلسن في تشرين الثاني/نوفمبر. إن تفاصيل هذه المباحثات ستنشر في «النشرة العربية».

استنتاجاتي النهائية هي كما يأتي:

إن النزاع بين الملك حسين وابن سعود يتعلق بالمبدأ. إن أهدافهما غير قابلة للتوفيق. الملك حسين يطلب تأييد حكومة جلالته ـ دبلوماسياً وغير ذلك ـ ليحصل على السيادة الاسمية على مجموعة غير متماسكة من الدول العربية ذات الحكم الذاتي، ويضمن بذلك السيادة السنّية. ابن سعود يعتمد على معاهدة معنا لمساعدته في السيطرة وسط الجزيرة العربية، ويعمل على استعادة أراضي الإمبراطورية الوهابية السابقة. كلا الطرفين غير متأكدين من سياسة حكومة جلالته ويأملان الاستنارة بقرارنا فيما يتعلق بالنزاع على الخرمة.

بموجب المقاييس الأوروبية إن رأيي هو أن ميزان الأدلة يميل لصالح ادعاء الملك، الذي لم ننازعه قط. ومن جهة أخرى فإن ابن سعود، بواسطة الإخوان، مسيطر على الخرمة، والمشاعر المذهبية ملتهبة جداً، وإن فرض ادعاءات الملك بالقوة يحتمل أن يؤدي إلى اشتعال الخلاف.

إن رفض فخري (باشا) تسليم المدينة وما تبع ذلك من الإخلال بالهدنة، قد أجل تركيز المجندين الشريفيين للقيام بعمليات ضد الإخوان بشأن الخرمة، ولكن الملك يؤكد أن إطالة الإبقاء على الوضع الراهن سيسهل انتشار نفوذ الإخوان في الحجاز إلى حد يصبح موقفه معه مما لا يمكن المحافظة عليه. في تلك الحالة، وإذا تعرضت الحيازة السنّية لمكة إلى الخطر، فقد نضطرّ إلى إرسال قوات بريطانية لحراسة المدينة والحيلولة دون الاحتلال الوهابي.

إذا كانت حكومة جلالته قد قررت أنها لا تستطيع إجبار ابن سعود على الانسحاب من الخرمة، على ما فهمت من برقيتكم المرقمة ١٥٢٤، فسأحاول إقناع الملك على أن يقبل، كحدود موقتة، خط شعيب شعبان الذي يسير بصورة تقريبية من قرابة إلى مران (مع بقاء كلا المكانين تحت سيطرة الشريف) ويمر إلى مسافة عشرة أميال من غربي الخرمة.

أخشى أنه ليس هنالك احتمال كبير لقبوله بهذه الحدود، ويعتقد الكرنل ويلسن

أنه سيفسر الاقتراح بأنه دليل على رفض حكومة جلالته الموافقة على أهدافه السياسية، وسيتنازل (عن العرش) حالاً.

معنونة وزارة الخارجية ـ مكررة إلى وزارة الهند.

FO 371/3390 (190170)

(٢٤٥)

(مذكرة)

عن

الالتزامات البريطانية لابن سعود

وزارة الخارجية

دائرة الاستخبارات العسكرية

خاص ٧ — ١٨ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩١٨

إن ابن سعود هو الحاكم الوراثي لدولة نجد الوهابية (العاصمة: الرياض). في أوائل القرن التاسع عشر بسط أجداده، بدافع من الحركة الدينية المتزمتة التي هم أنصارها، سلطتهم على نطاق واسع بين العشائر والواحات المحيطة بهم، وامتد حكمهم من الخليج (الفارسي) إلى البحر الأحمر مدة من الزمن. وفي وقت لاحق من ذلك القرن واجهوا المحن، فقد كسرت شوكتهم بيد محمد علي، وانتقلت السيادة على وسط الجزيرة العربية إلى الأسرة المنافسة لهم، آل الرشيد في جبل شمّر (العاصمة: حائل). وفي سنة ١٨٧١ وضع الأتراك في مقاطعة الأحساء حاميات على امتداد ساحل الخليج بين الكويت وقطر، وكانت سلطة ابن سعود قاصرة على الداخل. وخلال هذه الفترة لم يكن هنالك عملياً أي اتصال بين تلك السلطة وحكومة جلالته.

ومع ذلك، فقد طرأ على الوضع تعديل جوهري بحدثين وقعا في سنة ١٩١٣. ففي أيار/مايو من تلك السنة طرد عبد العزيز بن سعود، أمير تلك العائلة الحاكم، الحامية التركية من الأحساء، وأعاد احتلال الساحل. وفي ٢٩ تموز/يوليو وقّعت

حكومة جلالته مع تركية ميثاقاً اعترفنا فيه بأن «سنجق نجد العثماني» يضم الخط الساحلي والمنطقة الداخلية الواقعة إلى غرب الخط الممتد شمالاً وجنوباً من نقطة على البر مقابل جزيرة زخنونية (خليج البحرين) إلى خط العرض ٣٠ في صحراء الربع الخالي (المادة ١). إن وقوع الأحداث في وقت واحد وضع حكومة جلالته في وضع صعب، لأن ابن سعود لم يعد مجرد حاكم لقسم من ساحل الخليج، بل أقوى جميع الحكام المحليين، وكان لا بد لحكومة جلالته من الدخول في علاقات مباشرة معه بشأن تهريب الأسلحة، والتجارة البريطانية، وتعامله مع الأقطار العربية المجاورة (الكويت، قطر، شيوخ الساحل، إلخ..) التي كانت لها علاقات قديمة مع حكومة جلالته بموجب معاهدات معقودة معها. ومن جهة أخرى فإنَّ، تركية لم تعترف باستقلال ابن سعود الواقعي في الأحساء، وكنا قد اتفقنا مع الحكومة التركية على أن نعتبر ساحله وأراضيه كإقليم تركي، وبالتالي اعتباره هو، ضمناً، من رعايا تركية.

وبناء على تعليمات السير برسي كوكس، الذي كان في ذلك الوقت المقيم السياسي البريطاني في الخليج (الفارسي) قابل المقيم البريطاني في الكويت (الكابتن شكسبير) والبحرين ابن سعود في ١٥ و١٦ كانون الثاني/يناير ١٩١٣. في هذه المقابلة دعا ابن سعود حكومة جلالته إلى الحفاظ على السلم على ساحله، وأطلع الممثلين البريطانيين على مسودة الاتفاقية التي كان الأتراك يحاولون حمله على قبولها، وعملياً طلب وساطة بريطانية (6117/1990/14).

كانت الشروط التركية التي أبلغها إلينا ابن سعود كالآتي:

١ - إعادة إدخال الحامية التركية إلى المنطقة وإلى ساحل الأحساء، كالسابق.

٢ - تعيين القضاة وغيرهم من الموظفين العدليين بفرمان مباشر من السلطان.

٣ - دفع إعانة سنوية قدرها ٣,٠٠٠ ليرة تركية إلى ابن سعود.

٤ - إحالة جميع الاتصالات من الدول الأجنبية أو ممثليها إلى السلطات التركية لاتخاذ ما يلزم بشأنها.

٥ - استبعاد جميع التجار والوكلاء الأجانب في المنطقة.

٦ - تعهد من ابن سعود بعدم منح امتيازات لأية شركة أجنبية لخدمات

السكك الحديد أو السيارات.

في ٩ آذار/مارس سنة ١٩١٤، قدمتها وزارة الخارجية [البريطانية] إلى حقي باشا، الذي كان في ذلك الوقت يجري مفاوضات في لندن نيابة عن الحكومة التركية، وفيها شرحت صعوبة وضع حكومة جلالته فيما يتعلق بابن سعود. وقد أشير فيها إلى الشروط التركية (دون ذكر مصدر معلوماتنا)، وقُدِّم احتجاج على الأخير منها (10569/14).

في هذه المذكرة تم تعريف الرغبات البريطانية بشأن ابن سعود، مع مراعاة الميثاق البريطاني ـ التركي المؤرَّخ في ٢٩ تموز/يوليو سنة ١٩١٣ طبعاً، كما يأتي:

١ ـ إنه يجب أن لا يتدخل في أراضي أو سياسة الإمارات العربية في الخليج، بما فيها الساحل المهادن وقطر.

٢ ـ إنه، مثل الشيوخ الآخرين على الساحل العربي من الخليج، يجب أن يتعاون في حفظ السلم الملاحيّ وإدامته، أي قمع القرصنة، ومراقبة الخصومات التي تنشب بين العشائر بنتيجة مرور السفن الشراعية المسلحة في البحر.

٣ ـ إنه يجب أن يتعاون لقمع تهريب السلاح.

٤ ـ وجوب السماح للتجار البريطانيين بدخول القطيف ومعاملتهم معاملة صحيحة، خلال وجودهم هناك.

وفي هذه الأثناء استمرت المفاوضات بين الأتراك وابن سعود، وأدّت إلى معاهدة وقعها ابن سعود ووالي البصرة في ١٥ أيار/مايو ١٩١٤ /236112/4650) (16 ويمكن تلخيص بنود هذه المعاهدة كما يأتي:

المادة ١ ـ أسماء الموقعين، المحافظة على السرية، مدة النفاذ.

المادة ٢ ـ ولاية نجد تبقى تحت سلطة عبدالعزيز باشا السعود مدى الحياة.

المادة ٣ ـ «موظف عسكري فني» (تعبير تركي متأنق للمقيم؟) يعين من قبل ابن سعود، على أن يقيم حيثما يرغب [ابن سعود]. المدربون العسكريون الأتراك يعينون من قبل ابن سعود حسب تقديره.

المادة ٤ ـ تعيين جنود ودرك (جندرمة) أتراك، في الموانىء البحرية، حسب تقدير ابن سعود.

المادة ٥ ـ الكمارك، والضرائب، والموانىء، والمنارات يديرها ابن سعود بموجب الأنظمة العثمانية.

المادة ٦ ـ يسدّ النقص في الواردات المحلية من عائدات الكمارك، والموانىء والبرق والبريد، وأي فائض في هذه الواردات الإمبراطورية، و١٠ بالمائة من أية فوائض في الواردات المحلية، يرسل إلى القسطنطينية،

المادة ٧ ـ يرفع العلم التركي على الأبنية والسفن.

المادة ٨ ـ المراسلات حول تزويد الأسلحة يجب إجراؤها مع وزارة البحرية في القسطنطينية.

المادة ٩ ـ «لا يسمح للوالي والقائد المذكور (أي: ابن سعود) بالتدخل في الشؤون الخارجية أو المراسلة حولها، ولا يمنح الامتيازات للأجانب».

المادة ١٠ ـ تكون مراسلات ابن سعود مع وزارتي الداخلية والبحرية في القسطنطينية مباشرة.

المادة ١١ ـ تؤسس دوائر البريد في ولاية نجد وتكون الطوابع تركية.

المادة ١٢ ـ في حالة وقوع اضطرابات داخلية في تركية، أو حرب بين تركية، ودولة أجنبية، «وإذا طلبت الحكومة إلى الوالي المذكور قوة تتعاون مع قواتها، فسيكون من واجب الوالي إعداد قوة كافية، مع ذخيرتها وعتادها، وأن يستجيب للطلب حالاً، على قدر قوته واستطاعته».

خلال هذه المفاوضات بين ابن سعود وتركية، والواقع، خلال الفترة كلها بين توقيع الميثاق البريطاني ـ التركي في ٢٩ تموز/يوليو ١٩١٣، ونشوب الحرب بين بريطانية وتركية في ٣١ تشرين الأول/أكتوبر ١٩١٤، لم تشجع حكومة جلالته مبادرات ابن سعود تجاهها، وبذلت أقصى جهودها للالتزام بروح الميثاق.

خلال الفترة بين بدء الحرب في أوروبا وتدخل تركية، حينما أصبح موقف الحكومة التركية من الحلفاء عدوانياً أكثر فأكثر، بلغت حكومة جلالته إشاعات بأن ابن سعود مستعد للانضمام إلى الأتراك، وقد حاول الأتراك في الواقع التقريب

بين ابن سعود وابن الرشيد والحصول على تعاونهما العسكري مع الجانب التركي. ولكن ابن سعود تحاشى هذه المبادرات (84042/46261/14 و1700/1385/5) وفي تشرين الأول/ أكتوبر ١٩١٤ كتب إليه شيخ الكويت بمبادرة منه، مبدياً أنه عرض أن يقف إلى جانب حكومة جلالته وأنه ينصحه باتخاذ موقف مماثل /59746) (46261/14 وأن ابن سعود كتب جواباً قال فيه إنه «في حالة الحرب مع تركية فإنه سيقف إلى جانب الشيخ والحكومة البريطانية» (63562/14).

إن الإشاعات الأولى بأن ابن سعود يميل نحو الأتراك، وأهمية ضمان صداقته في حالة وقوع الحرب مع تركية، حملت وزارة الهند على اتخاذ قرار بإرسال الكابتن شكسبير، المعتمد البريطاني السابق في الكويت، بمهمة خاصة إلى ابن سعود (59038/46261/14). وفي ٤ تشرين الأول/ أكتوبر ١٩١٤، صدرت التعليمات إلى المقيم [السياسي] في الخليج (الفارسي) بإبلاغ ابن سعود، بواسطة شيخ الكويت، بنيّتها هذه، وفي ٨ تشرين الأول/ أكتوبر أرسلت التعليمات إلى نائب الملك [في الهند] بإجراء اتصال آخر (يتمّ عن طريق شيخ الكويت أيضاً) لشرح موقف حكومة جلالته من تركية، والطلب إلى ابن سعود أن يساعدهم في حفظ السلم في الجزيرة العربية إذا ما أدى الاعتداء التركي إلى الحرب. وقد كتبت له في الكويت ثلاث رسائل باللغة العربية، إحداها من المقيم البريطاني، والأخريان من الشيخ (88216/14) وخوطب فيها ابن سعود بمآل تعليمات وزارة الهند، وأخبر عن بعثة الكابتن شكسبير. وأرسلت هذه الرسائل في ١٥ تشرين الأول/ أكتوبر ١٩١٤. وقد كتب ابن سعود، جواباً عن هذه الرسائل، رسالتين بتاريخ ٢٤ تشرين الأول/ أكتوبر ١٩١٤، إحداهما إلى المقيم السياسي في الخليج، والأخرى إلى الكابتن شكسبير نفسه. وتم إيصال الرسالة الموجهة إلى الكابتن شكسبير بواسطة وكيل ابن سعود في ساحل الأحساء، كما صدرت التعليمات إليه أن يرتب له لقاء مع الكابتن شكسبير عند وصول ذلك الضابط (5353/1385/15).

وفي هذه الأثناء، وفي ١٤ أيلول/ سبتمبر ١٩١٤، قدم القائم بأعمال المقيم السياسي في الخليج إلى حكومة الهند مسودات رسائل وبيانات موجهة إلى مختلف شيوخ الخليج، أعدها لإرسالها في حالة نشوب الحرب بين بريطانية العظمى وتركية، واقترح إصدارها على أثر تسلم المعلومات بأن الحرب قد نشبت /64214) .(6139/14

إن مسودة الرسالة الموجهة إلى ابن سعود (التي كانت ستعقب منشوراً مختصراً

يعلن قيام حالة حرب بين بريطانية العظمى وتركية) هي كما يأتي:

«لاحقاً لكتابي السابق الذي أخبرت فيه سعادتكم بنشوب الحرب بين بريطانية العظمى وتركية، أنني مخول من حكومتي أن أطلب أن تتعاونوا مع صديقينا المحترمين شيخي الكويت والمحمرة، في الاستيلاء على البصرة وأخذها من الأتراك. وإذا كانت هذه المهمة فوق قوتيكما متحدتين، وهو أمر لا يبدو محتملاً، فإن تتخذوا الإجراءات ـ وخاصة فوق القرنة ـ التي تمنع وصول المساعدة إلى البصرة، إلى الوقت الذي يصل فيه البريطانيون ويتسلموا المدينة. وإلى جانب هدفكم الرئيسي، أي احتلال البصرة أو عزلها، فإننا نطلب إلى سعادتكم اتخاذ ما في استطاعتكم اتخاذه من إجراءات للحيلولة دون تعرض التجار البريطانيين والأموال البريطانية للنهب في مدينة البصرة نفسها وفي جوارها. إن السلامة الشخصية للأوروبيين يجب أن تكون أيضاً محل اهتمامكم الخاص.

«وفي مقابل هذا التعاون الثمين، فإنني مخوّل من حكومتي أن أؤكد لسعادتكم أنه ـ في حالة نجاحنا ـ، وأننا سننجح إنشاء الله ـ فلن يسمح للبصرة مرة أخرى بالرضوخ لسلطة الأتراك.

وعليّ إضافة إلى ذلك، أن أؤكد لسعادتكم بأن الحكومة البريطانية ستضمن سعادتكم:

١ ـ ضد أية أعمال انتقامية من جانب الأتراك بنتيجة هذه الإجراءات.

٢ ـ ضد هجوم تركي من البحر.

٣ ـ إنها مستعدة للاعتراف بسعادتكم حاكماً مستقلاً لنجد والأحساء، وللدخول في علاقات تعاهدية مع سعادتكم.

«كما أنني أمرت أن أطلب إلى سعادتكم إخراج الحاميات التركية في الأحساء والقطيف من أراضيكم».

وقد وافقت حكومة الهند، ووزارة الهند، على المسودة في الوقت المطلوب ويبدو أن الموافقة على تسليم الكتاب صدرت في ٣ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩١٤ (الصفحات ٧ ـ ٨ و١٥ ـ ٦ و١٧: 82713/61439/14).

وأصبحت التأكيدات الثلاثة التي احتوت عليها، الأساس في مفاوضات تالية.

إن جواب ابن سعود المؤرخ في ٢٨ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩١٤ /17000) (1385/15: No. 46 صيغ كالآتي:

«تسلمنا كتابكم الفخيم المؤرخ في ٣ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩١٤، والذي أبديتم فيه أن سعادتكم ذكرتم في كتابكم السابق أن حكومة بريطانية المعظمة قد أعلنت الحرب على الحكومة العثمانية، وأن حكومتكم المعظمة أمرتكم أن تدعونا إلى التعاون مع صديقينا الكريمين وحليفينا المخلصين ـ شيخ المحمرة وحاكم الكويت على مهاجمة البصرة. . . إن التعاون مع الصديقين المذكورين أعلاه واجب علينا، ومن واجبنا أيضاً أن نبذل كل جهودنا مع الصديقة الفخيمة، في جميع الإجراءات المفيدة التي تطلبها. وإنني باذل محاولاتي وجهودي لتحقيق المصالح المشتركة لأصدقائنا جميعاً. وأرجو أن تتأكدوا وتكونوا مطمئنين من هذا الأمر.

«إنني واحد من أكبر أعوان حكومة بريطانية العظمى، وأنها بإذن الله ستحصل على نتائج مرضية، كما ذكرنا لصديقنا المشترك الكابتن شكسبير. أما فيما يتعلق بالعساكر العثمانية فإننا لم نسمح لأي فرد منهم بالبقاء في هذه النواحي بعد احتلالنا إياها، وأخرجناهم جميعاً.

«ولكن فيما يتعلق بالأمور الثلاثة التالية التي ذكرتموها، أي وعد الحكومة الفخيمة بحمايتنا ضد الحكومة العثمانية بمنحنا مساعدتها وحمايتها المستقبلة من أي هجوم وعدوان قد يأتي من البحر، واعترافها باستقلال حاكميتي على جميع أقسام نجد والأحساء والقطيف، وعقد المعاهدات بيننا،

فهذه تنتظر وصولنا إلى الكويت. إنني مغادر مقرّي في هذا التاريخ ومتوجه إلى الكويت، وستجرى المفاوضات الشفهية اللازمة لكي نحصل على موافقة الحكومة البريطانية».

لم تتخذ خطوات أخرى من الجانب البريطاني إلى أن أوصل الكابتن شكسبير، مسافراً عن طريق البحرين والكويت، إلى معسكر ابن سعود في ٣١ كانون الأول/ديسمبر ١٩١٤ (30472/1385/15: No. 2).

وخلال بضعة أيام تالية بحث مع ابن سعود بصورة مستفيضة علاقاته مع بريطانية وتركية منذ لقائهما الأخير قبل ذلك بسنة واحدة. أشار ابن سعود إلى الرسائل المختلفة التي تلقاها من ممثلي بريطانية العظمى خلال الشهور الثلاثة الماضية، وتناول بصورة خاصة الرسالة المؤرخة في ٣ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩١٤ من القائم بأعمال المقيم [السياسي] في الخليج. وقد أشار إلى التأكيدات الثلاثة الواردة فيها، ولكنه علق قائلاً:

«إن الوثيقة كانت رسالة غامضة، وإنها لم تحدد ما إذا كانت التأكيدات قاصرة على مدة الحرب الحالية فقط، أم أنها تشمل المستقبل أيضاً، ولم تلمح فيما إذا كانت هنالك شروط أخرى ستطلب منه فيما بعد، كما أنها لا يمكن أن تعد وثيقة ملزمة بين الطرفين في المستقبل».

وقد استنتج الكابتن شكسبير من هذه المحادثات أن ابن سعود:

«لا ينوي التخلي عن موقفه المحايد، مع احتفاظه بحرية اتخاذ ترتيباته الخاصة مع الأتراك (وأنه كان متأكداً من أنه يستطيع أن يحصل منهم على شروط جيدة جداً تكون الخيار الثاني في الأفضلية) وذلك حتى يوقع ويختم معاهدة مع الحكومة البريطانية، كما أنه لن يخطو خطوة واحدة نحو جعل الأمور فيما يتعلق بالحرب الحالية إما أسهل لنا، أو أصعب للأتراك، إلى أن يحصل في تلك المعاهدة على ضمانات متينة جداً بشأن وضعه، تجعل بريطانية عملياً وأنها صاحبة السيادة عليه».

ولذلك طلب الكابتن شكسبير إلى ابن سعود إعداد «مسودة مبدئية، تتضمن ما هو مستعد لقبوله، وما يرغب فيه» ليتمكن هو (أي الكابتن شكسبير) من تقديمها إلى حكومة جلالته، للنظر فيها.

وقد نفذ ابن سعود هذا الاقتراح بلا تأخير، وفي تقرير مؤرخ في ٤ كانون الثاني/يناير ١٩١٥، إلى السير برسي كوكس (سجل فيه أيضاً محضر للمحادثات المشار إليها أعلاه) قدم الكابتن شكسبير مسودة ترجمة لما يرغب فيه ابن سعود:

«الفقرات التي ستكون السبب في اتفاقية ملزمة بين («ابن سعود») والحكومة البريطانية المعظمة:

«١ ـ إن بريطانية العظمى ستعترف وتقرّ بأن نجداً والأحساء والقطيف وما جاورها والموانىء العائدة لها على سواحل الخليج (الفارسي) هي لي، وأنها أرض آبائي وأجدادي، وأنني حاكمها المستقل، ومن بعدي أولادي وأعقابهم بالوراثة، وأن الأراضي المذكورة أعلاه منطقة مستقلة ليس لأية دولة أجنبية (حق) التدخل فيها.

«٢ ـ إنها (أي الحكومة البريطانية) ستعلن حدودها (أي حدود الأراضي المذكورة) شمالاً وجنوباً، وشرقاً وغرباً، وأرضاً وبحراً، وإنه (فيما يتعلق) بالبدو الرحّل الذين يتنقلون بين المدن المجاورة التي هي إما تحت الحماية البريطانية أو تحت [إدارة] الحكومة البريطانية (مباشرة) في حالة ظهور خلافات بيني وبين شيوخ المدن المذكورة، وتقديم شكاوي في هذه الشؤون، فإنها يجب أن تقرر بموجب ملكية الآباء والأجداد.

«٣ ـ إن السلطة الحالية في جميع الأراضي التابعة لي ستوالي تطبيق تعاليم الشريعة الإسلامية المقدسة بموجب مذهب الإمام أحمد بن حنبل السلفي، وإن كل سكانها سيكونون خاضعين لها في جميع الشؤون أو (سيخضعون) للقوانين المعمول بها عادة للمدة التي يكونون فيها، سواء أكانوا من رعاياي أو رعايا الدول المجاورة لأراضي ـ بسبب الالتزامات الدينية التي لا محيد لنا عنها ولا نستطيع أن نخرج عليها.

«٤ ـ لن يسمح لأي أجنبي بتملك شبر ضمن حدود أراضيّ التي سبق تعريفها، حتى بطريق التعويض، إلاّ بعد الرجوع إليّ، وبموافقتي.

«٥ ـ إنها (أي بريطانية العظمى) بعد الاعتراف بالشروط الواردة أعلاه، ستتعهد بحماية الإقليم التابع لي، والدفاع عنه عن أي ضغط أو اعتداء يقع عليها في البر أو البحر، ومن جانب أية دولة كانت.

«٦ ـ إنها (أي بريطانية العظمى) تتعهد بأنها لن تسمح، ولن تشجع أو تمنح

اللجوء إلى الأشخاص المتهمين أو الهاربين من أراضينا، من أبناء المدن أو البدو.

«٧ ـ إنها (أي بريطانية العظمى) ستحترم وتحمي حقوق رعاياي، وتعاملهم كما تعامل رعاياها حينما يكونون (مقيمين) في أراضيها ومحمياتها.

«٨ ـ إذا قبلت (بريطانية العظمى) بالشروط الواردة أعلاه، فإنني عندئذ أقبل وأعترف بقطع التعامل مع أية دولة أخرى في جميع (شؤون) الامتيازات، والتدخل، والاتصالات، إلاّ بعد الرجوع إلى الحكومة البريطانية المعظمة.

«٩ ـ إنني ألتزم بحماية التجارة داخل الأراضي التابعة لي من كل اعتداء، وسأعامل (رعاياها) بموجب المعاملة التي يحصل عليها رعاياي في شؤون الحكومة والتجارة في أقطارها ومحمياتها (بريطانية والأقطار التابعة لها).

«١٠ ـ إنني أتعهد بأن أحمي في السواحل والموانىء التابعة لحكومتي رعايا الحكومة البريطانية، والأشخاص الذين هم تحت حمايتها، من أي اعتداء.

«١١ ـ إنني سأمنع الاتجار بالأسلحة والعتاد سواء أكان ذلك عن طريق حكومة ما أو عن طريق الاتجار، في جميع الموانىء الخاضعة لحكومتي، بشرط أن أرجع في حالة احتياجي إلى الأسلحة والعتاد، إلى الحكومة البريطانية للحصول على ما أحتاجه».

وعند تقديم هذه الوثيقة، أضاف الكابتن شكسبير بعض ملاحظاته الخاصة، التي لا تزال تحتفظ، بعد أربع سنوات بأهميتها من حيث التسوية النهائية لعلاقاتنا الدائمة مع ابن سعود بعد الحرب[١].

«أبدي أن ما يطلبه ابن سعود لا يزيد كثيراً عما سبق أن أبلغ إليه في تأكيدات القائم بأعمال المقيم، وإذا أريد بهذه التأكيدات أن تنطبق على المستقبل، ولم تكن

---

(١) وبعد ذلك بثلاثة أسابيع، أي في ٢٤ كانون الثاني/يناير ١٩١٥، قتل الكابتن شكسبير في معركة بين ابن سعود وابن الرشيد، كان قد أصرّ على حضورها. ولا يمكن إلقاء أي لوم على ابن سعود في هذه الحادثة المؤسفة.

قاصرة على الأزمة الحالية، وإذا فسرت بحرية وسخاء. وفي مقابل ذلك يعرض ابن سعود أن يكون تابعاً لبريطانية بصورة دائمية. إن ما سيضاف إلى مسؤولياتنا لا يبدو ثقيلاً:

«(أ) - إن الخطر التركي من غربي نجد وشمالها، وإن كان حقيقياً جداً بالنسبة لابن سعود، لا يجب أن يقلقنا كثيراً. وليس لدينا سبب للافتراض بأن الأتراك سيكونون أكثر نجاحاً في المستقبل، عما كانوا عليه خلال العقدين أو الثلاثة العقود الماضية، في حين أن ابن سعود، إذا ضُمنت له الحماية ضد الاعتداء من البحر، سيكون في وضع أفضل بكثير لمواجهتهم مما كان عليه حتى الآن.

«(ب) - ربما سيطلب إلينا أن نكون محكمين، في حالات أكثر عدداً من السابق نوعاً ما، بين الشيوخ العرب على امتداد الساحل وبين ابن سعود، وهي مهمة تخدم مصالحنا نحن إلى حد كبير».

ومن جهة أخرى، فإن المزايا تبدو كثيرة:

«(أ) السيطرة الكاملة على الساحل العربي للخليج (الفارسي).

«(ب) سيطرة كاملة مماثلة على تهريب السلاح.

«(جـ) استبعاد الدول الأجنبية والنفوذ الأجنبي من وسط الجزيرة العربية.

«(د) الأمن الذي ستحققه السيادة البريطانية وسيطرة ابن سعود القوية على عشائر البدو ستكون حافزاً عظيماً للتجارة بين موانىء الخليج (الفارسي) وربما ستحول إليها قسماً مما يمر الآن بموانىء البحر الأحمر.

«(هـ) النفوذ العظيم الذي يمارسه ابن سعود على الرأي العام الإسلامي في الجزيرة العربية، وهو نفوذ يحتمل أن يتضاعف إذا تداعت الإمبراطورية التركية وأصبحت الخلافة مشكوكاً في أمرها، مما سيجعله مكسباً بريطانياً عظيماً.

«(ر) نفوذ ابن سعود على العشائر العربية، وخاصة عنزة الشمالية، التي سنكون على اتصال وثيق بها، بنتيجة احتلالنا جنوب العراق.

على أثر تسلم تقرير الكابتن شكسبير، أبرق السير برسي كوكس في ١٦ كانون

الثاني/يناير ١٩١٥، إلى حكومة الهند (17000/1385/15: No. 49) خلاصة لطلبات ابن سعود وقدم الاقتراحات الإضافية التالية:

«على ابن سعود أن يتعهد:

أولاً: بقبول ممثل للحكومة البريطانية إما في عاصمته أو في أحد الموانىء البحرية، أو في كلا المحلين، إذا طلب ذلك.

ثانياً: بالموافقة على [حق] الامتداد الإقليمي لرعايانا غير المسلمين[١].

ثالثاً: بالامتناع عن شن حرب بحرية بدون موافقتنا، والتعاون مع مكافحة القرصنة.

رابعاً: بحماية الحجاج عند مرورهم في أراضيه.

خامساً: باستحصال الرسوم الكمركية بنسب نعتبرها معقولة مع مراعاة النسب المعمول بها في البحرين والكويت.

سادساً: بالسماح للسفن التجارية البريطانية بزيارة موانئه.

سابعاً: بالموافقة على تأسيس مكتب بريد، وربما مكتب برقيات أيضاً، عند حلول الوقت.

إنني لم أضع مادة تتعلق بتجارة الرقيق لأنها لا تشكل صعوبة كبيرة في الوقت الحاضر، ولم تخلق لنا مشكلة في الكويت.

«إن الأمر الوحيد الذي يبدو من الضروري إبداء ملاحظة عليه هو قضية الحماية من الاعتداء الخارجي الذي قد يأتي من البر. فحينما دعونا ابن سعود إلى الزحف على البصرة، تعهدنا بحمايته من الأعمال الانتقامية من جانب الأتراك، ولذلك، وعلى قدر تعلق الأمر بالأخيرين، فإن ما يطلب ابن سعود منحه الآن لا يزيد عن ذلك كثيراً. وباستثناء الأتراك، فإن وسط الجزيرة العربية من الناحية العملية مغلق من ناحية البر بوجه أية دولة غيرنا، وإنني أجرؤ على التفكير بأننا يجب أن نواجه ذلك الاحتمال البسيط، بإعطاء التعهد المطلوب، مع اشتراط التحفظ بأن لا يكون الاعتداء نتيجة استفزاز.

---

(١) المقصود بهذا عدم شمولهم بالسلطة القضائية المحلية (ن.ف.ص).

«لقد صرحنا علناً أن هدفنا هو تحرير العرب من النير التركي الظالم. وليست هنالك قضية ضم أراضٍ، وفي هذه الحالة لا يستطيع حلفاؤنا أن يروا فيها تحيزاً، في حين أن ثقل ابن سعود في الميزان لن يكون مكسباً قليلاً لقضيتنا المشتركة جميعاً. فهل من الممكن أن أخول بوضع مسودة معاهدة على الأسس الواردة أعلاه، ليقوم الكابتن شكسبير بالتفاوض بشأنها؟ إذ لن تتاح لي في الوقت الحاضر فرصة مقابلة ابن سعود بنفسي.

«إنني مضطر إلى إعطاء ابن سعود جواباً ما بواسطة رسوله، الذي لديه أوامر بالعودة حالاً. وإنني مرسل إلى الكابتن شكسبير فحوى النقاط الإضافية الواردة أعلاه طالباً إليه أن يعتمد على تقديره لدى بحثها مع ابن سعود. أما ابن سعود فإنني سأجيبه بأنني آمل التوصل إلى وسيلة لحماية موقفه على الأسس المشار إليها نوعاً ما، وبأنني أبرقت إلى الحكومة حول الموضوع، ولكن إعداد المعاهدة لا بد أن يستغرق بعض الوقت».

في ٢٩ كانون الثاني/يناير ١٩١٥، وبعد مراسلات أخرى مع السير برسي كوكس (21633/15 No. 3&8) أبرق نائب الملك في الهند إلى وزارة الهند بما يأتي (11837/1385/15):

«لغرض تعجيل التسوية، قدم ابن سعود نفسه مذكرة عرض فيها مبدئياً مقترحاته بشأن صياغة معاهدة. وهذه تتضمن كثيراً من الأمور التفصيلية، الحافلة بالصعوبات والتي تتطلب دراسة ملية، فمثلاً تعريف الحدود، القانون والتشريع، إيواء اللاجئين، معاملة الرعايا على أساس المقابلة بالمثل، تهريب السلاح، وتسهيلات التسليح.

«إننا نعتبر عقد معاهدة مع ابن سعود، في وقت مبكر، أمراً في غاية الأهمية، على أن تكون خطوطها العريضة في الوقت الحاضر مماثلة نوعاً ما لاتفاقية أفغانستان الأصلية مع عبد الرحمن، ونقترح ما يأتي:

«١ ـ تعترف الحكومة البريطانية بابن سعود حاكماً مستقلاً لنجد، والأحساء والقطيف، وتضمن توارث(*) العرش لسلالته، بشرط قبول العشائر لمن يخلفه، وموافقة الحكومة البريطانية.

(*) الأتراك كانوا قد أعطوا ابن سعود ضمانة وراثية في معاهدتهم في ١٥ أيار/مايو ١٩١٤.

٢ - في حالة وقوع اعتداء بدون استفزاز من أراضيه من جانب دولة أجنبية، تكون الحكومة البريطانية مستعدة لدعم ابن سعود إلى الحد وبالطريقة التي تتطلبها الحالة.

٣ - يوافق ابن سعود، في مقابل ذلك، على عدم التعامل مع أية دولة أجنبية أخرى أو رعايا أية دولة أجنبية أخرى، إلاّ بنصيحة الحكومة البريطانية التي سيتبعها بدون تحفظ.

٤ - تتفق الحكومة البريطانية وابن سعود على أن يعقدا، حالما يمكن تدبير ذلك، معاهدة تفصيلية بشأن الأمور الأخرى التي تهمهما بصورة مشتركة».

«يوافق كوكس أن معاهدة مبدئية على هذه الأسس ستفي بالغرض، ويعتقد أن ابن سعود سيوافق عليها. إن ضمان الوراثة لسلالته، بشكل ما، ربما سيكون ضرورياً. وإن الضمانة المقترحة تبدو حذرة بدرجة كافية»:

في ٣٠ كانون الثاني/ يناير أرسلت وزارة الهند هذه البرقية إلى وزارة الخارجية مع الملاحظات التالية (11837/1385/15):

«إن الرغبة في عقد معاهدة مع الأمير عبد العزيز لا تنبع فقط من مقتضيات الوضع الحاضر، التي تجعل من الضروري دفع ثمن لصداقته، بل أيضاً من الوضع العام الذي سيحدث في الخليج العربي في حالة اختفاء الحكم التركي من البصرة بنتيجة الحرب الحالية، مما تعهدت به حكومة جلالته. وقد يكون من المتوقع أن يترك أمير نجد سيداً ليس في وسط الجزيرة العربية وحدها، بل لشريط ساحلي طويل أيضاً، وسيكون من الضروري، لمصلحة السلم والنظام، أن تكون للدولة التي تسيطر على الخليج ترتيبات عمل معه. ولذلك فإن مدى الاستجابة لادعاءاته يجب أن يقاس ليس فقط بالخدمات الآنيّة التي يُنتظر منه أن يقدمها، ولكن أيضاً بما يحتمل أن يحرزه، في حالة نجاحه، من قدرة على الإساءة، التي لا شك في أنه سيمارسها إذا واجه ما يستوجب نفرته بصورة دائمية.

«وفيما يتعلق بشروط المعاهدة التي تقترحها حكومة الهند، فإن التعهد الخاص بموضوع السلالة هو بيت القصيد بلا شك، ولكنه في حالة المحافظة عليه بالطريقة المقترحة، لا يكون عليه اعتراض معقول. ومع ذلك، فإنه لأكثر من المحتمل أن اشتراط كون من يرث الحكم مقبولاً لدى رجال العشائر، سيكون حجر عثرة لابن

سعود، كما كان بالنسبة لشيخ المحمرة، وقد وافقت حكومة جلالته مؤخراً على إلغاء ذلك الشرط في حالته، تحت ضغط الحرب. إضافة إلى ذلك، ونظراً إلى أن المنطقة التي سيحكمها ابن سعود واسعة جداً، ولما عرف عن مزاج العرب من الميل إلى الشقاق بشكل سيء الصيت، فقد يكون تنفيذه عملياً من الصعوبة بمكان عظيم. ولذلك فعلينا أن نكون مستعدين لمعارضة من جانب ابن سعود، وإن اللورد كرو لن يسمح بانقطاع المفاوضات بسبب هذه النقطة.

«ومن رأي اللورد كرو أن الضمان ضد الاعتداء بدون استفزاز يجب أن يصاغ بشكل يجعل حكومة جلالته الحكم الوحيد في طبيعة المساعدة الممنوحة ومداها.

«وبشرط مراعاة هذه الملاحظات، يوصي اللورد كرو بأن ينظر السير إدوارد غري في مقترحات حكومة الهند بعين العطف. ونظراً لأهمية علاقاتنا المستقبلة مع ابن سعود، فإن القضية الآن هي هل يجب أن تحتوي المعاهدة الحالية على بند يفرض عليه (بشرط الاتفاق على الحدود في المعاهدة التفصيلية التي ستعقد فيما بعد) الامتناع عن التدخل في شؤون الكويت والبحرين وقطر والشيوخ المتصالحين. أن اللورد كرو يقترح أن يعرض هذا على حكومة الهند وأن يترك أمره لتقديرها».

في أول شباط/فبراير ١٩١٥ أصدرت وزارة الهند، بتأييد وزارة الخارجية، تعليمات إلى نائب الملك في الهند بمآل الكتاب أعلاه، كما يأتي:

«حصلت الموافقة على مقترحاتكم مع مراعاة الملاحظات التالية:

١ ـ لدى ضمان وراثة السلالة يجب الحصول على شرط موافقة رجال العشائر إن أمكن، ولكنكم تتذكرون الصعوبة التي أحدثها هذا في حالة المحمرة، والمفاوضات يجب أن لا يسمح لها بالانقطاع بسبب هذه النقطة.

٢ ـ ولعلكم مستعدون لضمان مماثل بناء على طلب يصدر من شيخ الكويت، حينما يحصل على ذلك كل من ابن سعود وشيخ المحمرة.

٣ ـ إن التعهد ضد الاعتداء بدون استفزاز يجب أن يصاغ بحيث يجعل حكومة جلالته الحكم الوحيد لطبيعة المساعدة ومداها.

٤ ـ يرجى النظر في أن تحتوي هذه المعاهدة بنداً يُلزم ابن سعود، بشرط تعريف الحدود فيما بعد، بعدم التدخل في [شؤون] الكويت والبحرين وقطر والشيوخ المتهادنين. ولكنني أترك هذا لتقديركم».

في ٦ شباط/فبراير ١٩١٥ أرسلت حكومة الهند التعليمات التالية إلى السير برسي كوكس (30472/15: No.6) وخوّلته الدخول في مفاوضات مع ابن سعود على الأسس المحدودة «على أن يكون من المفهوم بوضوح أن أية معاهدة يتم الاتفاق عليها تتوقف على إبرام حكومة الهند».

وبموجب ذلك وضع السير برسي كوكس مسودة معاهدة من سبع مواد (أنظر: 11069/15) يمكن تلخيص شروطها بما يأتي:

المادة (١) تعترف حكومة جلالته بابن سعود حاكماً مستقلاً لنجد والأحساء والقطيف وموانئها على ساحل الخليج، وبأعقابه بعده، ولكن اختيار الشخص سيكون رهناً بموافقة حكومة جلالته.

المادة (٢) ستساعد حكومة جلالته ابن سعود، حسب تقديرها، في حالة وقوع اعتداء بدون استفزاز ضده من قبل دولة أجنبية.

المادة (٣) يمتنع ابن سعود عن إقامة علاقات دبلوماسية مع أية دولة غير حكومة جلالته.

المادة (٤) لا يجوز لابن سعود أن يتخلى عن أو يبيع أو يرهن أية أراضٍ، أو أن يمنح امتيازات إلى أية دولة أجنبية أو رعاياها، بدون موافقة حكومة جلالته.

المادة (٥) على ابن سعود أن يُبقي طرق الحج إلى الأماكن المقدسة عبر أراضيه مفتوحة، وأن يحمي الحجاج.

المادة (٦) على ابن سعود أن يمتنع عن التدخل في شؤون الكويت والبحرين وقطر وساحل عمان، وأي عشائر أو شيوخ آخرين تحت حماية حكومة جلالته.

المادة (٧) ستعقد فيما بعد معاهدة أخرى أكثر تفصيلاً.

وفي الوقت نفسه تقريباً (43530/15: No. 14) كتب ابن سعود إلى السير برسي كوكس، طالباً، بالنظر إلى وفاة الكابتن شكسبير، إما أن يُرسَل ضابط آخر، أو أن تستمر المفاوضات بالمراسلة مباشرة من البصرة، وليس بواسطة الكويت.

في ٢٤ شباط/فبراير ١٩١٥، عند إبلاغه هذا الطلب إلى حكومة الهند، عرض السير برسي كوكس الاقتراح التالي:

«إنني أقترح الآن أن ترسل إليه مسودة المعاهدة التي كانت تنتظر إرسالها

بواسطة شكسبير، صحبة كتاب نائب الملك. وعلى أثر ذلك فإنني سأنصحه بتوقيعها بدون تأخير وسأقول إنه حالما تنجز، سيمكن إيفاد ضابط لبحث تفاصيل المعاهدة الثانية».

أصدرت حكومة الهند تعليماتها إلى السير برسي كوكس أن يعمل بموجب اقتراحه، وفي ٢٨ شباط/فبراير ١٩١٥ كتب نائب الملك تقريره عنها إلى وزارة الهند (24119/15).

وعلى أثر ذلك أُرسلت إلى ابن سعود مسودة السير برسي كوكس مع كتاب نائب الملك، ثم وصلت من ابن سعود أخيراً رسالتان جوابيتان مؤرختان في ٢٤ نيسان/أبريل ١٩١٥ ومعنونتان إلى نائب الملك في الهند والسير برسي كوكس (111069/15).

في رسالة إلى السير برسي كوكس أرفق ابن سعود نسخة موقّعة من الصيغة العربية للمعاهدة. ومما قاله:

«لقد وجدت بعض التعديلات (وهي غير مهمة) ضرورية لأسباب مقنعة حتمتها الأحوال المحلية، والحاجة لتطمين الأهالي والأسرة السعودية الحاكمة، وكذلك بالنظر إلى المعلومات التي لدينا عن ظروف العرب».

أجاب السير برسي كوكس بكتاب إلى ابن سعود، مؤرخ في ٢٦ حزيران/يونيو ١٩١٥، جاء فيه:

«فيما يتعلق بالمعاهدة، لقد فهمت ما كتبتم شارحين أنكم أدخلتم على النص بعض التعديلات. لا شك عندي قطعاً أننا سوف ننجح في تعديل عبارات المواد بشكل يناسب كلا الطرفين، ويحفظ مصالحكم ومصالحنا. ولكن لما كانت العبارات تختلف عما وافقت عليه الحكومة سابقاً، كان لا بد لي من الرجوع إليها».

وفي التاريخ نفسه أرسل إلى حكومة الهند ترجمة لمسودته ومسودة ابن سعود في عمودين متوازيين، مع تعديلات ابن سعود وتعليقاته عليها، وقد يكون من المفيد إدراج الصيغتين في هذه المذكرة[١].

---

(١) وردت الصيغتان مع تعليقات السير برسي كوكس في الوثيقة تسلسل (٣٠٥) ص (٧٠٩) من الجزء الثاني من هذا الكتاب ولذلك لم يدرجا أعلاه، ويرجى مراجعتهما في الصفحات المذكورة.

وصل كتاب السير برسي كوكس مع مرفقاته إلى حكومة الهند بتاريخ ٥ تموز/ يوليو ١٩١٥، وفي ٧ تموز/يوليو ١٩١٥ أبرق نائب الملك إلى وزارة الهند بما يأتي:

«لقد درسنا بدقة التعديلات التي اقترح ابن سعود إدخالها على المعاهدة الأولية التي أرسلها إليه كوكس لأجل الموافقة عليها. إن هذه التعديلات، في معظمها، ليست مهمة. التعديلات المهمة هي:

«في المادة (١) تحذف عبارة (بشرط موافقة الحكومة البريطانية بعد التشاور معه) فيما يتعلق باختيار الخلف. يعتقد كوكس أن ابن سعود سيوافق على عباراتنا أو على صيغة مناسبة أخرى عندما يشرح له غرضنا. على أنه إذا رفض مع ذلك، فإننا نعتقد أنه لا بأس من أن نوافق عليها.

«المادة (٢) كما عدلها ابن سعود تقرأ كما يأتي: (في حالة اعتداء من قبل أية دولة أجنبية على أراضي الأقطار التابعة لابن سعود المذكور وأعقابه، ستساعد الحكومة البريطانية ابن سعود المذكور في جميع الظروف والأمكنة) وهو بذلك يحذف عبارة (بدون استفزاز) ويغير كلياً العبارات (إلى الحد وبالطريقة التي تبدو لهم أن الوضع يتطلبهما). إننا نعتقد أن عبارة (بدون استفزاز) أو تعبير مماثل آخر يجب إدخاله، ونقترح العبارات الآتية (إلى الحد، وبالطريقة المناسبة) بدلاً من اقتراح ابن سعود.

«في المادة (٤) يضيف أنه سيتبع نصيحة حكومة صاحب الجلالة (حيثما تتطلبه مصالحه). يقترح كوكس (حيث لا تتضرر مصالحه بذلك).

«ويقترح كوكس تدبير اجتماع قريب مع ابن سعود لتسوية الاختلافات. إننا نرى وجوب تخويله القيام بذلك، والتفاوض على معاهدة على الأسس المشار إليها أعلاه، بشرط إبرام حكومة الهند».

في ١١ آب/أغسطس ١٩١٥ أرسلت وزارة الهند إلى وزارة الخارجية نسخاً من هذه البرقية ومن الوثائق التي وصلت من السير برسي كوكس، وقدمت مسودة برقية تتضمن تعليمات إلى نائب الملك.

وفي الكتاب الذي أرفقت به المسودة وشرحت فيه أسس التعليمات المقترحة في هذه المسودة، أكدت وزارة الهند بصورة خاصة على حذف ابن سعود للعبارات «بشرط موافقة حكومة جلالته» في نهاية المادة الأولى:

> «إن من سياسة حكومة جلالته عادة، الاعتراف فقط بالحاكم الفعلي (الواقعي) وتحاشي إعطاء ضمانات تتعلق بالسلالة، وأن الاستثناءات النادرة التي تمت في حالات ـ كحالة المحمرة ـ حيث كانت علاقاتها مع الحاكم تعود إلى عهد طويل، وحيث كانت المسؤوليات التي تعهدت بها محدودة. ولا يتوافر في حالة ابن سعود أي من هذين الشرطين. ولذلك يأمل المستر تشمبرلين أن يتمكن السير برسي كوكس من الحصول على الموافقة على إعادة تلك العبارات. أما تلك التي يقترح ابن سعود إحلالها فيقصد بها، فيما يبدو، توفير اختيار رئيس بصورة دستورية، وفي الحالات التي لا يعين فيها الحاكم نفسه أحداً أثناء حياته. ولا يبدو أن ثمة اعتراضاً على مثل هذا الشرط، طالما كان أسلوب الانتخاب ممكناً من الناحية العملية، ولكن ليس من الواضح كيف ستتأكد حكومة جلالته من أنه لن ينتخب إلاّ شخص يحظى بموافقتها. ومع ذلك، فنظراً لأن الشخص الذي يُنتخب بأغلبية عشائرية ربما لن يجد صعوبة في البقاء كحاكم «على أساس الأمر الواقع» (de facto)، إذا جرى الانتخاب بطريقة تعترف العشائر نفسها بصحتها، فليس من المحتمل ظهور تعقيدات غير مرغوب فيها».

وقد وافقت وزارة الخارجية على المسودة، وعلى ذلك أرسلت البرقية التالية من وزارة الهند إلى نائب الملك في الهند في ١٦ آب/أغسطس ١٩١٥ (111069/15 و1166544/15):

«المادة (١) من المعاهدة. على كوكس، بعد إيضاح مناسب، أن يلح على إعادة العبارات الأصلية التي تعلق حكومة جلالته عليها أهمية عظيمة. ولا يبدو أن هناك اعتراضاً على الانتخاب[1] في حالة عدم تعيين شخص، بشرط أن تكون طريقة الانتخاب ممكنة التطبيق عملياً، وتعترف جميع العشائر المعنية بأنها مقبولة بموجب التقاليد العربية، وإلاّ فإننا قد نتورط في نزاعات عشائرية.

«المادة (٤) على كوكس أن يحقق حذف ما أضافه ابن سعود إن أمكن، وإلاّ فالاستعاضة عن ذلك باقتراحه هو.

«أما فيما يتعلق بالتعديلات الأخرى فإنها تترك لتقديره هو».

في ١٨ آب/أغسطس ١٩١٥ أرسلت حكومة الهند إلى السير برسي كوكس المراسلات البرقية المتبادلة بين نائب الملك ووزارة الهند وخوّلته (141285/15) بترتيب لقاء مع ابن سعود، على ما يراه مناسباً، ويواصل التفاوض معه على هذه الأسس، على أن يكون من المفهوم أنه إذا تم عقد المعاهدة، فإن نفاذها سيكون متوقفاً على إبرام حكومة الهند.

وبموجب ذلك واصل السير برسي كوكس مفاوضاته، وعقد معاهدة نهائية مع ابن سعود في ٢٦ كانون الأول/ديسمبر ١٩١٥ (201630/15).

وفي رسالة مؤرخة في ٣ كانون الثاني/يناير ١٩١٦ (38086/4650/15) قدم إلى حكومة الهند ترجمة للمعاهدة كما وقعت. وكذلك أرسل نصها ونص المسودة البريطانية الأصلية (كلاهما مترجمان) في عمودين متوازيين، مع الإشارة إلى التعديلات، ومع ملاحظات على كل تعديل، شارحاً كيف ظهرت، وماذا سيكون تأثيرها. إن نسخة من النص الموقع عليه في هذه المناسبة، والذي أبرم فيما بعد،

---

(١) استعاض ابن سعود عن العبارات الواردة في المادة الأولى من المسودة البريطانية التي اقتبسها نائب الملك في برقيته المؤرخة في ٧ تموز/يوليو ١٩١٥، بالعبارات: «من قبل الحاكم الموجود على قيد الحياة، أو بطلب أصوات الرعايا المقيمين في هذه البلاد».

مطبوعة في نهاية هذه المذكرة، والمقاطع التي تختلف عن الأصل (مطبوعة في الصفحات ٩ ـ ١٠ أعلاه) كتبت بحروف مائلة.

وقد أرسلت نسخ من هذا النص، ومن ملاحظات السير برسي كوكس، إلى وزارة الهند مع كتاب مؤرخ في ٢١ كانون الثاني/يناير ١٩١٦، وفي ٨ شباط/فبراير ١٩١٦ أبرق نائب الملك إلى وزارة الهند (26095/15) بأن حكومة الهند تقترح إبرام المعاهدة بشكلها الحالي، ما لم يكن لدى وزارة الهند مانع دون ذلك.

وافقت وزارة الهند على هذا الاقتراح ـ مع تأييد وزارة الخارجية ـ ببرقية أرسلت إلى نائب الملك بتاريخ ٦ آذار/مارس ١٩١٦ (67554/15 40708/15) وفي ١٠ آذار/مارس ١٩١٦ كتبت وزارة الهند بموجبه إلى السير برسي كوكس (71652/16) معيدة إليه النسختين الأصليتين من المعاهدة واللتين وقع عليهما هو وابن سعود في نسختين على ورق سميك خاص (Parchment) من الترجمة الإنكليزية، مع تعليمات بكتابة النص العربي على هامشهما، وتوقيع السير برسي كوكس وابن سعود عليهما بعد ذلك.

ويبدو أن هذه التعليمات قد نفذت، وأعيدت النسخ المكتوبة على الورق الخاص إلى الهند في الوقت المناسب، وقد أبرمت حكومة الهند المعاهدة بالتالي في ١٨ تموز/يوليو ١٩١٦ (174647/16).

وبعد هذا بمدة قصيرة، كتب الشريف حسين، الذي كانت حكومة جلالته قد دخلت في مفاوضات معه في الفصل الأخير من سنة ١٩١٥، إلى ابن سعود طالباً «التحالف» و«المساعدة»، وأبلغ ابن سعود هذا إلى السير برسي كوكس، مشيراً إلى الاعتداءات السابقة من جانب الشريف حسين على أراضيه وعشائره [أراضي ابن سعود وعشائره] ومعرباً عن عدم ثقته بنوايا الشريف. (أنظر المذكرة عن «التزامات بريطانية للملك حسين ـ القسم ٢»)[1].

وبالنظر إلى ما تقدم، أبدى السير برسي كوكس في ٨ أيلول/سبتمبر ١٩١٤ أن ابن سعود «يجب أن يبلغ بصورة مؤكدة أن أي تفاهم حالي أو مستقبل بيننا وبين الشريف حسين لن يؤثر في التزامنا ببنود المادتين (١) و(٢) من معاهدتنا الموقعة معه في ٢٦ كانون الأول/ديسمبر ١٩١٥»، كما اقترح أيضاً إرسال بنود هذه

---

(١) الوثيقة رقم (٢٠١) ص (٥٣٤) من هذا الجزء.

المعاهدة إلى الشريف (180581/16).

وفيما يتعلق بأول هذين الاقتراحين، أبرقت وزارة الهند بتأييد وزارة الخارجية (183325/16) إلى نائب الملك [في الهند] في ١٩ أيلول/سبتمبر ١٩١٦ /191509) (16 مبلغة إياه أنه «لما كانت سياسة تشجيع دولة عربية أو اتحاد كونفدرالي لدول عربية لم تمت، فيجب تحاشي أي شيء يضرّ بها». كما أوعزت إليه بأن «الإشارة إلى المعاهدة يجب أن تقتصر على المادة الأولى، إذ إننا لا نستطيع أن نعترف بأن المادة الثانية كانت ملزمة لنا تجاه الدول العربية الأخرى».

ويبدو أن السير برسي كوكس نفذ هذه التعليمات في شكل تأكيد شفوي لابن سعود، بمناسبة اجتماع عقد في الكويت في ٢١ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩١٦ وقلد فيه ابن سعود وسام فارس الإمبراطورية الهندية بحضور شيخي الكويت والمحمرة (23598/16 و236884/16).

وقد أبلغت بنود معاهدة ٢٦ كانون الأول/ديسمبر ١٩١٦، أيضاً إلى الملك حسين في وقت لاحق (أنظر المذكرة عن الالتزامات البريطانية للملك حسين) حسب اقتراح السير برسي كوكس.

علاقة الالتزامات تجاه ابن سعود برغبات بريطانية

لدى النظر في تأثير هذه المعاهدة مع ابن سعود على رغبات بريطانية، يجب أن نتذكر أنها اقتصرت، بصورة متعمدة، على الأمور الأساسية الآنيّة، وإن مسائل مهمة مثل تنظيم تجارة السلاح وحالة الرعايا البريطانيين في أراضي ابن سعود (التي أثارها ابن سعود نفسه)، أو، أيضاً، مطالبة ابن سعود بالحفاظ على السلم في البحر - في الخليج (أثاره السير برسي كوكس)، قد تأجلت إلى دراسة تالية باتفاق الآراء بين حكومة الهند ووزارة الهند، وإن المادة (٧) تنص على عقد معاهدة تفصيلية فيما بعد، وإن ابن سعود وليس حكومة جلالته، قد ألح على تنفيذ هذا في تاريخ مبكر.

ولذلك ينبغي، عند دراسة المعاهدة الحالية عدم إعارة اهتمام كبير لما أغفلته. على أنه قد تجدر الإشارة إلى أن المعاهدة، حتى بشكلها الحالي، تتضمن جميع العناصر اللازمة لمعاهدة تهادن حقيقية. هذه العناصر هي (أ) حق حكومة جلالته والتزامها في التحكيم في حالة حدوث نزاع بين الطرف الآخر في المعاهدة وجيرانه

الذين يرتبطون مع حكومة جلالته بمعاهدات مماثلة (ب) امتناع الطرف الآخر عن الدخول في أية علاقات مع الدول الأجنبية إلاّ بواسطة حكومة جلالته (جـ) وعد من جانب الطرف الآخر بعدم التخلي عن الأراضي لأية دولة أجنبية إلاّ بموافقة حكومة جلالته.

وإن الفقرتين (ب) و(جـ) من هذه العناصر الأساسية نص عليهما بوضوح في المادتين (٣) و(٤) على التوالي، في حين أن الفقرة (أ) «وإن لم ينص عليها»، فمن الواضح أنها مغطاة بصورة واضحة بالمادة (٢) والفقرة الأخيرة من المادة (٤).

ولذلك فإن هذه المعاهدة وإن لم يقصد بها أن تكون شاملة، فإنها تقوم على أسس أفضل من معاهدتنا مع الإدريسي أو مع ترتيباتنا، الرسمية بدرجة أقل، مع الملك حسين، ولا بد أن تكون الصعوبة أقل كثيراً عندما يحين الوقت لتوسيع نطاقها إلى معاهدة نهائية كاملة، تنظم علاقاتنا مع ابن سعود بالتفصيل.

على أن هناك عدة نقاط إيجابية تؤثر في رغبات بريطانية يبدو أن المعاهدة تلزمنا بها:

(١) تخطيط الحدود

في المادة (١) نعترف بابن سعود حاكماً مستقلاً لأقطار معينة نعددها. «وتوابعها وأراضيها التي ستبحث وتقرر فيما بعد».

وهذا أقل تحديداً من تعهدنا للإدريسي (المادة ٦ من المعاهدة مع الإدريسي - تراجع بشأنها المذكرة المعنونة: «الالتزامات البريطانية للإدريسي» التي تعهدنا فيها «بأن نكون المحكمين بين الادعاءات المتضاربة للسيد الإدريسي والإمام يحيى أو أي غريم آخر».

إنها في الواقع تفوضنا التحكيم في القضايا الإقليمية المتنازع عليها بين ابن سعود والملك حسين، وفرض عقوبة مؤثرة كحل أخير.

(٢) الحفاظ على السلم

في المعاهدات الأصلية المعقودة مع شيوخ «ساحل عمان» المستقلين، كانت حقوق حكومة جلالته والتزاماتها مقتصرة بدقة على الحفاظ على السلم في البحر، وإننا لم نحاول السيطرة على العلاقات المتبادلة في البر بين الأطراف العربية الموقعة

على هذه المجموعة من المعاهدات.

إن هذه الصيغة وضعت حداً مستحسناً جداً لمسؤوليات حكومة جلالته، في الوقت الذي غطّت فيه معظم أسباب النزاع بين الحكام العرب المحليين. إن شيوخ عمان الساحليين يسيطرون على شريط ضيق من الأرض بين البحر وبين صحراء غير مسكونة، وإن الفعاليات التي يمارسها رعاياهم بحرية كلها تقريباً، وليست هنالك في مناطق حكمهم قبائل رحّل، لكي تخلق مشاكل تتعلق بالولاء أو تحديد الحدود.

ولكن من الواضح أنه إذا كان نظام «التهادن» البريطاني الذي كان حتى الآن مقتصراً على شريط بين الساحلين الجنوبي، والشرقي، وبين الصحراء الجنوبية ـ الشرقية الكبرى، سيمتد، كما امتد خلال الحرب، إلى بقية شبه الجزيرة، فسيترتب علينا أن نحافظ على السلم بين الحكام الذين يعتمد رخاؤهم ليس على التبادل التجاري الساحلي أو مصائد اللؤلؤ، بل على سلوك الواحات الداخلية والعشائر البدوية.

إن ابن سعود والإدريسي والملك حسين الذين دخلنا في علاقات معهم خلال الحرب، هم حكام من هذا النوع الأخير. إن قيام «سلم بريطاني» (Pax Britannica)[١] في الخليج (الفارسي) والبحر الأحمر، وهو الآن ثمين ولا غنى عنه في الواقع، سيكون قليل الأثر نسبياً في إزالة أسباب الاحتكاك بينهم، أو في تمكين حكومة جلالته من معالجة مثل هذا الاحتكاك حين يثور.

وإننا إذا أردنا الحفاظ على السلم بينهم، فسنساق في النهاية إلى السيطرة على العلاقات البرية فيما بينهم، ويمكن القيام بهذا، إلى حدّ ما، بفرض الحصار البحري. ولكن فضلاً عن صعوبة فرض الحصار على دولة واحدة بصورة مؤثرة دون محاصرة شبه الجزيرة كلها[٢]، حينما تكون السلطة السياسية مهلهلة كما هي في الجزيرة العربية، فمن طبيعة الأشياء أن ممارسة الضغط على حائل أو الرياض

---

(١) (Pax Britannica) تعبير لاتيني يستعمل للدلالة على السلم الذي فرضه الحكم البريطاني داخل الإمبراطورية البريطانية في القرن التاسع عشر، وكان أول من استعمل هذا التعبير جوزيف تشمبرلين (الذي كان وزير المستعمرات) في سنة ١٨٩٣ لوصف نتائج الحكم البريطاني في الهند. والتعبير مستوحى من (Pax Romana) الأكثر شهرة (ن.ف.ص).

(٢) يبدو هذا نتيجة عادلة لتجاربنا خلال الحرب في الكويت.

بهذه الطريقة لهو أصعب من ممارسته على الشارقة، أو حتى مسقط، وإلى جانب ذلك فإن حلفاءنا الجدد من العرب هم أقوى إلى حد بعيد من معظم الحكام العرب الذين دخلوا في علاقات «متهادنة» معنا سابقاً. وفي حالة الملك حسين، الذي يحتمل أن يكون أكثر من يثير المشاكل في علاقاته مع جيرانه، فإنه لمما يصعب على حكومة جلالته بصورة خاصة أن تمارس عليه ضغطاً، سواء أكان بالحصار أو بغيره، نظراً للصفة المقدسة التي يتمتع بها إقليمه في أنظار مسلمي العالم، وحركة الحجاج بين موانئه وكل بلد مسلم آخر.

وهكذا يبدو أن الحفاظ على السلم في البر هو المشكلة الفاصلة في ذلك الامتداد للنظام «المتهادن» البريطاني على بقية شبه الجزيرة العربية، الذي اقترب كثيراً من أن يكون كاملاً خلال الحرب.

إن المعاهدة مع ابن سعود هي أولى تجاربنا في هذا النوع، الأكثر تطوراً وصعوبة من العلاقات «المتهادنة». وفي حكمها على المعاهدة بعد إبرامها (أنظر أعلاه) بمدة قصيرة، وضعت وزارة الهند المبدأ المهم القائل: «إننا لا نستطيع الاعتراف بأن المادة الثانية ملزمة لنا تجاه العرب الآخرين».

وعلى أساس هذا الحكم، تكون التزاماتنا البرية تجاه ابن سعود قاصرة على أن نؤمنه ضد الاعتداء من جانب دولة خارجية (مثلاً: تركية، إيران، ألمانية، روسية، فرنسة). ولكن قد يكون من المشكوك فيه أن التزاماتنا المعترف بها بموجب المادة (١) بشأن تحديد حدود أراضيه، لن تزج بنا في التدخل الفعلي ضد أي حاكم عربي آخر، مثلاً كالملك حسين الذي قد يلجأ إلى القوة ليعكس ما نجنيه.

ويبدو من المرغوب فيه، بشأن هذه القضية التي تؤثر في جميع علاقاتنا العربية، أن نقرر اتباع خط سياسي واضح.

(٣) الضمانات المتعلقة بالسلالة الحاكمة

لم يكن من عادة حكومة جلالته، عند عقد معاهدة «تهادن» مع حاكم عربي، أن تعترف بأنها ملزمة بتلك المعاهدة تجاه سلالته. ولكن من الواضح أن من الصعوبة بمكان القيام بذلك في النهاية في الحالات التي تكون فيها علاقاتنا قد امتدت لمدة طويلة، أو التي تكون السلالة فيها قد أصبحت راسخة بقوة، وحصلت على مكانة محترمة.

إن الضمان الممنوح لابن سعود في المادة (٢) من المعاهدة الحالية، بشأن توارث السلالة الحاكمة، يقتفي أثر سابقة استقرت في حالة شيخ المحمرة (أنظر المذكرة عن الالتزامات البريطانية لشيوخ الخليج) وكانت محاطة بالتحفظات.

ولا يبدو هذا قضية حاسمة بقدر الحفاظ على السلم في البر، ولكن تاريخ علاقاتنا مع شيخي البحرين وقطر يظهر أن ضمانة تتعلق بالسلالة قد تكون محرجة في بعض الحالات، وأن السابقة يجب أن لا تتخذ قاعدة عامة على الفور.

FO 371/4145

(٢٤٦)

(ترجمة كتاب)

من خالد بن منصور [بن لؤي]

إلى الشيخ السير عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود

حاكم نجد والأحساء والقطيف وجبيل وتوابعها

التاريخ: ٣٠ صفر ١٣٣٧
٥ كانون الأول/ ديسمبر ١٩١٨

أرسل إليك كتابي هذا آملاً أن يجدك بتمام الصحة. لقد سبق لي أن أرسلت إليك رسائل استخبارات وأظن أنها تضمنت أخباراً كافية.

لكن عليّ أن أخبر سيادتك الآن أن شاكر وكل الشلاوة والبقوم وشعب الحجاز يستعدون للهجوم علينا. وابن ثامر قد نزل قرب قريتنا. اشتبكنا معه لمدة سبعة أيام، وفي اليوم السابع التقينا بهم. فساعدنا الله عليهم. وبالنتيجة استولينا على كل ما يملكونه كغنيمة، باستثناء أباعرهم التي هربت ومضت نحو الغرب. كان عندهم رشاش ولكن، بالرغم من ذلك، قتلنا منهم نحو ٨٠ شخصاً. كان هؤلاء وجهاء تربة. وقد لحقنا بهم إلى مسافة بعيدة. أطلقوا الرصاص علينا من البعد ووجهوا مدافعهم إلينا، لكن لم يقتلوا سوى أربعة منا.

بعد ذلك ورد الخبر بأن قوة أخرى مجهزة بأطعمة كافية ومدفعين في طريقها للاشتباك معنا. وقد قاتلناهم، مؤيدين بالله، فدحرناهم واستولينا على مدفعيهم. لحقت بهم عشر خسائر، أما نحن فلم نخسر سوى ثلاث. نحن الآن في الخرمة. شعب تربة يفاوضوننا الآن، وآمل أنه لن تمضي مدة طويلة حتى ينضموا إلينا. وهذا يعود إلى نفوذك، لأنك (أيها الأمير عبد العزيز ابن سعود) تعلم كيف تجذب الناس. لولا نفوذك لما عرف الناس أيّ شريف. وكثيراً ما قال الناس: «ابن سعود لم يرسل حملة تأديبية ضد شعب الخرمة».

أنت، من الجهة الثانية، وعدتنا قائلاً إن البريطانيين يدعمون الشريف ويساعدونه. نعجب هل أنت تكذب علينا. وعلى كل حال موظفوك يعلمون حقيقة الوضع. تقول إن الشريف لم يتعامل بمفرده مع أي رجل فقير وذليل في مكة، ولكن، على العكس، هو ينفق كل أموال البريطانيين على رخاء عامة الناس وإن دعايته قد انتشرت انتشاراً واسعاً حتى إنه تمكن من تجنيد جيش وأصبح سيّد الأمة، لكننا نرى أنه ليس هناك من يحبه لا في مكة ولا في غيرها.

إذا لم يكن للشريف أي شعور بالوطنية فيمكنه الآن إرسال أحد أبنائه (ضدنا) ليثبت قوة قومه. لكنك أنت رابطة قوتنا. إذا كنت رجلاً هماماً فعليك أن تحمي رعاياك. أنت مسؤول عن مصالحهم. فتفضل واعمل ما فيه سعادتنا وسعادة المسلمين. أنت تعلم أن الشريف هو الذي يعيث فساداً فينا وفي تواضعنا. ولكن إذا علمت خلاف ذلك فأخبرنا بموجبه. ونسأل الله أن لا يتفرّق المسلمون. نحن لا نريد أن نتخذ موقفاً يكون ضد رغباتك وضد أوامر ديننا. لقد أخبرناك بكل ما نعلم، وعليك الآن أن تعطينا الأخبار الحقيقية.

تفضل وأعد رسلنا بالسرعة الممكنة. المدافع المستولى عليها يحتفظ بها هنا في انتظار أوامرك.

أرجو التفضل بتقديم تحياتنا إلى والدك الإمام المحترم. شيخنا يسلم عليك، وعلى الشيخ والأخوة جميعاً.

المخلص لكم
(التوقيع) خالد بن منصور

FO 371/4144

(٢٤٧)

(برقية)

من السير ر. وينغيت ـ القاهرة
إلى وزارة الخارجية

مستعجل التاريخ: ١٠ كانون الأول/ديسمبر ١٩١٨

الرقم: ١٨٥٧

برقيتي رقم ١٨٢٧.

أخبر ملك الحجاز الكرنل ويلسن أن قوة من الإخوان تتقدم نحو مكة بقيادة سلطان بن بجاد الذي هو، كما يقول الملك، وكيل ابن سعود الرئيسي لدى الوهابيين المتطرفين. يرى ويلسن الوضع خطيراً جداً، ويحثّ على ضرورة وضع كل ضغط ممكن على ابن سعود لتنفيذ انسحاب الإخوان من خور (الخرمة) والغرب.

لم يبق ثمة شك بعد قضية الدغادجة أن الإخوان في خور (الخرمة) قد أخذوا خطة الهجوم ويكوّنون خطراً على أمن مكة. وقد يدل الخبر المشار إليه في برقية بغداد رقم ١٠٨٦١ إلى وزير شؤون الهند على أن ابن سعود قد تنبّأ بهذا التطور، وسوف يحاول أن يبرىء نفسه من أية مسؤولية جديدة. إن تواريخ هذا ورحيل التعزيزات العسكرية من نجد إلى خور (الخرمة) (برقيتي ١٧٦٥ بتأريخ ٢٦ تشرين الثاني/نوفمبر) يجوز أنها قد جاءت في وقت واحد. لا نستطيع أن نقبل دخول الوهابيين إلى الحجاز وخطر نشوب حرب مذهبية في جوار المدن الإسلامية المقدسة. وبالنظر إلى هذه الأخطار واعتداء الإخوان الحديث نحو غربي خور (الخرمة)، أوصي بشدة أن ترسل حكومة صاحب الجلالة فوراً تعليمات شديدة إلى ابن سعود بسحب كل الإخوان المتطرفين من الجوار، وتوضح له أن عدم تنفيذه ذلك أو التأخر فيه سوف يجرّ عقوبات (وقف الإعانة أو غلق الأسواق) من جانب حكومة صاحب الجلالة. ضرورة حماية العتبات السنّية الأصولية. ومنع انتشار

الحرب تتطلب إجراء شديداً مع ابن سعود، ولكن دون إخلال بتسوية قضايا الحدود في المستقبل.

معنونة إلى وزارة الخارجية. أرسلت إلى الهند وبغداد برقم ١٨٥٧.

FO 371/3390

(٢٤٨)

(برقية)

من وزارة الهند

إلى المفوض المدني في بغداد

الرقم: **P. 5545** التاريخ: ١٣ كانون الأول/ ديسمبر ١٩١٨

برقية القاهرة المرقمة ١٨٥٧ والمؤرخة في ١٠ كانون الأول/ديسمبر والمراسلات المتصلة بها. ابن سعود. كانت حكومة جلالته حريصة على الدوام للحفاظ على مصالح ابن سعود المشروعة وتفادي إصدار الأحكام المسبقة في المنازعات على الأراضي بينه وبين الملك حسين. ولكن إذا صح، على ما جاء في تقارير وينغيت، أن ابن سعود وأتباعه يقومون بعمليات اعتدائية في داخل أراضي الحجاز، فلن يكون لدينا خيار سوى إعادة النظر في الوضع بأجمعه. إننا نقترح تحذير ابن سعود بصراحة أنه إذا لم يتخل حالاً، ويحمل أتباعه على التخلي، عن كل عمل اعتدائي ضد الحجاز، ويسحب جميع «الإخوان» المحاربين الموجودين في شرقي الخرمة الآن، فإن إعانته المالية ستتوقف، وإننا سنعدّ أنفسنا أحراراً في أن نتخذ في المستقبل أية إجراءات نجد من المرغوب فيه اتخاذها للحفاظ على السلم في وسط الجزيرة العربية. ولا يفوت ابن سعود أن يدرك أن من مصلحته في الظروف الحاضرة اتباع نصحنا. إن هذه الرسالة قد تكون أكثر تأثيراً لو أبلغها الكرنل ويلسن من جدة، وسيكون من المفيد إذا استطاع الكرنل ويلسن أن يقابل ابن سعود، ويكوّن رأياً مباشراً عن الوضع. ولذلك فسيطلب إلى وينغيت أن يتخذ ما يلزم إذا وجد ذلك مرغوباً فيه بعد المذاكرة مع فيلبي. ولكن نظراً للتطورات التي حصلت في الآونة الحاضرة لا يبدو من المناسب إثارة موضوع سيادة الملك حسين.

معنونة إلى بغداد. مكررة إلى نائب الملك في الهند.

FO 371/3390

(٢٤٩)

(برقية)

من وزارة الخارجية (لندن)

إلى السير ريجنالد وينغيت ـ المندوب السامي (القاهرة)

الرقم: ١٥٢٤ التاريخ: ١٥ كانون الأول/ديسمبر ١٩١٨

برقيتكم المرقمة ١٨٥٧ (والمؤرخة في ١٠ كانون الأول/ديسمبر ـ ابن سعود والحجاز).

أبلغت وزارة الهند بغداد أنه إذا كانت الحقائق كما ذكرت، فالمقترح تحذير ابن سعود ببساطة بأنه إذا لم يتخلّ حالاً عن كل عمل اعتدائي ضد الحجاز، ويسحب جميع الإخوان المحاربين الموجودين الآن غربيّ الخرمة، فإن إعانته المالية ستتوقف، وإن حكومة جلالته ستعدّ نفسها حرة في اتخاذ مزيد من الإجراءات التي تجدها مرغوباً فيها لحفظ السلام.

ترى وزارة الهند أن تأثير هذه الرسالة يكون أكثر لو أبلغها الكرنل ويلسن شخصياً من جدة، وسيكون من المستحسن لو استطاع الكرنل ويلسن أن يقابل ابن سعود، ويكوّن انطباعاً مباشراً عن الوضع.

ولذلك يرجى اتخاذ الترتيبات اللازمة إذا وجدتم ذلك مرغوباً فيه بعد بحثها مع المستر فيلبي الذي سيصل إلى مصر خلال الأيام القلائل القادمة.

نظراً لآخر التطورات إن الوقت الحاضر لا يبدو مناسباً لإثارة موضوع سيادة الملك حسين. أنظر برقيتكم المرقمة ١٨٢٧.

FO 371/3390 (208198)

(٢٥٠)

(برقية)

من السير ريجنالد وينغيت ـ القاهرة
إلى وزارة الخارجية ـ لندن

الرقم: ١٨٩٤ التاريخ: ١٧ كانون الأول/ ديسمبر ١٩١٨

برقيتكم المرقمة ١٥٢٤[١] والمؤرخة في ١٥ كانون الأول/ ديسمبر.

سأستشير المستر فيلبي عند وصوله.

لا أشك في أن الكرنل ويلسن سيقوم بالمهمة بكل سرور. ولكن نظراً للعداوة بين ابن سعود والملك حسين، والهياج الديني بين الوهابيين، فإنني لا استصوب إرسال الكرنل ويلسن أو أي ضابط بريطاني آخر إلى نجد في الوقت الحاضر.

أعتقد بشدة أن التحذير إلى ابن سعود يجب أن يبلغ برسالة موقعة ومرسلة من الضابط السياسي الأقدم في بغداد، وهو الموظف الذي أرسلت بواسطته جميع مراسلات حكومة جلالته معه حتى الآن.

معنونة وزارة الخارجية. مكررة إلى بغداد.

---

(١) وهي نفس البرقية المرسلة من وزارة الهند إلى المفوض المدني في بغداد بتاريخ ١٣ كانون الأول/ ديسمبر ١٩١٨ (الوثيقة رقم: ٢٤٩).

FO 371/3390 (209570)

(٢٥١)

(برقية)

من السير ريجنالد وينغيت ـ القاهرة
إلى وزارة الخارجية ـ لندن

الرقم: ١٩٠٩ التاريخ: ١٩ كانون الأول/ ديسمبر ١٩١٨

برقيتي المرقمة ١٨٩٤.

فيلبي يتفق في أنه ليس من المرغوب فيه مطلقاً أن يذهب الكرنل ويلسن إلى نجد في الظروف الحالية.

معنونة إلى وزارة الخارجية ـ مكررة إلى الهند وبغداد.

FO 371/4145

(٢٥٢)

(ترجمة كتاب)

من الشيخ عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود
حاكم نجد والأحساء والقطيف وجبيل وتوابعها
إلى ج. ب. سنت جون فيلبي (من سلك الخدمة المدنية الهندية)

التاريخ: ١٧ ربيع الأول ١٣٣٧
٢١ كانون الأول/ ديسمبر ١٩١٨

بسم الله الرحمن الرحيم،

سيدي،

بعد تقديم أطيب التحيات والاحترامات والسؤال عن راحتكم والدعاء لسعادتكم التامة، نخبركم براحتنا وراحة كل من هنا بمنه تعالى. تعترف بورود

مذكرتكم المكرمة الودية التي وصلت هنا في ساعة مباركة وسببت لنا سروراً عظيماً بتأكيدها صحتكم الجيدة وراحتكم العامة. كما تعلمون كانت ثقتنا الأكيدة دائماً بأن الحكومة البريطانية تقدم بلا ريب مكافأة عظيمة لأعمالنا وإخلاصنا تجاهها. ليس هناك أقل شك في ذلك لأن الشعب البريطاني كان دائماً صديقاً حقيقياً مخلصاً في كل المناسبات، ونحن أيضاً سنكون، بفضله تعالى، صادقين دائماً في كل الظروف. سوف نبذل قصارى جهودنا في هذا السبيل لأننا نحتفظ بك دائماً مثلاً أمام أعيننا في كل الظروف وكل الأعمال ولا ننساك. أنت بالنسبة لنا كالروح من الجسم، ولنا كل الثقة فيك بعد الله. أنت وكيلنا الوحيد ولا نستطيع أن نعارضك مهما تكن الظروف، بل إننا سننضمّ دائماً إلى النتائج التي تصل إليها. كتبت إلينا بأننا لا نعرفك كما يجب. كلا! أبداً. أبعدنا الله عن الكذب والبهتان. فيما يتعلق بنا وأولئك الذين معنا فهم بفضل الله في صحة جيدة. لقد انتشرت الحمى في نجد لنحو عشرة أيام لا غير حوالي نهاية شهر صفر ودامت ٢٠ يوماً. أنا في صحة جيدة والحمد لله. لكن ولديّ تركي وفهد توفيا. مع ذلك علينا أن نتقبّل هذه الأحداث كما يأمرنا الله. كل الرجال في صحة جيدة ولم يتألم سوى النساء والأولاد وأمثالهم. لقد سبق لنا إخبارك بأن شاكر ذاهب مرة أخرى إلى شعب الخرمة مع كل البقوم والشلاوة وشعب الحجاز. لقد تقدم قرب الخرمة حيث بقي هو والذين معه نحو سبعة أيام منشغلين في القتال. وبعد ذلك دحرهم أهل الخرمة واستولوا على كل ممتلكاتهم وخيامهم ومتاع شاكر باستثناء الأباعر. هرب شاكر إلى تربة. وقد سمعنا أن أهل تربة اتفقوا مع أهل الخرمة، ولم يحدث شيء بعد ذلك سوى مجرد محادثة بينهما.

وفيما يتعلق بأهل الخرمة كان الشريف سبب هجوم شاكر عليهم، وقد دحروه لأجل سلامة عشيرتهم. والخبر الصحيح وارد في كتاب خالد المرفق، وستجده مع هذا الكتاب إلى شخصك الكريم. كانت هنا حمّى أضعفت الناس، ونعتزم أن نبقى هنا إلى بدء شهر ربيع الآخر وسنترك هذا المكان حسب العادة. لا خبر هناك سوى ما ذكرناه آنفاً. وسبب التأخير في الكتابة إليك يعود إلى الوباء. وفيما يتعلق بسائر القضايا حول الحكومة، أنت تعلم كل شيء جيداً ولنا كامل الثقة فيك بعد الله. وفي هذه الأيام وردتنا أخبار مفادها أن ابن الصباح يحاول الضغط على العجمان ليكونوا من رعاياه، والآن قد اتحدوا هم ورعايا ابن الصباح، وذلك خلاف الاتفاق بيننا وبين الحكومة. ولأننا، بفضل الله، وكما تعلم، لن نسمح

للعجمان وابن الصباح أن يعملوا ما يشاؤون.

وفيما يتعلق بأوراق حرب وعتيبة لم تنجح الدعاية ضدنا. وفيما يتعلق بأمتعتك في القصيم لقد تأخرت بالنظر إلى الوباء، لكن يؤمل أن تتسلمها قريباً إن شاء الله. أثق أنك ستزودنا بكل الأخبار عن الحكومة وسائر الدول وأنفسنا. وأنا متأكد أن ثقتنا الكاملة فيك ستؤدي إلى النجاح الكامل.

لنا عظيم الثقة بالله وبالحكومة البريطانية وموظفيها. السلام من والدي والاحترام من إخوتي وأبنائي.

FO 371/4162

(٢٥٣)
(كتاب)
من إمام اليمن إلى ملك بريطانية

التاريخ: ١٨ ربيع الأول ١٣٣٧
(٢٢ كانون الأول/ديسمبر ١٩١٨)

بسم الله الرحمن الرحيم

ختم المتوكل على الله تعالى

فخامة ملك بريطانيا العظمى

يعرض المفتقر إلى الله لفخامتكم أن قطعة اليمن لم تزل (تحت) إمامة أجدادنا منذ ألف سنة وزيادة ولم تكن قط تحت حاكمية الحكومة العثمانية كسائر البلدان العربية بل مستقلة بذاتها ولم يكن لها بالحكومة المذكورة ارتباط سوى ائتلاف[1] كان انعقد

---

(١) ائتلاف: تحالف.

بدور سلطنة السلطان سليمان الأول بين السلطان المشار إليه وبين أحد أسلافنا الإمام المطهر بن الإمام شرف الدين، وبمقتضاه انجلت الحكومة المذكورة منها ولم تزل الحكومة العثمانية تحاول الاستيلاء عليها وتنجلي عنها بمقاومة أجدادنا وبمقاومتنا إلى أن تقرر بيننا وبين الحكومة المذكورة الائتلاف الأخير المتضمن إصلاح الحالة بيننا وبينها وانتهاء سفك الدماء التي طالما أهريقت بهذه القطعة كما يشهد بذلك التاريخ. وحسب الائتلاف الواقع تراكمت لنا مطلوبات باهضة لدن الدولة المذكورة فمن الضروري التشبث في استحصالها وقد كنا حررنا لوالي عدن تحريراً وتلغرافياً كتباً أسفرنا فيها عن الحقيقة عقيب تبليغه لنا المتاركة[١] الواقعة بين دول الائتلاف العظمى وتركيا، وبيّنا له أن من الممكن تسليم القطعات العسكرية الضاربة باليمن عقيب حصول المقررات الدولية القطعية وتأمين مطالبنا المالية الوفيرة وطلبنا منه التوسط لدى فخامتكم وسائر الدول العظمى بتصديق حاكمية إمامتنا باليمن وتأمين سعادتها المستقبلة وقبل انتهاء المخابرة الجارية بيننا وبين الوالي المشار إليه ما شعرنا إلاّ بإشغال[٢] عساكر بريطانيا العظمى للحديدة، التي هي المرسى الوحيد لليمن، بصورة مخالفة لما ورد من الوالي المشار إليه في بيان المقررات الدولية في المتاركة، فوقع هذا الإشغال الفجائي موقعاً سيئاً وأحدث هيجاناً عظيماً لعامة سكان القطر اليمني. وحيث أنّا طبعاً حريصون على عدم سفك الدماء ولم تكن منا ولا من جهة أهل اليمن مداخلة في الحروب مع تركيا، ولأنّا نجتنب وقوع الثورة الفوضوية، قد أرسلنا لجنة مركبة من مبعوث اليمن السيد علي بن أحمد بن إبراهيم بن الإمام، ومبعوث اليمن أيضاً بها بك، والقاضي الفخري عبد الله بن أحمد العرشي، ومدير البانق العثماني موسيو كوركجي، للمذاكرة مع والي عدن وتأمين الحقوق المعروضة لدى فخامتكم والدول المعظمة، فبناء عليه أرجو من فخامتكم الخادمة للإنسانية والأقوام العربية والمانعة لكل اعتداء، تأمين حقوقنا المالكة باليمن وتصديقها. وفي الختام أؤكد لفخامتكم إخلاصي الودي ملتمساً منها طلب اللجنة المذكورة لمقابلة فخامتكم إذا لم تكن لوالي عدن صلاحية تامة لحل وحسم هذه المسئلة وأرجو فخامتكم قبول احتراماتي الحبية وتمنياتي الخالصة. ثقف في ١٨ ربيع الأول سنة ١٣٣٧.

---

(١) المتاركة: الهدنة.

(٢) الإشغال (بكسر الهمزة): الاحتلال.

بسم الله الرحمن الرحيم

امة مملكة بريطانيا العظمى يعرض المفتقر الى الله الحسني لفخامتكم ان قطعة اليمن لم تزل
امامة اجدادنا منذ الف سنة وزيادة ولم تكن تحت حاكمية الحكومة العثمانية كسائر البلدان العربية بل مستقلة بذاتها ولم يكن لها
بالحكومة المذكورة ارتباط سوى ائتلاف كان انعقد به في سلطنة السلطان سليمان الاول بين السلطان المشار اليه وبين احد اسلافنا الامام المطهر بن الامام
الدين وبمقتضاه انجلت الحكومة المذكورة منها ولم تزل الحكومة العثمانية تحاول الاستيلاء عليها وتجلي عنها بمجاهدة اجدادنا ومجاهدتنا الى ان تقرر بيننا وبين
الحكومة المذكورة الائتلاف الاخير المتضمن لصلاح الحالة بيننا وبينها وانتهاء سفك الدماء التي طالما اهرقت بهذه القطعة كما يشهد به التاريخ وحيث
الائتلاف الواقع تركت لنا مطلوبات باهضة لدى الدولة المذكورة فمن الضروري لزوم التشبث في استحصالها وقد كنا حررنا لوالي عدن تحريرا وتلغرافيا
كتبا استفسرنا فيها عن الحقيقة عقب تبليغه لنا المتاركة الواقعة بين دول الائتلاف العظمى وتركيا وبينا له انه من الممكن تسليم القطعات العسكرية الحاضرة باليمن
عقب حصول المقررات الدولية القطعية وتأمين مطالبنا المالية الوفيرة وطلبنا منه التوسط لدى فخامتكم وسائر الدول العظمى بتصديق حاكمية امامتنا باليمن وتأمين
سعادتها المستقلة وقبل انتهاء المخابرة الجارية بيننا وبين الوالي المشار اليه ما شعرنا الا باشغال عساكر بريطانيا العظمى الحديدة التي هي المرسى
الوحيد لليمن بصورة مخالفة لما ورد من الوالي المشار اليه في بيان المقررات الدولية في المتاركة فوقع هذا الاشغال الفجائي موقعا سيئا واحدث
هيجانا عظيما لعامة سكان القطر اليمني وحيث انا طبعا حريصون على عدم سفك الدماء ولم تكن منا ولا من جهة اهل اليمن داخلة في الحروب مع تركيا
ولاجل ان نجتنب وقوع الثورة الفوضوية قد ارسلنا لجنة مركبة من مبعوث اليمن السيد علي بن احمد بن ابراهيم بن الامام ومبعوث اليمن ايضا بهابك والقاضي
الفخري عبد الله بن احمد العرشي ومدير البانق العثماني موسيو كورنجي للمذاكرة مع والي عدن وتأمين الحقوق المعروضة لدى فخامتكم والدول العظمى فبناء عليه
ارجو من فخامتكم الخادمة للانسانية والاقوام العربية والمانعة لكل اعتداء تأمين حقوقنا المالكة باليمن وتصديقها وفي الختام اذكر لفخامتكم اخلاصي الودي
ملتمسا طلب اللجنة المذكورة لمقابلة فخامتكم اذا لم تكن لوالي عدن صلاحية تامة لحل وحسم هذه المسئلة وارجو فخامتكم قبول احترامي الجلية وتمنياتي
الخالصة تقفف في ١٨ ربيع الاول ١٣٣٧

[illegible] ٢٢ / ١٢ / ١٩١٨

FO 371/3390 (211251)

(٢٥٤)

(برقية)

من السير ريجنالد وينغيت

إلى زارة الخارجية

الرقم: ١٩٢٧ التاريخ: ٢٣ كانون الأول/ ديسمبر ١٩١٨

عاجل

برقيتكم المرقمة ١٥٢٤ المؤرخة في ١٥ كانون الأول/ديسمبر.

أخبرت الكرنل ويلسن بأن النصيحة سترسل إلى ابن سعود لسحب جميع «الإخوان» المحاربين الموجودين شرقي الخرمة حالياً. وهو يبدي أن هذا لن يمنع فوراً استمرار المعارك بين الشريفيين والإخوان. إن غارات الأخيرين على الحجاز قد أزعجت الأول، ويرى الملك وويلسن كلاهما أن اشتعال القتال لا يمكن اجتنابه إلاّ بسحب الإخوان من الخرمة، وإنهاء احتلال ابن سعود بواسطة جماعة من الإخوان.

هل تدل الفقرة الأولى من برقيتكم أعلاه على اتخاذ قرار نهائي بعدم الضغط على ابن سعود بسحب الإخوان من الخرمة؟ نرجو الإجابة عاجلاً لأتمكن من إصدار التعليمات إلى ويلسن بشأن الخط الذي يجب أن يتبعه مع الملك.

معنونة إلى وزارة الخارجية مكررة إلى الهند وبغداد.

FO 371/33390 (210939)

(٢٥٥)

(كتاب)

من وزارة الحرب ـ لندن

إلى وزارة الخارجية ـ لندن

الرقم: (M.I.2) 0152/4920 التاريخ: ٢٣ كانون الأول/ديسمبر ١٩١٨

سيدي،

كلفني مجلس الحرب أن ألفت نظر وكيل وزارة خارجية جلالته إلى البرقيات المتبادلة مؤخراً بين وزارة الخارجية والسير ريجنالد وينغيت ووزارة الهند والضابط السامي الأقدم في بغداد حول موضوع التغلغل الوهابي باتجاه مكة.

إن مجلس الحرب يشك في أن هذا الأمر يمكن تسويته بممارسة الضغط على ابن سعود شخصياً، إذ إن الأخير قد لا يكون قادراً على السيطرة على العناصر المتطرفة بين رعاياه الذين يعتقد الكثيرون منهم أن صداقته مع الأوروبيين هي خروج على التعاليم وعمل فاسد.

ولذلك فإنهم يرون أنه إضافة إلى الضغط السياسي من قبيل ما جاء في برقية وزارة الخارجية المرقمة ١٥٢٤ إلى السير ريجنالد وينغيت، يجب اتخاذ مزيد من الإجراءات المكشوفة لنظهر للجزيرة العربية أن سياسة حكومة جلالته هي دعم الملك حسين ضد كل اعتداء.

ويعتقد مجلس الحرب أنه ما لم تتخذ إجراءات مباشرة فوراً، فهنالك احتمال لسقوط مكة بيد الوهابيين خلال الشهور الستة القادمة، ولغرض دعم الإجراء السياسي، الذي يرتئي اللورد بلفور اتخاذه للحيلولة دون وقوع هذه الضربة على مكانة بريطانية وهيبتها، فإنهم مستعدون، في حالة موافقته، على إرسال أية أسلحة قد يطلبها الشريف، ويكون قادراً على استعمالها، وكذلك إرسال قوة

مناسبة من الجنود المسلمين.

وأتشرف... إلخ.

إلى وكيل وزارة الخارجية

FO 371/3390 (213147)

(٢٥٦)

(كتاب)

من وزاة الهند

إلى وزارة الخارجية

على الفور

الرقم: ٥٧٨٨ التاريخ: ٢٨ كانون الأول/ديسمبر ١٩١٨

سيدي،

أمرني وزير الهند أن أعترف بتسلم كتابكم المؤرَّخ في ٢٥ كانون الأول/ديسمبر ١٩١٨ والمرقَّم (٢٠٩٦٩٨) الذي أرسلتم معه نسخة من المراسلات بين وزارة الحرب والمندوب السامي لجلالته في مصر، في موضوع الخلاف بين أمير نجد وملك الحجاز.

وإشارة إلى الفقرة الأخيرة من برقية المندوب السامي المرفقة ١٩٢٧[1] التي هي ضمن مرفقات كتابكم، عليَّ أن أبدي أن الرسالة المقترح إيصالها إلى ابن سعود (والتي أرسل نصها إلى السير ريجنالد وينغيت في صيغة معدلة نوعاً ما فيما يبدو) تدعو الأمير ليس فقط إلى سحب جميع الإخوان المحاربين من غربي الخرمة، بل أن يتخلَّ فوراً، **وأن يحمل أتباعه على التخلِّي**، عن أي عمل عدواني ضد الحجاز. ويميل السيد الوزير مونتاغيو إلى الاعتقاد بأن التحذير المقترح كاف لتحقيق الغرض المقصود، وأن أي شيء من قبيل «قرار نهائي» بشأن قضية الخرمة يمكن تأجيله

---

(١) الوثيقة رقم (٢٥٤) في الصفحة (٧٧٤) من هذا الجزء.

بصورة مناسبة. وفي هذا الصدد إنه يريدني أن أشير إلى مذكرة المستر فيلبي المرقمة M - 158 والمؤرَّخة في ١٣ آب/أغسطس الماضي التي تتضمن دفاعاً قوياً لصالح ادعاءات ابن سعود بمنطقة الخرمة. ويلاحظ، على عهدة المستر فيلبي الذي زار الخرمة بنفسه، أن جميع سكان ذلك المكان هم من الإخوان. وإذا كان الأمر كذلك، فإن اقتراح المندوب السامي بوجوب الضغط على ابن سعود لسحب الإخوان من الخرمة ليس عملياً.

ولا يرى المستر مونتاغيو مانعاً دون قبول مقترحات وزارة الحرب كما جاءت في كتاب المستر كابيت المؤرخ في ٢٣ كانون الأول/ديسمبر ١٩١٨ رقم ٤٩٢٠/١٥٢ (M.I.C.) لتقديم المعونة العسكرية إلى الملك حسين لغرض الدفاع عن مكة فقط.

وأتشرف.. إلخ.

(توقيع) جون شكبره

FO 371/4145

(٢٥٧)

(ترجمة كتاب)

من الشيخ السير عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود
كي سي آي ئي، كي سي اس آي، حاكم
نجد والأحساء والقطيف وجبيل وتوابعها
إلى اللفتنانت كرنل آرنولد ت. ويلسن، من الجيش الهندي
وكيل المفوض المدني في بغداد

التاريخ ١٧ ربيع الأول ١٣٣٧
٢١ كانون الأول/ديسمبر ١٩١٨

سيدي،

أتشرف بأن أعترف بوصول مذكرتكم الكريمة الودية المحترمة التي تفضلتم

بإرسالها بواسطة عبدالرحمن بن معمر، وقد سررت بمطالعة فحواها وكنت ممتناً خصوصاً لعلمي بالتحيات الرائقة والمشاعر الودية نحو صديقكم هذا. والحقيقة أنها أعربت عن طويّتكم السامية الفاضلة وطبيعتكم اللطيفة النبيلة. وقد سرّني كثيراً أن أتسلَّم الخبر المفرح عن انتصار الحكومة البريطانية وحلفائها وانشغالهم الآن بالمهمة الخطيرة لتحرير الشعب الذي عانى تحت نير العبودية في أيدي أعداء الإنسانية وإرغام هؤلاء على قبول الشروط والانقطاع عن الحلف مع الألمان. وأنا شاكر جداً لكم للخطوات التي اتخذتموها بحق العجمان الذين أعطاكم عبدالرحمن بن معمّر المعلومات الكاملة عنهم، وعن الجهود التي بذلتموها من أجل سعادتنا، وكل ذلك يدلّ على رغبتكم النبيلة في الحفاظ على الصلات الودية بيني وبين الحكومة البريطانية.

إن المستر فيلبي، صديق الجميع، هو من أفضل الممثلين لتنفيذ السياسة والمخطط وأوامر صاحب الجلالة الإمبراطورية الملك الإمبراطور والحكومة الإمبراطورية في لندن. وأنا جدّ شاكر له للتعب الذي تجشمه لإزالة مصاعبنا وعرض مشاعرنا وأفكارنا على الحكومة البريطانية الطيبة بألطف صورة. وأنا واثق أن التأخير في تقرير بعض هذه النقاط لا بدّ أن يعود إلى اهتمام الحكومة وانشغالها في أمور أهمّ وليس بنتيجة إهمال من جانبه.

وإنني لمدين بالشكر أيضاً لكم لجهودكم المتواصلة خلال غياب المحترم الميجر جنرال السير برسي كوكس واتباعكم معي لنفس السياسة التي اتبعها بشأن الأمور التي تهمنا، وعدم التأخير في إحالتها على الحكومة، وكل ذلك لم يكن أقلّ مما توقّعته من شخصيتكم الفاضلة السامية. وآمل أنكم تواصلون مراسلتكم الودية معي وتخبرونني بين حين وآخر بما يجدّ من أحداث.

فهرس الأعلام

(ب)

(ت)

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

(ل)

(م)

(ن)

(هـ)

(و)

(ي)